

الخدام صانع التلاميذ

المبادئ الكتابية للإثمار والإكثار

ديفيد سيرفينت

حقوق الطبع لسنة ٢٠٠٥ لـديفيد سيرفينت. كل حقوق الطبع محفوظة. يمنع نسخ أي جزء من الكتاب دون الحصول على موافقة خطية من الكاتب المؤلف صاحب حق الطبع، باستثناء الاستشهاد بمقتطفات وجيزة في الاستعراضات النقدية.

الرقم الدولي المعياري للكتاب (باللغة الإنجليزية): ٠-٨-٩٦٢٩٦٢٥-٠-٩٧٨

الكتاب مقدم الى نخبة واسعة من القياييين المسيحيين المُلتزمين حول العالم، الذين مُنحوا شغفاً عارماً من الله للوصول بإنجيل الرب يسوع المسيح لُقرى ومُدن جميع الأمم.

"وَعِنْدَمَا يَظْهَرُ رَئِيسُ الرُّعَاةِ، تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لَا يَفْنَى" (بُطرس الأولى ٥: ٤).

الخدام صانع التلاميذ
المبادئ الكتابية من أجل إثمار وإكثار
ديفيد سيرفينت © ٢٠٠٤

الفهرست

المقدمة

١. تحديد الهدف الصواب
٢. البداية الصحيحة
٣. الستمرار على النحو الصحيح
٤. الكنائس البيتية
٥. تنمية الكنيسة
٦. خدمة التعليم
٧. التفسير الكتابي
٨. العظة على الجبل
٩. الواعظ المفضل لدى يسوع
١٠. الميلاد الجديد
١١. معمودية الروح القدس
١٢. المرأة في الخدمة
١٣. الطلاق والزواج الثاني
١٤. أساسيات الإيمان
١٥. الشفاء الإلهي
١٦. خدمة السيد المسيح الشفائية
١٧. مواهب الروح القدس
١٨. مواهب الخدمة

١٩. حقائق في المسيح
٢٠. التسبيح والعبادة
٢١. الأسرة المسيحية
٢٢. كيف نُقاد بالروح القدس
٢٣. الطقوس المُقدسة
٢٤. المواجهة، الغفران، المُصالحة
٢٥. تأديب الرب
٢٦. الصيام
٢٧. ما بعد الموت
٢٨. خطة الله الأبدية
٢٩. الاختطاف ونهاية الأزمنة
٣٠. الخُرافات الحديثة حول الحرب الروحية، الجزء الأول
٣١. الخُرافات الحديثة حول الحرب الروحية، الجزء الثاني
٣٢. الرعاية (الوكالة)
٣٣. أسرار التبشير

المقدمة

Introduction

أود أن أعبر عن امتيازي العظيم إذ تمكنت من السفر لزيارة ما يزيد عن الخمسين دولة حول العالم، على مدار الخمسة وثلاثين عاماً الماضية، حيث التقيت وتحدثت مع عشرات الآلاف من الخُدام في مؤتمرات كانت تعقد لمدة تتراوح ما بين ثلاثة إلى خمسة أيام. وكان يحضر هذه المؤتمرات الكثيرون من القياديين المسيحيين المُلتزمين من طوائف وتيارات مُختلفة تنتمي لجسد المسيح. وكل رحلة أكدت لي أن مؤتمرات قصيرة كهذه ببساطة غير كافية لتلبية الاحتياجات الموجودة. وبما أن هناك حاجة ماسة لتزويد القياديين المسيحيين بأكثر لأجل اعدادهم للخدمة، فهذا الكتاب ما هو الا محاولة لمليء الفراغ الموجود وإن كان بقليل.

وكان لي أيضاً شرف اختبار الخدمة كقسيس للكنائس، طوال عقدين ونيف من الزمن. وعلى الرغم من أنني كُنت ناجحاً ببعض المقاييس، الا أنني وجدت نفسي بمُعظم الاوقات وكأنني أتقدم بصعوبة ذلك بسبب قلة فهمي لبعض المبادئ الأساسية للخدمة الكتابية. ولطالما راودني شعور من القلق العميق على ملايين الخُدام المُخلصين الذين يفتقدون لما قد افتقدته انا بنفسي، وهم الآن بأمرس الحاجة لإعداد أفضل للمهام المُلقاة عليهم. كانت بعض المبادئ التي تعسر عليّ فهمها في غاية الأهمية بحيث لو تم فهمها، لعبدت طريق الخادم لحياة خدمته الى التمام. ولغدت المعيار الذي يُقاس عليه كل جانب من جوانب الخدمة. هذه المبادئ تتواجد في الفصول الأولى لا ينبغي أن يغفل عنها القارئ، إذ تعتبر الأساس الذي بدونه لن تكون هناك أي فائدة عملية من قراءة الفصول اللاحقة.

هذا الكتاب الذي بين أيديكم يحتوي على تطبيقات عملية بالأولى للقسوس، كونهم بكل تأكيد القياديون الشائعين بالمسيحية، الا أن كل ما كتبته ينطبق أيضاً على المُبشرين، المُعلمين، المُرسلين، مؤسسي الكنائس، الأنبياء، المعلمين بمدارس الأحد وآخرين. هذا الكتاب سيأتي بفائدة جزيلة لكل من ينتمي لجسد المسيح، لأن كل عضو قد أنعم بمهمة من الله.

قد كتبته في الأساس للخُدام الذين يعيشون خارج الولايات المتحدة، غرب أوروبا، أستراليا ونيوزيلندا. هذا ليس لأقول إن ما كتبته لا ينطبق على الخُدام الذين يعملون في المناطق المذكورة. مع أن قراءتهم له وكما أعتقد ستساعدكم بشكل واسع، مع العلم أن لديهم مُعلمين بنسبة لا بأس بها في تلك الدول. وعلى أي حال، ستجدون بعض فصول الكتاب أكثر فائدة من غيرها وهذا يتعلق بمعرفتكم، خبراتكم وطبيعة خدمتكم في المجموعة العرقية. فعلى سبيل المثال، بالطبع أنه بالكاد سيجد العديد من القسوس الصينيين، والكوبيين، والفيتناميين للكنائس البيئية، في الفصل الذي يتكلم على الكنائس البيئية معلومات يجهلونها. في حين سيكون ذلك الفصل بغاية الأهمية والفائدة لدى القسوس الغير مألوف لهم نموذج الكنائس البيئية.

هيهات أن مجمل جمهور القراء سيتفق مع كل ما قدمته في هذا الكتاب من مواضيع مختلفة. إذ قبل عشرة سنوات خلت أنا بنفسي لم أتفق عندها مع بعض ما كتبته في الكتاب! ولذلك لا تدع الاختلافات البسيطة أن تحول دون تعلمك قدر ما يمكنك من كل فصل.

وكما علمنا يسوع، لا أحد يضع الخمر الجديدة في زقاق الخمر القديمة، وإلا فستنفجر الزقاق القديمة المتصلبة الغير المرنة. أما الزقاق الجديدة المرنة بشكل كاف هي التي يمكنها أن تصمد امام الضغط الناتج عن تخمر النبيذ الجديد. ومع ان بعض ما كتبته قد يُعتبر خمر جديدة لأحدهم، الا انه في الواقع قديم - كقدم عمر العهد الجديد على الاقل. ولذلك أي انفجار يمكن ان يحدث لزقاق الخمر ليست العلة بالخمر المنسكب من الصفحات القادمة! أبتهج يسوع لأن الله قد أظهر حقيقته للأطفال وأخفاها عن "الحُكماء والفُهماء" (متى ١١: ٢٥). كذلك أعطى الله نعمة للمتواضعين اما المُتكبرين فهو يقاومهم (أنظر يعقوب ٤: ٦). ونشكر الرب على جموع القادة المسيحيين المتواضعين في كل أنحاء العالم. ليباركهم الرب أثناء قراءتهم.

ديفيد سيرفينت

الفصل الأول

تحديد الهدف الصواب

Setting the Right Goal

يعتبر فهم الخادم للهدف الذي أعده الله لحياته العامل الأساسي لنجاحه في عيني الرب. لكن ما لم يفهم الخادم هدفه، فلن تكون له أي امكانيه لقياس نجاح أو فشل الوصول إليه.^١ فلربما يعتقد أنه نجح بتحقيق امر ما الا أنه في الحقيقة قد فشل بذلك، وهذه لمأساة عظيمة. مثله كمثل المُتسابق الذي يبتهج كونه وصل بعدوه الى خط النهاية لسباق ال ٨٠٠ متر فرحاً بانتصاره متقدماً عن دونه من العدائين، يرفع يده ملوحاً ويُنادي على المتفرجين، غير مُدرك أن السباق في الحقيقة كان على ١٦٠٠ متر. فسوء فهمه للهدف أكد خسارته. واعتقاده أنه فاز كان سبب خسارته. وفي حالته ينطبق قول "الأول سيكون آخراً" حقيقة مؤكدة.

معظم الخُدام يضعون أهدافاً مُعينة نصب أعينهم ودائماً ما يدعونها "رؤيتهم". من ثم يسعوا جاهدين لتحقيقها، بُناءً على دعوتهم ومواهبهم. فكل دعوته وموهبته الخاصة المتميزة، إن كان قسيساً لرعاية كنيسة في مدينة ما، لتبشير مقاطعة مُعينة، أو لتعليم حقائق معينة. ولكن الهدف المُعطى من الله الذي أُشير إليه هو عام وينطبق على كل خادم. تلك هي الرؤية الكبيرة. لا بد من وجود رؤية رائدة تفوق كل رؤى الفريدة. ولكن في غالب الأحيان، ليس الأمر كذلك. بل وأساء من ذلك ليس فقط أن لُخدام كثيرون رؤى فردية معينة لا تتماشى مع رؤية الله العُظمى، ولكن لبعضهم رؤى تعمل في الحقيقة ضد رؤية الله العُظمى. وأنا بنفسى كذاك كنت في الماضي، حتى عندما كنت أزاوول خدمتي كراع لكنيسة آخذة بالنمو.

فما هو الهدف العام أو الرؤية التي أعطاهها الله لكل خادم؟ سنستهل بعرض إجابة الله في متى ٢٨: ١٨-٢٠، وهي فقرة مألوفة لدينا وكثيراً ما افتقدنا معناها. دعونا نُلقى نظرة عليها آية تلو الاخرى:

فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دَفِعْ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ (متى ٢٨: ١٨).

أراد يسوع لتلاميذه أن يفهموا أن أباه أعطاه سُلطاناً عظيماً. وبالطبع، كان غرض أبيه وما زال إطاعة يسوع، كما في كل مرة يعطى الأب سُلطةً لشخص ما. لكن يسوع يبقى متفرداً إذ أعطاه أبيه كل السُلطان في السماء وعلى الأرض، وليست مجرد سُلطة مُحددة، فإن يسوع بنفسه يعطي السُلطة لآخرين. يسوع هو الرب.

^١ فمن خلال هذا الكتاب، أنا أُشير للخدام المُستخدمين للضمير المُذكر هو، وببراءة من أجل الاستمرار ولأن الغالبية من الخُدام المُحترفين، كالفُلسس الرجال. فأنا مُقتنع من الكتاب المُقدس أن الله يدعو النساء للخدمات المهنية، وأنا أعلم أن قليلاً من الخدام المؤثرين. وهذا هو موضوع فصل "النساء في الخدمة".

وبناءً على ما ذكر اعلاه، فإنه ما لم تكن علاقة الفرد بيسوع كرب، فلن يكون ارتباطه به على النحو القويم. لأن يسوع وفوق كل شيء، هو الرب. وليس من باب الصدفة أن العهد الجديد قد أشار ببروبية يسوع بما يزيد عن ٦٠٠ مرة. (ويورد ذكره كمُخلص ١٥ مرة فقط).

ولذلك كتب بولس " فَإِنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ وَعَادَ حَيًّا لِأَجْلِ هَذَا: أَنْ يَكُونَ سَيِّدًا (رباً) عَلَى الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ " (رومية ١٤ : ٩). فموت يسوع وعودته من الأموات بغرض أن يحكم كرب على الناس.

الإيمان المُخلص الحقيقي

عندما يدعو المُبشرون والفُسوس المُعاصرون الاشخاص الغير مُخلصين "لقبول المسيح" (وهي عبارة او مفهوم غير مذكور بالكتاب المُقدس)، هذا ما يُظهر علنتهم الأساسية في فهمهم لرسالة الإنجيل. فعلى سبيل المثال، عندما سأل سجان فليبي بولس ما يترتب عليه فعله ليخلص، لم تكن اجابة بولس، "آمن بيسوع كمُخلصك". ولكن قال له " آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ " (أعمال ١٦ : ٣١). هكذا يخلص الناس حين يؤمنون بالرب يسوع المسيح. ليكن معلوماً لديكم أنهم لم يخلصوا بمجرد أنهم آمنوا بعقيدة الخلاص أو يسوع، ولكن آمنوا بشخص الرب يسوع المسيح. وهذا هو الإيمان المُخلص. الكثيرون يعتقدون مجرد أنهم يؤمنون أن موت يسوع كان ذبيحة كافية عن خطاياهم، أو أن الخلاص بالإيمان، أو مئات الأشياء الأخرى عن يسوع والخلاص، أن بذلك لهم إيماناً مُخلصاً. لكنهم ليسوا كذلك. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُصَدِّقُ كُلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَنِ يَسُوعَ وَالْخَلاصِ. وَالْإِيمَانُ الْمُخْلِصُ يَحْتَوِي عَلَى الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ. وَأَيُّ يَسُوعَ؟ يَسُوعَ الرَّبِّ.

ومن الواضح، إن آمنت أن يسوع هو الرب، فسأسلك على أنه هو الرب، خاضعاً له من كل قلبي. وإذا لم أخضع له فلن أكون قد آمنت به بعد، فإن قال شخص "أنا أو من أن هناك شعبان سام في حذائي"، وبعد قوله هذا يذهب لينتعل حذاءه بهدوء، هذا سيدل ومن الواضح أنه لا يؤمن حقاً بما يتدعى أنه يؤمن به. وكذلك هؤلاء الذين يؤمنون بيسوع ولكن لا يتوبون ويخضعون له بقلوبهم، لا يؤمنون حقيقة بيسوع. فربما يؤمنون بيسوع خيالي، ولكن ليس الرب يسوع، الشخص الذي له كل السلطان في السماء وعلى الأرض.

وكل هذا لأقول حين يكون فهم الخادم للرسالة الأكثر أصولية في المسيحية فهماً مصدوعاً، عندها سيكون بمأزق منذ البداية. فلن تكون أمامه أي طريق للنجاح حسب التقييم الإلهي، بينما يُسئ بتقديره لأعظم رسالة يريدّها الله أن تُسمع في هذا العالم. فلربما ذاك يكون قسيساً لكنيسة آخذة بالنمو والازدياد، الا انه فشل على نحو بائس من أن يُحقق رؤية الله لخدمته.

الرؤية الكبيرة

دعونا نعود لمتى ٢٨ : ١٨-١٩. وبعد إعلانه لبروبيته العظمى، أعطى يسوع للتو وصيته:

فَازْهَبُوا إِذْنَ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أُوصِيَتْكُمْ بِهِ (متى ٢٨: ١٩-٢٠).

لاحظ أن يسوع استخدم كلمة "إذن". فقال "إذن اذهبوا وتلمذوا". هذا بناءً على ما قلته ... لأن بحوزتي كل السلطان ... لأنني أنا الرب ولأن يتوجب على الناس إطاعتي.... ولذلك أنا أوصيكم (ويجب أن تطيعوني) أن تذهبوا وتصنعوا تلاميذاً، مُعلمين إياهم أن يطيعوا كل وصاياي.

وبكل بساطة تسطر تلك العبارة لنا الهدف العام المنشود، رؤية الله العظمى لمجمل خدماتنا: مسؤوليتنا هي أن نصنع تلاميذاً مُطيعين لكل وصايا المسيح.

ولهذا قال بولس أن نعمة الله المُعطاة له كرسول كانت: "لأجل اسمه نلنا نعمةً ورسالةً لإطاعة الإيمان بيّن جميع الأمم" (رومية ١: ٥). الهدف كان الطاعة؛ والطاعة كانت واسطة الإيمان. والناس الذين لهم إيمان حقيقي بالرب يسوع هم الذين يطيعون وصاياه.

ذلك كان سبب عظة بطرس في يوم الخمسين، إذ قال: "فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً بَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعاً، أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ يَسُوعَ، هَذَا الَّذِي صَلَّبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبّاً وَمَسِيحاً" (أعمال الرسل ٢: ٣٦). بهذا أراد بطرس لصالبي يسوع أن يعلموا أن الله جعل يسوع رباً ومسيحاً. فهم قتلوا الشخص الذي اختاره الله ليطيعوه! وبكل اقتناع، سألوا "ماذا ينبغي علينا فعله؟" فكان الردّ الأول لبطرس، بـ "توبوا!" ذلك يعني التحول من جانب العصيان الى جانب الطاعة. اجعلوا يسوع رباً. وبعدها طلب بطرس منهم أن يعتمدوا كما اوصاهم يسوع. كان بطرس صانعاً للتلاميذ - أتباعاً مُطيعين للمسيح - وهكذا بدأ بطرس بطريق سليمة نحو الرسالة الحقّة.

وبناءً على ما ذكر أعلاه، يتوجب كل خادم ان يكون مؤهلاً على تقدير نجاحاته. وينبغي على كل منا التساؤل "هل خدمتي بقيادة الناس تعمل على أن يصيروا مُطيعين لكل وصايا المسيح؟" فإن قمنا بذلك، نكون ناجحين. وإن لم نقم، فنكون قد فشلنا.

المُبشر الذي يسعى فقط لإقناع الناس على "قبول يسوع"، دون إخبارهم بأن يتوبوا عن خطاياهم، هو فاشل. والقسيس الذي يحاول بناء رعية كبيرة بالحفاظ على سعادة اعضائها وتنظيم العديد من النشاطات الاجتماعية هو فاشل. والمُعلم الذي فقط يُعلم "ريخ من التعاليم" الكاريزمية الاخيرة هو فاشل. والرسول الذي يؤسس كنائس مملوءة بأناس يؤمنون بيسوع غير انهم لا يطيعونه، هو فاشل. والنبى الذي فقط يتنبأ للناس بالبركات الآتية لتنهال على حياتهم، هو فاشل.

فشلي

منذ سنوات عدة مضت، عندما كُنت قسيساً لكنيسة تزداد نمواً، سألني الروح القدس سؤال قد فتح عيناى لأرى كم بعيداً كُنت عن تحقيق رؤية الله العامة. كان تساؤل الروح القدس لي بينما كنت أقرأ عن مُستقبل دينونة الخراف والجداء التي وُصِفَتْ في متى ٢٥: ٣١-٤٦ على النحو التالي: "ماذا إن توفى اليوم كل أعضاء رعية الكنيسة وامثلوا لدينونة الخراف والجداء، فكم منهم يا ترى سيكون خرافاً ومن جداء؟ وعلى وجه التحديد، "كم من ابناء رعيّتك زوّد في العام الأخير طعاماً للجبايع من اخوتهم وخواتهم في المسيح، او

ماءً للمسيحيين العطاش، أو ملجأً للمتشردين أو للمسافرين أتباع المسيح، أو كساءً للمسيحيين العراة، وكم منهم قام بزيارة المؤمنين المرضى منهم كان أم مسجونين؟" فأدركت أن عدداً قليل فعل بعض هذه الأمور، أو ما يشابه لها، ومع انهم كانوا يحضرون الى الكنيسة، يرنموا الترانيم التعبدية ويستمعوا لعظاتي ويضعون من أموالهم في صندوق العطايا. الا انهم كانوا حسب معيار يسوع جداءً، ويقع اللوم بذلك عليّ وإن كان بشكل جزئي على الأقل، لأنني لم أعلمهم الى أي قدرٍ من الأهمية لله أن نسعى لتلبية احتياجات أخوتنا وأخواتنا في المسيح. فلم أعلمهم الطاعة لما أوصى به المسيح. وفي الحقيقة أدركت أنني كنت مهملاً لما كان بغاية الأهمية بالنسبة لله – ثاني أعظم وصية وهي أن نُحب قريبنا كأنفسنا – ناهيك عن وصية يسوع الجديدة التي أعطاناها وهي أن نُحب بعضنا البعض كما هو أحبنا.

وعلاوة على ذلك، في نهاية المطاف أدركت أنني كنت أعلم بما يتعارض وهدف الله العام لصنع تلاميذ كما علمت رعتي بنسخة متواضعة من "إنجيل الرفاهية". بالرغم أن إرادة يسوع لشعبه، ليست أن يكتزوا لهم كنوزاً على الأرض (أنظر متى ٦: ١٩-٢٤)، بل أن يكونوا قنوعين بما لديهم، حتى وإن كان كل ما يملكوه هو فقط الطعام والكساء (أنظر عبرانيين ١٣: ٥؛ تيموثاوس الأولى ٦: ٧-٨)، في حين كنت أعلم رعتي الأمريكية الغنية أن الله أراد لهم أن يملكو مقتنيات أكثر. وهكذا كُنت أعلم الناس ألا يطيعوا يسوع بهذه الناحية (مثل غيري من مئات الآلاف القسوس حول العالم).

وفي يوم من الأيام أدركت ما كنت أفعل، فثبتت عن ذلك وطلبت من رعتي أن سامحوني. وبدأت من يومها بصنع تلاميذ، مُعلماً إياهم أن يطيعوا كل ما أوصى به المسيح. وفعلت ذلك بخوف وارتياح، ينتابني الشك فيما إذا كان جزء من رعتي غير مستعد لإطاعة وصايا المسيح بكاملها، مُفضلين مسيحية مريحة لا تضحية فيها من جانبهم. وكُنت على حق وبجميع المؤشرات، تبين أنّ عدد ليس بقليل من الرعية لا يكثرث بالمؤمنين الذين يُعانون حول العالم. ولا يهتموا بنشر الإنجيل لمن لم يسمعه. بل اهتمامهم الأساسي أن يحصلوا على الأكثر لأجل أنفسهم. أما بالنسبة لحياة القداسة، فإنهم تحاشوا فقط الخطايا الأكثر فضاحة، خطايا تدان من اناس غير مخلصين، بينما عاشوا حياة مماثلة لتلك الذي يعيشها المتوسط من الأمريكيين المحافظين. ولكنهم لم يحبوا الرب، لأنهم لم يريدوا أن يُحافظوا على وصايا يسوع، الامر الذي قال عنه يسوع أن به إثبات حُبنا له (أنظر يوحنا ١٤: ٢١).

ما كنت أتخوف منه كان حقيقة – إذ ان بعض المسيحيين المؤمنون كانوا في الحقيقة جداء في ثياب حملان. وعندما دعوتهم لان ينكروا أنفسهم ويحملوا صليبهم، ذلك ما أغضب البعض منهم. كانت الكنيسة لهم في الأساس تجربة اجتماعية تنزّين ببعض الموسيقى الجميلة، كما يستمتع اهل العالم في الأندية والخمارات. وكان تقبلهم لبعض الوعظات مشروطة إذا ما أكدت على خلاصهم وحُب الله لهم. بيد انهم لم يعلموا ما كان يطلبه الله منهم. ولم يشاء أحد منهم أن يُستجوب عن أصالة خلاصه. وكأنهم اتفقوا على عدم احداث أي تغيير بحياتهم ليتناسب مع إرادة الله إن كان ذلك سيكلفهم ثمناً ما. وبالتأكيد أنهم كانوا يرغبون بالتخلص من بعض أموالهم، طالما أنهم مُقتنعون أن الله سيُعطيهم أكثر، وطالما انهم انتفعوا مما أعطوه، مثلاً عندما تُستخدم أموالهم لتحسين خدمات الكنيسة.

وقت للاختبار الذاتي

أرجو عند قراءة هذا الكتاب لكل خادم أو خادمة أن يسألوا أنفسهم ذلك السؤال الذي سألنه الروح القدس لي: "ماذا إن توفى اليوم كل أعضاء رعية الكنيسة وامتلوا لدينونة الخراف والجداء، فكم منهم يا ترى سيكون خرافاً ومن جداء؟ فعندما يؤكد الخادم خلاص رعيته بينما يسلكون كالجداء، ويعلمهم بعكس مشيئة الله لحياتهم، عندها سيكون ذلك الخادم يعمل المسيح الدجال. فهو يتخذ موقفاً مغايراً لما يُريد إخباره يسوع لهؤلاء الناس كما جاء في متى ٢٥: ٣١-٤٦. الفكرة المهمة هنا بما أوصاه يسوع هو تحذير الجداء. فهو لا يُريدهم أن يحسبوا أنهم ذاهبون الى لسماء.

وقال يسوع سيعلم الناس أننا تلاميذه إذا ما كان لنا حُباً لبعضنا البعض (أنظر يوحنا ١٣: ٣٥). بالتأكيد أنه كان يتكلم عن الحُب الذي يفوق ذلك الذي يُظهره غير المسيحيين لبعضهم البعض، وإلا لما أمكنهم تمييز تلاميذه عن غيرهم من البشر. المحبة المضحية بالنفس كانت نوعية المحبة التي قصدها وعلمها يسوع لتلاميذه، عندما نُحب بعضنا البعض كما هو أحبنا، واضعين أنفسنا من أجل بعضنا البعض (أنظر يوحنا ١٣: ٣٤، ويوحنا الأولى ٣: ١٦-٢٠). وكتب يوحنا أيضاً أننا نعلم أننا قد عبرنا من الموت للحياة عندما نولد الميلاد الثاني وعندما نُحب بعضنا البعض (يوحنا الأولى ٣: ١٤). هل يُظهروا حُباً كما لمن ولد الولادة الثانية، أولئك الذين يغضبون ويتكلمون سوءاً على الخُدام ويكرهون الذين يعلمون وصايا المسيح؟ لا، فهم الجداء في طريقهم الى لجحيم.

تلاميذ من كل الأمم

وقبل أن ننقل لجزئية أخرى، دعونا ننظر مرة ثانية الى متى ٢٨: ١٩-٢٠، والمأمورية العامة العظيمة التي أوكلها الله لتلاميذه، لنرى إذا كان بإمكاننا أن نستخلص حقائق أخرى منها.

فَادْهَبُوا إِذْنَ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ؛ وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أُوصِيْتُكُمْ بِهِ. (متى ٢٨: ١٩-٢٠).

لاحظ أن يسوع أراد أن يُصنع له تلاميذ من كافة الأمم، أو بمعنى أدق كما وردت العبارة الاصلية باليونانية، من كل المجموعات العرقية في العالم. وإن كان قد أوصى يسوع بذلك، فأنا مُقاد لأؤمن ان ذلك ممكناً لا محالة. يمكننا أن نصنع تلاميذاً ليسوع من كل مجموعة عرقية في العالم. وهذه المهمة لم تُعطى لتلاميذ يسوع وحسب بل لتكون مهمة شخصية لكل تلميذ آخر بعدهم، فإن يسوع قد أخبر الإحدى عشر بأن يُعلِّموا تلاميذاً ان ينتبهوا لكل ما أوصاهم به. وهكذا علّم الإحدى عشر الأصليون تلاميذهم بأن يطيعوا وصايا المسيح وأن يصنعوا لهم تلاميذاً من كل أمم الارض، وحينها ستصبح وصية دائمة لكل تلميذ لاحق على مدى الاجيال. ومن المفروض على كل تلميذ ليسوع أن يكون مُنشغلاً بصورة او بأخرى على تلمذة الأمم.

وهذا يفسر لنا جزئياً السبب الذي لأجله لم تتحقق "المأمورية العظمى" بعد. على الرغم من أن هناك الملايين من المسيحيين، إلا أن رقم التلاميذ الحقيقيين المُلتزمون بطاعة وصايا يسوع هم أقل من ذلك

بكثير. فالغالبية العظمى من المسيحيين لا يهتموا بالتلمذة في كل مجموعة عرقية لأنهم ببساطة غير ملتزمين بطاعة وصايا المسيح. فعندما يُفتح هذا الموضوع، دائماً ما يستخدمون أعذاراً على النحو التالي، "هذه ليست خدمتي" أو "أنا لا أشعر أني مُقاد لهذا الاتجاه." والكثيرين من القسوس يرددون هذا الادعاء، كما يفعل الجداء الذين يصطفون من وصايا المسيح تلك التي تتماشى وأجنداتهم الخاصة.

فلو كان كل من يعتبر نفسه مسيحياً، بالفعل يؤمن بالرب يسوع المسيح، لتعرف العالم كله على الإنجيل ومنذ زمن طويل. فالالتزام الجماعي لتلاميذ المسيح سيخرج ذلك الى حيز التنفيذ. ولتمنعوا عن إهدار الوقت والمال على أمور عالمية عابرة، بل استخدموها لتحقيق ما أوصاهم به الرب أن يفعلوه. لكن كثيراً ما ينخفض عدد الحضور بالكنائس عندما يُعلن القس عن مُبشر أتٍ للتكلم في الخدمة القادمة. فالكثائر من هؤلاء الجداء يبقون في منازلهم أو يذهبون الى امكان آخر. لأنهم لا يهتموا بطاعة آخر وصايا يسوع المسيح. في حين أن الخراف على عكس ذلك، دائماً ما يكونوا متحمسين للمشاركة في صنع تلاميذ من كل الأمم.

هناك فكرة أخرى مُهمة بما يتعلق بوصية يسوع في متى ٢٨: ١٨-٢٠: وهي أنه أيضاً طلب من تلاميذه أن يُعمدوا تلاميذهم، وقد أطاع الرُسل وصيته بكل إيمان. وفي الحال عمدوا الاناس الذين تابوا وآمنوا بالرب يسوع. فالمعمودية هي تمثل الانتماء الشخصي للمؤمن مع موت يسوع، دفنه وقيامته من الأموات. والمؤمنين الجدد ماتوا وقاموا من الأموات كخليقة جديدة في المسيح. وهذه هي الحقيقة التي أرادها يسوع لكل مؤمن جديد أن يختبرها بالمعمودية، صاقلاً في عقله ووجدانه أنه الآن قد أصبح شخصاً جديداً بطبيعة جديدة. فهو/هي روح واحدة مع المسيح، ومنذ هذه اللحظة قد مُنح القدرة على طاعة الله بالمسيح الذي يعيش فيه. فإذا كان ميتاً في خطاياه، الآن بعد غسله أصبح حياً بالروح القدس. فهو أكثر من أن يكون مغفوراً بل حدث عليه/ها تغييراً غير عادي، بهذا يُشير الله مرة أخرى إلى أن المؤمنين الحقيقيون هم مُختلفون بسلوكهم عما كانوا عليه من قبل عندما كانوا أمواتاً بالروح. وتم تأكيد ذلك بكلمات يسوع الختامية " وَهَآ أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْتِهَاءِ الزَّمَانِ! " (متى ٢٨: ٢٠). أليس من المعقول الاعتقاد أن حضور المسيح المستمر مع الناس سيؤثر لا محالة على سلوكياتهم؟

تعريف يسوع للتلمذة

وهكذا قد وضعنا أساساً لهدف يسوع الجوهرى لنا الا وهو تلمذة المؤمنين، الذين تابوا عن خطاياهم ويتعلمون وصاياه ويطيعونها. وقد عرف يسوع من هو التلميذ في يوحنا ٨: ٣٢ على النحو التالي:

إِنْ ثَبَّتُمْ فِي كَلِمَتِي، كُنْتُمْ حَقًّا تَلَامِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ.

التلاميذ الحقيقيين ليسوع هم هؤلاء الذين ثبتوا أو صنعوا بأنفسهم منزلاً لكلمته. كما يتعلمون حقيقته من كلمته، ويتقدمون ويتحررون، وبعد ذلك في سياق ما كان يسوع يتكلم عن تحريرهم من الخطية (أنظر يوحنا ٨: ٣٦-٣٤). هكذا ولمرة أخرى نرى من تعريف يسوع، ان التلاميذ هم من يتعلمون وصاياه ويطيعوها.

ولاحقاً قال يسوع:

بِهَذَا يَتِمَّجِدُ أَبِي: أَنْ تُنْتِجُوا ثَمَرًا كَثِيرًا فَتَكُونُونَ حَقًّا تَلَامِيذِي (يوحنا ١٥: ٨).

وهكذا بتعريف يسوع، يمجّد التلاميذ الله بجنى الثمار. وهؤلاء الذين لا يجنوا ثماراً يثبتون انهم ليسوا تلاميذه.

وعرّف يسوع بالتحديد معني جني الثمار من تلاميذه في لوقا ١٤: ٢٥-٣٣. دعونا نبدأ بقراءة الآية رقم ٢٥:

وَكَاثَتْ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ تَسِيرُ مَعَهُ، فَأَلْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ.....

لحظة!!

هل كان يسوع فرحاً بأن الجموع العظيمة كانت تسير معه؟ هل بلغ هدفه الأسمى الآن بنجاحه في الحصول على رعية كبيرة؟

لا، لم يكن يسوع "مبسوطاً" لوجود الجموع الكثيرة من حوله، سامعين لعظاته، مُشاهدين معجزاته، وأحياناً يأكلون من طعامه. يسوع يبحث عن الناس الذين يحبون الله من قلوبهم، وعقلوهم، وارواحهم وقواتهم. ويُريد لهم أن يطيعوا وصاياه. فهو يُريد تلاميذاً. وبالتالي هكذا قال للجموع التي كانت تسير معه:

إِنْ جَاءَ إِلَيَّ أَحَدٌ، وَلَمْ يُبْغِضْ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، بَلْ نَفْسَهُ أَيْضاً، فَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَكُونَ تَلَمِيذاً لِي (لوقا ١٤: ٢٦).

لا يمكن أن يكون هناك خطأ في ذلك: يسوع وضع المتطلبات التي يدونها لا يمكن لشخص ان يكون تلميذاً. لكن هل فعلاً على تلاميذ يسوع أن يكرهوا أولئك الذين من الطبيعي الأكثر حُباً لهم؟ يبدو ذلك من غير المعقول لأن الكتاب المقدس أوصى بتكريم الاباء وحُب الزوجات والأطفال.

فلا بد وأن يسوع كان يتكلم بمغالاة، وهذه المغالاة للتوضيح. وعلى الأقل أن كان ذلك يعنى شيئاً فإنه كالتالي: إن كُنّا حقاً تلاميذه، عندها لا بد وأن نُحبه بشكل عظيم، وأكثر من ذلك، أن حُبنا له يفوق ذلك الحب الذي نكنه لأعز أحبائنا طبيعياً. وتوقعات يسوع بالتأكيد معقولة إذ أنه هو الله الذي ينبغي ان نحبه من كل قلوبنا وعقولنا وقوانا.

لا تنسى – أن وظيفة الخدام هي تأسيس تلاميذ، وهذا يعنى صقل نوعية من الناس تحب يسوع بشكل عظيم، ويُحبونه كثيراً، أكثر من حُبهم لزوجاتهم/ أزواجهم، أطفالهم، وأولادهم. فمن الحسن على كل خادم قارئاً لهذا أن يسأل نفسه "كم أنا ناجحاً في إنتاج أناس كمثّل هؤلاء؟

كيف يمكن أن نعرف إن كان شخصاً يُحب يسوع؟ فقال لنا يسوع في يوحنا ١٤: ٢١: "مَنْ كَاثَتْ عِنْدَهُ وَصَايَايَ، وَيَعْمَلُ بِهَا، فَذَاكَ يُحِبُّنِي. وَالَّذِي يُحِبُّنِي، يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُعْلِنُ لَهُ ذَاتِي". ولذلك فمن التأكيد أنه من المعقول أن نستنتج أن الناس الذين يُحبون يسوع أكثر من زوجاتهم، وأطفالهم، وابائهم هم أيضاً من يحفظون وصاياه. تلاميذ يسوع يطيعون وصاياه.

متطلب ثاني

أكمل يسوع كلامه في ذلك اليوم للجموع التي كانت تسير معه قائلاً،

ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً (لوقا ١٤ : ٢٧).

وهذا هو المتطلب الثاني الذي وضعه يسوع لتلاميذه. فماذا كان يعني؟ هل طلب من تلاميذه بالمعنى الحرفي أن يحملوا حزم كبيرة من الخشب معهم؟ لا، يسوع كان لمرة أخرى يستخدم صيغة المغالاة.

مُعظم الشعب المعاصر ليسوع إن لم يكن كله، قد شهد مجرمين مُذنبين معلقين على صلبان الموت. فقد صلب الرومان المجرمين على جوانب الطرق خارج أبواب المدينة ليزيدوا من التأثير على العامة كوسيلة ردع للجريمة.

لذلك أنا على يقين أن هذا التعبير "أحمل صليبك" كان شائعاً في أيام يسوع. وكل شخص كان يساق للصلب لابد أنه سمع الجنود الرومان يقولون "أحمل صليبك وأتبعني." كان هذه كلمات الإدانة التي تثير الروع، لعلم المحكوم عليه ببداية ساعات وأيام من العذاب الرهيب. ولعل هذا التعبير تحول ليعني، "تقبل المشقة المحتملة الأتية عليك لا محالة."

وأنا أتصور كيف يمكن للأباء أن يتوجهوا لأبنائهم بقولهم "يا بني، أنا أعلم أنك تكره حفر المراحيض. فهي ذات رائحة كريهة، وعمل قذر. ولكن هي مسؤوليتك مرة في الشهر، فاحمل صليبك. اذهب وأحفر المراحيض." وأتخيل الزوجات يقولوا لأزواجهن، "عزيزي، أنا أعلم كم تكره دفع الضرائب للرومان. ولكن اليوم يوم دفع الضرائب، ومُحصل الضرائب آتي الآن بطريقه إلينا. ولذلك احمل صليبك. اذهب وأدفع للرجل."

فحمل الشخص لصليبه هو رمز إنكاره لذاته، وأستخدم يسوع في متى على هذا الشكل ١٦ : ٢٤ : "ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَسِيرَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِزْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيْبَهُ وَيَتَّبِعْنِي". ويمكن إعادة صياغة هذا ليصبح "إن أراد أي شخص أن يتبعني، فليضع جانباً أجندته الخاصة ويتحمل المشقة الحتمية نتيجة قراره ليتبعني."

ولذلك استعد التلاميذ للمُعاناة من أجل أتباعهم يسوع. فقد حسبوا الثمن قبل أن يبدؤا، عالمين أن المشقة أمر محتوم، بادئين بعزم ليستمروا حتى النهاية. وهذا التفسير مُدعم بما قاله يسوع – بالآيات التالية – لمن يتبعه عن الثمن الذي ينبغي عليه دفعه. بمثالين أوضحاً وجهة نظره:

فَأَيُّ مِنْكُمْ، وَهُوَ رَاغِبٌ فِي أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا، لَا يَجْلِسُ أَوَّلًا وَيَحْسِبُ الْكُلْفَةَ لِيَرَى هَلْ عِنْدَهُ مَا يَكْفِي لِإِنْجَازِهِ؟^{٢٨}
وَذَلِكَ لِئَلَّا يَضَعَ لَهُ الْأَسَاسَ وَلَا يَقْدِرَ أَنْ يُنْجِزَهُ. أَفَلَا يَأْخُذُ جَمِيعُ النَّاطِرِينَ يَسْخَرُونَ مِنْهُ.^{٢٩}

قَائِلِينَ: هَذَا الْإِنْسَانُ شَرَعَ يَبْنِي وَعَجَزَ عَنِ الْإِنْجَازِ؟^{٣٠}

أَمْ أَيُّ مَلِكٍ ذَاهِبٍ لِمُحَارَبَةِ آخَرَ، لَا يَجْلِسُ أَوَّلًا وَيَسْتَشِيرُ لِيَرَى هَلْ يَقْدِرُ أَنْ يُوَاجِهَ بَعَشْرَةَ آلَافٍ ذَلِكَ ٣١
الرَّاحِفَ عَلَيْهِ بَعَشْرِينَ أَلْفًا.

وَالْأَفْنَاءُ، وَالْعَدُوُّ مَا زَالَ بَعِيدًا، يُرْسِلُ إِلَيْهِ وَقْدًا، طَالِبًا مَا يُؤُولُ إِلَى الصُّلْحِ. ٣٢

(لوقا ١٤ : ٢٨-٣٢).

فوجهة نظر يسوع لا يمكن أن تكون أوضح من ذلك: "إن كنت تريد أن تتبني، فأحسب التكلفة أولاً، حتى لا تهرب عندما يجد الجد. لان التلاميذ الحقيقيون يقبلون المشقة التي تأتي نتيجة اتباعي."

مطلب ثالث

أورد يسوع مطلباً ثالثاً للتلمذة لجموع ذلك اليوم:

"هَكَذَا إِذَنْ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَهْجُرُ كُلَّ مَا يَمْلِكُهُ، لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَكُونَ تَلْمِيزًا لِي" (لوقا ١٤ : ٣٣).

مرة أخرى، هنا أيضاً يبدو ومن المنطقي استنتاجه أن يسوع استخدم صيغة المُبالغة بكلامه. فلا نتخلي عن كل ما نملكه بمعنى أن نبقي دون مأوي، أو ملابس أو طعام. لكن ومع ذلك، بالطبع علينا التخلي عن كل مقتنياتنا بمعنى تحويل ملكيتها لحساب الله، حتى نصل في حياتنا إلى مستوى الكف عن عبادة المال، وان نخدم الله بأموالنا. وبالتالي هذا سيؤدي إلى تخلينا عن مقتنياتنا الغير ضرورية لنعيش بالمقابل حياة بسيطة كوكلاء للرب نشارك ما لدينا مع الآخرين، كما عاش المسيحيون الأوائل حسب ما ورد في سفر اعمال الرسل. أن تكون تلميذاً للمسيح يعني إطاعة وصاياه، وهو قد أوصى أتباعه ألا يكتسبوا لأنفسهم كنوزاً على الأرض، وانما ليكتسبوها في السماء.

خلاصة الكلام، حسب ما قاله يسوع، أن أكون له تلميذاً عليّ أن أجنّي ثماراً، ولا بد ان أحبه لأبعد الحدود، أن يفوق حبي له حتى على حُبّي لأعضاء عائلتي. ولتكون لي رغبة على مواجهة المشقات المُتوقع حدوثها كنتيجة حتمية لقراري باتباعه. وان التزم على القيام بتحقيق كل ما قاله بخصوص دخلي وممتلكاتي. (ونتظر الكثير من وصاياه بصورة او بأخرى لهذا الموضوع، لذلك عليّ ألا أخدع نفسي، كما يفعل الكثيرون قائلين "إن قال لي الله أن أفعل شيئاً بمقتنياتي، فأفني سأفعل حسبما يقول.")

ك هذه النوعية من اتباع مُلتزمين للمسيح علينا نحن الخُدام أن نصنع! فهذا هو هدفنا المُعين من الله! تلك هي الحقيقة الأساسية المفقودة لدي الكثر من الخدام حول العالم. فإذا ما قِيمُوا خُدماتهم كما قيمتها أنا، سينتهون إلى الاستنتاج الذي توصلت إليه بنفسي انهم بعيدون كل البعد عن رغبات الله وتوقعاته. فعندما أخذت بعين الاعتبار مستوى الالتزام الذي اظهره أبناء رعيتي للمسيح، عندها انتابني الشك بأن هناك عدد ليس بقليل لا يمكن تعريفهم على انهم تلاميذ حقيقيون.

أيها الفُسوس، ألقوا نظرة على رعيتكم. كم من اناسكم يعتبرهم المسيح تلاميذاً طبقاً لمعاييرهم كما جاء في لوقا ١٤ : ٢٦-٣٣؟ أيها المُبشرين، هل الرسالة التي تعظونها تُنتج عنها أشخاصاً ملتزمين بإطاعة وصايا المسيح؟

الآن! هذا هو زمن تقديرنا لخدماتنا، قبل أن نقف أمام يسوع للتقييم النهائي. وإن كنت قد فشلت بتحقيقي لهدفه، فبالأولى أن أكتشف ذلك الآن من أن اكتشفه بذلك اليوم. أتنفق معي بذلك؟

فكرة مُيقظة نهائية

من الواضح أن إرادة يسوع للناس أن يصيروا تلاميذاً له، حين وضع ذلك بكلماته للجموع في لوقا ١٤: ٢٦-٣٣ عن مدى أهمية كوننا تلاميذه. فماذا إن أختار أحداً ألا يكون من تلاميذه؟ إجابة يسوع على السؤال نراه في نهاية عظته كما جاء في لوقا ١٤:

إِنَّمَا الْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلَكِنْ إِذَا فَقَدَ الْمِلْحَ طَعْمُهُ، فَبِمَاذَا تُعَادُ إِلَيْهِ مُلُوحَتُهُ؟^{٣٤}
إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَا لِلتُّزْبَةِ وَلَا لِلسَّمَادِ، فَيُطْرَحُ خَارِجاً. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ!^{٣٥}
(لوقا ١٤: ٣٤-٣٥).

لاحظ أن هذه العبارة ابتدأت بكلمة إنما لتبين أن لها علاقة بما جاء قبلها.

يقول من المفروض أن يكون الملح جيداً ذلك ما يجعله ملحاً. وإن فقد طعمه، سيصبح عديم القيمة لا نفع له لأي شيء وفي النهاية مصيره أن يُلقى خارجاً.

وما علاقة ذلك بأهمية تلمذة الجميع؟ ذلك، كما اننا نتوقع من الملح أن يكون مالحاً، كذلك يتوقع يسوع من اتباعه أن يكونوا تلاميذاً. وحيث أنه هو الله، فالتزامنا المنطقي الوحيد هو أن نُحبه حباً عظيماً وأن نحمل صليبنا. فإن لم نصبح له تلاميذاً، عندها نرفضه كونه السبب الوحيد لوجودنا. فلا نصلح لأي شيء وفي النهاية شيء مصيرنا أن "نُلقى خارجاً". هذا لا يبدو كمن يذهب الى السماء، أليس كذلك؟

وفي مكان آخر، قال يسوع لتلاميذه (أنظر متي ٥: ١٣):

أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ. فَإِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ، فَمَاذَا يُعِيدُ إِلَيْهِ مُلُوحَتَهُ؟ إِنَّهُ لَا يَعُودُ يَصْلُحُ لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَن يُطْرَحَ خَارِجاً لِيَتَدَوَّسَهُ النَّاسُ!

تلك حقاً تحذيرات مُيقظة. أولاً، يمكن لله أن يستخدم المالحين (مجاز واضح لـ "الطاعة الملتزمة") فقط. أما الباقون "لا يصلحون لأي شيء سوى أن يُلقوا خارجاً ويُداسوا." ثانياً، لا بد وأن هناك إمكانية لتحوّل الشخص من كونه "مالحاً" ليصبح "غير مالحاً"، وإلا لما كانت أي حاجة لتحذير يسوع تلاميذه. كم تتناقض هذه الحقائق مع ما يُعلمه الكثيرون في إيماننا، معتقدين إنه يُمكن للشخص أن يكون مؤمناً مُصمماً للسماء بالمسيح في حين أنه ليس تلميذه، أو أنه من غير المُمكن مصادرة مكانة الخلاص لأحدهم. وسنأخذ بعين الاعتبار هذه الأفكار الخاطئة في فصول لاحقة وبالتفصيل.

الفصل الثاني

البداية الصحيحة

Beginning Rightly

التلميذ بالمعنى الكتابي للكلمة هو المؤمن المُخلص للرب يسوع المسيح، يلتزم بكلمته وباستمرار مُحرر من الخطيئة. هو الشخص الذي يتعلم أن يُطيع كل وصايا المسيح، ويحب يسوع أكثر من عائلته، راحته الشخصية، ومُقتنياته، مثبتاً حُبّه للرب بأسلوب حياته. كما ويحب تلاميذ يسوع الحقيقيين بعضهم بعضاً ويُظهرون هذه المحبة بطرق عملية عديدة. فهم من يجنوا ثمار طيلة أيام حياتهم.^٢ يسوع يريد هذه النوعية من الناس.

ومن الواضح أنه لا يمكن للمرء أن يصنع تلاميذاً ليسوع ما لم يكن هو بذاته تلميذاً. ولذلك علينا أن نكون على يقين بأنفسنا أولاً أننا تلاميذ يسوع، قبل أن نُحاول أن نتلمذ الآخرين له. الكثيرون من الخُدام يسقطون، إذا ما قارنوا أسلوب حياتهم بتعريف الكتاب المُقدس لمعنى التلميذ. وليس هناك أي أمل لهؤلاء الخُدام أن يصنعوا تلاميذ، وبالواقع هم لا يحاولون. فهم أنفسهم غير ملتزمين ليسوع المسيح بما فيه الكفاية، ليتحملوا الصعوبات التي لابد أن تواجه الخُدام المُتلمذون.

ومن هذه اللحظة، أنا أفترض أن الخُدام الذين سيستمرون بقراءة هذا الكتاب، هم بأنفسهم تلاميذ الرب يسوع المسيح، المُلتزمين بشكل كامل لإطاعة وصاياه وحفظها. وإن لستم كذلك، فلن تكون هناك أي معنى مرتجى لمتابعكم القراءة إلى أن تتعهدوا بالالتزامات الضرورية لأن تصبحوا تلاميذ حقيقيين. لا تنتظر للغدا! أُنحنِ الآن على ركبك وتب! والله سوف يُسامحكم بنعمته العظيمة، ويجعلكم خليفة جديدة في المسيح!

إعادة تعريف التلمذة

بالرغم من أن يسوع قد وضّح معرّفاً من هو التلميذ، إلا أنه قد راح البعض ليستبدل هذا التعريف بتعريفهم الشخصي. فعلى سبيل المثال، كلمة تلميذ تُمثل للبعض أنها تنطبق على كل شخص يتدعى المسيحية. وهكذا تجردت كلمة تلميذ في قواميسهم من كل معانيها الكتابية.

أخرون يعتبرون التلمذة خطوة ثانية اختيارية للمؤمنين الذاهبين إلى السماء. فيؤمنون أن الشخص المؤمن بالمسيح ذاهب للسماء حتى وإن لم يكن تلميذاً! بما أنه من الصعب أن نتجاهل مُتطلبات يسوع للتلمذة كما ذُكرت في الكتاب المُقدس، فجاءوا بهذا التعليم أن هناك مُستويان من المسيحيين – وهما: الأول، المؤمنون الذين يؤمنون بيسوع. والثاني، التلاميذ الذين يؤمنون بوصايا يسوع. وكما في هذه السطور، دائماً يُقال إن هناك الكثيرين من المؤمنين ولكن قلائل هم التلاميذ، وبأن كلاهما ذاهبون للسماء.

^٢ هذا التعريف مُستمد مما قرأناه بالفعل في متي ٢٨: ١٨-٢٠، يوحنا ٨: ٣١-٣٢، ١٥: ٨، لوقا ١٤: ٢٥-٣٣.

هذا المبدأ يُضعف وبشكل فعّال وصية يسوع على صُنع التلاميذ، وبالتالي تحديد صناعة التلاميذ. فإن كانت كلمة تلميذ تعني الالتزام بإنكار الذات لا بل الحياة الصعبة، وإن كانت التلمذة اختيارية، فعندها لن تختار الغالبية العظمى من الناس طريق التلمذة، خاصة وأنهم يعتقدون أن السماء سترحب بهم وإن لم يصيروا تلاميذاً.

لذلك هنا بعض الأسئلة المهمة التي لا بد لنا أن نسألها: هل يُعلمنا الكتاب المقدس أنه ممكن للمؤمن أن يكون مصمماً للسماء ولكنه ليس من الضرورة أن يكون تلميذاً ليسوع المسيح؟ هل التلمذة خطوة اختيارية للمؤمنين؟ هل هناك مستويان من المسيحيين، مؤمنين غير مُلتزمين وتلاميذ مُلتزمون؟

والإجابة على كل هذه الأسئلة هي لا. لا يوجد أي ذكر في العهد الجديد عن وجود مستويين من المسيحيين، المؤمنين والتلاميذ. فإن قرأ أي منكم سفر أعمال الرسل، ستلاحظون تكرار الإشارة إلى التلاميذ، ومن الواضح أنه ليس هناك أي إشارة إلى المؤمنين المُلتزمين على أنهم كانوا بمستوى أعلى من غيرهم. فكل من آمن بيسوع المسيح كان تلميذاً.^٣ وفي الحقيقة أنه "في أَنْطَاكِيَّة أُطْلِقَ عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ أَوَّلَ مَرَّةٍ اسْمُ الْمَسِيحِيِّينَ" (أعمال الرسل ١١: ٢٦).

من المدهش ملاحظة أن الكلمة اليونانية لتلميذ (ماتيس) موجودة ٢٦١ مرة في العهد الجديد، في حين أن الكلمة اليونانية تُرجمت مؤمن (بتوس) موجودة فقط تسعة مرات (كما تُرجمت كلمة مؤمن في النسخة الأمريكية الجديدة). وبالترجمة اليونانية لكلمة مسيحي (كريستيانو) موجودة ثلاثة مرات فقط. هذه الحقائق كافية لإقناع الباحث الأمين أن الكنيسة الأولى ممن آمنوا بيسوع المسيحي اعتبروا كلهم تلاميذه.

تعليق يسوع

لم يفكر يسوع إطلاقاً أن تلمذة المؤمن هو أمر ثانوي، أو أنها خطوة اختيارية. ومُتطلباته الثلاث للتلمذة كما نقرأ في لوقا ١٤ لم توجه للمؤمنين كدعوة لمستوى أعلى من الالتزام. لكن، كلماته التي تناولها للجموع وسط الجموع. فالتلمذة هي أول الخطوات في العلاقة مع الله. وأكثر من ذلك نتابع بالقراءة في يوحنا ٨: وَبَيْنَمَا يَسُوعُ يَتَكَلَّمُ بِهِذَا، آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ.^{٣٠}

فَقَالَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: «إِنْ نَبْتُكُمْ فِي كَلِمَتِي، كُنْتُمْ حَقّاً تَلَامِيذِي.^{٣١}

وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ.^{٣٢}

(يوحنا ٨: ٣٠-٣٢).

^٣ التلاميذ تم ذكرهم في أعمال الرسل ٦: ١، ٢، ٧، ٩: ١، ١٠، ١٩، ٢٥، ٢٦، ٣٦، ٣٨، ١١: ٢٦، ٢٩، ١٣: ٥٢، ١٤: ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٨، ١٥: ١٠، ١٦: ١، ١٨: ٢٣، ٢٧: ١٩، ١، ٩، ٣٠: ٢٠، ١، ٣٠: ٢١، ٤، ١٦. والمؤمنين المذكورين فقط في أعمال الرسل ٥: ١٤ و ١٦: ١، وعلى سبيل المثال، كُتِبَ لوقا "وبعد أنهم [بولس وبرنابا] وعظوا بالإنجيل في هذه المدينة وصنعوا تلاميذاً..." وهكذا صنع بولس وبرنابا تلاميذاً عن طرق وعظهم بالإنجيل، وأصبح الناس في الحال تلاميذاً عن تغيير دينهم، وليس لاحقاً في وقت اختياري.

لم يترك يسوع أي مجال للجدل أو لدحض الحقيقة التي لا يمكن إنكارها وهي أنه كان يتكلم الى المؤمنين الجُدد كونهم تلاميذاً له. فيسوع لم يقل لهؤلاء المؤمنين الجُدد "في يوم من ايام المُستقبل لربما تضعون نصب اعينكم الخطوة التالية، خطوة الالتزام، لتصبحوا تلاميذي." لا! فقد تحدث يسوع الى المؤمنين الجُدد على أساس أنه يتوقع منهم بالفعل أن يصيروا تلاميذاً، وكما أن كلمتا مؤمن وتلميذ هما مُترادفتان. ثم قال لهؤلاء المؤمنين الجُدد أن الطريقة الجيدة لإثبات أنهم كانوا تلاميذاً هي بأن يثبتوا بكلمته، التي ستؤدي لتحريرهم من خطاياهم (أنظر يوحنا ٨: ٣٤-٣٦).

يسوع كان على علم أن مجرد اعتراف الناس بالآيمان ذلك ليس بضمان أنهم آمنوا بالفعل. وعلم من الذين آمنوا حقاً أنه هو ابن الله وسيصرفون تبعاً لذلك أي انهم سيصبحون في الحال تلاميذاً له - ساعين لإطاعته وإرضائه. ومن طبعي أن هؤلاء المؤمنين /التلاميذ ماكثين بكلمته، صانعين منها منزلاً لهم. وبينما يكتشفون إرادته بتعلمهم وصاياه، سيتحررون تدريجياً من خطاياهم.

ولهذا تحدى يسوع في الحال أولئك المؤمنين الجُدد لأن يختبروا أنفسهم. وجملته "إن كنتم حقاً تلاميذي" يُشير إلى أنه كان يؤمن بوجود احتمالاً كونهم تلاميذاً مزيفون، وانما مجرد يدعون الايمان. بذلك كانوا يخدعون أنفسهم. فقط بحالة نجاحهم باختبار يسوع لهم كان ممكن أن يتأكدوا انهم تلاميذه بحق. (ويبدو من قراءة باقي الحوار في يوحنا ٨: ٣٧-٥٩ وتوضح بالتأكيد أن ليسوع كان سبب جيد ليشك في إخلاصهم).^٤

والآية المفتاح في متى ٢٨: ١٨-٢٠، نفسها تُبَدِّد نظرية وضع التلاميذ في طبقة أعلى للمؤمنين المُلتزمين. أوصى يسوع في مأموريته العظمى لتلاميذه أن يكونوا مُتعدين. وبالطبع، ما دُكر في سفر أعمال الرسل يُشير إلى أن الرُسل لم ينتظروا حتى يتخذ المؤمنون الجُدد "الخطوة الثانية للالتزام الجذري للمسيح" قبل أن يُعمدوهم. ولكن عمد الرُسل كل المؤمنين الجُدد تقريباً في الحال بعد اعتناقهم. هكذا نرى انهم آمنوا بأن كل المؤمنين كانوا حقاً تلاميذ.

وبهذا الشأن، هؤلاء الذين يعتقدون أن التلاميذ هم مؤمنين مُلتزمون بشكل متفرد هم ليسوا عاملين حسب لاهوتهم. إذ يعتمد مُعظمهم أي شخص يعلن عن إيمانه بيسوع، غير مُنتظرين منهم أن يرتقوا لمستوى الالتزام "بالتلمذة". ولكنهم إن كانوا حقاً يؤمنون بما يعظون به، فيجب عليهم أن يُعمدوا فقط مَنْ وصل الى مستوى التلمذة، وسيكونون قلائل من وسط صفوفهم.

ولعل هناك ضربة نهائية أخرى لهذا المذهب الشيطاني وستكون كافية. إن كان التلاميذ يختلفون عن المؤمنين، فلماذا إذا كتب يوحنا أن المحبة الأخوية هو العلامة المُعرفة للمؤمنين الحقيقيين المولدون الميلاد الثاني (أنظر يوحنا الأولى ٣: ١٤)، وقال يسوع أن المحبة للأخوة هي العلامة المُعرفة للتلاميذ الحقيقيين (أنظر يوحنا ١٣: ٣٥)؟

^٤ هذه الفقرة من الكتاب المُقدس أيضاً تُظهر الممارسات الخاطئة الحديثة في تأكيد المسيحيين الجُدد بخلاصهم. فلم يؤكد يسوع للمسيحيين الجُدد أنهم بالتأكيد قد خُصوا لأنهم صلوا صلاة قصيرة لقبوله أو إيمانهم الكلامي به. ولكن تحداهم أنهم إن كانوا بالفعل قد خُصوا. ويجب أن نتبع مثاله.

أساس هذه العقيدة الزائفة

وإن كانت فكرة ان المسيحيون ينقسمون الى نوعيتين، وهما المؤمنون والتلاميذ، غير موجودة في الكتاب المقدس، كيف يُدافع أصحاب هذه العقيدة عنها؟ والإجابة هي أن هذه العقيدة مُدعمة بتعاليم مغلوطة أخرى عن الخلاص. وتلك التعاليم تزعم أن المُتطلبات للتلمذة لا تتلاءم وحقيقة الخلاص بالنعمة. وبناءً على هذا المنطق، نصل لاستنتاج أن مُتطلبات التلمذة لا يمكن أن تكون مُتطلبات الخلاص. ولذلك فالتلمذة لا بد وأن تكون خطوة اختيارية لالتزام المؤمنين الذين خَلصوا بالنعمة الذهبيين للسماء.

العيب القاتل لهذه النظرية أن هناك الكثير من الآيات التي تتعارض معها. وما يمكن أن يكون أكثر وضوحاً من قول يسوع بختام عظته على الجبل، وبعد ان ردد على مسامع الجموع الكثير من الوصايا؟
لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، بَلْ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ (متي ٧: ٢١).

من الواضح أن يسوع قد اقترن الطاعة بالخلاص، هنا وفي آيات أخرى كثيرة. ولذلك كيف يمكن أن نوفق بين العديد من الآيات مثل هذه عبي الرغم من أن الكتاب المقدس يؤكد حقيقة أن الخلاص بالنعمة؟ هذا امر بسيط. فالله بنعمته العظيمة، عرض فرصة بالزمن لكل شخص أن يعترف، يؤمن، وأن يولد الميلاد الثاني. وبدون نعمة الله، لا أحد يمكن أن يخلص لأن الجميع قد أخطأ. ولا يمكن للخطاة أن يستحقوا الخلاص. ولذلك يحتاجون لنعمة الله لخلاص نفوسهم.

نعمة الله قد أظهرت بطرق عدة بما يتعلق وخلصنا. أظهرَ ذلك بموت يسوع على الصليب، دعوة الله لنا من خلال الإنجيل، اجتذابنا للمسيح، إدانته لخطايانا، ضمانه لنا فرصة التوبة، تجديده لنا وملأنا بروحه القدس، كسره لقوات الخطية على حياتنا، منحنا نعمة للعيش حياة القداسة، وتأديبه لنا عندما نُخطئ. وهكذا لم نكتسب أياً من هذه البركات باستحقاق. فقد خَلصنا بالنعمة من البداية الى النهاية.

وحسب الكتاب المقدس ليس الخلاص بالنعمة فقط، ولكن من خلال الإيمان: "فَإِنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مَخْلُصُونَ، بِالْإِيمَانِ" (أفسس ٢: ٨). فكلاهما ضروريان، ومن الواضح أنهما غير مترادفين. وإن خَلَصَ الناس، فكلا من النعمة والإيمان ضروريين. فالله يزود نعمته ونحن نستجيب بالإيمان على نعمته. فالإيمان الحقيقي، بالطبع سينتج طاعة لوصايا الله. كما كتب يعقوب في الإصحاح الثاني من رسالته أن الإيمان بدون أعمال ميت، غير مُفيد، وغير مُخلص (أنظر يعقوب ٢: ١٤-٢٦).^٥

والحقيقة هي أن نعمة الله لم تعطي رخصة لأحد أن يُخطئ. ولكن، نعمة الله تعطي الناس فرصة زمنية للتوبة والميلاد الثاني. فبعد الموت، لن تكون هناك أي فرصة للتوبة وللميلاد الثاني، وهكذا نعمة الله لن تعد مُتاحة. فنعمته المُخلصة لا بد وأن تكون زمنية.

^٥ وما هو أكثر من ذلك، وعلى عكس هؤلاء الذين خَلصوا بالإيمان حتى وإن كان بدون أعمال، يعقوب قال إننا لا يمكن أن نخلص بالإيمان وحده: فترى أن الشخص يُدان بأعماله، وليس بالإيمان وحده. "فالإيمان الحقيقي ليس وحده، ولكن دائماً مُصاحب بالأعمال.

امرأة خلصها يسوع بالنعمة من خلال الإيمان

إنّ الصورة المثالية للخلاص بالنعمة من خلال الإيمان، نراه جلياً في قصة يسوع ولقائه بالمرأة التي أمسكت في فعل الزنا. يسوع قال لها "وَأَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَيْكَ [فهذه هي النعمة لأنها تستحق الإدانة]. اذهبي وَلَا تَعُودِي تُخْطِئِينَ" (يوحنا ٨: ١١). في حين كانت تستحق الموت، سمح لها يسوع أن تذهب طليقة. سمح لها أن تذهب محذراً إياها ألا تُخطئ ثانية. وهذا بالضبط ما قاله يسوع لكل خاطئ في العالم - "أنا لا أدینك الآن. مع أنك تستحق الموت والإدانة للأبد في الجحيم، ولكن أنا أريك النعمة. ونعمتي هي زمنية للتوبة. توقف عن الخطية قبل أن ينتهي الزمن وتجد نفسك أمام كرسي الدينونة كمُذنب خاطئ."

دعونا نتخيل أن المرأة الزانية ثابت كما أرشدها يسوع. وإن فعلت ذلك، فقد خلّصت بالنعمة من خلال الإيمان. فقد خلّصت بالنعمة لأنها لم تخلّص دون نعمة الله، كونها خاطئة. فلم يمكنها أن تقول حقاً أنها ربحت خلاصها من خلال أعمالها. فقد خلّصت من خلال الإيمان لأنها آمنت بيسوع وهكذا آمنت بما قاله لها، مُحترمة تحذيراته، وعزفت عن خطيئتها قبل فوات الأوان. فكل شخص ذو إيمان حقيقي بيسوع سيتوب لأن يسوع قد حذر أنه إن لم يتب الناس، سيهلكون (أنظر لوقا ١٣: ٣). يسوع أيضاً أعلن رسمياً أن هؤلاء الذين فعلوا إرادة الأب هم من يدخلون السماء (متى ٧: ٢١). فإن كان أحد يؤمن بيسوع، فسوف يؤمن ويحترم تحذيراته.

ولكن دعونا نتخيل أن المرأة الزانية لم تتب عن خطيئتها. واستمرت في الخطية وبعد ذلك ماتت ووقفت أمام كرسي الدينونة. تخيلها قائلة ليسوع "يا يسوع، كم جيدة هي رؤيتك! أتذكر كيف أنك لم تُدينني من خطاياي عندما أحضرت أمامك على الأرض. بالتأكيد أنت كريم كما كنت. فلم تُدني، وبالتأكيد أنك لن تُدني الآن!"

ما هو رأيك؟ هل سيرحب بها يسوع في السماء؟ والإجابة واضحة. فقد حذر بولس "أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَنْ يَرِثُوا مَلَكُوتَ اللَّهِ؟ لَا تَضَلُّوا: فَإِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ لَنْ يَرِثَهُ الرُّنَاءُ وَلَا عَابِدُو الْأَصْنَامِ وَلَا الْفَاسِقُونَ وَلَا الْمُتَخَنُّتُونَ وَلَا مُضَاجِعُوا الذُّكُورِ. وَلَا السَّرَّاقُونَ وَلَا الطَّمَّاعُونَ وَلَا السَّكَبُورُونَ وَلَا الشَّتَّامُونَ وَلَا الْمُغْتَصِبُونَ." (كورنثوس الأولى ٦: ٩-١٠).

كل هذا لأقول إن مُتطلبات يسوع للتلمذة لا تختلف بشيء لا أكثر ولا أقل، من مطلب الإيمان الأصلي الحقيقي به، وهو ما يؤدي إلى الإيمان المُخلص. وكل من له الإيمان المُخلص فهو مُخلص بالنعمة من خلال الإيمان. وليس هناك أي أساس كتابي للدعاء، أن الخلاص بالنعمة يعني أن مُتطلبات يسوع للتلمذة لا تنسجم مع مُتطلباته للخلاص. فالتلمذة ليست خطوة اختيارية للمؤمنين الداهبين للسماء، ولكنها هي البرهان الساطع على الإيمان المُخلص الأصيل.^٦

^٦ ومن المفيد أيضاً أن نتذكر أن سبب تأكيد بولس أن الخلاص بالنعمة وليس بالأعمال لأنه باستمرار كان يُحارب المُبررين الحقيقيين في أيامه. بولس لم يُحاول أن يُصحح الناس الذين تعلموا أن القداسة هي أساس للسماء، لأنه هو نفسه آمن ودائماً ما أكد هذه الحقيقة. ولكنه كتب ليُصحح اليهود الذين لم يكن لديهم أي فكر عن نعمة الله في الخلاص، ولم يروا أي سبب لموت يسوع. والعديد لم يؤمنوا أنه يمكن للأمم أن يخلصوا أبداً لأنهم ليس لديهم أي فكرة أن نعمة الله تجعل الخلاص مُمكناً. والبعض يُعلم أن الختان، النسب الجسدي، أو الحفاظ على الشريعة (والتي لم يفعلوها على أي حال) يجني الشخص خلاصاً، وهكذا يُبطل نعمة الله والحاجة للمسيح قد تموت.

ومع ذلك، لأجل أن يكون ناجحاً في عيني الله، على الخادم أن يبدأ بداية صحيحة عملية لصنع التلاميذ بوعظه للإنجيل الصحيح، داعين الناس لإيمان الطاعة. أما عندما يُدعم الخدام تعاليم زائفة بأن التلمذة هي خطوة اختيارية لمؤمنين صُمموا للذهاب إلى السماء، فهم يعملون بتناقض لوصية المسيح لكي يصنعوا لهم تلاميذ يكرزون بنعمة وإنجيل زائفين. فقط تلاميذ المسيح الحقيقيون من لهم إيماناً مُخلصاً ذاهبين للسماء، كما وعد يسوع: "أَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، بَلْ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى ٧: ٢١).

الإنجيل الزائف الجديد

بسبب المفهوم الزائف لنعمة الله للخلاص، دائماً ما يتجرد الإنجيل الحديث من الجوانب الأساسية الكتابية التي تُعتبر مُعارضة مع رسالة النعمة. فالإنجيل الزائف لا ينتج عنه سوى مسيحيين زائفين، ولهذا نسبة كبيرة من المعتنقين الجدد لا يحضروا الكنيسة لأسابيع حتى وبعد أن "قبلوا المسيح". وزد على ذلك، حتى ممن يحضر الكنيسة بصورة دائمة لا يمكنك أن تميز الكثيرين منهم عن الغير مؤمنين، فلديهم ذات القيم ويمارسوا نفس الخطايا كجيرانهم المُحافظين. وذلك أنهم لا يؤمنون حقاً بالرب يسوع المسيح ولم يولدوا الميلاد الثاني.

والآن قد محيت إحدى العناصر الأساسية بهذا الإنجيل الحديث الا وهي الدعوة للتوبة. والكثيرون من الخدام يشعروا أنهم إذا قالوا للناس أن يتوقفوا عن الخطية (كما فعل يسوع مع المرأة التي أُمسكت في موقف الزنا)، سيكون ذلك كأنهم يخبروهم بأن الخلاص ليس بالنعمة، ولكن بالأعمال. ولكن هذا غير حقيقي، لأن يوحنا المعمدان، يسوع، بطرس، وبولس أعلنوا أن التوبة ضرورية تماماً للخلاص. وإن كان الوعظ بالتوبة بطريقة ما ينفي نعمة الله في الخلاص، فسيكون قد نفى كل من يوحنا المعمدان، يسوع، بطرس، وبولس نعمة الله في الخلاص. ولكنهم فهموا أن نعمة الله تعرض للناس فرصة زمنية للتوبة، وليست فرصة للاستمرار في الخطية.

فعلى سبيل المثال، حين أعلن يوحنا المعمدان لما أشار إليه لوقا "بالإنجيل"، كانت مركز رسالته التوبة (أنظر لوقا ٣: ١-١٨). واما الذين لا يتوبون سيذهبون إلى الجحيم (أنظر متى ٣: ١٠-١٢؛ لوقا ٣: ١٧). وقد وعظ يسوع عن التوبة منذ بداية خدمته (أنظر متى ٤: ١٧). وحذر الناس، إن لم يتوبوا سيهلكون (لوقا ١٣: ٣، ٥).

عندما أرسل يسوع تلاميذه الاثني عشر ليعظوا في المدن المختلفة، "فَانْطَلَقُوا يُبَشِّرُونَ دَاعِينَ إِلَى النَّوْبَةِ" (مرقس ٦: ١٢).

وبعد قيامته، طلب يسوع من تلاميذه الاثني عشر ان يأخذوا رسالة التوبة الى العالم كله، لأنها التوبة هي المُفتاح الذي به يفتح باب الغفران:

وَقَالَ لَهُمْ: "هَكَذَا قَدْ كُتِبَ، وَهَكَذَا كَانَ لَأَبَدٍ أَنْ يَتَّأَلَّمَ الْمَسِيحُ وَيَقُومَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ،^٦

وَأَنْ يُبَشِّرَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَغُفْرَانِ الْخَطَايَا فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ انْطِلَاقاً مِنْ أُورُشَلِيمَ".^٧
(لوقا ٢٤: ٤٦-٤٧).

فأطاع الرُّسل إرشادات يسوع. وعندما وعظ بُطرس في يوم الخميس، أقنع مُستمعيه، بعد أن أدركوا حقيقة من كان ذلك الرجل الذي صلبوه مؤخراً، وسألوا بُطرس ما عساهم أن يفعلوا. ورده كان أن عليهم أولاً أن يتوبوا (أنظر أعمال الرسل ٢: ٣٨).

وثاني عظة عامة لبُطرس في رواق سليمان كانت بمحورها تحتوي على رسالة مُطابقة. لا يمكن محي الخطايا دون توبة:^٧

فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِيَمْحُوَ اللَّهُ خَطَايَاكُمْ (أعمال الرسل ٣: ١٩).

فعندما شهد بولس أما الملك أغريباس، أعلن أنجيله الذي كان دائماً يحتوي على رسالة التوبة:

وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ لَمْ أَعَانِدِ الرُّؤْيَا السَّمَاوِيَّةَ، أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيْبَاسُ.^{١٩}

فَبَشَّرْتُ أَهْلَ دِمَشْقَ أَوَّلًا، ثُمَّ أَهْلَ أُورُشَلِيمَ وَمِنْطَقَةَ الْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا، ثُمَّ الْأَجَانِبَ. فَدَعَوْتُ الْجَمِيعَ إِلَى التَّوْبَةِ^{٢٠} وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، وَالْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ تَلِيْقُ بِالتَّوْبَةِ.

(أعمال الرسل ٢٦: ١٩-٢٠).

وحذر بولس مُستمعيه في أثينا، أن كل شخص لابد أنه سيقف أمام المسيح للدينونة، ومن لم يتب من الناس فلن يكون مُستعداً لذلك اليوم العظيم:

فَاللَّهُ الْآنَ يَدْعُو جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ تَائِبِينَ، وَقَدْ غَضَّ النَّظَرَ عَنْ أَرْمَنَةِ الْجَهْلِ الَّتِي مَرَّتْ،

لَأَنَّهُ حَدَّدَ يَوْمًا يَدِينُ فِيهِ الْعَالَمَ بِالْعَدْلِ عَلَى يَدِ رَجُلٍ اخْتَارَهُ لِذَلِكَ. وَقَدْ قَدَّمَ لِلْجَمِيعِ بُرْهَانًا، إِذْ أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ.

(أعمال الرسل ١٧: ٣٠-٣١)

وفي ختامه لرسالته لأهل أفسس، أورد بولس التوبة مع الإيمان كجزء أساسي من رسالته:

وَمَا قَصَّرْتُ فِي شَيْءٍ..... فَكُنْتُ أَحْتُ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ عَلَى أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَيُؤْمِنُوا بِرَبِّنَا يَسُوعَ.
(أعمال الرسل ٢٠: ٢٠، ٢١).

^٧ وبالمثل، عندما أعلن الله لبُطرس أنه يمكن خلاص الأمميين ببساطة عن طريق إيمانهم بيسوع، أعلن بُطرس لببت كورنيليوس "تَبَيَّنَ لِي فِعْلًا أَنَّ اللَّهَ لَا يُفْضِلُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ، بَلْ يَقْبَلُ مَنْ يَتَّقِيهِ وَيَعْمَلُ الصَّلَاحَ مَهْمَا كَانَتْ جَنَسِيَّتُهُ" (أعمال الرسل ١٠: ٣٤-٣٥). وأعلن بُطرس في أعمال الرسل ٥: ٣٢ أن الله أعطي الروح القدس لهؤلاء الذين يطيعوه. وكل المسيحيين الحقيقيين مملوئين بالروح القدس (أنظر رومية ٨: ٩؛ غلاطية ٤: ٦).

هذه القائمة من الإثباتات الكتابية يجب أن تكون كافية لإقناع المرء أنه إن لم يكن إعلان التوبة أمراً ضرورياً، لما وُعط بالإنجيل الحقيقي. العلاقة مع الله تبدأ بالتوبة. وليس هناك أي غفران للخطايا بدونها.

إعادة تعريف التوبة

حتى وعلى ضوء آيات كتابية هذا عددها، تُثبت أن الخلاص يعتمد على التوبة، إلا أنه ما زال بعض الخُدام يحاولون إيجاد طريقة ما لإلغاء ضرورتها، ذلك بتغيير معناها الواضح لجعلها تتناسب مع مفهومهم الخاطئ لنعمة الله. فبتعريفهم الجديد، التوبة ليست أكثر من تغيير في العقل عمّن هو يسوع، ولم يعد هذا التعريف بالضرورة ليؤثر على سلوك الإنسان.

وهكذا، ماذا كان توقع واعطي العهد الجديد عندما دعوا الناس للتوبة؟ هل كانوا يدعون الناس ليُغيروا فقط ما في عقولهم عن هو يسوع، أو يدعون الناس لتغيير سلوكهم؟

أما بولس فقد آمن أن التوبة الحقيقية تتطلب تغيير في السلوك. فنحن بالطبع نقرأ شهادته الثابتة لعقود من الخدمة، كما أعلن أمام الملك أغريباس،

وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ لَمْ أُعَانِدِ الرُّؤْيَا السَّمَاوِيَّةَ، أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيْبَاسُ. ١٩

فَبَشَّرْتُ أَهْلَ دِمَشْقَ أَوَّلًا، ثُمَّ أَهْلَ أُورُشَلِيمَ وَمِنْطَقَةَ الْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا، ثُمَّ الْأَجَانِبَ. فَدَعَوْتُ الْجَمِيعَ إِلَى التَّوْبَةِ ٢٠
وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، وَالْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ تَلِيْقُ بِالتَّوْبَةِ.

(أعمال الرسل ٢٦: ١٩-٢٠).

يوحنا المعمدان أيضاً كان على إيمان أن التوبة لهي أكثر من مجرد تغيير ذهني عن حقائق لاهوتية مُعينة. فعندما سألته مُستمعيه عندها استجابوا لدعوته لهم بالتوبة، "ماذا ينبغي علينا فعله؟" عندها ذكر لهم الحاجة بإحداث تغييرات مُعينة في السلوك (أنظر لوقا ٣: ٣، ١٠-١٤). فسخر من الفريسيين والصدوقيين لأنهم يعبرون بإيماءات من التوبة فقط، وحذرهم من نار الجحيم إن لم يتوبوا حقاً:

وَلَمَّا رَأَى يُوحَنَّا كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَيْهِ لِيَتَعَمَّدُوا، قَالَ لَهُمْ: «يَا أَوْلَادَ الْأَفَاعِي، مَنْ ٧
أَنْذَرَكُمْ لِنَهْرُبُوا مِنَ الْعُصْبِ الْآتِي؟

فَأْتِمُرُوا ثَمَرًا يَلِيْقُ بِالتَّوْبَةِ. ٨

وَلَا تَحْلُلُوا أَنْفُسَكُمْ قَائِلِينَ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا! فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُطْلَعَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ ٩
أَوْلَادًا لِإِبْرَاهِيمَ.

وَمَا إِنَّ الْفَأْسَ قَدْ أُقْبِيتَ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُطْرَحُ فِي النَّارِ. ١٠
(متي ٣: ٧-١٠).

وكما يوحنا، كذلك وعظ يسوع أيضاً الرسالة ذاتها عن التوبة (أنظر متي ٣: ٢؛ ٤: ١٧). فذكر ذات مرة أن أهل نينوي قد تابوا بسبب وعظ يونان لهم (أنظر لوقا ١١: ٣٢). وكل من قرأ سفر يونان يعرف أن أهل نينوي لم يغيروا عقولهم وحسب، بل غيروا سلوكهم وابتعدوا عن الخطية. ودعا يسوع ذلك توبة.

التوبة هي تغيير مُتعمد في السلوك كرد فعل للإيمان الأصيل النابع من القلب. عندما يعظ الخادم بالإنجيل دون ذكر الحاجة للتغيير الحقيقي في السلوك للتوبة الأصلية، فهو بالفعل يعمل بتناقض لرغبة المسيح نحو تلاميذه. وبالإضافة لذلك، فإنه يخدع مُستمعيه بجعلهم يؤمنوا بإمكانيتهم للخلاص بدون توبة، وبذلك يؤكد لعنتهم المحتملة إن آمنوا به. فهو يعمل ضد الله ولصالح للشيطان، إن أدركوا ذلك أم لم يُدركوا.

فإن اراد الخادم صنع تلاميذاً حسب ما أوصى يسوع، فلا بد أن يبدأ العمل صحيحاً. وحين لا يعظ بالإنجيل الحقيقي الذي يدعوا الناس للتوبة والإيمان المُطيع، فهو مُتجه للفشل، وإن كان يبدو ناجحاً في أعين الناس. فلربما لديه رعية كبيرة، ولكنه يبنينا بالخشب، والتبن والقش، وعندما يمتحن عمله بالنار في المُستقبل سيُحرق وستبان قيمة عمله. (أنظر كورنثوس الأولى ٣: ١٢-١٥).

يسوع يدعو إلى الالتزام

لم يدع يسوع غير المُخلصين لأن يبتعدوا عن الخطية وحسب، انما دعاهم للالتزام بأنفسهم لان يتبعوه ويطيعوه في الحال. فلم يعرض عليهم الخلاص بأدنى الشروط، كما يحدث في أيامنا. ولم يدع الناس "ليقبلوه" واعداء إياهم بالغفران، وبعدها اقترح عليهم إن أرادوا الالتزام لإطاعته. لا! الالتزام من كل القلب ما قد أمرهم يسوع به، ومنذ الخطوة الأولى.

للأسف، إن دعوة يسوع للالتزام لهي مكلفة، الامر المتجاهل لمن يتدعى المسيحية. أو إن كانوا على معرفة، لفسروها كأنها دعوة لعلاقة أعمق، على افتراض انها ليست موجهة لغير المُخلصين، بل لمن قبلوا بالفعل نعمة الله المُخلصة. ولكن الكثر من "المؤمنين" الذين يدعون أن دعوة يسوع بالالتزام المُكلف انما موجهة لهم وليس لغير المُخلصين، فهم بأنفسهم لا يلتفتوا لدعوته عندما يُفسروها على ذلك النحو. وفي فكرهم، لديهم الاختيار ألا يستجيبوا للطاعة، ويختارون العصيان.

دعونا نأخذ بعين الاعتبار إحدى دعوات يسوع للخلاص، والتي دائماً ما يتم تفسيرها كدعوة للسير العميق مع الله، على افتراض انها موجهة لمن قد خلصوا بالفعل:

ثُمَّ دَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَسِيرَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِزْ نَفْسَهُ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ، وَيَتَّبِعْنِي. ٣٤
فَأَيُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ، يَخْسِرْهَا. وَلَكِنَّ مَنْ يَخْسِرْ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ، فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. ٣٥
فَمَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ ٣٦

أَوْ مَاذَا يُقَدِّمُ الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟^{٣٧}

فَإِنَّ أَيَّ مَنْ يَسْتَجِيبُ بِي وَبِكَلَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِيءِ، بِهِ يَسْتَجِيبُ ابْنُ الْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَعُودُ فِي^{٣٨} مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَدَّسِينَ.

(مرقس ٨: ٣٤-٣٨)

هل هذه دعوة للخلاص موجهة لغير المُخلصين أم هي دعوة موجهة للمؤمنين لأجل علاقة أكثر التزاماً؟ وكما قرأنا بأمانة فالإجابة واضحة.

أولاً، نلاحظ أن الحشد الذي تحدث إليه يسوع كان مختلطاً "من جموع ومن تلاميذ" (آية رقم ٣٤). ومن الواضح بعد ذلك أن الجموع لم تقتصر على تلاميذه. فقد كانوا في الحقيقة مدعويين لسماع أقواله. أراد يسوع من كل شخص وبضمنهم أتباعه الساعين إليه، ليفهموا الحقيقة التي كان على وشك أن يعلمها. لاحظ أنه بعد ذلك ابتدأ قوله بـ "فأي من" (الآية ٣٤). وكلماته تنطبق على كل شخص وأي شخص.

وبينما نتابع القراءة، سيتضح لنا لمن توجه يسوع بخطابه. وبالتحديد، كانت كلماته مُتوجهة لكل شخص كان يرغب بأن- (١) "يتبعه"، (٢) "يحفظ حياته"، (٣) لا "يفقد روحه"، و (٤) أن يكون احد هؤلاء الذين لن يستحي منهم عندما "يأتي بمجد أبيه مع الملائكة". كل العبارات الأربعة هذه تُشير الى أن يسوع كان يصف الناس الراغبين بالخلاص. هل تعتقد أن هناك ثمت شخصاً ذاهب الى السماء ولا يُريد أن "يتبع" يسوع و"يحفظ حياته"؟ هل لنا ان نعتقد أن المؤمنين الحقيقيين "يفقدوا أرواحهم"، وهم خجولون من يسوع وكلماته، وهم من سيستحى يسوع منهم عند عودته؟ فمن الواضح أن يسوع كان يتحدث عن منال الخلاص الابدي في هذه الفقرة من الكتاب المُقدس.

لاحظ أن كل من الجُمْل الاربع الأخيرة في هذه الفقرة المتكونة من خمس جمل تبدأ بحرف "الفاء الاستئنافية". وهكذا كل جملة هي امتداد للجملة السابقة لها وتساعد على شرحها. ولا ينبغي تفسير أي جملة في هذه الفقرة بدون الاخذ بالاعتبار كيف توضحها الجمل الأخرى، لذلك لنضع هذا بفكرنا بينما نتمعن بكلمات يسوع جملة تلو الأخرى.

الجملة الاولى

إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَسِيرَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِزْ نَفْسَهُ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ، وَيَتَّبِعْنِي (مرقس ٨: ٣٤).

مرة أخرى، لاحظ أن كلمات يسوع كانت موجهة لأي شخص يُريد أن يتبعه، وأي شخص يُريد أن يصبح تابعاً له. وتلك هي العلاقة الوحيد التي يعرضها يسوع على أتباعه.

فالكثيرون من يرغبون بصدافته بدون أن يتبعوه، ولكن هذا الاختيار غير موجود. يسوع لا يأخذ بالاعتبار أي من أصدقائه إلا إذا أطاعوه. فقد قال مرةً "وَأَنْتُمْ أَحَبَّائِي إِنْ عَمَلْتُمْ بِمَا أَوْصِيكُمْ بِهِ" (يوحنا ١٥: ١٤).

وكم من الناس يودون لو كانوا أخوته بدون أن يكونوا أتباعاً له، ولكن، أكرر مرة أخرى هذا الاختيار غير موجود بأفق يسوع. فهو لا يعتبر أي شخص أخاً له إلا إذا أطاعه: "لأنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي!" (متي ١٢: ٥٠).

وكم يتمنى الانضمام ليسوع في السماء دون أن يكونون أتباعه على الأرض، لكن يسوع وضع عدم إمكانية هذا الأمر. فقط الذين يطيعوه هم الذين يذهبون الى السماء: "لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، بَلْ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متي ٧: ٢١).

ففي هذه الجملة، أخبر يسوع تلاميذه بأن الذين يُريدون أن يتبعوه، لا يمكنهم فعل ذلك إلا إذا أنكروا ذاتهم. فلا بد وأن تكون لهم الإرادة أن يضعوا رغباتهم جانباً، مخضعينها لإرادته. *فإنكار الذات والخضوع هو جوهر إتباع يسوع*. وهذا ما يعنيه "أحمل صليبك وأتبعني".

الجملة الثانية

الجملة الثانية تجعل معنى الجملة الأولى بأكثر وضوحاً:

فَأَيُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ، يَخْسِرُهَا. وَلَكِنَّ مَنْ يَخْسِرُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ، فَهُوَ يُخَلِّصُهَا (مرقس ٨: ٣٥).

ولمرة أخرى لاحظ أن هذه الجملة تبدأ بـ "ف"، رابطة إياها بالجملة الأولى، مُضيفاً توضيحاً. هنا يسوع يُفرق ما بين نوعين من الناس، وهما نفس النوعية من الناس الذي ينطبق عليهما الكلام في الجملة الأولى – الاول مَنْ ينكر ذاته ويحمل صليبه ليتبعه والثاني الذي لا يفعل ذلك. وهما الآن على نقيض، فهناك مَنْ خسر حياته من أجل المسيح والإنجيل والثاني لا يفعل ذلك. فإن نظرنا على العلاقة بين الاثنين، فلا بد وأن نستنتج أن الشخص في العبارة الأولى الذي لم ينكر ذاته الذي يتطابق مع الشخص المذكور في الجملة الثانية الذي يتمنى أن يخلص حياته بل خسرها. والشخص في الجملة الأولى الذي يُريد أن ينكر ذاته يتطابق مع الشخص في الجملة الثانية الذي يخسر حياته ولكن يخلصها.

لم يتحدث يسوع عن خسارة الشخص لحياته الجسدية أو خلاصها. ولاحقاً بالجمال التالية في هذه الفقرة تكشف أن بفكر يسوع كانت الخسائر ومكاسب الأبدية. وفي يوحنا ١٢: ٢٥ يعبر يسوع عن هذا بقوله "مَنْ يَتَمَسَّكُ بِحَيَاتِهِ، يَخْسِرُهَا. وَمَنْ تَبَذَّهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ يُوقِرُهَا لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ".

فالشخص الذي لم ينكر ذاته في الجملة الأولى كان هو نفسه الشخص في الجملة الثانية الذي تمنى أن يخلص حياته. ولذلك يمكن أن نستنتج أن "خلاص حياة المرء" تعني "خلاص أجندة المرء الشخصية". هذا يصبح أكثر وضوحاً عندما نأخذ بالاعتبار نقيض الشخص الذي "يخسر حياته من أجل المسيح والإنجيل". وهو الشخص الذي أنكر ذاته، وحمل صليبه وتخلّى عن أجندته الشخصية، والآن يعيش لغرض أجندة يسوع البعيدة وينشر الإنجيل سيجد نفسه سعيداً في السماء. فهو الشخص الذي "خلص حياته". بينما الشخص الذي يسعى لإرضاء نفسه عوضاً عن إرضاء المسيح سيجد نفسه حزيناً في الجحيم، وهناك سيخسر الحرية لإتباعه أجندته الخاصة.

الجملة الثالثة والرابعة

الآن وصلنا الى الجملة الثالثة والرابعة:

فَمَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُقَدِّمُ الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ (مرقس ٨: ٣٦-٣٧).

هنا نلاحظ التركيز على الشخص الذي لا ينكر ذاته. فهو مَنْ يتمني أن يُخلص حياته ولكن بالنهاية هو يخسرهما. الآن يتحدث عنه كشخص الذي يمتلك كل ما يعرضه العالم عليه لكن في نهاية المطاف يهدر روحه. فضح يسوع درجة حماقة ذلك الشخص عن طريق مُقارنته لقيمة العالم بأسره مقابل نفس انسان واحد. وبالطبع لا مكان هنا لمقارنة. فالإنسان وإن أمكنه أن يحصل جداً على كل ما يُقدمه العالم له، وإن كانت النتيجة النهائية لحياته هي أن يقضي الأبدية في الجحيم، فقد صنع الخطأ الأخطر.

فمن هاتين الجملتين الثالثة والرابعة حصلنا على السبب الذي يحول دون إنكار المرء لذاته، وما الذي يجتذب الناس لدرجة أنهم يرفضون إتباع المسيح. وهي تتلخص برغبتهم للإشباع الذاتي عن طريق كل ما يعرضه العالم. مُحركةً بحُب النفس، فهؤلاء الذين رفضوا أن يتبعوا المسيح مقابل المُتعة الشهوانية الخاطئة، في حين يُظهر أتباع المسيح الحقيقيين حُباً وطاعةً له. هؤلاء الذين يُحاولون أن يجنوا كل ما يعرضه العالم يسعوا للثراء، القوة، الهيبة، بينما يسعى أتباع يسوع لملكوته وبره. واي ثراء، وقوة، وهيبة تعطى لهم سيعتبرونها وديعة من الله تُستخدم لمجده بلا أنانية.

الجملة الخامسة

وأخيراً، وصلنا في دراستنا لهذه الفقرة الى الجملة الخامسة. فنلاحظ مرة أخرى كيف تم ربطها بالآخرين من البداية بحرف "ف":

فَإِنَّ أَيَّ مَنْ يَسْتَحِجِي بِي وَبِكَلَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، بِهِ يَسْتَحِجِي ابْنُ الْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَعُودُ فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَدَّسِينَ. (مرقس ٨: ٣٨).

وهنا مرة أخرى نرى الشخص الذي لا ينكر ذاته، ولكنه يتمنى أن يتبع أجندته الشخصية، ليسعي لما يُقدمه العالم، الذي بذلك قد خسر حياته وهدر روحه. الآن يتسم هذا الشخص بخجله من المسيح وكلماته، فخجله بالطبع ينبع من عدم إيمانه. إن كان يؤمن حقاً أن يسوع هو ابن الله، فبالأكيد لن يكون خجولاً منه ومن كلماته. ولكنه فرد من "أمة زانية وخاطئة"، وسيخجل منه يسوع عند عودته. فمن الواضح أن يسوع لم يكن هنا ليصف الشخص المُخلص.

ما هي الخلاصة؟ لا يمكن أن تؤخذ الفقرة بكاملها باعتبار صحيح لتكون دعوة لحياة أكثر ملتزمة موجهة لهؤلاء الذين ذاهبون في طريقهم للسماء. فمن الواضح أن ذلك هو إرشاد لطريق الخلاص بمعنى مقارنة ما

بين الذين حقاً خلّصوا وبين غير المُخلصين من الناس. أمّا المخلصون فهم يؤمنون بالرب يسوع المسيح وينكرون ذواتهم من أجله، في حين أنّ الغير مُخلصين لا يُظهرون الإيمان المُطيع.

دعوة أخرى للالتزام

هناك الكثير ما يمكننا أخذه بعين الاعتبار، ولكن دعونا نُلقي نظرة على دعوة أخرى من الرب يسوع للالتزام، والتي هي لا تفترق بشيء عن الدعوة للخلاص:

تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالرَّازِحِينَ تَحْتَ الْأَحْمَالِ الثَّقِيلَةِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. ٢٨

اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ، وَتَتَلَمَّذُوا عَلَيَّ يَدَيَّ، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا الرَّاحَةَ لِنُفُوسِكُمْ. ٢٩

فَإِنَّ نِيرِي هَيِّنٌ، وَحِمْلِي خَفِيفٌ! ٣٠

(متي ١١: ٢٨-٣٠).

دائماً ما يستخدم المُبشرين هذه الفقرة من الكتاب المُقدس في دعواتهم التبشيرية، وهكذا فإن هذه الكلمات ومن الواضح أنها دعوة للخلاص. هنا يعرض يسوع الراحة لهؤلاء "الرازين وثقيلي الأحمال". فهو لم يعرض راحة جسدية للمتعبين جسدياً، ولكن راحة لأرواحهم، كما قال. فالناس غير المُخلصين مثقلون بذنوبهم، ومخاوفهم وخطاياهم، فحين يُرهقوا مُتعبين على قدر كبير، عندها يصبحون مُرشحين جيدين للخلاص.

فإن أراد هؤلاء الناس الراحة التي يعرضها عليهم يسوع، عندها لابد وأن يقوموا بأمرين طبقاً لنداء يسوع. أولاً، عليهم أن يأتوا إليه، وثانياً عليهم أن يأخذوا نيره.

أما معلمي النعمة الزانقين فدائماً ما يغيروا المعنى الواضح لعبارة "حمل نير يسوع". فالبعض في الحقيقة يدعى أن يسوع لابد وأنه كان يتحدث عن نير موضوعاً حول عنقه، ولهذا السبب دعاه "نيري". وكأن يسوع كان يتحدث عن نير مضاعف كما يقولون، بحيث أن جزئه الأول حول عنقه والآخر ببساطة فارغ، في انتظار من يحمله على عنقه. وعلينا أن نفهم أن يسوع وعد بالقيام بالدفع كله للنير، إذ أنه قال نيره سهل وحمله خفيف. وهكذا فوظيفتنا الوحيدة طبقاً لهؤلاء المُعلمين، أن نكون على يقين بأننا تحت نير يسوع بالإيمان، نسمح له أن يعمل كل العمل من أجل خلاصنا، بينما نستمتع نحن بالمنافع المعروفة من خلال نعمته!

لا، عندما قال يسوع أن على الناس المُتعبين أن يحملوا نيره، فإنه بذلك كان يعنى ضرورة أن يخضعوا له، جاعليه سيداً عليهم، ليسمحوا له أن يكون المباشر لحياتهم. ولهذا قال يسوع لابد أن نحمل نيره وبعدها نتعلم منه. فالغير المُخلص من الناس يشبه الثور البري، الذاهب في طريقه ويسلك في حياته كما يهوى. لكن عندما نحمل نير يسوع، فبذلك نكون قد أعطيناها سلطة التَّحْكُم على حياتنا. والسبب أن نير يسوع سهل وحمله هين لأنه يقوينا بروحه الساكنة فينا لُطِيعه.

ولذلك نحن نرى أن يسوع يدعو الناس للخلاص، وفي هذه الحالة ترمز للراحة للمتعبين، بدعوة الناس للخضوع له وليجعلوه رباً.

الخلاصة

كل ما تناولته في هذا الفصل لأقول لك، أن الخادم الحقيقي الجيد هو الذي يُطيع وصية يسوع لصنع تلاميذ، والذي يعلم أن التوبة، الالتزام، والتلمذة ليست هي خياراً للمؤمنين الداهيين للسماء. لا، بل أنها (التوبة، الالتزام، والتلمذة) التعبير الحقيقي الوحيد للإيمان المُخلص. ولذلك، الخادم الناجح يعظ بالإنجيل لغير المُخلصين. فهو يدعو غير المُخلصين ليتوبوا ويتبعوا يسوع، ولا يؤكد ضمان خلاص الغير المُلتزمين من الناس.

الفصل الثالث

الاستمرار على النحو الصحيح

Continuing Properly

لطوال سنوات عديدة مضت، كنت أتبع بجهلي ممارسات كانت تعمل بتناقض مع الهدف الذي أراده الله لي أن أسعى نحوه، وهو صُنع التلاميذ. لكن بدأ الروح القدس بفتح عيني على أخطائي تدريجياً وبلطفة. والدرس الذي تعلمته من ذلك: أن أضع علامة سؤال كبيرة تحت مجهر كلمة الله على كل شيء تعلمته وآمنت به في الماضي. فتقاليدينا غالباً وأكثر من أي شيء آخر تُعَمِّينا عن حقيقة ما قاله الله. والأسوأ من ذلك، أننا نفتخر بتقاليدينا، وعلى أغلب الضن أننا نسلك وسط نُخبة لها فهماً للحقيقة يفوق عن دونها من المسيحيين الآخرين. وكما قال أحد المعلمين ساخرًا: "هناك ٣٢٠٠٠ طائفة في العالم اليوم. ألسنت محظوظاً أنك عضواً في الواحدة والوحيدة الحقّة؟"

الله يُقاومنا كنتيجة لكبريائنا، لأنه يُقاوم المُتَكَبِّرِينَ. وإن أردنا التقدم لنكون جاهزين للوقوف أمام يسوع، فلا بد وأن نواضع أنفسنا. والله يعطي نعمة للمتواضعين.

الأخذ بالاعتبار دور القسيس

يجب ان يكون هدف الخادم لصنع التلاميذ هو الحور الذي يدور حوله كل شيء يقوم به في خدمته. وأن يتساءل بنفسه "الى أي مدى كل ما أفعله يُساهم في صُنع تلاميذ يطيعون كل وصايا المسيح؟" فهذا السؤال الاختباري البسيط، إن سؤل بأمانة، سيُزيل الكثير مما يُعمل تحت ظل راية النشاط المسيحي.

دعونا نأخذ بالاعتبار خدمة القسيس أو الشيخ أو الأسقف،^٨ الشخص الذي له خدمة مُكلف بها على كنيسة محلية مُعينة. وإن كان ذلك الشخص يريد أن يصنع تلاميذ ليطيعوا كل وصايا يسوع، فما ينبغي أن تكون مسؤولياته الأساسية؟ للتو بشكل طبيعي سيخطر على البال التدريس. يسوع قال إن التلاميذ يُصنعون عن طريق التعليم (متى ٢٨: ١٩-٢٠). هناك مُطلب للشخص الذي يُريد أن يكون شيخاً، أو قسيساً، أو مُشرفاً وهو أن يكون "قادرًا على التعليم" (تيموثاوس الأولى ٣: ٢). هؤلاء الَّذِينَ يَبْذُلُونَ الْجَهْدَ فِي نَشْرِ الْكَلِمَةِ وَفِي التَّعْلِيمِ فَلْيُعْتَبَرُوا أَهْلًا لِلْإِكْرَامِ الْمُضَاعَفِ (تيموثاوس الأولى ٥: ١٧).

^٨ يبدو من الواضح أن القس (الاسم اليوناني هو بويميان، يعني راعي) متساوي للشيخ (الاسم اليوناني هو بريسبوتيروس)، وأيضاً متساوي للمُشرف (الاسم اليوناني هو إبيسكوبوس، وتُترجم أسقف في ترجمة الملك جيمس). فبولس على سبيل المثال، أرشد شيوخ أفسس (بريسبوتيروس)، الذين قالوا إن الروح القدس صنع مُشرفين (إبيسكوبوس)، لرعاية (الفعل اليوناني بويميان) شعب الله (أنظر أعمال الرسل ٢٠: ٢٨). وهو أيضاً أستخدم تعبير الشيوخ (بريسبوتيروس) والأسقفين (إبيسكوبوس) مترادفين في تيطس ١: ٥-٧، وبطرس أيضاً نصح الشيوخ (بريسبوتيروس) أن يرعوا (بويميان) الرعية (أنظر بطرس الأولى ٥: ٢-١). والفكرة هنا أن الأسقف (كما تُرجمت إبيسكوبوس) هي مكانة أعلى من القسيس أو الشيخ وهو الشخص الذي يُشرف على كنائس كثيرة فهذا اختراع بشري.

وبناءً على ذلك، يجب على القس أن يُقيم كل عظة بعد ان يسأل نفسه هذا السؤال، "كيف تُساعد هذه العظة في تحقيق مهمة صُنع تلاميذ؟"

هل تتحقق المسؤولية التعليمية للقس فقط بعظات أيام الأحاد ووسط الأسبوع؟ فإن كان يعتقد ذلك، فهو يتغاضى عن حقيقة أن الكتاب المقدس يُشير إلى مسؤولية التعليم وتحقيقها أساساً بالحياة التي يعيشها والقُدوة التي يُمثلها. مثال التعليم لحياته اليومية هي ببساطة تُستكمل في خدمته التعليمية العامة. ولذلك فإن المُتطلبات للشيوخ أو القسوس أو الأسقفين بها الكثير ما يتعلق بالشخصية وأسلوب الحياة أكثر من مهارات التواصل الشفهية. فمن خمسة عشر مطلب التي تم سردها للمُشرفين في تيموثاوس الأولى ٣: ١-٧، أربعة عشر منها تتعلق بالشخصية وواحدة فقط تتعلق بالقدرة على التعليم. ومن الثمانية عشر المطلب الذين تم سردها في تيطس ١: ٥-٩، سبعة عشر منها تتعلق بالشخصية وواحدة فقط تتعلق بالقدرة على التعليم. فذكرنا بولس أولاً في رسالة تيموثاوس "وَأَيْنَمَا كُنْ قُدُوةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فِي الْكَلَامِ وَالسُّلُوكِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّهَارَةِ". وبعد ذلك قال "إِلَى حِينٍ وَصُولِي، أَنْصَرَفْ إِلَى تِلَاوَةِ الْكِتَابِ، وَإِلَى الْوَعْظِ، وَإِلَى التَّعْلِيمِ" (تيموثاوس الأولى ٤: ١٣). وهكذا مثال شخصية تيموثاوس الذي ذُكر يُتقدم خدمته التعليمية العامة، وهذا يبيّن الأهمية العظمى للقدوة الشخصية.

وكتب بطرس ما شابه ذلك:

وَهَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، بِصِفَتِي شَيْخاً رَفِيقاً لَهُمْ، وَشَاهِداً لِأَلَامِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكاً فِي الْمَجْدِ الَّذِي سَيَجْلَى:^٣

ارْغَوْا قَطِيعَ اللَّهِ الَّذِي بَيْنَكُمْ، كَحِرَاسٍ لَهُ، لَا بِدَافِعٍ الْوَاجِبِ، بَلْ بِدَافِعِ النَّطُّوعِ، كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ، وَلَا رَغْبَةً فِي الرِّبْحِ الدُّنْيَاءِ، بَلْ رَغْبَةً فِي الْخِدْمَةِ بِنَشَاطٍ.

لَا تَنْسَلْطُوا عَلَى الْقَطِيعِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ أَمَانَةً بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، بَلْ كُونُوا قُدُوةً لَهُ.^٣

(بطرس الأولى ٥: ١-٣).

من يُلهمنا لإنكار ذواتنا وإطاعة المسيح؟ هل الذين نُعجب بعظاتهم أم الذين نُعجب بحياتهم؟ القسوس غير المُلتزمين واللينين لا يُلهمون أي شخص ليحمل صليبه. إن كان هؤلاء القسوس يعطون برسالة عرضية عن الالتزام للمسيح، فلا بد وأنهم يعطوا بالتعميمات الغامضة، وإلا سيُشكك مُستمعيهم في مدى صدقهم. مُعظم القادة المسيحيين في الماضي لا يُذكرون لعظاتهم ولكن لتضحياتهم. ومثال حياتهم الذي تركوه يُلهمنا طويلاً بعد أن رحلوا.

إن لم يُعد القس مثلاً للطاعة كتلميذ حقيقي ليسوع المسيح، فهو يُضيع وقته بتقديمه للعظات. أيها القس، مثلك يتحدث عشرة مرات أعلى من عظاتك. هل أنتم تُلهمون الناس لينكروا ذاتهم ويتبعوا المسيح بإنكاركم لأنفسكم وإتباعكم له؟

ولكن كيف يمكن للقس أن يكون قدوة بأسلوب حياته، بينما يُعلم الناس الذين يعرفوه أساساً كخطيب صباح يوم الاحد؟ فأقرب ما يصلون إليه في الحقيقة هو سلام اليد لمدة خمسة ثوان حين يخرجون من مبنى الكنيسة. ربما هناك شيئاً غير صحيح عن نموذج القسيس.

عظة صباح يوم الأحد

يرتكب القس افتراضاً خاطئاً آخرأً إن أعتقد أن مسؤوليته التعليمية أساسها تقتصر على تقديمه للعضات في صباح أيام الأحاد العامة. فخدمة يسوع التعليمية لم تنحصر فقط في عطاته للعامة (وفى معظم الأحيان كانت تبدو قصيرة)، ولكن أيضاً الحوارات الخاصة التي بدأها تلاميذه الفضوليين. وزد على ذلك، أن هذه الحوارات لم تكن مُحددة لمدة نصف ساعة في يوم واحد من الأسبوع في داخل مبنى الكنيسة، ولكن كانت تحدث على شاطئ البحر، وفي المنازل، وأثناء السير على الطُرق المُتربة، كما عاش يسوع حياته على مرأ ومسمع من تلاميذه. وذات النموذج التعليمي كان يتبعه تلاميذه. وبعد يوم حلول الروح القدس، الاثني عشر علموا "في الهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ" (أعمال الرسل ٥: ٤٢). فكان لهم تفاعلات يومية مع مُجتمع المؤمنين. بولس أيضاً علّم "وَكُنْتُ أَغْلِيهِ لَكُمْ وَأَعَلِمْتُكُمْ بِهِ عَلَنًا وَمِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ" (أعمال الرسل ٢٠: ٢٠).

وعند هذه النقطة، إن كنت قسيساً، ربما تُقارن خدمتك التعليمية بخدمة يسوع والرُسل الأولين. ولربما بدأت تتساءل إن كُنْتَ تفعل ما يشاء الله لك فعله، أو هل أنك تقوم بما تم فعله عبر مئات من السنين في تقاليد الكنيسة وما تعلمت أن تفعله؟ وإن تساءلت، هذا جيد. وهذه هي الخطوة الأولى للاتجاه الصحيح.

ربما أنك فكرت بنفسك قائلاً "أنا غير مُتأكد إن كنت أريد أن أعيش حياتي قريباً جداً من الناس في الكنيسة. فقد تعلمت في مدرسة الكتاب أنه لا ينبغي للقس أبدأ أن يكون قريباً من رعبته. ولا بد وأن يُحافظ على بعض المسافة حتى يُحافظ على الاحترام المهني. فلا يمكن أن يكون صديقاً حميماً لهم."

هذا الفكر يوحى بأن هناك شيئاً خاطئاً بالفعل في الطريقة المُستخدمة دائماً في الإدارة الكنسية الحديثة. كان يسوع قريباً من الاثني عشر حتى أن أحدهم شعر بالارتياح ليضع رأسه على صدر يسوع في الوجبة العامة (أنظر يوحنا ١٣: ٢٣-٢٥). فهم بالفعل عاشوا معاً لعدة سنوات.

مُقارنة الطُرق الحديثة والقديمة

إن كان الهدف هو طاعة يسوع وصُنع تلاميذ، ألن نكون حُكماء لنتبع طُرقه في صُنع التلاميذ؟ فقد عملت هذه الطُرق بشكل جيد له. وكانت جيدة أيضاً للرُسل الذين تبعوه.

وكيف تعمل هذه الطُرق بشكل جيد لصُنع التلاميذ ليطيعوا كل وصايا المسيح؟ عندما تحدث دراسات عن المسيحيين الأمريكيين على سبيل المثال، تكشف وباستمرار على أنه ليس هناك أي اختلاف في أساليب الحياة لمُعظم المسيحيين عندما تُقارن ذلك بغير المسيحيين، فربما حان الوقت لسؤال بعض الأسئلة وإعادة اختبار الكتاب المُقدس.

هنا سؤالاً موضحاً لنسأله لأنفسنا: كيف نجحت الكنيسة الأولى في صُنع تلاميذ بدون مباني للكنائس، أو رجال دين مُدربين مهنيّاً، أو مدارس كتاب مُقدس أو إكليركية، أو تراتيل دينية وعرضها على الشاشات، أو الميكروفونات اللاسلكية، أو ناسخة الشرائط، وجداول مدارس الأحد وخدمات الشباب، و فرق التعبد والكورال، أو الكمبيوتر، أو ماكينات التصوير، ومحطات التلفزيون والراديو المسيحية، ومئات الألاف من

ألقاب الكتب المسيحية وحتى أناجيل شخصية؟ فلم يحتاجوا لأي من هذه الأشياء ليصنعوا تلاميذ، ولا حتى يسوع. ولأن ليس أي منها ضروري حينها، ولا الآن. فقد تكون وسائل مساعدة، ولكنها غير أساسية. وفي الحقيقة أن العديد من هذه الأشياء يمكن وفي الواقع أن تُعيق في صنع تلاميذ. دعوني أعطى لكم مثالين.

دعونا نأخذ في الاعتبار الأساس الحديث وهو وجود مدرسة الكتاب المقدس أو قسوس مُدربين في الأكليريكية ليقودوا الكنائس. فهذا المفهوم لم يكن معروف لبولس. وفي بعض المدن، بعد أن أسس كنائس، غادر بعد أسابيع قليلة أو شهر، وبعدها عاد لتعيين شيوخ للإشراف عليها (أنظر أعمال الرسل ١٣: ١٤-١٤: ٢٣). وهذا يعني أن هذه الكنائس قد تغيب عنها حضور بولس، لم يكن هناك قيادة رسمية لأسابيع أو شهور، ومُعظم الشيوخ كانوا مؤمنين صغاراً بعض الشيء عندما أُختيروا. فلم يكونوا قريبين حتى على سنتين أو ثلاثة من التعليم الرسمي ليعدهم لهذه الوظيفة.

وهكذا يُعلم الكتاب المقدس أن القسوس والشيوخ والأسقفين لا يحتاجون لسنتين أو ثلاثة من التعليم المهني حتى يصبحوا فعالين في خدمتهم. لا يمكن لأي أحد أن يُجادل בזكاء ضد هذه الحقيقة. ولكن المطلب الحديث باستمرار يرسل رسالة لكل مؤمن: "إن كنت تُريد أن تكون قائداً في الكنيسة، فأنت تحتاج لسنتين من التعليم الرسمي."^٩ وهذا يُبطئ عمل خلق قادة، وبالتالي يُبطئ صنع التلاميذ، ويؤدي لإبطاء بتوسع الكنيسة. فأتعجب كم جيداً للشركات الأمريكية امثال إيفون وأمواي بتحقيق أهدافهم في السوق إن كان مطلوب من كل بائع أن ينقل عائلته لمدينه ثانية ليتلقى ثلاثة سنوات من التدريب الرسمي قبل أن يستطيع أن يبيع الصابون والمُعطرات؟

فالبعض يقول "ولكن القسوسية هي مهمة صعبة ومُعقدة!". "وَيَجِبُ أَيْضاً أَنْ لَا يَكُونَ مُبْتَدِئاً فِي الْإِيمَانِ، لِئَلَّا يَنْتَفِخَ تَكَبُّراً، فَيَقَعَ فِي جَرِيمَةٍ إِبْلِيسَ!" (تيموثاوس الأولى ٣: ٦).

أولاً، الامر كله يتعلق كيف نعرّف من هو المُبتدئ، ومن الواضح أن مفهوم بولس يختلف عن مفهومنا، لأنه عين اناس لمكانة الشيوخ والقسوس والأسقفين الذين قد آمنوا قبل شهور قليلة.

ثانياً، سبب واحد لصعوبة وتعقيد القسوسية وهو أن نظامنا بكامله في هيكل الكنيسة والخدمة بعيد جداً عن النموذج الكتابي. فقد جعلناه مُعقد جداً بالطبع، فقط عدد من الناس الخارقين الذين يمكنهم أن ينجوا من هذه المطالب!

فالبعض يقول "ولكن الله يُحرم أن الكنيسة ربما تُقاد من شخص لم يذهب لمدرسة كتاب مقدس أو تعليم أكليريكي!" "فهذا الأسقف غير المُدرب ربما يقود قطيعه لتعليم زائف!"

^٩ والتأكيدات الحديثة على أن القسوس المُدربين بطرق عديدة هو علامة على مرض كبير، التي تتساوي عن اكتساب المعلومات مع النمو الروحي. ونعتقد أن الشخص الذي يعرف أكثر هو أكثر روحية، في حين انه ربما يكون أقل، ولكن مملوء بالفخر مما تعلمه. وكتب بولس، "المعرفة تصنع غرور (كورنثوس الأولى ٨: ١). كما أن الشخص الذي يسمع المحاضرات اليومية المُملة لمدة سنتين أو ثلاثة هو مُستعد ليعطي محاضرات أسبوعية مُملة!

هذا لم يخطر على بال بولس. والحقيقة هي أن اليوم لدينا رجال دين من مدرسة كتاب مُقدس ولا يؤمنون بالميلاد العذراوي، ولا يُمانعون الشذوذ الجنسي، ويُعلمون أن الله يُريد كل شخص أن يقود سيارة عالية، ويدعى أن الله يقضي ببعض الناس ليهلكهم، أو يقولون دون مغالاة أن الشخص يمكنه أن يحصل على السماء دون طاعة للمسيح. فمدرسة الكتاب المُقدس والأكليريكية دائماً يخدمون لعقيدة زائفة أبعد، ورجل الدين المُحترف الذي يخدم ذلك لحد أبعد.

فالعامّة في الكنيسة خائفين من تحديهم، لأن المُحترفين ذهبوا للإكليريكية ويمكنهم سحب الكثير من الآيات المُثبتة. وما هو أكثر من ذلك، أن هؤلاء رجال الدين عرفوا وقسموا كنائسهم عن باقي جسد المسيح عن طريق عقائدهم الغير سوية، حتى لنقطة الإعلان عن هذه الاختلافات بذات الأسماء التي يضعوها على اللافتات الموضوعية على مباني كنائسهم، باعثين رسالة للعالم: "نحن ليس كهؤلاء المسيحيين الآخرين." لإضافة جرح أعمق، فهم يُعلمون أي شخص يُعارضهم مع عقائدهم المُقسمة كـ "مشقق". والاستجواب مازال قائم وجيد، مُقاد من الرجال ذو الديبلومات. هل هذا المثل الذي يُريد يسوع أن يضع لهؤلاء الذين من المفروض أن يصنعوا تلاميذ معروفين للعالم بحُبهم لبعضهم البعض؟

المسيحيين الآن اختاروا كنائس مبنية على عقائد مُعينة، ولكن العقيدة الصحيحة أصبحت أهم شيء بدلاً من أسلوب الحياة الصحيح، كله بسبب التخلي عن النموذج الكتابي.

بديل من الكتاب المُقدس

هل أنا مُتحمس لفكرة إعطاء مؤمنين ذوي الثلاثة شهور خبرة مهمة الإشراف على الكنائس (ذات الشيء الذي فعله بولس)؟ نعم، ولكن فقط إن قابل هؤلاء المؤمنين المُتطلبات الكتابية للشيوخ والأسقفين، وفقط إن أعطيت لهم مهمة الإشراف على الكنائس التي تتبع النموذج الكتابي. وهذا وإن كانت هذه الكنائس يكونوا أولاً حديثة التأسيس ويخضعوا لخدام بالغ مؤسس، كما الرسول الذي كان يزود بعض الإشراف.^{١٠} وبهذه الطريقة، الشيوخ المُعينين حديثاً لا يملكون أنفسهم تماماً.

ثانياً، لابد وأن تكون الرعية صغيرة كفاية ليتقابلوا في البيوت، كما فعلوا في الكنائس الأولى.^{١١} هذا يجعل الكنائس أكثر تدبيراً. وهذا من المُحتمل لما أحد المُتطلبات للشيوخ والأسقفين هو أنهم دبّروا بنجاح احتياجات منزلهم (أنظر تيموثاوس الأولى ٣: ٤-٥).

فتدبير احتياجات منزل صغير للإيمان ليس أكثر تحدياً من تدبير أسرة.

^{١٠} في خطاب بولس الرسول الأول لتيموثاوس وخطابه لتيطس ذكر أنه تركهم خلفه ليختاروا شيوخ/ ومُشرّفين لبعض الوقت. فهم من المُحتمل أنهم تقابلوا مع الشيوخ والأسقفين ليُتلمذوهم، كما كتب بولس "وَالنَّعَالِيمُ الَّتِي سَمِعْتَهَا مِنِّي بِحُضُورِ شُهَدَاءٍ عِدِيدِينَ، أَوْدَعْتُهَا أَمَانَةً بَيْنَ أَيْدِي أَنَاسٍ جَدِيرِينَ بِالثِّقَةِ، يَكُونُونَ قَادِرِينَ عَلَى تَعْلِيمِ الْآخَرِينَ" (تيموثاوس الثانية ٢: ٢)

^{١١} أنظر أعمال الرُّسل ٢: ٢، ٤٦، ٥: ٤٢، ٨: ٣، ١٢: ١٢، ١٦: ٤٠، ٢٠: ٢٠، رومية ١٦: ٥، كولوسي ٤: ١٥، فيلمون ١: ٢، يوحنا الثانية ١: ١٠.

ثالثاً الرعاية لآبد وأن تتكون من الناس الذين رد فعلهم للإنجيل للتوبة، والذين هم تلاميذ أصليين للرب يسوع المسيح. فهذا يقضي على كل التحديات التي تُنشأ من محاولة رعاية القس لخرافه الذين هم في الواقع جداء.

ورابعاً، القسوس والشيوخ والأساقفة لآبد وأن يتبعوا دورهم الكتابي بدلاً من الدور الثقافي. وهذا لآبد وألا يعتقدوا موقفاً وسطياً، ومُهماً، ومضيء كما يفعلون في معظم الكنائس الحديثة.^{١٢} بدلاً من ذلك، لآبد وأن يكونوا أجزاء مُتميزة من جسد المسيح الكلي، الخُدام المتواضعين الذين يُعلمون بالأمثال والمبادئ والذين هدفهم هو صُنع تلاميذ، وليس بالسماع لواعظي خدمة أيام الأحاد، ولكن باتباع طُرق يسوع.

عندما يُتبع هذا النموذج، عندها حتى المؤمنين ذوي الثلاثة أشهر من الإيمان يمكنهم أن يُشرفوا على الكنائس.

مباني الكنائس

ماذا عن مباني الكنائس؟ فهي تعتبر امراً أساسياً آخرًا للكنيسة الحديثة في حين كانت الكنيسة الأولى تفتقدها مع انها تدبرت بشكل حسن. فهل هذه المباني تساعد بشيء في صُنع التلاميذ؟

عندما كُنت قسيساً، دائماً ما كنت أشعرت بنفسي وكأنني سمسار عقارات، أو مُحاسب، أو مقاول عام، أو جامع مُحترف للتبرعات. فقد حَلِمْتُ بمبانٍ، وبحث عنها، أعدتُ تصميم المباني القديمة، استأجرت، شيدت مبانٍ جديدة وأصلحتها تشققاتها بسبب الامطار المرسله من الله. وهكذا سلبت هذه المباني الكثير من الوقت والجهد. والسبب المباشر لسعيي المرهق حول المباني هو أنني كنت مُتأكداً مثل كل القسوس، أنه لا طريق للنجاح بدون مبنى، أي مكان للتجمع فيه الكنيسة.

المباني تلتهم الكثير من المال. (ففي الولايات المتحدة الأمريكية، بعض الجماعات تبذل عشرات الملايين من الدولارات على مباني كنائسهم.) بعد أن تحققت أحلامي بملكية المباني، دائماً ما حَلِمْتُ باليوم الذي ستنتهي فيه قروض هذه المباني، عندها فقط أتيح لنا استخدام المال لغرض الخدمة. فقد خطر لي ذات مرة، كما كنت أعلم رعييتي عن الوكالة الحسنة والخروج من عبئ الديون، بينما أنا نفسي قد اغرقتهم جميعاً في الدين! (فكنت على يقين أنني أعلم حسب اختباري الشخصي.)

مُعظم مباني الكنائس استخدمت فقط لساعتين للقاءات أسبوعية لمرة أو مرتين. أي من المُنظمات العالمية الأخرى يا ترى، تبني مبانٍ لاستخدام قليل كهذا؟ (الإجابة: فقط الطوائف والأديان الزائفة.)

^{١٢} من الملحوظ أن خطابات بولس الرسول للكنائس كانت موجهة لكل شخص في الكنائس المُختلفة، وليس الشيوخ أو الأسقفين. وفي أثنين فقط من رسائله للكنائس ذكر بولس الشيوخ والقسوس والأسقفين. وفي حدث واحد فقد أشتلمهم في التحية، وأضاف ذلك بشكل وكأنه كان يُريدهم أن يعتقدوا أنهم كانوا مُستبعبدين (أنظر فيلبي ١: ١). وفي موقف آخر ذكر بولس القسوس وسط قائمة من الخُدام الذين أعدوا القديسين (أفسس ٤: ١١-١٢). ومن الملحوظ أيضاً خاصتاً كيف لم يذكر بولس دور الشيوخ حيث أعطي إرشادات مُعينة التي نعتقد أنها تشتمل على الشيوخ، كإدارة العشاء الرباني، وحل المُشاكل بين المسيحيين. كل هذه النُقط لحقيقة أن الشيوخ والقسوس لم يحملوا الدور المُهم الذي يحملوه في مُعظم الكنائس الحديثة.

فهذا الباب المستهلك للمال يسبب الكثير من المشاكل. فالقس ذو المبنى يحتاج دائماً لدفق من المال، وهذا يؤثر سلباً على ما يزاوله. فهو يُجرب بمسايرة الأغنياء (الذين دائماً يعطوا بدون تضحية)، مساوماً على التعليم الذي قد يغضب أحدهم ويُستخدمون الآيات الاستخدام الغير سليم لتخدم مصالحهم. وعظاته تميل الى المواضيع التي لا تُتعارض وتدفق المال، لا بل وتُشجع على زيادتها. وبسبب ذلك، أحياناً يعتقد المسيحيون أن أهم الجوانب لكونهم مؤمنين هو: (١) دفعهم للعشور (بالمناسبة أشار يسوع اليها كوصية صغيرة) و (٢) حضروهم للكنيسة (حيث توضع عشورهم كل يوم أحد). يصعب عليّ تصور ذلك كعامل ناجح لصنع التلاميذ. ولكن بسبب حلم القسوس برعية كبيرة ذلك يؤدي بهم الامر الى الوصول للقيام فقط بهاذين الجانبين. وإن نجح أحد القسوس برعية وإن فعل نصفهم هاذين الأمرين، عندها سيألف كُتباً ويبيع الملايين منها لقسوس آخرين!

الحقائق تكشف أنه لا ذكر لأي جماعة اقتنت او شيدت مباني في سفر أعمال الرسل. وفي مُعظم الأحيان، اجتمع المؤمنون بانتظام في البيوت.^{١٣} ولم يكن هناك أي تجمع لأموال لتبذيرها على المباني. وليس هناك أي إرشادات في رسائل الرسل تشير الى ضرورة بناء مباني الكنيسة. وبالإضافة لذلك، لم يُفكر أي أحد ببناء الكنائس الى ان بلغت المسيحية ما يقارب الـ ٣٠٠ عام، حيث رُوجت الكنيسة للعالم في ظل الامبراطور قسطنطين. ثلاثمائة عام! فكر كم هذا من الوقت! خلالها نمت الكنيسة وازدادت أضعافاً مضاعفة، حتى أثناء أوقات الاضطهاد العنيفة، كل هذا بدون مباني. وهذه الظاهرة تكررت مرات كثيرة على مر القرون السالفة. فقد حدث ذلك في الصين ليس منذ زمن بعيد. حيث ان معظم الكنائس في الصين هي البيتية.

الساعة الحادية عشر يوم الأحد هي أهم ساعة فاصلة

إن الوسائل الحديثة للكنيسة التي نسخت النموذج الأمريكي المتوقع ان تحتوي على عُرف مُقسمة لخدمات مُختلفة لكل مجموعات الأعمار على الأقل. أما في الكنيسة الأولى، لم يُسمع عنها قط عن الخدمات المُنفصلة للرجال والنساء وكل مجموعات الأعمار من الأطفال. كانت الكنيسة موحدة في كل شيء وليس مُتفككة في اي شيء. فحُفظت وحدة الأسرة بتكتل، ومسؤولية الآباء الروحية كانت تتعزز بهيكلية الكنيسة، عوضاً عن إضعافها كما يحدث في ظل هيكلية الكنيسة الحديثة.

هل مبني الكنيسة يُساهم في صُنع تلاميذ أو يعقه؟ صُنع التلاميذ عبر القرون نجح تاريخياً أفضل دونهم، ولأسباب عديدة جيدة.

الاجتماع في المنازل، كما حدث في الكنيسة في القرون الثلاث الاولى، حيث تشاركت الوجبات الممتلئة فرحاً، ناهيك عن التعليم، الترانيم، والعطايا الروحية لمدة ثلاث الى خمس ساعات، مشبعين بمحيط روحي حيوي لنمو المؤمنين روحياً. فقد شعر أعضاء جسد المسيح أنهم مُشاركين، بينما جلسوا وجهاً لوجه، بدلاً من شعور الحضور في الكنيسة الحديثة - يشبهون كمُشاهدي المسرح، جالسين ينظرون الى أظهر بعضهم البعض مخافة ان يفوتهم العرض المسرحي.

^{١٣} أنظر أعمال الرسل ٢: ٢، ٤٦؛ ٥: ٤٢؛ ٨: ٣؛ ١٢: ١٢؛ ١٦: ٤٠؛ رومية ١٦: ٥؛ كورنثوس الأولى ١٦: ١٩؛ كولوسي ٤: ١٥؛ فيلمون ١: ٢؛ يوحنا الثانية ١: ١٠.

ناهيك عن الجو العام بالكنيسة الحديثة، حيث بالكاد يتم مُصافحة أيدي خاوية مع غرباء جالسون على الكرسي المُجاور عندما يعطى القس العلامة لذلك.

فقد كانت خدمة التعاليم أكثر من مجرد جلسات حوارية وفتح مُناقشات وسط الجموع، عوضاً عن المُحاضرات التي يلقيها أولئك الذين يرتدون الملابس الغربية، مُتكلمين بأصوات مسرحية، ويقفون عالياً أعلى من المُشاهدين (عادة ضجرين) المذهبين. لم يُعد القسوس العظة الأسبوعية. فأَي شخص (بالتأكيد يشمل الشيوخ والقسوس والأساقفة) لربما تلقوا ما أُعطى لهم من الروح القدس.

وحتى عندما أخذ البيت بالازدحام، لم يُفكر الشيوخ باقتناء مبان أكبر. وبدلاً من ذلك، علِم الجميع أنه كان عليهم تقسيم الاجتماعات لاجتماعين،

وكانت فقط مسألة الاتفاق وتحديد مكان البيت الجديد الآخر لاجتماعات الخدمة، والاتفاق من سيكون المشرف عليه، ولحسن الحظ أنهم لم يجمعوا صيغ شخصية غريبة من المحيط الالاحادي لوضع نظريات لكي يدرسوا الميول الفلسفية والعقائدية لنمو الكنيسة، لكن كان وسطهم مُشرفون جيدين بلا شك، ذو تدريب كاف في مزاوله الخدمة وعرفوا بالطبع الأعضاء في قطيعهم المُستقبلي الصغير. وكان لهذه الكنيسة البيئية الجديدة الفرصة لتتوصل والتبشير لسكان المنطقة الجديدة، ويُظهروا لغير المؤمنين ما هي المسيحية الحقّة التي تضم اناس يحبون بعضهم البعض. ويمكنهم بسهولة متناهية أن دعوة غير المؤمنين من معارفهم لاجتماعاتهم تعتبر كأَي دعوة على وجبة من العشاء يقوم بها الجيران والمعارف.

القس المُبارك

لا يوجد قسيس ولا شيخ ولا أسقف على كنيسة بيتية عانى من الإرهاق والضغط المفرط جراء قيامه بالمهام القسوسية، الامر الشائع جداً في الكنائس الحديثة. (فمن دراسة واحدة تبين أن ١٨٠٠ قسيس في الولايات المتحدة الأمريكية يتركون الخدمة كل شهر). لا بل كان القسيس ليرعى مجموعة صغيرة من المؤمنين، وإن وفرت الرعاية احتياجاته المادية لكان متفرغاً للخدمة بشكل تام، وكان في الحقيقة تمتع بوقت كاف للصلاة، التأمل، والوعظ بالإنجيل لغير المؤمنين، ولساعد الفقراء، وعكف على زيارة المرضى والصلاة لأجلهم، وقضى وقتاً ثميناً لإعداد تلاميذ جُدد ليقوموا بكل هذه الأشياء بشكلها الصحيح. وكانت إدارة الكنيسة بسيطة.

وآنذاك عمل القسيس بانسجام مع شيوخ وقسوس وأساقفة في مقاطعته. لم يكن هناك دافعاً للسعي من اجل الحصول علي أكبر كنيسة في المدينة أو التنافس مع غيره من القسوس لتكون لديه أفضل خدمة شباب أو برنامج الأطفال الأكثر إثارة. لم يحضر الناس اجتماعات الكنيسة فقط ليقَيِّموا جودة فريق التسييح أو ليروا القسيس المُسلي. فقد وُلِدوا الولادة الثانية وأحبوا المسيح -هم شعبه. فأحبوه ان يأكلوا معاً ويتشاركون في عطايا الله التي أعطيت لهم بالروح القدس. هدفهم كان إطاعة يسوع لكي يكونوا جاهزين للوقوف أمامه للدينونة.

لا شك انه كانت هناك بعض المشاكل في الكنائس البيئية، وتلك مذكورة في الرسائل. ولكن الكثير من المشاكل التي تواجه الكنائس الحديثة حتماً وتُعيق صُنْع التلاميذ لم تكن تلك معروفة للكنيسة الأولى، ببساطة لان نموذجهم للكنيسة المحلية كان يختلف جداً، الا انها تطورت بعد القرن الثالث ومنذ عصور الظلام. ولمرة

أُخرى اكرر، أسمح لهذه الحقيقة أن تثبت: لم يكن هناك مبانٍ للكنائس حتى بداية القرن الرابع. لو كنت قد عشت أثناء هذه القرون الثلاث الأولى، بماذا ستكون خدمتك مُختلفة عما هي الآن؟

والخلاصة، كلما اقتربنا بإتباعنا للنظام الكتابي لصُنْع التلاميذ، كلما حققنا هدف الله بشكل أكثر تأثيراً في هذا الحقل. أعظم العوائق لصُنْع التلاميذ في الكنائس اليومية تنبع من الأساليب والممارسات غير الكتابية.

الفصل الرابع

الكنائس البيئية

House Churches

باللحظة التي يسمع بها الناس عن الكنائس البيئية، دائماً ما يُخطئون باعتبارهم أن الفرق الوحيد بين الكنائس البيئية والكنائس المؤسسية هو الاختلاف بالحجم والقدرة على تقديم الخدمة. فيعتقد بعض الناس أن الكنائس البيئية لا تستطيع تقديم خدمة قيمة كما الحال في الكنائس ذات المباني. ولكن لو عَرَف أحدهم كلمة "خدمة" فإنها سسأهم على صُنع التلاميذ، وسأعدهم أن يكونوا كالمسيح مزودين بوسائل الخدمة، عندها لن ترى أي أفضلية للكنائس المؤسسية، بل كما ذكرت في الفصل السابق أن الكنائس المؤسسية تعمل على تهميش الهدف الأسمى المرجو. بالتأكيد لا يمكن للكنائس البيئية أن تقدم أنشطة مُتعددة الأوجه كثيرة كما الحال في الكنائس المؤسسية، ولكنها تمتاز عنها بأنها تقدم خدمة حقيقية.

البعض يرفضون الكنائس البيئية ولا يعتبرونها كنائس حقيقية، ببساطة لأنها ليست هي مباني كنسية مألوفة. لكن لو عاش أي من هؤلاء المنتقدين أثناء القرون الثلاث الأولى من عهد الكنيسة، لرفضوا كل مبني كنيسة في العالم لأنها ليست كنيسة حقيقية. ولكن الحقيقة هي أن يسوع قال "فَإِنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي، فَأَنَا أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (متي ١٨: ٢٠). ولم يقل يسوع عن المكان الأمثل والوحيد لاجتماعات المؤمنين. فلو اجتمع اثنان فقط من المؤمنين، فهو قد وعد أن يكون في وسطهم حين يجتمعوا باسمه. فما يفعله تلاميذ المسيح دائماً في المطاعم، عندما يجتمعوا مشاركين وجبة طعام مع بعضهم البعض، ويتبادلون الحقائق، مُعلمين ومتحدثين مع بعضهم البعض، هذا في الحقيقة لهو أقرب لنموذج الكنيسة المذكور في العهد الجديد نقيض لما يحدث في مبان الكنائس المختلفة أيام الأحاد.

في الفصل السابق، قد ذكرت بعض المزايا التي تمتاز بها الكنائس البيئية عن الكنائس المؤسسية. وأود أن أبدأ هذا الفصل بعدد أكبر من الأسباب التي تجعل نموذج الكنيسة البيئية أكثر كتابياً وهو أيضاً ما يجعلها أكثر تأثيراً في تحقيق الهدف -صُنع التلاميذ. دعوني أولاً أذكر أن الغرض من هذا ليس مُهاجمة الكنائس المؤسسية أو قسوسهم. فهناك العديد من القسوس الروحيين والصادقين في الكنائس المؤسسية، ويفعلون كل ما في وسعهم ليرضوا الرب بنطاق حدود خدمتهم. فأنا أقوم بخدمة الآلاف من القسوس من الكنائس المؤسسية كل سنة، وأحبهم وأحترمهم جداً. فهم من خيرة الناس في العالم. وهنا أود أن أقدم لهم البديل الذي لربما سيسأعدهم على تقليص الخسائر ولكي يصبحون مؤثرين، وفي الوقت ذاته أكثر سعادة. فنموذج الكنيسة البيئية الكتابي يعمل بنفسه بشكل مؤثر على صُنع التلاميذ وتوسيع مملكة الله. لدي شك صغير بأن الغالبية العظمى من قسوس الكنائس المؤسسية سيكونون أكثر سعادة مؤثرين ومُمتلئين لو خدموا على نهج الكنيسة البيئية.

فقد كُنْتُ قسيساً لكنيسة مؤسسية لأكثر من عشرين عاماً وقمت بكل جهدي حينها بما لدي من معرفة. ولكن بعدما قضيت شهوراً عديدة في زيارة كنائس مختلفة في أيام الأحاد حينها لاحظت ولأول مرة شعور الحاضرين في الكنيسة. وهذا كان الامر الذي فتح عيني، وبدأت أدرك لماذا الكثر من الناس غير مُشجعين لحضور الكنيسة. وكنت مثل كل شخص من الحضور تقريباً (ما عدا القسيس)، أجلس هناك بأدب مُنتظراً الى أن يأتي وقت انتهاء الخدمة. وفي الوقت ذاته استطعت أن أختلط مع الآخرين كواحد من الحضور بدلاً

من مُستمع مغرق بالضجر. هذا الموقف كان واحد من أمور عديدة دفعتني للشروع بالتفكير بحل أفضل، وبدأت بحثي عن نموذج الكنيسة البيئية. فتعجبت عندما اكتشفت أن هناك الملايين من الكنائس البيئية حول العالم، واستنتجت أن للكنائس البيئية الكثير من الميزات التي تفتقدها الكنائس المؤسسية.

الكثيرون من القسوس الذين يقرأون الآن هذا الكتاب لا يُشرفون على كنائس بيئية بل على كنائس مؤسسية. وأنا أعلم أن الكثير مما كتبته في هذا الكتاب سيلقى صعوبة على القبول، إذ انه يبدو راديكالياً للوهلة الأولى. ولكنني أطلب أن يعطوا أنفسهم قسطاً من الوقت للتفكير العميق حول ما أقوله، وأني لا أتوقع أن يقبلوا كل شيء في ليلة واحدة. فقد كتبت هذا الكتاب من أجل القسوس لأشجعهم وكنائسهم بالمحبة.

النموذج الوحيد من الكنائس في الكتاب المقدس

أولاً وقبل كل شيء، أن العهد الجديد لا يعرف الكنائس المؤسسية التي تجتمع في مباني مُعينة، ولكن من الواضح أن الكنائس البيئية كانت هي طبيعة الكنيسة الأولى:

وَإِذْ أَدْرَكَ ذَلِكَ، انْجَهَ إِلَى بَيْتِ مَرْيَمَ أُمِّ يُوْحَنَّا الْمُلَقَّبِ مَرْقَسَ، حَيْثُ كَانَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُجْتَمِعِينَ يُصَلُّونَ (أعمال الرسل ١٢: ١٢).

وَمَا قَصَّرْتُ فِي شَيْءٍ يُمكنُ أَنْ يَعُودَ عَلَيْكُمْ بِالْفَائِدَةِ إِلَّا وَكُنْتُ أُعْلِنُهُ لَكُمْ [وليس مباني كنائس] وَأُعَلِّمُكُمْ بِهِ عَلَنًا وَمِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ (أعمال الرسل ٢٠: ٢٠).

سَلِّمُوا عَلَى بَرِسْكِلَاءَ وَأَكِيلَاءَ... وَسَلِّمُوا عَلَى الْكَنِيسَةِ فِي بَيْتِهِمَا (رومية ١٦: ٣-٥)، وأنظر أيضاً رومية ١٦: ١٤-١٥ فهناك ذكيران لكنيستين بيتين في روما.

الْكَنَائِسُ فِي مُقَاطَعَةٍ أَسِيًّا تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ. وَيُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ كَثِيرًا، أَكِيلًا وَبَرِسْكِلَاءَ مَعَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا (كورنثوس الأولى ١٦: ١٩).

سَلِّمُوا عَلَى الإِخْوَةِ الَّذِينَ فِي لَأُودِيَكِيَّةَ، وَعَلَى نِمْفَاسَ، وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِ (كولوسي ٤: ١٥).

وَالِى أَبِفِيَّةَ الْأَخْتِ، وَأَرْخَبِيُوسَ رَفِيقَنَا فِي النَّجْدِ، وَإِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ (فيلمون ١: ٢).

والنقاش هنا على أن السبب الوحيد لعدم وجود مباني للكنيسة الأولى هو أنها كانت في مرحلة مهدها. ولكن هذا المهّد أستمّر لمدة قرون كما ذُكِرَ في تاريخ العهد الجديد (حوالي أكثر من قرنين من الزمان بعد ذلك). فلو كان تشييد مباني الكنائس هو علامة على نمو الكنيسة، فلما كانت كنيسة الرُّسل التي نقرأ عنها لتنمو البتّة.

أمّا أنا فأقترح أن سبب ذلك كان على الأقل، اعتباره متناقضاً لمشية الله، إذ لم يترك لنا يسوع مثلاً أو نموذجاً، وقد صنّع تلاميذاً بدون الحاجة لوجود بنايات خاصة، وطلب من تلاميذه أن يصنعوا لهم تلاميذاً. عندها لم يشعر بأي احتياج لمباني خاصة بهذه البساطة. فعندما قال يسوع لتلاميذه أذهبوا إلى العالم وتلمذوا، "فلم يقولوا لأنفسهم أن ما أراده يسوع هو أن نبني مبانٍ لنعظ الناس لمرة واحدة في الأسبوع".

وبالإضافة إلى ذلك، إنّ بناء مبان خاصة قد يعتبر وقتها اعتداءً مُباشراً على وصية من وصايا يسوع وهي أن لا يكنزوا لهم كنوزاً على الأرض، وأن ينفقوا الاموال عبثاً بلا ضرورة على الإطلاق، وسرقة مملكة الله من كل مصادرها التي قد يمكن استخدامها لأجل خدمة مُغيّرة.

الرعاية (الوكالة) الكتابية

هذا يقودنا للميزة الثانية التي تتحلّى بها الكنائس البيئية وتمتاز بها عن الكنائس المؤسسية: فالكنيسة البيئية تُقدم رعاية تقيّة من مصادر أعضائها، وهذا بلا شك عامل مُهم بعملية التلمذة.^{١٤} فالمال لا يُنفذ على مباني كنائس، أو امتلاك، أو إيجار، أو إصلاح، أو توسيع، أو ترميم، أو تدفئة أو تبريد. وبُناء عليه، ما يتم إنفاقه على مبان يمكننا أن نستخدمه في نفقات مثل الغذاء والكساء للفقراء، ونشر تعاليم الإنجيل، وصناعة تلاميذ، كما ذُكر في سفر أعمال الرُّسل. فُكر كم من الخير يمكن عمله لأجل ملكوت الله إذا ما استخدمت هذه المليارات التي تُصرف على مباني الكنائس لنشر الإنجيل وخدمة الفقراء! ذلك يفوق الخيال.

وزد على ذلك، فإن الكنائس البيئية التي تتكون ليس أكثر من عشرين شخصاً يُمكن الإشراف عليها بواسطة "صانعي الخيام" (يعني غير مأجورين) وهم الشيوخ والقسوس والأسقفين، وهناك الاحتمال الكبير لوجود كثير من المؤمنين البالغين بالإيمان في الكنيسة البيئية. فهذا النوع من الكنائس لا يتطلب أي نقود لإدارتها.

وبالطبع الكتاب المُقدس يُشير الى وجوب إعطاء الشيوخ والقسوس والأسقفين أجوراً مُقابل عملهم، فهؤلاء الذين يُسَخرون وقتهم بأكمله للخدمة ينبغي أن يتقاضوا أجراً كاملاً للمعيشة (أنظر تيموثاوس الأولي ٥: ١٧-١٨). فعندما يقدم عشر أعضاء عشورهم في كنيسة بيئية فهذا قد يُدعم قسيس واحد لمستوى مُعين متوسط. فلو أعطى خمسة أعضاء عشورهم هذا سيجعل ذلك القس متقرباً بنصف وقته الأسبوعي للخدمة.

باتباع نموذج الكنيسة البيئية، النقود التي كانت ستُستخدم في المباني، الآن تحررت هذه النقود لدعم القسوس، وهكذا لا ينبغي على قسوس الكنائس المؤسسية أن يفزعوا من الكنائس البيئية على انها تهدد وظيفتهم المؤمنة. وهذا قد يعني أن العديد من الرجال والنساء سيكتشفون أن الشغف الذي وضعه الله في قلوبهم لخدمته في خدمة مهنية.^{١٥} وبالمقابل، هذا سيساعد على تحقيق الهدف -صنع التلاميذ. وبالإضافة الى ذلك كنيسة بيئية ذات عشرون عضواً ممن لديهم دخلاً قد يعطوا نصف دخلهم لخدمة التبشير والفقراء.^{١٦}

^{١٤} أنظر "يسوع عن المال" في ظل المواضيع الكتابية على الصفحة الرئيسية www.shepherdserv.org

^{١٥} على الرغم من أن هذا يبدو جذري، السبب الوحيد الحقيقي أن مباني الكنائس يُحتاج إليها بسبب نقص القادة الذين يُشرفون على كنائس بيئية صغيرة، والذي ينتج عنه تلمذة فقيرة لقادة مُستقبليين داخل الكنائس المؤسسية. هل يمكن أن يكونوا قسوس لكنائس مؤسسية كبيرة وهم في الحقيقة مذنّبين بسرقة القسوس المدعويين من الله في داخل الرعايا في الخدمات الصحيحة؟ نعم

^{١٦} مُعدل واحد لعشرة أو عشرين لا يجب أن تُعتبر مُبالغة رعية في ضوء نموذج يسوع الكتابي لتلمذة اثني عشر رجلاً وموسى عين قُضاة على كل عشرة أشخاص (أنظر خروج ١٨: ٢٥). مُعظم القسوس المؤسسين يُشرفون على أشخاص أكثر بدلاً من قدرتهم على التلمذة بتأثير.

وإن تحولت كنيسة مؤسسية لتصبح شبكة عمل لكنائس بيتية، فإن من فقد من أعضائها وظائفهم يمكن أن يصبحوا إداريين للكنيسة وأعضاء بفريق الدعم البرمجي وربما يصبحون موظفين في خدمات مُعينة (خدمة الأطفال والشبيبة في الكنائس الكبيرة مثلاً) فيبقوا العمل في تلك الكنائس المؤسسية التي لا ترغب بتبديل خدماتها التي بها القليل من الأساسات الكتابية بالخدمات التي بها الكثير من الأساسيات الكتابية. فالكنائس البيتية لا تحتاج لخدمات الأطفال ولا للشباب لأن الآباء هم من قد أعطوا هذه المسؤولية في الكتاب المقدس، وأعضاء الكنائس البيتية بشكل عام يسعون لإتباع الإنجيل عوضاً عن العادات الثقافية المسيحية. والشبيبة المسيحيين الذين لا آباء مسيحيين لهم يمكن أن يتعاونوا مع الكنيسة البيتية ويتم تلمذتهم كما يتعاونون مع الكنائس المؤسسية. هل أدرك أحدكم لماذا لم يكن هناك "قس لشباب" أو "قس للأطفال" في العهد الجديد؟ لأن هذه الخدمات لم تتواجد في الكنيسة طوال ١٩٠٠ سنة من المسيحية. فلماذا أصبحوا فجأة بغاية الأهمية، لا بل وأساسية في الدول الغربية الغنية؟^{١٧} وأخيراً، يجد القسوس حصاراً في الأمم الفقيرة أنهم غير قادرين أن يستأجروا أو يملكوا مبان لكنائسهم بدون دعم مسيحيي الغرب. والنتيجة الغير مرغوب بها عن ذلك هو الاعتماد المُضاعفة والتبعية. ومع ذلك فالحقيقة أن هذه المشكلة لم تظهر طيلة الـ ٣٠٠ سنة من المسيحية. فإن كُنْتُ قسيساً في أمة نامية ورعتك لتقدر على امتلاك مبنى لها، فأنت لا تحتاج لزيارة شخص أمريكي على أمل أن تحصل على ذهب منه. فإله حل مُشكلتك وأنت لست بحاجة لمبنى كنيسة حتى تصنع تلاميذاً بنجاح. أتبع فقط النموذج الكتابي.

الحل للعائلات المُفككة

إن هذا النموذج من الكنائس البيتية يتمتع بميزة أخرى مهمة وهي تلمذة الأطفال والمراهقين. أحد الأخطاء الكبيرة التي ترتكبها الكنائس المؤسسية اليوم (وخاصةً الكنائس الكبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية) وهي توفير خدمات رائعة للأطفال والشبيبة. ولكن يخفون حقيقة أن الغالبية العظمى من الأطفال الذين يقضون سنين من البرامج المسلية في خدمات الأطفال والشبيبة لا يعودون مرة أخرى للكنيسة بعد تركها (مُغادرة العش). (فاسأل أي قسيس للشباب عن الإحصائيات وهو لا بد أنه يعرفها جيداً). وبالإضافة إلى ذلك، الكنائس التي لها قسوس للأطفال وقسوس للشباب دائماً ما يتدعون زوراً أن الآباء غير قادرين أو غير مسؤولين عن تدريب أطفالهم روحياً. وهكذا ادعائهم هو "سنقوم نحن بتدريب أطفالكم روحياً. لأننا مُدربون مُحترفون".

فلطالما استمر هذا النظام بالعمل لطالما ازداد فشلاً، لأنه يخلق دائرة أخذ المُزايدة كحل وسط. فببداً الآباء بالبحث عن كنائس لمتعة أطفالهم. فإن قال المراهق جوني أنه أستمع بالتمسك في الكنيسة فالآباء سيكونون مبسوطين، لأنهم يقرنون استمتاع جوني بالكنيسة على أنه شيئاً روحياً. وهم على خطأ للغاية.

وأما دافع القسوس الكبار للنجاح الدائم إذ يريدون النمو لكنائسهم، هذا يؤدي إلى أن قسوس الأطفال والشبيبة دائماً ما يتركون اجتماعات فريق العمل مثقلين بضغوط عليهم، بإجبارهم أن يخلقوا برامج "مناسبة" للأطفال وإن تكون مُمتعة ومسلية قدر الإمكان.

^{١٧} نحن ربما أيضاً نتساءل لما ليس هناك أي ذكر لأي قسوس كبار، أو قسوس مُساعدين، أو قسوس مُشاركين. ولمرة أخرى هذه الألقاب ربما تبدو أساسية جداً في الكنيسة الحديثة بسبب هيكلتها الغير ضرورية في الكنيسة الأولى بسبب هيكلتها. فهيكلكم الكنائس البيتية التي تتكون من عشرون شخص لن يحتاج لقسوس كبار، ومشاركين، ومُساعدين.

(فكلمة "مناسبة" دائماً تأتي بالدرجة الثانية بعد "مُسلية"، و "مناسبة" لا تعني بالضرورة قيادة الأطفال للتوبة، أو إطاعة وصايا يسوع".) فلو كان بالإمكان للأطفال أن يشتروا برنامجاً، فسيعود الآباء السذج مع النقود، وهكذا تنمو الكنيسة.

النجاح في مجموعات الشبيبة بشكل خاص دائماً ما يُقاس بعدد الحضور. فقسوس الشبيبة دائماً يجتهدون بكل ما في وسعهم للعمل على زيادة الحضور، وهذا دائماً ما يعني التنازلات لحلول وسطى وابتعاد عن الروحانيات الحقيقية. مسكين هو قسيس الشبيبة ومثيراً للشفقة الذي تنهال عليه تقارير لا نهاية لها من الإباء المتذمرين، إذ يشتكون دوماً للقس الكبير من خلال أطفالهم لعدم رضاهم على رسائله المملة والتي على حد اعتبارهم تدينهم.

لكن تصور أي بركة ستحل على خدمة الشبيبة إذا ما أصبحت جزءاً من جسد المسيح في الكنائس ببتية ومن قيادتها. فهم بالطبيعة يتمتعون بمهارات كبيرة في العلاقات ولهم ما يكفي من الحماس للشبيبة ولا تنقصهم الطاقة. فالكثير منهم يخدمون كقسوس للشبيبة فقط لأن هذه هي الخطوة الأولى المطلوبة منهم لاكتساب المهارات التدريجية المطلوبة من أجل أن يصبحوا بيوم من الأيام قسوساً للكبار. ومعظمهم أكثر من قادرين على خدمة كنيسة ببتية. فما كانوا يفعلونه وسط مجموعات الشبيبة قد يكون أقرب لنموذج الكنيسة الكتابي أكثر مما يعمل به في حضان الكنيسة! وهذا ينطبق أيضاً على قسوس خدمة الأطفال الذين بقدراتهم على الخدمة يمكن أن يفوقوا وبكثير القسوس الكبار في كونهم قادرين على خدمة الكنائس الببتية، هناك حيث يجلس كل أعضاء الكنيسة الببتية سوية وهذا يشمل الأطفال أيضاً، في دائرة صغيرة والكل يتشاركون، وحتى قد يستمتعون لتناول بعض الطعام معاً.

دائماً يتلمذ الأطفال والمُراهقين في الكنائس الببتية على النحو الأفضل، حيث يختبرون المجتمع المسيحي الحقيقي ويُمنحون فرصاً للمشاركة والتساؤلات وبناء علاقات مع آخرين من نفس الأعمار، كل هذا جزء بإطار العائلة المسيحية. أما في الكنائس المؤسسية فهم دائماً ما يكونون عرضة للتعليم من خلال مسرح ممتع وكبير، واختباراتهم الواقعية مع الحياة هي قليلة ان لم تكن معدومة في جو من الرياء المتقشي وعلاقاتهم متصنعة متعلقين بأثرابهم كما يحدث بالمدارس.

ولكن ماذا عن الرُضع الذين يكون أو الأطفال الصغار المتعبين في الاجتماعات المختلطة لكل الأجيال؟ حسناً، ينبغي أن يُستمع بهم، وأن تؤخذ خطوات عملية للتحكم بهم إذا ما صدر منهم إعاقة واضحة على جو الاجتماع. فيمكن على سبيل المثال أخذهم لغرفة أخرى لتدريبهم أو إعطائهم ألواناً وأوراقاً للتلوين على الأرض. ففي مُجتمع الكنيسة الببتية لا يُشكل الرُضع والأطفال مشكلةً عندما يُتركون مع غرباء في الحضانة فهم محبوبون من الجميع في عائلتهم الموسعة. وعندما يبدأ الرضيع بالبكاء في كنيسة ببتية فهو مُحاط بعائلته، ولا أحد يُمانع التذكير لعطايا الله في وسطهم، لشخص قد حملوه جميعهم في أيام طفولته على أذرعهم.

ويمكن تعليم الوالدين لأبناء متمردين بلطف على يد والدين آخرين، فيمدوهم بكل المعرفة اللازمة، لأجل أسرة مباركة أكثر وهذا سيؤثر على حياة الكنيسة الببتية. وأكرر لمرة أخرى، للمؤمنين علاقات حقيقية واهتمامية. فهم لا يشوا عن بعضهم البعض كما يحدث دائماً في الكنائس المؤسسية. وإنما يعرفون ويحبون بعضهم البعض.

قسوس سعداء

بعد أن خدمت كقسيس لكنيسة لمدة عقدين من الزمن، ووعظت لعشرات الآلاف من القسوس حول العالم، وكانت لي صداقات شخصية مع العديد من القسوس، أعتقد أنني على علم وإن كان لدرجة معينة، ما هي مُتطلبات القسوسية للكنيسة الحديثة. فكأي قسيس في كنيسة مؤسسية، قد اختبرت الجانب المُظلم للخدمة. وقد تكون مُظلمة جداً في بعض الأحيان. وفي الحقيقة كلمة متوحش قد تكون التعريف الأمثل لهذا الجانب.

فالتوقعات الملحة التي توجه معظم القسوس تُخلق بطبيعة الحال ضغوط صعبة، وأحياناً ما تُدمر علاقاتهم داخل عائلاتهم. فالقسوس غير مُشجعين لأسباب عديدة. فيتوجب عليهم أن يكونوا سياسيين، قضاة، أصحاب عمل، أطباء نفسيين، مديري نشاطات، مُعاقدي مباني، مُرشدي زواج، مُتحدثي للعلامة، مُدراء، قارئ عقول، إداريين، ودائماً ما يجدون أنفسهم في تنافس عنيف مع قسوس آخرين ليكسبوا جزءاً أكبر من جسد المسيح. فلا يبقى لهم وقتاً إلا القليل للتعليم الروحي الذاتي. والكثير منهم يشعر حينها أنهم سُجناء في مهنتهم ويتقاضون أقل مما يفعلون، فالرعية هي زبائنهم وهم أصحاب العمل. وأحياناً يجعل كل هذا الحياة صعبة جداً.

وعلى وجه المُقارنة فإن حياة قسيس الكنيسة البيئية سهلة جداً. أولاً، إن قاد حياة مثالية لتلمذة حقيقية ويُعلم إطاعة يسوع بدون مساومات على وصاياه، فالقليل من الجداء من سيرغب أن يكونوا جزءاً من مجموعته. ففي الحقيقة الاجتماع في البيوت كافٍ ليعيد الكثير من الجداء. ولذلك سيكون لديه فقط خِرافاً ليرعاها.

ثانياً، يمكنه أن يُحب ويُلمذ كل رعيته (خرافه) على أساس شخصي، لأنه يُشرف فقط على عدد بين اثني عشر وعشرون من البالغين. فيمكنه أن يستمتع بقرابة حقيقية لهم، ويصبح كأب لأسرة. فيمكنه أن يُعطيهم الوقت الذي يستحقونه. فأتذكر عندما كُنت قسيساً لكنيسة مؤسسية دائماً ما شعرت أنني وحيداً. ولم أستطع أن أكون قريباً لأي من ريعتي، لأنني إن فعلت فسيغضب البعض مني إن لم أشملهم في دائرة أصدقائي المُقربين. فكُنت أتمنى دائماً القرابة الحقيقية لمؤمنين حقيقيين، ولكن لم أجازف بثمن ربح أصدقاء حقيقيين.

في أسرة الكنيسة البيئية المُتماسكة، يساعد أعضاء الكنيسة وبشكل طبيعي إبقاء القسيس تحت المسؤولية، كما ويُعد صديقاً مُقرباً لهم، وليس كُمثل على المسرح.

فقس الكنيسة البيئية يستطيع أن يقضي وقتاً على تنمية وتحضير قادة للمستقبل لأجل كنائس بيتية مُستقبلية، وعندما يُحِين الوقت وتضاعف الكنيسة سيكون قياديو الكنيسة الفرعية جاهزين حينها. ولن نرى قادة المُستقبل الموعود آخذين مواهبهم من الكنيسة ونقلها إلى مدرسة الكتاب المُقدس في مكان آخر.

ولسوف يتوفر له وقتاً لا بأس به لأجل العمل على تطوير خدمة أخرى خارج رعيته. فممكن أن يخدم في السجون، أو لخدمة بيته شخصية، أو ينشغل بالتبشير الفردي لللاجئين أو لرجال الأعمال. حسب خبرته فيمكنه أن يكرس حصة من وقته للعمل على تأسيس كنائس أخرى، أو الإشراف على قسوس الكنيسة البيئية الفرعية ممن نمو في خدمته.

فلن يشعر بثقل العبء في تأدية دوره في عرض صباح يوم الأحد. ولن يحتاج لإعداد عظة ذات الثلاث بنود عشية يوم السبت، مُتسائلاً بنفسه كيف يمكنه يا ترى أن يُعجب جمهور الحضور من أناس كثر وهم على مستويات متغايرة من النمو الروحي.^{١٨}

^{١٨} العديد من القسوس لن يصبحوا خطباء جيدين، وحتى هؤلاء المعوين من الله، الخُدام المُهمّين بالمسيح. في الحقيقة، هل هذا صعب جداً لأقول أن العديد من عظات القسوس مُملة، أو على الأقل مُملة أحياناً؟ ما أشار إليه أحد نُقاد الكنيسة كـ "تحديق الألف ياردة" وهو معروف وسط الجالسين. ولكن هؤلاء هم نفس القسوس الذين هم خطباء مُملين وهم دائماً مُتحدثين جيدين، والناس نادراً ما يصبحوا مملولين بينما هم مُشتركين في حوار مع بعضهم البعض. ولهذا لما التعليم المُتفاعل في الكنائس البيئية دائماً مُمتع. والوقت يطير أثناء هذه الأوقات، كما يتناقض مع العديد الذين يُحدقون في ساعاتهم أثناء عظات الكنيسة. وقسوس الكنيسة الأولى لا يحتاجوا أن يقلقوا من الملل.

ولكن في البيئية يمكنه أن يستمتع بمعاينة عمل الروح القدس فعلاً بكل شخص من المجتمعين، مشجعاً إياهم على استخدام مواهبهم. فربما يتغيب عن بعض الاجتماعات وذلك لن يؤثر على مسار الاجتماع فكل شيء سيكون على ما يرام بدونه.

لا يوجد له مبنى يهدر عليه وقته الثمين ولا موظفين لإدارتهم.

لا يوجد له أي دافع للتنافس مع قُسوس محليين آخرين.

لا وجود لـ "مجلس كنيسة" يعكر صفو حياته التعيسة، والذي تنشأ به صراعات سياسية لا محالة.

وباختصار، قسيس الكنيسة البيئية محرراً لدعوة الله على حياته، وأما ضغوطات الثقافة المسيحية ليست على كاهله بعد. فهو ليس المُمثل الرئيسي، ولا مُدير لشركة، وليس هو مركز الأحداث.

هو ببساطة مَنْ على القسيس ان يكون، صانعاً للتلاميذ، ومُعداً للقديسين.

الرعية السعيدة

الكنيسة البيئية الكتابية الحقيقية هي المكان الذي يسعى لأجله بل ويستمتع به المؤمنون الحقيقيون.

فإن جميع المؤمنين يسعون لبناء علاقات حقيقية مع مؤمنين آخرين، لأن محبة الله امتلكت قلوبهم. وهذا النوع من العلاقات هو جزء لا يتجزأ من الكنائس البيئية. وهو ما يُشير إليه الكتاب المُقدس بالشركة الروحية، حيث المُشاركة الحقيقية لحياة الفرد مع أخوته وأخواته. الكنائس البيئية تخلق بيئة بها يستطيع المؤمنون أن يفعلوا ما ينبغي فعله، وهذا الامر نراه متكرراً في حياة الكنيسة الأولى كما هو مسجلاً في العهد الجديد متمثلاً بتعبير "بعضنا البعض" في فقرات عديدة. ففي الكنائس البيئية يمكن للمؤمنين أن يحتوا، يشجعوا، يريحوا، يعلموا، يخدموا، ويُصلوا لأجل بعضهم البعض. فيمكنهم أن يحتوا بعضهم البعض على الحب والعمل الجيد، الاعتراف بخطاياهم لبعضهم البعض، وتحمل أعباء بعضهم البعض، وبناء بعضهم البعض بالمزامير والتراتيم الروحية. فيمكنهم أن ينوحوا مع الحزاني وأن يتהלّلوا مع الفرحين، وكمثل هذه العلاقة غير واردة بشكل دائم أثناء اجتماعات صباح يوم الأحد في الكنائس المؤسسية، حيث يجلس المؤمنون للمشاهدة. وكما أخبرني عضو في إحدى الكنائس البيئية "إذا مرض شخص في جسد الكنيسة، فأنا لا آخذ وجبة الطعام لمنزل شخص غريب عني، وعليّ فعل ذلك لأنني وقعت في خدمة الوجبات. ولكن لهو امراً طبيعياً لأن آتي بوجبة من الطعام لمنزل شخص أعرفه وأحبه."

المؤمنون الحقيقيون يستمتعون بالتفاعل والمُشاركة مع بعضهم البعض. أمّا الجلوس السلبي للاستماع لعظات لا علاقة لها بالحياة اليومية، تلقن سنة تلو الأخرى لا تضيف شيئاً على حياة المؤمنين، بل هي إهانة لمستواهم الفكري والروحي. في حين أنّ جميعهم سيُفضلون أن تكون لهم فُرصةً ليُشاركوا العمق الفكري والروحي الشخصية الذي اكتسبوه من الله وكلمته، الكنيسة البيئية توفر كل ذلك. باتّباع نموذج الكتاب المُقدس من ان يتبعوا النهج الثقافي المعتاد، فكل شخص "مَرْمُورٌ، أو تَعْلِيمٌ، أو كَلَامٌ بِلُغَةٍ مَجْهُولَةٍ، أو

إِعْلَانٌ، أَوْ تَرْجَمَةٌ. فَلْيَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ بِهَدَفِ الْبُنْيَانِ" (كورنثوس الأولى ١٤ : ٢٦). ففي الكنيسة البيئية لا أحد يتوه في الزحمة أو يتم تجنبه من قبل مُتعصب بالكنيسة.

يتمنى المؤمنون الحقيقيون أن يُستخدموا من قبل الله لأجل الخدمة. في الكنيسة البيئية فرصة لكل شخص لأن يُستخدم لبركة الآخرين، واما المسؤوليات فتتوزع ليشترك بها الجميع، فما من أحد يختبر شعور الإرهاق المألوف لدى أعضاء الكنائس المؤسسية. وعلى الأقل، سيحضر كل فرد طعاماً ليشترك به الآخرين في الوجبة العامة، وهو ما يُشير إليه الكتاب المقدس "وليمة المحبة" (يهوذا ١ : ١٢). فللعديد من الكنائس البيئية، هذه الوجبة تمثل العشاء الرباني، الذي يُعتبر جزءاً من وجبة الفصح. فالعشاء الأخير ليس كما وصفه أحد الأطفال في كنيسة مؤسسية خدمت فيها وهو "وجبة الله الخفيفة". فكرة أكل قطعة بسكويت صغيرة، وشرب بعض العصير مع الغرباء اثناء عدة ثواني في الخدمة ذلك يُعتبر غريباً على الإنجيل والكنائس البيئية الكتابية. فالقصد من سر التناول هو تعزيز التعددية اثناء وجبة مُشتركة بين التلاميذ الذين يحبون بعضهم البعض.

في الكنيسة البيئية، العبادة بسيطة، صادقة، وقائمة على المشاركة وليس الأداء. فالمؤمنين الحقيقيين يحبون عبادة الله بالروح والحق.

التوازن العقائدي والتسامح

يقوم الاشراف على النقاش التعليمي في إطار التجمعات المفتوحة الغير رسمية للكنائس الصغيرة، من قبل اشخاص قادرين على القراءة. وإذ يعرف الأخوة والأخوات ويحبون بعضهم البعض، فإن هنالك ميلاً لأخذ آراء بعضهم البعض بالاعتبار وبكل احترام وإن كانت مختلفة، حتى وإن لم يصلوا لتوافق فيها، الا أن المحبة وليست العقيدة ما تربطهم معاً برباط الكمال. فالتعليم من قبل أي شخص كان في المجموعة، ذلك يشمل الشيوخ، والقسوس، والأساقفة، لهو عرضة لان تختبر المحبة من خلاله نحو أشخاص آخرين لأن الروح القدس ثابتة في كل عضو (أنظر يوحنا الأولى ٢ : ٢٧). فإن الضوابط والاتزان لنموذج الكتاب المقدس يُساعد في منع إخراج التعليم عن إطاره الكتابي الواضح.

هذا يأتي نقيضاً لطبيعة التعامل في الكنائس المؤسسية، حيث تبلورت العقيدة منذ البداية وهي غير قابلة لإحداث أي تغيير عليها. وبناءً عليه تدوم العقائد السيئة لأجل غير مُسمي، ومع الزمن تصبح هذه العقائد الاختبار للقبول المشروط. وهكذا ممكن لُنقطة واحدة في العظة أن تتسبب في خروج المُنشقين، الذين سيُغادرون الكنيسة لبعض الزمن عساهم يجدوا مؤمنين آخرين يُفكرون بطريقة مُماثلة لهم. لأنهم يعلمون أنه ليس هناك اي جدوى للتحدث مع القسيس عن آرائهم العقائدية المُخالفة لآراء الكنيسة. وإن كان ذلك الشخص مُقتنعاً تماماً برأيه الجديد، فسيُحاول جاهداً إخفاء ذلك الشعور عن أعضاء الكنيسة وكذلك عن الذين على مستوى أعلى في طائفته. الاختلافات العقائدية في الكنائس المؤسسية تنتج قُسوساً، يُعتبرون من أمهر السياسيين في العالم، ووعاظ يتحدثون عن أمور عامة غير واضحة ويتجنبون كل ما قد يقود للجدل، ليجعلوا كل شخص يعتقد أنه ينتمي لحزبهم.

الاتجاه الحديث

والمثير للاهتمام، أن العديد من الكنائس المؤسسية هذا عددها، تسعى الآن على تطوير هيكل لمجموعة صغيرة داخل نموذج الكنائس المؤسسية، مدركين قيمة ذلك على التلمذة. وبعض الكنائس تذهب أبعد من ذلك أنهم يمررون هذا التغيير إلى مجموعات صغيرة، مُعتبريها الجانب الأهم في خدمتهم. فالاجتماعات الاحتفالية الكبرى تُعتبر ثانوية مقارنةً بأهميتها مع المجموعات الصغيرة (على الأقل نظرياً).

هذه الخطوات تسير في الاتجاه الصحيح والله يُبارك هذه الخطوات، لأن بركاته علينا نسبية متعلقة باتفاقنا مع إرادته. وبالطبع الكنائس الخلوية أفضل في هيكلتها من الكنائس المؤسسية في صناعة التلاميذ وتقف في الوسط ما بين نموذج الكنائس المؤسسية والكنائس البيئية مُجمعة بعض الميزات من كل منهم.

كيف يمكن مقارنة الكنائس المؤسسية الحديثة ذات المجموعات الصغيرة، بالكنائس البيئية القديمة والعصرية؟ هناك بعض الاختلافات:

منها وللأسف، أنّ المجموعات الصغيرة داخل الكنائس المؤسسية تُساعد على نشر ما هو خطأ في الكنائس المؤسسية بل ودفعه إلى الامام، وخاصةً عندما يكون الدافع الأساسي لخدمات هذه المجموعات الصغيرة هو إعداد القسيس الأكبر لمملكة الكنيسة. فهو باستمرار يستخدم الناس لمصلحته الخاصة، والمجموعات الصغيرة تتناسب مع هذه المخطط. فعندما يحدث هذا، يتم اختبار قياديي هذه المجموعات الصغيرة واختيارهم تبعاً لولائهم للكنيسة الأم، فلا يُمكنهم أن يكونوا موهوبين أو أصحاب كاريزما أكثر مما ينبغي، لئلا يملأ الشيطان عقولهم بأفكار وكأنه يمكنهم النجاح بأنفسهم. فهذا النهج يُعيق الدور المؤثر للمجموعات الصغيرة، وكما يحدث في أي كنيسة مؤسسية، يبعثون أولئك المدعوين الحقيقيين والقواد المؤثرين إلى مدارس الكتاب المُقدس، وبهذا ينزعون المواهب الحقيقية من الكنيسة، فيأخذوهم إلى أماكن حيث يتم تعليمهم ليكونوا محاضرين عوضاً عن تلمذتهم للتلمذة.

فالمجموعات الصغيرة، في الكنائس المؤسسية دائماً ما تتطور لتصبح مجموعات لرفاق لا أكثر. أما صنع التلاميذ فلا يرد على اذهانهم. حيث أنه من المُفترض تغذية الشعب روحياً في خدمة صباح يوم الأحد، فأحياناً ما تُركز المجموعات الصغيرة على أشياء أخرى بجانب كلمة الله ولا يُريدون تكرار صباح يوم الأحد.

دائماً ما يتم تنظيم المجموعات الصغيرة في الكنائس المؤسسية على يد أحد العاملين في الكنيسة، بدلاً من أن يكون ممن ولدوا بالروح القدس. لتصبح هذه الجماعات إحدى برامج الكنيسة، فيتم وضع الناس معاً طبقاً لأعمارهم، وحالتهم الاجتماعية، وخلفياتهم، ومواهبهم، وحالتهم المادية، أو موقعهم الجغرافي. فالجداء دائماً ما يختلطون مع الخراف. كل هذا التنظيم الجسدي لا يُساعد المؤمنين أن يتعلموا أن يُحبوا بعضهم البعض على الرغم من اختلافاتهم. تذكروا أن الكثر من أعضاء الكنيسة الأولى كانوا خليط من اليهود والأمميين. فكانوا يتشاركون باستمرار على وجبات طعام، الامر المحرم في التقاليد اليهودية. فإيا لها من اختبارات تعليمية كانت تلك الاجتماعات! واي فُرص للسير معاً بالمحبة! يا لها من شهادة على قوة الإنجيل! فلماذا نعتقد اليوم بوجود تفريق المؤمنين إلى مجموعات مُتجانسة للتناسب بنجاح للمجموعات الصغيرة؟

وتستمر الكنائس المؤسسية ذات المجموعات الصغيرة بتأدية الدور المسرحي لخدمات صباح أيام الأحاد، حيث يُشاهد الحضور العرض. فلا يُسمح أبداً للمجموعات الصغيرة أن تتقابل لطالما هناك خدمات "حقيقية"

للكنسية، مُشيراً إلى أن الخدمات المؤسسية هي في غاية الأهمية. ولأن هذه الرسالة دائماً ما تتردد ذلك يجعل الكثيرين إن لم تكن الغالبية العظمى من الحضور أن تمتنع عن المشاركة في المجموعات الصغيرة، أو حتى وإن تشجعوا على فعل ذلك، فسيرون أن هذا امر اختياري مهمش. وهم مكتفون وراضون على أنفسهم لحضورهم أهم خدمة أسبوعية. ولذلك مفهوم المجموعة الصغيرة لربما يوحى بأنه شيء كبير، ولكن ليس أكبر من خدمة يوم الأحد المؤسسية. كأفضل وسيلة للشركة الحقيقية، التلمذة، والنمو الروحي المؤثر. وهكذا يتم إرسال الرسالة الخاطئة. وما زالت الكنائس المؤسسية هي المهيمنة.

اختلافات أخرى

حتى وإن كانت الكنائس المؤسسية ذات مجموعات صغيرة إلا أنها ما تزال مبنية على الشاكلة الهرمية للشركات، فيه يعلم كل فرد مكانه في هذا الهيكل. وأما من هم في أعلى هذا الهرم يُدعون أنفسهم "الخدام القادة"، إلا أنهم دائماً ما يعملون كموظفين بمستوى عالي ومسؤولين عن اتخاذ قرارات هامة. وكلما تضخمت الكنيسة حجماً كلما ازدادت المسافة بين من يترأس ذلك الهرم وبين شعبه. فإن كان قسيساً حقيقياً ويمكنك أن تجعله يعترف بالحقيقة بأي لحظة، فسيُخبرك على أغلب الظن أنه كان أكثر سعادة بالماضي عندما خدم رعية صغيرة، مما عليه اليوم.

وبالمثل، الكنائس المؤسسية ذات المجموعات الصغيرة ما تزال ترفع من شأن الخدام خريجي الإكليريكية بتمييز واضح. فقيادة هذه المجموعات الصغيرة دائماً في مرتبة أدنى مُقارنةً بالمهنيين متلقي الرواتب. ودروس الكتاب المقدس دائماً ما يتم توثيقها على يد رجال الدين، حيث أنهم لا يتقوا بقيادة المجموعات الصغيرة على الكثير من السلطات. فالمجموعات الصغيرة لا يُسمح لها بممارسة العشاء الرباني أو إجراء المعمودية. فهذه المهام المقدسة محظورة فقط لقمة الطبقة الذين يحملون ألقاب وشهادات. فمن هم مدعوون للخدمة المهنية في جسد المسيح عليهم أن يذهبوا إلى مدرسة الكتاب المقدس أو الإكليريكية للتأهل لخدمة "حقيقة" وللانضمام لقمة المجموعة.

أحياناً المجموعات الصغيرة داخل الكنائس المؤسسية، هي ليست سوى خدمات كنسية صغيرة، ولا تتعدى الـ ٦٠ أو ٩٠ دقيقة، حيث يقود شخص موهوب العبادة والآخر يوثق التعليم. والمجال المتبقي للروح القدس لاستخدام الآخرين، ورفع المواهب أو تطوير الخدمات هو مجال ضيق.

عادةً لا يلتزم الناس بالمجموعات الصغيرة في الكنائس المؤسسية، فالحضور مُتقطع، ودائماً ما تصمم هذه المجموعات الصغيرة بشكل مؤقت، وكذلك العمق الجمهوري أقل من الكنائس البيئية.

والمجموعات الصغيرة في الكنائس المؤسسية دائماً ما تتقابل خلال الأسبوع لكيلا تتضارب مع زمن خدمة الكنيسة الأسبوعية. وهكذا اجتماع المجموعة الصغيرة وسط الأسبوع مُحدد بالوقت ولا يتعدى الساعتين لمن يحضره وهو شبه مستحيل على الأسر التي لها أطفالاً بالمدارس، أو ان عليهم السفر لمسافات بعيدة.

وحتى عندما تُطور الكنائس المؤسسية خدمة المجموعات الصغيرة فما زال هناك "حاجة" لمبنى مكلف النفقات. في الحقيقة وإن كانت المجموعات الصغيرة تجلب بعض الناس للكنيسة، ففي نهاية المطاف يتم تبذير الكثير من الاموال لأجل بناء البرامج. وبالإضافة إلى ذلك تنظيم المجموعات الصغيرة داخل الكنائس

المؤسسية دائماً ما يتطلب توظيف شخص مع مرتب. وهذا يعني إنفاق كمية أكبر من المال لإعداد برنامج كنسي آخر.

ولربما الأسوأ من ذلك كله، أن قُسوس الكنائس المؤسسية مُحدودون جداً لعملية صنع التلاميذ. فهم مشغولين بمسؤولياتهم ويُجدوا القليل جداً من الوقت لتلمذة الآخرين على النحو الفردي. وأقرب ما قد يصلون إليه في التلمذة هو قيادتهم لمجموعات صغيرة ولكنها دائماً محدودة تدوم لمدة شهر واحد فقط.

كل هذا لأقول إن الكنائس البيئية، حسب رأيي هي الأكثر كتابية والمؤثرة أكثر على صنع التلاميذ ومُضاعفة التلمذة. وقد استنتجت أن رأيي لن يُغيّر بسرعة كهذه عادات مترسخة منذ مئات السنين. وها أنا أُلح على القسوس في الكنائس المؤسسية أن يفعلوا شيئاً لنقل كنائسهم الى نموذج أكثر كتابي يزيد في صنع التلاميذ.^{١٩} فيمكن أن يأخذوا بالاعتبار تلمذة قادة المُستقبل أو أن يبدؤوا بالمجموعات الصغيرة. فيمكن أن يجتمعوا لـ "كنيسة يوم الأحد المبكرة" حين يكون مبني الكنيسة مُغلق ويتشارك الجميع حول وجبة في بيوتهم ويُحاولون أن يتقابلوا كما فعل المسيحيين في قرون الأولى الثلاثة من المسيحيين.

يمكن لبعض القسوس الاخذ بالاعتبار تحرير بعض المجموعات الصغيرة في كنائسهم ليشكلوا كنائس بيئية، وسنرى ما عساه يحدث. إن كانت هذه المجموعات جيدة ومُقادة بقسوس وشيوخ والأساقفة مدعويين من الله، فيمكن أن تُدار هذه الكنائس بذاتها. وعندها لن يحتاجوا بعد للكنيسة الأم، كأي كنيسة صغيرة غير مُنتمية للكنيسة الأم. لماذا لا يُحررون؟^{٢٠} فأموال الأعضاء المنصبة بصندوق الكنيسة الأم يمكن بها أن توفر لدعم قسيس الكنيسة بيئية.

هل اقتناعي بحسن الكنائس البيئية يعني أنه لا وجود لأي شيء جيد يستحق القول عن الكنائس المؤسسية؟ بالطبع لا، لطالما تعمل هذه الكنائس المؤسسية على انشاء تلاميذ مطيعين ليسوع فهم على ما يرام. لكن ومع ذلك، أحياناً ممارستهم وتنظيماتهم تشكل عوائق عظيمة من ان تكون مُساعده للوصول إلى هدف المسيح المعد لها، وهي دائماً قاتلة القسوس.

ماذا يحدث في اجتماع الكنيسة البيئية

ليس ثمت من الضرورة أن الشكل لكل كنيسة بيئية يكون مُماثلاً لكنيسة بيئية أخرى، فهناك مجالاً واسعاً للتعددية. على كل كنيسة بيئية أن تعكس ثقافتها والفروق الاجتماعية الدقيقة فيها - وهذا قد يكون سبب آخر ولحد ما أن الكنائس البيئية مؤثرة في التبشير، خاصة في الدول التي ليس بها عادات ثقافية مسيحية. فأعضاء الكنائس البيئية لا يدعون جيرانهم لمبني الكنيسة الغريب عليهم، حيث يتشاركون في شعائر غريبة عليهم - فهذه عواقب كثيرة للتحويل الديني. لا بل على العكس فإنهم يدعون جيرانهم يتشاركون معهم حول وجبة طعام مع أصدقائهم.

^{١٩} أحد أفضل التعريفات لدي لكلمة جنون هي: فعل ذات الشيء بتكرار مع الأمل في نتائج مُختلفة. فيمكن للقسوس أن يُعلموا لسنين عن مسؤولية كل عضو ليندمج في صنع تلاميذ، ولكن حتى يفعلوا شيئاً لتغيير الهيكل، الناس سيستمرون في الذهاب للكنيسة ليجلسوا، ويسمعوا ويعودوا لمنازلهم. أيها القس، إن استمررت في عمل ما يُغير الناس في الماضي، فلن يتغير الناس في المُستقبل. غير ما تفعل!

^{٢٠} بالطبع، السبب الأساسي أن العديد من القسوس عكس هذه الفكرة لأنهم هم في الحقيقة يبنون ممالكهم الخاصة، وليس مملكة الله.

فالوجبة العامة هي بشكل كبير مُكون أساسي لاجتماع الكنيسة البيئية. وبعض الكنائس البيئية تُعتبر هذه الوجبة العشاء الرباني أو تشملها، وكل فرد في الكنيسة البيئية يمكنه أن يُقرر ما هي الطريقة المثلى لإظهار أهميتها الروحية. كما ذكرنا قبلاً، أن العشاء الرباني الأول بدأ كوجبة فصيح حقيقية وكانت مفعمة برسالة روحية عظيمة. واحتفال العشاء الرباني كأنها وجبة أو جزء منها هي ممارسة لنظام أتبعه المؤمنين في الكنيسة الأولى. ونقرأ عن المسيحيين الأوليين:

وَكَانَ الْجَمِيعُ يُدَاوِمُونَ عَلَى تَلْقَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَعَلَى حَيَاةِ الشَّرَكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ.... وَيُدَاوِمُونَ عَلَى الْحُضُورِ إِلَى الْهَيْكَلِ يَوْمِيًّا بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، وَيَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ، وَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ مَعًا بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ (أعمال الرُّسل ٢: ٤٢، ٤٦).

وهكذا فإن مسيحيي الكنيسة الأولى كانوا بالفعل يتناولون الخبز، ويكسروه، ويشاركونه مع الآخرين، الامر الذي قد مورس أثناء كل وجبة طعام في تلك الثقافة. فهل من الممكن أن يُكسر الخبز أثناء تناول الطعام ليحمل بعض القيم الروحية في الكنيسة الأولى؟ الإنجيل لا يؤكد ذلك. وعلى الرغم من ذلك قد كتب وليم براسيلي في كتابه (العشاء الرباني)، "أنه لا شك أن العشاء الرباني بدأت كوجبة عائلية أو مع الأصدقاء في بيت خاص ... ففكرة القطعة الصغيرة من الخبز ورشفة الخمر ليس لها أي علاقة بالعشاء الرباني الأساسي.... وكان العشاء الرباني وجبة عائلية في منزل أصدقاء". فمن الرائع أن كانت كل كنيسة حديثة قد اتفقت مع وصف براسيلي، الا انهم ما زالوا يتبعون التقليد بدلاً من كلمة الله في هذا الأمر!

وأوصى يسوع تلاميذه ليُعلموا تلاميذهم أن يطيعوا كل ما أوصاهم به، ولذلك عندما أوصاهم أن يأكلوا الخبز ويشربوا النبيذ معاً ليتذكروا موته وقيامته، وعلموا تلاميذهم أن يفعلوا ذلك ايضاً. فهل مورس ذلك خلال تناول وجبات الطعام العامة؟ يبدو بالتأكيد أن هذا ما كان يحدث إذ نقرأ رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس:

فَحِينَ تَجْتَمِعُونَ مَعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، لَا تَجْتَمِعُونَ لِأَكْلِ عَشَاءِ الرَّبِّ،²⁰

لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَسْبِقُ غَيْرَهُ لِيَتَنَاوَلَ عَشَاءَهُ الْخَاصَّ، فَيَظِلُّ الْوَاحِدُ جَائِعًا، وَيَشْرَبُ الْآخَرُ حَتَّى يَسْكُرَ!²¹

(كورنثوس الأولى ١١: ٢٠-٢١).

كيف يمكن أن تكون لهذه الكلمات معنى إن كان يتحدث عن العشاء الرباني كما يُمارس اليوم في الكنائس الحديثة؟ هل سمع أحدكم عن مشكلة في خدمة الكنيسة الحديثة، انه أخذ شخص عشاءه أولاً وترك غيره جائعاً، في حين يسكر آخر أثناء العشاء الرباني لسوء الاستخدام؟ فإن هذه الكلمات لن يكون لها معنى الا إذا كان العشاء الرباني يُنضم في إطار وجبة حقيقية. ويكمل بولس الرسول:

أَفَلَيْسَ عِنْدَكُمْ بُيُوتٌ تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ فِيهَا؟ أَمْ إِنَّكُمْ تَحْتَوِزُونَ كَنِيسَةَ اللَّهِ وَتُهَيِّنُونَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَكُمْ؟ أَمْدَحْكُمْ؟ عَلَى هَذَا لَسْتُ أَمْدَحْكُمْ! (كورنثوس الأولى ١١: ٢٢).

كيف ممكن للبعض (الذين لا يملكون شيئاً) أن يشعروا بإهانة، الا إذا كان ذلك بسياق الوجبة الأساسية؟ بولس الرسول كان يُشير هنا إلى حقيقة أن بعض المؤمنين من أهل كورنثوس، الذين وصلوا مُبكراً لاجتماعاتهم وأكلوا طعامهم دون أن ينتظروا وصول الآخرين. وكتب بولس بعد ذلك عن العشاء الرباني، أنه سرٌّ قد "تسلمه من الرب" (كورنثوس الأولى ١١: ٢٣)، وقام بتكرار ما حدث في العشاء الرباني الأول (أنظر كورنثوس الأولى ١١: ٢٤-٢٥). وبعد ذلك حذر بولس أهل كورنثوس من خطورة تناول العشاء

الرباني عن دون استحقاق، مُبيناً أنه إن لم يُدينوا أنفسهم، فيمكنهم أن يتلقوا دينونة على أنفسهم بأشكال مُختلفة كالضعف، أو المرض، أو حتى الموت قبل الأوان (أنظر كورنثوس الأولى ١١: ٢٦-٣٢).

وأنهى حديثه:

فَيَا إِخْوَتِي، عِنْدَمَا تَجْتَمِعُونَ مَعاً لِلْأَكْلِ، انْتِظِرُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً.³³

وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ جَائِعاً فَلْيَأْكُلْ فِي بَيْتِهِ، لِكَيْ لَا يَكُونَ اجْتِمَاعُكُمْ لِلْحُكْمِ عَلَيْكُمْ. أَمَّا الْمَسَائِلُ الْآخَرَى، فَعِنْدَمَا³⁴ آتِي أُرَتِّبُهَا.

(كورنثوس الأولى ١١: ٣٣-٣٤).

التعدي الذي حدث أثناء العشاء الرباني في سياق الرسالة هو أن بعض المؤمنون لم يأخذوا بعين الاعتبار مؤمنين آخرين. وحذر بولس الرسول أولئك الذين يأكلون عشاءهم متقدمين على غيرهم، في حين كان ينبغي أن يتشاركوا سوياً تناول الوجبة المشتركة. فكانوا في خطر الدينونة (أو التأديب) من الله. والحل بسيط وهو إن كان أحد يشعر بالجوع ولا يستطيع الانتظار للآخرين، عليه عندها أن يأكل في بيته قبل الحضور إلى الاجتماع. وهكذا على الحاضرين باكراً أن ينتظروا من بطريقهم للاجتماع، فالوجبة كانت العشاء الرباني أو أنها اشتملته.

وعندما تلقى نظرة على هذه الفقرة بأكملها، سيتضح لنا قصد بولس عندما قال أن تناول العشاء الرباني يجب أن يتم بطريقة لائقة مرضية للرب، تعكس المحبة الأخوية والتقدير لبعضنا البعض. وعلى أي حال، فهو امر واضح كالشمس في الظهيرة أن الكنيسة الأولى كانت تُمارس العشاء الرباني كجزء من الوجبة العامة في البيوت، ولم تكن مشروطة بحضور قسوس رسميين. فلماذا لا نفعل نحن ذلك؟

الخبز والنبذ

لا تعتبر العناصر الطبيعية للعشاء الرباني المكون الأساسي. وإن كنا نسعى للتقليد الامثل للعشاء الرباني، فعلينا أن نعرف المكونات المحددة من الخبز ونوع العنب الذي يُصنع منه النبيذ. (على فكرة، بعض أباء الكنيسة في العقود الأولى شددوا على ضرورة خلط النبيذ بالماء، وإلا فلن يكون العشاء المُقدس قد مورس بالشكل الصحيح).

الخبز والنبيذ كانا أكثر العناصر شهرة بوجبات اليهود القديمة. فقد أعطي يسوع قيمة لهذين العنصرين باعتبارهما كانا مألوفين على نحو واسع وقتها، فكانا أطعمة معروفة للجميع بما أنها تشكل جزءاً من عاداتهم اليومية. وإن كان قد زار ثقافة أخرى في زمن آخر من التاريخ، لكاد العشاء الرباني الأول ليشمل الجبن ولبن الماعز، أو فطائر الأرز وعصير الأناناس. ولذلك يمكن تقديم أي نوع من الطعام أو الشراب كجسده ودمه أثناء وجبة طعام عامة يتشارك بها جميع تلاميذه. الامر المهم هو القيمة الروحية. دعونا لا نهمل روح الناموس بينما ننجح بالحفاظ على حرفيته!

ليس من الضروري أن تكون وجبات الطعام العامة المشتركة رسمية "وَيُذَاوُمُونَ عَلَى الْخُضُورِ إِلَى الْهَيْكَلِ يَوْمِيًّا بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، وَيَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُبُوتِ، وَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ مَعًا بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ" (أعمال الرسل ٢: ٤٦). فالجدية بالتأكيد جديرة أثناء الجزئية من الوجبة عندما يتم تذكّر تضحية يسوع وتناول عناصرها. والامتحان الذاتي للنفس دائماً مناسباً قبل أخذ العشاء الرباني، كما أشار وشدد بولس الرسول في كلماته المُنذرة لأهل كورنثوس للمؤمنين في كورنثوس الأولى ١١: ٣٤. وأي تعدي على وصايا المسيح بأن نحب بعضنا البعض فهي دعوة لدينونة الله. فأَي صراع كان أو انقسام يجب أن يحل وينهى قبل الوجبة. كل مؤمن يجب أن يُختبر نفسه ويعترف بخطاياها، وهذا مُساوٍ لكلمات بولس الرسول "اختبروا أنفسكم".

الروح التي تتجلى من خلال الجسد

يمكن للوجبة المشتركة أن تُقام قبل أو بعد العبادة، التعليم، وتقديم العطايا. وذلك يتعلق بكل كنيسة بيتية على حدة بأن تُحدد نظامها الخاص، فالنظام مُمكن أن يختلف من مجموعة لأخرى في إطار الكنيسة البيتية ذاتها.

ومن الواضح جداً على ضوء الكتاب المقدس أن اجتماعات الكنيسة الأولى كانت تختلف عن اجتماعات خدمة الكنيسة المؤسسية الحديثة. وعلى وجه الخصوص في كورنثوس الأولى ١١-١٤ يزودنا الرسول بولس بمعلومات وفيرة عما جرى في حين أُجتمعت المسيحيون الأوائل، وليس من سبب لنعتقد بأننا لا نستطيع إتباعه اليوم. وانه لمن الواضح أيضاً أن اجتماعات الكنيسة الأولى كما وصفها بولس الرسول حدثت بتجمعات لمجموعة صغيرة. فما وصفه بولس الرسول لا يمكن أن يُتخذ حقاً في المُجمعات الكبيرة.

والا فساكون الأول لأعترف أنني لا أفهم كل ما كتبه بولس الرسول في الإصحاحات الأربع من كورنثوس الأولى. وعلى الرغم من ذلك، يتضح أن معظم المواصفات الواضحة والخاصة بالاجتماعات الموصوفة في كورنثوس الأولى من اصحاب ١١ إلى ١٤، عندما حضر الروح القدس بينهم وتجلي من خلال أعضاء الجسد. وقد أعطى مواهباً لأفراد لأجل إنارة جسد المسيح بأكمله.

وقد أدرج بولس الرسول على الأقل تسعة عطايا روحية: النبوة، والألسنة، وتفسير الألسنة، وكلمة المعرفة، وكلمة الحكمة، وموهبة الأرواح، وعطايا الشفاء، والإيمان، وعمل المُعجزات. ولم يذكر أن كل تلك العطايا كانت تظهر في كل اجتماع، على انه أكد على إمكانية ذلك. ولخص بعض الظواهر المعروفة للروح القدس في كورنثوس الأولى ١٤: ٢٦:

فَمَا الْعَمَلُ إِذَنْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ؟ كُلَّمَا تَجْتَمِعُونَ مَعًا، سَيَكُونُ لِكُلِّ مِنْكُمْ مَرْمُورٌ، أَوْ تَعْلِيمٌ، أَوْ كَلَامٌ بِلُغَةٍ مَجْهُولَةٍ، أَوْ إِعْلَانٌ، أَوْ تَرْجَمَةٌ. فَلْيَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ بِهَدَفِ الْبُنْيَانِ.

دعونا نُلقي نظرة على خمسة من هذه المظاهر المعروفة، والتي سنتحدث عنها في فصل لاحق بالتفصيل، وسنطلع عندها على المواهب الروحية التسعة، المذكورة في كورنثوس الأولى إصحاح ١٢: ٨-١٠.

أول ما في القائمة هو المزامير. فالمزامير المُلقاة بالروح يذكرها بولس في رسالتين للكنائس، موضحاً مكانتهما في اجتماعات المسيحيين.

لَا تَسْكُرُوا بِالْخَمَرِ، فَفِيهَا الْخَلَاعَةُ، وَإِنَّمَا امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، 18

مُحَدِّثِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَنَاشِيدَ رُوحِيَّةٍ، مُرْتَمِينَ وَمُرْتَلِينَ بِقُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ؛^{١٩}
(أفسس ٥: ١٨-١٩).

لِنَسْكُنْ كَلِمَةَ الْمَسِيحِ فِي دَاخِلِكُمْ بِغْنَى، فِي كُلِّ حِكْمَةٍ، مُعَلِّمِينَ وَوَاعِظِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، مُرْتَمِينَ بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَنَاشِيدَ رُوحِيَّةٍ فِي قُلُوبِكُمْ لِلَّهِ، رَافِعِينَ لَهُ الْحَمْدَ (كولوسي ٣: ١٦).

فالاختلاف بين المزامير والترانيم والأغاني الروحية غير واضح، ولكن النقطة الأساسية هنا أنها كلها مسندة على أساس كلمات المسيح، وأنها كتبت بإيحاء الروح، وعلى المؤمنين أن يغنوها وليعلموا وليعضون بعضهم البعض. وبالطبع أن العديد من الترانيم التي رنمها المؤمنون على مر السنين من تاريخ الكنيسة تخضع لهذا النطاق. ولكن ولسوء الحظ، الكثير من الترانيم الحديثة تنقصها العمق الكتابي، يعني أنها ليست من الروح القدس، وهي أغاني فارغة، وليس لها أي قيمة حقيقية لتعليم ووعظ المؤمنين. وبالمقابل عندما يجتمع المؤمنون في الكنائس البيئية عليهم التوقع بأن الروح القدس لا يدعو أفراداً مُعينين أخصائيين وحسب لقيادة الترانيم المسيحية القديمة والجديدة، ولكنه يمنح أغاني لبعض الأعضاء الذين يمكنهم أن يستخدمونها لأجل التنوير العام. كم هو رائع أن تكون للكنيسة ترانيمها الموحى من الروح والخاصة بها!

التعليم

الأمر الثاني الذي ذكره بولس في قائمته هو التعليم. ولمرة أخرى هذا يُشير إلى أن كل شخص يمكنه أن يُشارك بحصته من التعليم شريطة أن يكون مُقادراً بالروح القدس، وذلك في كل اجتماع. وبالطبع سيُقيم كل تعليم لتؤكد من أنه يتمثل وتعاليم الرسل (كما كان كل منهم مُكرساً نفسه لذلك: أنظر أعمال الرسل ٢: ٤٢) وهذا ما علينا فعله اليوم أيضاً. ولكن الجدير بالملاحظة، عدم وجود أي إشارة هنا أو في أي مكان آخر في العهد الجديد بأن شخصاً واحداً فقط مخولٌ على إقامة الوعظ حين تجتمع الكنيسة المحلية في كل أسبوع، سائداً على الاجتماع.

وقت ذاك كان في أورشليم تجمعات كبيرة في الهيكل حيث علّم الرسل. فنحن نعلم أن الشيوخ كانوا قد أعطوا مسؤولية التعليم في الكنائس، وأن بعض الناس دعوتهم هي خدمة التعليم. فعلم بولس الرسول الكثير للعامة ومن بيت لبيت (أنظر أعمال الرسل ٢٠: ٢٠). بينما في الاجتماعات الصغيرة للمؤمنين قد يستخدم الروح القدس أناساً آخرين ليُعلموا إلى جانب الرسل، والشيوخ والمُعلمين.

يبدو أننا محظوظون أكثر من الكنيسة الأولى بمجال التعليم حيث يمكن لجميعنا أن يحضر كتابه المقدس الشخصي إلى الاجتماع. ولكن من ناحية أخرى، لربما سهولة حصولنا على كتابنا المقدس الشخصي ساعدنا على رفع العقيدة فوق محبة الله من كل قلوبنا ومحبة جيراننا كأنفسنا، سرقتنا من الحياة التي قصدتها كلمة الله لنا. فقد أصبحنا محددين بالعقيدة للغاية. والعديد من المجموعات الصغيرة لدراسة الكتاب المقدس دائماً ما تبدو غير نافعة ومملة كعظات أيام الأحاد. والقانون الجيد يجب أن يُتبع بشأن التعليم في الكنائس البيئية وهو: إن كان الأطفال الكبار لا يخافون إخفاء شعورهم بالضجر، فلعل البالغون هم من يخفونه. فإن للأطفال بالحقيقة دائماً المعيار الامثل لقياس الضجر.

الإعلان

ثالث ما ذكره بولس في قائمته هو "الإعلان". وهذا قد يعني أي شيء يعلنه الله لأي عضو في جسد المسيح. فعلي سبيل المثال، قد ذكر بولس الرسول على وجه التحدي أنه مُمكن لغير المؤمن أن يزور اجتماع مسيحي "ويتم الكشف عن خفايا قلبه" عن طريق موهبة النبوة. والنتيجة أنه "سيقتنع" ويتخذ ما قد أعلن له على محمل الجد" فسيستقط على وجهه ويعبد الله، مُعلنًا إيمانه بالله في وسطكم". (كورنثوس الأولي ١٤: ٢٥-٢٤).

ونرى هنا ولمرة أخرى أن الحضور الحقيقي للروح القدس هو سمة متوقعة في اجتماعات الكنائس، ولربما تحدث أشياء غير عادية (فوق طبيعية) بفضل حضور الروح القدس. فالمسيحيين الأولين قد آمنوا حقاً بوعده يسوع: " فَإِنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي، فَأَنَا أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (متي ١٨: ٢٠). وإن كان يسوع ذاته في وسطهم، فمن الممكن أن تحدث معجزات. فهم حقاً " تَعْبُدُوا بِرُوحِ اللَّهِ" (فيلبي ٣: ٣).

وعلى أي حال، النبوة التي سأحدث عنها قريباً، قد تحتوي على إعلان عن قلوب الناس. ولكن الإعلانات ممكن أن تُعطى عن أمور أخرى وبطرق مختلفة، مثلاً من خلال الأحلام أو الرؤي (أعمال الرُّسل ٢: ١٧).

الأسنة والتفسير

رابع ما ذكره بولس الرسول في قائمته كانتا موهبتان تعملان معاً يد بيد، وهما الأسنة وتفسير الأسنة. كان في كنيسة كورنثوس إفراط وسوء في الاستخدام للتكلم بالأسنة. فكانوا يتكلمون بالأسنة خلال اجتماعات الكنيسة ولم تكن هناك تفاسير ولذلك فلم يدري أحد من الحضور عما تُكلم به. وقد نتعجب لماذا نلقي اللوم على أهل كورنثوس، في حين يبدو وكأنه ذلك كان خطأ الروح القدس بإعطاء البعض موهبة التكلم بالأسنة دون أن يعطي آخرين موهبة التفسير. وهناك الإجابة المُقنعة لهذا السؤال، وسأتكلم عن ذلك في فصل لاحق. وعلى أي حال لم يمنع بولس التكلم بالأسنة (كما يمنعوه في العديد من الكنائس المؤسسية). ولكنه مَنَعَ الامتناع عن التكلم بالأسنة، وأعلن عنها لتكون وصية ربانية (انظر كورنثوس الأولي ١٤: ٣٧-٣٩)!^{٢١} فكانت موهبة لتتویر الجسد وثقوية حضور الله بشكل غير عادي في وسطهم، حين أُستخدِمت بطريقة صحيحة. وكان الله يتكلم من خلال الناس، مُذكراً إياهم بحقيقته وإرادته.

^{٢١} أنا على علم بالطبع أنه هناك هؤلاء الذين ينكرون المظاهر الخارقة للروح القدس في القرن الأول، وهو الوقت الذي من المفروض أنها توقفت. وهكذا ليس هناك سبب للسعي لما اختبرته الكنيسة الأولى، والتحدث بالأسنة لم يعد مُتاح. وأنا لذي تعاطف مع بعض الناس الذين يسلكون كصدوقيين العصر الحديث. كما فعلت في مواقف عديدة من شكر الله باليابانية طبقاً لما قاله مُحدثي اليابانية الذين سمعوني، وأنا لم أتعلم اليابانية، فأعرف هذه العطايا لا تتوقف أن تُعطى من الروح القدس. أنا أيضاً أتساءل لما الصدوقيين استمروا في دعوة الروح القدس، وأدانوا وجددوا الخُطاة، ولكن أنكروا عمل الروح القدس فيما هو أبعد من هذه المعجزات. وهذا النوع من اللاهوت هو نتاج عدم إيمان البشرية وعدم الطاعة، وليس له أي دعم كتابي، وتعمل في الحقيقة في الحقيقة يعمل ضد هدف المسيح. فهي معصية مُباشرة للمسيح طبقاً لما كتبه بولس في كورنثوس الأولي ١٤: ٣٧.

وأكد بولس في الاصحاح ١٤ ورفع من شأن التنبؤ ليفوق بأهميته على التكلم بألسنة الغير مُفسرة. وقد شجع أهل كورنثوس على التنبؤ مُشيراً إلى أن عطايا الروح ممكن أن تعطى لكل من يُريدونها. وكذلك نُصح بولس أهل تسالونيكي من المؤمنين "لَا تُخْمِدُوا الرُّوحَ" (تسالونيكي الأولى ٥: ١٩). وهذا ليُشير إلى أنه يُمكن للمؤمنين إخماد الروح عن طريق اتخاذ السلوك الخاطئ تجاه موهبة النبوة. لهذا وبدون أدنى شك نرى أنَّ موهبة التنبؤ نادرة وسط المؤمنين في هذه الأيام.

كيف تبدأها

يتم إنشاء الكنائس البيئية بالروح القدس على يد مؤسس الكنيسة البيئية أو أحد شيوخ، القسوس، أو الأساقفة ممن أُعطى رؤية من الله للكنيسة البيئية. وتذكروا أن الشيخ، القسيس، أو الأسقف الكتابي يمكن أن يكون من يُدعى الخادم في الكنيسة المؤسسية. التعليم الرسمي ليس بالحاجة الملحة على مؤسس الكنيسة البيئية لمباشرة الخدمة.

وحين تُعطى الرؤيا لمؤسس الكنيسة البيئية بالروح القدس عندها يحتاج لأن يسأل الرب لأجل آخرين على رجاء أن ينضموا إليه. وسيضع الله بطريقه أشخاص أصحاب رؤى مُشابهة، مؤكدين قيادته. أو أنه لربما يُقاد غير مؤمنين مُتقبلين ومن هنا يمكنه أن يقودهم للمسيح وبعدها يُتلمذوا في الكنيسة البيئية.

على هؤلاء المُقبلين على مُغامرة بدء كنيسة بيئية، أن يأخذوا بعين الاعتبار أن ذلك قد يستغرق بعض الوقت الى أن يشعر أعضائها باطمئنان تجاه بعضهم البعض وليتعلّموا أن يتقاربوا بعضهم لبعض بالروح. ومن الطبيعي أنه سيواجهون التجارب أو أي مجال للخطأ على طوال الطريق. وستُعتبر مفاهيم المُشاركة الجماعية لكل عضو، وقيادة الخادم الكتابي، والشيوخ المُعدين، وقيادة الروح القدس والموهب، والوجبة المُشتركة، والبيئة الغير رسمية ولكن روحية، غريبة على هؤلاء المُعتادين على نظام خدمات الكنيسة المؤسسية. ولذلك فإنه من الحكمة الاستئثار بالنعمة والصبر أثناء عملية ميلاد الكنيسة البيئية الجديدة. قد يكون الشكل الأولي للكنيسة البيئية يبدو كدراسة للكتاب المُقدس في المنزل، بقيادة شخص، ومُشاركة آخر في التعليم، وإنهاء الوقت بفرصة للصلاة الجماعية ووجبة طعام. ومع ذلك، فالشكل الكتابي للكنائس البيئية تُدرس من قبل المجموعة، وعلى الشيخ، القس، الأسقف أن يُشجعوا الأعضاء على السعي لما هو الأفضل بعيني الله. وبعدها ليستمتعوا بالشركة!

يمكن لاجتماعات الكنيسة البيئية أن تُقام في أواخر كل أسبوع في بيوت الأعضاء بالتناوب، ويمكن أيضاً لأحد الافراد أن يفتح بيته للمُقابلة الأسبوعية. فبعض الكنائس البيئية من حين لآخر تختار مواقع خارج المنزل للمُقابلة عندما يكون الطقس لطيف. وليس من اللازم ان موعد الاجتماع يكون حصراً صباح يوم الأحد، ولكن بالوقت الذي يُناسب الأعضاء. وفي النهاية، الأفضل أن تبدأ صغيراً بعدد لا يزيد عن الاثني عشر عضواً في الكنيسة البيئية.

عملية التحول من كنيسة مؤسسية الى كنيسة بيتية

أعتقد أن معظم القسوس الذين يقرأون هذا الكتاب هم على الأرجح يعملون في إطار الكنائس المؤسسية، ولربما أنت عزيزي القارئ واحداً منهم. فإن لمست الحس الداخلي بك الذي يتمني هذا النوع من الكنائس التي وصفتها، فهذا يعني أنك تتساءل كيف تنتقل. دعني أشجعك لأن تأخذ وقتك بالراحة وأن تبدأ بتعليم الحقائق الكتابية فقط وأفعل ما في بوسعك داخل إطار عملك الحالي لتصنع تلاميذاً يُطيعون وصايا يسوع. فلدَى التلاميذ الحقيقيين إرادة تفوق ارادتك للتحول إلى كنيسة ذات تشكيل كتابي مفهوم لهم. أما الجداء ورجال الدين على أغلب الظن سيُقاومون أي تغيير.

ثانياً، أدرس ما يقوله الكتاب المقدس عن هذا الموضوع وعلم رعبك على أهمية بنية الكنيسة البيتية وبركتها الموروثة. ويمكنك في نهاية المطاف أن تلغي خدمة وسط الأسبوع أو مساء يوم الأحد في الكنيسة وتحوله إلى اجتماعات خلايا أسبوعية في بيوت يشرف عليها مؤمنون ناضجون. شجعوا بعضكم البعض على الحضور. وبشكل دائم اعملوا على تقريب هذا النمط من الاجتماعات الى النموذج الكتابي للكنائس البيتية على قدر المستطاع. ومن ثم دع الوقت للناس سيبدوون بالاستمتاع ببركات مجموعتهم الصغيرة.

وحين يستمتع الجميع بالاجتماعات البيتية، يمكنك أن تُعلن عن يوم الأحد من آحاد الشهر القادم ليكون يوم "أحد الكنيسة الأولى". بذلك الأحد سيتم إغلاق مبني الكنيسة وسيقابل الجميع في البيوت كما كان في الكنيسة الأولى، يستمتعوا معاً بوجبة طعام كاملة، والعشاء الرباني، والصداقة، والصلاة، والعبادة، ومُشاركة التعليم والعطايا الروحية. وإن نجحت، فيمكنك فعل هذا في يوم أحد مرة كل شهر، وبعدها بأحاديث، وبعدها بثلاثة آحاد. وأخيراً يمكنك أن تدع كل مجموعة أن تصبح كنيسة بيتية مُستقلة، حرة لتنمو وتتكاثر، وربما يجتمعون معاً في اجتماعات موسعة مرة كل شهرين. هذه العملية الانتقالية لربما تستغرق ما بين سنة أو سنتين.

أو إذا أردت الشروع ببداية حذرة أكثر، فيمكنك أن تبدأ باجتماع بيتي واحد مع عدد قليل من الأعضاء والمُهتمين، الذين يمكنك أن تقودهم بنفسك. (ومرة أخرى اكرر، يمكن للكنائس البيتية أن تجتمع بأي يوم من أيام الأسبوع، ليس حصراً صباح أيام الآحاد). فيمكن تقديمها كتجربة، وبالتأكيد فإنها اختبار تعليمي للجميع. إذا نجحت عندها اختار لها مُشرفاً ودع هذه المجموعة لتصبح كنيسة مُستقلة، التي سشارك الكنيسة المؤسسية في خدمة يوم الأحد مرة كل شهر. وبهذه الطريقة الكنيسة الجديدة ستكون جزءاً من الكنيسة الأم، ولن تُقذف بالانتقادات السلبية من قبل الذين ما زالوا جزءاً من الكنائس المؤسسية. فمن الممكن أن يُساعد هذا على إقناع آخرين من الكنيسة للأخذ بالاعتبار إمكانية أن يصبحوا جزءاً من كنيسة بيتية أخرى، يتم تأسيسها على يد الكنيسة المؤسسية.

وإذا نمت المجموعة الأولى وقُسمت بخشوع حيث كل من المجموعتين لديهما قادة ومواهب روحية بِنَاء وسط أعضائها. ويمكن للمجموعتين أن يتقابلا في احتفالات كبيرة في مناسبات يُتفق عليها، قد تكون مرة كل شهر أو مرة كل ثلاثة أشهر.

وبغض النظر عن الطريق الذي تتخذه دع عينيك نصب الهدف حتى وإن واجهتك بعض من خيبات الأمل القليلة أحياناً ولكنها أحياناً قد تكون كثيرة من كل جانب. فالكنائس البيتية تتكون من أناس والناس يتسببون بخلق المشاكل. فلا تستسلم.

فمن المُستحيل الانتقال الى هذا النموذج الجديد من الكنائس البيئية سيحظى بقبول كل شعب الكنيسة المؤسسية، ولذلك فأنت بحاجة أن تُقرر عند نُقطة مُعينة أنك ستبدأ شخصياً بالمبادرة وستُكرس وقتك بأكمله لكنيسة بيئية أو مجموعة من الكنائس البيئية، تاركاً الكنيسة المؤسسية من ورائك. وسيكون ذلك يوم عظيماً لك!

الكنيسة المثالية

هل يمكن أن يكون قسيس الكنيسة البيئية أكثر نجاحاً في عيني الله من قسيس لكنيسة كبيرة ذات مبنى عظيم وآلاف الحضور كل يوم أحد؟ نعم، شريطة أن يعمل على ازدياد عدد التلاميذ المُطيعين والمُتلمذيين، مَنْ يتبعون نموذج يسوع، على العكس من اجتماع لجداء روحانيين، مرة كل أسبوع، لمشاهدة حفلة والاستماع لعظة مُمتعة كُرس لها بضع آيات خارج سياق الكتاب المُقدس.

فالقسيس الذي يشد العزم على اتباع نموذج الكنيسة البيئية لن يحصل على رعية كبيرة خاصة به. ولكن على المدى البعيد، سيحصل على ثمار دائمة، عندما يصنع تلاميذه تلاميذاً. فالقسوس ذوي الرعايا الصغيرة بعدد ما بين ٤٠ الى ٥٠ فرداً والذين يسعون لأجل تضخيم الرعية هم بحاجة لتعديل طريقة تفكيرهم إذ لربما كنائسهم الحالية كبيرة جداً. ولربما عليهم أن يتوقفوا عن الصلاة لأجل مبنى أكبر، بل ليثم يسعون للصلاة لاختيار أشخاص قادرين على قيادة كنيستين بيئيتين جديديتين (من فضلك، عندما يحدث هذا، لا تعطي هذه المجموعة أسم طائفة جديدة. ولا تعطي لنفسك لقب أسقف!)

فعندما نتحدث عن الكنائس نحن بحاجة لمحي ذلك التفكير أن الأكبر هو الأفضل. إذا أردنا أن نحكم على أساس كتابي فإن الرعية المكونة من مئات المُشاهدين غير المُتلمذيين الذين يتقابلون في مباني لهم أمر بغاية الغرابة. وإن زار أي من الرُسل الأولين الكنائس المؤسسية الحديثة، لأدهشوا من غرابة المنظر!

اعتراض آخر

دائماً ما يُقال إن العالم الغربي حيث قد اصبحت المسيحية جزء من الثقافة، وعليه لن يقبل الناس هناك فكرة اجتماع الكنيسة في بيت. وبالتالي بناءً على هذا المنطق، يجب أن نستمر بممارسة نموذج الكنيسة المؤسسية.

أولاً، تم اثبات أن هذا الادعاء غير صحيح، حيث أن حركة الكنيسة البيئية آخذة بالازدياد وبسرعة فائقة في العالم الغربي.

ثانياً، الناس يتقابلون بترحاب في بيوتهم للحفلات، الوجبات، للشركة، دراسة كتاب مُقدس ومجموعات الخلايا البيئية. فقبول فكرة كنيسة في المنزل يحتاج إلى تغيير بسيط على التفكير.

ثالثاً، أن رجال الدين "الجداء الروحيين"، حقاً لن يقبلوا فكرة الكنائس البيئية. ولن يرفعوا إصبعاً لتغيير أي شيء مخافة ظهورهم كغريبي الأطوار في أعين جيرانهم. ولكن التلاميذ الحقيقيين ليسوع المسيح يقبلون بكل تأكيد فكرة الكنائس البيئية عندما يفهمون أساسها الكتابي. ويكتشفون بسرعة أن مباني الكنائس غير ضرورية للتلمذة. فإذا أردت أن تبني كنيسة كبيرة "بالخشب والتين والقش" (كورنثوس الأولي ٣: ١٢)، فإنك بحاجة لمبانٍ، ولكنها ستحترق في النهاية. ولكن إن أردت أن تزيد من عدد التلاميذ وصانعي التلاميذ، تعمل على بناء كنيسة يسوع المسيح "بذهب وفضة وأحجار كريمة"، وعندها فلن تحتاج لإنفاق المال والطاقة على المباني.

من الممتع أن أعظم حركات التبشير تأثيراً في العالم اليوم، حركة "العودة لأورشليم" في الكنائس لبيئية الصينية، قد طورت استراتيجية مُعينة لتبشير نافذة ٤٠/١٠ (المساحة الجغرافية الممتدة ما بين خطوط العرض ١٠ و ٤٠ من الكرة الأرضية). يقولون "نحن لا نرغب ببناء ولا حتى بناية كنيسة واحدة في أي مكان! وهذا يسمح لانتشار الإنجيل بشكل أسرع، وهذا يصعب على السلطات عن اكتشافها، ويسمح لنا أن نستثمر كل مصادرها مباشرة على خدمة الكتاب المُقدس".^{٢٢} وهذا مثال حكيم وكتابي لتتبعه!

^{٢٢} الأخ يون، العودة لأورشليم صفحة ٥٨.

الفصل الخامس

تنمية الكنيسة

Church Growth

وهكذا أنت قسيس وتريد لكنيستك النمو. هذه رغبة شائعة عامة بين القسوس. ولكن السؤال لماذا تريد لكنيستك أن تنمو؟ ما هو السبب وراء ذلك بكل أمانة ومن اعماق قلبك؟

هل تريد لكنيستك النمو العددي لكي تشعر بأنك ناجح؟ أم تريد ذلك لتشعر بأن لك قيمة كشخص له وزنه وتأثيره؟ هل تريد التمتع بفرض السلطة على الناس؟ هل تأمل بأن تجني الثراء؟ اسمح لي أن أقول لك إن كانت أي من الأسباب المذكورة أعلاه تراودك، فذلك سيكون دافع خاطئاً لرغبتك في نمو الكنيسة.

ولكن إذا أردت لكنيستك النمو لأجل تمجيد أسم الله حيث حياة الافراد آخذ بالتغيير المتزايد بفضل عمل الروح القدس، عندها ذلك سيكون الدافع السليم في رغبتك لنمو الكنيسة.

ومن الممكن بالطبع أن نخدع أنفسنا، مُعتقدين أن دوافعنا كلها صادقة ولكن في حقيقة الأمر قد نكون أنانيين.

كيف يمكننا أن نعرف ما هي دوافعنا الحقيقية؟ كيف يمكننا أن نتأكد إن كنا حقاً نريد أن نبني ملكوت الله أم ببساطة نسعى لبناء مملكتنا الذاتية؟

هناك طريقة واحدة للاختبار الذاتي وهي أن نلاحظ موقفنا الداخلي تجاه نجاح قسوس آخرين. إذا اعتقدنا أن دوافعنا خالصة، وإن فكرنا بكل أمانة أنّ ملكوت الله ونمو كنيسته هما كل ما نريده، في حين نكتشف بعض العداوة والغيرة بخفايا قلوبنا عندما نسمع عن نمو كنائس أخرى، ذلك يبين أن دوافعنا غير صادقة، وذلك سيوضح أننا في الحقيقة غير مُهتمين بنمو الكنيسة، ولكن جُل اهتمامنا هو نمو كنائسنا الخاصة بنا. ولماذا؟ ذلك لأن دوافعنا ولحد ما ذاتية جزئياً.

كما ويمكننا أيضاً أن نلاحظ رد فعلنا حين نسمع عن بدأ كنيسة جديدة في منطقتنا. إن شعرنا وكأننا مُهددون، تلك هي إشارة تدل على أن كل اهتمامنا مركزٌ بحدود مملكتنا الذاتية وليس على ملكوت الله.

يمكن لقسوس الكنائس الكبيرة أو النامية على حد سواء أيضاً أن يختبروا دوافعهم بالطريقة ذاتها. وستلاحظ القسيس الذي يسعى لبناء كنيسته لأجل مجده الذاتي، أنه سيستجوب قسيساً آخرأ وقد يكون تساؤله كالتالي: "هل تعتبر زرع كنائس جديدة عن طريق سلبك لقادة مؤثرين وشخصيات من رعيتي، الامر الذي يعكس على انخفاض بعدد رعيتي؟" فذلك القس الذي يُعارض بقوة هذه الفكرة هو من يسعى لبناء كنيسته لأجل مجده الذاتي. (وبالمقابل، قسيس الكنيسة الكبيرة يمكنه أن يزرع كنائس جديدة أيضاً لمجده الشخصي، ليفتخر بعدد الكنائس التي ولدتها كنيسته.) وآخر قد يسأل نفسه "هل لي أن أتعامل مع هؤلاء القسوس ذوي الكنائس الصغيرة أم لعلّي أبتعد عنهم، متعالياً عليهم؟" أو "هل لي أن أقود كنيسة من عشر أو عشرون شخصاً في كنيسة بيتية، ألن يكون ذلك صعباً لغروري أن يتحمّله؟"^{٢٣}

^{٢٣} هناك ميزة أخرى للكنيسة البيتية – القسوس لا يسعون لرعية كبيرة للأسباب الخاطئة، لأن حجم الرعية مُحدد بحجم البيت.

تيار نمو الكنيسة

هناك أقسام بأكملها بالمكتبات المسيحية في أمريكا وكندا، وعادةً ما تكون هناك رفوف مملوءة بكتب تتكلم عن نمو الكنيسة. وهذه الكتب والمفاهيم التي يتحملها قد شاعت في جميع أنحاء المسكونة. القسوس جياح للتقدم بالمعرفة عن كيفية زيادة الحضور في كنائسهم، وعادةً ما يتقبلون بلهفة نصائح قسوس الكنائس الضخمة ويتبنوها، المعترين النجاح على قدر حجم مبانيهم وعدد الحضور في خدمة صباح أيام الأحد.

لكن من له ولو القليل من الفطنة، لأدرك أن عدد الحضور وحجم مبنى الكنيسة ليس بالضرورة مؤشراً على جودة التلمذة. فقد نمت بعض الكنائس الأمريكية بفضل عقائدها الجذابة المنحرفة عن الحقيقة الكتابية بل تتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس جملة وتفصيلاً. لقد تحدثت شخصياً مع قسوس حول العالم، وقد صُدموا عندما علموا أن القسوس الأمريكيان يؤمنون ويعلنون أنه عندما يخلص الإنسان، لا يمكنه أن يخسر خلاصه بغض النظر عما يؤمن به أو كيف يُعيش حياته. وبما شابه ذلك، العديد من القسوس ينشرون إنجيلاً سلساً لنعمة رخيصة، قائلين الناس للاعتقاد أنهم ضمنوا ربح السماء بدون قداسة. والبعض وعددهم ليس بالقليل يعلنون انجيل الرفاهية، ليدعموا جشع من يُعتبر دينهم ليس الا وسيلة لزيادة كنوزهم على الأرض. فلا يجدر بنا أن نُقلد تقنية هؤلاء القسوس ولا خبراتهم في نمو الكنيسة.

ولقد قرأت بدوري عدداً من الكتب المختصة بموضوع نمو الكنيسة، وينتابني شعور الحيرة إزائها. فالعديد منها تحتوي على تقنيات ونصائح تبدو كتابية لحد ما، وهذا ما يجعلها تستحق القراءة. الا ان كل هذه الكتب على حد التقريب مبنية على نموذج الكنيسة المؤسسية ابنة الـ ١٧٠٠ سنة، بدلاً من ان تميل الى نموذج الكنيسة الكتابية. ولا يتم التركيز بمحتواها على بناء جسد المسيح بتكاثر وتعدد التلاميذ وصانعي التلاميذ، بل تتمحور كلها على بناء جماعات فردية مؤسسية، والتي دائماً ما تحتاج إلى مباني أكبر، عاملين مُتخصصين في الكنائس، وهيكل نظامي شبيه بنظام العمل العام بدلاً من أن يكون على شاكلة النظام العائلي.

بعض التقنيات الاستراتيجية لنمو الكنيسة الحديثة لأجل السعي فقط نحو زيادة عدد الحضور، لذلك يقدمون خدمات الكنسية لان تعمل على اجتذاب من لا يريدون أن يتبعوا يسوع. فينصحون بعظات قصيرة فقط، عبادة غير مُعبّرة، الكثير من النشاطات الاجتماعية، وهذا لا ينتج أي شيء لصنع التلاميذ الذين ينكرون ذواتهم ويُطيعون وصايا المسيح. ولكنها تنتج مُعتنقين يحسبون أنفسهم مسيحيين، الا انهم لا يمتازون بشيء عن العالم وهم بطريقهم الواسعة للجحيم. هذه ليست تقنية الله لربح العالم بل هي تقنية الشيطان لربح الكنيسة. فذلك ليس بـ "نمو الكنيسة" بل "نمو العالم".

نموذج الساعي الحساس

إحدى التقنيات لنمو الكنيسة الأمريكية وأشهرها تدعى، نموذج الساعي الحساس. وبحسب هذه التقنية، تصمم خدمات صباح أيام الأحد على نحو (١) تُشعر المسيحيون براحة لدعوة أصدقائهم الغير المُخلصين، (٢) أن تُسمع غير المُخلصين الإنجيل بطريقة غير جارحة بطريقة يمكنهم فهمها والتعلق بها. اما خدمات وسط الأسبوع فهي عبارة عن مجموعات صغيرة مُخصصة لتلمذة المؤمنين.

وبهذه الوسيلة نمت بعض الكنائس الفردية بشكل هائل. من بين الكنائس الأمريكية المؤسسية، لربما تبدو هذا النهج يثير حماساً عظيماً للتبشير وتلمذة الناس، لطالما أن كل فرد مُندمج في مجموعته الصغيرة (في أغلب الأحيان ليسوا كذلك) وتلمذتهم هناك، لطالما أنه ليس هناك أي تطرأ للكتاب المقدس (وهذا ما يحدث دائماً إن كان الهدف هو عدم التجريح، لأن الإنجيل الحقيقي جارح للكرامة الإنسانية). على الأقل كنائس الساعي الحساس قد زودت تقنية للوصول لغير المُخلصين، الامر المَعْدوم في مُعظم الكنائس المؤسسية. كيف يمكن مقارنة نموذج الساعي الحساس الأمريكي بنموذج نمو الكنيسة الكتابي؟

في سفر أعمال الرسل، وعظ الرسل المُبشرون المدعوون من الله الإنجيل علناً، من بيت الي بيت، تصاحبهم آيات وعجائب اجتذبت غير المؤمنين. وأما من تابوا وآمنوا بالرب يسوع عندها كرس هؤلاء الأفراد أنفسهم للتعليم الرسولي، واجتمعوا بانتظام معاً في بيوت الاحياء تعلموا بها كلمة الله، واختبروا عطايا الروح القدس، واحتفلوا العشاء الرباني، وصلوا معاً، هكذا وكل ذلك تم بقيادة الشيوخ والقسوس والأساقفة. فالمُعلمين والأنبياء المدعوون من الله اجتمعوا في الكنائس. وكل شخص شارك بالإنجيل مع أصدقاءه وجيرانه. فلم تكن هناك مبان التي لو بنوها لكان أدي ذلك الى تباطؤ نمو الكنيسة وسلب ملكوت الله من المصادر التي من شأنها أن تُساعد على نشر الإنجيل وصُنْع تلاميذ. فكان القيايين يتدربون على العمل بسرعة، بدلاً من إرسالهم للإكليريكية أو الى مدارس الكتاب المقدس. كل ذلك أدى الى زيادة هائلة بنمو الكنيسة بوقت محدد ليتم الوصول الى الناس المُتقبلين في المنطقة المُعطاة.

بخلاف ذلك وعلى وجه المقارنة يفتقد نموذج كنيسة الساعي الحساس بطبيعته للآيات والعجائب، ولذلك تنقصه الوسائل المُقدسة الجاذبة والمُقنعة. وتعتمد على قوى آليات طبيعية كما في التسويق والإعلان لجذب الناس لمبنى حيث يسمعون للرسالة. وكم يختلف هذا عن طرق بولس الرسول، الذي كتب " وَلَمْ يَقُمْ كَلَامِي وَتَبَشِيرِي عَلَى الْإِقْنَاعِ بِكَلَامِ الْحِكْمَةِ، بَلْ عَلَى مَا يُعْلِنُهُ الرُّوحُ وَالْقُدْرَةُ. وَذَلِكَ لِكَيْ يَتَأَسَّسَ إِيمَانُكُمْ لَا عَلَى حِكْمَةِ النَّاسِ، بَلْ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ". (كورنثوس الأولى ٢: ٤-٥).

اختلافات أخرى

يخلو نموذج "الساعي الحساس" بشكل عام من الرسل والمُبشرين، لأن الشخصية الأساسية هي القسيس. والسؤال: هل إلغاء أدوار الرسل والمُبشرين للتبشير وإعطاء تلك المسؤولية للقسوس هو أمر أساسي لإنجاح عملية نمو الكنيسة؟^{٢٤}

^{٢٤} هذا هو السبب لما اليوم لدينا العديد من المُبشرين، والمُعلمين، والأنبياء وحتى الرسل المسؤولين على الكنائس. ولذلك العديد من الخدمات المُعطاة من الله غير مُعطاة المكان الصحيح أو أي مكان في هيكل الكنيسة المؤسسية، وكذلك الخدمات غير القسوسية تنتهي بالخدمة في كنائس، وسرقتها من البركات العظمى التي يمكن أن تكون لجسد أكبر من المؤمنين في الهيكل الكتابي. ويبدو أن كل شخص لابد أن يعود لبناء مملكته في شكل الكنيسة المؤسسية، بغض النظر عن دعوته الحقيقية. لأن القسوس من المفروض لديه الحق لعشور الشعب، والكثير من ذلك يذهب في هيكله والحفاظ على المباني، ومُنتج الخُدام غير القسوس لخدمة الكنائس فقط للحصول على المال للخدمات التي مدعوين لها حقاً.

قسيس نموذج الساعي الحساس يعظ مرة واحدة في الأسبوع في خدمة يوم الأحد، حيث يُشجع المسيحيين للحضور وإحضار أشخاص غير مُخلصين معهم للكنيسة. ولذلك وبشكل عام يمكن للإنجيل أن يُعظ مرة كل أسبوع على مسامع الغير مُخلصين الحاضرون مع أعضاء الكنيسة. وعلى هؤلاء الأشخاص الغير مُخلصين أن يكونوا مُستعدين للذهاب للكنيسة، ويجب أن يكونوا مدعويين بواسطة أعضاء في الكنيسة لأجل الحضور. ولكن حسب النموذج الكتابي، كان الرُّسل والمُبشرين يجهرّون بالإنجيل باستمرار علناً وفي كل الأماكن الخاصة، وكان جمهور المؤمنين يشاركون الإنجيل مع أصدقائهم وجيرانهم. فمن خلال أي من بين هاذين النموذجين، سيسمع الإنجيل لأكثر عدد ممكن من الأشخاص الغير المُخلصين؟

يتطلب نموذج الساعي الحساس بناية مقبولة على المؤمنين لئلا يُخذلوا إذا ما دعوا أصدقائهم الغير المؤمنين للحضور معهم للكنيسة، ولكيلا يخزي غير المؤمنين للقدوم على زيارتها. وهذا دائماً ما يتطلب كميات غير عادية من الأموال. قبل أن يتم "نشر" الإنجيل، يجب أن يُبنى ويُصمم مبنى مقبول. ففي أمريكا يجب أن يكون المبنى في موقع جيد، وعادةً ما يكون في منطقة غنية. على النقيض لذلك، النموذج الكتابي الذي لا يتطلب أي مباني خاصة ولا مواقع ممتازة ولا أموال. فنشر الإنجيل غير محدود بعدد من الناس ممن تلائمهم فقط مبان خاصة لأيام الأحاد.

وهناك المزيد من الاختلافات

عندما نُقارن بين بعض كنائس "الساعي الحساس" وبين نموذج الكنيسة الكتابي، فنجد أن هناك مزيد من الاختلافات.

دعا الرُّسل والمُبشرين في سفر أعمال الرُّسل الناس للتوبة، والإيمان بالرب يسوع وعمدوهم في الحال. فكان المتوقع من هؤلاء أن يصبحوا تلاميذاً للمسيح ساعة اعتداهم، ملبيين الشروط التي وضعها الرب يسوع، كما انها مسجلة في لوقا ١٤: ٢٦-٣٣ ويوحنا ٨: ٣١-٣٢. ومنذ البداية أحبوا يسوع بقوة من كل قلوبهم، عاشوا بكلمته، حامل كل منهم صليبه، تاركين كل ما يملكوه، ليصبحوا وكلاء جدداً على كل ما غدى ملكاً لله.

أما الإنجيل الموعوظ في كنائس "الساعي الحساس" فهو يختلف. إذ يخبرون الخُطاة على مدى حُب الله لهم، وعن كيفية تلييته لاحتياجاتهم، وعن كيف لهم أن يخلصوا بقبول يسوع كمخلص. بعد ذلك يُصلون صلاة قصيرة "صلاة الخلاص" بدون اخبارهم أبداً أن يحسبوا تكلفة التلمذة، وبعدها يؤكدون عليهم أنهم مُخلصين، ويجتذبوهم ليلتحقوا بفصل حيث يبدووا النمو في المسيح. وعندما يلتحقون بهذا الفصل (بعضهم لا يعود مرة أخرى للكنيسة)، فداًئماً ما يمرون بعملية تعليم تنظيمية تُركز على اكتساب المعلومات عن مذهب كنيسة مُعينة بدلاً من أن يصبحوا مُطيعين لوصايا المسيح. وقمة برنامج التلمذة هي عندما يبدأ المؤمن بإعطاء عشوره للكنيسة (لدفع الرهن العقاري وأيضاً لمُرتبات العاملين غير الكتابيين، ومبالغ تذهب الى حساب وكلاء بخس، يدعون ما ليس مرسوم من الله، ويسلبون ما دعمه الله، مُقاد ليؤمن أنه "وجد خدمته" عندما بدأ يلعب دوراً داعماً في الكنيسة المؤسسية، "خدمة" غير مُذكورة ولا لمرة واحدة في الكتاب المُقدس.

ماذا سيحدث إن كانت حكومة أمتك قلقة لعدم وجود متطوعين في جيشها بعدد كاف، أنقرر أن تصبح "ساعياً حساساً"؟ تخيل إن وعدوا الجنود المقبلين للانضمام، بدون توقع منهم عمل أي شيء، سيقترضون ممتلكاتهم كهدية مجانية، بدون اكتساب ولا استحقاق. فلهم الخيار أن يستيقظوا في الصباح متى يحلو لهم، وعلى العكس يُتاح لهم اختيار مشاهدة التلفزيون عوضاً عن التدريب. وإن بدأت حرب، يمكنهم أن يختاروا إن أراد المشاركة في المعارك أو الذهاب للاستجمام على الشاطئ. فما يا ترى ستكون النتيجة عندها؟

بلا شك ستنتعش صفوف ذلك الجيش !! ولكن الجيش لن يكون جيشاً ما لم يتلاءم ومهمته. ذلك ما سيغدو عليه ساعي كنائس الحساسة. فتخفيض المعايير سيعمل على زيادة الحضور لخدمة يوم الأحد، ولكنه يُقلل من التلمذة والطاعة. فهذه الكنائس التي تمارس فكرة الساعي الحساس الذين يسعون إلى "وعظ الإنجيل" أيام الأحاد و "عمل التلمذة" في خدمات نصف الأسبوع سيواجهون مشكلة إذا ما علّموا مُستمعيهم في خدمة وسط الأسبوع أن تلاميذ الرب يسوع فقط هم الذاهبون إلى السماء. عندها سيشعر الناس بأنه قد كُذّب عليهم في خدمات وسط الأسبوع أيضاً، مُقدمين التلمذة والطاعة على انهما اختياريّتين بدلاً من قول الحقيقة أنهما مطلبان لمن يذهب إلى السماء.^{٢٥}

أنا أدرك حسناً أن هناك بعض الكنائس المؤسسية ممن يدخلون على حياتهم الكنسية بعض من أساسيات نموذج الكنيسة الكتابية في حين لا يفعل ذلك آخرون، وعلى الرغم من ذلك يبقى النموذج الكتابي أكثر تأثيراً بإكثار التلاميذ وصنعهم.

أما لماذا لا يُتبع النموذج الكتابي اليوم، فإن قائمة الأعذار حدث ولا حرج، ولكن بالتحليل النهائي، فإن سبب عدم اتباع النموذج الكتابي اليوم هو التقاليد، وعدم الطاعة. الكثيرون يدعون أن النموذج الكتابي لم يعد ليلائمه مجتمعنا ومن الغير الممكن العمل به في عالمنا المعاصر. ولكن الحقيقة هي أن هناك أماكن كثيرة حول العالم اليوم تتبع النموذج الكتابي. يكفي أن نذكر النمو الغير عادي للكنيسة في الصين. هل الله يختلف في الصين عنه في أي مكان آخر؟

كل هذا لأقول أنه يجب على القسوس الغير الأمريكيين أن يكونوا على دراية بطرق نمو الكنيسة الأمريكية، إذ يحاولون نشرها بأماكن أخرى حول العالم. وسيكون أنجح لهم إن سعوا لتحقيق هدف المسيح بصنع تلاميذ حسب نموذج نمو الكنيسة الكتابي.

أثار ما حدث

من خلال ملاحظتي للعديد من مؤيدي تعليم نمو الكنيسة الحديثة، وجدت أنهم بعيدون كل البعد عن متوسط القسوس في جميع أنحاء العالم. فالغالبية العظمى من رعايا أولئك القسوس تقل عدداً عن المائة شخص.

^{٢٥} تذكر أن المتطلبات التي قال يسوع لتكون تلاميذه الحقيقيين في لوقا ١٤: ٢٦-٣٣ لم يتكلم عنها الناس الذين كانوا مؤمنين بالفعل، كما وإن كان يعرض عليهم الخطوة الثانية في الرحلة الروحية. بدلاً من ذلك، كان يتحدث للجموع. وأن يكون الشخص تلميذاً كانت الخطوة الأولى التي عرضها يسوع، والتي ليست أقل من خطوة الخلاص. وهذا على عكس ما يُعلم في كنائس الساعي الحساس.

والكثيرين من هؤلاء القسوس سريعاً ما ينتابهم البؤس بعد مُحاولات لتقنيات عديدة لنمو الكنيسة لكنها باءت كلها بالفشل بل وعادت بالسوء عليهم، وذلك ليس خطأهم. فلا من أحد ليقف ويعترف بأن هنالك حقائق عديدة خارج نطاق تحكم القسوس تمنعهم من التقدم بنمو الكنيسة. دعونا نُلقي نظرة على بعض منها الآن. أولاً وفي المقام الأول، نمو الكنيسة يرتبط بحجم التعداد المحلي. فمن الواضح أن معظم الكنائس المؤسسية الكبيرة موجودة في المناطق المدنية الضخمة. عادةً ما يتواجدون وسط الملايين من الناس على أمل أن يجتذبوا منهم أعضاءً للكنيسة.

ولكن إن كان العدد صورة حقيقية للنجاح، فيجب لهذه الكنيسة أن تُقيّم ليس بالحجم ولكن بنسبة افراد الكنيسة للتعداد السكاني المحلي. وعلى هذا الأساس، ستكون بعض الكنائس ذات العشر أعضاء أنجح من الكنائس ذات العشرة آلاف في المدينة ذات الخمسة ملايين. (ولكن هؤلاء القسوس لكنائس العشرة أعضاء لم يُطلب منهم البتة أن يلقوا كلمة في مؤتمر عن نمو الكنيسة.)

حقيقة ثانية مُقيدة لنمو الكنيسة

ثانياً، يتقيد نمو الكنيسة بدرجة التشبع التّقبّل العام للناس إزاء جميع الكنائس في منطقة مُعينة. ففي أوقات مُعينة هناك عدد قد يكون كبير من الناس في المنطقة منفتحي القلوب للإنجيل. فحين يتم الوصول لكل من هؤلاء ذوي القلوب المنفتحة، بعدها ستتوقف عملية نمو الكنيسة، إلا إذا انتقل بعض الناس من كنيسة إلى كنيسة أخرى (فكم من الكنائس الكبيرة نمت على حساب كنائس أخرى في ذات المنطقة).

بالطبع أن كل المسيحيين كانوا غير مُتقبلين للإنجيل في وقت ما، ولكن بتأثير الروح القدس تَقَبَلوه. ولذلك فإنه من المُمكن لهؤلاء الناس غير المُتقبلين للإنجيل حالياً أن يصبحوا مُتقبلين. وعندها يمكن للكنائس أن تنمو. وما نُشير له في العالم تحت مسمى النهضة أو "الانتعاش" ذلك ما يحدث عندما يتقبل عدد هائل من الناس غير القابلين وبشكل فجائي. وعلينا ألا ننسى أن قبول شخصاً واحداً يُعتبر أيضاً يقظة دينية "نهضة" ولكن بمقياس مصغّر. إذ إن كل نهضة دينية كبيرة ابتدأت بقبول شخص واحد. ولذلك أيها القسيس لا تحتقر البدايات الصغيرة.

فقد أرسل يسوع تلاميذه للعالم ليكرزوا الإنجيل في المُدن التي علِمَ جيداً أنها غير مُتقبلة، حيث لن يتوب منها ولا حتى شخص واحد (أنظر لوقا ٩: ٥). وبغض النظر عن ذلك، أرسلهم يسوع الى هناك ليبشروا بالإنجيل. هل يشير الى فشل التلاميذ على القيام بالمهمة؟ لا، حتى وإن لم يعتنق المسيحية أحداً (ولا نمو للكنيسة)، فمع ذلك يعدوا ناجحين، فقط لأنهم أطاعوا يسوع.

وبالمثل يُرسل يسوع قسوساً إلى قُرى ومدن وأحياء، حيث يعلم أن نسبة صغيرة فقط من الناس سيقبلون الإنجيل. وهؤلاء القسوس الناجحين الذين يخدمون رعيّتهم الصغيرة بأمانة هم الناجحون في أعين الله، حتى وإن بدوا فاشلين في أعين الخبراء لنمو الكنيسة.

لذلك هذه رسالة تشجيعية للقسوس في كل منطقة أن يؤمنوا بحقيقة أنه فقط بفضل رحمة الله العظيمة، واستجابته لشفاعته شعبه، يعمل بدون توقف على مُساعدة الغير مُتقبلين ليتقبلوا. وهو يُحاول إقناع هؤلاء

الغير مُخلصين بطرق عدة منها نذكر: ضمائرهم، خليقته، الظروف، أحكامه الزمانية، شهادات الكنيسة الحية، الوعظ من الإنجيل واقناع الروح القدس. يا أيها القسيس تشجع ولا تيأس. داوم على الصلاة والوعظ. فقبيل النهضة الدينية بالمقياس الكبير يجب أن تكون هناك حاجة عظيمة لليقظة الروحية. ودائماً ما يكون هناك شخص يحلم باليقظة والاحتياج العظيم للنهضة الروحية. فاستمر بالحلم!

حقيقة ثالثة مُقيدة لنمو الكنيسة

الحقيقة الثالثة المُقيدة لنمو الكنائس الفردية هي قدرة القسيس المحدودة. فإن مُعظم القسوس تنقصهم المهارات المطلوبة للإشراف على رعية كبيرة، وذلك لا يعتبر فشلاً منهم. فهم ببساطة غير موهوبين تنظيمياً وإدارياً، ولا لمهارات الوعظ والتعليم وتلك المهارات مطلوبة وخاصة لرعية كبيرة فمن الواضح أن هؤلاء القسوس غير مدعويين من الله لرعاية جماعات كبيرة، ومن الخطأ منحهم أي كنيسة لرعايتها إلا إذا كانت تتكون من رعية متوسطة العدد أو لكنيسة بيتية.

لقد قرأت مؤخراً كتاباً مشهوراً عن القيادة، كُتب بقلم قسيس كبير في إحدى الكنائس الأمريكية الضخمة. وكلما قرأت من صفحاته أيقنت أنه قد ملأ الصفحات من خبرته ونصائحه لقسوس هذا العصر، وأما الفكرة التي علقت بذهني من هذا الكتاب كانت ما يلي:

"أنه لا يُعلمك كيف تكون قسيساً، بل يرشدك كيف لك أن تصبح رئيساً تنفيذياً لشركة ضخمة". وعلى هذا الأساس لا خيار آخر لقسيس كنيسة أمريكية مؤسسية ضخمة. فهو بحاجة لطاقم كبير وذلك يتطلب وظيفة كاملة. فلنكتب هذا الكتاب الذي أقرأه المهارات، الكافية ليكون رئيساً تنفيذياً لشركة علمانية كبرى. (وبالطبع فقد أغلى بذكره في الكتاب مقولات لرجال أعمال مشهورين في الاستشارات الإدارية الكبيرة، وجعلها تتطابق ونمو الكنيسة لقدم النصائح لقُرأته القسوس.) بيد أن المشكلة أن الكثيرين من قراءه كانوا يفتقدون لمُعظم المهارات القيادة والإدارة التي يتمتع هو بها.

وفي ذات الكتاب يذكر الكاتب وبصراحة مواقف عديدة متعلقة يتحدث بها عن كيف بنى رعيته الكبيرة، وأنه قد ارتكب أخطاء فادحة، أخطاء كادت تُكلفه عائلته أو مُستقبل خدمته. ولكن بنعمة الله، قد نجا. خبراته ذكرتني بمواقف عديدة فيها سعى قسوس كنائس مؤسسية إلى نفس النجاح، وارتكبوا أخطاءً مُشابهة وعانوا منها غارقين بالكامل. فالبعض كرسوا أنفسهم للكنيسة، خسروا أطفالهم وزيجاتهم. والبعض عانوا من انهيارات عصبية أو إرهاب شديد في الخدمة. البعض قد نجا، ولكن هذا كل ما يمكن قوله. فاستمروا العيش بحياتهم البائسة، متسائلين لعل ما مروا به بالفعل كان يستحق تضحياتهم الكبيرة.

وحين كنت أقرأ بهذا الكتاب تحديداً، راود فكري بلا انقطاع حكمة الكنيسة الأولى، حيث لم يكن هناك أي شيء مُشابهاً للكنائس المؤسسية الحديثة، حيث القسيس المسؤول عن الرعية الأكبر بعددها آنذاك لم تتعدى الخمسة وعشرون شخصاً. وكما ذكرت في فصل سابق أن الكثيرين من القسوس يعتقدون أن رعيته صغيرة، فعليهم أن يعيدوا التفكير في خدمتهم على ضوء الكتاب المُقدس. فإن كان لديهم خمسين شخصاً، فهذا يعني أن كنائسهم أكبر مما ينبغي. وإن كان هناك قياديون قادرين في رعيته، فلربما أتى الوقت ليأخذوا بالاعتبار تقسيمها إلى ثلاثة كنائس بيتية وبيع المبنى وذلك يعمل من خلال الصلاة وبارشاد الله، بهدف صنع تلاميذ وبناء ملكوت الله بطريقة الله.

وإن بدى ذلك مُستعصياً، فلعلهم على الأقل أن يبدؤوا العمل على تلمذة قياديين مُستقبلين، أو البدء بمجموعات صغيرة، فلربما الحاجة لإرسال البعض ليؤسسوا كنائس بيتية مُستقلة ويروا ما سيحدث عندها.

آليات أخرى لتيار النمو للكنيسة الحديثة

هناك آليات أخرى آخذة بالترويج في أيامنا الى أن أصبحت أساسيات لنمو الكنيسة الى جانب نموذج كنيسة الساعي الحساس. والعديد من هذه التقنيات غير كتابية وتدرج تحت مضمون "الحرب الروحية". ويتم ترويجها باستخدام أسماء أخرى كـ "هدم الحصون" أو "الصلوات الحربية" أو "الخريطة الروحية".

وسوف نتعرض لبعض الممارسات الخاصة بالحرب الروحية في فصل لاحق. وباختصار لعلها تأخذنا الدهشة، لماذا تلك الممارسات التي لم تكن معروفة بتاتاً على زمن الرُّسل أضحت تعتبر اليوم بغاية الضرورة لنمو الكنيسة اليوم.

الكثير من هذه الوسائل الجديدة لنمو الكنيسة ما هي الا نتائج خبرات بعض القسوس الذين يقولون هنا وهناك "قد فعلت كذا وكذا، وهكذا نمت كنيسة". ولذلك إن تفعل بالمثل فستتمو كنيسةك أيضاً". أمّا الحقيقة أنها لم تكن هناك علاقة حقيقية تربط ما بين الامور الغريبة التي مارسوها ونمو كنائسهم، وإن كان تخمينهم غير ذلك. ويمكن إثبات ذلك عن طريق ملاحظتنا المستمرة لقسوس آخرين قد اتبعوا تلك الوسائل التعليمية الغريبة بعينها، ويفعلون ذات الامور الا ان كنائسهم لم تنم على الإطلاق.

لربما سمعتم قسيس إحدى كنائس النمو يقول "حين بدأنا الصراخ على الأرواح الشريرة في مدينتنا، عندها ابتدأت اليقظة في كنيسةنا. ولذلك عليك الشروع بالصراخ على الشياطين إن أردت لليقظة أن تزور كنيسةك".

ولكني اتساءل لماذا كانت هنالك الكثير من اليقظات الرائعة حول العالم عبر الألفي سنة الماضية في تاريخ الكنيسة، حيث لم يكن هناك أي صُراخ على الشياطين في أي من المُدن؟ هذا يدل على خطأ القسيس الذي أعتقد أن اليقظة قد حُلّت على كنيسة أو مدينته كنتيجة للصُراخ على الشياطين. ولكن ما حدث أن سكان مدينته ببساطة أصبحوا أكثر تقبلاً للإنجيل، وذلك لربما بسبب وحدة الصلاة في الكنيسة، وهذا القس كان يعظ بالإنجيل حين تقبلهم. وغالباً ما يعتقد قسيسو كنائس النمو أن نمو الكنيسة كان نتيجة لموقعها في المكان الصحيح وفي الوقت الصحيح. (والروح القدس يُساعدنا في الأماكن المُناسبة والأوقات المُناسبة).

إن كان الصُراخ على الشياطين في المُدن قد أحضر يقظة لقس كنيسة مُعينة، لماذا بعد مدة من الوقت، وكما يحدث دائماً نرى أن هذه اليقظة اخذت بالتباطؤ الى ان اضمحلت؟ وإن كان الصُراخ على الشياطين هو المُفتاح، لكان كل سكان المدينة يأتوا للمسيح. ولكن هذا لا يحدث.

ببساطة الحقيقة واضحة وعندما نفكر بعض الشيء سنرى أن الوسائل الكتابية الوحيدة لنمو الكنيسة هي الصلاة، الوعظ، التعليم، صنع التلاميذ، ومُساعدة الروح القدس، وهكذا. حتى وأن هذه الوسائل الكتابية لا تضمن نمو الكنيسة، لأن الله خلق الناس مع إرادة حرة. ويمكنهم أن يختاروا أن يتوبوا أو أن لا يتوبوا. ويمكن أن تقول ان يسوع قد فشل أيضاً في عمله على نمو الكنيسة عندما ذهب إلى مُدن مُعينة ولم يتب اناسها.

كل ذلك لأقول إننا بحاجة أن نمارس تلك الوسائل الكتابية لأجل بناء الكنيسة. وأي شيء آخر ما هو الا مُضيعة للوقت. فكلها أعمال بناء من خشب، التبن، وقش سَتُحرق يوماً ما وستتبين ان تلك الاعمال لا قيمة لها (أنظر كورنثوس الأولي ٣: ١٢-١٥).

وفى الختام أحب ان اضيف الى ان الهدف الأسمى ليس هو النمو العددي ولكن صنع التلاميذ. وإن نمت الكنيسة حين نصنع التلاميذ، فشكراً لله على ذلك!

الفصل السادس

خدمة التعليم

The Ministry of Teaching

في هذا الفصل سنلقي معاً نظرةً على عدة جوانب لخدمة التعليم. التعليم هو مسؤولية الرُّسل، الأنبياء، المُبشرين،^{٢٦} القسوس، الشيوخ، الأساقفة، والمُعلمين (بالطبع)، إلا أنه ولدرجة مُعينة جميع أتباع المسيح يشاركون في خدمة التعليم، إذ أنه من المفروض علينا جميعاً أن نصنع تلاميذاً، مُعلمين إياهم إطاعة وصايا المسيح.^{٢٧}

وقد أوضحت سالفاً أن القسيس المُتلمذ أو أيّ من الخدام يعلمون أولاً بمثالهم الذاتي وبالدرجة الثانية يعلمون بالسنتهم. فإنهم يعطون ما يُمارسونه. وكتب بولس الرسول، وهو بلا شك صانع تلاميذ ناجح جداً يقول:

فَأَقْنُدُوا بِي كَمَا أَقْنَدِي أَنَا بِالْمَسِيحِ! (كورنثوس الأولى ١١: ١)

لعل هذا يكون هدف كل خادم، أن يستطع القول وبكل أمانة لأولئك الذين يرعاهم "تمثلوا بي. إن أردتم أن تعرفوا كيف يمكنكم العيش كأتباع للمسيح، فشاهدوا حياتي."

وبخلاف ذلك من باب المقارنة، أتذكر ذات مرة أنني قلت لرعتي التي كنت أرهاها "لا تتبعوني اتبعوا المسيح!" ومع ذلك لا أدري في ذلك الوقت إن كنت بذلك أعترف أنني لم أكن مثلاً جيداً لمتبعوه. وفي الحقيقة أنني كنت أعترف أنني لم أكن أتبع المسيح كما ينبغي أن أتبعه، وبعدها كنت أطلب من الآخرين أن يفعلوا شيئاً لم أكن أنا أفعله بنفسي! كم يختلف هذا عما قاله بولس. ففي الحقيقة، إن لم نستطع أن نطلب من الناس أن يتمثلوا بنا كما أننا نحن نتمثل بالمسيح، فلا ينبغي علينا البقاء في هذه الخدمة، لأن الناس يستخدمون خدماتهم كمثالهم الأعلى. والكنيسة هي انعكاس لقيادتها.

تعليم الوحدة بالقدوة

دعونا نطبق هذا المفهوم للتعليم بالقدوة على موضوع ما، وهو موضوع الوحدة. كل القسوس والشيوخ والأسقفين الذين يتمنون الوحدة لرعتهم. فإنهم يكرهون الانقسامات في الجسد المحلي. ويُعلمون بالطبع أن الانقسامات غير مُرضية للرب. وفوق كل شيء، وصية يسوع أن نُحب بعضنا البعض كما هو أحبنا (أنظر يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥). فمحبتنا لبعضنا البعض هي العلامة على أننا تلاميذه أمام العالم. وهكذا فمعظم قيادي الرعايا يحثون رعتهم على أن يحبوا بعضهم البعض ويُشجعوهم على الاتحاد.

^{٢٦} وعظ المُبشرين بالإنجيل ربما يُعتبر كنوع من التعليم، والمُبشرين بالتأكيد في الحاجة لإنجيل كتابي ودقيق.

^{٢٧} كل المؤمنين مُعطي لهم مسؤولية تعليم مجموعات من الناس، ولكن الجميع لديهم مسؤولية تعليم واحد لواحد في حين يصنعون تلاميذ (أنظر متي ٥: ١٩، ٢٨: ١٩-٢٠، كولوسي ٣: ١٦، عبرانيين ٥: ١٢).

ولكن، نحن الخُدام الذين من المفروض أن نعمل في المقام الأول بالقُدوة الشخصية، عادةً ما نجد أنفسنا بعيدين عما نعلمه عن الحُب والوحدة بسبب أسلوب الحياة التي نعيشها. فعلى سبيل المثال عندما نُظهر تقصيراً من الحُب والوحدة تجاه القسوس الآخرين، فنحن بذلك نُقدم رسالة تُخالف تلك التي نعظ به لرعايانا. ونتوقع منهم ما لا نفعله بأنفسنا.

وفى الحقيقة، أعظم كلمات التي تحدث بها يسوع عن الوحدة كانت موجهة للقادة وعلاقاتهم مع قادة آخرين. فعلى سبيل المثال، في العشاء الأخير، بعد أن غسل يسوع أرجل تلاميذه، قال لهم،

أَنْتُمْ تَدْعُونِي مُعَلِّماً وَسَيِّدًا، وَقَدْ صَدَقْتُمْ، فَأَنَا كَذَلِكَ. ١٣

فَإِنْ كُنْتُ، وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ، قَدْ غَسَلْتُ أَقْدَامَكُمْ، فَعَلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَقْدَامَ بَعْضٍ. ١٤

فَقَدْ قَدَّمْتُ لَكُمْ مِثَالًا لِكَيْ تَعْمَلُوا مِثْلَ مَا عَمِلْتُ أَنَا لَكُمْ. ١٥

(يوحنا ١٣: ١٣-١٥)

دائماً ما يستخدم القسوس هذه الفقرة من الكتاب المقدس ليُعلموا رعيته على محبة بعضهم البعض، وهذا مُناسب بالتأكيد. ولكن كلمات هذه الفقرة كانت موجهة للقادة، الاثني عشر تلميذاً. فقد علّم يسوع مُستقبل الكنيسة والأمل الضئيل لنجاحها القيام بمهمتها إذا ما انقسموا فيما بينهم أو وتنافسوا ضد بعضهم البعض.

وفي السياق الثقافي اليوم، يمكن شرح ما عناه يسوع بالخدمة المتواضعة بأن نقوم بإنجاز المهمة الأصغر لخدام البيت، وهي غسل الأقدام. فإن زار يسوع ثقافة مُختلفة في وقت آخر من التاريخ، لربما قد نظف المراحيض أو غسل صفائح القمامة التي ببيت تلاميذه. فكم للقادة المُتقدمين الإرادة ليظهروا مثل هذا النوع من الحُب والتواضع تجاه بعضهم البعض؟

ففي مدة زمنية لا تتجاوز الساعة، أكد يسوع مراراً وتكراراً هذه الرسالة المهمة. وبعد دقائق معدودة من غسله لأقدام تلاميذه، قال يسوع لمجموعته والذين هم قادة الكنيسة في المُستقبل:

وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَحْبُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا، كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا، تُحِبُّونَ بَعْضُكُمْ. ٣٤

بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. ٣٥

(يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥)

هذه الكلمات كانت موجهة بالتأكيد لجميع تلاميذ المسيح، ولكنها قد تكلم بها قاصداً القادة وعلاقاتهم مع قادة آخرين. ومرة أخرى، وبعد دقيقة فقط، قال يسوع،

وَصِيَّتِي لَكُمْ هِيَ هَذِهِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَا أَحْبَبْتُكُمْ. ١٢

لَيْسَ لِأَحَدٍ مَحَبَّةٌ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ: أَنْ يَبْذُلَ أَحَدٌ حَيَاتَهُ فِدَىً أَحِبَّائِهِ. ١٣

(يوحنا ١٥: ١٢-١٣)

لاحظ أن المسيح لمرة أخرى يتحدث للقيادة.

وبعد ثوانٍ معدودة، قال مرة أخرى،

فَبِهَذَا أُوصِيكُمْ إِذَنْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

(يوحنا ١٥ : ١٢-١٣)

وبعد دقائق معدودة، سمعه تلاميذه يُصلي من أجلهم،

هُؤْلَاءِ بَاقُونَ فِي الْعَالَمِ؛ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ بَاقِيًا فِيهِ، لِأَنِّي عَائِدٌ إِلَيْكَ. أَيُّهَا الْآبُ الْفُدُوسُ احْفَظْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ وَهَبْتَهُمْ لِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا، كَمَا نَحْنُ وَاحِدٌ. (يوحنا ١٧ : ١١)

وأخيراً وبعد عدة ثواني، أكمل يسوع صلاته التي سمعها تلاميذه،

وَلَسْتُ أَصَلِّي مِنْ أَجْلِ هُؤْلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ سَوْفَ يُؤْمِنُونَ بِي بِسَبَبِ كَلِمَةِ هُؤْلَاءِ،^{٢٠}

لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا؛ أَيُّهَا الْآبُ، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِيْنَا، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْعَالَمُ^{٢١} أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي.

إِنِّي أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ وَاحِدٌ.^{٢٢}

أَنَا فِيهِمْ، وَأَنْتَ فِيَّ، لِيَكْتَمِلُوا فَيَصِيرُوا وَاحِدًا، حَتَّى يَعْرِفَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَنَّكَ أَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي.^{٢٣}

(يوحنا ١٧ : ٢٠-٢٣)

وهكذا نرى أنه بأقل من ساعة واحدة أكد يسوع ستة مرات لقيادة الكنيسة العتيدة عن أهمية الوحدة وإظهار وحدتهم بتواضعهم ومحبتهم وخدمتهم لبعضهم البعض. فمن الواضح أن هذا الموضوع كان بغاية الأهمية ليسوع. ووجدتهم كانت حقيقة أساسية للعالم المؤمن به.

هل نعمل لأجل الوحدة بما فيه الكفاية؟

مع الأسف، في حين نتمنى لرعتنا أن تكون موحدة بالمحبة، الكثيرين منا يتنافسون مع بعضهم البعض ويستخدمون وسائل غير أخلاقية لأجل بناء كنائسهم على حساب كنائس أخرى. فالكثير منا يتجنب أي علاقات مع قسوس آخرين ذوي مذاهب مختلفة. لدرجة أننا نُعلن عن انعدام وحدتنا بالشعارات التي نضعها على مدخل الكنيسة ليراها العالم بأسره، ونقدم رسالة للجميع كمثل: "نحن ليسنا كالمسيحيين الآخرين الذين يجتمعون في مباني لكنائس أخرى". (وقد فعلنا عملاً جيداً في تعليم العالم كله بعدم وحدتنا، حيث أن علم معظم غير المؤمنين أن المسيحيين هم مؤسسة مُنقسمة.)

وباختصار، نحن لا نمارس ما نعظ به، فقد اوتنا نُعلم رعتنا أكثر مما نعظه عن الوحدة. فمن الحماسة أن نعتقد أن المسيحيين بمعدلهم سيتوحدون ويحبون بعضهم البعض، حيث يفعل قياديهم عكس ذلك.

وبالطبع الحل الوحيد لذلك هو التوبة. فعلينا أن نتب عن إظهار القدوة الغير سليمة أمام المؤمنين والعالم. فيجب أن نزيل الحواجز التي تُفرقنا ونبدأ بمحبة بعضنا البعض كما أوصانا يسوع.

أولاً هذا يعني أن نتقابل مع قسوس وخدام آخرين، وذلك يشمل قسوس من أبرشيات طوائف مُختلفة. وأنا لا أتحدث عن العبادة مع القسوس الذين لم يولدوا الولادة الجديدة، ولا يسعوا لإطاعة يسوع، أو ممن يبقون في الخدمة من أجل المنفعة الشخصية. فهم ذئاب في ثياب حملان، وقد أعلمنا يسوع بالتحديد عن كيفية تمييزهم. فهم معروفون من ثمارهم.

أنا أتحدث هنا عن القسوس والخدام الشغوفين للحفاظ على وصايا يسوع، كأخوة وأخوات حقيقيين في المسيح. فإن كنت قسيساً فيجب أن تكون ملتزماً بمحبة قُسوس آخرين، مُظهراً الحب بطرق عملية أمام رعيته. وهناك طريقة واحدة قد تبدأ بها بأن تذهب لزيارة قسوس آخرين في منطقتك وتطلب منهم الغفران لعدم محبتك لهم. هذه الخطوة حيوية لإزالة بعض الحواجز. وبعد ذلك الالتزام بمقابلتهم من حين لآخر لتناول الطعام معهم، للتشجيع وحث بعضكم البعض مصلين معاً. وحينما يحدث ذلك، بالنهاية قد تناقشوا معاً بمحبة الامر الذي اختلفتم عليه وصارعوا لأجل الوحدة بغض النظر إن كنتم متفقين أو غير متفقين على كل شيء ناقشتموه. فحياتي وخدمتي أصبحتا أقوى كثيراً عندما صممت الإرادة على الاستماع لخدام الآخرين، الذين لا يسيرون حسب المذهب الذي أو من به. فقد كنت أفتقد لبركات عديدة لسنوات كثيرة بانغلاقني على نفسي.

ويمكنك أيضاً أن تُظهر حُبك ووحدتك عن طريق دعوة قسوس آخرين ليعطوا في كنيستك أو اجتماع الكنيسة البييتية، أو يمكن لكنيستك ان تجتمع باجتماع مُشترك مع كنائس أخرى أو اجتماعات كنائس بييتية.

ويمكنك أن تُغير أسم كنيستك حيث لا تُعلن على الملأ عدم وحدتك مع بقية جسد المسيح. بحيث تحمي أسم المؤسسة أو الطائفة وتعرضها فقط بجسد المسيح، مُقدماً بذلك رسالة للجميع أنك تؤمن بأن المسيح قد بنى كنيسة واحدة، لا عديد من الكنائس المُختلفة، التي لا يمكنها التعايش مع بعضها البعض.

أنا أعلم أن هذا يبدو راديكالياً بعض الشيء. ولكن لماذا يا ترى نتمسك بأمور لم يسع يسوع اليها البتة؟ لماذا ندخل اشياء لن نرضيه؟ لا نرى ذكر لأي طائفة أو مؤسسة خاصة في الكتاب المُقدس. فعندما أنقسم أهل كورنثوس على من هو المُعلم المفضل عليهم، وبخهم بولس الرسول بشدة، قائلاً أن قسمتهم تبين شهواتهم وطفولتهم الروحية (أنظر كورنثوس الأولى ٣: ١-٧). فهل انقساماتنا تظهر بأقل من ذلك؟

علينا ان نكون صاحبين حذرين من مغبة أي شيء يحاول ان يُبعدنا عن بعضنا البعض فنتجنبه. أما الكنائس البييتية فيجب عليها تجنب إعطاء نفسها أسماء أو الانضمام إلى مؤسسات ذات أسماء مُعينة. ففي الكتاب المُقدس تم تعريف الكنائس البييتية ببيوت حيث اجتمعوا به. مجموعات الكنائس دعيت بأسماء المدن التي كانت تقع فيها لغرض تعريفها. وقد اعتبروا أنفسهم جزءاً من كنيسة واحدة، جسد المسيح.

فهناك ملك واحد، ومملكة واحدة. وإن رفع أي شخص اسمه لتعريف مجموعة المؤمنين والكنائس به فهو بذلك يبني مملكته الشخصية. عليه الاستعداد للوقوف أمام الملك الذي قال: "أنا لا أُعطي مَجْدِي لآخر" (أشعيا ٤٨: ١١).

فكل هذا لأقول ولمرة أخرى أنه ينبغي على الخدام أن يكونوا قدوة جيدة لإطاعة المسيح أمام الجميع، لأن الناس سيتبعون هذه القدوة. والقدوة التي يعيشونها هي الأكثر تأثيراً في عملية التعليم. كما كتب بولس الرسول في رسالته لأهل فيلبي:

"كُونُوا جَمِيعاً، أَيُّهَا الإِخْوَةُ، مُقْتَدِينَ بِي؛ وَلَا حِظُّوا الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْقُدْوَةِ الَّتِي تَرَوْنَهَا فِينَا" (فيلبي ٣: ١٧).

ما هو التعليم

كما فعل بولس، الخادم المُتلمِّذ إذ كان له هدفاً. وهذا الهدف هو أن "يُقدم المسيح لكل إنسان" (كولوسي ١: ٢٨ ب). وكما فعل بولس "فنحن نُنادي بالمسيح ونُرشد ونُعلم كل شخص بكل حكمة (كولوسي ١: ٢٨ أ). ونلاحظ أن بولس لم يُعلم فقط ليُعلم أو ليُمتنع الناس.

الخادم الصانع للتلميذ يمكنه أن يقول مع بولس "أَمَّا الْعَايَةُ مِمَّا أَوْصَيْتُكَ بِهِ، فَهِيَ الْمَحَبَّةُ النَّابِعَةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ وَضَمِيرٍ صَالِحٍ وَإِيمَانٍ خَالٍ مِنَ الرِّيَاءِ" (تيموثاوس الأولي ١: ٥). وذلك لأنه يُريد أن ينتج في خدمته أشخاصاً متمثلين بالمسيح وروحانيين في حياتهم، ولهذا السبب يعلم المؤمنين أن يطيعوا كل وصايا المسيح. يُعلمهم الحقيقة، ويحث مُستمعيه: "اجْعَلُوا هَدَفَكُمْ أَنْ تُسَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ، وَتَعِيشُوا حَيَاةً مُقَدَّسَةً. فَيُغَيَّرَ قَدَاسَةً، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرَى الرَّبَّ." (العبرانيين ١٢: ١٤).

فالخادم صانع التلاميذ يعلم ما قد أوصى به يسوع تلاميذه أن يعلموا تلاميذهم، الإطاعة الكلية لا الجزئية لما أوصاهم به (أنظر متي ٢٨: ١٩-٢٠). وأن يكون على يقين من انه لم يهمل أي شيء بتعليمه لما أوصى به المسيح، ويُعلم باستمرار آية تلو الأخرى من الأنجيل ورسائل الرُّسل حيث تتواجد جميع وصايا المسيح، والتركيز على أهمية كل واحدة منها.

فهذا النوع من التعليم يؤكد على ان الإرشادات المعطاة بالتعليم التفسيري تبقى متوازنة. فعندما نُعلم من خلال رسائل حسب موضوع ما، فعلى الأرجح أننا نُركز على المواضيع المألوفة لدى الناس وكثيراً ما نتغاضى عن المواضيع الغير مشهورة. فمُعلم الآية تلو الآية، لن يُعلم فقط عن محبة الله، ولكن يُعلمهم أيضاً عن التلمذة والعقاب الإلهي. وإرادة ذلك المعلم لن تقتصر فقط على التعليم عن البركات التي حطينا بها كوننا مسيحيين، ولكن أيضاً عن المسؤوليات. وهكذا فإنه سيكون أقل عُرضة لتحجيم المواضيع الصغيرة، مركزاً على ما هو أقل أهمية وبذلك مُهملاً ما هو بغاية الاهمية. (كما ذكر يسوع، أن هذا كان خطأ الفرسيين، أنظر متى ٢٣: ٢٣-٢٤).

التغلب على مخاوف التعليم التفسيري

العديد من القسوس يخافون من أن يعلموا آية تلو آية لأن هناك آيات كثيرة لم يفهموها، وبسبب كبريائهم لا يُريدون لرعتهم أن تكتشف جهلهم لفهمها! يا له من كبرياء. إذ ليس على الأرض انسان يفهم كل شيء في الكتاب المُقدس. حتى أن بَطرس قال انه يستصعب فهم بعض كتابات بولس. (أنظر بَطرس الثانية ٣: ١٦).

عندما يُعلم القس بأسلوب آية تلو أخرى وتأتي أمامه آية لا يفهمها، يجب أن يُخبر رعيته ببساطة أنه لا يفهم هذه الجزئية ويتخطاه. ومن الممكن أن يطلب من رعيته أن تُصلي له أن يُساعده الروح القدس على الفهم. فاتضاعه سيُعد قوة جيدة أمام رعيته، وهذه تعتبر عظة بحد ذاتها.

فللقس، للشيخ أو للمُشرف على كنيسة بيتية إضافية لتعليم مجموعة صغيرة في إطار غير رسمي، حيث يمكن طرح الأسئلة أثناء الدراسة. وهذا سيُتيح الفرصة لإمكانية إرشاد الروح القدس للحاضرين الآخرين في المجموعة عن الآية المتناولة. والنتيجة ستتعاكس ببركة على تعليم الجميع.

وهذا مكان جيد حيث تعليم وصايا المسيح ابتدأت بعظته على الجبل، أنظر متي ٥-٧. وهناك أعطى يسوع العديد من الوصايا، وساعد أتباعه من اليهود على الفهم الجيد للناموس الموساوي المُعطاة لهم. وبعد قليل في هذا الكتاب، سأعرض العظة على الجبل آية آية وسأظهر كيف يمكن عرضها.

إعداد العظة

لا يوجد أي دليل في العهد الجديد يشير إلى أن أي قسيس أو شيخ أو مُشرف أعد عظته الأسبوعية، أو أنهم أتموا إعدادها بدقة مع التوضيحات المكتوبة بشكل تفصيلي مُخطط، كما يُمارس في خدمات العصر الحديث. وبالطبع ما من أحد يمكنه أن يتخيل يسوع فاعل أموراً من هذا القبيل! فالتعليم في الكنيسة الأولى كان أكثر فعالية وتلقائية على نهج النظام اليهودي، عوضاً عن الأساليب اليونانية والرومانية بفن الخطابة، وتم احتواء التقليد في الكنيسة عندما صارت مؤسسية. ألم يعلم يسوع تلاميذه ألا يحضروا دفاعاً عندما يؤخذون للمحكمة، واثقين بهذا عينه أن الروح القدس سيُعطيهم كلمات تلقائية وحقيقية؟! وعلينا نحن أن نتوقع من الله التقدير مساعدة القسيس في اجتماعات الكنيسة لدرجة مُعينة!

ذلك ليس لأقول أنه لا حاجة للخدام أن يعدوا أنفسهم بالصلاة والدراسة.

فقد حثّ بولس الرسول تيموثاوس قائلاً له:

اجْتَهِدْ أَنْ تُقَدِّمَ نَفْسَكَ بِهِ قَائِزاً فِي الْامْتِحَانِ، غَامِلاً لَيْسَ عَلَيْهِ مَا يَدْعُو لِلْخَجَلِ، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِاسْتِقَامَةٍ (تيموثاوس الثانية ٢: ١٥).

الخدام الذين يتبعون إرشاد بولس الرسول "لِتَسْكُنْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ فِي دَاخِلِكُمْ بِغَيْ" (كولوسي ٣: ١٦) سوف يكونون مملوئين بكلمة الله وسيعلمون بفيضهم ولذلك عزيزي القسيس، المُهم هو أن تنتشع نفسك بالكتاب المُقدس. إذا كُنْتَ ممتلئاً بالمعرفة وشغوف بموضوعك، فهناك القليل من الإعداد المطلوب منك لتقديم حقيقة الله. بالإضافة لذلك، إن عُلِمْتَ بأسلوب الدراسة آية تلو آية، فيمكنك ببساطة أن تستخدم كل آية بتتبع على التوالي، وبعد ذلك يجب أن يحتوي إعدادك على التأمل بصلاة لأجل الآيات التي ستدرسها. وإن كُنْتَ قسيساً لكنيسة بيتية، فمن الطبيعي التفاعل أثناء جولة الدراسة مما ستُقل من الخطوط العريضة للعظة.

فالخدام الذي به إيماناً بأن الله سيُساعده بخدمته التعليمية سيُكافأ بمُساعدة الله له. ولذلك قلل من ثقتك على نفسك بإعداداتك وملاحظاتك وثق أكثر على الرب. وبالتدرج ستجني الإيمان والثقة وستعد ملاحظات أقل

للعضات الى أن يأتي اليوم به يمكنك أن تضع نقاطك الاساسية كهيكل او حتى بدون أي ملاحظات على الإطلاق.

فالشخص الذي وعيه مركز على ذاته، هو الذي يعتمد على إعدادة للملاحظات عند وقوفه أمام الآخرين مخافة الوقوع بأخطاء أمام العامة. وهو من بحاجة ليدرك أن الخوف مرتبط في عدم الأمان المرتبط بالتكبر. فسيكون من الأفضل له أن يقلل من أهمية كيفية مظهره وكيف يبدو أمام العامة، ويزيد الاهتمام بكيف يظهر هو ومُستعمليه أمام الله. لا يمكن للعضة المُعدة مُسبقاً أن تُحرك قلوب المُستمعين كالتعليم المشعور بالقلب، والممسوح بالروح. تخيل كم سيعاق التواصل بين البشر لو كل واحد أستخدم ملحوظات مُعدة لكل محادثة مع الآخرين! عندها ستموت المحادثة! فأسلوب الحوار بدون تدريب مسبق سيكون أكثر صدقاً من العضة المُعدة المحضرة بتفاصيلها. فلنعليم ليس هو تمثيلاً، وانما نقل للحقيقة التي تمتلكها وتشاركها مع الآخرين. ونحن نعلم جميعاً كيف أننا عندما نستمع لمجرد خطبة، وعندما نلاحظ انها ليست عظة حقيقية فنغلق أنفسنا في الحال عن سماعها.

أضف أربعة أفكار

(١) بعض الخدام كاللبغاوات، بتجميعهم لكل المادة اللازمة للعضة من كُتب تم كتابتها بأقلام أناس آخرون. فهم يفوتون البركة العظيمة المتاحة من خلال التعليم بالروح القدس، وعلى الأرجح ناقلين الأخطاء التي ارتكبها هؤلاء الكُتاب.

(٢) العديد من القسوس يُقلدون أساليب الوعظ والتعليم لوعاظ آخرين، وهي أساليب باتت تقليدية محض، فعلى سبيل المثال، يُعتقد في بعض المجتمعات أن العضات تكون ممسوحة فقط عندما يرفع الواعظ صوته ويتكلم بسرعة. وبالتالي يرضخ جمهور الحضور في الكنيسة للعضات عالية الصوت من بدايتها الى نهايتها. والحقيقة هي أن الناس عادة يغلقون أنفسهم عن الاصوات العالية، كما يفعلون عندما يسمعون النغم الروتيني. فالصوت المُختلف جذاب أكثر. وزد على ذلك، الوعظ بطبيعته يكون بصوت أعلى لأنه غرضه للحث، بينما التعليم عادةً ما يتم بنغمة حوارية أكثر لأنه للإرشاد.

(٣) لقد لاحظت وعضات لمئات من الخدمات الكنسية وأدهشت أن الكثيرين من الوُعّاظ والمُعلمين غير مُدركين للعلامات العديدة التي تشير لحالات الملل أو عدم إصغاء الحضور. عزيزي القسيس، الناس الذين تبدو عليهم حالة الملل! وهؤلاء الذين لا ينظرون اليك أثناء حديثك ربما لا يصغون لما تقوله. والناس الذين لا يصغون اليك لا يمكن مُساعدتهم بشيء. إن كان الناس في حالة من الملل أو/ وغير صاغين، بهذه الحالة أنت بحاجة لتحسين عضاتك. أعط أكثر أمثالاً، حدّث قصصاً مُتعلقة بالموضوع. أخلق أمثال. حافظ على البساطة. عِلم الكلمة من قلبك. كن صادقاً وكن ذاك. غَيّر صوتك. أستخدم التواصل العيني مع بعض المُستمعين. أستخدم عبارات وجه بسيطة. أستخدم يديك. تحرك. لا تتحدث لمدة طويلة. إن كانت المجموعة صغيرة، أفتح المجال للأسئلة في أي وقت مُناسب.

(٤) فكرة أن العضة عليها أن تتكون من ثلاث نقاط، فكرة من اختلاق الإنسان. الهدف هو صنع تلاميذ، وليست إتباع النظريات الإنسانية الحديثة. فقال يسوع "أرع خرافي"، وليس "أعجب خرافي".

مَنْ تَعْلَمُ

إتباع نموذج يسوع، الخادم المُتلمذ هو لدرجة مُعينة انتقائي بالعلاقة مع من يتلقاه. ربما هذا يُدهشك ولكنه حقيقة. فإن يسوع كان دائماً يتحدث للجموع بأمثال، وكان لديه سبب لذلك إذ لم يرد للحاضرين جميعهم أن يفهموا ما يقوله. وهذا واضح في الكتاب المقدس:

فَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلَامِيذُ وَسَأَلُوهُ: «لِمَاذَا نُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ؟» ١٠

فَأَجَابَ: لِأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ؛ أَمَّا أَوْلَئِكَ، فَلَمْ يُعْطَ لَهُمْ ذَلِكَ. ١١

فَإِنَّ مَنْ عِنْدَهُ، يُعْطَى الْمَزِيدَ فَيَفِيضُ؛ وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ، فَحَتَّى الَّذِي عِنْدَهُ يُنْتَرَعُ مِنْهُ. ١٢

لِهَذَا السَّبَبِ أَكَلِمُهُمْ بِأَمْثَالٍ: فَهُمْ يَنْظُرُونَ دُونَ أَنْ يُبْصِرُوا، وَيَسْمَعُونَ دُونَ أَنْ يَسْمَعُوا أَوْ يَفْهَمُوا. ١٣

(متى ١٣: ١٠-١٣)

فنعمة فهم أمثال المسيح كانت استثنائية فقط للذين تابوا وقرروا أن يتبعوه. وأمّا الذين رفضوا فرصتهم للتوبة، فإنهم يرفضون إرادة الله لحياتهم، سيُرفضون بالمثل من الله. "كَذَلِكَ، أَيُّهَا السَّبَابُ، اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ. الْبَسُوا جَمِيعاً ثَوْبَ التَّوَّاضِعِ فِي مُعَامَلَتِكُمْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ. لِأَنَّ اللَّهَ يُقَاوِمُ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَلَكِنَّهُ يُعْطِي الْمُتَوَاضِعِينَ نِعْمَةً" (أنظر بطرس الأولى ٥: ٥).

وكذلك أرشد يسوع أتباعه: "لَا تُعْطُوا مَا هُوَ مُقَدَّسٌ لِلْكَالِبِ، وَلَا تَطْرَحُوا جَوَاهِرَكُمْ أَمَامَ الْخَنَازِيرِ، لَكِنَّهَا تَدُوسُهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَنْقَلِبُ عَلَيْكُمْ فَتَمَرِّقُكُمْ" (متى ٧: ٦). ومن الواضح أن يسوع كان يتكلم بصيغة تصويرية. فماذا كان يعنى بـ "لا تعطوا ما هو قيم لمن لا يُقدر هذه القيمة". فالخنازير لا تعرف أن للآلى قيمة، وبالمثل الخنازير الروحية قد تستمع لكلمة الله ولكن لا تقدرها. إن فقط آمنوا فعلاً أن تلك كانت كلمة الله، فسيعطونها كل الانتباه ويطيعونها.

كيف تكتشف إن كان شخص ما خنزيراً روحياً؟ فقط ألقِ لؤلؤة واحدة في طريقه لترى ماذا سيفعل بهذه اللؤلؤة الواحدة. فإن تجاهلها فاعلم هذا أنه خنزيراً روحياً.

وللأسف العديد من القُسوس يفعلون ما طلب منهم يسوع ألا يفعلوه، وباستمرار يلقون اللآلى أمام الخنازير، فيعلمون أشخاصاً رافضة لكلمة يسوع. هؤلاء الخدام يُضيعون وقت الله. لأنه كان عليهم أن ينفضوا التراب عن أقدامهم ويتركوهم من مدة طويلة، كما أوصى يسوع.

الْخَرَّافُ، الْجَدِي، وَالْخَنَازِيرُ

لا يمكنك أن تتلمذ شخصاً لا يريد أن يكون تلميذاً ولا يريد أن يُطيع يسوع، تلك هي الحقيقة. الكنائس حول العالم مليئة بالوائك الأشخاص، هم من يُعدون مسيحيين ثقافياً فقط، الكثيرين من الذين يعتقدون أنهم قد ولدوا

مرة أخرى فقط لأنهم وافقوا بموافقة ذهنية لبعض الحقائق اللاهوتية عن يسوع أو المسيحية. فقد يكونوا خنازيراً وجداً ولكنهم ليسوا خرافاً. وما زال الكثيرون من القسوس يقضون ٩٠% من وأقاتهم هباءً محاولين الحفاظ على هؤلاء الخنازير والجدا، وفي الوقت ذاته يهملون من ينبغي مساعدتهم روحياً وخدمتهم، الخراف الحقيقية! عزيزي القسيس الرب يُريدك أن ترعى خرافه، ليس الجدا ولا الخنازير من بينهم (أنظر يوحنا ٢١: ١٧)!

ولكن كيف يمكنك أن تميز الخراف؟ -الخراف هم الذين يأتون للكنيسة مبكرين ويُغادروها في وقت متأخر. فهم جياح لتعلم الحقيقة، لأن يسوع ربهم وهم يُريدون أن يرضوه. فيترددون للكنيسة في أيام أخرى بالإضافة لأيام الأحاد، وأينما كانت هناك اجتماعات يشاركون في المجموعات الصغيرة. وعادةً يسألون أسئلة. فهم شغوفين للرب. وهم من يبحثون عن فرص للخدمة.

أيها القسيس، كرّس جُلّ وقتك وانتباهك لهؤلاء الناس، فهم التلاميذ. واما إن حضر الجدا والخنازير الى كنيستك، فعظ لهم الإنجيل لطالما كانت لهم قدرة على الاحتمال. ولكنك إن وعظت الإنجيل الحقيقي، فلن يكونوا قادرين على احتماله، وإنما سيُغادرون الكنيسة أو إن كان لديهم سلطة كافية سيعزلونك من مكانك. إذا نجحوا في فعل ذلك، انفض الغبار من على قدميك عندما تُغادر. (في نظام الكنيسة البيئية، لا يحدث شيئاً كهذا، خاصة إن تقابلت الكنيسة في بيتك!).

وكذلك المُبشرون لا ينبغي عليهم أن يشعروا بالالتزام الجبري أن يعطوا الإنجيل لذات الأشخاص ممن يرفضونه باستمرار. "دَعِ الْمُؤْتَى يَدْفُنُونَ مَوْتَهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَادْهَبْ وَبَشِّرْ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ" (لوقا ٩: ٦٠). فأنتم سُفراء للمسيح، حاملين أعظم وأهم الرسائل من ملك الملوك! لا تضيع وقتك باعلان الإنجيل مرتين لأشخاص معينين الى أن يسمعه كل شخص ولو لمرة واحدة.

فإن كُنْتَ مُقْبِلاً أن تصبح خادم صانع للتلاميذ، فعليك أن تكون انتقائياً بشأن من الذي تُعلمه، ولا تُضيع القيم على من لا يُريدون أن إطاعة يسوع. فقد كتب بولس لتيموثاوس يقول:

وَالتَّعَالِيمُ الَّتِي سَمِعْتَهَا مِنِّي بِحُضُورِ شُهُودٍ عَدِيدِينَ، أَوْدِعْهَا أَمَانَةً بَيْنَ أَيْدِي أَنْاسِ جَدِيرِينَ بِالنِّقَّةِ، يَكُونُونَ قَادِرِينَ عَلَى تَعْلِيمِ الْآخَرِينَ. (تيموثاوس الثانية ٢: ٢)

الوصول للهدف

تصور للحظة كيف أن هناك اموراً لم تحدث أبداً في خدمة يسوع ولكنها تحدث طوال الوقت في الكنائس الحديثة. تخيل أن يسوع عاش بعد قيامته على الأرض وبدأ كنيسة مُشابهة للكنيسة المؤسسية الحديثة، من ثم داوم على الخدمة فيها لمدة ثلاثين عاماً. تخيل لو ان يسوع يعظ كل يوم أحد للرعية ذاتها. تخيل بطرس يقترب نحو يوحنا هامساً بسخرية في أذنه "لقد سمعنا هذه العظة عشرات المرات من قبل".

نحن نعلم أن هذا المشهد سخيف، لأننا نعرف أن يسوع لا يضع نفسه أو تلاميذه في هذا الموقف. فقد جاء يسوع ليتلمذ البعض بطريقته الخاصة وفي وقت مُعين. على مدى حوالي ثلاثة سنوات، فقد تلمذ بطرس ويعقوب ويوحنا وآخرين. ولن يفعل ذلك عن طريق الوعظ كل يوم أحد في مباني الكنائس. وإنما عن طريق

حياته اليومية كيف عاشها على مرأى منهم، كانت حياته لهم كالكتاب المفتوح، بإجابته على كل أسئلتهم، وإعطائهم الفرص للخدمة. وقد أكمل مهمته وذهب.

فلماذا يا ترى نحن نفعل ما لم يفعله يسوع؟ لماذا نحاول تحقيق ما يُريده، الله بالوعظ لذات الناس على مدى عقود؟ لماذا تلاميذنا عاجزون عن الذهاب ليتلمذوا آخرين؟

وجهة نظري هي إن قمنا بعملنا على النحو الصحيح، فلا بد أن يأتي الوقت عندها يبلغ فيه تلاميذنا درجة من النمو الكافي حيث لن يحتاجوا لخدمتنا بعد. فيجب إطلاقهم ليصنعوا لأنفسهم تلاميذاً. فمن المفروض أن نُحقق ما أعدّه الله أمامنا، وقد علمنا يسوع كيف يمكننا الوصول لذلك. وبالمُناسبة، هناك احتياج مُستمر للتلمذة وإعداد قادة في الكنيسة البيئية النامية. فالكنيسة البيئية الصحية، لن تقع أبداً في الدائرة اللانهائية لذات الواعظ الذي لعقود يعظ لذات الجمهور.

الدوافع السليمة

لكي تنجح في التعليم الذي يقودك لصنع التلاميذ، ليس هناك أمراً أهم من أن يكون لك دوافع سليمة. عندما يكون الشخص في خدمة لأسباب خاطئة، عندها كل ما سيقوم به سيكون خطأً. وهذا هو السبب الرئيسي لوجود تعاليم خاطئة غير متوازنة في الكنيسة اليوم. فعندما تكون دوافع الخادم هي اكتساب شعبية، وأن يكون ناجحاً بأعين الآخرين، أو ليحصل على الكثير من الأموال، فهو بذلك يسعى فاشلاً في عيني الله. والشيء المُحزن هو أنه يمكن أن ينجح في هدفه لاكتساب الشعبية، وأن يكون ناجحاً في أعين الآخرين والحصول على الكثير من المال، ولكن سيأتي اليوم به ستُكشف هذه الدوافع الخاطئة أمام عرش المسيح للدينونة، وعندها لن يكتسب أي شيء من كل ما سعى لأجله. وإن أُذن له الدخول لملكوت السموات،^{٢٨} فسيعرف الجميع حقيقته، حيث سيظهر ذلك بعدم حصوله على الجعالة ومستواه سيكون مُنخفض في الملكوت. وبلا شك إذ هناك مستويات مُختلفة في السماء. فقد حذر يسوع:

فَأَيُّ مَنْ خَالَفَ وَاجِدَةً مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغَرَى، وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُ، يُدْعَى الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، فَيُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. (متى ٥: ١٩)

فبالطبع هؤلاء الخدام الذين يطيعون وصايا المسيح سيعانون على الأرض. وقد وعد يسوع بالمُعاناة لمن يطيعونه (متى ٥: ١٠-١٢؛ يوحنا ١٦: ٣٣). فهم الأقل احتمالاً للنجاح الدنيوي، والشهرة والثروة. فما الذي يجنونه هو مكاسبهم الأبدية وحمداً من الله. فعلى ماذا تُفضل أن تحصل؟ بهذا الخصوص كتب بولس الرسول:

فَمَنْ هُوَ بُلُوسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُوسُ؟ إِنَّهُمَا فَقَطْ خَادِمَانِ آمَنُتُمْ عَلَى أَيْدِيهِمَا، وَكَمَا أَنْعَمَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا. °
أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُوسُ سَقَى؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْمَى. ٦

^{٢٨} أنا أقول "إذا" لأن هؤلاء الذئاب في ثياب حملان هم بالتأكيد "خدام" ومدفوعين بغرور، وسيطرحون في الجحيم. ولكن أنا أعتقد أن ما يفرق بين الخدام الحقيقيين ذو الدوافع الخاطئة هو مستوي خطأ دوافعهم

فَلَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئاً وَلَا السَّاقِي، بَلِ اللَّهُ الَّذِي يُعْطِي النُّمُو. ^٧
 فَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي سَوَاءٌ. إِلَّا أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا سَيَبَالُ أَجْرَتُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَعَبِهِ. ^٨
 فَإِنَّا نَحْنُ جَمِيعاً عَامِلُونَ مَعاً عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ حَقْلُ اللَّهِ وَبِنَاءُ اللَّهِ. ^٩
 وَبِحَسَبِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُؤَهَّوْبَةِ لِي، وَضَعْتُ الْأَسَاسَ كَمَا يَفْعَلُ الْبِنَاءُ الْمَاهِرُ، وَغَيْرِي يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ، لِيَنْتَبِهَ ^{١٠}
 كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ.
 فَلَيْسَ مُمَكِّناً أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ أَسَاساً آخَرَ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْأَسَاسِ الْمَوْضُوعِ، وَهُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. ^{١١}
 فَإِنْ بَنَى أَحَدٌ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ ذَهَباً وَفِضَّةً وَحِجَارَةً كَرِيمَةً، أَوْ خَشَباً وَعُشْباً وَقَشّاً، ^{١٢}
 فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيُكْشَفُ عَلَناً إِذْ يُظْهِرُهُ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي سَيُعْلَنُ فِي نَارٍ، وَسَوْفَ تَمْتَحِنُ النَّارُ قِيَمَةَ عَمَلِ كُلِّ ^{١٣}
 وَاحِدٍ.
 فَمَنْ بَقِيَ عَمَلُهُ الَّذِي بَنَاهُ عَلَى الْأَسَاسِ، يَبَالُ أَجْراً. ^{١٤}
 وَمَنْ اخْتَرَقَ عَمَلُهُ، يَخْسَرُ، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ سَيَخْلُصُ؛ وَلَكِنْ كَمَنْ يَمُرُّ فِي النَّارِ. ^{١٥}
 (كورنثوس الأولى ٣: ٥-١٥)

فقد شبه بولس الرسول نفسه بالبناء واضع الأساس. أما أبُلوس، وهو مُعلم قد جاء الى كورنثوس بعد أن أسس بولس الرسول كنيسة هناك، وشبهه بولس بالشخص الذي بنى على أساس كان قد وضع من قبل.
 لاحظ أن بولس وأبُلوس سيتم مكافأتهما بناءً على جودة عملهما وليس على كمية ذلك العمل (أنظر كورنثوس ٣: ١٣).

فإن عبّرنا عن ذلك بصورة مجازية فممكن لبولس وأبُلوس أن يبنيا مبنىً لله بستة أنواع مختلفة من المواد، ثلاثة منها عادية، رخيصة، وقابلة للاختراق. وبثلاث مواد أخرى، ممتازة، غالية الثمن ومتينة غير قابلة للاختراق وبيوم ما ستدخل مواد البناء المُعتبرة تحت نار دينونة الله، فسيحترق الخشب والقش والتبن في النار، مُظهراً الجودة بلا قيمة المؤقتة لها. أمّا الذهب والفضة والأحجار الثمينة، التي ستتحمل نار الاختبار فإنها تمثل قيمة الأعمال الأبدية بعين الله.

يمكن أن نتأكد أن التعاليم الغير كتابية سيتم حرقها حتى الرماد يوم دينونة المسيح. وكذلك سيحدث مع أي شيء آخر قمنا بفعله بقوة وطُرق وحكمة الجسد وما فعل من دوافع خاطئة. وكذلك حذرنا يسوع من أي شيء نفعله بدافع لمديح الناس لنا، على ذلك لن نكافأ (أنظر متى ٦: ١-٦، ١٦-١٨). فهذه الأنواع من الأعمال التي لا قيمة لها لربما لا تبدو واضحة حسب العيان الآن، ولكنها كانت مصنوعة من الخشب والقش والتبن، ومن الأفضل لي أن أعرف ذلك الآن ما دمنا نحيا. فقد تبقى بعض الوقت للتوبة ولكن بعد ذلك سيكون الوقت متأخراً.

فحص دوافعنا

إنه لمن السهل أن نخدع أنفسنا بدوافعنا. أنا نفسي قد اختبرت ذلك بالتأكيد. فكيف يمكننا أن نعرف إن كانت دوافعنا نقية أم لا؟

أفضل طريقة هي أن نسأل الله أن يعلن لنا! ومن ثم نراقب أفكارنا وأعمالنا. طلب منا يسوع أن نصلي ونساعد الفقراء بالعتاء سرّاً، هذه هي الطريقة الوحيدة للتأكد بأنفسنا أننا على الدرب الصحيح لأننا نسعى لمجد الله وليس لنحظى بمجد الناس. فإن كنا مُطيعين لله فقط على مرأى الناس، فهذا مؤشراً بأننا لسنا على صواب. أو إن كنا نتجنب الخطايا الفاضحة مخافة أن تدمر سمعتنا إذا أمسكنا، ولكن نتساهل مع خطايا أقل حجماً والتي لا يعلم بها أحد، هذا أيضاً سبب أن دوافعنا خاطئة. لكن إن كنا فعلاً نعمل على إرضاء الله – الذي يعلم كل أفكارنا، كلماتنا، وأعمالنا – فسنسعى وبكل الأوقات لإطاعته، في أمور كبيرة وصغيرة، سواء كانت معلومة للآخرين أو خفية عنهم.

وبالمثل، إن كانت دوافعنا صحيحة، فلن نتبع بدع نمو (تضخيم) الكنيسة التي تسعى فقط لزيادة عدد الحضور في الكنيسة على حساب صنع تلاميذ مُطيعين لكل وصايا المسيح.

وإن كانت بنا بالفعل نوايا ودوافع صحيحة عندها:

سنُعلم كلمة الله كلها ولن نقتصر على المواضيع المشهورة التي تروق لأشخاص دنيائيين غير روحانيين.

لن نُحرف كلمة الله أو نُعلم الإنجيل بطريقة تناقض وسياق الكتاب المُقدس بأكمله.

لن نسعى للألقاب وأماكن الشرف لأنفسنا. فلن نسعى للشهرة.

لن نسعى لتلبية مطالب الأغنياء.

لن نسعى لأجل كنوز أرضية زائلة، ولكن لأن نعيش ببساطة وأن نفعل ما بوسعنا لنكون قدوة ومثالاً أمام رعيّتنا كوكلاء صالحين.

سنكون أكثر اهتماماً برأي الله عن عطاتنا، لا ما يعتقد الناس.

فما هي دوافعك؟

العقيدة التي تهزم صانع التلاميذ

الخادم المتلمذ لن يفعل أي شيء بخلاف هدفه لصنع التلاميذ، ولذلك فهو لن يقول أي شيء ليُجعل الناس يشعرون براحة بالرغم من عدم طاعتهم للرب يسوع. فلن يُقدم نعمة الله كوسيلة للخطية دون الخوف من الدينونة. ولكنه الشخص الذي يُقدم نعمة الله من خلال التوبة عن الخطية والعيش حياة الغلبة على الخطية. فكما نعلم أن الإنجيل أعلن أن المُتَنصرين هم من سيُرتثون ملكوت الله. (أنظر رؤيا ٢: ١١، ٣: ٥، ٢١: ٧).

وللأسف بعض الخُدام العصريين، يتمسكون بمذاهب غير كتابية التي تسبب ضرراً كبيراً على صنع التلاميذ. أحد هذه المُعتقدات التي أصبحت مشهورة جداً في الولايات المتحدة هي ضمان الحياة الأبدية دون شروط، أو " أنت مُخلّص للأبد مُخلّص". وهذا المُعتقد يؤكد للأشخاص المولودين الولادة الثانية أنه لا يمكنهم أن يخسروا خلاصهم أبداً بغض النظر عن أسلوب حياتهم. لأنهم يعتقدون لأن الخلاص يحدث عن طريق النعمة، فإنه سيُحافظ على خلاصهم. والا فوجهة النظر الأخرى تكون ان خلاص الانسان بأعمالهم يتم.

من الطبيعي أن لوجهة النظر هذه ضررٌ عظيمٌ للقداسة. حيث أن طاعة المسيح حسب هذا الافتراض أنها ليس ضرورياً لدخول أحدهم السماء. ومن هنا فالدوافع ضئيل لإطاعة يسوع خاصة عندما تكون الطاعة مُكلفة.

وكما ذكرت قبلاً بهذا الكتاب أن نعمة الله الممتد للبشرية لا يعفيهم عن مسؤوليتهم لإطاعة المسيح. فالكتاب المُقدس يوضح أن الخلاص ليس بالنعمة فقط، ولكن بالإيمان (أنظر أفسس ٢: ٨). فكل من الإيمان والنعمة ضروريان للخلاص. أمّا الإيمان فهو الرد الصحيح لنداء نعمة الله، والإيمان الحقيقي دائماً ما ينتج عنه توبة وطاعة. فالإيمان بدون أعمال ميت، ولن يُخلصه، كما ذكر يعقوب (أنظر رسالته ٢: ١٤-٢٦).

ولهذا يذكر الكتاب المُقدس باستمرار إن اكتمال الخلاص يعتمد على الإيمان والطاعة. فهناك آيات مُعينة في الإنجيل توضح ذلك. فعلى سبيل المثال رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس:

وَأَنْتُمْ، يَا مَنْ كُنْتُمْ فِي الْمَاضِي أَجَانِبَ وَأَعْدَاءَ فِي الْفِكْرِ، بِأَعْمَالِكُمُ الشَّرِّيرَةِ،^{٢١}

قَدْ صَالَحَكُمْ الْآنَ فِي جَسَدٍ بَشَرِيَّةٍ (إِنِّيهِ) بِالْمَوْتِ. وَذَلِكَ لِكَيْ يُحْضِرَكُمْ فَتَمَثَّلُوا أَمَامَهُ وَأَنْتُمْ قَدِيسُونَ بِلَا ذَنْبٍ^{٢٢} وَلَا لَوْمٍ.

عَلَى أَنْ تَنْبُتُوا فِعْلاً فِي الْإِيمَانِ، مُؤَسَّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُتَحَوِّلِينَ عَنْ رَجَاءِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ^{٢٣} وَالَّذِي بُشِّرَ بِهِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا تَحْتَ السَّمَاءِ، وَلَهُ صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِماً. (كورنثوس ١: ٢١-٢٣)

لا يمكن أن تكون الصورة أوضح من ذلك. فالشخص اللاهوتي فقط قد يُخطئ أو يُغير المعنى الذي قصده بولس. فسيقبلنا يسوع بلا لوم إن استمرينا في إيماننا. فهذه الحقيقة مُكررة أيضاً في رسالة بولس الرسول لأهل رومية ١١: ١٣-٢٤ وكورنثوس الأولى ١٥: ١-٢ والعبرانيين ٣: ١٢-١٤، ١٠: ٣٨-٣٩، حيث أنه واضح أن الخلاص النهائي مبنياً على الاستمرار في الإيمان. فجميع الآيات تشتمل على كلمة "إذا".

ضرورة القداسة

هل يمكن لشخص مؤمن أن يخسر الحياة الأبدية بسبب الخطيئة؟ الإجابة على هذا السؤال موجود في العديد من الآيات التالية من الكتاب المُقدس، حيث تؤكد بجملتها ان الذين يمارسون خطايا مُتنوعة لن يرثون ملكوت الله. فإن عاد المؤمنٌ ليمارس الخطايا المذكورة في القائمة التالية التي أعدها بولس الرسول، فيمكن للمؤمن أن يحرم من الخلاص النهائي:

أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَنْ يَرِثُوا مَلَكُوتَ اللَّهِ؟ لَا تَضَلُّوا: فَإِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ لَنْ يَرِثَهُ الزُّنَاةُ وَلَا عَابِدُو الْأَصْنَامِ^٩ وَلَا الْفَاسِقُونَ وَلَا الْمُنْخَبِثُونَ وَلَا مُضَاجِعُوا الذُّكُورِ.

وَلَا السَّرَّاقُونَ وَلَا الطَّمَاعُونَ وَلَا السِّكِّيرُونَ وَلَا الشَّتَّامُونَ وَلَا الْمُعْتَصِبُونَ.^{١٠}

(كورنثوس الأولى ٦: ٩-١٠)

أَمَّا أَعْمَالُ الْجَسَدِ فَظَاهِرَةٌ، وَهِيَ: الرِّئْيُ وَالنَّجَاسَةُ وَالذَّعَارَةُ،^{١٩}
وَعِبَادَةُ الْأَصْنَامِ وَالسِّحْرُ، وَالْعَدَاوَةُ وَالنِّزَاعُ وَالْغَيْرَةُ وَالْغَضَبُ، وَالتَّحَزُّبُ وَالْانْقِسَامُ وَالتَّعَصُّبُ،^{٢٠}
وَالْحَسَدُ وَالسُّكْرُ وَالْعَرَبْدَةُ، وَمَا يُشْبِهُ هَذِهِ. وَبِالنَّظَرِ إِلَيْهَا، أَقُولُ لَكُمْ الْآنَ، كَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْتُ أَيْضاً، إِنَّ^{٢١}
الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لَنْ يَرِثُوا مَلَكُوتَ اللَّهِ!
(غلاطية ٥: ١٩-٢١)

فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا جَيِّدًا: أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَحْسٍ أَوْ صَاحِبِ شَهْوَةٍ نَهْمَةٍ، مَا هُوَ إِلَّا عَابِدُ أَصْنَامٍ، لَيْسَ لَهُ^٥
مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللَّهِ.
لَا يَخْدَعُكُمْ أَحَدٌ بِكَلَامٍ بَاطِلٍ! فَسَبَبِ هَذِهِ الْأُمُورِ يَحِلُّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْعِصْيَانِ.^٦
(أفسس ٥: ٥-٦)

لاحظ أنه في كل حالة من الحالات أعلاه، كتب بولس متوجهاً للمؤمنين مُحذراً إياهم. فقد حذرهم مرتين ألا
ينخدعوا، مُشيراً لقلقه أن بعض المؤمنين لربما يُضنو أن شخصاً قد يُمارس إحدى الخطايا المذكورة ومع
ذلك سيرث ملكوت الله.

وحذر يسوع تلاميذه المقربين وهم، بطرس، ويعقوب، ويوحنا، وأندراوس من احتمالية طرحهم خارجاً
للهالوية إن لم يكونوا مُستعدين لعودته. لاحظ أن الكلمات التالية كانت موجهة لهم (أنظر مرقس ١٣: ١-٤)،
وليس لجموع المؤمنين:

وَبَيْنَمَا كَانَ يُعَادِرُ الْهَيْكَلَ، قَالَ لَهُ أَحَدُ تَلَامِيذِهِ: «يَا مُعَلِّمُ، انْظُرْ مَا أَجْمَلَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ وَهَذِهِ الْمَبَانِي!»^١
فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَتَرَى هَذِهِ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةَ؟ لَنْ يُثْرِكَ مِنْهَا حَجَرٌ فَوْقَ حَجَرٍ إِلَّا وَيُهْدَمُ!»^٢
وَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الرِّثْيُونِ مُقَابِلَ الْهَيْكَلِ، سَأَلَهُ بَطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ عَلَى انْفِرَادٍ:^٣
«أَخْبِرْنَا مَتَى يَحْدُثُ هَذَا، وَمَا هِيَ الْعَلَامَةُ عِنْدَمَا تُوشِكُ هَذِهِ الْأُمُورُ أَنْ تَتِمَّ؟»^٤
(مرقس ١٣: ٤-٤)

فَاسْهَرُوا إِذْنًا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَرْجِعُ رَبُّكُمْ.^٥
وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ رُبْعٍ مِنَ اللَّيْلِ يَدْهَمُهُ اللَّصُّ، لَطَلَّ سَاهِراً وَلَمْ يَدْعُ بَيْتَهُ يُنْقَبُ.^٦
فَكُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اسْتِعْدَادٍ، لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَيَرْجِعُ فِي سَاعَةٍ لَا تَتَوَقَّعُونَهَا!^٧
فَمَنْ هُوَ إِذَنْ ذَلِكَ الْعَبْدُ الْأَمِينُ وَالْحَكِيمُ الَّذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ لِيُقَدِّمَ لَهُمُ الطَّعَامَ فِي أَوَانِهِ؟^٨
طُوبَى لِذَلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي يَأْتِي سَيِّدُهُ فَيَجِدُهُ يَفُومٌ بِعَمَلِهِ.^٩

الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ سَيَقِيمُهُ عَلَى مُمْتَكَاتِهِ كُلِّهَا.^{٤٧}

وَلَكِنْ إِذَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الشَّرِيرُ فِي قَلْبِهِ: سَيَتَأَخَّرُ سَيِّدِي فِي رُجُوعِهِ!^{٤٨}

وَبَدَأَ يَضْرِبُ زُمَلَاءَهُ الْعَبِيدَ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ السِّكِّيرِينَ،^{٤٩}

فَإِنَّ سَيِّدَ ذَلِكَ الْعَبْدِ لَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَ فِي يَوْمٍ لَا يَتَوَقَّعُهُ، وَسَاعَةً لَا يَعْرِفُهَا،^{٥٠}

فَيَفْصِلُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْمُرَائِينَ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ!^{٥١}

(متى ٢٤: ٤٢-٥١)

ما المغزى من هذه القصة؟ "ففي هذا المثل، يا بطرس، ويعقوب، ويوحنا وأندراوس، لا تكونوا كالعبيد الغير أمناء."^{٢٩}

لتأكيد ما قاله يسوع لتلاميذه المُقربين، حيث تابع يسوع كلامه بمثل العشرة عذارى. فكان من المفروض على العشرة عذارى أن يكنَّ مُستعدات منذ البداية لمجيء العريس، ولكن خمسة منهن لم يكن مُستعدات وتم إبعادهن عن وليمة العرس. وأنهى يسوع هذا المثل بالكلمات، "فَاسْهَرُوا [بُطرس، ويعقوب، ويوحنا، وأندراوس] إِنْ، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلَا السَّاعَةَ (متى ٢٥: ١٣). وهذا يعني "لا تكونوا كالخمس عذارى الحمقاوات، بُطرس، ويعقوب، وأندراوس." فإن لم يكن هناك أي احتمال لبُطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس ألا يكونوا مُستعدين، فلن تكون هناك حاجة ليسوع أن يُحذّرهم.

ففي الحال أخبرهم يسوع مثل الوزنات. وكان يحتوي الى الرسالة ذاتها مرة أخرى. "أَمَّا هَذَا الْعَبْدُ الَّذِي لَا نَفْعَ مِنْهُ، فَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ!" (متى ٢٥: ٣٠) فلا يمكن ليسوع أن يجعل رسالته أوضح من ذلك. فالشخص اللاهوتي فقط يمكنه أن يُغير المعنى الذي قصده يسوع. فكان كل من بُطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس في خطر الطرح في الهاوية أن لم يكونوا بطاعة الى أن يعود يسوع. فإن كانت هذه الإمكانية قائمة على كل من بُطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس، فهي محتملة علينا جميعنا أيضاً. كما وعد يسوع، أَنْ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَقَطْ سَيَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ (متى ٧: ٢١).^{٣٠}

^{٢٩} من العجيب أن بعض المُعلمين، الذين لا يستطيعوا أن يهربوا من حقيقة أن يسوع كان يُحذر تلاميذه المُقربين وأن الخادم غير الأمين يوضح الشخص الذي كان مؤمناً، قائلًا إن مكان النحيب وصرير الأسنان هو مكان على الأطراف الخارجية للسماء. فمن المفترض أن هناك مؤمنين غير مُخلصين سينوحون مؤقتاً على خسارتهم لآتباعهم حتى يمحي يسوع دموعهم من أعينهم وبعد ذلك يُرحب بهم إلى السماء!

^{٣٠} بالتأكيد المسيحيين الذين ارتكبوا خطيئة واحدة لن يخسروا خلاصهم في الحال. وهؤلاء الذين يطلبون من الله الغفران من أجل خطاياهم (إن غفروا هم لهؤلاء الذين أساءوا إليهم). وهؤلاء الذين لم يطلبوا غفران خطاياهم يضعون أنفسهم في خطر تأديب الله لهم. فقط عن طريق تغليب قلوبهم تجاه الله وتأديبه المُستمر هؤلاء المؤمنين يواجهون خطر خسارة خلاصهم.

فهؤلاء الذين يعلمون عقيدة خاطئة عن الحصول على الحياة الأبدية بدون شروط، فهم يعلمون بوضوح المسيح الدجال ويُساعدون الشيطان، مُعلمين عكس ما علّمه يسوع وتلاميذه. فهو تحييد فعال لوصايا يسوع لصنع تلاميذ يُطيعون وصاياه، مُغلقيين الطريق الضيق للسماء، وموسعين الطريق إلى الجحيم.^{٣١}

عقيدة أخرى حديثة تسحق التلمذة

ليس فقط تعليم ضمان الحياة الأبدية الغير مشروط الذي يخدع الناس في التفكير أن القداسة غير أساسية للخلاص الأبدي. ألا ان محبة الله أيضاً دائماً ما تقدم بطريقه تُحمل التلمذة. فيمكن سماع الوُعاظ وهم يقولون للمُستمعين "أن محبة الله غير مشروطة". فبعض الناس يترجمون ذلك أن "الله يقبلني بغض النظر إن كُنت أطيعه أم لا". وهذا ببساطة غير صحيح.

الكثيرون من هؤلاء الوعاظ يؤمنون أن الله يلقي الغير مولودين الميلاد الثاني إلى الجحيم، وهم بالتأكيد على صواب باعترافهم. دعونا الآن نُفكر في ذلك. من الواضح أن الله لا يقبل الملقون في الجحيم، فكيف إذا هم محبوبون من قبل الله؟ هل يحب الله أولئك الملقون بالجحيم؟ هل تظن أنهم سيقولون لك أن الله يحبهم؟ بالتأكيد لا! العَل الله يقول أنه يحبهم؟ بالطبع لا! فهم مبغوضين من الله، ولهذا هو يعاقبهم للجحيم. فهو لا يقبلهم ولا يُحبهم.

ويقولنا كل ذلك، فمن الواضح أن حُب الله للخطاة الأرضيين هو حُب غير قبولي. فهو عطوف معهم، مُوجلاً دينونته وإعطائهم فرصة للتوبة. فقد مات يسوع من أجلهم، مُمهداً الطريق لهم للغفران. لهذه الدرجة وبهذه الصورة، يمكن أن نقول إن الله يُحبهم. ولكنه لم يقبلهم. فهو أبداً لم يشعر بحُب اتجاههم كحُب الأب لأطفاله. ولكن الكتاب المقدس يقول أن "الله مِثْلًا يَعْطِفُ الأبُّ عَلَى بَنِيهِ يَعْطِفُ الرَّبُّ عَلَى أَتْقِيَائِهِ" (مزامير ١٠٣: ١٣). ولذلك لا يمكننا قول أن الله ذات الشفقة تجاه الذين لا يخافونه. فحب الله للخطاة أكثر تشابه لحنية قاضي تجاه القاتل، الذي يقضى حُكماً بالسجن المؤبد بدلاً من الإعدام.

^{٣١} هؤلاء الذين ما زالوا غير مؤمنين أن المسيحيين يمكنهم أن يخسروا خلاصهم يجب أن يأخذوا في الاعتبار كل الفقرات الأتية من العهد الجديد: متي ١٨: ٣٥-٢١؛ ٢٤: ٥-٤، ١١-١٣، ٢٣-٢٦، ٤٢-٥١؛ ٢٥: ١-٣٠؛ لوقا ٨: ١١-١٥؛ ١١: ٢٤-٢٨؛ ١٢: ٤٢-٤٦؛ يوحنا ٦: ٦٦-٧١؛ ٨: ٣٢-٣١، ٥١؛ ١٥: ١-٦؛ أعمال الرسل ١١: ٢١-٢٣؛ ١٤: ٢٢-٢١؛ رومية ٦: ١١-٢٣؛ ٨: ١٢-١٤، ١٧؛ ١١: ٢٠-٢٢؛ كورنثوس الأولى ٩: ٢٣-٢٧؛ ١٠: ١-٢١؛ ١١: ٢٩-٣٢؛ ١٥: ١-٢؛ ١١: ٢٤؛ ١٢: ٢١-١٣؛ ٥: ١٣؛ غلاطية ٥: ١٤؛ ٦: ٧-٩؛ فيلبي ٢: ١٢-١٦؛ ٣: ١٧-٤؛ ١ كولوسي ١: ٢١-٢٣؛ ٢: ٤-٨، ١٨-١٩؛ تسالونيكي الأولى ٣: ٨-١؛ تيموثاوس الأولى ١: ٣-٧، ١٨-٢٠؛ ٤: ١٦-١؛ ٥: ٥-٦، ١١-١٥، ٦: ٩-١٢، ١٧-١٩، ٢٠-٢١؛ تيموثاوس الثانية ٢: ١١-١٨؛ ٣: ١٣-١٥؛ عبرانيين ٢: ١-٣؛ ٦: ١٩-٤؛ ١٦-١؛ ٥: ٨-٩؛ ٦: ٤-٩، ١٠-٢٠؛ ١٠: ١٩-٣٩؛ ١٢: ١-١٧، ٢٥-٢٩؛ يعقوب ١: ١٢-١٦؛ ٤: ٤-١٠؛ ٥: ١٩-٢٠؛ بطرس الثانية ١: ٥-١١؛ ١٦-١٧؛ ٢: ١-٢٢؛ ٣: ١٦-١٧؛ يوحنا الأولى ٢: ١٥-٢٨؛ ٣: ٥؛ ٤: ١٦؛ يوحنا الثانية ٦-٩؛ يهوذا ١: ٢٠-٢١؛ رؤيا ٢: ٧، ١٠-١١، ١٧-٢٦؛ ٣: ٤-٥، ٨-١٢، ١٤-٢٢؛ ٢١: ٨-٧؛ ٢٢: ١٨-١٩. وهذه البراهين التي أنتجت بواسطة هؤلاء الذين يُعلمون عقيدة الأمان الأبدي الغير مشروط هي آيات توضح ببساطة إخلاص الله في الخلاص، ويذكرون لا شيء عن مسؤولية البشر. ولكن لابد وأن يفسروا ليتناسبوا مع العديد من الآيات التي تم سردها. فقط لأن الله وعد بخلاصه، هذا ليس تأكيد لإخلاص أي شخص. فقط بسبب أني قد وعدت زوجتي أني لم أتركها أبداً وسأحافظ على وعدي، هذا ليس بتأكيد أنها لن تتركني.

ليس هناك أي حدث في سفر أعمال الرسل به وُعط بالإنجيل قائلاً على مسامح الغير مخلصين أن الله يحبهم. بل أن الوعاظ الكتابيين حذروا مستمعيهم من غضب الله، بدعوة للتوبة، ويعلموهم أن الله لا يقبلهم، وأنهم في خطر، وأنهم محتاجين لعمل تغييرات كبيرة في حياتهم. هل أخبروا مستمعيهم أن الله يحبهم فقط (كما يفعل العديد من خدام العصر الحديث)، فلربما قد يضلُّوا مستمعيهم بظنهم أنهم ليسوا في خطر، وأنهم لا يُخزنوا غضب إلهي على أنفسهم، وأنه لا حاجة لهم للتوبة.

كُره الله للخطاة

على عكس ما يروّج في أكثر الأحيان عن محبة الله للخطاة في أيامنا، الكتاب المقدس ينص أن الله يكره الخطاة:

لَا يَمَثُلُ الْمُتَعَطِّسُونَ أَمَامَكَ، فَإِنَّكَ تُبْغِضُ جَمِيعَ فَأَعْلِي الْإِثْمِ،^٥
وَتُهْلِكُ النَّاطِقِينَ بِالْكَذِبِ، لِأَنَّكَ تَمَقُّتُ سَافَكَ الدِّمَاءِ وَالْمَاكِرَ^٦

(مزامير ٥: ٦-٥)

يَمْتَحِنُ الرَّبُّ الصِّدِّيقَ، وَلَكِنَّ نَفْسَهُ تَمَقُّتُ الشِّرِّيرَ وَمُحِبِّ الظُّلْمِ (مزامير ١١: ٥).

قَدْ نَبَذْتُ هَيْكَلِي وَهَجَرْتُ مِيرَاثِي، وَسَلَّمْتُ حَبِيبَةَ نَفْسِي إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهَا.^٧
قَدْ زَمَجَرَ عَلَيَّ شَعْبِي كَأَسَدٍ فِي غَابَةِ. رَفَعَ عَلَيَّ صَوْتَهُ، لِهَذَا مَقَتُهُ.^٨

(أرمياء ١٢: ٧-٨)

فِي الْجَلَالِ ارْتَكَبُوا جَمِيعَ شُرُورِهِمْ، فَكَرَهُتُهُمْ هُنَاكَ. لِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ أَطْرَدُهُمْ مِنْ بَيْتِي وَلَا أَعُودُ أَجِبُّهُمْ، فَكُلُّ رُؤُسَائِهِمْ مُتَمَرِّدُونَ. (هوشع ٩: ١٥)

لاحظ أن في كل الآيات السابقة لا يذكر أن الله يكره ما يفعله الناس وحسب – لا، فإنه يقول إنه يكرههم. وهذا ليلقى الضوء على العبارة المعروفة وهي أن الله يُحب الخاطئ ولكن يكره الخطية. لا يمكننا أن نفرق بين الشخص وما يفعله. فما يفعله الإنسان يوضح من هو. وعليه فإن الله يكره وبحق الناس الخاطئين، ليس فقط الأخطاء التي يرتكبونها. فإن قَبِلَ الله الذين يفعلون ما يكرهه، فهذا يعني أنه بتناقض مع ذاته. ففي المحاكم البشرية، يؤخذ الناس للمحكمة بسبب جرائمهم، ويتلقون حكماً عادلاً. فنحن لا نكره الجريمة ولكن نستحسن أولئك الذين يرتكبون الجرائم.

الناس المُبْغِضِينَ مِنْ اللَّهِ

الكتاب المقدس لا يصرح فقط أن الله ليكره بعض الأفراد المُعينين، ولكنه يؤكد أن الله يمقت بعض أنواع الأشخاص الخُطاة، أو من يقومون بأعمال مُبغضة له. لاحظ ولمرة أخرى أن الآيات التالية لا تقول إن ما يفعله هؤلاء هو مُبغض لله، ولكنهم هم أنفسهم مُبغضين لله. فلا تقول إن الله يُبغض أخطائهم، ولكن أن الله يُبغضهم هم أنفسهم: ٣٢

يُحْظَرُ عَلَى الْمَرْأَةِ ارْتِدَاءُ ثِيَابِ الرِّجَالِ، كَمَا يُحْظَرُ عَلَى الرَّجُلِ ارْتِدَاءُ ثِيَابِ النِّسَاءِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يُصْبِحُ مَكْرُوهًا لَدَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ (تنثية ٢٢: ٥).

لِأَنَّ كُلَّ مَنْ عَشَّ فِي الْمَكَائِيلِ أَوْ الْأَوْزَانِ يُصْبِحُ مَكْرُوهًا لَدَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ (تنثية ٢٥: ١٦).

فَتَأْكُلُونَ لَحْمَ آبَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. ٢٩

وَأَذْكُ مَذَابِجَ مُرْتَفَعَاتِكُمْ، وَأَحْطِمُ أَنْصَابَ شَمُوسِكُمْ وَأَكْوِمُ جُنُتَكُمْ فَوْقَ بَقَايَا أَصْنَامِكُمْ، وَتَتَبَذَّلُونَ نَفْسِي. ٣٠
(لاويين ٢٦: ٢٩-٣٠).

لَا يَمْتَلِ الْمُنْعَطِرُونَ أَمَامَكَ، فَإِنَّكَ تُبْغِضُ جَمِيعَ فَأَعْلِي الْإِنَّم، ٥

وَتُهْلِكُ النَّاطِقِينَ بِالْكَذِبِ، لِأَنَّكَ تَمُفِّتُ سَافِكَ الدِّمَاءِ وَالْمَاكِرِ ٦

(مزامير ٥: ٦-٥)

لِأَنَّ الْمُلتَوِي رَجُسٌ لَدَى الرَّبِّ، أَمَّا الْمُسْتَقِيمُونَ فَهُمْ أَهْلُ ثِقَتِهِ. (أمثال ٣: ٣٢)

ذَوُو الْقُلُوبِ الْمُعَوَّجَةِ رَجُسٌ لَدَى الرَّبِّ، وَبَنُو السَّبِيْرَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مَرْضَاتُهُ. (أمثال ١١: ٢٠)

كُلُّ مُنْكَبِّرِ الْقَلْبِ رَجُسٌ عِنْدَ الرَّبِّ، وَلَنْ يُفْلِتَ حَنَمًا مِنَ الْعِقَابِ. (أمثال ١٦: ٥)

مُبْرِيءُ الْمُذْنِبِ وَمُذْنِبُ الْبَرِيِّ كِلَاهُمَا رَجُسٌ عِنْدَ الرَّبِّ. (أمثال ١٧: ١٥)

كيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات مع الآيات التي تؤكد حُب الله للخُطاة؟ كيف يمكن القول أن الله يُبغض ويكره الخُطاة، ولكنه يُحبهم أيضاً؟

يجب أن تدرك هناك أنواع مختلفة من الحُب. بعض الحُب غير مشروط. ويمكن أن يُدعى "حُب رحيم". فهو ذات الحُب الذي يقول "أنا أحبك على الرغم من...". حُب الآخرين بغض النظر عن سلوكياتهم. ذلك هو نوع الحُب الذي يكرهه الله للخُطاة.

٣٢ يمكن المُجادلة على أن كل هذه الآيات التي تُظهر كره الله للخُطاة في العهد القديم. فسلوك الله تجاه الخُطاة لم يتغير، في كلاً من العهد الجديد والقديم. فلقاء يسوع مع المرأة الكنعانية في متى ١٥: ٢٢-٢٨ هو مثال ممتاز عن سلوك الله في العهد الجديد تجاه الخُطاة. أولاً، يسوع لم يستجيب حتى لسؤالها، وأشار إليها ككلب ولكن إصرار إيمانها نتج عنه إظهار رحمته لها. فسلوك يسوع ضد الكتبة والفريسيين من الصعب أن يُعتبر أحد أنواع الحُب المؤيد (أنظر متى ٢٣).

وما يأتي بتناقض مع الحب الرحيم هو الحب المشروط. ويُشار إليه بـ "حُب استحساني (الاستحسان)". فهو حُب مكتسب أو مُستحق. فهو الحُب الذي يقول "أنا أحبك لأنك...".

والبعض يعتقد أنه إن كان الحُب مشروطاً، فهذا ليس حُب على الإطلاق. أو أنهم يقللون من قيمة ذلك الحُب، قائلين إنها أنانية البحتة، وعكساً لمحبة الله.

والحقيقة هي أن الله حُباً مشروطاً، كما سنرى حالاً من الكتاب المقدس. لذلك لا ينبغي أن يسخر من الحُب الاستحسان. فحُب الاستحسان هو الحب الأساسي الذي يكنه الله لأولاده الحقيقيين. فيجب أن نكون شغوفين بحُب الله الإستحساني بدلاً من حُبهِ الرحيم.

هل حُب الاستحسان هو حُب متدني؟

توقف وأسأل نفسك سؤالاً: "ما هو نوع الحُب الذي أفضل أن يكنه الناس لي - الحُب الرحيم أم الحُب الإستحساني؟" فأنا متأكد أنك ستفضل أن يحبك الناس "بسبب ما"، وليس "بغض النظر عن".

فهل تُفضل أن تسمع شريكة حياتك تقول لك "ليس لدي أي سبب لأُحبك، وليس هناك أي شيء عنك يشجعني لأن أبين لك عرفاني"، أم أن يقال "أنا أحبك لأسباب عديدة، لأنك تتمتع بكثير من الخصال التي تعجبني؟ بالطبع، نحن نُفضل أن نُحبنا زوجاتنا بحب الاستحسان، فهذا هو الحُب الأساسي الهام الذي يجمع الأزواج ويحفظهم معاً. عندما لا يكون هناك أي شيء يُعجب به الزوج أو الزوجة، عندها يتوقف حُب الاستحسان، وعدد قليل من هذه الزيجات ما تستمر. وإن بقت مستمرة، فهذا بفضل الحُب الرحيم، والذي يأتي من شخصية تقية المُعطية لذلك الحُب.

ومع كل هذا، نرى أن حُب الاستحسان أو الحُب المشروط، ليس حُب متدني على الإطلاق. وحيث أن حُب الرحيم يُعتبر الحُب الأكثر جدارة بالثناء/يُعطي، فحُب الاستحسان هو الآخر حُب جدير بالثناء/يكتسب. وعلاوةً على ذلك، حقيقة أن حُب الاستحسان هو النوع الوحيد من الحُب الذي يَكُنهُ الآب ليسوع ليرفعه إلى المكانة المستحقة الاحترام. الله الآب لا يكن أبداً ولا حتى للحظة من الحُب الرحيم ليسوع. لأنه لا يوجد أي شيء غير مُحَبٍّ بالمسيح. فلذلك يسوع قال:

إِنَّ الْآبَ يُحِبُّنِي لِأَنِّي أَبْذُلُ حَيَاتِي لِكَيْ أَسْتَرِدَّهَا. (يوحنا ١٠: ١٧)

ولذلك نرى أن الآب أحب يسوع بسبب طاعته للموت. فلا غبار على الحُب الاستحساني ولا عيب به. فقد ربح يسوع حُب الآب له باستحقاق.

وأعلن يسوع أنه ملتزم بحُب أبيه من خلال حفظه لوصايا أبيه:

مِثْلَمَا أَحَبَّنِي الْآبَ، أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا، فَاتَّبِعُوا فِي مَحَبَّتِي.^٩

إِنْ عَمِلْتُمْ بَوَصَايَايَ، تَتَبِعُونَنِي فِي مَحَبَّتِي، كَمَا عَمِلْتُ أَنَا بِوَصَايَا أَبِي وَأَتَّبَعْتُ فِي مَحَبَّتِهِ!^{١٠}

(يوحنا ١٥: ٩-١٠)

وعلاوة على ذلك، تلك الآيات تُشير، أنه علينا أن نتبع مثال يسوع، بأن نلتزم بحُبه بحفظ وصاياه. فهو يتحدث بوضوح هنا عن حُب الاستحسان في هذه الفقرة، مُخبرنا أنه يمكننا أن نكتسب حُبه لا بل ينبغي علينا ذلك، وأنه يمكننا أن نفصل أنفسنا خارج حُبه بعدم طاعتنا لوصاياه. فنحن نلتزم بحُبه فقط إن حفظنا وصاياه. فهذا نادراً ما يُدرس هذه الأيام، ولكن يجب أن يُدرس، لأن هذا ما قاله يسوع.

وأكد يسوع حُب الله الاستحساني حصراً للذين يحفظون وصاياه قائلاً:

فَإِنَّ الْآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ، لِأَنَّكُمْ أَحَبُّنِي، وَأَمَنْتُمْ بَأَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَرَجْتُ. (يوحنا ١٦: ٢٧)

مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ وَصَايَايَ، وَيَعْمَلُ بِهَا، فَذَاكَ يُحِبُّنِي. وَالَّذِي يُحِبُّنِي، يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُعْلِنُ لَهُ دَاتِي ٢١

أَجَابَهُ يَسُوعُ: مَنْ يُحِبُّنِي يَعْمَلُ بِكَلِمَتِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَجْعَلُ لَنَا مَنْزِلاً. ٢٣

(يوحنا ١٤: ٢١، ٢٣)

لاحظ أن الاقتباس الثاني لم يجعل وعد يسوع لغير المُلتزمين من المؤمنين، فإن بدأوا بحفظ كلمته، فعندها سيقترب منهم بطريقة ما. لا! بل وَعَدَ يسوع، إن بدأ شخص بحُبه وحفظ كلمته، فعندها سيُحبه الآب، وكلاهما الآب والابن سيأتيان وسيمكثان في ذلك الشخص، وتلك هي إشارة واضحة للميلاد الثاني. فكل من يولد الميلاد الثاني فهو من يتب ويبدأ بإطاعة يسوع، وهم هؤلاء الذين يحصلون على حُب الاستحسان من الآب.

بالطبع، ما زال يسوع يدخر الحُب الرحيم لهؤلاء الذين يؤمنون به. فعندما لا يطيعونه، فهو مُستعد لأن يُسامحهم إن اعترفوا بخطاياهم فيغفر لهم.

المُلخص

كل هذا لأقول أن الله لا يُحب أولاده المُطيعين بذات الطريقة التي يُحب بها الخُطاة. فهو يُحب الخُطاة بحُب الرحمة فقط، وهو حُب زمني يدوم حتى مماتهم. وفي الوقت الذي به يحبهم حُباً رحيماً هو يكرههم كرهاً نابعاً عن عدم استحسانه لسلوكهم الشخصي. ذلك ما يعلمه الكتاب المُقدس.

ومن ناحية أخرى، يُحب الله أولاده أكثر من هؤلاء الغير مولودين الميلاد الثاني. فهو يُحبهم على أساس حُب الاستحسان لأنهم تابوا ودائماً يسعون لطاعة وصاياه. وبينما ينمون بالقداسة، فإن الحب الالهي الرحيم يأخذ بالقلة مع الوقت. ولكن تتحول أسباب حبه لهم أكثر فأكثر ليُحبهم بحُب الاستحسان، الامر الذي يرغبون به.

أقول هذا لأن الكثير من تصورات محبة الله الموصوفة من وُعاظ ومعلمي هذا العصر مُضللة وغير دقيقة. فعي ضوء ما يقوله الكتاب المُقدس، توقف للحظة وقيم الأمثلة التالية عن محبة الله:

(١) لا يمكنك القيام بأي شيء لتجعل الله يُحبك أكثر أو أقل من حبه لك الآن.

(٢) لا يمكنك القيام بأي شيء لتجعل الله يمتنع عن حُبه لك.

(٣) حُب الله غير مشروط.

(٤) الله يُحب كل واحد بنفس الطريقة.

(٥) الله يُحب الخُطاة ولكن يكره الخطيئة.

(٦) لا من شيء يمكنك فعله لتربح أو تستحق حُب الله.

(٧) حُب الله لنا ليس مبنياً على أعمالنا.

كل ما ذُكر أعلاه يمكن أن يكون مُضلل أو غير صحيح، حيث أن أغلبيتها يُنكر تماماً حُب الاستحسان من الله والأخرى منها تسيئ بتقديمها للحب الرحيم.

أما بخصوص رقم (١) هناك بعض المؤمنين الذين قد يفعلوا ما قد يُزيد من حُب الاستحسان اللهي لهم: فقد يكونوا مطيعين أكثر. وهناك شيء ما يمكنهم فعله ليقبلوا حُب الاستحسان من الله: وهو عدم الطاعة. أما الخُطاة فهناك شيئاً ما يمكنهم فعله لجعلوا الله يحبهم أكثر: التوبة. وبعد ذلك سيربحون حُب الاستحسان من الله. وهناك شيئاً ما يمكنهم فعله لجعلوا حُب الله لهم ينتهي: الموت. وحينها سيخسرون في هذه الحالة الحُب الوحيد الذي كان يكرهه الله لهم.

وبخصوص رقم (٢) يمكن لشخص مسيحي أن يخسر حُب الاستحسان من الله عن طرق العودة لممارسة الخطيئة، ووضع نفسه في موقف حيث يختبر فقط الحُب الرحيم من الله. ومرة أخرى أقول، الغير المؤمن يمكنه بمماته أن ينهي حُب الرحمة من الله، وهو الحُب الوحيد الذي كرهه الله له.

وبالنسبة لرقم (٣) حُب الاستحسان من الله هو حُب مشروط. وحتى حُب الرحمة من الله مشروط بأن يكون الشخص على قيد الحياة. فبعد الموت، حُب الرحمة سينتهي، ولذلك فهو أيضاً مشروط لأنه مؤقت.

وبالنسبة لرقم (٤) على الأرجح أن الله لا يُحب كل شخص بنفس المقدار، لأن الجميع، الخُطاة والقديسين ذات الشيء، فهو يستحسن أو لا يستحسن بدرجات مُتفاوتة.

أما بالنسبة لرقم (٥) فانه يكره الخُطاة وخطاياهم. ويمكن أن تكون أفضل بقول إنه يُحبهم بحُب ويكره خطاياهم. ومن وجهة نظر حُب الاستحسان من الله، فهو يكرههم.

وبخصوص رقم (٦) كل شخص عليه أن يكتسب حُب الله له. وبالطبع لا أحد يمكنه أن يربح الحب الرحيم من الله، فهو حُب غير مشروط.

وأخيراً بخصوص رقم (٧) الحُب الرحيم من الله غير مبني على الأعمال ولكن حُب الاستحسان من الله بالتأكيد مشروط.

كل هذا لأقول إنه على الخادم المتلمذ أن يُقدم محبة الله بدقة، كما تم وصفها على صفحات الكتاب المقدس، لأنه لا يُريد لأي شخص أن يُخدع. فالذين ينالون حُب الاستحسان من الله هم الذين يدخلون ملكوت السموات، والله يحب بشكل استحساني أولئك الذين وُلِدوا الميلاد الثاني ليُطيعوا يسوع. فالخادم صانع التلميذ لن يعلم البتة ما قد يقود الناس بعيداً عن القداسة. فهدفه هو هدف الله، وهو أن يصنع تلاميذ مُطيعين لوصايا المسيح.

الفصل السابع

التفسير الكتابي

Biblical Interpretation

كتب بولس الرسول لتيموثاوس:

أَنْتَبِهْ جَدِّدًا لِنَفْسِكَ وَلِلتَّعْلِيمِ. فَإِنَّكَ إِذْ تُوَاطِبُ عَلَى ذَلِكَ، تُثَقِّدُ نَفْسَكَ وَسَامِعِيكَ أَيْضاً (تيموثاوس الأولي ٤: ١٦).

يجب على كل خادم أن يمتحن قلبه، وينتبه بادئ كل شيء الى نفسه، مُتأكداً أنه يُعد قدوة للتقوى.

ثانياً يجب أن ينتبه لتعليمه، لأن خلاصه الأبدي وخلاص للذين يستمعون اليه يعتمد على ما يعلمهم، كما كتب بولس في الآية المذكورة أعلاه.^{٣٣} إن قدم الخادم عقيدة خاطئة أو تغاضي عن إخبار الشعب بالحقيقة، فالنتيجة ستكون كارثية عليه وعلى الآخرين.

فليس هناك من أي عُذر، للخادم صانع التلاميذ ليُعلم عقيدة خاطئة، كما أعطاه الله الروح القدس وكلمته ليُرشده إلى الحقيقة. وفي المُقابل، الخُدام ذوي الدوافع الخاطئة هم مُجرد ببغاوات بنسخ طرق التعليم المشهورة لدى الآخرين، غير دارسين الكلمة بأنفسهم، فهم عُرضة للخطأ في عقيدتهم وتعليمهم. والحماية ضد هذا أن يُنقي الخادم قلبه، مؤكداً دوافعه (١) أن يرضي الله. (٢) وأن يُساعد شعبه ليكونوا مُستعدين للوقوف أمام يسوع، بدلاً من أن يصبحوا أثرياء، وأقوياء أو مشهورين. بالإضافة إلى ذلك، يجب على الخادم أن يدرس كلمة الله جيداً، ولذلك عليه أن يكون على دراية جادة ودقيقة بذلك. فكتب بولس لتيموثاوس: اجْتَهِدْ أَنْ تُقَدِّمَ نَفْسَكَ بِهِ فَائِزاً فِي الْامْتِحَانِ، غَامِلاً لَيْسَ عَلَيْهِ مَا يَدْعُو لِلْخَجَلِ، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِاسْتِقَامَةٍ (تيموثاوس الثانية ٢: ١٥).

القراءة والدراسة والتأمل في كلمة الله يجب أن تكون بانضباط لممارسات الخادم المُستمرة. والروح القدس سيُساعد به أن يملأ فاه بكلمة الله حينما يدرسها بجدية، ولذلك يضمن أنه "سيتعامل بدقة مع كلمة الحق". فواحدة من أكبر المشاكل التي تواجهها الكنيسة اليوم هي أن الخُدام يُخطئون في تفسير كلمة الله وباستمرار يُضللون الناس بتعليمهم. فقد حذر يعقوب،

يَا إِخْوَتِي، لَا تَتَسَابَقُوا كَيْ تَجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ مُعَلِّمِينَ لِغَيْرِكُمْ فَتَزِيدُوا عَدَدَ الْمُعَلِّمِينَ! وَاذْكُرُوا أَنَّنَا، نَحْنُ الْمُعَلِّمِينَ، سَوْفَ نُحَاسَبُ حِسَاباً أَقْسَى مِنْ غَيْرِنَا (يعقوب ٣: ١).

ولهذا السبب لمن المُهم للخادم صانع التلاميذ أن يعلم كيف يُفسر كلمة الله، بهدف الدقة في الفهم وتوصيل المعنى المقصود بالكتاب المُقدس.

^{٣٣} من الواضح أن، بولس لم يؤمن بأمان الأبدية غير المشروط، وإلا فقد لم يُخبر تيموثاوس، الشخص الذي خُصن، الذي يحتاج لفعل شيء لتأكيد خلاصه.

فالتفسير الصحيح لكلمة الله يتطابق والطريقة الصحيحة المُستخدمة في تفسيراتنا لكلمات أي شخص. وإن أردنا أن نفهم المعنى المقصود بدقة لأي كاتب أو مُحدث، فنستخدم قوانين التفسير، وهي القوانين المبنية على المنطق. ففي هذا الفصل، سنُلقي نظرة على ثلاثة من أهم القوانين لتفسير الكتاب المقدس. وهي: (١) القراءة بدقة، (٢) قراءة السياق، (٣) القراءة بأمانة.

القانون رقم ١): اقرأ بوعي. فسر ما تقرأ حرفياً إلا إذا كان من المقصود فهم بعض الأشياء على أنها مجازية أو رمزية.

فالكتاب يشبه الأدب، مملوء بالأمثلة الاستعارية، والمجازية والتجسيدية. ويجب أن تؤخذ كل منها كما هي بعين الاعتبار.

فالعبرة/الاستعارية هي مقارنة المُتشابهات بين شيئين مُختلفين من حيث الأساس. والكتاب المُقدس يحتوي على الكثير من الاستعارات. ويمكن للشخص أن يجد كلمات المسيح أثناء العشاء الأخير:

وَبَيْنَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ رَغِيفاً، وَبَارَكَ، وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ: خُذُوا، كُلُوا: هَذَا هُوَ جَسَدِي!

ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ، وَشَكَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ».^{٢٧}

فَإِنَّ هَذَا هُوَ دَمِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَالَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا.^{٢٨}

(متي ٢٦: ٢٦-٢٨)

فهل قد عنى يسوع حرفياً أن ذلك الخبز الذي أعطاه لتلاميذه هو جسده وأن النبيذ الذي شربوه هو بالفعل دمه؟ فالمنطق يقول لنا لا. والكتاب المقدس يقول بوضوح أنه كان خُبز ونبيذ ما أعطاه يسوع لهم، ولم يقل شيء عن التغيير الحرفي للعناصر لتصبحا جسداً ودماً في تلك اللحظة. ولم يذكر أي من كلا التلميذين، بطرس ويوحنا، اللذان حضرا العشاء الرباني، أي شيء عن ذلك في الرسائل الخاصة بهما، ومن المُستبعد جداً أن يقضي التلاميذ وقتاً ممتعاً كما يفعل آكلي لحوم البشر!

فالبعض يُعارض ويقول، "ولكن قد قال يسوع أن الخُبز والخمر كانا فعلاً جسده ودمه، ولهذا أنا سأؤمن بما قاله يسوع!"

وقد قال يسوع ذات مرة أنه هو الباب (أنظر يوحنا ١٠: ٩). هل كان يعني أنه قد أصبح باباً بالمعنى الحرفي له متاريس وقفل؟ وقال أيضاً بموقف آخر أنه هو الكرمة وأننا نحن الأغصان (أنظر يوحنا ١٥: ٥). هل كان يسوع يعني أنه تحول بالفعل إلى كرمة؟ هل أصبحنا نحن بالفعل أغصان؟ ومرة أخرى قال يسوع أنه هو نور العالم والخُبز الآتي من السماء (أنظر يوحنا ٩: ٥؛ ٦: ٤١). هل كان يسوع بالفعل يعنى أنه هو ضوء الشمس وقطعة خُبز؟

فمن الواضح أن كل هذه العبارات ما هي إلا أمثلة تصويرية مجازية، وهي ما تُسمى بعبارات استعارية، وهي مُقارنة بين شيئين مختلفين تماماً لكنهما يتشاركان في بعض التشابهات. ففي بعض الأحيان كان يسوع مثل الباب والكرامة. وكذلك عبارات يسوع في العشاء الأخير كانت بوضوح مجازية أيضاً. فالخمر مثل دمه (على نحو ما). والخبز هو جسده (على نحو ما).

أمثال المسيح

أمثال المسيح هي تشبيهات، وهي كالاستعارات، ولكن التشبيهات دائماً تشمل على كلمة "مثل" أو حرف "ك" أو "هكذا". فهذه الأمثال تُعلمنا دروس روحية عميقة عن طريق المُقارنة لتشابهات بين شيئين غير مُتشابهين على الإطلاق. وهذه نقطة مُهمة لتؤخذ في الاعتبار عند تفسيرنا لهذه الأمثال، وإلا لوقعنا في خطأ أن نجعل كل ما هو تفصيلي من نقاط صغيرة لتُحجيمها بحيث تصبح ذات أهمية، فما يهمنا من الامثال هو النقاط أوجه الشبه لأن ذلك هو ما يريده المتكلم أن يصله. فالاستعارات والتشبيهات دائماً ما يصلون إلى المكان حيث تنتهي عنده المُتشابهات وتبدأ عنده الاختلافات. فعلى سبيل المثال إن قُلْتُ لزوجتي "عينيك مثل بركة السباحة"، فهذا أعني أن عينيها زرقواتان، عميقة وداعية. فأنا لا أعني أن هناك أسماك فهذا أعني عينيها زرقاء، عميقة وداعية. ولا أعني أن هناك أسماك تعوم في عينيها، وأن الطيور تقف عليهما، وأنهما يتجمدان أثناء الشتاء.

دعونا نأخذ بالاعتبار ثلاثة من أمثال يسوع، كل أنواع التشبيهات، ففي الأول سنبدأ بمثل شبكة الصيد:

وَيُسَبِّهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ أَيْضاً بِشَبَكَةٍ أُلْقِيَتْ فِي الْبَحْرِ، فَجَمَعَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ.^٧
وَلَمَّا امْتَلَأَتْ، جَذَبَهَا الصِّيَادُونَ إِلَى الشَّاطِئِ وَجَلَسُوا، ثُمَّ جَمَعُوا مَا كَانَ جَدِيداً فِي سِلَالٍ، وَطَرَحُوا الرَّدِيءَ^٨ خَارِجاً.

هَكَذَا يَحْدُثُ فِي نِهَآيَةِ الزَّمَانِ: يَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيُخْرِجُونَ الْأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الْأَبْرَارِ،^٩
وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرَيرُ الْأَسْنَانِ.^{١٠}

(متي ١٣: ٤٧-٥٠)

هل ملكوت السماوات وشبكة الصياد ذات الشيء؟ بالطبع لا! فكلاهما مختلفتان كل الاختلاف، ولكن هناك بعض التشابهات القليلة. فكما يفصل السمك إلى نوعين، المقبول وغير المقبول، بعد أن يتم سحب الشبكة، هكذا سيحدث في مملكة الله. فيوماً ما كلا من الشرير والصالح، اللذان يعيشان معاً الآن، سيتم فصلهما عن بعضهما. وبهذا سيكون قد تمت التشابهات. فالسمك يعوم والناس يمشون. والصيادين يفصلون السمك. والملائكة يفصلون الشرير عن الصالح. فيُحكم على السمك بجودة الطعم عندما يتم طبخه. والناس يُحكم عليهم بطاعتهم وعدم طاعتهم لله. فالسمك الجيد يتم وضعه في صناديق والسمك السيء يتم إلقاؤه في الخارج. فالناس الصالحين يرثون ملكوت الله والأشرار يلقون في الجحيم.

هذا المثل هو مثال مُمتاز عن كيفية أن الاستعارة والتشابه في النهاية غير مُمتازين في المُقارنة لأن الأشياء التي يجري مُقارنتها هي مُتباينة من حيث الأساس. فلا تُريد أن نتخطى ما قد عناه المُتحدث، مُعتقدين أن الاختلافات هي في الأساس تُشابهها. فعلى سبيل المثال، نحن نعلم جميعاً أن السمك الجيد يتم طبخه في النهاية على النار، والسمك الفاسد يتم إلقاؤه في الماء ثانية ليعوم ليوم آخر. فلم يقصد يسوع ذلك! والا فلصار التفسير ليعمل ضد غرضه.

فهذا المثل بالتحديد لا يعلم (بغض النظر عما يقوله الآخرون) استراتيجية "التبشير على نحو شبكة الصيد"، حيث نُحاول أن نسحب كل شخص إلى الكنيسة، الجيد والفسد، بغض النظر إن كانوا يُريدون الذهاب إلى الكنيسة أو لا! هذا المثل لا يثبت أن اختطاف الكنيسة ستحدث في نهاية فترة الضيقة. هذا المثل لا يُعلم أن خلاصنا هو اختيار الله محض لأن الأسماك المُختارة في هذا المثل ليس لها أي علاقة عن سبب اختيارها. لا تستخدم القوة لتبين أهمية أمور لا تبرير لها في أمثال يسوع!

أبق على استعداد

وهنا نذكر مثلاً آخر مشهوراً قاله يسوع، مثل العشرة عذاري:

حِينَئِذٍ يَشْبُهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ بَعْشَرَ عَذَارَى أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَانْطَلَقْنَ لِمُلَاقَاةِ الْعَرِيسِ. ^١

وَكَانَتْ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلَاتٍ. ^٢

فَأَخَذَتِ الْجَاهِلَاتُ مَصَابِيحَهُنَّ دُونَ زَيْتٍ. ^٣

وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ، فَأَخَذْنَ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ زَيْتاً وَضَعْنَهُ فِي أَوْعِيَةٍ. ^٤

وَإِذْ أَبْطَأَ الْعَرِيسُ، نَعَسَ جَمِيعاً وَنِمْنَ. ^٥

وَفِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، دَوَّى الْهَتَافُ: هَا هُوَ الْعَرِيسُ آتٍ؛ فَانْطَلِقْنَ لِمُلَاقَاتِهِ! ^٦

فَنَهَضَتِ الْعَذَارَى جَمِيعاً وَجَهَّزْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. ^٧

وَقَالَتِ الْجَاهِلَاتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَا بَعْضَ الزَّيْتِ مِنَ الزَّيْتِ مِنْ عِنْدِكُنَّ، فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ! ^٨

فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ: رُبَّمَا لَا يَكْفِي لَنَا وَلَكِنْ. فَادْهَبْنَ بِالْأُخْرَى إِلَى بَائِعِي الزَّيْتِ وَاشْتَرِينَ لَكُنَّ! ^٩

وَبَيْنَمَا الْجَاهِلَاتُ ذَاهِبَاتٌ لِلشِّرَاءِ، وَصَلَ الْعَرِيسُ، فَدَخَلَتِ الْمُسْتَعِدَّاتُ مَعَهُ إِلَى قَاعَةِ الْعُرْسِ، وَأَغْلَقَ الْبَابُ. ^{١٠}

وَبَعْدَ جِيلٍ، رَجَعَتِ الْعَذَارَى الْأُخْرَى، وَقُلْنَ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا! ^{١١}

فَأَجَابَ الْعَرِيسُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي لَا أَعْرِفُكُمْ! ^{١٢}

فَاسْهَرُوا إِذَنْ، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلَا السَّاعَةَ! ^{١٣}

(متي ٢٥: ١-١٣)

فما هو الدرس الأساسي من هذا المثل؟ والجواب قد نجده في العبارة الأخيرة. كُن مُستعداً لعودة الرب، لأنه قد يتأخر أكثر مما تتوقعه.

كما ذكرت في الفصل السابق، قال يسوع هذا المثل لبعض من تلاميذه المقربين (أنظر متي ٢٤: ٣؛ مرقس ١٣: ٣)، الذين من الواضح كانوا يتبعوه بطاعة في ذلك الوقت. وذلك ينطبق بوضوح في هذا المثل أن الحقيقة هي احتمالية عدم كون كل من، بطرس، ويعقوب، ويوحنا، وأندراوس مُستعدين عند عودة يسوع. ولذلك السبب كان يُحذرهم. ولذلك يُعلمنا هذا المثل أن هؤلاء الذين يعتقدون انهم مُستعدون الآن لعودة المسيح لربما هم بالحقيقة غير مُستعدين لعودته. فكل من العشرة عذاري كنّ مُستعدات في البداية، ولكن خمسة منهن كما تبين لم يكنّ مُستعدات. فإن قد عاد العريس مُبكراً، لكان كل من العشرة عذاري حُصينّ بشرف الدخول معه للعرس.

ولكن ما هي الأهمية لنا أن تكون هناك خمسة عذاري جاهلات وخمسة عذاري حكيّات؟ هل ذلك يعني أن نصف المؤمنين فقط سيكون مُستعداً عند عودة المسيح؟ لا.

ما هي أهمية الزيت؟ هل الزيت يُمثل الروح القدس؟ لا. هل ذلك يكشف لنا أن فقط هؤلاء المُعمدين بالروح القدس سيدخلون ملكوت السماوات؟ لا.

هل ذلك يكشف لنا أن يسوع سيعود في مُنتصف الليل؟ لا.

لماذا لا يطلب العريس العذاري الحكيّات ليُعرفن أصدقائهن الجاهلات عند الباب؟ إن سأل العريس الحكيّات ليُعرفن الجاهلات، لكان قد فقَدَ هذا المثل المغزى الذي أراد توضيحه، ولربما قد استطاع العذاري الجاهلات الدخول في نهاية المطاف وبأي حال.

ولربما يمكن القول كما أن العذاري الجاهلات لم يعد لديهن زيت لمصاييحهن فذهبن للنوم، فذلك ما يفعله المؤمنون الجهلاء حين يسيروا في الظلام الروحي ويذهبوا للنوم الروحي وبذلك يقادون إلى دينونتهم. لربما يمكن العثور على التشابه بوليمة العرس في هذا المثل والعرس العتيد للحمل، وهكذا يُمكن للمرء إيجاد التفسير لهذا المثل دون فرض المعنى من خلال التفاصيل الهامشية.

جنى الثمار

إن من أسوأ التفسيرات التي سمعتها عن أمثال المسيح كانت تفسير أحد الوُعاظ لمثل القمح والزوان. دعونا أولاً نقرأ المثل معاً:

وَصَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ، قَالَ: يُشَبَّهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ بِإِنْسَانٍ زَرَعَ زَرْعاً جَيِّداً فِي حَقْلِهِ. ٢٤

وَبَيْنَمَا النَّاسُ نَائِمُونَ، جَاءَ عَدُوُّهُ، وَبَذَرَ زَوَاناً فِي وَسْطِ الْقَمْحِ، وَمَضَى. ٢٥

فَلَمَّا نَمَا الْقَمْحُ بِسَنَابِلِهِ، ظَهَرَ الزَّوَانُ مَعَهُ. ٢٦

فَدَهَبَ عَبِيدُ رَبِّ الْبَيْتِ، وَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَمَا زَرَعْتَ حَقْلَكَ زَرْعاً جَيِّداً؟ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَهُ الزَّوَانُ؟ ٢٧

أَجَابَهُمْ إِنْسَانٌ عَدُوٌّ فَعَلَ هَذَا! فَسَأَلُوهُ: أَتُرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ وَنَجْمَعَ الزَّوَانُ؟ ٢٨

أَجَابَهُمْ: لَا، لِئَلَّا تَقْلَعُوا الْقَمْحَ وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَ الزَّوَانُ. ٢٩

أَتْرَكُوهُمَا كُلَّيْهِمَا يَنْمُوَانِ مَعاً حَتَّى الْحَصَادِ. وَفِي أَوَانِ الْحَصَادِ، أَقُولُ لِلْحَصَّادِينَ: اجْمَعُوا الزَّوَانِ أَوَّلًا ٣٠
وَارْبُطُوهُ حُزْماً لِيُحْرَقَ. أَمَّا الْقَمْحُ، فَاجْمَعُوهُ إِلَى مَخْرَئِي.

(متي ١٣: ٢٤-٣٠)

والآن هنا ما قاله ذلك الواعظ في تفسيره:

في الحقيقة أنه عندما نما كلا من القمح والزوان، كانا كليهما مُتشابهين تماماً. ولم يستطيع أحد أن يعرف الفرق ما بين القمح والزوان. وذلك يشير لما هو في العالم وفي الكنيسة. فلا أحد يمكنه أن يُفرق بين المسيحيين الحقيقيين ومن هم غير المؤمنين. لا يمكن تعريفهم عن طريق كيفية حياتهم، لأن هناك العديد من المسيحيين غير المُطيعين للمسيح ويعيشون كما الغير مؤمنين من الناس. الله هو الوحيد الذي يعلم ما في القلوب، وهو الذي يفصلهم عن بعض في النهاية.

وبالطبع هذا الشرح سابق الذكر ليس هو المقصود به من مثل القمح والزوان! ففي الحقيقة أنه يُعلم المؤمنين أنهم بالطبع مُميزين عن غير المؤمنين. ولاحظ أيضاً أنه في عدد ٢٦ اكتشف العبيد الزوان عندما بدأ القمح في النمو وإعطاء بذور. أما الزوان فلا ثمار له، ولهذا تمكن العبيد من معرفة وجوده، أنا أعتقد أنه لأمر عظيماً أن يختار يسوع لنا بمثله نباتاً غير منتج للثمار ليُمثل الأشرار الذين سيجمعون كلهم معاً في النهاية ليُلْقُوا فِي الْجَحِيمِ.

فالنقاط الأساسية في هذا المثل مُباشرة: المُخَلَّصُونَ الحقيقيون يَجْنُونَ ثماراً، والغير مُخلصين لا يَجْنُونَ أي ثمار. وعلى الرغم من أن الله لا يُدين الأشرار بعد وهم أحياء وسط المُخلصين، فسيأتي يوماً به سيفصلهم عن الأبرار ويُلقبهم في النار.

وقد اتانا يسوع بتفسير لهذا المثل ولذلك لا حاجة لأي أحد أن يبحث بتفسيرات شخصية لما هو أبعد مما قاله يسوع:

ثُمَّ صَرَفَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ وَقَالُوا: فَسَيَرُّ لَنَا مَثَلُ زَوَانِ الْحَقْلِ. ٣٦

فَأَجَابَهُمْ: الزَّارِعُ الزَّرْعَ الْجَيِّدَ هُوَ ابْنُ الْإِنْسَانِ. ٣٧

وَالْحَقْلُ هُوَ الْعَالَمُ. وَالزَّرْعُ الْجَيِّدُ هُوَ بَنُو الْمَلَكُوتِ. وَالزَّوَانُ هُوَ بَنُو الشَّرِّيرِ. ٣٨

أَمَّا الْعَدُوُّ الَّذِي زَرَعَ الزَّوَانِ فَهُوَ إِبْلِيسُ. وَالْحَصَادُ هُوَ نِهَايَةُ الزَّمَانِ. وَالْحَصَّادُونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ. ٣٩

وَكَمَا يُجْمَعُ الزَّوَانُ وَيُحْرَقُ بِالنَّارِ، هَكَذَا يَحْدُثُ فِي نِهَايَةِ الزَّمَانِ: ٤٠

يُرْسِلُ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَلَائِكَتَهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمُفْسِدِينَ وَمُرْتَكِبِي الْإِثْمِ،^١

وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرَيرُ الْأَسْنَانِ.^٢

عِنْدَئِذٍ يُضِيءُ الْأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ، فَلْيَسْمَعْ!^٣

(متي ١٣: ٣٦-٤٣)

المبالغة

ثاني أكثر التعبيرات الكلامية شيوعاً في الكتاب المقدس هي صيغة المبالغة. المبالغة هي مبالغة مُتعمدة لأحداث توضيحات على المعنى. فعندما تقول أم لابنها "لقد أخبرتك ألف مرة لتأتي إلى المنزل للعشاء"، فهذه تعتبر مبالغة. ومثل المبالغة في الكتاب المقدس كمثل قطع اليد اليمنى:

وإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى فَخَاً لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلَا يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ! (متي ٥: ٣٠)

فإن كان قصد يسوع أن كل من قد أخطأ بطريقة أو بأخرى عليه أن يقطع يده اليمنى، عندها كلنا سنصبح مقطوعي الأيدي اليمنى! وبالطبع أن مشكلة الخطية ليست انها فعلاً ارتكبت بالأيدي. وعلى الأرجح أراد يسوع أن يُعلمنا أن الخطية قد تُرسلنا إلى الجحيم، والطريقة لتجنب الخطية إزالة الإغراءات من أمامنا تلك التي تُسبب لنا العثرة.

التشبيه التشخيصي

التشبيه التشخيصي هو التعبير الثالث لأنواع الكلام نواجهه في الكتاب المقدس. التشبيه هو تعبير مجازي وهو يوضح لنا بسمات إنسانية منسوبة لله من أجل مُساعدتنا على الفهم. فعلى سبيل المثال، عندما نقرأ في سفر التكوين إصحاح ١١: ٥:

وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِي بِنَائِهِمَا (تكوين ١١: ٥).

فهذا التشبيه تشخيصي لأنه يبدو من غير المعقول لله كلي المعرفة أن يقوم برحلة من السماء إلى بابل ليُحقق فيما بناه الناس!

الكثيرون من علماء الكتاب المقدس يعتبرون أن كل عبارة في الكتاب المقدس تصف جسد الله، كذراعيه، ويديه، وأنفه، وعينه، وشعره، على أنها تشبيهاً تشخيصياً. فبالأكيد بذلك يقولون إنه ليس لله أعضاء جسدية فعلية كالbشر.

فأنا أعترض هنا لعدة أسباب. الأول، لأن الكتاب المقدس يُعلمنا أننا خُلِقنا على صورة الله ومثاله:

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ: "لِنَصْنَعِ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا، كَمِثَالِنَا" (تكوين ١: ٢٦).

والبعض ربما يقول إننا خُلِقْنَا على صورة الله ومثاله فقط بمعنى أنه لدينا وعياً ذاتياً، والمسؤولية الأخلاقية، والقدرة على التفكير المنطقي وهكذا. دعونا نقرأ آية مشابهة لتكوين ١: ٢٦، وهي واحدة تأتي بعد عدة اصحاحات:

كَانَ عُمُرُ آدَمَ مِنْهُ وَثَلَاثِينَ سَنَةً عِنْدَمَا أَنْجَبَ وَلَدًا كَشَبَهُهُ وَمِثَالِهِ، وَسَمَّاهُ شِيثًا (تكوين ٥: ٣).

وهذا بالتأكيد يعني أن شيث كان على شبه ومثال أبيه في الملامح الجسدية. وإن كان هذا هو المعنى في تكوين ٥: ٣، فبالأكيد ذلك التعبير يحمل ذات المعنى لذلك الشيء في تكوين ١: ٢٦. فالمنطق والتفسير السليم يؤكدان هذا.

وعلاوةً على ذلك، لدينا بعض الاوصاف لله من خلال بعض الكتاب المقدس ممن رأوه. مثل موسى، وثلاثة وسبعون آخرين من شعب إسرائيل، رأوا الله:

ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونَ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ،^٩

وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ قَدَمَيْهِ أَرْضِيَّةٌ كَأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ الشَّقَافِ ثَمَائِلُ السَّمَاءِ فِي الْنَقَاءِ،^{١٠}

وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ لِيُفْلِكَ أَشْرَافَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللَّهَ وَأَكَلُوا وَشَرَبُوا.^{١١}

(خروج ٢٤: ٩-١١)

فإن سألت موسى إن كان الله يدين وقدمين، فما كان عساه قال؟^{٣٤} أيضاً رأى دانيال النبي الله الأب والابن:

وَبِمَا كُنْتُ أَنْظُرُ، نُصِبَتْ عُرُوشٌ وَاعْتَلَى الْأَزَلِيُّ [الله الأب] كُرْسِيَّةٌ وَكَانَتْ ثِيَابُهُ بَيَضَاءَ كَالْتَلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهيباً مُتَوَهِّجاً وَعَجَلَاتُهُ نَاراً مُنْقَدَّةً.

وَمِنْ أَمَامِهِ يَدْفَقُ وَيَجْرِي نَهْرٌ مِنْ نَارٍ، وَتَخْدُمُهُ أُلُوفُ الْمَلَائِكَةِ، وَيَمْتَلُ فِي حَضْرَتِهِ عَشْرَاتُ^{١٠} الْأُلُوفِ. فَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ وَفُتِحَتِ الْأَسْفَارُ.

وَشَاهَدْتُ أَيْضاً فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ إِذَا بِمِثْلِ ابْنِ الْإِنْسَانِ [الله الابن] مُقْبِلاً عَلَى سَحَابٍ حَتَّى بَلَغَ الْأَزَلِيَّ^{١٣} فَقَرَّبُوهُ مِنْهُ.

فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِسُلْطَانٍ وَمَجْدٍ وَمَلَكُوتٍ لِنَتَعَبَدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانُ أَبَدِيٍّ لَا^{١٤} يَفْنَى، وَمُلْكُهُ لَا يَنْقَرِضُ. (دانيال ٧: ٩-١٠، ١٣-١٤)

^{٣٤} موسى أيضاً رأى ذات مرة ظهر الله حين سار بجانبه. الله وضع يده في وضع ليحجب موسى من رؤية وجهه؛ خروج ٣٣: ١٨-٢٣.

فإن سألت دانيال إذا ما كان لله شعراً أبيضاً أو كيف كان يجلس على عرشه، فما عساه يقول؟
الله رُوحٌ، فَلِذَلِكَ لَا بُدَّ لِعَابِدِيهِ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوهُ بِالرُّوحِ وَبِالْحَقِّ (يوحنا ٤ : ٢٤).

ومع كل ذلك أنا مؤمن أن الله الأب لديه شكل عظيم وهو شكل مُشابه قليلاً لشكل الإنسان، وعلى الرغم من ذلك فهو غير مكون من جسد ودم، ولكن من الروح. (أنظر يوحنا ٤ : ٢٤).

كيف يمكننا أن نفرق أي جزء من الكتاب المقدس كان المقصود أن يُفسر حرفياً وأي يجب أن يُفسر تصويرياً أو رمزياً؟ فهذا شيء سهل على أي شخص يمكنه تعقل الأشياء منطقياً. فسر كل شيء حرفياً إلا إذا لم يكن هناك بديل آخر إلا للتفسير المكتوب على أنه تصويرياً أو رمزياً. فمن الواضح أن كتب أنبياء العهد القديم وسفر الرؤيا على سبيل المثال، مليئة برموز هذا عددها، التي تم شرح بعضها، والبعض الآخر يتم شرحه ولكن هذه الأمثلة ليست صعبة على التعريف.

القانون رقم ٢: أقرأ السياق. فكل فقرة لابد وأن تُفسر على ضوء الفقرات المحيطة بها وسيقاق الكتاب المقدس بأكمله. فالسياق الثقافي والتاريخي يجب أخذهما بعين الاعتبار بقدر ما أمكن.

قراءة الآيات دون الأخذ بالاعتبار سياق الكتاب المقدس بجملته وربما يكون السبب الأساسي لوقوعنا بأخطاء تفسيرية.

فمن الممكن أن تجعل الكتاب المقدس يقول ما تريد أنت قوله عن طريق عزلك لبعض الآيات من السياق الكلي. فعلى سبيل المثال، أنت تعلم أن الكتاب المقدس يقول أنه ليس هناك وجوداً لله؟ ففي مزمور ١٤ نقرأ "لَا يُوجَدُ إِلَهٌ" (مزامير ١٤ : ١). فإن كنا نريد أن نُفسر هذه الكلمات بدقة، فيجب أن نقرأ السياق بالكامل "فيقول الأحق في قلبه "لا يوجد إله!" (مزامير ١٤ : ١. والآن نرى هذه الآية قد أخذت معنى آخر تماماً!

مثال آخر: لقد سمعت ذات مرة أحد الواعظ يعظ عن "حاجة المسيحيين للمعمودية بالنار". وبدأ هذا الواعظ عظته بقراءة كلمات يوحنا المعمدان من إنجيل متي ٣ : ١١ : " أَنَا أَعْمِدُكُمْ بِالمَاءِ لِأَجْلِ التَّوْبَةِ، وَلَكِنَّ الْآتِيَّ بَعْدِي هُوَ أَقْدَرُ مِنِّي، وَأَنَا لَا أَسْتَحِقُّ أَنْ أَحْمِلَ جِذَاءَهُ. هُوَ سَيَعْمِدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِالنَّارِ."

وُبناءً على هذه الآية قد بني هذا الواعظ عظته. فأتذكره قائلاً فقط لأنكم مُعمدين بالروح القدس، فهذا ليس كافياً! فيسوع يُريد أن يُعمدكم بالنار، كما دعى يوحنا المعمدان! واستمر في تفسيره قائلاً إنه حين يتم تعميدنا بالنار، فسنكون حينها مُتعمدين كاملاً لنعمل للرب. وفي النهاية كان لهذا الواعظ مذبحاً داعياً إليه الناس الذين يُريدون أن يعتمدوا بالنار.

وللأسف هذا الواعظ قد ارتكب خطأ قديم عن طريق أخذه الآية خارج السياق.

فماذا كان يعني يوحنا المعمدان عندما قال إن يسوع سيُعمد بالنار. لنجد الإجابة على ذلك، كل ما يجب علينا فعله هو قراءة الآيتين السابقتين لهذه الآية والآية التي تتبعها. فلنبدأ بالآيتين السابقتين. فقد قال يوحنا هنا:

وَلَا تُعْلِلُوا أَنْفُسَكُمْ قَائِلِينَ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا! فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُطْلِعَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ ٩
أَوْلَادًا لِإِبْرَاهِيمَ.

وَمَا إِنَّ الْفَأْسَ قَدْ أُفْقِيتَ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُطْرَحُ فِي النَّارِ. ١٠
(متى ٣: ٩-١٠)

دعونا نتعلم في البداية أن على الأقل جزء من مُستمعي يوحنا كانوا من اليهود في ذلك اليوم، والذين اعتقدوا
أن خلاصهم مبني على نَسَبهم. وهكذا فقد كانت عظة يوحنا تبشيرية.

ونعلم أيضاً أن يوحنا كان يُحذر الناس غير المُخلصين من خطر أن يلقوا خارجاً في النار. ولهذا يبدو من
المعقول أن يشمل النار التي تحدث عنها يوحنا في آية ١٠ هي ذات النار التي تحدث عنها في آية ١١.
وهذه الحقيقة تصبح أوضح عندما نقرأ آية رقم ١٢:

فَهُوَ يَحْمِلُ الْمَذْرَى بِيَدِهِ، وَسَيُنْقِي بِيَدِهِ تَمَامًا: فَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التَّنُّبُ فَيُخْرِقُهُ بِنَارٍ لَا تُطْفَأُ!
(متى ٣: ١٢).

فعلى ضوء الآيتين ١٠ و ١٢، لربما قد تحدث يوحنا عن نار جهنم. وفي الآية رقم ١٢ مجازياً عبر أن
يسوع قسم الناس لمجموعتين – القمح الذي سيُجمع في المخزن، والتبن الذي سيُحرق بنارٍ لا تطفئ.

وفي ظل الآيات المُحيطة لربما كان قصد يوحنا في الآية رقم ١١ أن يسوع سيعمد بالروح القدس، إن كانوا
مؤمنين، أو بالنار إن كانوا غير مؤمنين. وفي هذه الحالة، لا ينبغي على أحد أن يعظ للمسيحيين أنهم
يحتاجون للمعمودية بالنار!

شاردين بعيداً عن سياق تلك الآيات، يجب النظر أيضاً عبر بقية الكتاب المقدس. هل نجد مثلاً واحداً في
سفر أعمال الرسل لمسيحيين قيل عنهم أنهم تعمدوا بالنار؟ لا. أقرب وصف كان للوقا عن يوم حلول الروح
القدس عندما تعمد التلاميذ بالروح القدس وظهرت السنة من نار مؤقتة على رؤوسهم. ولكن لوقا لم يقل أن
تلك كانت معمودية بالنار. وعلاوة على ذلك هل يمكننا أن نجد عظة أو إرشاد في الرسائل إلى المسيحيين
ليُعمدوا بالنار؟ لا. ولذلك، يمكننا أن نلخص بأمانة أنه من غير المقبول للمسيحيين السعي لأجل معمودية
النار.

الإنجيل الزائف المُستمد من الكتاب المقدس

في مُعظم الأحيان يتم سوء تفسير الإنجيل ذاته من قِبل الوعاظ والمُعلمين، لأنهم فشلوا الأخذ بالاعتبار
السياق الكتابي، ويُسيئون تفسير الكتاب المقدس. فالتعليم الزائف عن نعمة الله يُعزز لذات السبب بعينه.

فعلى سبيل المثال، قال بولس عن الخلاص أنه حصيلة النعمة لا بالأعمال يعطى، وهذا نجده في أفسس ٢:
٨، وقد تم سوء استخدامه لتعزيز إنجيل زائف، وكل ذلك بسبب تجاهل السياق الكلي، كتب بولس:

فَاتَّكُم بِالنِّعْمَةِ مُخْلِصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَهَذَا لَيْسَ مِنْكُمْ. إِنَّهُ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ،^٨

لَا عَلَى أَسَاسِ الْأَعْمَالِ، حَتَّى لَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ.^٩

(أفسس ٢: ٨-٩)

الكثيرون ما يركزون على ما ذكر بولس أن الخلاص بالنعمة، وأن الخلاص هو عطية، وليس نتيجة لأعمال. ومن هنا يحتضنون هذه الآية بتناقض لمئات من الآيات الأخرى، بقولهم إنه ليس ثمت من علاقة أيًا كانت بين الخلاص والقداسة. والبعض يذهب بعيداً بالقول لدرجة أنهم يتدعون أنه ليس هناك أي حاجة للتوبة لأجل أن يتم الخلاص. وهذا مثال مألوف عن كيف يمكن لسوء تفسير الكتاب المقدس أن يتجاهل السياق.

أولاً دعونا نلقي نظرة على الفقرة ذاتها. فلم يقل بولس أننا قد خلصنا بالنعمة، ولكنه قال إننا قد خلصنا بالنعمة من خلال الإيمان. فالإيمان هو كل شيء بقدر اعتباره جزءاً من مُعادلة الخلاص بالنعمة. والكتاب المقدس يعلن أن الإيمان بدون أعمال لا قيمة له، وميت، ولا يمكن أن يُخلص (أنظر يعقوب ٢: ١٤-٢٦). ولذلك بولس لا يعلم أن القداسة غير مُتعلقة بالخلاص. فلا يمكننا أن نُخلص دون نعمة الله، ولكن عندما نرد على نعمة الله بالإيمان حينها يظهر الخلاص في حياتنا. فنتيجة الخلاص دائماً هي الطاعة، والثمار الأصيلة للإيمان. فبالنظر على السياق وليس ما أبعد من الآية اللاحقة، سنجد إثبات لذلك.

فَإِنَّا نَحْنُ تُحْفَةُ اللَّهِ، وَقَدْ خَلَقْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ أَعَدَّهَا سَلَفاً لِنَسُلكَ فِيهَا. (أفسس ٢: ١٠)

فالسبب هو أننا تجددنا بالروح القدس، والأن خليفة جديدة في المسيح، فنسير بالأعمال الجيدة والطاعة. ولذلك مُعادلة بولس للخلاص هي كما يلي:

نعمة + إيمان = خلاص + طاعة

وذلك، نعمة زائد إيمان ينتج عنهما خلاص زائد طاعة. عندما يتم الرد على نعمة الله بالإيمان، فالنتيجة دائماً هي خلاص وأعمال جيدة.

ولكن هؤلاء الذين فصلوا كلمات بولس عن السياق الكامل قد طبخوا المعادلة لتكون كما يلي:

نعمة + إيمان - طاعة = خلاص

وهذا هو نعمة زائد إيمان بدون أو ناقص طاعة يُساوي أو ينتج عنها خلاص. وهذه هي هرطقة كما يقول الإنجيل.

فإذا قرأنا قليلاً في سياق كلمات بولس، فسنكتشف أن الموقف في أفسس هو ذات الموقف أينما وعظ بولس. وهذا هو أن اليهود كانوا يعلمون المؤمنين الجدد من الأمم أنهم يجب أن يكونوا مختونين وأن يُحافظوا على تعاليم موسى إن أرادوا أن يخلصوا. وكان هذا في سياق أن الختان والأعمال الطقسية التي كان يُفكر بها بولس عندما كتبها تلك التي لا تُخلصنا (أنظر أفسس ٢: ١١-٢٢).

وإن قرأنا بعمق ولو لقليل، مُتعمقين أكثر في سياق ما كتبه بولس في خطابه بالكامل لأهل أفسس، فسنجد بوضوح أن بولس آمن أن القداسة هي أساسية للخلاص:

أَمَّا الزَّرْنَى، وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ شَهْوَةٍ نَهْمَةٍ، فَلَا يُذَكَّرُ بِنَيْكُمُ حَتَّى اسْمُهَا، كَمَا يَلِيقُ بِالْقِدِّيسِينَ.^٣
وَكَذَلِكَ الْبِدَاءَةُ وَالْكَلَامُ السَّفِيهِ وَالْهَزْلُ، فَهِيَ غَيْرُ لَائِقَةٍ. وَإِنَّمَا أُخْرِى بِكُمْ أَنْ تُلَهَّجُوا بِالشُّكْرِ لِلَّهِ!^٤
فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا جَيِّدًا: أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ صَاحِبِ شَهْوَةٍ نَهْمَةٍ، مَا هُوَ إِلَّا عَابِدُ أَصْنَامٍ، لَيْسَ لَهُ^٥
مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللَّهِ.
لَا يَخْدَعُكُمْ أَحَدٌ بِكَلَامٍ بَاطِلٍ! فَيَسَبِّبِ هَذِهِ الْأُمُورَ يَحِلُّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى أُنْبَاءِ الْعِصْيَانِ.^٦
(أفسس ٥: ٣-٦)

فإن آمن بولس أن نعمة الله ستخلص شخص ما دون توبة أو أخلاق، أو عدم طهارة أو فسق، فلم يُقبل على كتابة هذه الكلمات. فقد عني بولس هذه الكلمات في أفسس ٢: ٨-٩ وعلينا فهمها بشكل صحيح في سياق الخطاب بكامله لأهل أفسس.

الفشل السريع في غلاطية

كلمات بولس الرسول في خطابه لأهل غلاطية تم أيضاً تفسيرها خارج السياق. والنتيجة كانت تحريف الإنجيل، وهو ذات الشيء الذي كان بولس يأمل في تصحيحه في رسالته لأهل غلاطية.
فموضوع رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية بالكامل هو "الخلاص بالإيمان، وليس بأعمال الناموس".
ولكن هل كان قصد بولس لقراءته أن يفهموا أن القداسة غير ضرورية لربح الدخول إلى ملكوت الله؟ بالطبع لا.

أولاً نلاحظ مرة أخرى أن بولس الرسول كان يقاوم اليهود الذين أتوا إلى غلاطية مُعلمين المؤمنين الجُدد أنه لا يمكنهم أن يخلصوا إلا إذا كانوا مختونين وحفظوا ناموس موسى. فذكر بولس على وجه الخصوص موضوع الختان مراراً وتكراراً في رسالته، كما يبدو أن التركيز الأساسي هو للناموسيين اليهود (انظر ٢: ٣، ٧-٩، ٦، ١١؛ ٦: ١٢-١٣، ١٥). لم يكن قلق بولس الرسول على المؤمنين من أهل غلاطية أن يغلوا بإطاعتهم المبالغة لوصايا المسيح، لا بل كان قلقه أنهم أهملوا إيمانهم في المسيح لأجل خلاصهم، واستبدلوه بالختان وصلاتهم الذاتي، العاجزة عن أن تحفظ ناموس موسى.
فعندما تُلقى نظرة على سياق رسالة بولس بالكامل لأهل غلاطية، فنلاحظ أنه كتب في الإصحاح الخامس:

وَلَكِنْ إِذَا كُنْتُمْ خَاضِعِينَ لِقِيَادَةِ الرُّوحِ، فَلَسْتُمْ فِي حَالِ الْعُبُودِيَّةِ لِلشَّرِيعَةِ.^{١٨}

أَمَّا أَعْمَالُ الْجَسَدِ فَظَاهِرَةٌ، وَهِيَ: الزَّرْنَى وَالنَّجَاسَةُ وَالِدَّعَارَةُ،^{١٩}

وَعِبَادَةُ الْأَصْنَامِ وَالسِّحْرِ، وَالْعِدَاوَةُ وَالنِّزَاعُ وَالْغَيْرَةُ وَالْغَضَبُ، وَالتَّحَزُّبُ وَالْانْقِسَامُ وَالتَّعَصُّبُ،^{٢٠}

وَالْحَسَدُ وَالسُّكْرُ وَالْعَرَبْدَةُ، وَمَا يُشْبِهُ هَذِهِ. وَبِالنَّظَرِ إِلَيْهَا، أَقُولُ لَكُمْ الْآنَ، كَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْتُ أَيْضاً، إِنَّ ٢١
الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لَنْ يَرْتُوا مَلَكُوتَ اللَّهِ!

(غلاطية ٥: ١٨-٢١)

إن أراد بولس أن يُخبر أهل غلاطية أن حصولهم على السماء لا يتعلق بقداستهم فيمكنهم الا يكونوا قديسين،
لما كانت هناك حاجة لكتابة هذه الكلمات. فرسالته لم تكن ان الغير قديسين يمكنهم أن يذهبوا إلى السماء،
ولكن للذين يُبطلون نعمة الله وتضحية المسيح عن طريق محاولتهم لكسب خلاصهم من خلال الختان
وناموس موسى فلا يمكن خلاصهم. وما أراد قوله هو أنه ليس الختان الذي يحضر الخلاص. بل الإيمان
بيسوع ينتج عنه خلاص وهو ما يُغير المؤمنين إلى خليفة جديدة مُقدسة:

فَلَيْسَ الْخِتَانُ بِشَيْءٍ، وَلَا عَدَمُ الْخِتَانِ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا (الْمُهْمُ أَنْ يَصِيرَ الْإِنْسَانُ) خَلِيقَةً جَدِيدَةً (غلاطية ٦: ١٥).

فكل هذا يوضح مرة أخرى أهمية الاهتمام بالسياق الكامل عند تفسير الكتاب المُقدس. والطريقة التي يمكن
أن تشوه معاني كلمة الله هي تجاهل السياق الكلي. يمكن أن نقلق فقط على قلوب الخدام الذين يفعلون هذا
بطريقة سافرة وبتعمد.

فعلى سبيل المثال، قد سمعت ذات مرة واعظاً مُعلنًا أنه لا ينبغي علينا أن نذكر غضب الله عندما نعظ
بالإنجيل، لأن الكتاب المُقدس يقول إن "غَنَى لُطْفِهِ وَصَبْرُهُ وَطُولُ أَنْاتِهِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَنْ لُطْفَ اللَّهِ يَدْفَعُكَ
إِلَى التَّوْبَةِ" (رومية ٢: ٤). ولذلك، فحسب رأيه أن الطريقة الصحيحة لنشر الإنجيل هي التحدث فقط عن
حُب الله وصلاحه. ومن المفروض أن ذلك سيجعل الناس يتوبون.

ولكن عندما نقرأ السياق الكلي لهذه الآية الوحيدة التي ذكرها ذلك الواعظ من الإصحاح الثاني من رسالة
بولس الرسول لأهل رومية، فسنتكشف أنه تم تعتيماً على الآيات الكثيرة عن دينونة الله وغضبه الأقدس!
فمحتوى السياق المُباشر يوضح أنه ما من إمكانية لاقتران فيما جاء على لسان بولس وما عناه ذلك الواعظ:
وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ دَيْنُونَةَ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ، هِيَ بِحَسَبِ الْحَقِّ. ٢

فَهَلْ تَنْظُرُ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي تَدِينُ مَنْ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ بَيْنَمَا تُمارِسُهَا أَنْتَ، أَنَّكَ سَتُقْلَبُ مِنْ دَيْنُونَةِ
اللَّهِ؟

أَمْ أَنَّكَ تَحْتَقِرُ غَنَى لُطْفِهِ وَصَبْرَهُ وَطُولَ أَنْاتِهِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَنْ لُطْفَ اللَّهِ يَدْفَعُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ ٤
وَلَكِنَّكَ بِسَبَبِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ النَّائِبِ، تَحْزَنُ لِنَفْسِكَ غَضَباً لِيَوْمِ الْغَضَبِ، يَوْمَ تُعْلَنُ دَيْنُونَةُ اللَّهِ الْعَادِلَةُ. ٥
فَإِنَّهُ سَيُجَازِي كُلَّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. ٦

فَتَكُونُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ لِلَّذِينَ يَسْعَوْنَ إِلَى الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ وَالْخُلُودِ مُثَابِرِينَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ ٧

وَيَكُونُ الْغَضَبُ وَالسُّخْطُ لِلْمَخَاصِمِينَ الَّذِينَ يَرْفُضُونَ الطَّاعَةَ لِلْحَقِّ وَلَكِنَّهُمْ يَخْضَعُونَ لِلْإِثْمِ. ٨

فَالشَّيْءُ وَالضَّيِّقُ عَلَى نَفْسِ كُلِّ إِنْسَانٍ يَعْمَلُ الشَّرَّ الْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ الْيُونَانِيِّ؛ ٩

(رومية ٢: ٢-٩)

فما أشار إليه بولس عن عطف الله هو عطف الله في تأخير غضبه! ويتعجب المرء كيف يمكن لخدام أن يفعل مثل هذا التصريح السخيف على ضوء السياق الأكبر في الكتاب المقدس، المليء بالأمثلة لوعاظ حذروا الخطاة علنياً أن يتوبوا.

تناسق الكتاب المقدس

لأن الكتاب المقدس هو وحي شخص واحد، لذلك فإن رسالته مُنسقة في جميع جوانبه. ولهذا علينا أن ننثق بها لتساعدنا على تفسير ما كان يعنيه الله في كل فقرة مُعطاه. ولم يقل الله شيئاً ما في آية مُعينة بعكس ما قاله بآية أخرى، وحتى وإن بدا لنا أنه كذلك، فعلينا أن نستمر في الدراسة حتى يصبح تفسير الآيتين مُتناسقتان. فعلى سبيل المثال، في عدة أماكن في عظة يسوع على الجبل، لربما تبدو مُناقضة، أو مُصححة لقانون العهد القديم. مثلاً:

وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ.^{٣٨}

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بِمِثْلِهِ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، فَأَذِرْ لَهُ الْخَدَّ الْآخَرَ؛^{٣٩}

(متى ٥: ٣٨-٣٩)

فأستشهد يسوع مُباشرة من شريعة موسى وما قاله بدى وكأنه مُتناقضاً مع شريعة موسى نفسها. فكيف يمكن لنا أن نُفسر ما قاله؟ هل غير الله رأيه في موضوع أساسية الأخلاق؟ هل الأخذ بالثأر كان سلوكاً مقبولاً في العهد القديم ولكن ليس في العهد الجديد؟ فالسياق هو الذي سيساعدنا على الفهم.

فقد تحدث يسوع بالأساس لتلاميذه (أنظر متى ٥: ١-٢)، الذين كانت لهم كلمة الله مزودة في السابق فقط من خلال الكتبة والفريسيين المدرسون في مجامعهم. هناك قد سمعوا الاقتباسات من ناموس الله "عين بعين، وسن بسن"، وهي وصية غير الكتبة والفريسيين معناها بتجاهلهم لمحتوى السياق. فالله لم يشأ لهذه الوصية أن تُفسر على أنها مُطالب لشعبه بأن يسعون دائماً لأجل ربح الانتقام الشخصي مقابل الأخطاء التافهة. ففي شريعة موسى بالحقيقة قال أن الانتقام له (أنظر تثنية ٣٢: ٣٥)، وأنّ على شعبه أن يفعلوا خيراً بأعدائهم (أنظر خروج ٢٣: ٤-٥). ولكن الكتبة والفريسيين تجاهلوا هذه الوصايا واخترعوا تفسيراتهم الشخصية لقانون الله "عين بعين" الذي أعطى لهم الحق في الانتقام الشخصي.^{٣٥} بتجاهلهم للسياق.

وصية الله "عين بعين وسن بسن" أن تكون في سياق وصاياه التي تُفرض العدالة في محاكم إسرائيل (أنظر خروج ٢١: ٢٢-٢٤، تثنية ١٩: ١٥-٢١).

^{٣٥} يجب أن يُلاحظ أيضاً أن يسوع قال قبل قليل في عظته لمستمعيه إن لم يَزِدْ بِرُكُمْ عَلَى بَرِّ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ، لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ أَبَداً (متى ٥: ٢٠). يسوع أستمّر بإيحاؤه عدد من الطرق المُحددة وهو ما فشل فيه الكتبة والفريسيين.

ومما يجعل النص محدداً على النظام القضائي، ذلك بحد ذاته يعتبر وحياً من الله لعدم إقراره الانتقام الشخصي. فالقضاة المحايدون هم الأكثر قدرة على فحص الأدلة وإحراز العدالة بدلاً من الإهانة، والانحيازية للأفراد. فالله يتوقع من المحاكم والحكام أن يقضون بنزاهة العقوبات على المخالفين بما يتناسب والجرائم التي ارتكبت. وهذا ما عناه بـ "عين بعين وسن بسن".

وهكذا، يمكننا الآن أن نضع الأمور بأماكنها الصحيحة والنظر لما بدى في البداية مُتناقضاً. لقد أراد يسوع ببساطة مساعد مُستمعيه، الناس الذين لطوال حياتهم رضخوا تحت تأثير التعليم الزائف، ليفهموا إرادة الله الحقيقية لهم بخصوص الانتقام الشخصي، التي كانت واضحة ومنذ البداية بناموس موسى إلا أن الفرسيين قد زيفوا بتفسيراتهم وممارساتهم جوهر الوصية. يسوع لم يُناقض مع ما جاء في الناموس الذي تلقاه موسى. إلا أنه وضح المعنى الذي أراد توضيحه.

وهذا يُساعدنا على فهم ما يتوقعه يسوع من شأن الخلافات الكبيرة، النوعية التي قد تقودنا إلى الاقتضاء في المحاكم. فالله لم يتوقع من شعب إسرائيل أن يتغاضى عن الأذى الذي يلحق ببعضهم من المعانين جراء خطايا الآخرين، وإلا لما ابتكر النظام القضائي. وبالمثل لا يتوقع الله من المسيحيين أن يتغاضوا عن أخطاء مؤمنين آخرين (أو غير المؤمنين) ليعانوا. فالعهد الجديد يصف إمكانية استخدام المسيحيين الغير متصالحين لوساطة من مؤمنين آخرين (أنظر كورنثوس الأولى ٦: ١-٦). وليس هناك أي خطأ بأن يرفع مسيحي دعوى قضائية ضد شخص غير مؤمن لمحكمة علمانية للاقتضاء بشأن قضية اعتداء كبيرة. فالتعديت الكبيرة هي أشياء كخلع عين أو سن! والتعديت الصغيرة هي أنواع الأشياء التي تحدث عنها يسوع، مثل ضرب شخص على الخد، أو تم الشكاية عليك لأجل ديون صغيرة (كقميصك مثلاً)، أو الضغط عليك لتذهب ميلاً واحداً. فالله يُريد من تلاميذه أن يُقلدوه ويظهروا نعمة غير عادية اتجاه الخُطاة والناس الأشرار.

وعلى هذا النحو، هناك بعض المؤمنين الذين يقصدون خيراً، مُعتقدين أنهم مُطيعين ليسوع، برفضهم اتخاذ الإجراءات القانونية ضد الذين أُسيكوا وهم يسرقون أملاكهم. معتقدين أنهم بذلك يواجهوا لهم الخد الآخر، ولكن الحقيقة أنهم يسمحون للصوص أن يسرق مرة أخرى، وكأنهم يعلموا اللصوص أنه ليس هناك ثمت عقاب على الجريمة. فأولئك المسيحيون لا يسلكون في المحبة تجاه كل من سُرِق منه ممتلكاته من قِبل السارق "المسامح"! إرادة الله للسارقين أن يواجهوا العدالة وأن يتوبوا. ولكن عندما يتعدى عليك شخص بطريقة صغيرة، مثل ضربك على الخد، فلا تحتاج عندها أن تأخذه للمحكمة أو أن ترد عليه بالضرب. بل أره رحمةً وحُباً.

تفسير القديم على ضوء الجديد

ولا ينبغي علينا أن نُفسر العهد الجديد على ضوء العهد القديم وحسب، بل يجب علينا أن نُفسر أيضاً العهد القديم على ضوء العهد الجديد. على سبيل المثال، يقرأ بعض المؤمنون الصادقون ناموس موسى فتوصلوا إلى استنتاج بوجوب تقيد المسيحيين وفقاً لهذه الناموس. ولكنهم إن قرأوا فقط فقرتين من الكتاب المُقدس في العهد الجديد، لوجدوا أن ناموس موسى لا ينطبق على مؤمني العهد الجديد:

فَقَالَ لَهُمْ: أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً لَا تَفْهَمُونَ؟ أَلَا تُدْرِكُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْخَارِجِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ^{١٨} يُنَجِّسَهُ،

لَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْبُطْنِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلَاءِ؟ مِمَّا يَجْعَلُ الْأَطْعِمَةَ كُلَّهَا طَاهِرَةً.^{١٩}

(مرقس ٧: ١٨-١٩)

إِلَّا أَنَّ الرُّوحَ يُعْلِنُ صَرَاحَةً أَنَّ قَوْماً فِي الْأَرْمَنَةِ الْأَخِيرَةِ سَوْفَ يَرْتَدُّونَ عَنِ الْإِيمَانِ، مُنْسَاقِينَ وَرَاءَ أَرْوَاحِ مُضِلَّةٍ وَتَعَالِيمِ شَيْطَانِيَّةٍ،^١

فِي مَوْجَةِ رِيَاءٍ يَنْشُرُهَا مُعَلِّمُونَ دَجَالُونَ لَهُمْ ضَمَائِرُ كُوبِتٍ بِالنَّارِ.^٢

يُحَرِّمُونَ الزَّوَاجَ، وَيَأْمُرُونَ بِالامْتِنَاعِ عَنِ أَطْعِمَةِ خَلَقَهَا اللَّهُ لِيَتَنَاوَلَهَا الْمُؤْمِنُونَ وَعَارِفُو الْحَقِّ شَاكِرِينَ.^٣

فَإِنَّ كُلَّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ جَيِّدٌ، وَلَا شَيْءَ مِنْهُ يُرْفَضُ إِذَا تَنَاوَلَهُ الْإِنْسَانُ شَاكِراً؛^٤

لَأَنَّهُ يَصِيرُ مُقَدَّساً بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ.^٥

(تيموثاوس الأولى ٤: ١-٥).

نحن في العهد الجديد، غير مُقيدين بشريعة موسى، وإنما لنا موس المسيح (أنظر كورنثوس الأولى ٩: ٢٠-٢١). وعلى الرغم من أن يسوع يوافق الجانب الأخلاقي لشريعة موسى (وبالتالي يجمل بناموس المسيح)، إلا أنه لم يعلم يسوع ولا تلاميذه بأن المسيحيين مُلزمون بحفظ ناموس موسى الصحي (نوع الطعام المحلل).

من الواضح أن المسيحيين الأولون، كانوا كلهم من قد تحولوا عن اليهودية، واستمروا بحفظهم للقوانين الصحية للشريعة بسبب وضعهم الثقافي-الاجتماعي (أنظر أعمال الرسل ١٠: ٩-١٤). ومع بدأ إيمان الأمميين بيسوع، عندها طلب المسيحيون اليهود من المؤمنين الامميين أن يسلكوا حسب شريعة موسى الصحية بشكل نقى محدود لتحاشي اختلافهم عن جيرانهم اليهود والذين قد يُعَثِّروا (أنظر أعمال الرسل ١٥: ١-٢١). ولذلك، ليس خطأ حفاظ المسيحيين على شريعة موسى الصحية، لطالما لا يعتقدون أن الحفاظ على هذه الشريعة يؤثر من قريب أو من بعيد على خلاصهم.

فإن بعض المسيحيين الأولون كان مُفتنعاً أن أكل لحوم الذبائح التي قدمت للأصنام يعتبر خطيةً. ولكن المؤمنون الذين كانت لهم قناعتهم بعكس ذلك، قد علمهم بولس أن يسلكوا بالمحبة اتجاه أخوتهم ذوي "الإيمان الأضعف" (أنظر رومية ١٤: ١)، وأن يمتنعوا عن عمل أي شيء من شأنه أن يُعَثِّرَ ضمائِرَ الضعفاء. فإن امتنع أحدهم عن أكل طعام ما كنوع من شعوره بالذنب أمام الله (حتى وإن لم يكن سبب حقيقي لهذا الشعور)، فيجب أن يمدح على تفانيه وليس إدانته على سوء فهمه. وبالمثل من يمتنع عن أطعمة مُعينة كنوع من القناعة الشخصية، لا يجدر به أن يُدين الذين لا يمتنعون. فكلّ المجموعتان عليهما أن تسلكا بالمحبة الواحدة اتجاه الأخرى، هذه وصية الله (أنظر رومية ١٤: ١-٢٣).

فعلى أي حال، بسبب أن الكتاب المقدس هو إعلانات تطوريه للوحي، لذلك يجب علينا دائماً أن نُفسر إعلانات القديم (العهد القديم) من خلال ضوء إعلانات الجديد (العهد الجديد). فليس أي من الإعلانات الالهية تتناقض مع الأخرى، لا بل دائماً ما تكملها.

السياق الثقافي والتاريخي

علينا بقدر الإمكان أن نأخذ السياق الثقافي والتاريخي لفقرات الكتاب المقدس بالحسبان عندما ندرسها. أن يكون لنا بعض العلم عن الجوانب الثقافية، والجغرافية، والتاريخية المتميزة لبعض الأحداث الكتابية، الأمر الذي لطالما ساعدنا على اكتساب معرفة عميقة قد تفوتنا إن لم نقم بمثل هذه الدراسة. وبالطبع ذلك يتطلب الاستعانة ببعض الكتب لجانب الكتاب المقدس. وعادةً هناك نوعية من الكتاب المقدس الدراسي الجيد الذي تحتوي على مواد للمساعدة في هذا النطاق.

هنا بعض الأمثلة عن كيف يمكن للمعلومات التاريخية والثقافية أن تُحافظ علينا من سوء الفهم عند قراءة الكتاب المقدس:

(١) عندما نقرأ في الكتاب المقدس عن أشخاص قد صعدوا على أسطح المنازل (أنظر أعمال الرسل ١٠: ٩) أو حفروا من خلاله فتحةً (أنظر مرقس ٢: ٤). فإنه سيساعدنا إن علمنا أن أسطح المنازل كانت مُسطحة في إسرائيل على وجه العموم أيام الكتاب، وكان هناك سلالم خارجية لمعظم المنازل تقود المرء إلى السطح. فإن جهلنا ذلك، لربما تخيلنا أن بعض الشخصيات الكتابية صاعدوا على أسطح المنازل مُتَشَبِّهين بالمدخنة!

(٢) ونقرأ في مرقس ١١: ١٢-١٤ أن يسوع قد لعن يسوع شجرة التين لأنها لم تكن مثمرة، لأنه كان من المُعتقد أنه لم يكن موسم التين. فُيساعدك إن علمت أنه عادةً تتواجد على شجر التين بعض الحبات من التين حتى وإن لم يكن موسمها قد حان.

(٣) ونقرأ في لوقا ٧: ٣٧-٤٨ عن المرأة التي دخلت الى بيت الفريسي بالليله التي كان يسوع يتعشى معه ببيتة. الكتاب المقدس يقول إنها كانت تقف وراء يسوع نائحة، وبدأت تبل قدميه بدموعها، وتمسحهم بشعر رأسها، مُقبلة قدميه تدهنهما بالعطر. فقد تتعجب كيف لشيء كهذا أن يحدث حيث كان يسوع جالساً على الطاولة يتعشى. هل زحفت المرأة تحت الطاولة؟ كيف أمكنها الوصول لرجليه من دون أرجل الضيوف الآخرين؟

الإجابة نجدها فيما قيل عن يسوع أنه كان "مُتَكَنّاً على الطاولة" (لوقا ٧: ٣٧). فالطريقة المُعتادة لتناول الطعام في ذلك الزمان، كانت بأن الشخص يميل على جانبه أرضاً مع غيره من الحاضرين حول طاولة مُنخفضة، فالمرء يسند جسمه بذراع واحدة ويأكل بالذراع الأخرى. بهذه الوضعية ليسوع قد وقر من قبل امرأة.

هذا يُساعدنا أيضاً على فهم، كيف أمال يوحنا ذاته الى صدر يسوع أثناء العشاء الأخير ليسأله سؤالاً. كان يوحنا يميل على جانبه وظهره اتجاه يسوع، وببساطة عندما مال للخلف على صدر يسوع ليسأله سؤالاً مباشراً (أنظر يوحنا ١٣: ٢٣-٢٥). اما لوحة دافنشي المشهورة عن العشاء الرباني، التي تظهر يسوع جالساً على طاولة مع تلاميذه، ستة على كل من جانبيه، ذلك يُظهر جهل الرسام للكتاب المقدس. فكان بأولى به ان يتزود ببعض المعلومات عن السياق التاريخي!

سؤال شائع عن الملابس

هناك سؤالاً عن اللباس دائماً ما يطرحوه على القسوس حول العالم: "هل من المقبول للنساء المسيحيات أن يرتدين سروالاً (البنطلون)، على اعتبار أن الكتاب المقدس يحرم على النساء أن يرتدين ملابس الرجال؟" ذلك هو سؤال جيد، ويمكن الإجابة عليه بتطبيقنا لبعض القوانين السليمة للتفسير الكتابي وبالإضافة لقليل من السياق الثقافي.

أولاً دعونا نختبر تحريم الكتاب المقدس لارتداء النساء لملابس الرجال (والعكس صحيح): --

يُحْظَرُ عَلَى الْمَرْأَةِ ارْتِدَاءَ ثِيَابِ الرِّجَالِ، كَمَا يُحْظَرُ عَلَى الرَّجُلِ ارْتِدَاءَ ثِيَابِ النِّسَاءِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يُصْبِحُ مَكْرُوهًا لَدَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ. (تثنية ٢٢: ٥)

علينا أن نبدأ بسؤال، "ماذا كان قصد الله بإعطائه هذا الوصية؟" هل كان هدفه هو أن يمنع النساء من ارتداء السروال؟

لا، لم يكن ذلك قصده، لأنه لم يرتدوا السراويل في إسرائيل عند إعطائه لهذه الوصية. فالسروال لم يُعتبر من ملابس الرجال أو أي شخص آخر بهذه الحالة. وفي الحقيقة أن ما كان يرتديه الرجال على أيام الكتاب المقدس هو ما يُعتبر ملابس النساء بالنسبة لنا اليوم! فالقليل من المعلومات التاريخية والثقافية قد تُساعدنا في التفسير الصحيح لما يُريد الله أن يقول.

ولذلك، إذن ما هو قصد الله؟

نقرأ أن ارداء ملابس الجنس الآخر هو عمل بغض للرب. فهذا خطير جداً. فإن أخذ رجل طرحة للمرأة ووضعها على رأسه لثلاث ثواني، هل ذلك يجعله مكروهاً من الرب؟ أنا بشك في ذلك.

فبيدو أن معارضة الله كان مشار الى نوايا الناس بارتداء ما هو مفروض أن يكون ملابس الجنس الآخر. ولماذا يُريد أحد أن يفعل شيئاً من هذا القبيل؟ الجواب الوحيد هنا أن ذلك الشخص أراد بذلك أن يغري شخصاً من ذات الجنس، وهو الانحراف الجنسي الذي يعود الى الخنثوية. فأنا أعتقد إننا نفهم جيداً لماذا هذا يعتبر مكرهة لله.

ولذلك لا يمكننا الاستنتاج أنه من الخطأ للنساء أن ترتدين السراويل على أساس ما ذُكر في تثنية ٢٢: ٥، إلا إذا كانت تفعل ذلك كمُخَنَّثَةٍ. ولطالما تبدو المرأة كغيرها من النساء، فهي لا تُخطيء بارتدائها السروال.

وبالطبع الكتاب المقدس يُعلمنا أن على النساء أن يرتدين ملابس متواضعة (أنظر تيموثاوس الأولى ٢: ٩)، ولذلك السراويل الضيقة والمثيرة تُعتبر غير لائقة (وكذلك الفساتين والتنانير الضيقة القصيرة) لأنها قد تفود الرجال إلى العثرة. فالكثير من الملابس التي يرتدينها النساء في الدول الغربية غير لائقة تماماً وهي كالمالبس التي يرتدينها العاهرات فقط في الدول النامية. فلا ينبغي على أي سيدة مسيحية أن ترتدي ملابساً بهدف إظهار نفسها "مُثيرة".

أفكار أخرى

لعله من العجيب أن القسوس الصينيون لم يسألوني ابداً عن مسألة ارتداء النساء للسرّوال. فلربما ذلك لأن مُعظم النساء الصينيات كنّ يرتدنّ السراويل لمدة طويلة من الزمن. فقد طرح عليّ هذا السؤال عن ارتداء النساء للسرّاول فقط من قسوس الدول حيث لا يرتدي هناك مُعظم النساء للسرّوال. وهذا يوضح تحيزهم الشخصي الثقافي.

ومن العجيب أيضاً أني لم أسأل أبداً بسؤال مثل هذا من الخادّات في دولة ماينمار، حيث الرجال عادةً ما يرتدون ما ندعوه تنورة، ولكن المحليون يدعون ذلك لونجي. ولمرة أخرى، تشكيلة الملابس النسائية والرجالية يختلف من ثقافة لأخرى، ولذلك علينا أن نكون مُدركين ألا نفرض مفهومنا الثقافي على الكتاب المُقدس.

وفي النهاية أتساءل لماذا هذا العدد الكبير من الرجال الذين يتوقعون من النساء عدم ارتداء السراويل بُناءً على ما جاء في تثنية ٢٢: ٥، دون أن يشعروا بأي التزام لتطبيق لاويين ١٩: ٢٧ على أنفسهم، والذي يقول:

لَا تَخْلُقُوا رُؤُوسَكُمْ خَلْقاً مُسْتَدِيرًا، وَلَا تُقَلِّمَ جَانِبَيْ لِحْيَتِكَ. (لاويين ١٩: ٢٧)

كيف يمكن للرجال كما ذُكر في لاويين ١٩: ٢٧، ألا يخلقوا بالكامل الذقن المُعطي لهم من الله، الذقون التي تُميزهم عن النساء، وبعد ذلك يتهمون النساء الذين يرتدون السراويل بأنهم يُحاولون أن يُظهروا بمظهر الرجال؟ فربما هذا نوع من النفاق!

وبالمُناسبة قد يُساعد قليلاً ذكر معلومة تاريخية يضيف على فهمنا لقصد الله في سفر لاويين ١٩: ٢٧. تدوير الأجزاء النامية على الجوانب من اللحية كان جزءاً من العادات الوثنية. فالله لا يُريد لشعبه أن يُظهروا كالمُكرسين لأصنام.

من المُتحدث؟

هناك عامل هام آخر يساعدنا على تفسير ما نقرأه في الكتاب المُقدس وهو تعريف هوية المُتحدث فيجب علينا دائماً أن نلاحظ من هو المُتحدث في كل فقرة مُعطاة، لأن هذه المعلومة من السياق ستُساعدنا حقاً على تفسيره. ومع أن كل شيء في الكتاب المُقدس موحى به ليكون في الكتاب المُقدس، ولكن ليس كل شيء في الكتاب المُقدس كلمة موحى بها من الله. فماذا أعني بذلك؟

الكتاب المُقدس يحتوي على فقرات عديدة من كلمات غير موحى بها لكنها مُسجلة. وهكذا لا ينبغي علينا الاعتقاد أن كل شيء تكلم به أشخاص مُعينون في الكتاب المُقدس انه موحى به من الله.

فعلى سبيل المثال، البعض يرتكب بعض الأخطاء مُستشهداً بكلمات أيوب وأصدقائه وكأنها كلمات أوحى بها من الله. هذا يُعتبر خطأً ولسبببين. الأول، كان أيوب وأصدقاؤه يتجادلون لمدة طويلة سجلت بثلاثة وأربعون

إصحاح. وقد اختلفوا في الرأي. فمن الواضح أنه ليس كل ما قيل كان موحى به من كلمات الله لأن الله لا يُناقض ذاته.

السبب الثاني، لأننا نرى كيف في نهاية سفر أيوب، أن الله بحديثه مع أيوب وأصدقائه وبخهم لقولهم أشياء غير صحيحة (أيوب ٣٨-٤٢).

فعلينا أيضاً أن نتخذ ذات الحيلة عند قراءتنا للعهد الجديد. ففي حالات عديدة، كما ذكر بولس الرسول وبوضوح أن فقرات معينة من كتاباته كانت أرائه الشخصية (أنظر كورنثوس الأولى ٧: ١٢، ٢٥-٢٦، ٤٠).

من المتحدث إليه؟

لا ينبغي علينا فقط أن نتعرف على المتحدث في كل فقرة من الكتاب المقدس ندرسها، بل علينا أيضاً أن نأخذ بالاعتبار لمن الكلام موجه (المتحدث إليه). وإن لم نفعل ذلك، فلربما نخطئ في تفسير شيئاً ما لينطبق علينا مع انه لم يكتب لأجلنا. أو ربما نُفسر شيئاً ما كأنه ينطبق علينا وهو ليس كذلك.

فعلى سبيل المثال، البعض يتدعى أن هنالك وعد في مزمو ٣٤، موجه للمؤمنين:

ابْتَهِجْ بِالرَّبِّ فَيَمْنَحَكَ بُغْيَةً قَلْبِكَ. (مزامير ٣٧: ٤)

ولكن هل هذا الوعد موجه لكل شخص يقرأ أو يعرف ذلك؟ لا، إن كنا نقرأ ذلك السياق، سنجد أن هذا موجه لأشخاص معينين الذين تتوفر لديهم خمسة شروط:

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ وَاصْنَعْ الْخَيْرَ. اسْكُنْ فِي الْأَرْضِ (مُطْمَئِنّاً) وَرَاعِ الْأَمَانَةَ. ٣

ابْتَهِجْ بِالرَّبِّ فَيَمْنَحَكَ بُغْيَةً قَلْبِكَ. ٤

(مزامير ٣٧: ٣-٤)

فنرى أنه من المهم أن نلاحظ من المتحدث إليه.

وهاهنا مثلاً آخر:

فَأَخَذَ بُطْرُسُ يَقُولُ لَهُ: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. ٢٨

فَأَجَابَ يَسُوعُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَا مِنْ أَحَدٍ تَرَكَ لِأَجْلِي وَلِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ بَيْتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أُمّاً أَوْ ٢٩ أَباً أَوْ أَوْلَاداً أَوْ حُقُولاً،

إِلَّا وَيَنَالُ مِنْهُ ضِعْفٌ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَفِي الزَّمَانِ الْآتِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. ٣٠

(مرقس ١٠: ٢٨-٣٠)

وحسب تفسير هذه الآيات أعلاه من قبل بعض الدوائر تدعى "عودة مئة ضعف" والتي تحظى بشعبية كبيرة فيفهمون من ذلك انه عندما يعطى شخص المال لدعم أحد وعَاطَ الإنجيل سيسترجع مئة ضعف. ولكن هل هذا الوعد موجه لهؤلاء الأشخاص؟ لا، فهذا موجه لمن يُغادرون أوطانهم ويتركون عائلاتهم، وحقولهم، وبيوتهم ليعظوا بالإنجيل، هذا ما فعله بطرس، الذي سأل يسوع عن أجره هو والتلاميذ الآخرين.

فمن المثير، أن هؤلاء الذين يعظوا عن عودة المئة ضعف يبدو أن التركيز الأساسي على البيوت والحقول وليس على الأطفال والمُضطهدين الذين أيضاً بالوعد! بالطبع لم يعد يسوع هؤلاء الذين يتركون بيوتهم أنهم سيحصلون على ملكية مئات المنازل مُقابل ذلك. هو قد وعد أن من يترك عائلته ومنزله سيفتح له أعضاء عائلته الروحية الجديدة منازلها لتأويه. فالتلاميذ الحقيقيين لا يهتمون بالملكية لأنهم لا يملكون أي شيء لأنفسهم – فهم وكلاء لما يملكه الله واستؤمنوا عليه.

مثال أخير

عندما يقرأ البعض ما هو معروف "بعظة يسوع على جبل الزيتون"، الموجودة في متى ٢٤-٢٥، فمنهم ما يعتقد خطأً أنه كان يتحدث عن غير المؤمنين، وبالتالي ينتهون باستنتاج غير صحيح، أن ما قاله لا ينطبق عليهم. فهم يقرأون مثل العبد الغير أمين ومثل العشرة عذارى وكأن هذين المثلين موجهان للغير مؤمنين. ولكن كما قُلت سابقاً ببرهان، ان كليهما كانا موجهان إلى بعض التلاميذ المقربين ليسوع (أنظر متى ٢٤: ٣؛ مرقس ١٣: ٣). ولذلك، فإن بطرس، ويعقوب، ويوحنا، وأندراوس كانوا بحاجة للتحذير من إمكانية عدم استعدادهم عند عودة يسوع، وكذلك هذا التحذير ينطبق علينا. فيسوع بتحذيره في عظة جبل الزيتون عن طريق قوله لهذه الأمثال موجهة لكل مؤمن، حتى وإن اعتقدوا بخلاف ذلك، لأنهم قد يفشلوا بملاحظة لمن كان يسوع يتحدث.

القانون رقم ٣ أقرأ بأمانة. لا تفرض لاهوتك على النص. وإن قرأت شيئاً يتناقض مع ما تؤمن به، لا تحاول أن تُغير الكتاب المقدس، ولكن بالأحرى تغير عما تؤمن به.

فإنه كل منا عندما يأتي ليقراً الكتاب المقدس يكون محملاً ببعض الافكار المُسبقة. لهذا السبب، غالباً ما نستصعب للغاية قراءة الكتاب المقدس بأمانة. ويُنتهى بنا الحال ان نفرض ما نؤمن به على الكتاب المقدس، بدلاً من ان نسمح للكتاب المقدس أن يُشكّل لاهوتنا. وأحياناً نبحث عن آيات تدعم عقيدتنا، ونتجاهل اخريات تتناقض مع ما نؤمن به. وهذا معروف بمصطلح "النص الواقي".

فهنا مثال واجهته مؤخراً عن فرض اللاهوت الشخصي على النص. قرأ مُعلم مُعين أولاً متى ١١: ٢٨-٢٩، مستشهداً بقول يسوع المعروف جيداً:

تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالرَّازِحِينَ تَحْتَ الْأَحْمَالِ الثَّقِيلَةِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. ٢٨

اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ، وَتَتَلَمَّذُوا عَلَى يَدَيَّ، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا الرَّاحَةَ لِنَفْسِكُمْ. ٢٩

فَإِنَّ نِيرِي هَيِّنٌ، وَحِمْلِي خَفِيفٌ! ٣٠

(متى ١١: ٢٨-٣٠)

وبعد قراءته أخذ المُعلم بشرحه، أن يسوع بقوله كان يعرض نوعين من الراحة. النوع الأول من الراحة (كما افترض) أنها راحة الخلاص في ١١: ٢٨، والنوع الثاني من الراحة هو التلمذة في ١١: ٢٩. وهكذا فالأول تحصل عليه عندما تقبل يسوع والثاني عندما تخضع نفسك له وتأخذ نيره.

ولكن هل هذا هو المعنى الذي قصده يسوع؟ لا، فهذا هو المعنى المفروض على النص، لم يُذكر ولم يُشمل. فلم يقل يسوع أنه يُقدم نوعين من الراحة. فهو كان يُقدم الراحة الأولى لهؤلاء المُتعبين ولثِقَلِي الأحمال، والطريقة الوحيدة للحصول عليها هو حمل نير يسوع، بخضوعهم له. ذلك هو المعنى الواضح الذي قصده يسوع.

لماذا يا ترى أتى ذلك المعلم بهذا التفسير؟ لأنه من الواضح أن المعنى المقصود في الفقرة لا يتناسب وأيمانه الشخصي، فهو يؤمن أن هناك نوعان من المسيحيين: "مؤمنون" ذاهبون إلى السماء ومن التلاميذ. وهكذا فلم يُفسر هذه الفقرة بأمانة.

بالطبع، كما رأينا سابقاً في هذا الكتاب من مصادر أخرى للكتاب المقدس بينما نأخذ هذا اللاهوت بالاعتبار على وجه الخصوص، فإن تفسير المُعلم لم يتناسب مع سياق ما علمه يسوع. فلا نجد في العهد الجديد أي تعليم عن أن هناك نوعين من المسيحيين الذاهبين إلى السماء من مؤمنين وتلاميذ. فكل المؤمنين الحقيقيين هم تلاميذ. ومن ليس تلميذاً فهو غير مؤمن. فالتلمذة هي الثمرة الحقيقية للإيمان.

دعونا نقرأ الكتاب المقدس بأمانة، وبقلوب نقية. فإن فعلنا ذلك، فالنتيجة ستكون رائعة -أكثر تسليماً وطاعةً للمسيح.

الفصل الثامن

العظة على الجبل

The Sermon on the Mount

تعتبر العظة على الجبل في غاية الأهمية بالنسبة للخادم المُتلمذ وذلك بسبب رغبته في صُنع التلاميذ، وتعليمهم طاعة كل ما أوصاه المسيح لنا. وهي العظة الأطول التي قالها يسوع ومدونة على صفحات العهد الجديد، وهي تعج بوصاياه بكل محتواها. وعليه فإن الخادم صانع التلميذ سيسعى أن يطيعها بكل جوانبها وكذلك يُعلم تلاميذه كل ما أوصى به يسوع في هذه العظة.

وبناءً على ما ذكر عن هذه العظة العظيمة، سأشارك ما أعرفه عن هذه العظة ومحتواها في متى من الإصحاح ٥ إلى الإصحاح ٧. وأنا أشجع الخُدام أن يُعلموا تلاميذهم العظة على الجبل آية آية. وأتمنى أن ما كتبتة عنها في هذه الفصل سيؤتي بثماره النهائية لمعونتكم.

فيما يلي بعض الخطوط العريضة من العظة على الجبل، فقط لتعطينا فكرة شاملة وتوضيحاً للأفكار الأساسية.

(١) جمع يسوع مُستمعيه (٥: ١-٢)

(٢) المُقدمة (٥: ٣-٢٠)

(أ) صفات وبركات المبارك (المطوّب) (٥: ٣-١٢)

(ب) الحث على أن نكون ملح ونور وبلااستمرار (٥: ١٣-١٦)

(ج) قانون العلاقة بين أتباع المسيح (٥: ١٧-٢٠)

(٣) العظة: ليفوق صلاحكم على صلاح الكتبة والفريسيين (٥: ٢١-٧: ١٢)

(أ) أحبوا بعضكم بعضاً، بخلاف الكتبة والفريسيين (٥: ٢١-٢٦)

(ب) كونوا عفيفين جنسياً، بخلاف الكتبة والفريسيين (٥: ٢٧-٣٢)

(ج) كُونُوا أَمْنَاءً، بخلاف الكتبة والفريسيين (٥: ٣٣-٣٧)

(د) لا تتأثروا لأنفسكم، كما يفعل الكتبة والفريسيين (٥: ٣٨-٤٢)

(هـ) لا تكرهوا أعدائكم، كما يفعل الكتبة والفريسيين (٥: ٤٣-٤٩)

(و) أفعَلُوا خيراً من دوافع سليمة، بخلاف الكتبة والفريسيين (٦: ١-١٨)

(١) أعطوا الفقراء من دوافع سليمة (٦: ٢-٤)

(٢) صلوا من دوافع سليمة (٦: ٥-٦)

٣) المواظبة على الصلاة والغفران (٦: ٧-١٥)

أ) إرشادات بشأن الصلاة (٦: ٧-١٣)

ب) ضرورة الغفران لبعضنا البعض (٦: ٨-١٥)

٤) الصوم من دوافع سليمة (٦: ١٦-١٨)

٥) لا تخدم المال، كما يفعل الكتبة والفريسيين (٦: ١٩-٣٤)

٦) لا تبحث عن الأخطاء الصغيرة في أخوتك (٧: ١-٥)

٧) لا تُضيع الوقت في إعطاء الحقيقة للذين لا يقدرونها (٧: ٦)

٨) التشجيع على الصلاة (٧: ١١-١٢)

٩) الملخص: ملخص العظة

أ) ملخص الكلام (٧: ١٢)

ب) التحذير للطاعة (٧: ١٣-١٤)

ج) كيف يمكنك أن تتعرف على الأنبياء الكذبة والمؤمنين الكذبة (٧: ١٥-٢٣)

د) تحذير أخير ضد عدم الطاعة والخلاصة (٧: ٢٤-٢٧)

جمع يسوع لمُستمعيه

وَإِذْ رَأَى جُمُوعَ النَّاسِ، صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَمَا إِنَّ جَلَسَ، حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ.^١

فَتَكَلَّمَ وَأَخَذَ يُعَلِّمُهُمْ^٢

(متى ٥: ١-٢)

سار يسوع بعيداً عن "الجموع" وذهب إلى أعلى الجبل يبدو أنه فعل ذلك ليقول عمداً عدد مُستمعيه. ونعلم أن تلاميذه قد أتوا إليه ليُشيروا لحقيقة أن للجياع لسماعه فقط الإرادة على الصعود إلى أعلى الجبل حيث أرتاح يسوع. وبالرغم من ذلك وكما يبدو أن عددهم لم يكن بالقليل، ودُعوا "بالجموع" في ٧: ٢٨.

وبعدها بدأ يسوع عظته، مُحدثاً لتلاميذه، ومن البداية نلاحظ تلميحه للموضوع الرئيسي لعظته. فقد علمهم أنهم مُطوبون إن كانت لديهم بعض الصفات المُعينة، لأن هذه الصفات تشتت على دخول السماء. فهكذا سيكون الموضوع الكلي لهذه العظة – المُقدسين فقط هم من سيرثون ملكوت الله. وتدعى التطويبات، وهي مذكورة في متى ٥: ٣-١٢، مرتبطة بالموضوع الأساسي للعظة.

وبخطابه أشار يسوع لعدد من الصفات المختلفة التي تميز الشعب المطوب المبارك، ووعدهم ببعض البركات المحددة. دائماً ما يعتقد جمهور القراء بشكل عام أن على كل مسيحي أن تكون له واحدة من التطويبات المذكورة ولا أكثر. ولكن القراء الحريصين يُدركون أن يسوع لم يسرد فقط أنواع مختلفة من المؤمنين الحقيقيين الذين ينالون بركات متنوعة، ولكن كل الحقيقيين الذين ينالون بركة واحدة شاملة على كل البركات المستقبلية: وارثين ملكوت السماوات. وليس هناك طريقة أذكر من ذلك لتفسير هذه الكلمات:

طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، فَإِنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. ٣

طُوبَى لِلْحَزَانِ، فَإِنَّهُمْ سَيُعَزَّوْنَ. ٤

طُوبَى لِلْوَدَعَاءِ، فَإِنَّهُمْ سَيَرِثُونَ الْأَرْضَ. ٥

طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، فَإِنَّهُمْ سَيُشْبِعُونَ. ٦

طُوبَى لِلرَّحَمَاءِ، فَإِنَّهُمْ سَيَرْحَمُونَ. ٧

طُوبَى لِلْأَنْفِيَاءِ الْقُلُوبِ، فَإِنَّهُمْ سَيَرَوْنَ اللَّهَ. ٨

طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، فَإِنَّهُمْ سَيُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللَّهِ. ٩

طُوبَى لِلْمُضْطَهَدِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، فَإِنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. ١٠

طُوبَى لَكُمْ مَتَى أَهَانَكُمْ النَّاسُ وَاضْطَهَدُوكُمْ، وَقَالُوا فِيكُمْ مِنْ أَجْلِ كُلِّ سُوءٍ كَانِيَيْنَ. ١١

إَفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، فَإِنَّ مُكَافَأَتَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ عَظِيمَةٌ. فَإِنَّهُمْ هَكَذَا اضْطَهَدُوا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِكُمْ! ١٢

(متي ٥: ٣-١٢)

البركات والصفات الشخصية

في البداية دعونا نفكر البركات الموعودة. فقد قال يسوع أن المبارك المطوبين لابد أن (١) يرثوا ملكوت السماوات، (٢) ويحصلون على الراحة، (٣) ويرثون الأرض، (٤) ويكونوا شبعين، (٥) ويحصلوا على الرحمة، (٦) ويرون الله، (٧) ويدعون من الله، (٨) ويرثون ملكوت السماوات (تكرار لرقم ١).

هل أردنا يسوع أن نعتقد أن المساكين بالروح والمضطهدين من أجل البر فقط هم من سيرثون ملكوت الله؟ وهل أنقياء القلب فقط هم من سيرون الله وصانعي السلام فقط هم الذين سيدعون أبناء الله، في حين أنهم لن يرثون ملكوت السماوات؟ هل صانعي السلام لن يحصلوا على الرحمة والرحماء لن يدعون أبناء الله؟ فمن الواضح أن كل هذا يُعتبر استنتاجات خاطئة. ولذلك، من الأمن أن ندرك أن العديد من البركات الموعودة هي بركات نابعة من بركة واحدة كبيرة وهي بركة ميراث ملكوت السماوات.

والآن دعونا نُلقي نظرة على الميزات المُختلفة التي وصفها يسوع للأشخاص: (١) مساكين بالروح، (٢) حزاني، (٣) ودعاء، (٤) جوع من أجل البر، (٥) رحماء، (٦) أنقياء القلب، (٧) صانعي السلام، (٨) مُضطهدين.

هل أريدنا يسوع الاعتقاد أنه يُمكن لشخص أن يكون نقي القلب وليس رحوماً؟ هل يمكن لشخص أن يكون مُضطهداً لأجل البر ولكن ليس من الجوع أو العطاش من أجل البر؟ ومرة أخرى أكرر، لا. فالصفات الشخصية للنعمة هي صفات مُتشعبة ومُشتركة إلى درجة مُعينة، لكل البركات.

ومن الواضح أن التطويبات تصف الصفات الشخصية لأتباع يسوع الحقيقيين. فبسرده هذه الصفات للتلاميذ، أكد يسوع لهم أن هؤلاء هم الأشخاص المُباركين وهم المُخلصين والذين سيستمعون بالسما يوماً ما. وقد لا يشعروا الآن أنهم مُباركون بسبب مُعاناتهم، ولكن في عيني الله هم جداً مُباركون.

وأما الذين لا تنطبق عليهم ما قد جاء يسوع بوصفه فهم غير مُباركين ولن يرثوا ملكوت السماوات. كل قسيس صانع لتلاميذ يشعر بالضرورة الملحة عليه من التأكد أن الناس في قطيعه على علم بذلك.

الصفات الشخصية للبركات

تخضع هذه الصفات الثمانية للمُباركين بدرجة مُعينة للتفسير. فعلى سبيل المثال، ما هي الفضيلة في كون الانسان "مسكين بالروح"؟ كُنْتُ أعتقد أن وصف يسوع للضرورة الأولى التي على الإنسان أن يتحلى بها إن أراد أن يخلص وهي أن يكتشف عجزه الروحي. فعلى الشخص أن يرى في البداية حاجته لمُخلص قبل أن يخلص، وقد كان من ضمن مستمعي يسوع بعض الناس من هذا النوع، الذين في الحال اكتشفوا بؤسهم. فكم هم مُباركون هم مُقارنةً مع المُتكبرين في إسرائيل الذين كانوا عميان أن يروا خطاياهم!

هذه الصفة الأولى من شأنها أن تبطل الاكتفاء الذاتي للأفراد وأي فكر جانبي لاستحقاق الخلاص. فالشخص المُبارك الحقيقي هو الشخص الذي يدرك أن لا شيء بحوزته ليُقدمه لله وأن بره الذاتي ما هو إلا "ثوب عدة" (أشعيا ٦٤: ٦).

لا يريد يسوع لأحد الاعتقاد أنه يمكنه الحصول على منحة البركة بمجهوده الذاتي. لا، الناس المُباركون، هم المُباركون من الله لأن لديهم ميزات البركة. وكل هذا ينبع من نعمة الله. فالناس المُباركون الذين تحدث عنهم يسوع كانوا كذلك، ليس فقط بسبب ما ينتظرهم في السماء، ولكن بسبب عمل نعمة الله في حياتهم على الأرض، فعندما أرى صفات الشخص المُبارك في حياتي، ذلك لا ليذكرني بما فعلته أنا، ولكن لما فعله الله بي بنعمته.

الحزاني

فإن كانت الصفة التي تم سردها في البداية على اعتبار أنها من أولى الميزات الضرورية لدخول السماء، فلعل الصفة المدرجة الثانية لها أيضاً معنى كبير: " طُوبَى لِلْحَزَانَى " (متى ٥ : ٤). هل بهذا يصف يسوع التوبة الصادقة والنادمة؟ أنا أعتقد ذلك، خاصةً أن الكتاب المقدس يوضح أن الحُزن الإلهي يؤدي إلى التوبة، وهي تعتبر ضرورية للخلاص (أنظر كورنثوس الثانية ٧ : ١٠). فإن العشار الحزين الذي تحدث عنه يسوع ذات مرة هو مثال للشخص المبارك. لقد سَجَدَ بتواضع داخل الهيكل، قارعاً على صدره باكياً وطالِباً رحمة الله. على عكس الفريسي الذي كان يُصلي بكل تفاخر مُذكراً الله بأنه قد عَشَرَ وصام مرتين في الأسبوع، وهكذا فإن العشار قد اظهر لله خطاياه معترفاً بها لثُغفر. ففي هذه القصة، كان العشار مُباركاً، ولكن الفريسي لم يكن كذلك (أنظر لوقا ١٨ : ٩-١٤). وأنا أعتقد أن وسط مستمعي يسوع كان من خضع لتأثير الروح القدس، وإذ كانوا حزاني. فتعزية الروح القدس ستكون لهم عن قريب!

فإن لم يتحدث يسوع عن الحُزن الاولي للشخص التائب الآتي للمسيح، فلربما كان يصف الحزن الذي يعتري كل المؤمنين الحقيقيين حين يواجهون العالم المتمرد ضد الله الذي يُحبهم باستمرار. فقد عبر بولس عن ذلك بـ " حُزناً شديداً، وَبِقَلْبِي أَلَمْ لَا يَنْقَطِعْ " (رومية ٩ : ٢).

الوداعة

الوداعة هي الصفة الثالثة وقد ذكرها الكتاب المقدس على انها إحدى ثمار الروح القدس (أنظر غلاطية ٥ : ٢٢-٢٣). فالوداعة ليست سمة تلقائية مولودة. فالذين يحصلون على نعمة من الله ويسكن الروح القدس فيهم، فهم مَن بوركوا ليصبحوا ودعاءً. ويوماً ما سيرثون الأرض، عندما سيحل الصلاح على الأرض الجديدة التي سيخلقها الله. فحذاري للمسيحيين القساة والصارمين. لأنهم خارج هذه الدائرة المباركة وهم ليسوا مُطوبين.

الجياع إلى البر

الميزة الرابعة هي للذين هم جياع وعطاش إلى البر، وتصف الاشتياق المُوهوب من الله لكل شخص قد وُلد الميلاد الثاني. فهو يحزن بسبب الإثم الذي يملئ العالم كذاك ما تبقى بداخله. فهو يكره الخطية (مزامير ٩٧ : ١٠؛ ١١٩ : ١٢٨، ١٦٣) ويُحب البر.

دائماً عندما نقرأ كلمة/لبر في الكتاب المقدس، ففي الحال نُفسرها على أنها " الوضع الشرعي للبر المُعطي لنا بالمسيح"، ولكن هذا ليس ما تعنيه الكلمة هنا. الا انها غالباً ما تشير "رفعة العيش الصالح بالمعايير الإلهية". وهذا المعنى الواضح الذي عناه يسوع، إذ ليس ثمت سبباً للمسيحي أياً كان أن يجوع لما يمتلكه.

فالذين وُلِدوا من الروح لهم اشتياق أن يعيشوا حياة البر، وقد أعطوا الوعد المؤكد أنهم "سيشبعون" (متى ٥: ٦)، وبكل تأكيد أن الله بنعمته، سيكمل العمل الذي بدأه فينا (فيلبي ١: ٦).

فوعده يسوع بكلماته هنا تُشير إلى عهد الأرض الجديدة، الأرض التي "سيسكنها البر". حيث لا وجود لأي خطيئة. فسيحب كل إنسان الله من كل قلبه وسيحب قريبه كنفسه. فنحن الجياع والعطاش إلى البر سنشبع. وأخيراً صلاتنا النابعة من القلب ستستجاب، "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا هِيَ فِي السَّمَاءِ!" (متى ٦: ١٠)

الرحماء

السمة الخامسة هي الرحمة، وهي أيضاً سمة يتحلى بها كل مسيحي مولود الميلاد الثاني بشكل طبيعي بفصل الله الرحوم الساكن فيهم. وهؤلاء الذين لا يملكون الرحمة ليسوا بمباركين من الله وذلك يظهر انهم غير شركاء لنعمته. وضح يعقوب الرسول أنه: "لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ عَلَى الَّذِينَ لَا يُمَارِسُونَ الرَّحْمَةَ، حُكْمًا خَالِيًا مِنَ الرَّحْمَةِ، أَمَّا الرَّحْمَةُ فَهِيَ تَتَفَوَّقُ عَلَى الْحُكْمِ!" (يعقوب ٢: ١٣). فإن وقف شخص أمام الله وحصل على حكم غير رحيم، فأين تعتقد عساه سيذهب إلى السماء أم إلى الجحيم؟^{٣٦} الإجابة واضحة.

علمنا يسوع من خلال قصة الخادم الذي نال رحمة عظيمة من سيده، ولكنه قد أبى أن يتقدم بجزء من هذه الرحمة لخادم آخر كان مديوناً له. فعندما علم السيد بما قد حدث، "غَضِبَ سَيِّدُهُ عَلَيْهِ، وَدَفَعَهُ إِلَى الْجَلَّادِينَ لِيُعَذِّبُوهُ حَتَّى يُوفِيَ كُلُّ مَا عَلَيْهِ" (متى ١٨: ٣٤). إذ قد رجع عليه دينه مرة أخرى بعد أن أعفى قبلاً عن دفعه. بعدها حذر يسوع تلاميذه، "هَكَذَا يَفْعَلُ بِكُمْ أَبِي السَّمَاوِيِّ إِنْ لَمْ يَغْفِرْ كُلُّ مَنْكُمُ لِأَخِيهِ مِنْ قَلْبِهِ" (متى ١٨: ٣٥). وبالتالي إذا رفضت أن تسامح أخاً أو أختاً في المسيح ممن طلبوا منك مسامحتهم فستكون نتيجة ذلك عودة خطاياك التي تم غفرانها مسبقاً. وهذا نتج عنه تسليم الشخص للمُعذِّبين حتى يسدد كل دينه السابق. وهذا بالتأكيد لا يبدو لي كالسما. ولمرة أخرى أكرر، الناس الغير رحومين لن ينالوا رحمة من الله. وهم ليسوا من ضمن المباركين.

نقاء القلب

الصفة السادسة التي يتحلى بها المرء الذاهب للسماء هي نقاء القلب. الأتباع الحقيقيين للمسيح بخلاف متدعي المسيحية، ليسوا هم مقدسين ظاهرياً وحسب. الا ان نعمة الله قد طهرت قلوبهم. فهم يحبون الله من كل قلوبهم، وهذا يؤثر على أفكارهم ودوافعهم. وعد يسوع لأولئك أنهم سيرون الله.

^{٣٦} فمن العجيب، أن الآية التالية بالتحديد من رسالة يعقوب هي "يَا إِخْوَتِي، هَلْ يَنْفَعُ أَحَدًا أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ تُثَبِّتُ ذَلِكَ، هَلْ يَغْدِرُ إِيْمَانٌ مِثْلُ هَذَا أَنْ يُخَلِّصَهُ؟" (يعقوب ٢: ١٤).

ولمرة أخرى أتساءل، هل ممكن أن نؤمن بوجود مسيحيين حقيقيين ممن قلوبهم ليست نقية، ولذلك لن يروا الله؟ هل سيقول الله لهم "يمكنكم أن تأتوا إلى السماء، ولكن لا يمكنكم أن تروني"؟ لا، فمن الواضح أن لكل شخص حقيقي ذاهباً إلى السماء قلباً نقياً.

صانعو السلام

وبوصفه للتابع الحقيقي للمسيح ذكر بعدها صانعي السلام، وانهم سيُدعون أولاد الله. لأن كل من يؤمن بالمسيح هو ابن الله (أنظر غلاطية ٣: ٢٦).

فهؤلاء الذين وُلدوا من الروح القدس هم صانعو السلام، وبثلاثة طرق على الأقل:

أولاً، صنعوا سلاماً مع الله، الذي كان في السابق عدواً لهم (أنظر رومية ٥: ١٠).

ثانياً، هم مَنْ يعيشون بسلام مع الآخرين وبقدر المستطاع. فهم لا يتسموا بالخلافات والنزاعات. فقد كتب بولس الرسول عن هؤلاء الذين يُمارسون العداوة والنزاع والغيرة، والغضب، والتخريب، والانقسام والتحزب أنهم لن يرثوا ملكوت الله (أنظر غلاطية ٥: ١٩-٢١). أما المؤمنون الحقيقيون فإنهم سيقطعون الميل الثاني فقط بغية تجنب الصراع والحفاظ على السلام في علاقاتهم. فلا يتدعون السلام مع الله من جهة، ومن جهة أخرى يبيغضون أخوتهم (أنظر متى ٥: ٢٣-٢٤؛ يوحنا الأولى ٤: ٢٠).

ثالثاً، يعمل الأتباع الحقيقيين للمسيح بُمشاركتهم الإنجيل مع الآخرين، بمساعدتهم على صنع سلاماً مع الله. ربما نُشير إلى أن هذه الآية بالتحديد في العظة على الجبل، فكتب يعقوب " وَالْبِرُّ هُوَ ثَمَرَةٌ مَا يَزْرَعُهُ فِي سَلَامٍ صَانِعُو السَّلَامِ. (يعقوب ٣: ١٨)

المُضطهدون

وأخيراً، ذكر يسوع أن هؤلاء المُضطهدين من أجل البر هم مطوبون. فمن الواضح أنه كان يتكلم عن هؤلاء الذين يعيشون حياة البر، وليس فقط أن يؤمنوا ببر المسيح المعاز لهم. فأن كل مَنْ يطيع وصايا المسيح هم المُضطهدون من قِبَل غير المؤمنين. وهم مَنْ سيرثون ملكوت الله.

فما نوعية الاضطهاد الذي تحدث عنه يسوع؟ هل هو التعذيب؟ أم هل هو الاستشهاد؟ لا! فقد حدد مصدر الاضطهاد بشتن المؤمنين والتكلم ضدهم واهانتهم باسمه. وهذا يُشير مرة أخرى إلى أصالة إيمان ذلك الشخص المضطهد كمسيحي حقيقي، ومن جهة أخرى فإن الغير المؤمنين لن يفترى بحقهم بأقوال شريرة. فكم من الناس ممن يتدعون أنهم مسيحيين ولكن من الصعب تمييزهم عن غيرهم من الغير مؤمنين الذين فلا يقال بحقهم أي كلمة افتراء ولا حتى من غير مؤمن واحد؟ فهم بالحقيقة ليسوا بمسيحيين على الإطلاق. وكما قال يسوع " الْوَيْلُ لَكُمْ إِذَا امْتَدَّحَكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ، فَإِنَّهُ هَكَذَا عَامَلُ آبَاؤُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ الدَّجَالِينَ " (لوقا ٦: ٢٦). فعندما تمدح من قِبَل جميع الناس، فهذه قد تكون علامة أنك مؤمن مزيف. لأن العالم يكره المسيحيين

الحقيقيين (أنظر يوحنا ١٥: ١٨-٢١، غلاطية ٤: ٢٩، تيموثاوس الثانية ٣: ١٢، يوحنا الأولى ٣: ١٣-١٤).

ملح ونور

وبينما أكد يسوع لتلاميذه المُطيعين أنهم في الواقع بين الناس المباركين المتحولين وانهم مُتجهين بطريقهم ليرثون ملكوت السماوات، إلا أنه رفع كلمة تحذيرية. وهذا بخلاف ما يفعله العديد من واعظي العصر الحديث الذين يؤكدون على الدوام للجداء الروحيين أنهم أبدأً لن يفقدوا خلاصهم الذي يمتلكونه حسب افتراضهم، لكن قد أحب يسوع تلاميذه للغاية ولذلك لم يتردد على تحذيرهم أنه بإمكانهم أن يمحوا أنفسهم من قائمة المباركين.

أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ. فَإِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ، فَمَاذَا يُعِيدُ إِلَيْهِ مُلُوحَتَهُ؟ إِنَّهُ لَا يَعُودُ يَصْنُحُ لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنْ يُطْرَحَ خَارِجاً ١٣
لِتُدَوِّسَهُ النَّاسُ!

أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى جَبَلٍ؛ ١٤

وَلَا يُضِيءُ النَّاسُ مِصْبَاحاً ثُمَّ يَضَعُونَهُ تَحْتَ مِكْيَالٍ، بَلْ يَضَعُونَهُ فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ لِيُضِيءَ لِجَمِيعٍ مَنْ فِي الْبَيْتِ. ١٥

هَكَذَا، فَلْيُضِيءِ نُورُكُمْ أَمَامَ النَّاسِ، لِيَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ وَيُجِدُّوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ١٦

(متى ٥: ١٣-١٦)

ونلاحظ هنا أن يسوع لم ينصح تلاميذه ليصبحوا ملحاً أو نوراً. ولكنه قال لهم أنهم هم ملح (مجازياً)، ووقد حثهم على أن يبقوا ملحين. وأخبرهم أيضاً أنهم نور (مجازياً)، وحثهم على ألا يخفوا نورهم، ولكن يبقوا منيرين. كم يتناقض هذا ويختلف عن الوعظ التي تعطي للمسيحيين لكي يعملوا بجهد لكي ما يصبحوا ملحاً ونوراً. لكن هيهات فإن لم يكن الناس ملحاً ونوراً، فهم ليسوا تلاميذ للمسيح. وليسوا ضمن المباركون. ولن يذهبوا إلى السماء.

فعلى زمن يسوع، كان الملح يُستخدم في الأساس للحفاظ على اللحوم. وهكذا نحن كأتباع مُطيعين للمسيح، من يحفظ هذا العالم الخاطيء من خطر الفساد الكلي. ولكننا إن أصبحنا على شاكلة هذا العالم في سلوكياتنا، فنحن في الحقيقة "غير صالحين لأي شيء" (آية رقم ١٣). حذر يسوع المباركين أن يبقوا مالحين، مُحافظين على صفاتهم. فيجب عليهم أن يُحفظوا أنفسهم على بعد من العالم المحيط، وإلا سيصبحون "غير مالحين"، وانما يستحق أن يُطرحوا خارجاً ويُداس عليهم بالأقدام". فهذه هي إحدى التحذيرات الواضحة ضد التراجع المذكورة في العهد الجديد والتي تشير إلى المؤمنين الحقيقيين وإن كان الملح ملحاً حقيقياً، فهو مالحاً. وكذلك، أتباع يسوع يسلكون كأتباع يسوع، وإلا فهم ليسوا أتباعه، حتى وإن تبعوه بالماضي.

كذلك أتباع المسيح الحقيقيون هم أيضاً نور العالم. والنور دائماً يُضيء. وإن لم يُضيء، فهو ليس نوراً. فبهذا التحليل، النور يُمثل أعمالنا الصالحة (أنظر متى ٥: ١٦). ما كان يسوع ليحث هؤلاء الذين ليست لهم أعمالاً لترفعهم، ولكنه كان يحث الذين لديهم أعمالاً صالحة ألا يخفوها عن الآخرين. وبهذا، سيمجدون أباهم

السمائي لأن عمله فيهم هو مصدر صلاحهم. وهنا نرى توازن جميل من عظمة عمل الله وتعاوننا معه،
فالحاجة لخليهما ليكون كل شخص مقدساً.

علاقة الشريعة باتباع المسيح

الآن سنستهل فقرة جديدة في النسخة الأمريكية الجديدة من الكتاب المقدس. فهذه الجزئية حيوية وذات أهمية
كبيرة، وهي تعتبر مقدمة للكثير مما سيقوله المسيح ببقيّة عظمته.

لَا تَنْظُرُوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْغِي الشَّرِيعَةَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأُلْغِي، بَلْ لِأَكْمِلَ. ١٧
فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، لَنْ يَزُولَ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ، حَتَّى ١٨
يَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ.
فَأَيُّ مَنْ خَالَفَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغَرَى، وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُ، يُدْعَى الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ ١٩
السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، فَيُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.
فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى بَرِّ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ، لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ أَبَداً. ٢٠
(متى ٥: ١٧-٢٠)

فإن كان قد حذر يسوع مُستمعيه ألا يعتقدوا أنه قد جاء ليلغي شريعة موسى أو الأنبياء، فهذا يمكننا أن نخرج
باستنتاج أن البعض من مُستمعيه على الأقل قد فكروا بذلك. ويمكننا فقط أن نخمن لماذا فكروا على هذا
النحو، لربما كان ذلك بسبب توبيخ يسوع لشرعية الكتبة والفريسيين قادت البعض للتفكير بأنه كان ينوي إلغاء
الناموس والأنبياء.

وبغض النظر عن السبب، من الواضح أن يسوع أراد لتلاميذه أن يدركوا الخطأ الفادح بهذا الادّعاء. فهو
المُوحى الإلهي للعهد القديم بأكمله، فبالتأكيد لن يلغي كل ما قاله من خلال موسى والأنبياء. وعلى العكس،
فكما قال إنه جاء ليُكمل ما جاء بالناموس والأنبياء.

كيف له بالضبط أن يُكمل ما جاء بالشريعة والأنبياء؟ فالبعض يعتقد أنه كان يتحدث عن تحقيقه لنبوءات
المسيح. لكن وعلى الرغم من أن يسوع بالتأكيد قد تمّم (وسيتّم) جميع النبوءات المسيحية، فلم يكن هذا ما عناه
على أكمل وجه. فمن الواضح، أن محتوى السياق يُشير إلى أنه كان يتحدث عن كل ما كُتِبَ في الشريعة
والأنبياء إلى أصغر "حرف أو نقطة" (آية رقم ١٨) من الناموس، ولأصغر وصية (آية رقم ١٩).

آخرون يفترضون أن ما عناه يسوع بإكماله للناموس هو عن طريق إكماله كل متطلبات الناموس عنّا من
خلال حياة الطاعة وموته المضحى (أنظر رومية ٨: ٤). ولكن واضح لنا من السياق أن ذلك ليس ما كان
يعنيه. كما يظهر في الآيات التالية أن يسوع لم يذكر أي شيء عن حياته أو موته كمؤشر لإكماله الناموس.
ولكن في العبارة التالية، ذكر أن الناموس سيدوم على الأقل "حتى زوال السماء والأرض" و "الكل قد تحقق"
بذلك ليُشير إلى ما هو أبعد من موته على الصليب زمنياً. إلا أنه كان يشير إلى أن علاقة الناس نحو الناموس

ستؤثر على وضعهم في السماء (آية ١٩)، وعليهم أن يطيعوا الناموس حتى لدرجة أفضل من الكتبة والفريسيين وإلا لن يدخلوا السماء (آية ٢٠).

فمن الواضح أنه إلى جانب تحقيقه للنبوءات المتعلقة بالمسيح، الرموز، وظلال الناموس، وكذلك تحقيقه لمتطلبات الناموس عتاً، كان يسوع يُفكر أيضاً بكيف سيُحافظ مُستمعيه على وصايا الناموس وفعل ما أوصي به الأنبياء. ومن زاوية أخرى تحقيق يسوع للناموس عن طريق إظهار قصد الله الحقيقي والأصلي، شارحاً وموضحاً إياه بالكامل، مُحققاً ما لم يستطيع مُستمعيه أن يفهموه.^{٣٧} فمعنى الكلمة اليونانية "لِيُحَقِّقْ" في آية رقم ١٧ تُرجمت في العهد الجديد بـ يكمل، يُنهي، ويملاً، ويحمل بالكامل. وهذا ما أوشك يسوع أن يفعله بالضبط، مُبتدأً بعد أربعة عبارات.

لا! لم يأتِ يسوع ليلغى ناموس موسى والأنبياء، ولكن ليحقق ما قد جاء، " وهذا ليُحققهم بالكامل". وعندما أُدرس هذه الجزئية من العظة على الجبل دائماً ما أظهر للتلاميذ نصف كوب من الماء ليُساعد على شرح كمثال عن وحي الله بالناموس والأنبياء. فلم يأتِ يسوع ليلغى الناموس والأنبياء (كما قُلْتُ أني سأُمثل وكأني سأُلقي نصف كوب الماء). ولكن هو سيُكمل الناموس والأنبياء (وحينها أحضر زجاجة ماء وأملأ الكوب كاملاً). وهذا سيُساعد الحضور على فهم ما كان يعنيه يسوع.

أهمية الحفاظ على الشريعة

بخصوص الحفاظ على الوصايا الموجودة في الناموس والأنبياء، لقد جعل يسوع هذه النقطة واضحة للغاية بحيث لا يمكنه أن يوضحها أكثر. فقد توقع من تلاميذه أن يطيعوا الناموس والأنبياء، فكما كانوا بغاية الأهمية هكذا سيبقون للأبد. وفي الواقع أن كيفية طاعتهم لهذه الوصية هو ما سيحدد مصيرهم السماوي. "فَأَيُّ مَنْ خَالَفَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغُرَى، وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُ، يُدْعَى الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، فَيُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (٥: ١٩).

وبعد ذلك نأتي لآية رقم ٢٠: " فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى بَرِّ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ، لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ أَبَداً".

^{٣٧} فقد يكون ذلك حقيقة فيما أشرنا إليه بالـ "جوانب الشعائرية للشريعة" وكذلك "الجوانب الأخلاقية للشريعة"، وعلى الرغم من ذلك مُعظم شرحه يتركز على تحقيق شعائر الشريعة المُعطاة من روحه القدس للتلاميذ بعد القيامة. ونحن الآن نفهم لما ليس هناك حاجة لتوضيح الحيوانات في ظل العهد الجديد، لأن يسوع كان هو حمل الله. وكما أننا لم نتبع القانون الغذائي للعهد القديم لأن يسوع أعلن كل الطعام نظيفاً (أنظر مرقس ٧: ١٩). فنحن لا نحتاج لشفاعة كاهن أرضي لأن يسوع الآن هو الكاهن الأعلى، وهكذا. على عكس قانون الشريعة، لم يتم تعديل أي جزء من الشريعة الأخلاقية بما قاله يسوع، قبل أو بعد مماته والقيامة. ولكن يسوع شرح وأيد شريعة الله كما فعل التلاميذ بإرشاد الروح القدس بعد قيامته. الجوانب الأخلاقية لشريعة موسى كلها مضمونة في شريعة المسيح، شريعة العهد الجديد. وتذكر أيضاً أن يسوع كان يتحدث في ذلك اليوم لليهود الخاضعين لشريعة موسى. ولذلك كلماته في متى ٥: ١٧-٢٠ تحتاج للتفسير في ضوء وحيه المستمر الموجود فلعهده الجديد.

لاحظ أن هذا ليس بفكرة جديدة، وإنما الملحوظة الختامية مُتعلقة بالآيات السابقة. ما هي أهمية الحفاظ على الوصايا؟ على المرء أن يحفظ الوصايا حتى بدرجات تفوق الكتبة والفريسيين ليدخل ملكوت السموات. ولمرة أخرى نرى أن يسوع كان يُحافظ على موضوعه - فقط المُقدسين من سيرثون ملكوت الله.

لئلا يتعارض الخادم صانع التلميذ مع المسيح، لذا لن يؤكد خلاص أحد ما لم يفوق برهم على بر الكتبة والفريسيين.

فما هو نوع البر الذي كان يتحدث يسوع عنه

عندما تحدث يسوع عن وجوب تفوق برنا ليكون أعظم من بر الكتبة والفريسيين، ألم يُشير بذلك حينها إلى الوضع القانوني للبر الذي سيعطى لنا كهدية مجانية؟ لا، لم يعني ذلك، ولسبب حسن. أولاً، السياق لا يتناسب مع هذا التفسير. قبل وبعد هذه الآية (ومن خلال كامل العظة على الجبل) كان يتحدث عن الحفاظ على الوصايا، وهذا يعني، العيش بالبر. فالتفسير الطبيعي لكلمات يسوع هو أنه يجب أن نعيش حياة البر أكثر من الكتبة والفريسيين. فمن غير اللائق أن نعتقد أن يسوع سيدين الكتبة والفريسيين إن أخطأوا ولا يدين تلاميذه إن أخطأوا وذلك بسبب أنهم ببساطة صلوا "صلاة الخلاص".^{٣٨}

فمشكلتنا هي أننا لا نريد أن نقبل المعنى الواضح لهذه الآية، لأنها تبدو كالقانونية. ولكن مشكلتنا الحقيقية هي أننا لا نفهم العلاقة الغير قابلة للتفرقة ما بين البر المكتسب والبر العملي. ولكن يوحنا الرسول فعل ذلك. فكتب " أَيْهَا الْأَوَّلَادُ الصِّغَارُ، لَا تَدْعُوا أَحَدًا يُضَلِّلُكُمْ. تَأْكُدُوا أَنَّ مَنْ يَمَارِسُ الصَّلَاحَ، يُظْهِرُ أَنَّهُ بَارٌّ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ بَارٌّ" (يوحنا الأولى ٣: ٧). ولم نفهم أيضاً العلاقة ما بين الميلاد الجديد والبر العملي كما كتب يوحنا: " وَمَا دُمُّنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بَارٌّ، فَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ الصَّلَاحَ، يُظْهِرُ أَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللَّهِ حَقًّا." (يوحنا الأولى ٢: ٢٩).

قد أمكن ليسوع أن يضيف لهذه الآية ٥: ٢٠، " وإن تُبِت، فأنت مولوداً ثانية، فاقبل من خلال العيش بالإيمان هديتي لك البر المجاني، وبرك العملي سيفوق بر الكتبة والفريسيين كلما تعاونت مع قوة الروح القدس الماكثة فيك.

كيف يمكنك أن تكون أقدم من الكتبة والفريسيين

السؤال الطبيعي الذي يأتي لأذهاننا هو رد يسوع في ٥: ٢٠ وهو: على أي قدر من البر بالضبط، كان للكتبة والفريسيين؟ والإجابة هي ليس الكثير.

^{٣٨} وما هو أكثر من ذلك، إن كان يسوع يتحدث عن الشرعي والمنسوب الذي نستلمه لإيماننا به، فلما لم يُلَمَح لذلك على الأقل؟ لماذا قال شيئاً يمكن بسهولة سوء فهمه من هؤلاء غير المتعلمين، الذين كان يتحدث إليهم، والذين لم يُخمنوا أبداً أنه كان يتحدث عن البر المنسوب؟

وبمرة أخرى، توجه يسوع لهم بالـ "الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمَرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ كَالْقُبُورِ الْمَطْلِيَّةِ بِالْجُلْسِ: تَبْدُو جَمِيلَةً مِنَ الْخَارِجِ، وَلَكِنَّهَا مِنَ الدَّخْلِ مُمْتَلِئَةٌ بِعِظَامِ الْمَوْتَى وَكُلِّ نَجَاسَةٍ!" (متى ٢٣: ٢٧). فهذا يعنى هؤلاء الذين يُظهرون البر من الخارج، ولكن من الداخل كلهم شر. فقد فعلوا عملاً جيداً في الحفاظ على الناموس، ولكن متجاهلين الجانب الروحي له، ودائماً ما يبررون أنفسهم عن طريق التلاعب أو حتى تغيير وصايا الله.

وعن الخطأ الجوهرى للكتبة والفريسيين قد ركّز يسوع في بقية العظة على الجبل. فنجد أنه أستشهد بعدد من وصايا الله المعروفة، وبعد كل استشهد، وضح الفرق بين الخطاب الكلامي والروح في الناموس. وبهذا أبرز بشكل مستمر أخطاء التعليم ونفاق الكتبة والفريسيين، ووضح توقعاته الحقيقية نحو تلاميذه.

وقد بدأ يسوع كل مثل بهذه الكلمات، "لقد سمعتم". فقد كان يتحدث لأناس لربما لم يقرأوا ولا يجيدون القراءة، ولكنهم سمعوا فقط قراءات العهد القديم من الكتبة والفريسيين في المعبد. فيمكن القول أنّ تلاميذه قد جلسوا طوال حياتهم في ظل تعليم خاطئ، إذ أنهم سمعوا من الكتبة والفريسيين "وتعليمهم الملتوي لكلمة الله ومعينة أسلوب حياتهم الغير مقدس".

أحبوا بعضكم البعض، لا كالكتبة والفريسيين

ابتدأ يسوع تعليم تلاميذه عن توقعات الله لهم، باستخدامه الوصية السادسة كنقطة الإشارة الأولى، وفي ذات الوقت كشف نفاق الكتبة والفريسيين.

سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْأَقْدَمِينَ: لَا تَقْتُلْ! وَمَنْ قَتَلَ يَسْتَحِقُّ الْمَحَاكَمَةَ. ٢١

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ هُوَ غَاضِبٌ عَلَى أَخِيهِ، يَسْتَحِقُّ الْمَحَاكَمَةَ؛ وَمَنْ يَقُولُ لِأَخِيهِ: يَا تَافَهُ! ٢٢
يَسْتَحِقُّ الْمَثُولَ أَمَامَ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى؛ وَمَنْ يَقُولُ: يَا أَحْمَقُ! يَسْتَحِقُّ نَارَ جَهَنَّمَ!

(متى ٥: ٢١-٢٢)

أولاً، لاحظ أن بتحذير يسوع هنا كان يسلط الضوء على شيء قد يتسبب بدخول أحدهم للجحيم. فهذا كان الموضوع الأساسي – المُقدسين فقط هم من سيرثون ملكوت السماوات.

وقد وعظ الكتبة والفريسيين ضد القتل، مُستشهدين بالوصية السادسة، فعلى ما يبدو أنهم حذروا أن القتل سيؤدي بذهاب شخص للمثول أمام المحكمة.

وعلى الرغم من ذلك، أراد يسوع لتلاميذه أن يعلموا ما لم يستنتجه الكتبة والفريسيين – إذ كانت هناك مخالفات وتعديات أقل قسوة وتلك أيضاً ستظهر في المحكمة، محكمة الله. ولأنه من المهم أن نُحب بعضنا البعض (ثاني أعظم الوصايا)، فعندما نغضب على أخ لنا، علينا اعتبار أنفسنا مذبنيين مستحقين المثول في محكمة الله. وإذا تفوهنا بغضب وبطريقة غير لطيفة وبكلام غير لائق، فخطئنا هنا أشد مضاضة والنتيجة بغاية الخطورة، فيجب أن نعتبر أنفسنا مذبنيين نستحق المثول امام المحكمة الإلهية

العليا. وإذا تخطينا ذلك بأن نحمل بقلوبنا ضغينةً على أخٍ بافتراء، فسنكون مذنبين للغاية أمام الله لدرجة أن يُلقى بنا في جهنم! ^{٣٩} وهذا جد خطير!

علاقتنا مع الله ترتبط بعلاقتنا مع أخواتنا. وإن كنا نكره أخاً، فهذا يبين أنه ليست لنا حياة أبدية. فكتب يوحنا:

وَكُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ لَهُ، فَهُوَ قَاتِلٌ. وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّ الْقَاتِلَ لَا تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ (يوحنا الأولى ٣: ١٥).

فَإِنْ قَالَ أَحَدٌ: «أَنَا أُحِبُّ اللَّهَ!» وَلَكِنَّهُ يُبْغِضُ أَخَاهُ لَهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي يَرَاهُ، فَكَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ الَّذِي لَمْ يَرَهُ قَطُّ؟ (يوحنا الأولى ٤: ٢٠).

فكم هو بالأمر الهام لنا جميعاً أن نحب بعضنا البعض، كما أوصى يسوع، وأن نسعى دوماً للمصالحة عندما يغضب أحدنا الآخر (أنظر متي ١٨: ١٥-١٧).

وقد تابع يسوع قائلاً:

فَإِذَا جِئْتَ بِتَقْدِمَتِكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، ^{٢٣}

فَاتْرُكْ تَقْدِمَتَكَ أَمَامَ الْمَذْبَحِ، وَادْهَبْ أَوَّلاً وَصَالِحِ أَخَاكَ، ثُمَّ ارْجِعْ وَقَدِّمْ تَقْدِمَتَكَ. ^{٢٤}

(متي ٥: ٢٣-٢٤)

هذا ليعلمنا إنه إن كانت علاقتنا مع أخينا غير سليمة، عندها ستكون علاقتنا مع الله غير سليمة أيضاً. فالفرسيين كانوا مذنبين بتعظيم ما هو قليل الأهمية وتحقير ما يحمل أهمية عظيمة، وكما قال يسوع "أنكم تصفون الماء من البعوضة ولكن تبلعون الجمل!" (متي ٢٣: ٢٣-٢٤). فهم أكدوا على أهمية تقديم العشور والعطايا، وبالوقت ذاته قد أهملوا الوصية الثانية بعظمتها، وهي أن نحب بعضنا البعض. فكم هو من النفاق أن تحضر التقدمة لله، وبذلك من المفروض أنك تظهر حباً لله، بينما تكسر ثاني أعظم الوصايا! كان يسوع يحذرهم من ذلك.

وتابع يسوع موضوعه عن حزم المحكمة الإلهية، فقال:

فَإِذَا جِئْتَ بِتَقْدِمَتِكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، ^{٢٣}

فَاتْرُكْ تَقْدِمَتَكَ أَمَامَ الْمَذْبَحِ، وَادْهَبْ أَوَّلاً وَصَالِحِ أَخَاكَ، ثُمَّ ارْجِعْ وَقَدِّمْ تَقْدِمَتَكَ. ^{٢٤}

سَارِعْ إِلَى اسْتِزْوَءِ خَصْمِكَ وَأَنْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَحْكَمَةِ، قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي، فَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشَّرْطِيِّ، فَيُثَبِّتَكَ فِي السِّجْنِ. ^{٢٥}

^{٣٩} وهذا ينطبق على العلاقات مع إخواننا وأخواتنا في يسوع المسيح. فقد دعي يسوع القيايين المتدينين بالحمقى (أنظر ٢٣: ١٧)، كما في الكتاب المقدس بشكل عام (أنظر أمثال ١: ٧، ١٣: ٢٠).

وَالْحَقُّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ حَتَّى تُؤْفِيَ الْفُلْسَ الْأَخِيرَ! ٢٦

(متى ٥: ٢٣-٢٦)

من المفضل البقاء بعيداً عن المحكمة الإلهية على الإطلاق والعيش بسلام مع أخواتنا قدر الامكان. إن غضب منا أختاً أو أختاً، الا أننا نُصر على رفضنا للمصالحة وبينما نسير "في الطريق الى المحكمة"، وهذه الطريق هي رحلة حياتنا حيث في نهايتها سنقف أمام الله، وسوف نندم على رفضنا للمصالحة بكل تأكيد. فما قاله يسوع مُشابهاً لتحذيره بما يتعلق بمحاكاة الخادم الذي لا يغفر في متى ١٨: ٢٣-٣٥. الخادم الذي تم العفو عنه ولكنه رفض أن يُسامح بالمثل من كان مدين له بالقليل، وكانت النتيجة أنه سُلم للمُعذِّبين "لِيُعَذِّبُوهُ حَتَّى يُؤْفِيَ كُلَّ مَا عَلَيْهِ" (متى ١٨: ٣٤). هنا حذر يسوع بالمثل المجازفة بالأمور الأبدية بسبب عدم محبتنا لأخينا كما يتوقع الله منا أن نحب.

بعلاقتك مع الجنس الآخر كن عفيفاً، لا كالكتبة والفريسيين

كانت الوصية السابعة موضوع يسوع في مثله الثاني عن كيفية حفاظ الكتبة والفريسيين على الكتاب بينما يتجاهلون روح الناموس. وهكذا فقد توقع يسوع من تلاميذه أن يكونوا أكثر عفة من الكتبة والفريسيين.

وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: لَا تَزْنِ! ٢٧

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ بِقَصْدٍ أَنْ يَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ! ٢٨

فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى فَخَاً لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقَدَ غُضُوًّا مِنْ أَعْضَائِكَ وَلَا يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ!

وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى فَخَاً لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقَدَ غُضُوًّا مِنْ أَعْضَائِكَ وَلَا يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ!

(متى ٥: ٢٧-٣٠)

لاحظ مرة أخرى أن يسوع ما زال يحافظ على موضوعه الأساسي – فقط المقدسين هم من سيرثون ملكوت السموات. وقد حذر لمرة أخرى من الجحيم وما عسى الانسان أن يفعله لتحاشي ذلك المكان المروع.

حافظ الكتبة والفريسيين على امانتهم لزوجاتهم إذ لم يكن بإمكانهم تجاهل الوصية السابعة، وهكذا فقد أطاعوها ظاهرياً. ولكنهم دائماً ما أعطوا لأفكارهم الرديئة ان تتدانى بكل أنواع التصورات بمخيلتهم لمُضاجعة وعمل علاقات حميمة مع سيدات أخريات. فيُعرفون بفكرهم النساء الذين يرهن في الأسواق. وهكذا فهم زناة بالقلب، وبذلك كانوا خالفون روح الوصية السابعة. وكم من الحاضرين للكنائس اليوم لا يختلفون عن ذلك؟

بالطبع، الله يريد لهؤلاء الناس النقاء الكامل. فمن الواضح أنه من الخطأ أن تكون على علاقة جنسية مع زوجة جارك، وكذلك فإنه خطأ أيضاً أن تتخيل علاقة جنسية معها. هنا لم يصف يسوع قانوناً أكثر صرامة على ما هو موجود سابقاً في شريعة موسى. فالوصية العاشرة بوضوح احتوت على الامتناع عن الشهوة: "لا تشته زوجة جارك" (خروج ٢٠: ١٧).

هل كان أي من مُستمعي يسوع مذبذبين! لربما كان البعض. وما كان عليهم فعله إلا أن يتوبوا في الحال كما أشار يسوع. بغض النظر عما تكلف، وما هو الثمن، فمن كانت تراوده افكار الشهوة عليه أن يتوقف عن الاشتها، لأن الذين يُمارسون الشهوة سيذهبون إلى الجحيم.

بالطبع، ليس هناك أي شخص عاقل يعتقد أن ما عناه يسوع كان على المشتبهين أن يقلعوا عيناً أو يقطعوا يداً حرفياً. فالشخص المملوء بالشهوة وأن قلع عينه سيصبح ببساطة مُشتهي بعين واحدة! لقد كان يسوع يؤكد بشكل علم على أهمية طاعة الروح القدس في الوصية السابقة. فالحياة الأبدية تعتمد عليها.

الخادم صانع التلميذ يتبنى مثال يسوع، فينصح تلاميذه على أن يقطعوا ما يسبب لهم العثرة. فإن كانت قنوات التلفزيون الفضائية هي سبب العثرة فيجب فصلها. وإن كان مجرد التلفزيون هو سبب العلة، عندها يجب التخلص منه. وإن كان سبب العثرة هو الاشتراك بمجلة، فيجب أن يُلغى ذلك الاشتراك. وإن كان السبب هو الأنترنت، فيجب فصله. وإن كان السبب هو نافذة مفتوحة، فيجب إغلاقها. فكل هذه الأشياء ليست أسوأ من قضاء الحياة الأبدية في الجحيم، ولأن الخادم صانع التلميذ حقاً يحب شعبه، فسيُخبرهم بالحقيقة ويُحذرهم كما فعل يسوع.

طريقة أخرى لارتكاب الزنا

لمثل يسوع التالي علاقة بالمثل الذي قرأناه سابقاً، وربما لذلك تم ذكره ثانية. فيجب أن نأخذ بالاعتبار كدراسة أعمق للموضوع وليس كموضوع جديد. الموضوع هو أن هناك شيئاً آخر قام به الفريسيين وهو مساوياً للزنا.

وَقِيلَ أَيْضاً: مَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ، فَلْيُعْطِهَا وَثِيقَةَ طَلَاقٍ ٣١

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةِ الزَّنى، فَهُوَ يَجْعَلُهَا تَرْتَكِبُ الزَّنى. وَمَنْ تَزَوَّجَ ٣٢
بِمُطَلَّاقَةٍ، فَهُوَ يَرْتَكِبُ الزَّنى

(متي ٥: ٣١-٣٢)

فيسوع هنا يوضح مثلاً لتغيير الكتبة والفريسيين لوصايا الله لتتناسب وأسلوب حياتهم الخاطئ.

دعونا نتصور في أيام يسوع كان أحد الفريسيين يشتهي امرأة جذابة كانت تعيش على الجانب الآخر للشارع حيث كان ذلك الفريسي يعيش. وكان بلا حياة يُناغشها كل يوم عندما يراها. وكانت تبدو معجبة

به، شهوته لها كانت تزداد. ويود أن يراها عارية، ويتخيلها كذلك بشكل مُعتاد في تخيلاته الجنسية. ياه! إن كان فقط بإمكانه الحصول عليها.

ولكن لديه مشكلة. فهو متزوج، وديانته تمنعه من ارتكاب الزنا. فلم يُريد أن يُخالف الوصية السابعة (على الرغم من أنه قد خالفها طوال الوقت لطالما اشتهاها بقلبه). فما عساه أن يفعل؟

هناك حل! إن كان قد تطلق من زوجته الحالية، فيمكنه الزواج من السيدة التي في مُخيلته! ولكن الطلاق يخالف شريعة موسى؟ ولكن كان له صديق من أصدقائه الفريسيين من قال له أن بإمكانه فعل ذلك! حيث أن هناك آية في الكتاب المُقدس تتكلم عن ذلك! ففي تثنية ٢٤: ١ يقول شيئاً عن إعطاء زوجتك كتاب طلاق عندما تُطلقها. فالطلاق يخالف الشريعة في ظروف مُعينة! ولكن ما هي تلك الظروف؟ وهو يقرأ عن قُرب ما قاله الله:

إِذَا تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْ فَتَاةٍ وَلَمْ تَرُقْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اكْتَشَفَ فِيهَا عَيْباً مَا، وَأَعْطَاهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَصَرَفَهَا مِنْ بَيْتِهِ (تثنية ٢٤: ١).

آه! فيمكنه أن يُطلق زوجته إن وجدَ بها عيباً! وفعل ذلك! فهي ليست جذابة مثل السيدة التي تعيش في الناحية الأخرى من الشارع! (هذا المثال ليس بعيد المنال. وفقاً لحاخام هليل، الذي يشتهر بتعاليمه بخصوص الطلاق في أيام يسوع، يمكن للرجل أن يُطلق زوجته شرعياً إن وجدَ أمراً أخرى أكثر جاذبية، لأن ذلك يجعل زوجته الحالية بذينة في عينيه. الحاخام هليل علِمَ أيضاً أنه يمكن للرجل أن يُطلق زوجته إن وضعت الكثير من الملح في طعامه، أو تحدثت لرجل آخر، أو إن لم تتجب له ولداً).

فالفريسي بمثالنا التصوري يمكنه أن يُطلق زوجته طبقاً للشريعة بإعطائها كتاب طلاق، ويذهب بسرعة ليتزوج من المرأة التي كان يتخيل الحياة معها. وكل هذا يحدث بدون الشعور بأي ذنب كونه قد أطاق شريعة الله!

وجهة نظر مُختلفة

بالطبع يرى الله الأشياء بصورة مُغايرة كلياً. فهو لم يشرع "الفحشاء" المذكورة في سفر التثنية ٢٤: ١-٤، أو إن كان هناك سبباً شرعياً للطلاق. وفي الحقيقة، إن هذه الفقرة لا تذكر شيئاً عن متى يكون الطلاق مشرعاً أو غير مشرع. إلا أنها فقط تحتوي على تحريم المرأة المطلقة مرتين أو من طُلقت مرة وترملت مرة، من أن تتزوج من زوجها الأول. وهذا ليقول أنه لا بد وأن يكون هناك بعض البذاءة في عيني الله حتى يجعل الطلاق شرعياً بناءً على هذه الفقرة بفرضه معنىً مُعيناً على السياق.

وعلى أي حال، بفكر الله، لا يختلف ذلك الرجل المُتخيل الذي وصفته عن أي رجل زاني. فقد خالف الوصية السابعة، وفي الحقيقة هو أكثر ذنباً من الزاني العادي، لأنه مذنب "بالزنا المضاعف". كيف هذا؟ أولاً، هو نفسه قد ارتكب خطية الزنا. وقال يسوع لاحقاً "إِنَّ الَّذِي يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةِ الزَّنى، وَيَتَزَوَّجُ بِغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ يَزْكِبُ الزَّنى. وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقةٍ، يَزْكِبُ الزَّنى" (متى ١٩: ٩).

ثانياً، بسبب أن زوجته التي طلقها ستسعى للحصول على زوج آخر لتنجو، ففي ذهن الله هذا الفريسي قد ارتكب ما هو مساوي لإرغام زوجته على مُعاشرة رجلاً آخر. ولذلك فهو يتحمل ذنب "الزنا" الذي وقعت به.

٤٠ وقال يسوع "كُلُّ مَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةِ الزَّنى، فَهُوَ يَجْعَلُهَا تَرْتَكِبُ الزَّنى. وَمَنْ تَزَوَّجَ بِمُطَلَّقةٍ، فَهُوَ يَرْتَكِبُ الزَّنى." (متى ٥: ٣٢)

وكان يسوع يُحاكم ذلك الفريسي المشتبه بالزنى الثلاثي في هذه الحالة، "وَمَنْ تَزَوَّجَ بِمُطَلَّقةٍ، فَهُوَ يَرْتَكِبُ الزَّنى" (متى ٥: ٣٢)، يعنى أن الله يُحاكمه على زنا زوجته السابقة مع زوجها الجديد.^{٤١}

كان هذا موضوع ساخناً في أواخر أيام خدمة يسوع، حين نقرأ في مكان آخر حين سألته بعض الفريسيين "هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ زَوْجَتَهُ لِأَيِّ سَبَبٍ؟" (متى ١٩: ٣). فسؤالهم أظهر ما يخبئونه في قلوبهم. ومن الواضح أن بعضهم على الأقل أراد أن يؤمن بشرعية الطلاق لأي سبب كان.

هنا لا يسعني إلا أن أضيف كم هو مُخزي، عندما يأخذ المسيحيون هذه الآيات عن الطلاق، وبسوء تفسيرهم اياها يقومون بتثقيل الأحمال على أولاد الله. فأن يسوع لم يتحدث عن المسيحي الذي طلق زوجته الغير مخلصة أو مَنْ تطلقت من زوجها الغير مُخلص، أو هذا الذي يجد شخصاً رائعاً محبباً للمسيح، ويتزوج من ذلك الشخص. هذا لا يُعادل الزنا. وإن كان هذا ما يعنيه يسوع، فسندطر لتغيير الإنجيل، لأنه لم يعد يزودنا بالغفران لكل الخُطاة. فمن الآن سنعظ أن "يسوع مات من أجلك، وإن ثبت وأمنت به، فيمكنك أن تحصل على الغفران لكل خطاياك. وإن كنت مُطلقاً، فيجب ألا تتزوج مرة أخرى وإلا ستعيش حياة الزنا، والكتاب المُقدس يقول إن الزناة سيذهبون للجحيم. وأيضاً، إن كنت مُطلقاً وتزوجت مرة أخرى قبل أن تؤمن بالمسيح، فستحتاج أن ترتكب خطأً آخر أكثر وهو أن تُطلق زوجتك الحالية. وإلا ستستمر في حياة الزنا، والزناة غير مُخلصين." ^{٤٢} هل هذا هو الإنجيل؟ ^{٤٣}

كُن أميناً، على عكس الكتبة والفريسيين

مثل يسوع الثالث كان عن الأشرار وسوء تطبيق الكتبة والفريسيين لوصية الله المتعلقة بقول الحقيقة. فقد طور الكتبة والفريسيين طريقة مُميزة للكذب. كما نتعلم من متى ٢٣: ١٦-٢٢ أنهم لن يعتبروا أنفسهم مُلزمون على إقامة نذورهم إن حلفوا بالهيكل، أو المذبح، أو السماء.

^{٤٠} بالتأكيد، الله لم يُحاسِبها كزانية عندما تتزوج مرة أخرى، لأنها كانت فقط ضحية لخطيئة زوجها. ومن الواضح، كلمات يسوع ليس لها مُبرر إلا إذا تزوجت مرة أخرى. وإلا ليس هناك مُبرر لاعتبارها زانية.

^{٤١} ولمرة أخرى، الله لم يُحاسِب زوجها الجديد على أنه زانياً. فهو بفعل شيئاً فاضلاً بزواجه واعتناؤه بامرأة مُطلقة. ولكن إن شجع رجلاً امرأة لئلا تُطلق زوجها حتى يمكنه أن يتزوجها، هنا هو سيكون مُذنب بالزنا، وهذا ربما الخطيئة التي كان يتحدث عنها يسوع.

^{٤٢} هناك بالتأكيد، مواقف أخرى يمكن أن التطرق إليها. على سبيل المثال، هذه المرأة المسيحية التي طلقها زوجها غير المُخلص، بالتأكيد لم يرتكب زنا إن تزوجت هي مرة أخرى من رجل مسيحي.

^{٤٣} ولاحقاً في الفصل الذي يتحدث عن الطلاق والزواج مرة أخرى، أنا تطرقت لهذا الموضوع بالتفصيل أكثر.

ولكن إن حلفوا بالذهب الذي على المذبح، أو عطايا المذبح، أو بالله الذي في السماء، حينها فهم مُلتزمين بالحفاظ على نذورهم! هذا معادل لاعتقاد الطفل أنه مُعفى من قول الحقيقة طالما وضع أصابعه خلف ظهره. فتوقع يسوع من تلاميذه هو قولهم للحقيقة.

وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلأَقْدَمِينَ: لَا تُخَالِفَ قَسَمَكَ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ مَا نَذَرْتَهُ لَهُ. ٣٣

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا أَبَدًا، لَا بِالسَّمَاءِ لِأَنَّهَا عَرْشُ اللَّهِ، ٣٤

وَلَا بِالْأَرْضِ لِأَنَّهَا مَوْطِيءُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأُورُشَلِيمَ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ. ٣٥

وَلَا تَحْلِفُ بِرَأْسِكَ لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً فِيهَا بَيِّضَاءً أَوْ سَوْدَاءً. ٣٦

لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ، إِنْ كَانَ نَعَمْ؛ أَوْ: لَا، إِنْ كَانَ لَا. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشَّرِّيرِ. ٣٧

(متي ٥: ٣٣-٣٧)

فوصية الله الأصلية بخصوص النذور لا تنص بشيء عن قطع عهداً بالقسم على أمر ما. فكان الله يتوخى من شعبه أن يتكلموا بالحقيقة طوال كل الوقت، ولذلك لا حاجة أبداً للقسم.

ليس هناك أي عيب بحلف اليمين فما هو الا وعداً. وفي الحقيقة حلف اليمين هو لطاعة الله لما هو حسن. فالخلاص يبدأ بحلف اليمين لاتباع يسوع. ولكن عندما يضطر الناس إلى القسم بشيء ما لإقناع الطرف الآخر على تصديقهم، فهو دائماً إشارة إلى أنهم يكذبون. فالذين يقولون الحقيقة دائماً لا يحتاجون للقسم أبداً. ولكن الكنائس اليوم مليئة بالكذابين، والخدام دائماً يقودون بخداع ومكر.

فالخادم صانع التلميذ لهو قدوة يحتذى بها لقول الحقيقة وكذلك يُعلم تلاميذه أن يقولوا الحقيقة بلا انقطاع. ويعلم أيضاً تحذير يوحنا لكل الكاذبين أنهم سيُطرحون في البحيرة المُتقدة بالنار والكبريت (أنظر رؤيا ٢١: ٨).

لا تتأثر لنفسك، كما يفعل الكتبة والفريسيين

العنصر التالي من قائمة يسوع من تزييف الفريسيين لمعنى آية معروفة جداً في العهد القديم. ونحن قد ناقشنا هذه الفقرة في فصل آخر الذي كان موضوعه حول التفسير الكتابي.

وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَعِينٌ وَسِنَّ بَسِئٌ. ٣٨

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بِمِثْلِهِ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، فَأَدِرْ لَهُ الْخَدَّ الْآخَرَ؛ ٣٩

وَمَنْ أَرَادَ مُحَاكَمَتَكَ لِيَأْخُذَ ثَوْبَكَ، فَاتْرُكْ لَهُ رَدَاءَكَ أَيْضًا؛ ٤٠

وَمَنْ سَخَّرَكَ أَنْ تَسِيرَ مِيلاً، فَسِرْ مَعَهُ مِائِلَيْنِ. ٤١

مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئاً، فَأَعْطِهِ. وَمَنْ جَاءَ يَقْتَرِضُ مِنْكَ، فَلَا تَرُدَّهُ خَائِباً! ٢٤

(متي ٥: ٣٨-٤٢)

لقد أقرت بناموس موسى أنه عندما يتم إثبات ذنب شخص في المحكمة بجرحه شخصاً آخرًا، فعقابه سيكون معادلاً للضرر الذي ألحق به ذلك الشخص. فعلى سبيل المثال، إن خلع شخص سناً لآخر، فمن العدل أن يتم خلع سن الجاني أيضاً. فقد تم إعطاء هذه الوصية لضمان توفير العدل في القضاء الجنائي ذي الاعتداءات الكبيرة. فقد أعد الله نظاماً قضائياً في ظل ناموس موسى ليحد من الجريمة، ويوفر العدل، والحد من الأخذ بالثأر. فأوصى الله على القضاة أن يكونوا نزهاء وعادلين في حكمهم. فكانوا يفرضون "عين بعين وسن بسن". ولكن هذه العبارة والوصية مقصورة الذكر في نصوص العدل في المحاكم.

ولكن ولمرة أخرى غير الكتبة والفريسيين هذه الوصية، وحولوها لتصير وصية مُشجعة على الثأر الشخصي كأنه التزام مقدس. ولكن في الحقيقة، إنهم تبنوا فكرة سياسة عدم التسامح، ساعيين للانتقام حتى في أصغر الجرائم.

مع أن الله دائماً ما يتوقع أكثر من ذلك من شعبه. فهو قد نهى الانتقام الشخصي بشكل كلي (أنظر تثنية ٣٢: ٣٥). فقد علّم العهد القديم أن شعب الله يجب أن يظهروا عطفاً نحو أعدائهم (أنظر خروج ٢٣: ٤-٥)، أمثال ٢٥: ٢١-٢٢). وأكد يسوع هذه الحقيقة عن طريق تعليم تلاميذه بأن يحولوا الخد الأيسر وأن يسيروا ميلاً آخرًا عندما يتعاملوا مع الناس الأشرار. وحتى عندما نكون مظلومين، فيُريدنا الله أن نرد على الشر بالخير.

ولكن هل يتوقع يسوع منا أن نسمح للبعض أن يستغلنا، وهل نسمح لهم أن يدمروا حياتنا إن رغبوا بذلك؟ هل من الخطأ أن نرفع قضية للعدالة ضد شخص قد اساء إلينا بعمل غير قانوني، وبالتالي ارغامه المثل في قاعة المحكمة؟ لا. لم يتحدث يسوع عن الحصول على العدالة المستحقة للقضايا الكبرى في قاعات المحاكم وإنما تكلم عن الامتناع عن الانتقام الشخصي للمخالفات الصغرى. لاحظ أن يسوع لم يقل علينا أن نعرض رقابنا للخنق لشخص قد طعننا في الظهر. ولم يقل إنه يجب أن نُعطي شخصاً ما بيتنا حين يطلب أن يأخذ سيارتنا. فقد طلب يسوع منا ببساطة أن نُظهر التسامح والرحمة على درجة عالية عندما نتعامل مع المشاكل اليومية البسيطة والتحديات الطبيعية أثناء التعامل مع الأشخاص المغرورين فهو يريدنا أن نكون عطوفين بدرجة أعظم مما يتوقعه المغرورون، الدرجة التي لم يقترب الكتبة والفريسيين إليها.

لماذا الكثيرون من المسيحيين يشعرون بالإهانة بسهولة؟ لماذا يغضبون بسرعة بسبب إهانات أصغر عشر مرات من الضرب على الخد؟ هل هؤلاء مُخلصين؟ فالخادم صانع التلميذ يجب أن يُعد مثلاً عن تحويل الخد الأيسر، وأن يعلم تلاميذه أن يفعلوا ذات الشيء.

لا تَكْرَهُوا أَعْدَائَكُمْ، كَمَا يَفْعَلُ الْفَرِيسِيُّونَ

وأخيراً عرض يسوع وصية أخرى أعطيت من الله وهي تصف الكتبة والفريسيين لتتناسب مع قلوبهم المملوءة بالكراهية.

وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ.^٣

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَبَارِكُوا لَاعِنَيْكُمْ، وَأَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ^٤ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ إِلَيْكُمْ وَيَضْطَهِدُونَكُمْ،

فَتَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ: فَإِنَّهُ يُشْرِقُ بِشَمْسِهِ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمِطِرُ عَلَى^٥ الْأَبْرَارِ وَغَيْرِ الْأَبْرَارِ.

فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيَّةُ مَكافَأَةٍ لَكُمْ؟ أَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى جُبَاةُ الضَّرَائِبِ؟^٦

وَأِنْ رَحَبْتُمْ لِإِخْوَانِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ شَيْءٍ فَائِزٌ لِلْعَادَةِ تَفْعَلُونَ؟ أَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى الْوَثْنِيُّونَ؟^٧

فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ، كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ السَّمَاوِيِّ هُوَ كَامِلٌ!^٨

(متى ٥: ٤٣-٤٨)

ففي العهد القديم، أوصى الله "أحب قريبك كنفسك" (لاويين ١٩: ١٨)، ولكن الكتبة والفريسيين عرّفوا كلمة القريب لتقتصر على أولئك الذين يحبونهم. وكل شخص آخر هو لهم عدواً، وحيث أن وصية الله لنا أن نحب قريبنا فكأنه من المفهوم ضمناً أن نكره أعدائنا. وطبقاً ليسوع لم يكن هذا ما عناه الله.

يُعلمنا يسوع للتو في قصة السامري الصالح أنه يجب علينا أن نعتبر كل شخص قريباً لنا.^٩ فإله يريدنا أن نحب كل شخص، وهذا يتسع ليشمل أعدائنا أيضاً. هذا هو معيار الله نحو أبنائه، المعيار الذي هو نفسه يتعامل به. فهو لا يرسل شمساً ومطره على حقول الأبرار لتنمي محاصيلهم وحسب، بل وعلى حقول الأشرار أيضاً. وهكذا علينا أن نتبع مثاله مُظهرين نعمةً للذين لا يستحقونها. وبفعلنا ذلك، نكون قد أظهرنا أننا "أبناء وبنات للآب الذي في السماوات" (متى ٥: ٤٥). وهؤلاء الذين ولدوا الميلاد الثاني يسلكون كمثّل أبيهم.

الحُب الذي يتوقعه الله أن نُظهره لأعدائنا ليس شعور أو موافقة على شرهم. الله لا يطلب منا أن نتبنى مشاعراً دافئة اتجاه الذين يُقاومونه. فهو لم يطلب منا أن نقول ما هو ليس بحقيقة، أو أن أعدائنا أشخاص رائعون. ولكنه يتوقع منا أن نكون رحومين اتجاههم ونتخذ العزم والإصرار على أنفسنا بقرارات جريئة لهذا الغرض مستمرين حتى النهاية، وعلى الأقلّ بإلقاء التحية عليهم والصلاة من أجلهم.

^٤ فقد كان معلماً يهودياً للشرعية، الذي يتمنى أن يُبرر لنفسه، وسأل يسوع "من هو جاري؟" ويمكن أن تتأكد أنه كان لديه الإجابة الصحيحة. يسوع أجاب في قصة السامري الصالح، وهو عضو في عرق كان مكروه من اليهود، الذي أثبت أنه جاراً صالحاً لشخص يهودي تم سوء معاملته (انظر لوقا ١٠: ٣٧-٢٥). وتم سرقة.

لاحظ أن يسوع ولمرة أخرى يؤكد الموضوع الأساسي لعظته وبالخط العريض وهو أن المُقدسين فقط هم من سيرثون ملكوت الله. فقد أخبر تلاميذه أنه إن أحبوا الذين يحبونهم فقط، فبذلك لن يكونوا أفضل من الأمميّين وجامعي الضرائب، وهما نوعان من الناس قد أجمع اليهود على أنهم ذاهبون للجحيم. وهي طريقة أخرى لقول إن الذين يحبون فقط من يحبونه فمصيّرهم الذهاب إلى الجحيم.

افعل الخير بدوافع صحيحة، على عكس الكتبة والفريسيين

لم يتوقع يسوع من أتباعه أن يكونوا مُقدسين فقط بل توقع منهم أن يكونوا مُقدسين للأسباب سليمة. فمن الممكن أن تطيع وصايا الله وأن تستمر في إغضابه إن كانت طاعتك تنبع من دافع غير سليمة. فقد حذر يسوع من أفعال الكتبة والفريسيين، لأنهم فعلوا كل ما هو حسن مجرد لإبهار الآخرين (أنظر متى ٢٣: ٥). ويتوقع يسوع من تلاميذه أن يقوموا بأعمال البر من دوافع صادقة للإرضاء الأب وليس لأجل مدح الناس لهم.

اخذَرُوا مِنْ أَنْ تَعْمَلُوا بِرَكُمْ أَمَامَ النَّاسِ بِقَصْدٍ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكُمْ. وَإِلَّا، فَلَيْسَ لَكُمْ مُكَافَأَةٌ عِنْدَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.^١

فَإِذَا تَصَدَّقْتَ عَلَى أَحَدٍ، فَلَا تَتَفَخَّرْ أَمَامَكَ فِي الْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمَرَاوُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَالشُّوَارِعِ،^٢ لِيَمْدَحَهُمُ النَّاسُ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ نَالُوا مُكَافَأَتَهُمْ.

أَمَّا أَنْتَ، فَعِنْدَمَا تَتَصَدَّقُ عَلَى أَحَدٍ، فَلَا تَدْعُ يَدَكَ الْيُسْرَى تَعْرِفُ مَا تَفْعَلُهُ الْيُمْنَى.^٣

لِتَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ، وَأَبُوكَ السَّمَاوِيُّ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ، هُوَ يُكَافِئُكَ.^٤

(متى ٦: ١-٤)

يتوقع يسوع من أتباعه أن يعطوا صدقات للفقراء. كما أوصى به الناموس (أنظر خروج ٢٣: ١١؛ لاويين ١٩: ١٠؛ ٢٣: ٢٢؛ ٢٥: ٣٥؛ تثنية ١٥: ٧-١١)، ولكن الكتبة والفريسيين قد قدموا الصدقات بجهارة مع أصوات الأبواق، بدعوتهم للفقراء على الملاء حيث يوزعون عطاياهم السخية على العالم. ومع هذا فكم من معتنقي المسيحية لا يساعدوا الفقراء بالعطاء؟ وهم حتى لا يفعلوا أي شيء لاختبار دوافعهم على إعطاء الصدقات، إذ لا يعطوا البتة. فإن كانت الانانية هي ما تدفع الكتبة والفريسيين ليعلنوا عن إعطائهم للصدقات، فما هي الدوافع التي تعترى معتنقي المسيحية لتجاهلهم إحتياجات الفقراء؟ فهل بهذه الحالة يفوق برهم بر الكتبة والفريسيين؟

كما قال بولس الرسول في رسالة كورنثوس الأولى ٣: ١٠-١٥، فيمكن أن نفعل الخير لأسباب خاطئة. فإن كانت دوافعنا غير نقية، فتهيئات لأعمالنا الحسنة أن تُكَافَأَ. وكتب بولس أيضاً أنه من الممكن الكرازة بالإنجيل بدوافع غير نقية (أنظر فليبي ١: ١٥-١٧). وكما وصف يسوع، الطريقة الجيدة للتأكد من العطاء بدوافع نقية هي أن نُعْطِي سراً على قدر الإمكان، ولا ندع ليدنا اليسرى ان تعلم ما تفعله يدا اليمنى. فالخادم صانع التلميذ يُعلم تلاميذه أن يعطوا الفقراء (مُقدمين ما لديهم)، وأن يُمارس ذلك بصمت كما علّمنا الرب.

الصلاة والصوم بدوافع سليمة

وتوقع يسوع أيضاً من أتباعه أن يصلوا ويصوموا، وأن يفعلوا ذلك بدون إظهارها على الملأ أمام الناس، ولكن ليرضوا أبيهم السماوي. وإلا فلن يمتازوا بشيء عن الكتبة والفريسيين الداهيين إلى الجحيم، الذين كانوا يصلوا ويصوموا لسبب واحد وهو أن ينالوا مديح الناس لهم، وهذه لهم مكافأة زمنية مؤقتة. وقد نبه يسوع أتباعه قائلاً:

وَعِنْدَمَا تُصَلُّونَ، لَا تَكُونُوا مِثْلَ الْمُرَائِينَ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا وَاقِفِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشُّوَارِعِ لِيَرَاهُمُ النَّاسُ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ نَالُوا مُكَافَأَتَهُمْ.^٥

أَمَّا أَنْتَ، فَعِنْدَمَا تُصَلِّي، فَادْخُلْ غُرْفَتَكَ، وَأَغْلِقِ الْبَابَ عَلَيْكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ، هُوَ يُكَافِئُكَ.^٦

وَعِنْدَمَا تَصُومُونَ، لَا تَكُونُوا عَابِسِي الْوُجُوهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاوُونَ الَّذِينَ يَقَطِّبُونَ وُجُوهُهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ نَالُوا مُكَافَأَتَهُمْ.

أَمَّا أَنْتَ، فَعِنْدَمَا تَصُومُ، فَاغْسِلْ وَجْهَكَ، وَعَظِّرْ رَأْسَكَ،^{١٧}

لِكَيْ لَا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً، بَلْ لِأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ، هُوَ يُكَافِئُكَ.^{١٨}

(متي ٦: ٥-٦؛ ١٦-١٨)

كم من معتنقي المسيحية في أيامنا تفتقد حياتهم للصلاة والصوم؟^٥ فبهذا الصدد كيف يمكننا مقارنة برهم ببر الكتبة والفريسيين؟ فهم لا يمارسون الصوم والصلاة (ولا حتى لأسباب خاطئة)

استطرد لما يتعلق بالصلاة والغفران

حيث أننا نتحدث عن موضوع الصلاة، استطرد يسوع قليلاً ليزود تلاميذه بإرشادات أكثر تحديداً بخصوص كيف عليهم أن يصلوا. فلا يُريدنا يسوع أن نُصلي بطريقة مُهينة لأبيه عن طريق إنكارنا أثناء صلواتنا ما قد أعلنه عن نفسه. فعلى سبيل المثال، الله يعلم احتياجاتنا حتى قبل أن نطلبها منه (فهو يعلم بكل شيء)، وليس هناك ثمت أي سبب للإعادة والتكرار الغير مجدٍ على الأمر ذاته عندما نُصلي:

^٥ ولاحقاً في هذا الكتاب أنا كتبت فصلاً كاملاً عن موضوع الصوم.

وَعِنْدَمَا تُصَلُّونَ، لَا تُكَرِّرُوا كَلَاماً فَرَاغاً كَمَا يَفْعَلُ الْوَثْنِيُّونَ، ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّهُ بِالْإِكْتَارِ مِنَ الْكَلَامِ،^٧ يُسْتَجَابُ لَهُمْ.

فَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ.^٨

(متى ٦: ٧-٨)

وفي الحقيقة تكشف صلواتنا مدى معرفتنا لله. فالذين يعرفونه بما أعلنه عن ذاته في كلمته، يُصلون لتكون مشيئته ولأن يُمجد أسمه. ورغبتهم الكبرى هي أن يكونوا مُقدسِينَ، مرضيين إياه كامل الرضى. وقد سلط يسوع الضوء على ذلك في نمودجه للصلاة، وذلك ما ندعوه بالصلاة الربانية، والتي تشمل على إرشادات يسوع لتلاميذه. وهذا ما يكشف توقعاته لأوليائنا وإخلاصنا:^٩

فَصَلُّوا أَنْتُمْ مِثْلَ هَذِهِ الصَّلَاةِ: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ!^٩

لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ! لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا هِيَ فِي السَّمَاءِ!^{١٠}

خُبِّرْنَا كَفَافَةً أَعْطِنَا الْيَوْمَ!^{١١}

(متى ٦: ٩-١١)

فينبغي أن يكون العمل الشاغر لتلاميذ المسيح أن يُقدسوا اسم الله، وأن يُحترم، ويُجَلَّ، والتعامل معه على أنه مُقدس.

وبالطبع الذين يُصلون ليتقدس اسم الله يجب أن يكونوا هم بأنفسهم مُقدسِينَ، ليقدموا اسم الله. وسيكون من النفاق أن نفعل بخلاف ذلك. وعليه فهذه الصلاة تعكس رغبتنا بأن يُسلم آخرون حياتهم لله كما فعلنا نحن.

المطلب الثاني في نمودج يسوع للصلاة مشابهاً للأول: "ليأتي ملكوتك". ففكرة أن هناك مملكة تعني وجود ملك يملك على مملكته. يسعى التلميذ المسيحي لرؤية ملكه، الملك الذي يحكم حياته، ويملك على كل الأرض. أه! يا ليث كل أمرئ يسجد على ركبتيه أمام يسوع الملك في طاعة الإيمان!

والمطلب الثالث يعتبر كصدئ للمطلبين الأول والثاني: "لتكن مشيئتك، على الأرض كما في السماء". ولمرة أخرى كيف يمكن أن نُصلي صلاة دون أن نخضع لمشيئة الله في حياتنا؟ فالتلميذ الحقيقي سيسعى لعمل مشيئة الله على الأرض كما هي في السماء تماماً وكلياً.

^٩ البعض للأسف يدعون أن هذه ليست صلاة التي يجب على المسيحيين أن يستخدموها لأنها ليست صلاة "باسم يسوع". مُستخدمين هذا المنطق، يمكن أن نستنتج أن العديد من التلاميذ والرسل يُصلون وذكّر ذلك في سفر أعمال الرسل ولم تكن "صلوات مسيحية".

لعل العبارات الثلاث في الصلاة: ليتقدس اسم الله، لتكن مشيئته، وليأتي ملكوته أن تكون على درجة أرفع أهمية لنا من ضمان الطعام، "خبزنا اليومي". فهذا المطلب الرابع هو لسبب رابع. حتى ذلك بحد ذاته يعكس ترتيب أولوياتنا، وليس هناك أي تلميح على الجشع. فتلاميذ المسيح يخدمون الله، لا الجشع. وليس هدف حياتهم أن يكتنوزوا كنوزاً على الأرض.

ولعلي أضيف هنا الى أن هذا المطلب الرابع يبدو أنه يُشير إلى نموذج الصلاة التي يجب أن تكون صلاتنا اليومية، في بداية كل يوم.

نتابع نموذج الصلاة

ألا يُخطئ تلاميذ المسيح بتاتاً؟ في الحقيقة انهم أحياناً يخطئون، حيث أن يسوع علمهم أن يسأله لأجل غفران خطاياهم.

وَاعْفُزْ لَنَا ذُنُوبَنَا، كَمَا نَعْفِرُ نَحْنُ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا! ١٢

وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجَرِبَةٍ، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ، لِأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَجْدَ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ. ١٣

فَإِنْ عَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ، يَغْفِرُ لَكُمْ أَبُوكُمُ السَّمَائِيُّ زَلَّاتِكُمْ. ١٤

وَإِنْ لَمْ تَعْفِرُوا لِلنَّاسِ، لَا يَغْفِرُ لَكُمْ أَبُوكُمُ السَّمَائِيُّ زَلَّاتِكُمْ. ١٥

(متي ٦: ١٢-١٥)

أدرك تلاميذ يسوع أن عدم طاعتهم هي إهانة لله، فعندما يخطئوا يشعرون بالخزي. ويريدون لتلك البقعة أن تمحى، وأباهم السماوي كريم بالرحمة ويرغب أن يسامحهم. ولكن عليهم أن يسألوا (يطلبوا) الغفران، وهو المطلب الخامس في الصلاة الربانية.

وكونهم قد غُفِرَ لهم، هذا مشروط بغفرانهم للآخرين. ولأنه قد غُفِرَ لهم الكثير، فهم مُلتزمين بأن يغفروا لكل من يطلب منهم الغفران (وأن يحبوا ويعملوا على المُصالحة مع هؤلاء الذين لم يفعلوا ذلك). وإن رفضوا أن يغفروا، فאלله لن يغفر لهم.

المطلب السادس والأخير، وهو أيضاً المطلب الذي من الواضح انه يعكس رغبة التلاميذ الحقيقيين ليكونوا مُقدسين: "لا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَرِبَةِ، وَلَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ. كما يسعى التلميذ الحقيقيي للقداسة بطلبته من الله ألا يدعه في موقف قد يتعرض به للتجربة، مخافة أن يستسلم لها. وبالإضافة إلى ذلك فهو يطلب من الله أن ينقذه من الشرير الذي قد يخدعه. وهذه الطلبة علينا ان نرفعها له بكل يوم لنحتمي من الشرير وبالتأكيد نحن نتوقع أن الله سيستجيب لهذه الصلاة كما أعلمنا كيف نتقدم اليه بالصلاة!

ولمن يعملون لماذا هناك ستة مطالب في هذه الصلاة فهم علي حق. فالسبب موضح في السطر الأخير: "لَكَ الْمُلْكُ وَالْقُوَّةُ وَالْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ" (متي ٦: ١٣). فالله هو ملك عظيم ويملك على مملكته ونحن خُدامه فيها. فهو قوي، ولا يجرأ أحد أن يتصدى لإرادته. كل المجد له للأبد. فهو مستحق أن يُطاع.

فما هو الموضوع الأساسي بالصلاة الربانية؟ القداسة. تلاميذ المسيح يرغبون أن يقدس أسم الله، الذي سينشر مُلكه على كل الأرض، الذي إرادته ستقوم بكل جدية وفي كل مكان. وهذا يفوق بأهميته على خبزهم اليومي. فأرادوا أن يرضوا رؤيته، وعندما يتعثرون يطلبون منه الغفران. وكمغفورين سيقدمون الغفران لآخرين. فسعوا ليكونوا مُقدسين، لدرجة أنهم حاولوا تجنب التجربة، لأن التجربة تزود فُرصاً للخطية. أما الخادم صانع التلاميذ فإنه يُعلم كل هذه الأمور لتلاميذه.

التلميذ ومقتنياته المادية

النقطة التالية من الموعظة على الجبل يمكن أن تكون مُقلقة جداً لمعتنقي المسيحية الاسمييين الذين دافعهم الأساسي هو التجميع المتزايد للممتلكات المادية:

لَا تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الْأَرْضِ، حَيْثُ يُفْسِدُهَا السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَيَنْقُبُ عَنْهَا اللَّصُوصُ وَيَسْرِقُونَ.^{١٩}
بَلْ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لَا يُفْسِدُهَا سُوسٌ وَلَا يَنْقُبُ عَنْهَا لُصُوصٌ وَلَا يَسْرِقُونَ.^{٢٠}
فَحَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ، هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ قَلْبُكَ!^{٢١}

الْعَيْنُ مِصْبَاحُ الْجَسَدِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ سَلِيمَةً، يَكُونُ جَسَدُكَ كُلُّهُ مُنُوراً!^{٢٢}
وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ سَيِّئَةً، يَكُونُ جَسَدُكَ كُلُّهُ مُظْلِماً. فَإِذَا كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظُلَاماً، فَمَا أَشَدَّ الظُّلَامَ!^{٢٣}
لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِسَيِّدَيْنِ: لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا فَيُحِبَّ الْآخَرَ، وَإِمَّا أَنْ يِلْزَمَ أَحَدَهُمَا^{٢٤} فَيَهْجُرَ الْآخَرَ. لَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَكُونُوا عِبِيداً لِلَّهِ وَالْمَالِ مَعاً.

(متي ٦: ١٩-٢٤)

وصية يسوع لنا ألا نكنز لنا كنوزاً على الأرض. فما معنى "كنز"؟ المعني الحرفي في العادة يعني صناديق لكنوز مُخبأة بعيداً في مكان ما، لا تستخدم أبداً في أي شيء عملي. وقد عرّف يسوع هذه الكلمة بأشياء جاذبة للسوس، والصدى، واللصوص. وبطريقة أخرى يمكن أن تُسميها "غير حيوية" فالسوس يأكل ما هو متراكم في أعماق خزاننا، وليس ما نرتديه باستمرار. والصدأ يأكل المواد قليلة الاستخدام. ففي الكثير من الدول النامية، عادةً ما يسرق اللصوص الممتلكات التي لا يحتاجها الناس: كلوحات فنية، ومجوهرات، وأجهزة غالية الثمن، وكل ما يمكن رهنه.

أما التلاميذ الحقيقيين فقد "تركوا كل ممتلكاتهم" (أنظر لوقا ١٤: ٣٣). فهم ببساطة وكلاء على اموال الله، ولذلك كل قرار للإسراف هو قرار روحي. فما نفعه بنقودنا يشير الى من يتحكم في حياتنا. وعندما

نُخزن كنوزاً، مكتنزين للأموال لنشتري ممتلكاتٍ غير أساسية أو حيوية، بهذا يتبين أن شيئاً آخر عدى يسوع ما يتحكم بحياتنا، لأنه إن كان كذلك، لفعلنا أموراً أفضل بالأموال التي وُضعت في حوزتنا.

ما هي هذه الامور الأفضل؟ فقد أوصانا يسوع أن نكنز لنا كنوزاً في السماء. فكيف يمكننا فعل ذلك؟ نعم، هو بلسانه أعلمنا كيف نفعل ذلك، في إنجيل لوقا: "بِيعُوا مَا تَمْلِكُونَ وَأَعْطُوا صَدَقَةً، وَاجْعَلُوا لَكُمْ أَكْيَاساً لَا تَبْلَى، كَنْزاً فِي السَّمَاوَاتِ لَا يَنْفَدُ، حَيْثُ لَا يَقْتَرِبُ لَصٌّ وَلَا يُفْسِدُ سُوسٌ." (لوقا ١٢: ٣٣)

بإعطاء المال لمساعدة الفقراء ونشر الإنجيل، بذلك نكون قد كنزنا كنوزاً في السماء. فأخبرنا يسوع أن نأخذ ما هو قليل القيمة لدرجة اللا قيمة ونستثمره في مشروع لكيلا يفقد قيمته أبداً. وهذا ما يفعله الخادم صانع التلميذ، وأن يُعلم تلاميذه أن يفعلوا كمثله.

العين الشريرة

ماذا كان يعنى عندما تحدث عن اناس ذوي أعين نقية الذين أجسادهم مملوءة بالنور وآخرون ذوي اعين شريرة مملوئين ظلاماً؟ فلا بد وأن لكلماته كانت علاقة بالمال والأشياء المادية، لأن هذا هو ما كان يتحدث عنه للتو قبل هذا بقليل.

الترجمة اليونانية لكلمة "شرير" في إصحاح ٦: ٢٣ هو ذات الكلمة المترجمة في متى ٢٠: ١٥ "حسود". وهنا نقرأ أن الكرام صاحب العمل إذ قال لعامله "هل عينك حسودة لأني كريم؟" فمن الواضح أن العين لا يمكنها أن تكون حسودة بالمعنى الحرفي. فتعبير "العين الحسودة" أو "العين الشريرة" يُشير إلى شخص تعتريه رغبات الجشع، وهذا يُساعدنا أن نفهم بشكل أفضل ما كان يعنيه يسوع في متى ٦: ٢٢-٢٣.

والشخص ذو العين النقية يُمثل الشخص نقي القلب، الذي يسمح لنور الحقيقة أن يحل عليه. وذلك لأنه يخدم الله ويكنز له كنزاً، ليس على الأرض بل في السماء، حيث يكون هناك قلبه. فالشخص ذو العين الشريرة يحتجب عن نور الحقيقة من أن يحل عليه، لأنه يعتقد أنه يمتلك الحقيقة، ولذلك فهو مملوء ظلمة، مُصدّقاً للأكاذيب. فهو يكنز له كنوزاً على الأرض هناك حيث يكون قلبه. مُضللاً بتصديقه أن الهدف الاول لحياته هو الإشباع الذاتي. فالمال صار له الهاً. وهو ليس ممن ذاهبون بطريقهم الى السماء.

وماذا يعنى أن يكون المال إلهاً لأحدهم؟ هذا يعنى أن المال قد أخذ مكانا الصدارة في قلبك مع انه من المفروض أن يكون ذلك المكان لله. فالمال هو المُحرك القائد لحياتك. وجمعه يستهلك معظم أوقات حياتك بالإضافة لأفكارك وعلاقاتك. وحبك للمال غدى المصدر الأساسي لسعادتك.^{٤٧} لهذا اقترن بولس الرسول الجشع بالزنا، "فلا يرث الجشع ملكوت الله" (أنظر أفسس ٥: ٥؛ كولوسي ٣: ٥-٦).

وإذ أن كل من الله والمال يبغيان أن يصبحنا أسياداً على حياتنا، فقد قال يسوع لا يمكننا أن نخدم سيدين. ولمرة أخرى نرى أن يسوع يحافظ على الخط العريض لموضوع عظته، وهو أن المقدس فقط سيرث

ملكوت الله. فقد جعل الامر واضحاً كالشمس أن المملوئون الظلمة، الذين إلههم هو المال، والذين قلبهم على الأرض ويكنزون لهم كنوزاً أرضية، فليسوا هم على الطريق الضيق التي تقود إلى الحياة.

الفقراء الطماعون

الانشغال بالحصول على الممتلكات المادية ليست هي خطأ فقط عندما تكون هذه المقتنيات فاحرة. ولكن يمكن لشخص أن ينشغل بصورة خاطئة أيضاً لأشياء مادية أيضاً وإن كانت هذه الأشياء من الاحتياجات الأساسية. وأكمل يسوع:

- لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِمَعِيشَتِكُمْ بِشَأْنِ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِشَأْنِ مَا تَكْتَسُونَ. ^{٢٥}
أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ طَعَامٍ، وَالْجَسَدُ أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ كِسَاءٍ؟
تَأَمَّلُوا طُيُورَ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ فِي مَخَازِنَ، وَأَبْوَكُمُ السَّمَاءِيُّ يُعُولُهَا. أَفَلَسْتُمْ أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْهَا كَثِيرًا؟
فَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا حَمَلَ الْهُمُومَ يَقْدِرُ أَنْ يُطِيلَ عُمُرَهُ وَلَوْ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ ^{٢٧}
وَلِمَآذَا تَحْمِلُونَ هَمَّ الْكِسَاءِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو: إِنَّهَا لَا تَنْعَبُ وَلَا تَغْزُلُ؛ ^{٢٨}
وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: حَتَّى سَلِيمَانُ فِي قِمَّةِ مَجْدِهِ لَمْ يَكُنْسَ مَا يُعَادِلُ وَاحِدَةً مِنْهَا بَهَاءً! ^{٢٩}
فَإِنْ كَانَ اللَّهُ هَكَذَا يَكْسُو الْأَغْشَابَ الْبَرِّيَّةَ مَعَ أَنَّهَا تُوجَدُ الْيَوْمَ وَتُطْرَحُ غَدًا فِي النَّارِ، أَفَلَسْتُمْ أَنْتُمْ، يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ، آخَرَى جِدًّا بِأَنْ يَكْسُوَكُمْ؟
فَلَا تَحْمِلُوا الْهَمَّ قَائِلِينَ: مَا عَسَانَا نَأْكُلُ؟ أَوْ: مَا عَسَانَا نَشْرَبُ؟ أَوْ: مَا عَسَانَا نَكْتَسِي؟ ^{٣١}
فَهَذِهِ الْحَاجَاتُ كُلُّهَا تَسْعَى إِلَيْهَا الْأُمَمُ. فَإِنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاءِيَّ يَعْلَمُ حَاجَتَكُمْ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. ^{٣٢}
أَمَّا أَنْتُمْ، فَاطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرِّهِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُرَادُّ لَكُمْ. ^{٣٣}
لَا تَهْتَمُّوا بِأَمْرِ الْعَدِ، فَإِنَّ الْعَدَّ يَهْتَمُّ بِأَمْرِ نَفْسِهِ. يَكْفِي كُلَّ يَوْمٍ مَا فِيهِ مِنْ سُوءٍ! ^{٣٤}
(متي ٦: ٢٥-٣٤)

^{٢٧} وفي موقف آخر، يسوع قال ذات الشيء عن استحالة خدمة الله والمال، وأخبرنا لوقا "وَكَانَ الْفَرِيسِيُّونَ أَيْضًا، وَهُمْ مُجْبُونَ لِلْمَالِ، يَسْمَعُونَ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ". ولذلك ولمرة أخرى، هنا في عظة يسوع على الجبل، يسوع كان من الواضح يتطرق لممارسات وتعاليم الفريسيين.

الكثيرين من قُراء هذا الكتاب لن تكون لهم القابلية بأن ينتموا لأي من المجموعات التي يوجه يسوع لها كلامه. ولكن سؤالي لك، متى كانت المرة الأخيرة بها قلقت على الطعام، والشراب، أو الكساء؟

فبلا شك أن كلمات يسوع موجهة لنا جميعاً. فإن كان من الخطأ أن نكون مُنشغلين أكثر مما ينبغي بأساسيات الحياة، فكم بالأحرى يكون الخطأ بانشغال على الممتلكات الغير أساسية؟ يتوقع يسوع من تلاميذه أن يركزوا على شيئين وهما: ملكوته وبره. فعندما لا يقدر مُعتنق المسيحية أن يعطى عشوره (كما أوصي العهد القديم)، في حين أنه يسعى لامتلاك العديد من الأشياء الغير أساسية للحياة، فهل كمثله هذا المسيحي يحيا للسعي لملكوت المسيح وبره أولاً؟ الإجابة واضحة.

لا تبحث عن أخطاء للآخرين

فالمجموعة التالية من وصايا يسوع لتلاميذه تتعلق بخطايا الإدانة والبحث عن الأخطاء:

لَا تَدِينُوا لِنَلَّا تَدَانُوا.^١

فَإِنَّكُمْ بِالَّذِينَ تَدِينُونَ تَدَانُونَ؛ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالَ لَكُمْ.^٢

لِمَاذَا تُلَاحِظُ الْقَشَّةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَلَكِنَّكَ لَا تَتَنَبَّهُ إِلَى الْخَشَبَةِ الْكَبِيرَةِ فِي عَيْنِكَ؟^٣

أَوْ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ: دَعْنِي أَخْرِجَ الْقَشَّةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا هِيَ الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ أَنْتَ! ^٤

يَا مُرَائِي! أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَعِنْدَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا لِتُخْرِجَ الْقَشَّةَ مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ.^٥

(متي ٧: ١-٥)

لم يُشير يسوع بأي شكل مُباشر كان أو غير مُباشر للكنيسة والفريسيين في هذه الفقرة، ولكن بالرغم من ذلك فهم بالتأكيد مُذنبين بالخطيئة المعتبرة، فهم قد وجدوا خطأً بيسوع!

فماذا كان يعني يسوع بالضبط في تحذيره من مغبة إدانة الآخرين؟

أولاً، دعونا نفكر للحظة الى ما لم يعنيه. لم يقصد يسوع ألا نكون فطنين في اتخاذ القرارات الجوهرية حول مييزات الناس من خلال مراقبة تصرفاتهم. وهذا واضح وبالتحديد بعد هذه الفقرة، قد أشار يسوع لتلاميذه بأن لا يلقوا بلألائهم للخنازير أو أن يعطوا المُقدس للكلاب (أنظر ٧: ٦). ومن الواضح أنه كان يتكلم بأسلوب مجازي عن أنواع مُعينة من الناس. فمن الواضح أنهم أناس غير مُخلصين. وبالتأكيد يجب الحكم على الناس إن كانوا خنازير أو كلاب من أجل أن نطيع هذه الوصية.

وأكثر من ذلك، فبعد هنيهة أرشد يسوع أتباعه عن كيف عليهم/الحكم على المُعلمين الكذبة. "ذئاب بثياب حملان" (أنظر ٧: ١٥).

وكذلك قال بولس لمؤمنين كورنثوس:

أَمَّا الْآنَ فَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِأَنْ لَا تُعَاشِرُوا مَنْ يُسَمَّى أَخًا إِنْ كَانَ زَانِيًا أَوْ طَمَاعًا أَوْ عَابِدَ أَصْنَامٍ أَوْ شَتَامًا أَوْ سِكِّيرًا أَوْ سَرَّاقًا. فَمِثْلُ هَذَا لَا تُعَاشِرُوهُ وَلَا تَجْلِسُوا مَعَهُ لِتَتَأَوَّلَ الطَّعَامَ. (كورنثوس الأولى ٥: ١١)

لإطاعة إرشادات يسوع المطلوبة لفحص أسلوب حياة الناس وتقييمهم بناءً على ما نلاحظه.

فقد قال لنا يوحنا الرسول أنه كم من السهل أن نختبر الناس أيهم من الله وأيهم من الشيطان. عن طريق النظر الى أسلوب حياة الناس، فهذا يوضح من هو غير مُخلص (أنظر يوحنا الأولى ٣: ١٠).

ومع كل هذا، فحص صفات الناس عن طريق اختبار أساليبهم وتقييمهم إن كانوا مُتعلقين بالله أو الشيطان، هذا لا يُعتبر خطية الإدانة الامر الذي قد حذر يسوع منه. فماذا كان قصد يسوع؟

من الواضح أن يسوع كان يتحدث عن يبحث لأخيه عن أخطاء صغيرة كالقش (لاحظ أن يسوع استخدم كلمة أخيك ثلاث مرات في هذه الفقرة). لم يُحذر يسوع نقيض إدانة الناس ليكونوا غير مؤمنين عن ملاحظة الأخطاء (كما سيرشدنا قريباً في ذات العظة). ولكن هذه إرشادات عن كيف يجب على المسيحيين أن يتعاملوا مع مسيحيين آخرين. فلا ينبغي عليهم أن يبحثوا عن أخطاء بعضهم البعض، وخاصةً عندما يكونوا هم بأنفسهم عمياناً عن أخطائهم الكبيرة. ففي هذه الحالة هم مرائيون. وكما قال يسوع مرة قبل ذلك إلى مجموعة من المرائيين "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!" (يوحنا ٨: ٧).

كتب يعقوب الرسول، الذي تتوازي رسائله مع العظة على الجبل، بما يشبه ذلك، "أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، لَا تَتَذَمَّرُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، لِكَيْ لَا يَصْدُرَ الْحُكْمُ ضِدَّكُمْ. تَذَكَّرُوا دَائِمًا أَنَّ الدِّيَانَ قَرِيبٌ جِدًّا، إِنَّهُ أَمَامَ الْبَابِ (يعقوب ٥: ٩). ربما هذا يُساعدنا أن نفهم شيئاً عما كان يحذرنا يسوع ضده - البحث عن أخطاء المؤمنين الآخرين، وبعدها فضح ما وجدناه، متذمرين على بعضنا البعض. وهذا هو أحد أكثر الخطايا الشائعة في الكنيسة، وهؤلاء الذين في مكان المذنب يضعون أنفسهم في موقف خطير للإدانة. عندما نتكلم ضد مؤمن آخر، مُشيراً إلى أخطاء الآخرين فنحن بذلك نتعدى على القانون الذهبي، لأننا لا نريد لآخرين أن يتحدثوا بالسوء عنا في غيابنا.

وربما نفتح أخاناً المؤمنين بكل محبة عن أخطائهم، ولكن شريطة الا نكون مرائيين عندما نفعل ذلك، فهنا نحن بالتأكيد غير مُذنبين (أو مُذنبين) في ذات الخطية التي وقع فيها الشخص الذي نواجه. ولكن أن تفعل ذات الشيء مع شخص غير مؤمن لهو مضيعة للوقت، وهذا يبدو أنه موضوع الآية التالية. فقال يسوع:

لَا تُعْطُوا مَا هُوَ مُقَدَّسٌ لِلْكَلابِ، وَلَا تَطْرَحُوا جَوَاهِرَكُمْ أَمَامَ الْخَنَازِيرِ، لِكَيْ لَا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَنْقَلِبَ عَلَيْكُمْ فَتَمَرَّقَكُمْ. (متي ٧: ٦)

وكذلك بأحدى أمثال سليمان يقول "لَا تُقَرِّعِ السَّاحِرَ لِئَلَّا يُبْغِضَكَ، وَوَبِّخِ الْحَكِيمَ فَيُحِبَّكَ" (أمثال ٩: ٨). وقال يسوع لتلاميذه بمناسبة أخرى أن ينفضوا التراب عن أقدامهم عندما يُغادرون مكاناً قد رفض أهله فيه الإنجيل. وذات مرة تم تعريف "الكلاب" بمن لا يرضى بالحقيقة، الله لا يُريد من عبده أن يُضيعوا أوقاتهم الغالية على هؤلاء، فهناك الكثيرين ممن لم تُعط لهم فرصة بعد.

التشجيع على الصلاة

وبهذا نكون قد وصلنا أخيراً إلى الجزئية الأخيرة من دراستنا لعظة المسيح والتي تبدأ بصلاة مُشجعة وواعدة:

اسْأَلُوا، تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا، تَجِدُوا. اِقْرَعُوا، يُفْتَحْ لَكُمْ.^٧
فَكُلُّ مَنْ يَسْأَلْ، يَنَلْ؛ وَمَنْ يَطْلُبْ، يَجِدْ؛ وَمَنْ يَقْرَعْ، يُفْتَحْ لَهُ.^٨
وَالْأَمْرُ، فَأَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَطْلُبُ مِنْهُ ابْنَهُ خُزْراً، فَيُعْطِيهِ حَبْراً،^٩
أَوْ سَمَكَةً، فَيُعْطِيهِ حَيَّةً؟^{١٠}

فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ، تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطَوْا أَوْ لَا دَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْأُخْرَى جَدّاً يُعْطَى أَبُوكُمْ^{١١}
السَّمَاوِيُّ عَطَايَا جَيِّدَةً لِلَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ؟

(متى ٧: ٧-١١)

"آه!" لربما يقول قارئ في مكان ما "ها هي جزئية من عظة المسيح على الجبل، لا علاقة لها البتة بالقداسة." وللإجابة على هذا الاستنتاج أقول أن ذلك يتعلق بالأمر الذي نطلبه بينما نقرع ونطلب في الصلاة. وهكذا "كجياح وعطاش للبر" نحن شغوفون لطاعة لما أوصى به يسوع في عظته على الجبل. وهذا الشغف بالتأكيد ينعكس على صلواتنا. وفي الحقيقة، فإن نموذج الصلاة الذي علمنا إياه يسوع في هذه العظة لهو تعبير عن رغبة قوية لعمل مشيئة الله بكل ما يتعلق بحياة القداسة.

وبالإضافة إلى ذلك، نلاحظ أن نسخة لوقا بعض المواعيد التي تحملها هذه الصلاة وبطل اعتبارات أخرى تنتهي بـ "فَإِنْ كُنْتُمْ، أَنْتُمْ الْأَشْرَارُ، تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطَوْا أَوْ لَا دَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْأُخْرَى الْأَبِ، الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ يَهْبِ الرُّوحَ الْقُدُسَ لِمَنْ يَسْأَلُونَهُ؟" (لوقا ١١: ١٣). فلم يُفكر يسوع بمختلف عناصر الرفاهية المفرطة حين وعدنا "بالعطايا الحسنة". ففي فكر الروح القدس عطاياه ما هي الا "عطايا حسنة"، لأن الروح القدس يجعلنا مُقدسين وهذا يُساعدنا على نشر الإنجيل الذي يجعل آخرين مُقدسين أيضاً. وهؤلاء المُقدسون هم من يذهبون إلى السماء.

العطايا الحسنة الأخرى تلك التي تقتصر بمحيط إرادة الله. من الواضح أن الله هو كلي الاهتمام بإرادته وملكوته، علينا توقع أن صلواتنا سنُستجاب عندما توجه لأي أمر من شأنه يعود بفائدة على ملكوت الله.

خلاصة الحديث

بهذا نصل إلى الآية التي تعتبر مُلخصاً لكل ما قاله يسوع حتى هذه الفكرة. ومن الجدير ذكره أن الكثيرين من المُفسرين يفوتون هذه الآية أو يتجاهلونها، ومن المهم هنا ولأجل دراسة شاملة ألا نفعل ذلك. من الواضح أن هذه الآية بحد ذاتها هي بيانٌ تلخيصي، حيث أنها تبدأ بكلمة إذن. وبذلك فإنها تربط

بمحتواها ما قد جاء سابقاً لها، والسؤال هنا: كم مما قاله يسوع قد تم تلخيصه بهذه الآية؟ دعونا نقرأها ونفكر:

إِذَنْ، كُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمُ النَّاسُ بِهِ، فَعَامِلُوهُمْ أَنْتُمْ بِهِ أَيْضاً: هَذِهِ خُلَاصَةُ تَعْلِيمِ الشَّرِيعَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ (متى ٧: ١٢).

لا يمكن اعتبار هذه الآية تلخيصيه لقليل من الآيات التي سبقتها بما يتعلق والصلاة، وإلا فما كان لها أي معنى.

تذكر أنه بمقدمة عظته، قد حذر يسوع من مغبة خطأ الاعتقاد أنه قد جاء ليلغي الشريعة والأنبياء (متى ٥: ١٧). ومنذ تلك النقطة لعظته الى ان توصلنا الى هذه الآية، نرى أن كل ما فعله يسوع مبدئياً هو توضيح وشرح وصايا الله في العهد القديم. ولذلك فهو يلخص الآن كل شيء ما أوصي به، كل ما هو اتى به كل من الناموس والأنبياء: " إِنْ، كُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمُ النَّاسُ بِهِ، فَعَامِلُوهُمْ أَنْتُمْ بِهِ أَيْضاً: هَذِهِ خُلَاصَةُ تَعْلِيمِ الشَّرِيعَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ. " (٧: ١٢) فعبارة "الناموس والأنبياء"، ترتبط بكل ما قاله يسوع في متى ٥: ١٧، ٧: ١٢.

وهنا بدأ يسوع بتلخيص هذه العظة مشيراً مرة أخرى لموضوعه الأساسي وهو أن المُقَدَّسين فقط هم من سيرثون ملكوت الله:

أَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ! فَإِنَّ الْبَابَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْهَلَاكِ وَاسِعٌ وَطَرِيقُهُ رَحْبٌ؛ وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ.

مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَعْسَرَ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْحَيَاةِ! وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ. ١٤

(متى ٧: ١٣-١٤)

من الواضح أن الباب الضيق والطريق المؤدي إلى الحياة يرمزان للخلاص، وللأسف عدد قليل من الناس يجده. أما الطريق الواسع يقود إلى الدمار، وهو طريق الأغلبية من الناس، ويمثل العنة. إن كان هناك أي معنى لما سبق وقاله يسوع، إن كان هناك أي تطور تدريجي منطقي بهذه العظة، وإن كان ليسوع الذكاء الكافي كمتحدث، إذن فإن التفسير الطبيعي للطريق الضيق وهو طريق اتباع يسوع، وطاعة وصاياه. والطريق الواسع هو عكس ذلك. كم من المسيحيين يسلكون الطريق الضيق المشار اليه بهذه العظة؟ أما الخادم صانع التلاميذ بالطبع يسير على الطريق الضيق، وكذاك يقود تلاميذه بذات الطريق.

ومن المُحير لبعض المسيحيين أن يسوع لم يقل أي شيء عن الإيمان أو عن الايمان به في هذه العظة الا انه تحدث الكثير بها عن الخلاص واللجنة. إلى الذين يفهمون العلاقة الغير قابلة للانفصال ما بين الاعتقاد والسلوك، ان هذه العظة لا تشكل أي مشكلة بأن تعرض تلك العلاقة. إذ أن الذين يطيعون يسوع يظهرون إيمانهم بأعمالهم.

كيف نميز القيادة الدينية الزائفة

وحيث يتابع يسوع ملاحظاته الختامية، يحذر هنا تلاميذه وبكل اهتمام من خطر الأنبياء الكذبة الذين يفقدون الجهلاء من الناس في الطريق الواسع المؤدي إلى اللعنة. وهم بالحقيقة ليسوا من الله، بل بخداهم يظهرون وكأنهم يتكلمون باسم الله. كيف يمكننا ان نميز أولئك المعلمين والقادة الكذبة المشمولون بهذه المجموعة؟

احذروا الأنبياء الدجالين الذين يأتون إليكم لابسين ثياب الحملان، ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة! ١٥
من ثمارهم تعرفونهم. هل يجنى من الشوك عنب، أو من العليق تين؟ ١٦
هكذا، كل شجرة جيدة تثمر ثمراً جيداً. أما الشجرة الرديئة، فإنها تثمر ثمراً رديئاً. ١٧
لا يمكن أن تثمر الشجرة الجيدة ثمراً رديئاً، ولا الشجرة الرديئة ثمراً جيداً. ١٨
وكل شجرة لا تثمر ثمراً جيداً، تقطع وتطرح في النار. ١٩
إذن من ثمارهم تعرفونهم. ٢٠

ليس كل من يقول لي: يا رب، يا رب! يدخل ملكوت السموات، بل من يعمل بإرادة أبي الذي في السموات.

في ذلك اليوم سيقول لي كثيرون: يا رب، يا رب، أليس باسمك تنبأنا، وباسمك طردنا الشياطين، ٢٢
وباسمك عملنا معجزات كثيرة؟

ولكنني عندئذ أصرخ لهم: إني لم أعرفكم قط! ابتعدوا عني يا فاعلي الإثم! ٢٣

(متى ٧: ١٥-٢٣)

من الواضح أن يسوع كان يشير بهذا إلى المعلمين الكذبة المضللين. الذين تبدو عليهم بعض المؤشرات الظاهرية كأنهم صالحون. وحتى أنهم قد يدعون يسوع ربهم، يتنبئون، يخرجون شياطين ويجرون معجزات. ولكنهم "ذئب خاطفة" يتخفون بـ "ثياب الحملان" وبالواقع ليسوا هم حملان حقيقيين. كيف يمكننا أن نعرف إن كانوا حقيقيين أم زائفين؟ يمكن أن نتعرف على شخصيتهم الحقيقية عن طريق اختبارنا لـ "ثمارهم".

فما هي الثمار التي كان يتحدث عنها يسوع؟ من الواضح بالسياق انها ليست ثمار المعجزات. بل المقصود انها ثمار إطاعة ما علمه يسوع. الحملان الحقيقيين هم الذين يفعلون إرادة الأب. والكاذبون الذين هم "فاعلي الإثم" (٧: ٢٣). أما مسؤوليتنا فتتحدد بأن نقوم بمقارنة لحياتهم على ضوء ما علمه يسوع وأوصى به.

المعلمون الكذبة يزدادون هذه الايام في الكنائس، وما العجب من ذلك إذ أن كل من يسوع وبولس الرسول قد حذرانا قبلاً، ومع اقترابنا نحو اليوم الأخير، لا ينبغي علينا أن نتوقع أقل من ذلك (متى ٢٤: ١١، تيموثاوس الثانية ٤: ٣-٤). معظم الأنبياء الكذبة في أيامنا هذه ما يعلمون أن السماء تنتظر غير

المُقدسين من الناس. وهم المسئولون المباشرون عن اللعنة الأبدية التي ستحل على ملايين البشر. وقد كتب عنهم جون واسلي يقول:

كم هو امر مأساوي! عندما يتحول سفراء الله ليصبحوا عملاء للشيطان! — عندما يقوم المفوضون على تعليم الناس درب السماء، بتعليمهم الطريق إلى الجحيم وإن طرح احدهم سؤالاً "لماذا، ومن فعل..... ذلك؟" فسأجيب أن عشرات الآلاف من الرجال الحكماء والشرفاء، ومن مختلف الطوائف، يشجعون المتكبرين، التفهاء، والطماعين ومحبي العالم، رجال المتعة، الغير عادلين والغير رحماء، السهلين واللامباليين، والمخلوقات الغير مهمة، والأشخاص الذين لا يُعانون بسعيهم لأجل الحصول على البر، بأن كل أولئك يتصورون أنهم بطريقهم إلى السماء. هؤلاء هم الأنبياء الكذبة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. فهؤلاء هم خونة لكل من الله والناس وهم من يسكنون الليل الدائم، وكم يتبعون الأرواح الفقيرة التي دُمِرت، " الجحيم سوف يرتفع من حضيضه لملاقاتهم عند مجيئهم!"^{٤٨}

ومن المثير أن واسلي قد علّق وبالتحديد على المعلمين الكذبة الذي سبق يسوع وحذرنا منهم في متى ٧: ٢٣-١٥.

لاحظ أن يسوع ولمرة أخرى قال ما يناقض أقوال العديد من المُعلمين الكذبة بأيامنا، وهو أن الذين لا يحملون ثماراً صالحة سيطرحون في الجحيم (أنظر ٧: ١٩). وبالإضافة لذلك، تجدر الإشارة الى أن هذا لا ينطبق على المُعلمين والأنبياء وحسب، ولكن على كل شخص. فقد قال يسوع " لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، بَلْ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ " (متى ٧: ٢١). فمن هم الأنبياء الحقيقيون بعد كل هذا. ذلك هو الموضوع الرئيسي ليسوع — فقط المقدسين هم من سيرثون ملكوت الله. أما الذين لا يطيعون يسوع سيطرحون في الجحيم.

لاحظ أيضاً العلاقة الوثيدة التي فعلها يسوع ما بين الداخلي وما هو خارجي للإنسان. الأشجار "الصالحة" تنتج ثماراً صالحة. والأشجار الرديئة لا تعطي ثماراً جيدة. المصدر للثمار الصالحة يظهر خارجاً هو طبيعة الشخص. وقد غيّر الله بنعمته طبيعة هؤلاء الذين آمنوا بيسوع.^{٤٩}

٤٨ فأعمال جون واسلي (بيكر: جاند رايبندز، ١٩٩٦)، لجون واسلي، وتم إعادة طبعه في ١٨٧٢ والتي تم التصريح بها من الحجرة المعمدانية للكتاب لواسلي، لندن ٤٤١، ٤١٦.

٤٩ لا أستطيع أن اقاوم اخذ الفرصة للتعليق على تعبيرات الناس العامة التي يستخدمونها عندما يبررون الخطية في آخرين. " فنحن لا نعلم ما يملأ قلوبهم." وعكس ذلك قال يسوع هنا أن ما في الخارج يعكس ما هو بالداخل. وفي مكان آخر قال "لأنَّ الْقَمَّ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَفِيضُ بِهِ الْقَلْبُ" (متى ١٢: ٣٤). وعندما يتكلم شخص بكلمات كراهية، هذا يُشير إلى الكراهية تملأ قلبه. وقال لنا يسوع " فَإِنَّهُ مِنَ الدَّاخل، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَنبُئُ الْأَفْكَارُ الشَّرِّيرَةُ، الْفَسْقُ، السَّرَقَةُ، الْقَتْلُ، الرَّثَى، الطَّمَعُ، الْخُبْثُ، الْخَدَاعُ، الْعَهَارَةُ، الْعَيْنُ الشَّرِّيرَةُ، التَّجْدِيفُ، الْكِبْرِيَاءُ، الْحَمَاقَةُ" (مرقس ٧: ٢١-٢٢). وعندما يرتكب شخصاً خطية الزنا، فنحن نعلم أن ما في قلبه: الزنا.

تحذير أخير ومُلخص

لقد لخص يسوع عظته بتحذير أخير ومثالاً مُلخصاً. كما نتوقعه توضيحاً لموضوعه الوحيد وهو أن المُقدسين فقط سيرثون ملكوت الله.
فَأَيُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ حَكِيمٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخَرِ،^{٢٤}
فَنَزَلَتْ الْأَمْطَارُ، وَجَرَّتِ السُّيُولُ، وَهَبَّتِ الْعَوَاصِفُ، فَضَرَبَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَسْقُطْ لِأَنَّهُ مُؤَسَّسٌ عَلَى الصَّخَرِ.^{٢٥}
وَأَيُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ غَيِّيٍّ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ،^{٢٦}
فَنَزَلَتْ الْأَمْطَارُ، وَجَرَّتِ السُّيُولُ، وَهَبَّتِ الْعَوَاصِفُ، فَضَرَبَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيماً.^{٢٧}

(متي ٧: ٢٤-٢٧)

التوضيح الأخير الذي اتانا به يسوع ليس هو مُعادلة لـ "النجاح في الحياة" كما يستخدمه البعض. فمن السياق واضح أنه لم يعط نصيحة لتساعدك كيف يمكنك أن تزدهر بهذا الدهر إذا آمنت بوعوده أثناء الأوقات الصعبة. أما الخلاصة لكل ما قاله يسوع في عظته على الجبل، الذين يعيشون حسبما يقوله هم حكماء ويزدادون بحكمتهم، ولن يخافوا من غضب الله عندما يأتي. لكن الذين لا يطيعونه هم حمقى سيُعانون كثيراً، وسيدفعون بذلك "عقاب الهلاك الأبدي" (تسالونيكى الثانية ١ : ٩).

إجابة على السؤال

هل من غير الممكن أن عظة يسوع على الجبل تنطبق فقط على هؤلاء الذين تبعوه قبل موته الكفاري وقيامته؟ ألم يكونوا تحت ظل الناموس والعظة كانت وسيلة مؤقتة للخلاص، ولكن بعد أن مات يسوع لأجل خطاياهم، للتو قد تم خلاصهم بالإيمان، لذلك نواقض هذا الموضوع قد تبطل هذه العظة؟

هذه النظرية سيئة. لم يكن الخلاص لثم بالأعمال. فقد كان دائماً بالإيمان، قبل وأثناء العهد القديم. فما أوضحه بولس الرسول في رومية ٤ أن كل من إبراهيم (قبل العهد القديم) وداود (أثناء العهد القديم) خلّصا بالإيمان وليس بالأعمال.

وبالإضافة الى ذلك، ليس بإمكان أي من مستمعي يسوع الخلاص بالأعمال، لأنهم قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣ : ٢٣). فنعمة الله فقط التي يمكنها أن تُخلصهم، وبالإيمان فقط يمكن أن يحصلوا على نعمته.

للأسف، العديد في الكنائس اليوم ما تظهر وصايا يسوع وكأنها خدمة لغرض وليس أعلى من ذلك بأن تجعلنا نشعر بالذنب لنرى عدم إمكانية الحصول على الخلاص بالأعمال. الآن وبعد أن وصلتنا الرسالة،

وقد خَلِّصنا بالإيمان، يمكننا أن نتجاهل مُعظم وصاياهِ. ولكن إن أردنا الخلاص للآخرين. عندها يمكننا أن نُظهر الوصايا مرة أخرى ليُظهروا للناس ليروا أنهم بالفعل خطاة وأنهم سيخلصون بالإيمان بمعزل عن الأعمال.

ومع ذلك، لم يخبر يسوع تلاميذه "أذهبوا للعالم كله وأصنعوا تلاميذاً، وتأكدوا أنهم بعد أن يكتشفوا من خلال شعورهم بالذنب إنهم قد خَلِّصوا بالإيمان، وبهذا تكون قد خدمت وصاياي غرضهم في الحياة. ولكنه قد قال "فَاذْهَبُوا إِذْنُ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ... وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أُوصَيْتُكُمْ بِهِ" (متى ٢٨: ١٩-٢٠). أما الخدام صانعي التلاميذ فإنهم لا يفعلون الا ذلك.

الفصل التاسع

الواعظ المفضل لدي يسوع

Jesus' Favorite Preacher

ولربما تأخذكم الدهشة عندما تعلمون انه كان لدي يسوع واعظاً مفضلاً. وقد يزيد اندهاشكم هذا عندما تعلمون ان هذا الواعظ المفضل لدي يسوع لم يكن من الكنيسة اللوثرية، ولا المعمدانية، ولا الخمسينية، ولا الأسقفية ولا حتى المشيخية. ولكنه كان هو مُعَمِّدًا! ونعرفه جميعا بالطبع باسم يوحنا المعمدان! وقد قال عنه يسوع،

"الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ بَيْنَ مَنْ وَلَدَتْهُمْ النِّسَاءُ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (متى ١١: ١١).

وإذ ان الجميع "مولدون من النساء" بهذا أراد أن يقول ان يوحنا المعمدان كان أعظم من كل من عاش. لماذا شعر يسوع بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقييمه. فيبدو انه من المعقول ليسوع أن يقدر يوحنا المعمدان كثيراً بسبب صفات يوحنا المميزة. فقد وجدتُ على الأقل سبعة صفات روحية جديرة بالثناء بحق يوحنا المعمدان. فأفضل ما قدمه يوحنا المعمدان كانت خدمة التبشير، وكل من الصفات الروحية السبع كانت لتتناسب مع كل خادم للكتاب المقدس. دعونا نلقي نظرة على أولى هذه الصفات.

الصفة الأولى ليوحنا:

«وَهَذِهِ شَهَادَةُ يُوحَنَّا حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أَوْرُشَلِيمَ بَعْضَ الْكَهَنَةِ وَاللَّاهُوتِيِّينَ يَسْأَلُونَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟»^{١٩}

«فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، بَلْ أَكَّدَ قَائِلًا: «أَسْتُ أَنَا الْمَسِيحُ».^{٢٠}

«إِفْسَأَلُونَهُ: «مَاذَا إِذَنْ؟ هَلْ أَنْتَ إِيلِيَّا؟» قَالَ: «أَسْتُ إِيَّا!»؛ «أَوَ أَنْتَ النَّبِيُّ؟» فَأَجَابَ: «لَا»^{٢١}

«فَقَالُوا: «فَمَنْ أَنْتَ، لِنَحْمِلَ الْجَوَابَ إِلَى الَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟»^{٢٢}

فَقَالَ «أَنَا صَوْتُ مُنَادٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: اجْعَلُوا الطَّرِيقَ مُسْتَقِيمَةً أَمَامَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ إِشَعْيَاءُ».^{٢٣}

(يوحنا ١: ١٩-٢٣)

فقد عَرَفَ يوحنا دعوته وسعى نحوها.

فكم من المهم للخدام أن يتعرفوا على دعواتهم وأن يسعوا نحوها. فإن كُنْتَ مبشراً فلا تسعى لتكون قسيساً. وإن كُنْتَ مُعَلِّماً فلا تسعى لتكون نبياً. وإلاً فالإحباط هو كل ما ستواجهه.

فكيف يمكنك أن تتعرف على دعوتك؟ أولاً بالسعي وراء الرب، فهو الذي يدعوك. ثانياً، عن طريق اختبار عطيتك. فإن دعاك الله أن تكون مبشراً، فهو سيعدك لهذه المهمة. وثالثاً، عن طريق ملاحظة الآخرين لعطيتك هذه.

فعندما تتأكد من دعوتك، عليك أن تسعى نحوها من كل قلبك، ولا تسمح لأي شيء أن يُعيقك. فهناك الكثيرون ممن ينتظرون الله بدل أن يقوموا بما يتوقعه منهم. فلم ينتظر نوح الله ليشرع ببناء الفلك!

فقد قيل إن كلمة خادم تم ترجمتها ككلمة عمل. فالشيطان بالطبع يحاول أن يوقفك عن إنجاز ما قد دعوت إليه، ولكن عليك أن تتصدى له وتتقدم بالإيمان. حتى وإن لم يخبرنا الكتاب المقدس بذلك، ويمكنك أن تتأكد من أن يوحنا المعمدان قد بدأ أولى عظاته يوماً ما على ضفاف نهر الأردن. وبلا شك أن أول مجموعة من مستمعيه كانت الأصغر من بين المجموعات اللاحقة. وهكذا لم يوقفه شيئاً عن الوعظ. فهدفه الروحي كان إرضاء إلهه الذي دعاه لخدمته. وقد نجح في نهاية المطاف.

ويمكن القول أن الصفة الروحية الأولى لدى يوحنا والتي تحمل قيمة عالية ويجدر بنا الاقتداء بها هي ان: يوحنا قد عرّف دعوته وسعى نحوها.

الصفة الثانية ليوحنا:

فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مِنَ الزَّمَانِ، ظَهَرَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ، يُبَشِّرُ^١

قَائِلًا: «تُوبُوا، فَقَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ!»^٢

(متى ٣: ١-٢)

وبكل تأكيد أن يسوع كان في غاية الاتفاق مع رسالة يوحنا البسيطة، إذ أنه وعظ بذات الشيء أينما ذهب (انظر متى ٤: ١٧). فقد دعا يوحنا الناس للتوبة—ليتحولوا من طريق الخطية إلى حياة الصلاح. وقد عُلِمَ أن العلاقة مع الله تبدأ بالتوبة، وهؤلاء الذين لن يتوبوا سيطرحون في الجحيم.

وعلى عكس الكثير من مبشري العصر الحديث، يوحنا لم يذكر محبة الله. لم يتحدث عن احتياجات الناس التي يشعرون بها كوسيلة لجذبهم لصلاة، صلاة خالية من أي معني لقبول "يسوع" وبهذا يجعلهم يستمرون باختبار حياة الرفاهية. فهو لم يقود الناس للإيمان بأن الله يريد أن يأخذهم للسماء إن أدركوا أن الخلاص ليس من الأعمال. ولكنه قد رآهم كما يراهم الله – حطاماً في خطر مواجهة عواقب أبدية بسبب خطاياهم. فقد حذرهم رسمياً من العقاب الآتي. وتأكد من أنهم قد فهموا أنه ما لم يغيروا قلوبهم وسلوكياتهم، سيهلكون.

وهذا يعني أن الصفة الثانية القيمة التي يجب إتباعها في حياة كل خادم مُتَلَمِّذ هي: إعلان يوحنا أن التوبة هي أول خطوة في العلاقة مع الله.

الصفة الثالثة ليوحنا:

وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ ثَوْباً مِنْ وَبَرِ الْجَمَالِ، وَيَشْدُ وَسَطُهُ بِحِزَامٍ مِنْ جِلْدٍ، وَيَقْتَاتُ الْجَرَادَ وَالْعَسَلَ الْبَرِّيَّ. (متي ٣: ٤)

فيوحنا بالتأكيد لم يتناسب مع صورة واعظ الرفاهية في عصرنا هذا. فهم في الحقيقة، لن يسمحوا لشخص مثل يوحنا أن يصعد على منبر الكنيسة لأنه لم يرتد بما يناسب لباس النجاح. ولكن يوحنا كان في الحقيقة رجل الله الذي لم تكن لديه أي رغبة في أن يسعى للكنوز الأرضية أو أن ينال إعجاب الناس بمظهره الخارجي، عالماً أن الله ينظر إلى القلب. فقد عاش ببساطة، ولم يسبب لأحد أي عثرة، عندما رأوا أن دافعه لم يكن لكسب المال. وكم هذا يتناقض مع دوافع الكثيرين من خدام العصر الحديث حول العالم، الذين يستخدمون الإنجيل في المقام الأول لمصالحهم الشخصية. بالإضافة إلى تقديمهم يسوع بشكل خاطئ، مسبب دماراً عظيماً بما ينسبوه ليسوع.

صفة يوحنا الثالثة التي تميزه كأفضل واعظ لدى يسوع كانت: يوحنا قد عاش حياة البساطة.

الصفة الرابعة ليوحنا:

هكذا بدأ يوحنا يخاطب الجموع ممن تقدموا ليتعمدوا:

فَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَيْهِ لِيَتَّعَمِدُوا عَلَى يَدِهِ: «يَا أَوْلَادَ الْآفَاعِي، مَنْ أُنذَرُكُمْ لَتَهْرُبُوا مِنْ^٧ الْغَضَبِ الْآتِي؟

فَأْتَمَرُوا أَثْمَاراً تَلِيْقُ بِالتَّوْبَةِ، وَلَا تَبْتَدِبُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَباً! فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُطْلِعَ مِنْ هَذِهِ الْجَارَةِ أَوْلَاداً لإِبْرَاهِيمَ.^٨

(لوقا ٣: ٧-٨)

ومع بداية كل خدمة لمس يوحنا عدداً أكبر من الناس، فمن الواضح أنه لم يعرض حلاً معتدلاً برسالته. ولربما أن يوحنا بدأ يشك بدوافع الناس عندما لاحظ أن المعمودية قد أصبحت مشهورة. حتى الكتبة والفريسيين قد قطعوا الرحلة إلى نهر الأردن (أنظر متي ٣: ٧). فكان يخشى من أن العديد منهم مجرد كانوا يذهبون مع الحشود. ولذلك قد فعل كل ما في وسعه ليحفظهم من خداع الذات، طارفاً على كل المُدعمات المحتملة لإخداهم. فلم يرد لأي منهم أن يعتقد أنه يمكنه أن يخلص بالمعمودية فقط، أو أن التوبة وحدها ستحميهم من الذهاب إلى الجحيم.

وما هو أكثر من ذلك، أن الكثير من اليهود قد اعتبروا أنفسهم مُخْلِصِينَ فقط بسبب نسبهم الجسدي لإبراهيم، ولكن يوحنا خالف هذا الأمل المزيف.

صفة يوحنا الرابعة جديرة التقدير هي أنه قد أَحَبَّ الناس بدرجة كافية ليخبرهم الحقيقة. فلم يجرأ إطلاقاً على أن يُخبر شخصاً غير تائباً وغير مقدس بأنه سيذهب إلى السماء.

الصفة الخامسة ليوحنا:

لم يعمد يوحنا أولئك الذين لم يُظهروا التوبة، رافضاً بذلك دعم الخداع الذاتي لأي شخص. فقد عمَّدَ الناس فقط عندما اعترفوا بخطاياهم (متي ٣: ٦). وحذرهم من الآتي:

وَهَا إِنَّ الْفَأْسَ قَدْ أُقْبِيتَ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُطْرَحُ فِي النَّارِ.^{١٠}
فَهُوَ يَحْمِلُ الْمَذْرَى بِيَدِهِ، وَسَيُنْقِئُ بِيَدِهِ تَمَامًا: فَيَجْمَعُ قَمَحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّينُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لَا تُطْفَأُ!^{١١}
(متي ٣: ١٠، ١٢)

فلم يخف يوحنا من قول الحقيقة عن الجحيم، وهي موضعاً كثيراً ما يتجاهله الوعاظ من الذين يحاولون أن يحصلوا على الشهرة بدلاً من أن يجنوا أرواحهم لمملكة الله. فلم يفشل يوحنا في مُناداته بذات الموضوع الذي تحدث عنه يسوع أثناء عظته على الجبل - وهو أن المقدسين فقط سيرثون ملكوت الله. وأما من لا يجني ثماراً جيدةً سي طرح في نار الجحيم.

لو كان يوحنا اليوم على قيد الحياة، فبدون أي شك سينتقده الكثير من معتنقي المسيحية بأنه "واعظ نار جهنم والكبريت"، أنه "نبي الكآبة والشؤم"، "غير حساس لطالبي المسيح"، وما هو أسوأ من ذلك "سلبى"، "قانوني" أو معتز بذاته". ولكن يوحنا زعم كل ذلك سيبقى الواعظ المفضل لدى يسوع. وصفته الخامسة هي: يوحنا وعظ عن الجحيم وبيّن ذلك لمن هم في طريقهم هناك. ومن الغريب أن لوقا يصف رسالة يوحنا "بالإنجيل" (لوقا ٣: ١٨).

الصفة السادسة ليوحنا:

وعلى الرغم من أن الله قد أستخدم يوحنا بقوة الى أن أصبح مشهوراً جداً لدى الجموع، إلا أنه قد عَلِمَ بأنه لا يمكن مقارنة يسوع بأي شيء، ولذلك فقد كان دائماً يعظم الرب:

أَنَا أَعْمَدُكُمْ بِالْمَاءِ لِأَجْلِ التَّوْبَةِ، وَلَكِنَّ الْآتِيَّ بَعْدِي هُوَ أَقْدَرُ مِنِّي، وَأَنَا لَا أَسْتَحِقُّ أَنْ أَحْمِلَ جِذَاءَهُ. هُوَ^{١١}
سَيَعْمِدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِالنَّارِ. (متي ٣: ١١)

نرى كيف أن يوحنا تمكن من إيقاف تقدير الذات على النقيض من الغطرسة التي يتباهى بها الخدام في عصرنا هذا. فمجالات الخدمة ذات الألوان الزاهية تحتوي على صورهم في كل صفحة، في حين أن يسوع قد علّم بخلاف ذلك. فهم يستعرضون أنفسهم على المنابر كالطواويس، ممجدين أنفسهم بأعين أتباعهم. ولا يمكن لمسهم أو الوصول إليهم، مملوئين بالأهمية الذاتية. فالبعض يعطون الأوامر للملائكة والله! في حين يوحنا أعتبر نفسه غير مُستحق لأن يحل حذاء يسوع، وذلك كان يُعتبر عمل أصغر العبيد. فقد أعترض يوحنا عندما أتى يسوع ليعتمد منه، وعندما أكتشف أن يسوع هو المسيح، ففي الحال وجه نظر الجميع إليه قائلاً "هذا هو حمل الله الذي سيمحو خطايا العالم" (يوحنا ٢٩). "فَلَا بُدَّ أَنْ يَزِيدَ هُوَ وَأُنْقُصَ أَنَا" (يوحنا ٣: ٣٠)، ذلك كان شعار يوحنا المتواضع.

وتلك كانت صفة يوحنا السادسة والتي ساعدته ليكون أفضل الوعاظ: فقد قلل يوحنا من شأن ذاته ومجد يسوع. ولم تكن لديه أي رغبة بتعظيم نفسه.

الصفة السابعة ليوحنا:

يُقدّم الكثيرون من وعاظ عصرنا هذا على الحديث وبشكل دائم عن أمور عامة غير واضحة حتى لا يخرجون أحداً. فكم من السهل أن تعظ، "الله يريد منا أن نفعل ما هو صحيح"، فكل من المسيحيين الحقيقيين والكاذبين سيردون قائلين "أمين" لهذا النوع من الوعظ. العديد من الوعاظ يجدون أنه من السهل الحديث عن خطايا العالم المُلحة ويتجنبوا الحديث عن الخطايا المشابهة داخل الكنيسة. على سبيل المثال، ربما يغضبون بسبب الأفلام الإباحية، ولكنهم لن يجرؤوا على ذكر الاضرار التي تلحقها هذه الأفلام الإباحية وغير الأخلاقية التي يتبادلها ويعرضها أو يفتنيها أعضاء من رعيته. فالخوف من الإنسان مقبول. ولكن يوحنا لم يتردد أن يعظ عن ذلك بالتحديد. فذكر لوقا:

وَسَأَلْتُهُ الْجُمُوعُ: «فَمَاذَا نَفْعَلُ إِذَنْ؟» ١٠

فَأَجَابَهُمْ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ثَوْبَانِ، فَلْيُعْطِ مَنْ لَا ثَوْبَ عِنْدَهُ؛ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ، فَلْيُعْمَلْ كَذَلِكَ أَيْضاً» ١١.

وَجَاءَ أَيْضاً جُبَاةُ صَرَائِبَ لِيَتَعَمَّدُوا، فَسَأَلُوهُ: «يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا نَفْعَلُ؟» ١٢

فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَجْبُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ» ١٣

وَسَأَلَهُ أَيْضاً بَعْضُ الْجُودِ: «وَنَحْنُ، مَاذَا نَفْعَلُ؟» فَأَجَابَهُمْ: «لَا تَظْلِمُوا أَحَدًا وَلَا تَشْتَكُوا كَذِبًا عَلَى أَحَدٍ، ١٤
وَأَقْنَعُوا بِمُرْتَبَاتِكُمْ!» (لوقا ٣: ١٠ - ١٤)

فمن الغريب أن خمسة من ستة إرشادات محددة أعطاها يوحنا كانت تتعلق بالمال أو بأشياء عينية. فلم يرتاب يوحنا من أن يعظ بشؤون القيادة لكونها متعلقة بالقانون الذهبي وثاني أعظم الوصايا. ولم ينتظر عدة

سنوات الى ان يستعد المؤمنين الجدد على استيعاب هذه المفاهيم الثقيلة. فقد آمن أنه لمن المستحيل أن يُخدَم الله والمال معاً، حتى وإن كانت القيادة ومنذ البداية ذات أهمية عالية.

وهذا ما يثير نقطة أخرى. فيوحنا لم يتخصص في الأشياء الصغيرة، وكان باستمرار يتحدث عن أشياء تتعلق باللباس والمظهر الخارجي للقداسة. فقد ركز "على الرُوي الأثقل في الشريعة"

(متى ٢٣: ٢٣).

فقد علّم الوصية العظمي وهي أن نحب جيراننا كأنفسنا وأن نُعامل الآخرين كما نريد أن نُعامل. وهذا يعني مشاركة الطعام واللباس مع هؤلاء الذين ينقصهم احتياجاتهم الأساسية، وأن نتعامل بأمانة مع الآخرين، وأن نقتنع بما لدينا.

وتلك كانت الصفة السابعة التي جعلت يوحنا أكثر مَعزة لدى يسوع: فلم يعظ بالأشياء العامة الغير واضحة، ولكنه كان يحدد أموراً معينة والتي ينبغي على المرء القيام بها لإرضاء الله، حتى الأشياء التي تتعلق بالقيادة. وهكذا فقد سلط الضوء على كل ما هو ذات أهمية.

الخلاصة

إن خدمة القس أو المعلم بالطبع تنسم بصفات تفوق تلك التي كانت ليوحنا. إذ كان يوحنا يعظ لغير المؤمنين. فمن المفروض أساساً أن عظات المعلمين والقسوس متوجهة لأولئك الذين قد تابوا بالفعل. فإنه عليهم أن يبنوا تعاليمهم على تلك القواعد التي وصفها يسوع لتلاميذه وهو الأمر الذي نراه في رسائل العهد الجديد.

وكثيراً ما نفشل بتعريف مستمعينا، ويبدو أنه يتم الوعظ لخطاة هذا العصر على أنهم قديسين. فإن جلوس الناس داخل الكنيسة لا يعني أن وظيفتنا هي تأكيد خلاصهم، خاصةً إن كانت حياتهم أساساً لا تتميز عن حياة أولئك الذين هم من أهل هذا العالم. وعليه فأنا نرى أنه ثمت حاجة ملحة بهذا الزمان للملايين من الوعاظ أمثال يوحنا المعمدان للتبشير من على منابر الكنيسة. فهل لك أن تستجيب لهذا التحدي؟ هل ستصبح أحد الوعاظ المفضلين لدى يسوع؟

الفصل العاشر

الميلاد الجديد

The New Birth

عندما يعترف الناس ويؤمنون بالمسيح، فهم مولودين من "الميلاد الثاني". ما هو معني الميلاد الثاني بالتحديد؟ وهذا موضوع هذا الفصل.

لأجل أن تفهم معني الميلاد الثاني، فسيساعد إن فهمت أولاً الطبيعة البشرية. فالكتاب المقدس يخبرنا بأننا لسنا أجساداً فقط ولكن كائناتٌ روحية أيضاً. فعلي سبيل المثال، قد كَتَبَ بولس الرسول،

وَالِهَ السَّلَامُ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ إِلَى النَّمَامِ وَيَحْفَظُكُمْ سَلَامِينَ، رُوحاً وَنَفْساً وَجَسَداً، لِتَكُونُوا بِلَا لَوْمٍ عِنْدَ عَوْدَةِ ٢٣
رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. (تسالونيكي الأولى ٥: ٢٣)

كما أشار بولس، أننا يمكن أن نعتبر أنفسنا ككائنات ثلاثية الأجزاء متكونة من روح، ونفس، وجسد. فالكتاب المقدس لم يُعرَف هذه الأجزاء الثلاثة بالتحديد، ولذلك نحن نفعل ما بوسعنا لنفرك بينهم عن طريق فهمنا للكلمات أنفسهم. ودائماً ما نستنتج أن أجسادنا هي الكيان المادي لنا- اللحم، العظام، والدم وما شابه ذلك. فالروح هي كياننا الفكري والعاطفي. فالروح هي كياننا الروحي أو كما يصفه بطرس الرسول "لِيَكُونَ قَلْبُهَا مُتَزِيناً بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ وَالْهُدُوءِ" (بطرس الأولى ٣: ٤).

وبسبب أن الروح غير مرئية للعين، وهؤلاء غير التائبين دائماً ما يحاولوا التشكيك في وجوده. ولكن الكتاب المقدس يعلمنا بوضوح أننا جميعاً لدينا كياناً روحياً. ويخبرنا الكتاب المقدس أيضاً انه عندما نموت، الجسد، ولكن الجسد فقط الذي يتوقف، ولكن الروح والنفس يستمرّوا في العمل طبيعياً. فعند الموت كلاهما يغادر الجسد كشيء واحد ليقفوا أمام الله للدينونة (العبرانيين ٩: ٢٧). وبعد الدينونة، إما يذهبون إلى السماء أو الي الجحيم. ففي الحقيقة أن كل روح وجسد إنساناً سيتحدون معاً في يوم القيامة.

تعريفاً أكثر للروح البشرية

ففي بطرس الأولى، أشار بطرس للروح القدس "كالشخص الخفي"، مشيراً للروح القدس كشخص. وأشار بولس الرسول للروح القدس "كالإنسان الداخلي"، مشيراً في معتقده أن الروح البشرية ليست فقط مفهوم أو قوة ولكنها شخصاً:

هَؤُلَاءِ يَشْمُونَ فِيهَا رَاحَةً مِنَ الْمَوْتِ وَإِلَى الْمَوْتِ، وَأُولَئِكَ رَاحَةً مِنَ الْحَيَاةِ وَإِلَى الْحَيَاةِ. وَمَنْ هُوَ ١٦
صَاحِبُ الْكَفَاءَةِ لِتَأْدِيبِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟ (كورنثوس الثانية ٤: ١٦)

"فالإنسان الخارجي" يصف بوضوح الكيان الجسدي، حيث يتم تعريف "الإنسان الداخلي" بالروح القدس. في حين أن الجسد يتقدم في السن، فالروح القدس يتجدد يومياً.

لاحظ مرة أخرى أن بولس الرسول يشير إلى كل من الروح والجسد كأشخاصاً. ولذلك عندما تتخيل الروح القدس، فلا تتخيل سحابة روحية. فمن الأفضل أن تتخيل هيئة شخصاً يشبهك. وإن كان جسدك كبيراً في السن، هذا لا يعني أن روحك كبيرة السن أيضاً. تخيل ما كان هو شكلك في أيام شبابتك لأن هذا بسبب أن روحك لن تتقدم في العمر أبداً! فأنها تتجدد يوماً بعد يوم.

فالروح القدس هو الجزء الذي يولد مرة أخرى (إن أمنت بالرب يسوع). فتتحد روحك مع روح الله (أنظر كورنثوس الأولي ٦: ١٧)، وهذا ما يقودك عندما تتبع يسوع (رومية ١٠: ١٤).

والكتاب المقدس يعلمنا أيضاً أن الله هو الروح القدس (أنظر ٤: ٢٤)، وكذلك الملائكة والشياطين. فكلهم موجودين في العالم الروحي. فالعالم الروحي، لا يمكن لمسه العالم الروحي بأحاسيسنا الجسدية. فمحاولة التواصل مع العالم الروحي سيكون كمحاولة إحساس موجات الراديو دون يدين. فلا يمكن أن نشعر بأحاسيسنا الجسدية موجات الراديو التي تمر من خلال الحجرة. والطريقة الوحيدة لضبط الراديو هي تشغيل الراديو.

وهذا حقيقة أيضاً للعالم الروحي، لأن العالم الروحي لا يمكن لمسه بالأحاسيس الجسدية. فالروح له وجود إن أكتشف أو لم يكتشف الناس ذلك، وهو جزء من كيان العالم الروحي. وهذه الأرواح إما تتعلق بالشيطان (إن لم يتوبوا) أو متعلقين روحياً بالله (إن ولدوا من الميلاد الثاني). فبعض الروحيين تعلموا كيف يرتبطوا بالعالم الروحي من خلال أرواحهم، ولكنهم يتواصلوا من خلال عالم الشيطان — مملكة الظلام.

الأجساد الأبدية

بينما نحن في هذا الموضوع، دعونا نأخذ لحظة لأذكر شيئاً عن أجسادنا. على الرغم من أن أجسادنا تموت في نهاية المطاف، لكن موتنا الجسدي لن يدوم طويلاً. سيأتي يوماً حين سيقم الله كل جسد ميتاً من الأموات. فقال يسوع،

لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا: فَسَوْفَ تَأْتِي سَاعَةٌ يَسْمَعُ فِيهَا جَمِيعٌ مِّنْ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ،^{٢٨}

فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا: فَالَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَخْرُجُونَ فِي الْقِيَامَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْحَيَاةِ، وَأَمَّا الَّذِينَ عَمِلُوا^{٢٩} السَّيِّئَاتِ فَفِي الْقِيَامَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الدِّيُونَةِ. (يوحنا ٥: ٢٨ – ٢٩)

وكتب يوحنا في سفر الرؤيا أن قيامة أجساد الظالمين ستقوم بعد ألف سنة من قيامة أجساد الصالحين:

وَقَدْ عَادُوا [القديسين الذين استشهدوا أثناء فترة المحنة] إِلَى الْحَيَاةِ، وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ^{٤٠}

هَذِهِ هِيَ الْقِيَامَةُ الْأُولَى ٥٠. أَمَّا بَقِيَّةُ الْأَمْوَاتِ فَلَا يَعُودُونَ إِلَى الْحَيَاةِ حَتَّى تَنْقَضِيَ الْأَلْفُ سَنَةً ٥٠
مَا أَسْعَدَ وَأَقْدَسَ مَنْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الْأُولَى! لَنْ يَكُونَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَةٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ يَكُونُونَ ٦
كَهَنَةً لِلَّهِ وَالْمَسِيحِ، وَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ. (رؤيا ٢٠: ٤ - ٦)

والكتاب المقدس يعلمنا أيضاً أنه عندما يعود المسيح لالتقاط الكنيسة بعيداً، كل الأجساد الميتة للناس
الصالحين سيقومون ويتحدون ثانية مع أرواحهم عندما يعودوا من السماء إلى الأرض مع يسوع:

فَمَا دُمْنَا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ ثُمَّ قَامَ، فَمَعَهُ كَذَلِكَ سَيُحْضِرُ اللَّهُ أَيْضاً الرَّاقِدِينَ بِيَسُوعَ ١٤٠
فَهَذَا نَقُولُهُ لَكُمْ بِكَلِمَةٍ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ: إِنَّمَا نَحْنُ الْبَاقِينَ أَحْيَاءٌ إِلَى جِئِ عَوْدَةِ الرَّبِّ، لَنْ نَسْبِقَ الرَّاقِدِينَ. ١٥
لَأنَّ الرَّبَّ نَفْسُهُ سَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حَالِماً يُدَوِّي أَمْرٌ بِالنَّجْمِ، وَيُنَادِي رَئِيسُ مَلَائِكَةٍ، وَيُبَوِّقُ فِي بُوقٍ ١٦
إِلَهِيٍّ، عِنْدَئِذٍ يَقُومُ الْأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ أَوَّلًا.
ثُمَّ إِنَّمَا، نَحْنُ الْبَاقِينَ أَحْيَاءٌ، نُخْتَلِفُ جَمِيعاً فِي السُّحْبِ لِلِاجْتِمَاعِ بِالرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ. وَهَكَذَا نَبْقَى مَعَ الرَّبِّ ١٧
عَلَى الدَّوَامِ. (تسالونيكي الأولى ٤: ١٤ - ١٧).

فقد شكّل الله الإنسان من التراب، فلن يكون لديه أي مشكلة ليجمع مكونات كل جسد وأن يعيد تشكيلهم إلى
أجساداً فردية من ذات المكونات.

فقد كتب بولس الرسول بشأن قيامتنا:

وَهَكَذَا الْحَالُ فِي قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ الْجَسَدُ مُنْهَلًا، وَيُقَامُ غَيْرَ مُنْهَلٍ، ٢
يُزْرَعُ مُهَانًا، وَيُقَامُ مَجِيدًا، يُزْرَعُ ضَعِيفًا، وَيُقَامُ قَوِيًا، ٣
يُزْرَعُ جَسْمًا مَادِّيًا، وَيُقَامُ جَسْمًا رُوحِيًّا. ٤
ثُمَّ إِنِّي، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أؤكدُ لَكُمْ أَنَّ الْأَجْسَامَ ذَاتَ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَرِثَ مَلَكُوتَ اللَّهِ، كَمَا لَا يُمَكِّنُ
لِلْمُنْهَلِ أَنْ يَرِثَ الْغَيْرَ الْمُنْهَلِ.
وَهَا أَنَا أَكْشِفُ لَكُمْ سِرًّا: إِنَّمَا لَنْ نَرْفُدَ جَمِيعًا، وَلَكِنَّمَا سَنَنْغَيِّرُ جَمِيعًا، ٥١
فِي لَحْظَةٍ، بَلْ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَمَا يُنْفَخُ فِي الْبُوقِ الْآخِرِ. فَإِنَّهُ سَوْفَ يُنْفَخُ فِي الْبُوقِ، فَيَقُومُ الْأَمْوَاتُ بِلَا ٥٢
أَنْجِلَالٍ. وَأَمَّا نَحْنُ، فَسَنَنْغَيِّرُ.
فَلَا بُدَّ لِهَذَا الْجَسْمِ الْقَابِلِ لِلْأَنْجِلَالِ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ أَنْجِلَالٍ، وَلِهَذَا الْفَانِي أَنْ يَلْبَسَ خُلُودًا. ٥٣

٥٠ حيث يقول يوحنا هذه "القيامة الأولى"، هذا يجعلنا نؤمن أنه لم يكن هناك قيامة أخرى من قبل. ولأن هذه القيامة تحدث في نهاية محنة العالم كله
عندما يعود يسوع، وهذا يتناقض مع فكرة ما قبل المحنة، كما نعلم أنه سيكون هناك قيامة عظيمة عندما يعود يسوع من السماء ليختطف الكنيسة كما
ذكر في تسالونيكي الأولى ٤: ١٣ - ١٧. فسندرس ذلك بتفاصيل أكثر في فصلٍ لاحق تحت مسمى "نهاية الزمان".

ونلاحظ أن السمات البارزة لهذه الأجساد الجديدة انهم سيكونون خالدين وباقين. فلن يتقدموا في العمر، أو يمرضوا، أو يموتوا! فأجسادنا الجديدة فيكونوا كجسد المسيح الجديد الذي ناله بعد قيامته:

أَمَّا نَحْنُ، فَإِنَّ وَطَنَنَا فِي السَّمَاوَاتِ الَّتِي مِنْهَا نَنْتَظِرُ عَوْدَةَ مُخَلِّصِنَا الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ،^{٢٠}
الَّذِي سَيَحْوِلُ جَسَدَنَا الْوَضِيعَ إِلَى صُورَةٍ مُطَابِقَةٍ لَجَسَدِهِ الْمَجِيدِ، وَفَقًا لِعَمَلِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِخْضَاعِ كُلِّ شَيْءٍ^{٢١}
لِنَفْسِهِ. (فيلبي ٣ : ٢٠ - ٢١)

كما أكد يوحنا أيضاً هذه الحقيقة الرائعة:

أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ، نَحْنُ الْآنَ أَوْلَادُ اللَّهِ. وَلَا نَعْلَمُ حَتَّى الْآنَ مَاذَا سَنَكُونُ، لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ،^٢
سَنَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّا سَنَرَاهُ عِنْدَيْهِ كَمَا هُوَ! (يوحنا الأولي ٣ : ٢)

علي الرغم من أن هذا يبدو مستحيل لنا أن نفهمه بالكامل، إلا انه يمكن لنا أن نؤمن و نبتهج لما يحمله
المستقبل أماناً! ٥١

يسوع يتحدث عن الميلاد الجديد

فتحدث يسوع ذات مرة مع قائد يهودي يدعي نيقوديموس عن ضرورة إعادة الميلاد من الروح البشرية عن طريق عمل الروح القدس:

فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: لَا أَحَدٌ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ إِلَّا إِذَا وُلِدَ مِنْ جَدِيدٍ»^٣
فَسَأَلَهُ نِيقُودِيمُوسُ: كَيْفَ يُمَكِّنُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ كَبِيرُ السِّنِّ؟ الْعَلَّةُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنُ أُمِّهِ ثَانِيَةً ثُمَّ
يُولَدَ؟

أَجَابَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مَلَكُوتَ اللَّهِ إِلَّا إِذَا وُلِدَ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ.^٥
فَالْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ هُوَ جَسَدٌ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ.^٦
فَلَا تَتَعَجَّبُ إِذَا قُلْتُ لَكَ إِنَّكُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى الْوِلَادَةِ مِنْ جَدِيدٍ.^٧ (يوحنا ٣ : ٣-٧)

^{٥١} لدراسة أعمق في موضوع القيامة، انظر دانيال ١٢ : ١-٢، يوحنا ١١ : ٢٣-٢٦، اعمال الرسل ٢٤ : ١٤-١٥، كورنثوس الأولي ١٥ : ١-٥٧.

ففي البداية، أعتقد نيقوديموس أن يسوع كان يتحدث عن ميلاداً ثانياً في الجسد عندما قال إنه يجب علي الإنسان أن يولد ثانياً حتى يدخل ملكوت السموات. ولكن يسوع وضح في كلامه انه كان يتحدث عن ميلاداً ثانياً روحياً.

فسبب احتياجنا للميلاد الثاني هو أن أرواحنا مصابة بطبيعة شيطانية وخاطئة. فهذه الطبيعة الخاطئة يشار إليها في الكتاب المقدس بالموت. حتى نسهل الفهم، فسنشير الي الطبيعة الشيطانية بالموت الروحي حتى يمكننا التفرقة بينها وبين الموت الجسدي (الذي في حينه يتوقف الجسد عن العمل).

تعريف الموت الروحي

فقد وصف بولس الرسول ما معني الموت الروحي في أفسس ٢: ١ - ٣ :

وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي السَّابِقِ أَمْوَاتًا بِذُنُوبِكُمْ وَخَطَايَاكُمْ،^١

الَّتِي كُنْتُمْ تَسْلُكُونَ فِيهَا حَسَبَ مَسَرَىٰ هَذَا الْعَالَمِ، تَابِعِينَ رِئِيسَ قُوَّاتِ الْهَوَاءِ، ذَلِكَ الرُّوحَ الْعَامِلَ الْآنَ فِي^٢ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ نَحْنُ أَيْضًا كُنَّا نَسْلُكُ سَابِقًا فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَا يُرِيدُهُ الْجَسَدُ وَالْأَفْكَارُ،^٣ أَبْنَاءَ الْعِصْيَانِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَوْلَادَ الْغَضَبِ كَالْآخَرِينَ أَيْضًا.

فن الواضح أن بولس الرسول لم يكن يشير إلى الموت الجسدي لأنه لم يكن يكتب عن أشخاص أحياء. ولكنه قال ذات مرة " أوات في خطاياهم وذنوبهم". فالخطية التي تفتح الباب للموت الروحي.

(انظر رومية ٥ : ١٢) ولتكون ميتاً في الروح يعني أنك لديك طبيعة خاطئة في روحك. ولاحظ ما قاله بولس أنهم كلهم " بالطبيعة أولاد الغضب."

بالإضافة إلى معني الموت الروحي، هو امتلاك طبيعة الشيطان في روحك. وقال بولس الرسول لهؤلاء الأموات روحياً الذين يملكون روح "امير القوة والرياح" وتعمل فيهم. أمير القوة والرياح بلا شك هو الشيطان (انظر أفسس ٦ : ١٢)، وروحه تعمل في كل هؤلاء من غير المُخلصين.

فتحدث يسوع لليهود غير التائبين قائلاً،

إِنَّكُمْ أَوْلَادُ أَبِيكُمْ إِبْلِيسَ، وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَعْمَلُوا شَهَوَاتِ أَبِيكُمْ. فَهُوَ مِنَ الْبَدْءِ كَانَ قَاتِلًا لِلنَّاسِ، وَلَمْ يَنْبُتْ فِي^٤ الْحَقِّ لِأَنَّهُ خَالٍ مِنَ الْحَقِّ! وَعِنْدَمَا يَنْطِقُ بِالْكَذِبِ فَهُوَ يَنْضَحُ بِمَا فِيهِ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذِبِ (يوحنا ٨ : ٤٤).

من وجهة نظر روحية، هؤلاء الذين لم يولدوا بالميلاد الثاني لن تسكن في أرواحهم طبيعة الشيطان فقط ولكن الشيطان هو أباهم الروحي. فهم يسلكون طبيعياً كالشيطان. فهم قتلة وكذبة.

فليس كل من غير المخلصين قد ارتكبوا جرائم قتل، ولكن دوافعهم هي ذات دوافع الكراهية كما القتل، وسيقتلون إن استطاعوا أن يهربوا منها دون عقاب. فالسماح بالإجهاض في العديد من الدول يثبت هذه الحقيقة. فهؤلاء غير المخلصين سيقتلون حتى أطفالهم غير المولودين.

ولهذا السبب يلزم على الشخص أن يختبر ميلاداً ثانياً روحياً. وعندما يفعل الإنسان ذلك، طبيعة الخطيئة الشيطانية ستمحي من روحه وتحل محلها روح الله القدوس. فستأتي روح الله القدوس وتسكن في روحه. فروحه لم تعد ميتة بل حية في الله. وبدلاً من أن تكون ابناً للشيطان، سيصبح ابناً روحياً في الله.

الإصلاح ليس بديلاً عن التجديد

لأن هؤلاء غير المخلصين أمواتاً بالروح، فلن يخلصوا بالإصلاح، بغض النظر عن مدي شدة محاولتهم. فهؤلاء غير المخلصين يحتاجون إلى طبيعة جديدة وليس فقط سلوكيات خارجية جديدة. فيمكنك أن تأخذ خنزيراً، وتنظفه جيداً، وترش عليه بعض العطر، وتربط شريطاً وردياً حول عنقه، ولكن في النهاية ستجد أنك قد نظفت خنزيراً. وطبيعته مازال كما هي. ولن يمر كثيراً حتى تظهر رائحته الكريهة ويبدأ أن يلقي نفسه في الوحل مرة أخرى.

وذاات الشيء يعني هؤلاء المتدينين والذين لم يولدوا من الميلاد الثاني. فربما يبدوا عليهم القليل من النظافة في الخارج، ولكن في الداخل هم أقذر من أي وقت مضى. وقال يسوع لبعض من هؤلاء المتدينين في أيامه،

الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمَرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ تُنْظِفُونَ الْكَأْسَ وَالصَّحْفَةَ مِنَ الْخَارِجِ، وَلَكِنَّهُمَا مِنَ الدَّاخِلِ مُمْتَلِئَتَانِ بِمَا كَسَبْتُمُ بِالنَّهْبِ وَالطَّمَعِ!

أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّ الْأَعْمَى، نَظَّفْ أَوَّلًا دَاخِلَ الْكَأْسِ لِيَصِيرَ خَارِجُهَا أَيْضًا نَظِيفًا! ٢٦

الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمَرَاؤُونَ! فَإِنَّكُمْ كَالْقُبُورِ الْمَطْلِيَةِ بِالْكَلسِ: تَبْدُو جَمِيلَةً مِنَ الْخَارِجِ، وَلَكِنَّهَا مِنَ الدَّاخِلِ مُمْتَلِئَةٌ بِعِظَامِ الْمَوْتَى وَكُلِّ نَجَاسَةٍ!

كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، تَبْدُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلَكِنَّكُمْ مِنَ الدَّاخِلِ مُمْتَلِئُونَ بِالرِّيَاءِ وَالْفُسْقِ! ٢٨

(متي ٢٣: ٢٥-٢٨)

فكلمات يسوع هي وصف مناسب لكل هؤلاء المتدينين ولكن لن يجربوا ميلاداً جديداً في الروح القدس. فالميلاد الجديد يطهر الناس من الداخل ومن الخارج أيضاً.

ماذا يحدث للروح عندما تولد من جديد؟

عندما تولد روح شخصاً ما من جديد، فروحه ما تزال في البداية غير متأثرة أساساً (وفي الحقيقة هو قد أتخذ قراراً في ذهنه لاتباع يسوع). ولكن الله يتوقع منا أن نفعل شيئاً بأرواحنا عندما نصبح أبناءً له. فيجب تجديد أرواحنا وأذهاننا من خلال كلمة الله حتى نفكر بالطريقة التي يريد الله منا أن نفكر. فمن خلال تجديد أذهاننا الذي يستمر لتشكيل التحول الخارجي في حياتنا، مسبباً لنا أن نتطور أكثر لنكون مثل يسوع:

وَلَا تَتَكَيَّفُوا مَعَ هَذَا الْعَالَمِ، بَلْ تَغَيِّرُوا بِتَجْدِيدِ الذَّهْنِ، لِتُمَيِّزُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ الصَّالِحَةُ الْمُقْبُولَةُ الْكَامِلَةُ. ٢
(رومية ١٢: ٢)

فكتب يعقوب أيضاً نفس الشيء عن حياة المؤمن:

وَلْيَكُنْ قَبُولُكُمْ لِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي غَرَسَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ، قَبُولاً وَدِيعاً. فَهِيَ الْقَادِرَةُ أَنْ تُخَلِّصَ نَفُوسَكُمْ. ٢١
(يعقوب ١: ٢١)

لاحظ أن يعقوب كان يكتب 'لي' المسيحيين — الذين كانت أرواحهم قد وُلدت ثانيةً بالطبع. ولكنهم كانوا محتاجين لخلاص أرواحهم، وهذا لن يحدث إلا إذا استلموا بتواضع (الكلمة المغروسة). ولهذا لما يجب تعليم المؤمنين الجدد كلمة الله.

بقايا الطبيعة القديمة

بعد الميلاد الجديد، يكتشف المسيحيين في الحال أنهم ذو طبيعتين، مختبرين ما أسماء بولس الرسول الحرب بين "الروح والجسد":

فَإِنَّ الْجَسَدَ يَسْتَنْهِي بَعْضُ الرُّوحِ، وَالرُّوحُ بَعْضُ الْجَسَدِ؛ وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ حَتَّى إِنَّكُمْ لَا تَفْعَلُونَ ١٧
مَا تَرْغَبُونَ فِيهِ. (غلاطية ٥: ١٧)

بقايا الطبيعة الخاطئة القديمة التي تبقى يشير إليها بولس "بالجسد". فهاتين الطبيعتين في داخلنا ينتجون رغبات مختلفة، وإن استجيب لهم ينتجون سلوكيات وأساليب حياتية مختلفة. لاحظ أن المقارنة التي يفعلها بولس بين "أعمال الجسد" و "ثمار الروح":

أَمَّا أَعْمَالُ الْجَسَدِ فَظَاهِرَةٌ، وَهِيَ: الزَّهْوَى وَالنَّجَاسَةُ وَالذَّعَارَةُ، ١٩

وَعِبَادَةُ الْأَصْنَامِ وَالسِّحْرُ، وَالْعِدَاوَةُ وَالنِّزَاعُ وَالْغَيْرَةُ وَالْغَضَبُ، وَالتَّحَزُّبُ وَالْانْقِسَامُ وَالنَّعْصُ، ٢٠

وَالْحَسَدُ وَالسُّكْرُ وَالْعَزْبَدَةُ، وَمَا يُشْبِهُ هَذِهِ. وَبِالنَّظَرِ إِلَيْهَا، أَقُولُ لَكُمْ الْآنَ، كَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْتُ أَيْضاً، إِنَّ ٢١
الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لَنْ يَرِثُوا مَلَكَوتَ اللَّهِ!

وَأَمَّا تَمَرُّ الرُّوحِ فَهُوَ: الْمَحَبَّةُ وَالْفَرَحُ وَالسَّلَامُ، وَطُولُ الْبَالِ وَاللُّطْفُ وَالصَّلَاحُ، وَالْأَمَانَةُ ٢٢

وَالْوَدَاعَةُ وَضَبْطُ النَّفْسِ. وَلَيْسَ مِنْ قَانُونٍ يَمْنَعُ مِثْلَ هَذِهِ الْفَضَائِلِ ٢٣.

(غلاطية ٥: ١٩ – ٢٣)

من الواضح أنه من الممكن للمسيحيين أن يستسلموا للجسد، وإلا لن يحذرنا بولس منه، وإن اعتادوا على
إتباع الجسد، فلن يرثوا ملكوت السماوات. وفي رسالته لأهل رومية، كتب بولس عن هاتين الطبيعتين لكل
مسيحي وحذر من نفس الأمور عند الاستسلام للجسد:

وَإِذَا كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَمَعَ أَنَّ الْجَسَدَ مَاتَ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ، فَإِنَّ الرُّوحَ حَيَاةٌ لَكُمْ بِسَبَبِ الْإِيمَانِ. ١٠

فَلَيْسَ عَلَيْنَا إِذْنٌ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَيُّ التَّزَامِ نَحْوِ الْجَسَدِ لِنَعِيشَ بِحَسَبِ الْجَسَدِ. ١١

لَأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ بِحَسَبِ الْجَسَدِ، فَإِنَّكُمْ سَتَمُوتُونَ، وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ، فَسَتَحْيَوْنَ. ١٣

فَإِنَّ جَمِيعَ الْخَاصِعِينَ لِقِيَادَةِ رُوحِ اللَّهِ، هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ. ١٤

(رومية ٨: ١٠، ١٢ – ١٤)

فهذا من الواضح أنه تحذير إلى المسيحيين. أحياء (وهذا يشير إلى الممارسات المعتادة) طبقاً للجسد ينتج
عنه موتاً. فلا بد أن بولس كان يحذر من الموت الروحي، لأن كل واحد سيموت جسدياً يوماً ما، حتى
المسيحيين الذين "يميتون أعمال الجسد."

فربما يسقط مسيحي في بعض الأخطاء التي سردها بولس، ولكن عندما يخطئ شخصاً مؤمناً، سيشعر
بالذنب وهناك أمل للتوبة. وأي شخص يعترف بخطاياهم ويطلب غفران الله، فبالطبع، يطهر (انظر يوحنا
الأولي ١ : ٩).

فعندما يخطئ مسيحياً، هذا لا يعني أنه قد أنهى علاقته مع الله – ولكن هذا يعني أنه قد كسر علاقته مع الله.
فهو ما زال ابناً لله، ولكنه الآن هو ابناً غير مُطيعاً. وإن لم يعترف المؤمن بخطاياهم، فهو يضع نفسه في
موقف التأديب من الرب.

الحرب

فإن وجدت نفسك ترغب أن تفعل أشياء معينة وأنت تعلم أنها خاطئة، فحينها أنت تختبر "شهوات الجسد".
وبلا شك إنك قد اكتشفت أنه عندما يتم إغرائك بالجسد، تلاحظ أن هناك شيئاً بداخلك يحارب هذا الإغراء.

وهذا هو "إغراء الروح". وأنت تعلم الشعور بالذنب عندما تستسلم للإغراء، وبعد ذلك تتعرف علي صوت روحك، والذي نسميه "ضمير".

فقد عَلِمَ الله جيداً أن شهواتنا الجسدية ستغرينا لعمل الخطأ. وهذا ليس عُذراً لنا لنبرر استسلامنا لشهوات الجسد. فيتوقع الله منا أن نسلك في الطاعة والقداسة ونتخطى طبيعة الجسد:

إِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا فِي الرُّوحِ. وَعِنْدِي لَا تُتَمَمُونَ شَهْوَةَ الْجَسَدِ أَبَداً (غلاطية ٥: ١٦).

فليس هناك من معادلة سحرية لتخطي الجسد. فقال بولس ببساطه أنه يجب علينا أن "نسلك في الروح"، وأن "لا نتم شهوة الجسد" (غلاطية ٥: ١٦). وليس هناك أي مسيحي ذو ميزة عن أي مسيحي آخر في هذا المجال. والسلوك في الروح هو ببساطة قرار لا بد من أخذه، وإخلاصنا للرب يمكن قياسه بكم عدم استسلامنا لشهوات الجسد.

وكتب بولس ما شابه ذلك:

وَلَكِنَّ الَّذِينَ صَارُوا خَاصَّةً لِلْمَسِيحِ، قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ (غلاطية ٥: ٢٤).

لاحظ أن ما قاله بولس لهؤلاء الذين خاصين بالمسيح (بصيغة الماضي) صلبوا الجسد. فقد حدث هذا عندنا توينا وأما بالرب يسوع المسيح. فقد صلبنا هذه الطبيعة الخاطئة، مُقررين أن نُطيع الله ونقاوم الخطية. فالأن هي ليست قضية صلب الجسد ولكن الحفاظ على صلب الجسد.

فليس من السهل الحفاظ على الجسد مصلوباً، ولكنه ممكن. فإن كنا سنسلك تجاه قيادة الشخص الداخلي بدلاً من دوافع الجسد، فحينها سنُظهر حياة المسيح ونسلك في القداسة أمامه.

طبيعة أرواحنا المجددة

هناك كلمة واحدة وهي الأفضل لوصف أرواحنا المجددة، وهذه الكلمة هي المسيح. من خلال الروح القدس، التي تشير إلى طبيعة يسوع، إننا في الواقع لدينا يسوع يعيش فينا. وكتب بولس الرسول "وَفِيمَا بَعْدُ لَا أَحْيَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِي" (غلاطية ٢: ٢٠).

ولأننا لدينا قدرته وطبيعته فينا، فلدينا إمكانيات رائعة لنعيش مثل المسيح. فلا نحتاج إلي حُب أكثر أو صبر أو التحكم بالنفس – فنعيش بداخلنا الشخص الأكثر محبة وصبراً والأكثر تحكماً بالنفس! فما نحتاج أن نفعله هو أن نسمح له أن يعيش من خلالنا. فلدينا جميعاً عدو رئيسي، الذي يحارب ضد طبيعة يسوع، معوقاً إياها من الظهور من خلالنا؛ وهي جسدنا. فلا عجب مما كتبه بولس أنه يجب علينا أن نصلب الجسد. فهي مسؤوليتنا أن نفعل شيئاً بجسدنا، وما هي إلا مضيعة للوقت لنسأل الله أن يفعل شيئاً بخصوصه. حتى بولس الرسول كان يعاني من طبيعته الجسدية ولكنه أتخذ مسؤولية تخطي هذه المعاناة:

بَلْ أَسِددُ اللَّكَمَاتِ إِلَى جَسَدِي وَأَسْوَفُهُ أَسِيرًا، مَخَافَةً أَنْ يَتَبَيَّنَ أَنِّي غَيْرُ مُوَهَّلٍ (لِلْمُجَازَاةِ) بَعْدَمَا دَعَوْتُ
الْآخَرِينَ إِلَيْهَا! (كورونثوس الأولى ٩ : ٢٧)

وأنت أيضاً يلزم عليك أن تجعل جسدك عبداً لروحك إن أردت أن تسلك طريق القداسة أمام الرب. ويمكنك
فعل ذلك.

الفصل الحادي عشر

معمودية الروح القدس

The Baptism in the Holy Spirit

عندما نقرأ في سفر أعمال الرسل، سنجد في كل صفحة دليلاً واضحاً على عمل الروح القدس في الكنيسة الأولى. وإن أَلغينا جدلاً عمل الروح القدس من سفر أعمال الرسل فلن يتبقى منه أي شيء مستحق الذكر. وبالحقيقة هو الذي أعطى القوة للتلاميذ الأولين "لأن يغيروا العالم رأساً على عقب" (أنظر أعمال الرسل ١٧: ٦).

ونلاحظ اليوم أن توسع الكنيسة هو الأسرع في تلك الأماكن حيث تَمَكَّن فيها أتباع يسوع الخضوع للروح القدس واكتساب القوة منه. وما العجيب في ذلك؟! إذ يمكن للروح القدس أن يحقق خلال عشر ثوانٍ أكثر مما يمكننا أن ننجزه عبر آلاف السنين بجهودنا الذاتية. ولذلك فإن الأمر في غاية الأهمية للخادم صانع التلاميذ أن يفهم ما يَعْلَمُه الكتاب المقدس عن عمل الروح القدس في حياة الناس وخدمة المؤمنين.

وفي سفر أعمال الرسل نجد وبكثرة نماذج لمؤمنين قد تعمّدوا بالروح القدس وتأهلوا بعدها لعمل الخدمة. فمن الحكمة أن ندرس ذلك إن أمكن، لنختبر ونستمتع بمعجزات مساعدة الروح القدس المعجزية التي استمتع بها أعضاء الكنيسة الأولى. ومع ذلك يعتقد البعض أن معجزات أعمال الروح القدس كانت استثنائية على التلاميذ الأولين، ولكني لم أجد ما يدعم هذا الرأي لا في الكتاب المقدس ولا في التاريخ. فتلك النظرية ناتجة عن عدم الإيمان. فأولئك الذين يؤمنون بوعود كلمة الله سيختبرون البركات الموعودة. وكما حدث لبني إسرائيل الغير مؤمنين إذ فشلوا في دخول أرض الميعاد، هكذا الذين لا يؤمنون بوعود الله اليوم لن يستطيعوا الدخول إلى كل ما أعده الله لهم. فإلى أي فئة أنت تنتمي؟

للروح القدس عملين

إن كل من يؤمن بالرب يسوع يختبر عمل الروح القدس في حياته. فكيانه الداخلي، أو الروح يتجدد بالروح القدس (أنظر تيطس ٣: ٥)، والروح القدس يعيش فيه منذ تلك اللحظة (انظر رومية ٨: ٩، كورنثوس الأولى ٦: ١٩). فقد وُلِدَ من الروح القدس (يوحنا ٣: ٥).

ولسوء فهم الكثير من المسيحيين الخمسينيين والكاريزميين ولعدم فهمهم، قد وقعوا في الخطأ أنهم يخبرون بعض المؤمنين أنهم لن يحصلوا على الروح القدس إلا إذا تعمّدوا بالروح القدس وتكلموا بالسنة. ولكن حسب الكتاب المقدس والخبرة أستطيع القول إن ذلك هو اعتقاداً خاطئاً. إذ أن للكثيرين من المؤمنين غير الخمسينيين إثباتات كثيرة تؤكد حلول الروح القدس الساكن فيهم يفوق أولئك من المؤمنين الخمسينيين. فهم يظهرون ثمار الروح القدس التي سردها بولس الرسول في غلاطية ٥: ٢٢-٢٣ إلى درجة عظيمة، وهذا الأمر سيكون من المستحيل أن يحدث بدون حلول الروح القدس فيهم.

ولا يعني أنه عندما يولد أحدهم من الروح القدس ذلك ضمان على المعمديته من الروح القدس. فطبقاً للكتاب المقدس، الميلاد من الروح القدس والمعمودية بالروح القدس هما أمران مختلفان تماماً. حيث نبدأ في فحص هذا الموضوع، دعونا نأخذ بعين الاعتبار ما قاله يسوع ذات مره عن الروح القدس للمرأة السامرية الغير مؤمنة عند بئر السامرة:

فَأَجَابَهَا يَسُوعُ: لَوْ كُنْتَ تَعْرِفِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ: اسْقِينِي، لَطَلَبْتَ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا^{١٠}

فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعُودُ فَيَعْطَشُ»^{١٣}.

وَلَكِنَّ الَّذِي يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيَهُ أَنَا، لَنْ يَعْطَشَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا، بَلْ إِنَّ مَا أُعْطِيَهُ مِنْ مَاءٍ يُصْبِحُ فِي دَاخِلِهِ نَبْعًا يَفِيضُ فَيُعْطِي حَيَاةً أَبَدِيَّةً. (يوحنا ٤: ١٠، ١٣ - ١٤).

ومن المعقول استنتاجه على ما يبدو أن الماء الحي الذي تحدث عنه يسوع يمثل الروح القدس الذي يسكن في هؤلاء الذين يؤمنون به. ولاحقاً بوحى أنجيل يوحنا، قد أستخدم يسوع ذات التعبير "الماء الحي" مرة أخرى، بلا شك أنه كان يتحدث عن الروح القدس:

وَفِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الْعِيدِ، وَهُوَ أَعْظَمُ أَيَّامِهِ، وَقَفَ يَسُوعُ وَقَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: إِنَّ عَطَشَ أَحَدٍ فَلْيَأْتِ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ.^{٣٧}

وَكَمَا قَالَ الْكِتَابُ، فَمَنْ آمَنَ بِي تَجْرِي مِنْ دَاخِلِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ^{٣٨}.

قَالَ يَسُوعُ هَذَا عَنِ الرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ سَيَقْبَلُونَهُ. وَلَمْ يَكُنِ الرُّوحُ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدَ لَأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَمَجَّدَ بَعْدُ. (يوحنا ٧: ٣٧ - ٣٩)

ففي هذه الحالة لم يتحدث يسوع عن الماء المتحول إلى "بئر ينبع منه الحياة الأبدية" إلا أن الماء الحي ذاته قد صار أنهاراً تنبع من عمق كيان المؤمن.

إن هاتين الفقرتين من أنجيل يوحنا تعرضان بشكل جميل الاختلاف بين الميلاد من الروح ومعمودية الروح القدس. فالميلاد من الروح في الأساس هو منفعة للشخص المولود الميلاد الثاني، ليتمتع بعدها بالحياة الأبدية. أي عندما يولد الشخص الميلاد الثاني يكون بحوزته مستودعاً من الروح بداخله الأمر الذي سيمنحه حياةً أبدية.

ولكن معمودية الروح القدس أساساً هي لمنفعة الآخرين، وتعد المؤمنين لخدمة الآخرين بقوة الروح. "أنهار الماء الحي" ستنبع من الكيان الداخلي، مُحْضِراً بركات الله لآخرين بقوة الروح القدس.

ما الحاجة لمعمودية الروح القدس؟

كم نحن في حاجة ماسة لمساعدة الروح القدس لنخدم الآخرين! وبدون مساعدته لا يمكننا أن نأمل في إعداد تلاميذ من جميع الأمم. وبالحقيقة ذلك هو سبب وعد يسوع بتعميد المؤمنين بالروح القدس – لكي يتمتع العالم للإنجيل.

فقال يسوع لتلاميذه:

فَالْحَا عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «انْزِلْ عِنْدَنَا، فَقَدْ مَالَ النَّهَارُ وَاقْتَرَبَ الْمَسَاءُ». فَدَخَلَ لِيُنْزَلَ عِنْدَهُمَا. ٢٩

(لوقا ٢٤: ٢٩)

وسجل لوقا ما قاله يسوع:

فَأَجَابَهُمْ: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْمَوَاعِيدَ وَالْأَوْقَاتَ الَّتِي حَدَدَهَا الْآبُ بِسُلْطَانِهِ ٧

وَلَكِنْ جِينَمَا يَخُلُّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ تَتَأَلَوْنَ الْقُوَّةَ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَالْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا، وَفِي السَّامِرَةِ، وَإِلَى أَقْصَايِ الْأَرْضِ. (اعمال الرسل ١: ٧ – ٨).

وقد طلب يسوع من تلاميذه ألا يغادروا أورشليم إلى أن ينالوا "القوة من الأعلالي". فقد عَلمَ أنهم سيكونون بخلاف ذلك عديمي القوة وبالتأكيد سيفشلون بذواتهم على إنجاز تلك المهمة المُلقاة عليهم.

وهناك الملايين من المسيحيين حول العالم ممن تعمدوا بالروح القدس، وقد اختبروا شكلاً جديداً من القوة، خاصة عندما يشهدون بالمسيح لغير المُخلصين. فقد وجدوا أن كلماتهم كانت مُقنعة أكثر، وأحياناً يستشهدوا بآيات من الكتاب المقدس لم يدركوا من قبل أنهم يعرفونها. فالبعض وجدوا أنفسهم مدعويين وموهبين لخدمات معينة، كالتبشير. وآخرين قد اكتشفوا أن الله يستخدمهم كما يشاء بعطايا خارقة مختلفة. واختباراتهم هذه كانت كتابية بحتة. وليس هناك أساساً كتابياً لمن يُعارض اختباراتهم، بل بالواقع هم يُحاربون الله.

فعلينا ألا نتعجب نحن المدعوون للاقتداء بالمسيح أننا مدعويين أيضاً للاقتداء باختبارات الروح القدس. وبالطبع يسوع قد وُلِدَ من الروح عندما حُبِلَ به في بطن مريم العذراء (انظر متى ١: ٢٠). وهو المولود من الروح، الا أنه قد تعمد بعدها بالروح القدس قبل بداية خدمته (انظر ٣: ١٦). فإن احتاج يسوع لمعمودية الروح القدس ليهيئ نفسه للخدمة، فكم بالحري نحتاجها نحن؟

الأدلة المبدئية لمعمودية الروح القدس

عندما يعتمد مؤمناً بالروح القدس، فالدليل الداخلي من تجربته هو أنه سيتحدث بلغة جديدة، وهذا ما يشير إليه الكتاب المقدس بـ "اللسنة جديدة" أو "اللسنة أخرى". وهناك العديد من الآيات في الكتاب المقدس التي تدعم هذه الحقيقة. دعونا نأخذهم في الاعتبار.

أولاً، أثناء اللحظات الأخيرة قبل صعوده، قال يسوع لتلاميذه أن أحد العلامات التي ستتبع المؤمنين هي أنهم سيتكلمون باللسنة:

وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ، وَبَشِّرُوا الْخَلِيقَةَ كُلَّهَا بِالْإِنْجِيلِ: ١٥

مَنْ آمَنَ وَتَعَمَّدَ، خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَسَوْفَ يُدَانُ. ١٦

وَأُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا، تَلَزَمُهُمْ هَذِهِ الْآيَاتُ: بِاسْمِي يَطْرُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ جَدِيدَةٍ عَلَيْهِمْ. ١٧

(مرقس ١٦: ١٥-١٧)

فبعض من المعلقين يزعمون عدم وضع هذه الآيات في أنجيلنا لأنها لا تتواجد في بعض النسخ القديمة للعهد الجديد. ولكن العديد من النسخ العتيقة تشتمل على هذه الآيات، ولم يتم حذفها من أي من الترجمات الإنجليزية التي قرأتها. وزد على ذلك، أن ما قاله يسوع في هذه الآيات يرتبط تماماً مع اختبار الكنيسة الأولى كما ذكر في سفر أعمال الرسل.

وهناك خمسة أمثلة في سفر أعمال الرسل عن مؤمنين تعمّدوا بالروح القدس من الداخل. دعونا نأخذ في الاعتبار الخمس جميعها، وبينما نفعل ذلك، سنسأل سؤاليين: (١) هل المعمودية الروح القدس هي تجربة تابعة للخلاص؟ و (٢) هل الذين يقبلون الروح القدس يتحدثون باللسنة جديدة؟ لهذا سيساعدنا على فهم مشيئة الله لمؤمني هذا العصر.

أورشليم

المثال الأول نجده في الإصحاح الثاني في سفر أعمال الرسل، عندما تَعَمَّدَ مئة وعشرون تلميذاً بالروح القدس في يوم الخمسين:

وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْخَمْسُونَ، كَانَ الْإِخْوَةُ مُجْتَمِعِينَ مَعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، ١

وَفَجْأَةً حَدَثَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ دَوِيُّ رِيحٍ عَاصِفَةٍ، فَمَلَأَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانُوا جَالِسِينَ فِيهِ. ٢

ثُمَّ ظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ، وَقَدْ تَوَرَّعَتْ وَحَلَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ٣

فَامْتَلَأُوا جَمِيعًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَأَخَذُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ أُخْرَى، مِثْلَمَا مَنَحَهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا. ٤

(أعمال الرسل ٢: ١ - ٤)

فبلا شك أن أولئك المئة وعشرون مؤمناً كانوا مُخلصين ومولودين الولادة الثانية قبل هذا الوقت، وعليه فقط اختبروا المعمودية الروح القدس بعد الخلاص. ولكن من المستحيل لهم انهم قد تقبلوا المعمودية الروح القدس قبل ذلك الوقت إذ لم يعطي الروح القدس للكنيسة حتى ذلك اليوم. ومن الواضح أن العلامة المصاحبة لذلك هي التحدث باللسنة.

السامرة

المثال الثاني لمعمودية المؤمنين بالروح القدس موجود في سفر أعمال الرسل إصحاح ٨، عندما ذهب فيلبس إلى السامرة ووعظ بالإنجيل هناك:

فَلَمَّا آمَنُوا بِكَلَامِ فِيلِبُّسَ الَّذِي بَشَّرَهُمْ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ، تَعَمَّدُوا رَجَالًا وَنِسَاءً.^{١٢}
وَسَيِّمُونُ نَفْسَهُ آمَنَ وَتَعَمَّدَ، فَالْصَقَ نَفْسَهُ بِفِيلِبُّسَ، وَإِذْ شَاهَدَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي أُجْرِيَتْ عَلَى يَدِهِ،^{١٣}
اسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ.

وَسَمِعَ الرَّسُلُ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ أَهْلَ السَّامِرَةِ قَبِلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا.^{١٤}
فَصَلَّيَا لِأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَنَالُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ،^{١٥}
لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَعَمَّدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ.^{١٦}
(أعمال الرسل ٨: ١٢ - ١٦)

ومن الواضح أن مسيحي السامرة قد اختبروا المعمودية الروح القدس كتجربة ثانوية بعد خلاصهم. والكتاب المقدس ينص صراحةً أنه قبل وصول بطرس ويوحنا، "قد سبق السامريون وتلقوا كلمة الله"، وأمنوا بالإنجيل وتعمدوا بالماء. ولكن عندما أتى بطرس ويوحنا ليصلوا لأجلهم، يقول الكتاب المقدس "لبنالوا الروح القدس". فما يمكن ان يكون أوضح من ذلك!!

هل تكلم مؤمنو السامرة باللسنة جديدة عندما تعمدوا من الروح القدس؟ -الكتاب المقدس لا ينص على ذلك ولكن ينص على أن شيئاً عظيماً قد حدث لهم. فعندما رأى رجلاً يدعي سيمون ما قد حدث عند وضع بطرس ويوحنا أيديهما على أهل السامرة، حاول أن يشتري منهما قدرتهما على نقل الروح القدس لآخرين:

ثُمَّ وَضَعَا أَيْدِيَهُمَا عَلَيْهِمْ، فَنَالُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.^{١٧}
وَلَمَّا رَأَى سَيِّمُونُ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ قَدْ حَلَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا وَضَعَ الرَّسُولَانِ أَيْدِيَهُمَا عَلَيْهِمْ، عَرَضَ^{١٨}
عَلَى بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا بَعْضَ الْمَالِ، وَقَالَ لَهُمَا:

«أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضاً هَذِهِ السُّلْطَةَ لِكَيْ يَنَالَ الرُّوحَ الْقُدُسَ مَنْ أَضَعُ عَلَيْهِ يَدَيَّ».^{١٩}

(أعمال الرسل ٨: ١٧ - ١٩)

فما الذي أدهش سيمون مما رآه؟ فقد رأى من قبل العديد من المعجزات، مثل تخليص أشخاصاً من الأرواح الشريرة وشفاء العرج و المشلولين (أنظر أعمال الرسل ٨: ٦-٧). ومع ذلك يبدو أن ما شاهده سيمون عندما صلي بطرس ويوحنا كان مُذهلاً. ومع ذلك لا يمكننا أن نجزم بذلك بكل تأكيد، إلا أنه أمر منطقي أن نعتقد أنه قد شاهد تلك الظاهرة بعينها التي حدثت مع كل مسيحي آخر ممن نالوا الروح القدس كما ذُكر في سفر أعمال الرسل - إذ رآهم وسمعهم يتحدثون باللسنة.

شاول في دمشق

والذكر الثالث في سفر أعمال الرسل لشخص حدث أنه قد نال الروح القدس وهو شاول الطرسوسي، والذي عُرف لاحقاً ببولس الرسول. فقد تم خلاصه في طريقه إلى دمشق، عندما أصيب بالعمى مؤقتاً. وبعد ثلاثة أيام من تحوله، تم وبطريقة إلهية إرسال رجلاً إليه كان يدعي حنانيا:

فَدَهَبَ حَنَانِيَا وَدَخَلَ بَيْتَ يَهُوذَا، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى شَاوُلَ وَقَالَ: أَيُّهَا الْأَخُ شَاوُلُ، إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ، الَّذِي ١٧
ظَهَرَ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي جِئْتَ فِيهَا، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِكَيْ تُبْصِرَ وَتَمْتَلِيءَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.

وَفِي الْحَالِ تَسَاقَطَ مِنْ عَيْنَيَّ شَاوُلُ مَا يُشْبِهُ الْقُشُورَ، فَأَبْصَرَ ، ثُمَّ قَامَ وَتَعَمَّدَ. ١٨

(أعمال الرسل ٩: ١٧ - ١٨).

وبلا شك أن شاول قد وُلِدَ الميلاد الثاني قبل أن يصله حنانيا ليصلي لأجله. فقد آمن شاول بيسوع عندما كان في طريقه إلى دمشق، وأطاع في الحال إرشادات ربه الجديد. وبالإضافة إلى ذلك عندما قابل حنانيا شاول للمرة الأولى دعاه "أيها الأخ بولس". لاحظ أن حنانيا أخبر شاول أنه قد جاء ليعيد له بصره ويملأه بالروح القدس. وبالتالي فإن شاول قد أمتلئ أو تعمد من الروح القدس بعد ثلاثة أيام من خلاصه.

فالكتاب المقدس لم يذكر بالتحديد المعمودية بولس الرسول بالروح القدس، ولكن لابد وان حدث ذلك في فترة قصيرة بعد وصول حنانيا إلى شاول. وبلا شك قد تكلم شاول باللسنة في وقت معين، ونعلم ذلك إذ قد ذكر لاحقاً في كورنثوس الأولى ١٤: ١٨،

"أَشْكُرُ اللَّهَ لِأَنِّي أَتَكَلَّمُ بِلُغَاتٍ مَجْهُولَةٍ أَكْثَرَ مِنْكُمْ جَمِيعاً."

قيصرية

الذكر الرابع لأحد المؤمنين من تعمد بالروح القدس نجده في سفر أعمال الرسل إصحاح ١٠. فقد كلف بطرس أن يكرز الإنجيل في قيصرية وإلى أهل بيت كرنيليوس. بمجرد أن كشف لهم بطرس أن الخلاص

يتم عن طريق الإيمان بيسوع، عندما أستجاب إليه في الحال جميع المستمعين من الأمميّين بالإيمان وامتثلوا بالروح القدس:

وَبَيْنَمَا كَانَ بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ، حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ. ٤٤
فَدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الْيَهُودُ الَّذِينَ جَاءُوا بِرَفَقَةِ بُطْرُسَ، لِأَنَّ هِبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَاضَتْ أَيْضاً عَلَى غَيْرِ الْيَهُودِ، ٤٥
إِذْ سَمِعُوهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ، وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ. فَقَالَ بُطْرُسُ: ٤٦
«أَيَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ فَلَا يَتَعَمَّدَ أَيْضاً هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَالُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ مِثْلَنَا؟» ٤٧
وَأَمَرَ أَنْ يَتَعَمَّدُوا بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. ٤٨
(أعمال الرسل ١٠: ٤٤ - ٤٨ أ)

وفي هذه الحالة يبدو أن أهل بيت كرنيليوس كانوا أوائل المؤمنين بيسوع من الأمميّين وكان ذلك دليل على أن الأمم أيضاً مرحبين بالكنيسة والحياة بالملكوت، وقد ولدوا الميلاد الثاني وبالروح القدس بذات الوقت. وإن اختبرنا الآيات حول هذه الفقرة والسياق التاريخي، فسيوضح لنا لماذا لم ينتظر الله حتى يضع بطرس والمؤمنين الآخرين أيديهم على المؤمنين الأمميّين لينالوا الروح القدس. فقد عَسِرَ على بطرس وآخرين من المؤمنين اليهود أن يقبلوا إمكانية خلاص الأمم، ما بالك وأن يُمنحوا الروح القدس أيضاً! ولربما قد رفضوا قبلاً أن يصلوا لأجل كرنيليوس وعائلته لينالوا معمودية الروح القدس، ولذلك تصرف الله من موقع سيادته. وهكذا كان الله يُعَلِّمُ بطرس ورفاقه شيئاً عن نعمته العظيمة تجاه الأمميّين.

فما الذي أقنع بطرس والمؤمنين الآخرين من اليهود أن كرنيليوس وأهل بيته قد نالوا بالفعل الروح القدس؟ فقد كتب لوقا بهذا الشأن،

إِذْ سَمِعُوهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ، وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ (أعمال الرسل ١٠: ٤٦). فأعلن بطرس أن الأمميّين قد استلموا عطية الروح القدس كما حدث للمئة وعشرون الذين نالوا الروح القدس يوم حلوله. (أنظر إصحاح ١٠: ٤٧).

أفسس

الذكر الخامس لأناس قد تعمّدوا بالروح القدس نجده في الإصحاح التاسع عشر من سفر أعمال الرسل إصحاح ١٩. كان ذلك أثناء رحلة بولس الرسول في أفسس، إذ تقابل بولس الرسول ببعض التلاميذ وسألهم السؤال التالي:

«هَلْ نَلِثُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ عِنْدَمَا آمَنَتمُ؟» أَجَابُوهُ: «لَا! حَتَّى إِنَّنَا لَمْ نَسْمَعْ بِوُجُودِ الرُّوحِ الْقُدُسِ!» .

(أعمال الرسل ١٩: ٢)

فإن بولس الرسول بذاته الذي كتب معظم رسائل العهد الجديد، كان يؤمن ومن الواضح أنه يمكن لشخص أن يؤمن بيسوع دون أن ينال عطية الروح القدس. وإلا فلن يُسأل ذلك السؤال.

وأجابوه أنهم لم يسمعوا عن الروح القدس. وفي الحقيقة أنه كلما سمعوا عن المسيح كان من خلال يوحنا المعمدان، مُعدهم. لذلك عمدهم بولس في الحال مرة أخرى ولكن هذه المرة قد اختبروا المعمودية مسيحية حقيقية. وأخيراً، وضع بولس يديه عليهم لينالون عطية الروح القدس:

فَلَمَّا سَمِعُوا هَذَا تَعَمَّدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوع. ٥

وَمَا إِنَّ وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَلَّ عَلَيْهِمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، وَأَخَذُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ أُخْرَى وَيَتَنَبَّأُونَ. ٦
وَكَانَ عَدَدُهُمْ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا. ٧

(أعمال الرسل ١٩ : ٥-٧)

وهذه مرة أخرى نرى بوضوح أن المعمودية الروح القدس قد حدثت في نفس الوقت الذي حدث فيه الخلاص، بصرف النظر عما إذا كان هؤلاء الاثني عشر رجلاً قد وُلِدوا الميلاد الثاني. وهكذا مرة أخرى، نرى أن العلامة المصاحبة للروح القدس كانت التكلم بالأسنة (وفي هذه الحالة أيضاً التنبؤ).

الحكم الصادر

دعونا نراجع هذه الخمسة أمثلة. وعلى الأقل أربعة منهم كانت المعمودية الروح القدس بعد الخلاص.

ففي ثلاثة من هذه الحالات الكتاب المقدس ينص بوضوح أن كل من نال عطية الروح القدس قد تحدث بالأسنة. فضلاً عن ذلك، عندما تقابل بولس مع حنانيا، فإن اختباره لمعمودية الروح القدس وإن لم تُصَف وتُسَجَل، إلا أننا نعلم أنه قد تحدث بالأسنة. وهذا يُمثل لنا الحالة الرابعة.

وما تبقي من هذا الشأن، فهو شيئاً فوق طبيعي قد حدث يوم نال مؤمني السامرة الروح القدس إذ حاول سيمون شراء القوة ليقتني عطية الروح القدس.

وهكذا فإن الأدلة واضحة. ففي الكنيسة الأولى قد أختبر المؤمنون ذوات الميلاد الثاني اختباراً ثانياً مع الروح القدس، وعند حدوث ذلك، قد تحدثوا بالأسنة. وعليك ألا تندesh من ذلك، إذ قال يسوع، إن الذين يؤمنون به سيتكلمون بالأسنة جديدة.

ولذلك نحن لدينا أدلة قاطعة أن كل من وُلِدَ الميلاد الثاني يجب أن يختبر العمل الثاني للروح القدس – وهو المعمودية بالروح القدس. وعلاوة على ذلك، يجب التوقع من كل مؤمن التكلم بالأسنة عندما يحصل على المعمودية الروح القدس.

كيفية تلقي المعمودية الروح القدس

ككل عطايا الله، يتم تلقي الروح القدس بالإيمان (أنظر ٣: ٥). ليكون لديك إيمان لتتلقى، يلزم علي المؤمن أن يكون مقتنع أن إرادة الله له هي أن يعتمد من الروح القدس. ومن يرتاب، فلن ينالها.

(أنظر يعقوب ١: ٦-٧).

ليس من سبب مقتنع لأي مؤمن ألا يؤمن بأن إرادة الله له هي أن ينال الروح القدس، لأن يسوع قد عبّر بوضوح عن إرادة الله بهذا الموضوع قائلاً:

فَإِنْ كُنْتُمْ، أَنْتُمْ الْأَشْرَارُ، تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْ لَا دُكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْأَحْرَى الْآبُ، الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ^{١٣} يَهْبُ الرُّوحُ الْقُدُسُ لِمَنْ يَسْأَلُونَهُ؟ (لوقا ١١: ١٣).

وهذا الوعد من فم يسوع عليه أن يُقنع كل أولاد الله، إذ إرادته نحوهم أن ينالوا الروح القدس.

وتلك الآية تدعم حقيقة أن معمودية الروح القدس تحدث بعد الخلاص، لأن يسوع هنا قد وعد أبناء الله (هؤلاء الذين يدعون الله بأبيهم السماوي) أن الله سيعطيهم الروح القدس إن سألوه. ومن الواضح أنه إن كانت التجربة الوحيدة التي يمكن لشخص أن يختبرها للروح القدس هي أن يولد الميلاد الثاني في لحظة الخلاص، فهذا سيعني أن وعد يسوع غير منطقي. وعلى نقيض آراء مجموعة معينة من اللاهوتيين في هذا العصر، يسوع يؤمن أنه من المناسب لأولئك الذين آمنوا بالله أن يسألوه أن يمنحهم الروح القدس.

وطبقاً ليسوع، هناك شرطان فقط عليها أن يتوفرا للذين ينالون الروح القدس. الله هو الشرط الأول، أن يكون الله هو الآب للشخص الذي وُلِدَ الميلاد الثاني. والشرط الثاني هو أن يسأله عطية الروح القدس.

ومع أن منال الروح القدس يتم حدوثه من خلال وضع الأيدي كما ذُكر في الكتاب المقدس، ولكن تلك ليست بضرورة مُطلقة. إذا أن كل مسيحي يمكنه أن ينال الروح القدس بنفسه وفي مكانه أثناء صلاته. فهو يحتاج ببساطة أن يسأل، ويتلقى بالإيمان، ويبدأ التكلم بالسنة كما يعطيه الروح القدس من كلام.

التخوف الشائع

البعض يخاف الصلاة لأجل منال الروح القدس لربما مخافة أن يُعرضوا أنفسهم لروح الشيطان. ولكن ليس هناك أي أساس لهذا الخوف. فقد وعد يسوع الوعد التالي،

فَإَيُّ أَبٍ مِنْكُمْ يَطْلُبُ مِنْهُ ابْنُهُ خُبْرًا فَيُعْطِيهِ حَجْرًا؟ أَوْ يَطْلُبُ سَمَكَةً فَيُعْطِيهِ بَدَلَ السَّمَكَةِ حَيَّةً؟^{١١}

أَوْ يَطْلُبُ بَيْضَةً، فَيُعْطِيهِ عَقْرَبًا؟^{١٢}

فَإِنْ كُنْتُمْ، أَنْتُمْ الْأَشْرَارُ، تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْ لَا دُكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْأَحْرَى الْآبُ، الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ^{١٣} يَهْبُ الرُّوحُ الْقُدُسُ لِمَنْ يَسْأَلُونَهُ؟

(لوقا ١١: ١١-١٣)

فإن سألنا الله لنتلقى الروح القدس، فسننتلقى الروح القدس، وعلينا ألا نخاف من تلقي أي شيء آخر.

فالبعض يخاف من أنه عندما يتكلمون باللسنة، عندها هم سيتكلمون بأنفسهم كلاماً غير مفهوم عوض عن التكلم بلغة فوق طبيعية معطاة لهم من قبل الروح القدس. ولكن إن حاولت أن تصنع لغة ذات مصداقية قبل أن تعتمد بالروح القدس، فستجد أن ذلك من المستحيل. ولكن يجب أن تعلم أنه عند تكلمك باللسنة عليك أن تستخدم شفاهك ولسانك وأحبالك الصوتية بوعي. فالروح القدس لن يقوم بالتحدث بالنيابة عنك — إذ أن الروح القدس يعطيك الكلام فقط. فهو مساعدنا وليس الفاعل. هنا يتوجب عليك القيام بالكلام كما يعلمنا الكتاب المقدس:

فَامْتَلُوا جَمِيعاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَأَخَذُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ أُخْرَى، مِثْلَمَا مَنَحَهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا. ٤

(اعمال الرسل ٢ : ٤)

وَمَا إِنْ وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَلَّ عَلَيْهِمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، وَأَخَذُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ أُخْرَى وَيَتَنَبَّأُونَ. ٦

(اعمال الرسل ١٩ : ٦)

فبعد أن يسأل المؤمن عطية الروح القدس، عليه أن يؤمن ويتوقع أن يتحدث باللسنة. لأنه يتم منال الروح القدس بالإيمان، ولا ينبغي على المتلقي أن يتوقع اختبار مشاعر معينة أو أحاسيس جسدية. فيجب أن يفتح فاه ويبدأ في التكلم باللغة التي يعطيها الروح القدس له. وإن لم يبدأ المؤمن بالتحدث بالإيمان، فلن يخرج أي كلام من فمه. فيتوجب عليه أن يقوم بالكلام والروح القدس سيزوده بالكلام.

مصدر الكلام

طبقاً لبولس الرسول، عندما يصلي المؤمن باللسنة، عندها عقله ليس الذي يصلي، ولكن روحه:

فَإِنِّي إِن صَلَّيْتُ بِلُغَةٍ مَجْهُولَةٍ، فَرُوحِي تُصَلِّي، وَلَكِنَّ عَقْلِي عَدِيمُ الثَّمَرِ. ١٤

فَمَا الْعَمَلُ إِذَنْ؟ سَأُصَلِّي بِالرُّوحِ، وَلَكِنْ سَأُصَلِّي بِالْعَقْلِ أَيْضاً. سَأَرْتِمُ بِالرُّوحِ، وَلَكِنْ سَأَرْتِمُ بِالْعَقْلِ أَيْضاً. ١٥

(كورنثوس الأولى ١٤ : ١٤-١٥)

فقال بولس أنه عندما كان يصلي باللسنة، كان عقله غير مثمراً. وهذا يعني أن عقله لم يشارك صلاته، ولم يفهم ما كان يصلي به باللسنة. ولذلك بدلاً من أن يستمر في الصلاة دون فهم ما يقوله، قضى بولس الرسول بعض الوقت يصلي بذهنه وبلغته العادية. فهناك نوعان من الصلاة والترنيم، ومن الحكمة أن نقف بالتوازن الذي حافظ عليه بولس.

ولاحظ أنه بالنسبة لبولس التكلم بالسنة كان يخضع لإرادته بقدر التحدث بلغته. فقال "سأصلي بالروح وسأصلي بالذهن أيضاً". وكثيراً ما يدعى النقاد أنه إن كان التحدث بالسنة في العصر الحديث بالحق عطية من الروح القدس، فلن يستطيع الشخص من أن يتحكم بذلك. ولكن التكلم بالسنة في العصر الحديث والقديم على السواء يتم تحت سيطرة الفرد كما خطط الله له. وقد يدعى النقاد أيضاً إن كل من له أيدي وبالطبيعي من صنع الله، لا تحكم لهم على أيديهم لئلا بذلك يقومون بالتكلم بالسنة، وكأنه من يستخدم يديه يتحكم بالله. وحين تعتمد بالروح القدس، يمكنك أن تثبت لنفسك بسهولة أن كلامك بالسنة يأتي من روحك بدلاً من ذهنك. أولاً حاول أن تدخل في الحوار مع شخص ما أثناء قراءتك لهذا الكتاب. فستجد أنك غير قادر أن تفعل كلاً من الأمرين في الوقت ذاته. ومن جهة أخرى ستكتشف أنك قادر على الاستمرار في التكلم بالسنة أثناء قراءتك هذا الكتاب. والسبب يرجع هو أنك لن تستخدم فكرك للتكلم بالسنة – فالكلام يأتي من روحك. وفي حين أنك تستخدم روحك للصلاة، فيمكنك أن تستخدم عقلك للقراءة والفهم.

والآن أنت معتمد بالروح القدس

تذكر أن السبب الأساسي الذي لأجله منحك الله معمودية الروح القدس – هو لتكون قادراً على الشهادة له، بمعنى آخر إظهار ثمار وعطايا الروح القدس (انظر كورنثوس الأولى ١٢: ٤-١١؛ غلاطية ٥: ٢٢ - ٢٣). ذلك بأن تعيش حياتك كيسوع مُظهراً محبته، وفرحه، وسلامه للعالم، طالما أظهرت عطايا الروح القدس الفوق طبيعية، والله سيستخدمك لتجذب الكثيرين له. فالقدرة على التكلم بالسنة هي إحدى "أنهار الماء الحي" وعليها أن تنبع من كيانك الداخلي.

وتذكر أن الله قد وهبنا الروح القدس لكي ما تكون لنا القدرة على كرازة الإنجيل إلى آخر بقاع العالم (انظر اعمال الرسل ١: ٨). وعندما نتكلم بالسنة، يجب أن نعلم أن هذه اللغة التي نتحدث بها ربما أن تكون لغة أصلية لقبيلة في مكان ناءٍ أو أمة أجنبية. وبكل مرة نصلي بالسنة، يجب أن نتذكر أن الله يريد لجميع الناس وبكل لغاتهم أن يتعرفوا على يسوع. علينا أن نسأل الرب لكي ما نعرف إرادته وكيفية إنجاز المهمة العظمى التي أوصانا بها يسوع.

فالتكلم بالسنة هو شيء علينا فعله على قدر الإمكان. بولس الرسول، وهو قوة روحية، كتب

"أشكُر الله لأني أَتَكَلَّمُ بِلُغَاتٍ مَجْهُولَةٍ أَكْثَرَ مِنْكُمْ جَمِيعاً" (كورنثوس الأولى ١٤: ١٨). وكتب بولس هذه الكلمات لكنيسة أفرطت بالتكلم بالسنة (مع العلم أن ذلك لم يحدث بالأوقات المناسبة). ولذلك كان علي بولس أن يتحدث بالسنة أكثر منهم). فالصلاة بالسنة تُساعدنا على البقاء في وعي الروح القدس، الذي يعيش فينا، وسيساعدنا على "الصلاة دون توقف" كما علمنا بولس في تسالونيكي الأولى ٥: ١٧.

وقد علم بولس أيضاً أن التكلم بالسنة أخرى يبني المؤمن (انظر كورنثوس الأولى ١٤: ٤). وهذا يعني انه يساعد على بنائنا الروحي. فالصلاة بالسنة، والتي لربما لا نفهم منها شيئاً على الإطلاق، ولكن بذلك نسعى لتقوية إنساننا الداخلي. والتكلم بالسنة هو زاد يومي في حياة كل مؤمن عليه أن تعمل لأجل كل نواحي حياته الروحية وليس هو اختبار امتلاء بالروح القدس لمرة واحدة فقط.

وأشجعك عندما يتم تعميدك بالروح القدس، أن تقضي وقتاً للصلاة في كل يوم بلغتك الجديدة. وذلك سيدعم حياتك الروحية ونموك الروحي.

إجابات على بعض الأسئلة الشائعة

هل يمكن الادعاء أن أولئك الذين لم يتكلموا بالسنة على أنهم لم يختبروا المعمودية الروح القدس؟ أنا شخصياً لا أعتقد ذلك.

فأنا دائماً ما أشجع الناس أن يتوقعوا التكلم بالسنة عندما أصلي لأجلهم ليعتمدوا بالروح القدس، وحوالي ٩٥% منهم اختبروا ذلك بعد عدة ثواني من بداية صلاتي لهم. ويبلغون الآلاف منهم على مر السنين.

فأنا لا أعني أن المسيحي الذي صلي لأجل المعمودية الروح القدس ولم يتكلم بالسنة على أنه لم يعتمد بالروح القدس، لأنه بالإيمان يتم قبول المعمودية الروح القدس بينما التكلم بالسنة فهو أمر إرادي. وإن سنحت لي الفرصة لأشارك أحد المؤمنين ممن صلوا لأجل المعمودية الروح القدس ولكنه لم يتكلم بالسنة من قبل، أولاً سأريه ببادئ الأمر كل تلك الآيات المذكورة في سفر أعمال الرسل بخصوص هذا الموضوع. وبعد ذلك أوضح له ما كتبه بولس، وكيف أنه كان يتحكم متى يشاء التكلم بالسنة ومتى لم يشاء. وكما بولس، هكذا أنا أيضاً يمكنني أن أتكلم بالسنة في أي وقت أرغب فيه، والقرار يرجع لي، وإن شئت فلن أتحدث أبداً بالسنة على الإطلاق. ومع ذلك يمكن أن أتصور نفسي أنني قد تعمدت بالروح القدس دون أن أتكلم بالسنة لعدم تعاوني مع الروح القدس.

والمرة القادمة، عندما تُتاح لي الفرصة للتحدث مع مسيحي قد صلي بالإيمان من أجل المعمودية بالروح القدس ولم يتكلم بالسنة، سأخبره بدوري أنه غير معتمد بالروح القدس. لكن وبكل بساطة سأشرح عن أن التكلم بالسنة هو ليس أمر يفعله الروح القدس بمعزل عنا. وسأشرح له أن الروح القدس يعطي اللفظ، ولكن علينا أن نقوم بالكلام، كما نفعل عندما نتكلم بلغاتنا الطبيعية بأنفسنا. وبعد ذلك أشجع ذلك الشخص على أن يتعاون مع الروح القدس وأن يُبَاشِر التكلم بالسنة. وأغلبهم على نحو التقريب سيقومون بذلك دون أي استثناء.

ألم يكتب بولس الرسول أن ليس الجميع يتكلمون بالسنة؟

ولسؤال بولس البلاغي، "أَجْمِيعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ؟" (كورنثوس الأولي ١٢: ٣٠) الإجابة واضحة طبعاً وهي "لا"، وهي إجابة تتناسب وباقي العهد الجديد. وسؤاله هذا يأتي في سياق إرشاداته عن عطايا الروح، والتي تظهر جميعها فقط حسب إرادة الروح (أنظر كورنثوس الأولي ١٢: ١١). فكان بولس يُشير وبالتحديد عن عطية الروح القدس من "أنواع السنة مختلفة" (كورنثوس الأولي ١٢: ١٠) والتي طبقاً لبولس الرسول يجب أن تتبعها عطية الروح لترجمة الألسنة. وهذه العطية الثانية لم تكن ما كان يظهره أهل كورنثوس في كنيستهم، حين كانوا يتكلمون بالسنة بشكل عام دون تفاسير. وعلينا أن نتساءل، لماذا يمنح الروح القدس

عطية التحدث باللسنة لشخص في اجتماع عام دون إعطاء تفسير لعطية الروح القدس؟ والإجابة هي أنه لا ينبغي أن يفعل ذلك. وإلا سيكون الروح القدس مُدعماً بشيء خارج إرادة الله.

وهكذا نستنتج وبالتأكيد أن أهل كورنثوس كانوا يصلّون باللسنة بصوت عالٍ أثناء خدمة الكنيسة، دون أي تفسير لتلك الألسنة. وإذا نعلم أن التكلم باللسنة استخدام مختلفان. وأحدهما هو الصلاة باللسنة، والتي أشار بولس إلى وجوب فعلها في الخفاء. وهذا النوع من الاستخدام لا يصاحبه تفسيراً كما كتب بولس " فَأَيُّ إِنِّ صَلَّيْتُ بِلُغَةٍ مَجْهُولَةٍ، فَرُوحِي تُصَلِّي، وَلَكِنَّ عَقْلِي غَدِيمُ الثَّمَرِ " (كورنثوس الأولى ١٤ : ١٤). فمن الواضح أن بولس لم يفهم دائماً ما قاله عندما تكلمه باللسنة. فلم يكن هناك مفهوماً منه، ولا من تفسير له.

والنوع الثاني من التكلم باللسنة تلك المستخدمة أثناء الاجتماعات العامة في الكنيسة، والتي دائماً تكون مُصاحبة وعطية تفسير الألسنة. ويحدث ذلك عندما يحل الروح القدس على شخص ما حسب مشيئته، معطياً له تلك العطية. وذلك الشخص يبدأ في التكلم باللسنة على الملأ، ويتبع ذلك إعطاء تفسيراً. ولكن لا يستخدم الله أي شخص لذلك. وهكذا فقد كتب بولس أنه ليس الجميع يتكلمون باللسنة. وليس الكل يُستخدموا من الله بشكل مفاجئ وعفوي لعطية الله للألسنة، كما أن الله لا يستخدم كل شخص لعطية تفسير الألسنة. وهذه هي الطريقة الوحيدة لتوافق سؤال بولس البلاغي، " أَجْمِيعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ؟ مع باقي ما يعلمه الكتاب المقدس.

فيمكننا أن نتكلم باللسنة متى رغبتنا بذلك، كما فعل بولس. ومن الواضح أنه لن يستطيع أي منا، بولس الرسول كان أم أنا، القول اننا نتكلم باللسنة "كما يشاء وحسب الروح". وانما كما نشاء نحن. فما نفعله حين نرغب لا يمكن أن تكون عطية التكلم باللسنة تحدث عندما نشاء الروح. وبالإضافة لذلك أن بولس مثلي أنا، تحدث باللسنة في الخفاء دون أن يفهم ما كان يتلفظ به، ولذلك هذه لا يمكن أن تكون عطية الألسنة التي تحدث عنها بولس في كورنثوس الأولى، والتي قال عنها أن عليها أن تُصاحب بعطية تفسير الألسنة.

ونادراً ما تكلمت باللسنة في اجتماعات عامة. ولكن قد فعلت ذلك عندما شعرت بحلول الروح القدس عليّ لفعل ذلك، وعلى الرغم من ذلك أنه كان بإمكانني (أن فعل ما فعله أهل كورنثوس) الصلاة باللسنة بصوت عالٍ حين شئت في الكنيسة ودون أي تفسير. وعندما شعرت بحلول الروح القدس عليّ بهذه العطية، كان هناك دائماً تفسيراً يعمل على بنيان الجسد (الكنيسة).

والمخلص، هو أنه يلزم علينا أن نفسر الكتاب المقدس بتوافق. وهؤلاء الذين يخلصون باستنتاج بسبب سؤال بولس البلاغي الموجود في كورنثوس الأولى ١٢ : ٣٠، بأنه ليس على كل مؤمن فد أعطي التكلم باللسنة، فهو يتجاهل العديد من الآيات الأخرى اللواتي لا تتوافقن مع استنتاجه. بسبب هذا الخطأ يفقد ذلك المؤمن كغيره بركات عظيمة من الله.

الفصل الثاني عشر

المرأة في الخدمة

Women in Ministry

بما أن النساء يمثلن أكثر من نصف كنيسة الرب يسوع المسيح عدداً، فمن المهم أن نتعرف على دورهن المعين من قِبَل الله في جسد المسيح. ففي معظم الكنائس والخدمات يعتبر دور النساء عاملاً جديماً بالحياة الكنسية، حيث يقمنّ بمعظم أعمال الخدمة.

مع انه هنالك آراء متضاربة بالنسبة لدور المرأة. فكثيراً ما يتم منع النساء في أماكن معينة على تأدية الخدمة داخل الكنيسة خاصةً تلك التي لها علاقة بالخطابة والقيادة. فالبعض يسمح للمرأة أن تكون قسيصة، والأكثر لا يسمح بشيء كهذا. والبعض يسمح للنساء أن يعظن، والبعض لا يسمح بذلك. إلا أن هناك من يمنع النساء من الكلام بشكل قاطع أثناء الخدمة الكنسية.

ونرى أن أساس عدم الاتفاق هذا مبني على خطيئ بتفسير كلام بولس الرسول بخصوص دور المرأة كما بينه في كورنثوس الأولى ١٤ : ٣٤ - ٣٥ وكذلك في تيموثاوس الأولى ٢ : ١١ - ٢٧. سنركز على هذه الآيات لتكون محور دراستنا وخاصةً في نهاية هذا الفصل.

منذ البداية

وحيث نبداً، دعونا نأخذ بعين الاعتبار ما تعلنه آيات الكتاب المقدس عن المرأة وفي أولى صفحاته. فقد تم خلق المرأة مثل الرجل على صورة الله ومثاله:

فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ^{٢٧}

(تكوين ١ : ٢٧)

ونحن نعلم بالطبع أن الله قد خلق آدم قبل أن يخلق حواء، هذه بالطبع حقيقة تحمل معاني روحية كبيرة طبقاً لما قاله بولس في تيموثاوس الأولى ٢ : ٣. وسنأخذ بالاعتبار هذه الحقيقة الكبيرة لاحقاً إذ سنتفحصها كما شرحها لنا بولس، ولكن دعوني الآن أقول إن هذا الأمر لا يثبت تفوق الرجال على النساء. فنحن نعلم أن الله

قد خَلَقَ الحيوانات قبل الإنسان (أنظر تكوين ١: ٢٤-٢٨)، ولكن ما من أحد سيجادل على أن الحيوانات تتفوق على الإنسان؟^{٥٢}

فقد خُلِقَت المرأة لتكون مساعداً لزوجها (أنظر تكوين ٢: ١٨). وأكرر لمرة أخرى أن هذا لا يثبت تدهورها، إنما ذلك هو دورها في الزواج. كما أن الروح القدس مساعداً لنا، ولكن هذا لا يعني أن الروح القدس بالتأكيد أدنى منا. وعلى العكس الروح القدس في مكانه تفوقنا مقاماً! أيضاً يمكن أن يقال إن الله قد خلق المرأة لتكون مُساعداً لزوجها وهذا يثبت أن الرجل بحاجة للمساعدة! ذاك كان قول الله إنه ليس من الجيد للرجل أن يكون وحيداً (أنظر تكوين ٢: ١٨). وتم ذكر هذه الحقيقة مرات لا تُحصى في التاريخ عندما تُركَ رجلاً وحيداً دون زوجات لمساعدتهم.

وأخيراً، نلاحظ أن المرأة الأولى قد تم تشكيلها من جسد الرجل الأول. إذ قد أُخذت منه، وهذا يُشير إلى حقيقة أن بدونها يفتقد الرجل شيئاً وأنه في الأصل كلاهما كانا كياناً واحداً. وبالإضافة إلى ذلك، ما فرقه الله كان المقصود به إعادة الاتحاد من خلال الرباط الجنسي، ليس فقط بسبب الإنجاب ولكن للتعبير عن الحب والتمتع المشترك وبه يعتمد كل منهما على الآخر.

وكل شيء عن هذه الدروس منذ الخليقة تقف بنقيض لفكرة الجنس الواحد الذي يتفوق بمكانته على الآخر، أو إعطاء الحق لإحدهما للتسلط على الآخر. وحقيقة أن الله قد صمم أدواراً معينة للنساء في الزواج أو في إطار الخدمة تختلف بطبيعتها عن أدوار الرجال، بليس لذلك أي علاقة بمساواتهن بالرجال في المسيح، "لَا فَرْقَ بَعْدَ الْآنَ بَيْنَ ذَكَرٍ وَأُنْثَى" (غلاطية ٣: ٢٨).

المرأة وخدمتها في العهد القديم

بعد أن تم وضع هذا الأساس، دعونا الآن نأخذ بعين الاعتبار بعض النساء في العهد القديم، اللواتي استخدمهن الله لتحقيق أغراضه الإلهية. ومن الواضح أنه في أزمنة العهد القديم أن الله دعي بالأساس رجالاً للخدمة المهنية، والأمر صحيح في العهد الجديد أيضاً. ففي العهد القديم قد خصص الله رجالاً أمثال موسى، هارون، يشوع، يوسف، صموئيل وداود، وعن حياة هؤلاء الرجال وغيرهم نراها تملأ صفحات العهد القديم.

الا اننا نرى أيضاً ظهور الكثيرات من النساء بأدوارهن الفعالة، الأمر الذي يثبت أن الله حر بأن يدعو ويستخدم أي شخص يحلو له.

وقبل أن نُشير إلى نساء مُعينات، علينا أن نذكر أن كل رجال الله العظماء في العهد القديم قد وُلِدُوا وتربوا بأحضان أمهاتهم الأفاضل. فلن يكن لموسى وجود، لولا إمرأته تدعي يوكابد (أنظر خروج ٦: ٢٠). ولن يكون هناك أي من أولئك الرجال العظماء إن لم تلدهم أمهاتهم. فقد أعطيت النساء مسئولية بغاية الأهمية وخدمة جديرة الثناء ألا وهي تربية أطفال الرب (أنظر تيموثاوس الثانية ١: ٥).

^{٥٢} لاحظ أيضاً أن كل رجل قد وُلِدَ من المرأة بعد أن خلق الله آدم والمرأة من بعده. فكل رجل منذ آدم قد جاء من امرأة. كما يذكرنا بولس في كورنثوس الأولى ١١: ١١ - ١٢. وبالتأكيد لن يضع الرجال بدرجة أعلى من أمهاتهم.

ولم تكن يوكابد أمّاً لرجلي الله، موسى وهارون اصحاب الدعوة العليا وحسب، ولكن كانت أيضاً أمّاً لأختيها مريم، والتي كانت نبيه ومرنمة قائدة (أنظر خروج ١٥ : ٢٠). وفي سفر ميخا ٦ : ٤ ، قد وضع الله مريم في نفس المرتبة مثل موسى وهارون كأحد قادة إسرائيل:

لَقَدْ أَخْرَجْتُكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَافْتَدَيْتُكَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَرْسَلْتُ أَمَامَكَ مُوسَى وَهَارُونَ وَمَرْيَمَ. ٤

ومع أن، دور مريم القيادي في إسرائيل بالطبع لم يكن سيادياً مثل دور موسى. وبالرغم من ذلك، فقد تكلمت مريم على لسان الرب كونها نبيه، وأنا أعتقد، وإنه لمن السليم ان نفترض أن رسائل الله من خلالها لم تكن موجهة للنساء فقط بل ولرجال إسرائيل أيضاً.

امرأة قاضية على إسرائيل

وفي عصر قضاة إسرائيل كانت هناك امرأة قد رفع الله من شأنها حتى أصبحت قائدة على شعبها إسرائيل، تلك هي دبورة. وهي أيضاً كانت نبيه وقاضية على إسرائيل بذات المكانة كما لجدون، وجلعاد وشمشون أثناء حياتهم. وما نعلمه أنه " كَانِ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَفْدُونَ إِلَيْهَا لِلْقَضَاءِ " (قضاة ٤ : ٥). يعني أنها قد اتخذت قرارات لأجل الرجال، ولأجل النساء على حدٍ سواء. وليس ثمت من خطأ هنا، نعم! لقد أصدرت امرأة أوامراً وكان على الرجال تنفيذها كما اختار الله لها فعل ذلك.

وكمثل سائر النساء اللواتي يُدْعَيْن من قبل الله للقيادة، واجهت دبورة على الأقل رجلاً واحدا نعرفه، كانت له صعوبة لتلقي كلمة الله على لسان إمراه. هذا الرجل كان يدعى باراق، ولأنه كان متشككاً من إرشادات دبورة النبوية له ليذهب لقتال رئيس الكنعانيين سيسرا، قد أخبرته بأن شرف قتل سيسرا سيُعَاز إلى امرأة. وكانت علي حق، إذ كانت هناك امرأة تدعي ياعيل، والتي ذُكرت في الكتاب المقدس، تلك هي المرأة التي قادت سيسرا إلى الخيمة وقطعت رأسه أثناء نومه (أنظر قضاة ٤). والقصة تنتهي بباراق مغنياً مع دبورة وبالأغنية كلمات مليئة بالشكر لكل من دبورة وياعيل (أنظر قضاة ٥)، لعل باراق منذ ذلك الحين صار يثق "بخدمة النساء".

النبيه الثالثة

والمرأة الثالثة جديرة التقدير كنبية في العهد القديم كانت خُلدة. وقد أستخدمها الله لثُعْطِي إرشادات نبوية موثوقة وليس لأي من الرجال، ولكن لملك اليهودية المضطرب، يوشيا (أنظر ملوك الثاني ٢٢). مرة أخرى نرى مثلاً على استخدام الله لامرأة ليعطي من خلالها إرشاداً لأحد الرجال. فعلى الأرجح أنه تم استخدام خُلدا على درجة منتظمة، وإلا لما كان ليوشيا أن يثق بما تقوله.

وعليه لماذا دعى الله كل من مريم ودبورة وخُلدا كنبيات؟ ألم يستطع أن يدعوا رجالاً عوضاً عنهن؟

فقد كان بإمكان الله أن يدعو رجالاً لعمل ما فعلته تلك النساء على نحو حسن. ولكنه لم يفعل ذلك. لا أحد يعلم لماذا. ولكن ما يجب علينا أن نتعلمه من ذلك هو أن نتوقف عن وضع الله داخل صندوق عندما يتعلق الأمر بدعوة من يدعوه للخدمة.

وعلى الرغم من أنه غالباً ما أختار الله رجالاً لمهام القيادة في العهد القديم، إلا أننا نرى أنه قد أختار نساءً أيضاً في بعض الأحيان.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى تلك الأمثلة الثلاث البارزة لنساء في العهد القديم كُنَّ نبيات. إلا أن بعض الخدمات في العهد القديم لم تُدع النساء إليها على الإطلاق. فعلى سبيل المثال لم يتم دعوة المرأة للكهنوت. إذ أن هناك مهام قد خصصها الله حصراً للرجال.

المرأة وخدمتها في العهد الجديد

من المثير للاهتمام أن نجد في العهد الجديد أيضاً امرأة قد دعاها الله للنبوة. فعندما بلغ يسوع عدة أيام فقط، تعرفت عليه حنة النبيه وبدأت إعلانه مسيحاً:

وَكَاثَتْ هُنَاكَ نَبِيَّةٌ، هِيَ حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوتَيْلَ مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ، وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي السِّنِّ، وَكَانَتْ قَدْ عَاشَتْ مَعَ رَوْحِهَا سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ عَذْرَاوَتِهَا، وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً. لَمْ تَكُنْ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ وَكَانَتْ تَتَعَبَّدُ لَيْلاً وَنَهَاراً بِالصَّوْمِ وَالْدُّعَاءِ. فَإِذْ حَضَرَتْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، أَخَذَتْ تُسَيِّحُ الرَّبِّ وَتَتَحَدَّثُ عَنْ يَسُوعَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ.

(لوقا ٢: ٣٦-٣٨)

فقد كان كلام حنة عن يسوع موجه لأولئك الذين "كانوا يبحثون عن الخلاص في اورشليم". فهذا وبالطبع يشمل الرجال. ولكن من الممكن أيضاً أن حنة كانت تُعلم الرجال عن المسيح.

وهناك نساء أخريات في العهد الجديد اللواتي أستخدمهن الله بعبودية التنبؤ. فمريم أم يسوع كانت بالتأكيد من ضمن تلك المجموعة (انظر لوقا ١: ٤٦-٥٥). فكل مرة يتم قراءة كلماتها النبوية في الكنيسة، يمكن أن يقال إن امرأة تعلم الكنيسة. (وبدون شك قد شَرَفَ الله المرأة بإرسال ابنه للعالم من خلال المرأة، في حين كان بإمكانه فعل ذلك بطرق مختلفة أخرى).

ونستمر بالقائمة. فقد أخبر الله على فم النبي يوشع أنه سيسكب روحه على كل من أبنائه وبناته في إسرائيل ليتنبؤوا (انظر يوشع ٢: ٢٨). وقد أكد بطرس أن نبوة يوشع كانت وبالتأكيد تنطبق على أيامه في العهد الجديد. (انظر أعمال الرسل ٢: ١٧).

وكما نعلم في أعمال الرسل ٢١: ٨-٩ أن لفيلبس المبشر كان أربعة بنات وجميعهن كنا نبيات.

وأيضاً كتب بولس الرسول عن نساء كنَّ يتنبأن في اجتماعات الكنيسة (انظر كورنثوس الأولى ١١: ٥).

وبالاستناد على كل تلك الأمثلة لنسوة قد استخدمهن الله كنبيات وتنبأً، ونحن بالتأكيد ليس لدينا أي سبب إيجابي لنغلق أنفسنا على فكرة أن الله ربما يستخدم النسوة في خدمات كهذه! وعلاوةً على ذلك، أنه ليس هناك ما يقودنا لنعتقد أنه لا يمكن للنساء التنبؤ للرجال نيابةً عن الله.

النساء القسيسات!

فماذا عن خدمة النساء كقسوس؟ يبدو أن الله عنى للرجال أن يشغلوا مكانة القسيس /أو الشيخ/ أو الأسقف:

مَا أَصْدَقَ الْقَوْلَ إِنَّ مَنْ يَرْغَبُ فِي الرَّعَايَةِ فَإِنَّمَا يَتَوَقَّ إِلَى عَمَلٍ صَالِحٍ.^١

إِذْنًا، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الرَّاعِي بِلَا عَيْبٍ، زَوْجًا لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، نَبِيهَا عَاقِلًا مُهَذَّبًا مَضِيئًا، قَادِرًا عَلَى التَّعْلِيمِ.^٢

(تيموثاوس الأولى ٣: ١-٢)

تَرَكَكَ فِي جَزِيرَةٍ كَرِيتَ لِكَيْ تُكْمَلَ تَرْتِيبَ الْأُمُورِ الْبَاقِيَةِ، وَتُقِيمَ شُيُوخًا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ، مِثْلَمَا أَمَرْتُكَ؛^٥

عَلَى أَنْ يَكُونَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بَرِيئًا مِنْ كُلِّ تَهْمَةٍ، زَوْجًا لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، أَبًا لِأَوْلَادٍ مُؤْمِنِينَ لَا يُنْتَهُمُونَ بِالْخَلَاةِ^٦ وَالْتَّمَرَدِ.

(تيطس ١: ٥-٦)

فلم يقصد بولس تحريم هذه المكانة على النساء، الا انه لربما كان يراوده القليل من القلق مما جعله يتوصل الى هذه الاستنتاج متحفظاً. الا انه تبدو في أيامنا أعداداً غفيرة هناك من النساء حول العالم نُشطاء جداً في أدوراهن كقسيسات/ أو شيوخ/ أو أساقفة، وخاصة في الدول النامية، ولكنهن ما زلن أقلية. فربما يدعو الله من حين لآخر بعض النساء لهذا الدور حين يكون ذلك لخدمة ملكوته الحكيم أو عندما يكون هناك نقص في القادة الرجال. ومن الممكن أيضاً أن النساء القسيسات في جسد المسيح مدعوات اليوم لمكانات أخرى صالحة كتابياً للنساء، على سبيل المثال، مكانة النبيه، إلا أن الكنيسة الحالية تسمح لهن فقط بإشغال دور القسوسية.

لماذا مكانة القس/ والشيخ/ والأسقف حصرية للرجال فقط؟ قد يكون فهمنا للمكانة سيُساعدنا على فهم ذلك. فأحدى المُتطلبات الكتابية لكل من القس / والشيخ/ والأسقف هي:

يُحْسِنُ تَدْبِيرَ بَيْتِهِ، وَيُرَبِّي أَوْلَادَهُ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ احْتِرَامٍ.^٤

فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُحْسِنُ تَدْبِيرَ بَيْتِهِ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟^٥

(تيموثاوس الأولى ٤-٥)

فهذا المطلب يبدو معقولاً جداً عندما ندرك أن الشيخ في العهد الجديد كان يُشرف على كنيسة صغيرة. ودوره كان مُشابهاً لدور أب الأسرة. وهذا يُساعدنا أن نفهم لماذا يجب على الرجال أن يشغلوا مكانة القسيس – ذلك لأنها قريبة جداً لهيكل الأسرة، والذي تم تصميمه من قبل الله، وحسب هذا التصميم ينبغي على الرجل (الزوج) قيادة الأسرة، وليست هي مكانة الزوجة. وسندرس لاحقاً عن ذلك بشكل مستفيض.

النساء الرسولات

من اضطلاعنا السابق ندرك وبشكل قاطع أنه يمكن للمرأة أن تخدم بدورها كنيبة (إن كانت مدعوة من الله). فماذا عن الأنواع الأخرى من الخدمات؟ عندما نقرأ تحية بولس في رومية ١٦ ذلك ما يسلط الضوء على تشييده للعديد من النساء اللواتي كنَّ يخدمن ملكوت الله. ولربما تم ذكر إحداهن كرسولة. ففي هذه الاقتباسات الثلاثة التي سنتبع، أنا قد أفرزت أسماء الثلاث نساء:

وَأَوْصِيَكُمْ بِفِيبِي أُخْتِنَا الْخَادِمَةِ فِي كَنِيسَةِ كَنْخَرِيَّا: ١

فَأَقْبَلُوهَا فِي الرَّبِّ قَبُولاً يَلِيقُ بِالْقَدِيسِينَ وَقَدِّمُوا لَهَا أَيَّ عَوْنٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ، لِأَنَّهَا هِيَ كَانَتْ مُعِينَةً ٢
لِكَثِيرِينَ وَلِي أَنَا أَيْضاً.

(رومية ١٦: ١ - ٢)

ياله من إقرار، فنحن لا نعلم بالتحديد ما هي الخدمة التي قامت بها فيبي، ولكن بولس دعاها "خادمة في كنيسة كنخريا" و "مُعينة للكثيرين"، وهو منهم. فلا بد أن ما كانت تفعله للرب كان شيئاً عظيماً وهو مبرراً من قبل بولس لتأييد كنيسة روما بأكملها لها. وبعد ذلك سنقرأ عن برسكيلا وزوجها أكيلا وخدمتهما العظيمة التي جعلت كل كنائس الأميين تكن لهما كل التقدير:

سَلِّمُوا عَلَى بَرِسْكَالَا وَأَكِيلَا، مُعَاوَنِيَّ فِي خِدْمَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ، ٣

الَّذَيْنِ عَرَّضَا عُقْبَهُمَا لِلدَّبْحِ إِنْقَازاً لِحَيَاتِي، وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي شَاكِراً لَهُمَا بَلْ جَمِيعُ كَنَائِسِ الْأُمَمِ أَيْضاً. ٤

وَسَلِّمُوا عَلَى الْكَنِيسَةِ فِي بَيْتِهِمَا. سَلِّمُوا عَلَى أَبِينْتُوسَ، حَبِيبِي الَّذِي هُوَ بَاكُورَةُ لِلْمَسِيحِ مِنْ مُقَاطَعَةِ أَسِيَّا. ٥

سَلِّمُوا عَلَى مَرْيَمَ الَّتِي أَجْهَدَتْ نَفْسَهَا كَثِيراً فِي خِدْمَتِنَا مِنْ قَبْلُكُمْ. ٦

سَلِّمُوا عَلَى أَنْدْرُونِيكُوسَ وَيُونِيَّاسَ، قَرِيبِيَّيِ اللَّذَيْنِ سَجَنَا مَعِي، وَهُمَا مَشْهُورَانِ بَيْنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ كَانَا فِي الْمَسِيحِ قَبْلِي. ٧

(رومية ١٦: ٣ - ٧)

وبالنسبة ليونياس، فمن المنطقي أن نعتقد أن هذا الشخص كان "متميزاً بين الرسل" ويمكن أن يكون رسولاً. وإن كانت الترجمة الصحيحة هي يونيا فهذا يعني أنها امرأة رسولة. برسكلا ومريم كانتا تعملان بخدمة الرب.

سَلِّمُوا عَلَى أُمِّلِيَّاسَ، حَبِيبِي فِي الرَّبِّ.^٨

سَلِّمُوا عَلَى أَوْزُبَانُوسَ، مُعَاوِنًا فِي خِدْمَةِ الْمَسِيحِ، وَعَلَى إِسْتَاخِيَسَ، حَبِيبِي.^٩

سَلِّمُوا عَلَى أَيْلَسَ، الَّذِي بَرَهَنَ عَنْ ثَبَاتِهِ فِي الْمَسِيحِ. سَلِّمُوا عَلَى دَوِي أَرَسْتُوبُولُوسَ.^{١٠}

سَلِّمُوا عَلَى هِيرُودِيُونَ، قَرِيبِي. سَلِّمُوا عَلَى دَوِي نَرْكِسُوسَ الَّذِينَ فِي الرَّبِّ.^{١١}

سَلِّمُوا عَلَى تَرِيفِينَا وَتَرِيفُوسَا اللَّتَيْنِ تُجْهِدَانِ نَفْسَيْهِمَا فِي خِدْمَةِ الرَّبِّ. سَلِّمُوا عَلَى بَرَسِيَسَ الْمَحْبُوبَةِ، الَّتِي^{١٢} أَجْهَدَتْ نَفْسَهَا كَثِيرًا فِي خِدْمَةِ الرَّبِّ.

سَلِّمُوا عَلَى رُوفُسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ، وَعَلَى أُمِّهِ الَّتِي هِيَ أُمُّ لِي.^{١٣}

سَلِّمُوا عَلَى أَسِينُكْرِيتُسَ، وَفَلِغُونَ، وَهَرْمَسَ، وَبَثْرُوبَاسَ، وَهَرْمَاسَ، وَعَلَى الْإِخْوَةِ الَّذِينَ مَعَهُمْ.^{١٤}

سَلِّمُوا عَلَى فِيلُولُغُوسَ، وَجُولِيَا، وَنِيرِيُوسَ، وَأَخْتِهِ، وَأُولْمَبَاسَ، وَعَلَى جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ مَعَهُمْ.^{١٥}

(رومية ١٦: ٨ - ١٥)

فمن الواضح انه ممكن للنساء أن يكنَّ "عاملات" في الخدمة.

النساء كمعاملات؟

ماذا عن النساء المعاملات؟ فالعهد الجديد لم يذكر لنا أي شيء عن ذلك. وبالطبع، الكتاب المقدس لم يذكر أيضاً أن الرجال مدعوون ليكونوا معلمين. برسكلا المذكورة أعلاه، زوجة أكيل، كانت تُعلم على الأقل مجموعة صغيرة. فعلى سبيل المثال عندما سمع برسكلا وأكيل أبو لولو يعظ بالإنجيل في أفسس، "أَخَذَاهُ إِلَيْهِمَا وَأَوْضَحَا لَهُ طَرِيقَ اللَّهِ بِأَكْثَرِ دِقَّةٍ" (أعمال الرسل ١٨: ٢٦). فمن الواضح وغير قابل للجدل أن برسكلا ساعدت زوجها بعملية تعليم أبو لولو، وهو رجل. وبالإضافة إلى ذلك، لقد ذكر بولس الرسول برسكلا وأكيل مرتين في كتاباته "الكنيسة التي في بينهم" (أنظر رومية ١٦: ٣-٥؛ كورنثوس الأولى ١٦: ١٩)، ودعى كلاهما "معاوني خدمة المسيح" في رومية ١٦: ٣. فهناك شك ضئيل بأن لبرسكلا كان دوراً فعالاً في الخدمة الى جانب زوجها.

عندما دعى يسوع النساء لتعليم الرجال

قبل أن نتطرق لكلمات بولس عن صمت النساء في الكنيسة ومنعهن من تعليم الرجال، دعونا نأخذ بالاعتبار آية واحدة لتساعدنا على توازن ذلك.

عندما قام يسوع من الأموات، طلب الملاك من ثلاث نساء على الأقل ليُخبروا تلاميذ يسوع الرجال. فقد تم إعلام أولئك النساء على حقيقة قيامة يسوع، وأنه سيظهر لهم في الجليل. وهذا ليس بعد كل ما في الأمر. فبعد وقتٍ قصير ظهر يسوع بنفسه لأولئك النسوة وطلب منهنَّ إخبار تلاميذه أن يذهبوا إلى الجليل (متى ٢٨: ١-١٠؛ مرقس ١٦: ١-٧).

أولاً، أنا أعتقد أنه لأمرٌ عظيم أن يختار يسوع إظهار ذاته للنساء أولاً ومن بعد ذلك للرجال. ثانياً، إن كان هناك أي شيء خاطئ أساسياً أو أخلاقياً بتعليم النساء للرجال، فيمكن لأحدهم أن يفكر لماذا طلب يسوع من النساء لأن يخررنَّ الرجال عن قيامته، فهذه ليست بمعلومة تافهة، وكان بإمكانه أن يفعل ذلك بنفسه (وهو قد فعل ذلك في الحقيقة). فلا أحد يمكنه أن يجادل تلك الحقيقة: وهي أن الله قد أرشد النساء ليخبروا الرجال عن حقيقة قيمة كهذه وأن يعطوا بعض الإرشادات الروحية لبعض الرجال.

فقرات مثيرة للمشاكلة

وعليه لدينا الآن بعض الفهم عما يُعلمه الكتاب المقدس عن دور النساء في الخدمة، ويمكننا الآن أن نفسر الفقرات التي تُشير إلى كتابات بولس. دعونا أولاً نتطرق إلى اعتبار كلماته عن حفاظ النساء على الصمت في الكنائس:

لِتَصْمُتِ النِّسَاءُ فِي الْكَنَائِسِ، فَلَيْسَ مَسْمُوحاً لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكُنَّ خَاضِعَاتٍ، عَلَى حَذِّ مَا^{٣٤} تُوصِي بِهِ الشَّرِيعَةُ أَيْضاً.

وَلَكِنْ، إِذَا رَغِبْنَ فِي تَعْلُمِ شَيْءٍ مَا، فَلْيَسْأَلْنَ أَرْوَاجَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ عَارٌّ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي^{٣٥} الْجَمَاعَةِ.

(كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤-٣٥).

هناك ثمت سؤال يجمع بين أسباب عديدة، إن إرشادات بولس كانت وببساطة اقتباساً لما كتبه أهل كورنثوس له. ومن الواضح أن بولس في النصف الثاني من رسالته لأهل كورنثوس كان يُجيب على أسئلة قد أرسلوها له (أنظر كورنثوس الأولى ٧: ١، ٢٥، ٨: ١، ١٢: ١، ١٦: ١، ١٢).

بالإضافة إلى ذلك، في الآية التالية، كتب بولس ما يمكن اعتباره رد فعل على نهج أهل كورنثوس بما يتعلق وإصمات النساء في الكنائس:

أَمِنْ عِنْدِكُمْ انْطَلَقَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ، أَمْ إِلَيْكُمْ وَحْدَكُمْ وَصَلْتُ؟ (كورنثوس الأولى ١٤: ٣٦)

وفي ترجمة الملك جيمس لهذه الآية تُبرز اندهاش بولس بأكثر حدة على سلوك أهل كورنثوس:

ماذا؟! هل انطلقت كلمة الله منكم؟ أم خلت عليكم وحدكم! (كورنثوس الأولى ١٤: ٣٦).

و على أي حال، فمن الواضح أن بولس كان يسأل هذين السؤالين بصيغة بلاغية. والإجابة لكلاهما هي لا. فليس أهل كورنثوس هم مصدر كلمة الله ولم يقتصر إعطاء كلمة الله لهم وحدهم. وهكذا فإن تساؤلات بولس هي توبيخية بسبب غرورهم. وإن كان هذا هو رد فعله لهاتين الآيتين السابقتين، فيبدو وكأنهم يقولون له "ماذا تعتقد نفسك؟ ومنذ متى أصبحت أنت صانع القرارات المتعلقة بمن يمكن الله استخدامه ليتكلم بكلمته؟ فيمكن الله أن يستخدم النساء وما أنت إلا أحمق لتصمتهم.

لهذا التفسير يبدو موضوعي عندما نأخذ في الاعتبار أن بولس قد أوضح وبنفس الرسالة الطريقة الصحيحة التي بها ينبغي للنساء أن يتنبأن في الكنائس (كورنثوس الأولى ١١: ٥)، الأمر الذي يعني هذا يتطلب عدم إصماتها. وعلاوة على ذلك نلاحظ بآيات أخرى أن بولس قد سبق وحث أهل كورنثوس في سياق ما ذكرناه أنفأ به^{٥٣}، وهذا يشمل النساء أيضاً عندما قال "تَشَوُّقُوا إِلَى التَّنْبُوءِ" (كورنثوس الأولى ١٤: ٣٩). وكأنه يناقض نفسه إن كان بالفعل يأمر وبشكل صارم أنه على النساء أن يصمتن في اجتماعات الكنيسة في ١٤: ٣٤-٣٥.

احتمالات أخرى

دعونا للحظة ومن باب الافتراض أن كلماته في كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤-٣٥ وهي كلمات بولس الأصلية، على أنه كان يأمر النساء بأن يصمتن. فكيف ينبغي علينا تفسير ما قاله؟

هذا يُثير فينا التعجب لتساءل لماذا يا ترى صرح بولس بذلك؟ لماذا يطلب من النساء الحفاظ على الصمت في اجتماعات الكنيسة، في حين أنه قد ذكر في ذات الإصحاح أنه يمكنهم أن يصلين علانية ويتنبأن وهذا كله في اجتماعات الكنيسة.

وزد على ذلك، أن بولس وبكل تأكيد كان يعلم جيداً مواقف معينة ذكرت في الكتاب المقدس بها قد استخدم الله نساءً ليتكلمن بكلمته علانية، حتى للرجال. فلماذا الآن يُصمت كل هؤلاء اللواتي أختارهم الله ليتكلمن؟

طبقاً ومن المنطق لم يقصد بولس بكلامه أن على النساء أن يصمتن بشكل كلي أثناء اجتماعات الكنيسة. عالمين أن اجتماعات الكنيسة كانت تحدث في المنازل حين كانوا يتشاركون الطعام معاً. فهل علينا أن نتصور أن النسوة لم يتحدثن معاً البتة منذ دخولهم المنزل حتى وقت مغادرتهم إياه؟ هل لم يتحدثن أثناء إعدادهن للطعام أو أكله؟ هل لم يقلن أي شيء لأطفالهن طوال الوقت؟ هذا الفكر يبدو غير معقول.

وحيث دُكرَ "إن أجمع اثنين أو ثلاثة" باسم يسوع فهو يكون في وسطهم (أنظر متى ١٨: ٢٠)، هذا بالتأكيد يشمل اجتماعات الكنيسة، ماذا عندما تجتمع اثنتين من النساء معاً باسم يسوع، هل ينبغي عليهن ألا يتحدثن؟

^{٥٣} فظة بولس كانت موجهة للأخوة، وهذا تعبير قد استخدمه ٢٧ مرة في هذه الرسالة، ومن الواضح أنه كان يشير لجسد المسيح كله وليس الرجال فقط.

لا، فإن كان وبالتأكيد كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤-٣٥ هي من إرشادات بولس، فهو ببساطة كان يتحدث عن مشكلة صغيرة. فبعض النسوة كنَّ غير منظمات في طرح الأسئلة. فلم يقصد بولس أن على النساء أن يصمتن تماماً أثناء الاجتماع منتظمت بأكمله، قد أعطي إرشادات مماثلة في آيات سابقة للأنبياء، ليحافظوا على الصمت أثناء الاجتماع بأكمله:

ولكن إن هناك إعلان لأحد الأنبياء الآخرين الجالسين، فليصمت المتكلم أولاً (كورنثوس الأولى ١٤: ٣٠).

وفي هذه الحالة، كلمات "حافظوا على الصمت" تعني "الامتناع عن الكلام مؤقتاً". وقد أرشد بولس هؤلاء الذين يتكلمون بالسنة أن يلزموا الصمت ما لم يكن هناك تفسير في الاجتماع.

"وَلْيَتَرْجِمِ أَحَدُكُمْ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ مُتَرْجِمٌ، فَعَلَى الْمُتَكَلِّمِ أَلَّا يَقُولَ شَيْئاً أَمَامَ الْجَمَاعَةِ، بَلْ أَنْ يَتَحَدَّثَ سِرّاً مَعَ نَفْسِهِ وَمَعَ اللَّهِ." (كورنثوس الأولى ١٤: ٢٨).

هل كان بولس يأمر هؤلاء الأشخاص أن يلتزموا الصمت أثناء الاجتماع بأكمله؟ لا، فهو يأمرهم بالصمت حين لم يكن هناك ترجمة عندما تكلموا بالسنة. ويجب أن نلاحظ أن بولس طلب منهم أن "يلزموا الصمت في الكنيسة"، وهو نفس الأمر الموجه للنساء في كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤-٣٥. وهكذا، يمكننا أن نفسر كلام بولس أن على النساء أن يصمتن أثناء اجتماع الكنيسة بأكمله، وبعد ذلك نترجم كلماته عن المتحدثين بالسنة من غير المنتظمين على أنهم "يتمتعوا عن الكلام في أوقات معينة أثناء الاجتماع؟

وأخيراً لاحظ أن بولس لم يتحدث عن سائر النساء في هذه الفقرة التي تناولناها. فهذه الكلمات كانت موجهة فقط للنساء المتزوجات لأنه أمرهن بأن "يسألوا أزواجهن في المنازل" أن كان لديهن أسئلة^{٥٤}. ولربما المشكلة جزئياً أو كاملاً تتعلق تلك النسوة المتزوجات اللواتي كنَّ يسألن رجالاً غير أزواجهن. وهذا الأمر ربما يبدو غير لائق ويمكن أن يصل الي درجة عدم الاحترام والتقصير في الخضوع لأزواجهن. وإن كان هذا ما يشير إليه بولس، فلهذا يمكن أن يبنى دفاعه على هذه الحقيقة وهو انه يجب على النساء الخضوع لأزواجهن، كما وضع الناموس بطرق كثيرة على الصفحات الأولى من سفر التكوين (أنظر كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤).

والخلاصة، إن كان بولس الرسول في الحقيقة قد أعطى إرشاداً يحث به النساء التزام الصمت في كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤-٣٥، فهو فقط يُريد للنساء المتزوجات أن يهدأن بشأن طرح الأسئلة بعض الأسئلة في الوقت الغير مناسب او بطريقة غير موقرة لأزواجهن.

وما عدا ذلك بإمكانهن التنبؤ والتكلم والصلاة.

^{٥٤} علينا ملاحظة الترجمة اليونانية الأصلية، لا يوجد هناك اختلاف بين كلمة امرأة وزوجة وبين رجل وزوج. ولذلك يجب أن نفرق من السياق إن كان الكاتب يتحدث عن رجالاً ونساءً أم أزواج وزوجات. ففي هذه الفقرة التي ندرسها، بولس كان يتحدث عن الزوجات، لأنهن هم فقط الذين كانوا باستطاعتهم أن يسألوا أزواجهن.

فقرة أخرى تثير المشكلة

وأخيراً وصلنا إلى الفقرة المشكلة الثانية، وهي موجودة في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس:
عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَلَقَّى التَّعْلِيمَ بِسُكُوتٍ وَبِكُلِّ خُضُوعٍ.^{١١}

وَلَسْتُ أَسْمَحُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ. بَلْ عَلَيْهَا أَنْ تَلْزَمَ السُّكُوتَ.^{١٢}

ذَلِكَ لِأَنَّ آدَمَ كَوْنًا أَوَّلًا، ثُمَّ حَوَاءُ:^{١٣}

وَلَمْ يَكُنْ آدَمُ هُوَ الَّذِي انْخَدَعَ (بِمَكْرِ الشَّيْطَانِ)، بَلِ الْمَرْأَةُ انْخَدَعَتْ، فَوَقَعَتْ فِي الْمَعْصِيَةِ.^{١٤}

(تيموثاوس الأولى ٢: ١١-١٤)

وبالتأكيد كان بولس على دراية بمريم، دبورة، خُلدا وجنة، أربعة نبيات تكلمن بالنيابة عن الله إلى رجال ونساء، معلمين إياهم مشيئة الله بشكل مؤثر. وبالتأكيد كان على علم أن دبورة كانت قاضية على إسرائيل، ومارست بدرجة معينة بعض السلطة على رجال ونساء. وأيضاً عَلِمَ أن الله سكب روحه القدوس في يوم الخمسين، ليحقق بشكل جزئي نبوءة يوثيل أن الله في آخر الأيام سيسكب روحه على أجساد أبنائه وبناته ليتنبؤوا بكلمة الله. وقد عَلِمَ بالتأكيد أن يسوع قد حَمَلَ بعض النسوة رسالة منه لكي ينقلنها للرسول المذكور. وبالتأكيد كان على علم بكلماته التي كتبها لأهل كورنثوس مُصرحاً للنساء أن يُصَلِّينَ ويتنبئنَ أثناء اجتماعات الكنيسة. وبالتأكيد أنه قد تذكر عندما أخبر أهل كورنثوس أن كل منهم يمكنه أن يحصل على نعمة التعليم الروحاني وإن يشاركها مع الآخرين في الجسد (أنظر كورنثوس ١٤ : ٢٦). فماذا كان يعني عندما كتب هذه الكلمات إلى تيموثاوس؟

لاحظ أن بولس هنا كان يستشهد بحقيقتين من سفر التكوين كأساس لإرشاداته: (١) أن آدم خُلِقَ قبل حواء و (٢) أن حواء هي التي تم خدعها، وسقطت في الخطية وليس آدم. فالحقيقة الأولى تعبّر عن العلاقة بين الزوج والزوجة. كما تعلمنا الخليقة أن الزوج هو الرأس، وهذا شيء يعلمنا إياه بولس في مكان آخر. (انظر كورنثوس الأولى ١١ : ٣، أفسس ٥ : ٢٣-٢٤).

الحقيقة الثانية التي ذكرها بولس لا تعني إن إخداع النساء أسهل من إخداع الرجال، لأن ليس هذا ما يحدث. وحيث أن عدد النساء في جسد المسيح يزيد على عدد الرجال، لذلك فإن مسألة إخداع الرجال ستكون أسهل من إخداع النساء. ولكن الحقيقة الثانية توضح لنا أنه عندما يعطي الله أمراً للعائلة ويتجاهلوه، فذلك يعطي فرصة للشيطان يحاول بها الدخول. فأصل المشكلة البشرية بدأت في الجنة عندما تحولت العلاقة بين الزوج والزوجة لتصير غير منتظمة — إلى أن أدى لعدم خضوع حواء لزوجها آدم. فلابد وأن آدم قد حذر زوجته بما أمره الله بشأن عدم الاقتراب لتلك الشجرة (تكوين ٢ : ١٦-١٧، ٣ : ٢-٣). ومع ذلك هي لم تسلك حسب هذا الأمر. وهكذا فقد مارست سلطتها عليه عندما أعطته الفاكهة المحرمة ليأكلها (أنظر تكوين ٣ : ٦). وفي هذا الوضع لم يكن آدم هو القائد، بل حواء هي التي كانت القائمة لآدم. والنتيجة كانت كارثية.

الكنيسة - نموذج للعائلة

القصد الإلهي للترتيب الأسري عليه أن يظهر من خلال الكنيسة. كما ذكرت سابقاً أن الكنائس كانت صغيرة أثناء الثلاث مئة سنة الأولى من تاريخ الكنيسة. والاجتماعات كانت تحدث في المنازل. فالقسيس / أو الشيخ / أو الأسقف كانوا مثل الآباء في المنازل. فهذا الهيكل المحدد المعين من قِبَل الله كان قريباً جداً من بنية الأسرة، وفي الحقيقة كانت الكنيسة عائلة روحية، وعليه فإن قيادة المرأة لها يمكن أن تعكس رسالة خاطئة

للعائلات من داخل الكنيسة كانت أم خارجها. تخيل امرأة كقس / أو شبيخة / أو أسقف تُلّم وبشكل دائم في الكنيسة البيئية، وزوجها جالساً هناك مُطيعاً، يستمع لتعاليمها وخاضعاً لسلطانها. ذلك سيكون على عكس الترتيب الإلهي للأسرة وسيعكس صورة خاطئة.

ذلك ما أشارت إليه كلمات بولس. (أنظر تيموثاوس الأولى ٣: ١-٧)، ولاحظ أيضاً أن الشيوخ كان عليهم أن يعلموا وبشكل دائم في الكنيسة (أنظر تيموثاوس ٥: ١٧). فكلمات بولس بخصوص تلقى النساء للإرشادات بهدوء دون السماح لهنّ بممارسة سلطتهنّ على الرجال متعلقة بالترتيب الصحيح في الكنيسة. فما يصفه بالأمر الغير لائق أن تُمارس النساء أدوار الشيخ / أو القسيس / أو الأسقف بشكل جزئي أو كلي.

لكن لا يعني هذا أن النساء / أو الزوجات وتحت خضوعهن لأزواجهن، لا يمكنهن الصلاة، أو التنبؤ، أو إن يتلقين التعليم ليشاركن في الجسد، أو التحدث بشكل عام أثناء اجتماعات الكنيسة. فيمكنهن فعل كل ذلك دون التعدي على الترتيب الإلهي، ويمكنهن فعل ذلك في الكنيسة، أم في المنزل دون التعدي على ترتيب الإلهي. والغير مسموح لهن فعله في الكنيسة، لا يسمح لهن فعله في المنزل أيضاً — أي ممارسة سلطتها على زوجها.

نلاحظ في آية لاحقة إمكانية مزاوله النساء للخدمة بمهمة الشماس كما الرجال (تيموثاوس الأولى ٣: ١٢). فالخدمة في الكنيسة كشماس، أو كخادم وهذا هو المعنى الأصح لهذه الكلمة، لا تؤدي إلى خرق بالترتيب الإلهي فيما يتعلق بالعلاقة بين الزوج والزوجة.

تلك هي الطريقة الوحيدة التي أرى أنّ بإمكانها أن تدمج وبانسجام ما قاله بولس في تيموثاوس الأولى ٢: ١١ - ١٤ مع بقية تعاليم الكتاب المقدس. ففي كل حالة كتابية أستخدم فيها الله النساء، لم يخدم أي منهما كنموذج الأسرة كما للكنيسة، وبالتالي فليس هناك تعدى أي منهما على الترتيب الإلهي. فلا نجد في أي نموذج غير مُليق لزوجات يمارسن السلطة على أزواجهن في إطار الأسرة. ولمرة أخرى، تصور أن هناك اجتماع مكوّن من عدة أسر بمنزل وفيه تتولى الزوجة القيادة من حيث التعليم والإشراف، حيث يجلس زوجها بين الحضور ويخضع لقيادتها. وهذا ليس ما يرغب الله فيه، إذ هو يتناقض لترتيبه للعائلة.

ولكن كون دבורه قاضية، أو كون جنة قد أخبرت الرجال عن المسيح، أو مأمورية مريم وصديقاتها أن يخبرن التلاميذ بقيامة يسوع، ليس أي من هذه الحالات يُبعث الرسالة الخاطئة أو أي منها بأي طريقة يُعتبر تعدى على ترتيب الله لوحدة العائلة. فاجتماع الكنيسة هو وضع خاص به قد يظهر الخطر في حالة عكس رسالة خاطئة إن مارست النساء أو الزوجات السلطة في تعليم الرجال والأزواج بشكل دائم.

الخلاصة

إن سألنا أنفسنا "ما عسى أن يكون الخطأ الأساسي حين تركز النساء على الخدمة، خادمين آخرين بقلب رحمة مستخدمات عطايا الله المعطاة لهن؟ فما هو المبدأ المعياري أو الأخلاقي الذي تم خرقه أو التعدي عليه؟ ولهنه سندر ك أن التعدي الوحيد والممكن هو عندما تؤثر خدمة المرأة بشكل ما على ترتيب الله لنظام العلاقة بين الرجل والمرأة، أو الأزواج وزوجاتهم. ففي كلتا الحالتين " الفقرات المثيرات للمشكلة" المأخوذتين بالاعتبار، يشير بولس من خلالهما إلى الترتيب الإلهي في الزواج كأساس اهتمامه.

ولذلك ندر ك أن دور النساء محدود في الخدمة بمجالات صغيرة فقط. من ناحية أخرى نرى أن الله قد استخدم ويستخدم النساء لمجده بطرق عديدة، وهذا ما فعله عبر الاف السنين. فالكتاب المقدس يحدثنا عن إسهامات النساء الإيجابي في صنع ملكوت الله، كما سبق وذكرنا بعضها. دعونا ألا ننسى أن بعض الأصدقاء المقربين ليسوع كن من النساء (أنظر يوحنا ١١: ٥)، وأن النساء قد دعمن خدمته مادياً (أنظر لوقا ٨: ١-٣)، وهو أمر لم يقال عن أي من الرجال. فالمرأة السامرية التي تقابل معها يسوع عند البئر تحدثت عن المسيح مع رجال من قريتها، والكثيرين منهم آمنوا به (أنظر يوحنا ٤: ٢٨-٣٠، ٣٩). كانت تلميذه تدعي طابيثا قيل عنها "انه كان يشغلها دائماً فعمل الخير ومساعدة الفقراء" (اعمال الرسل ٩: ٣٦). وكانت امرأة تلك التي دهنت يسوع كإعداد للدفن، وأشاد لها يسوع في حين انتقدها بعض الرجال على فعل ذلك (انظر مرقس ١٤: ٣-٩). وأخيراً، الكتاب المقدس يسجل أن النساء قد نحن عندما حمل يسوع صليبه وسار به في شوارع أورشليم، وهذا أمر لم يقال عن الرجال. فأمثلة عديدة مثل هذه وأكثر يجب أن تشجع النساء على القيام ومزاولة الخدمات المعنية لهن من الله. ونحن جميعاً بحاجة لهن!

الفصل الثالث عشر

الطلاق والزواج الثاني

Divorce and Remarriage

إنَّ الطلاق والزواج الثاني يعتبر موضوع نقاش لكثيراً ما يدور الحديث عنه في أوساط المسيحيين المخلصين. والسؤالان الأساسيان لهذا النقاش هما: (١) منذ متى يا ترى كان الطلاق مقبولاً لدى الله؟ و(٢) منذ متى كان الزواج الثاني مقبولاً لدى الله؟ ولمعظم الطوائف والكنائس المستقلة موقفاً مذهيباً رسمياً عما يمكن اعتباره مسموحاً به أو غير مسموح به، وكل ذلك يُبنى على تفسيرات معينة للكتاب المقدس. وعلينا احترام جميعهم حيث أنهم يعيشون حسب اقتناعات — شريطة أن تكون تلك الاقتناعات مُقادة بحبهم للرب. ومن المفضل أن تكون تلك الاقتناعات مؤسسة على الكتاب المقدس بشكل مُطلق ١٠٠%. فالخادم صانع التلاميذ لا يتوجب عليه أن يعلم ما هو أقل من مشورة الله ولو بقليل. ولا ينبغي عليه أن يضع أحمالاً على الناس لا يريد الله لهم أن يحملوها. وسأبذل كل جهدي لأفسر الآيات التي تتعلق بهذا الموضوع من مُنطلق فهمي الفكري وسأدعمكم تقررون بأنفسكم إن كنتم تتفقون معي أم لا.

دعوني أستهل كلامي بأنني مثلكم حزناً بسبب انتشار الطلاق في عالمنا اليوم. والأمر الذي يزيد حزني هو أن الكثير من المؤمنين المسيحيين ينهون علاقاتهم الزوجية بالطلاق وهذا يشمل أولئك العاملين في الخدمة. وتلك هي كارثة كبيرة. علينا أن نتصدى ونعمل ما بجهدنا لنمنع حدوث هذه الكارثة، وأفضل حل لمشكلة الطلاق هو الوعظ بالإنجيل ودعوة الناس للتوبة. فعندما يتزوج شخصان مولودان الميلاد الثاني وبالحق يتبعان المسيح فلن يكون الطلاق خياراً لهما على الإطلاق، فلن يتطلقا أبداً. والخادم صانع التلاميذ سيفعل ما بجهدة ليجعل زواجه قوياً، عالماً أنه يصنع أثر ذلك مثلاً مؤثراً يُضفي وقعاً ومعنى على تعاليمه.

أما بالنسبة لي شخصياً فيمكن أن أضيف أنني متزوج سعيد ومنذ ٣٠ عاماً، ولم يحدث أنني تزوجت من قبل. ولا يمكنني أن أتصور نفسي مُطلقاً. ولذلك ليس لدي أي دافع لتخفيف من حدة آيات الطلاق الصعبة لمصلحتي الشخصية. وعلى الرغم من ذلك يعتريني شعوراً قوياً من الأسى اتجاه أولئك المطلقين، عالماً أنه كان من المحتمل لي أنا نفسي أن أتخذ ذلك القرار السيئ يوماً من أيام شبابي، بأن أتزوج من سيدة وأخطئ للطلاق منها في وقت لاحق، أو أن أتزوج ممن تتسامح معي أقل مقارنةً من تلك التي تزوجت منها. بمعنى آخر، كان بالإمكان أن ينتهي بي الحال مُطلقاً، وبنعمة الله ذلك لم يحدث. أنا أعتقد أن معظم المتزوجين يمكن أن يتفقوا مع قلبي، وبالوقت ذاته علينا أن نمتنع من إلقاء الحجارة على أولئك المطلقين. فمن نحن، من أصحاب الزيجات الموفقة، لندين هؤلاء المطلقين، إذ لا نعلم ما كان عليهم احتمالاه؟ فربما كانت إرادة الله لهم أن يكونوا أكثر صلاحاً منا، فهو يعلم أننا إن كُنّا تحت ذات الضغوط عينها لربما كنا أكثر إسراعاً باتخاذ قرار للطلاق.

لا أحد يتزوج متوقعاً نهاية زواجه بالطلاق، ولا أحد يكره الطلاق أكثر من هؤلاء الذين عانوا من جراءة. ولذلك ينبغي علينا أن نساعد هؤلاء المتزوجين ليحافظوا على زيجاتهم، وأن نساعد أولئك المطلقون أن يجدوا نعمة عسى يمنحها الله لهم.

ولندع الآيات ذاتها تفسر الواحدة الأخرى. فمن ملاحظتي لبعض الآيات المتعلقة بموضوعنا والتي لطالما تم تفسيرها بطريقة مُعاكسة لآيات أخرى، وهذا يُشير وبالتأكيد إلى انه قد تم فهمها بشكل خاطئ، على الأقل في هذه الجزئية.

الأساس

دعونا نبدأ بحقيقة أساسية عليها لا يختلف إثنان، بالأساس مُعظم الآيات تؤكد أن الله ضد الطلاق بشكل عام. إذ في زمن ما كان رجال إسرائيل يُطلقون زوجاتهم، لذلك أعلن الله على لسان النبي ملاخي قائلاً:

"إِنِّي أَمَقْتُ الطَّلَاقَ وَأَمَقْتُ أَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ بِجَوْرِهِ، كَمَا يَنْعَطَّى هُوَ بِثَوْبِهِ. لِذَلِكَ احْتَرَسُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَنْكُثُوا عَهْدًا" (ملاخي ٢: ١٦).

ولا ينبغي هذا أن يُدهش أحد ممن يعرفون شيئاً عن محبة وعدل شخص الله، ولا ممن يعلمون شيئاً عما يسببه الطلاق من ضرر على الزوجين والأولاد على حد سواء. وما يترتب علينا فعله هو أن نتفحص الصفة الأخلاقية لكل من يدعم فكرة الطلاق بصورة عامة. فإذ أن الله محبة (أنظر يوحنا الأولي ٤: ٨)، لذلك يكره الطلاق.

وقد سأل يسوع الفريسيون ذات مرة سؤلاً بخصوص شرعية الطلاق "ولأي سبب". ورده كان عدم موافقة واضحة لفكرة الطلاق، فلم يكن الطلاق بخطته لأي احد منّا:

وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَرِيسِيِّينَ يُجَرِّبُونَهُ، فَسَأَلُوهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ زَوْجَتَهُ لِأَيِّ سَبَبٍ؟»^٣

فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً: «أَلَمْ تَقْرَأُوا أَنَّ الْخَالِقَ جَعَلَ الْإِنْسَانَ مِنْذُ الْبَدْءِ ذَكَراً وَأُنْثَى،^٤

وَقَالَ: لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَتَّحِدُ بِزَوْجَتِهِ، فَيَصِيرُ الْاِثْنَانُ جَسَداً وَاحِداً؟^٥

فَلَيْسَ فِي مَا بَعْدُ اثْنَيْنِ، بَلْ جَسَداً وَاحِداً. فَلَا يَفْرَقَنَّ الْإِنْسَانُ مَا قَدْ قَرَنَهُ اللهُ!»^٦

(متي ١٩: ٣-٦)

وطبقاً للتاريخ نحن نعلم أنه كان هناك في أيام يسوع مدرستين فكريتين بأوساط قادة الدين اليهودي. وسنستكشف هاتين المدرستين الفكريتين بتفاصيل أكثر في وقت لاحق، ولكن يكفي أن أقول الآن أن إحداها كانت محافظة والأخرى ليبرالية. فالمدرسة المحافظة كانت تعتقد أنه تُتيح للرجل أن يطلق زوجته فقط لأسباب أخلاقية بالغة الشدة. في حين كانت المدرسة الليبرالية تعتقد أنه يمكن للرجل أن يطلق زوجته لأي سبب وهذا يشتمل إيجاده امرأة أكثر جاذبية من زوجته. فالاعتناعات المتضاربة كانت هي الأساسي خلف سبب طرح ذلك السؤال على يسوع.

وعليه قد أستشهد يسوع بآيات من الصفحات الأولى في سفر التكوين والتي توضح خطة الله الأصلية بجمعه للرجال والنساء معاً بشكل دائم وليس مؤقت. فقد أقر موسى أن الله قد أخذ بالاعتبار صنع جنسين للزواج،

وهذا الزواج هو عبارة عن علاقة عظيمة ولتصبح علاقة دائمة. وبلحظة إعلان هذه العلاقة، تصبح على مستوى أعلى من أي علاقة أخرى تعلو على علاقة الشخص بوالديه. فالرجال يتركون والديهم ليلتصقوا بزوجاتهم.

وعلاوةً على ذلك أن الاتحاد الجنسي بين الرجل وزوجته له إشارة للوحدانية الإلهية. ومن الطبيعي أن ثمر هذه العلاقات إنتاج ذرية، التي ما كان قصد الله لها أن تكون مؤقتة على الإطلاق بل دائمة. وبدون أدنى شك إن رد فعل يسوع هذا على الفريسيين كان ليشير إلى خيبة أمله بأن سؤالاً كهذا كاد أن يُسأل. وحتماً لم يكن قصد الله لأي رجل أن يطلق زوجته ولا لأي سبب كان.

وبالطبع لم يقصد الله لأحد منا أن يُخطئ، مع أننا نفعل ذلك بأي حال. لذلك فقد دبرَ الله لنا ذبيحة قدمها ليعتقنا من عبودية الخطية. بالإضافة إلى ذلك لديه من المشورة الوافية لأجلنا نصحنها بها بعد أن فعلنا ما لا ينبغي علينا فعله. فلم يرد الله منا أن ينهي علاقته الزوجية بالطلاق. لكن خلف فكره الطلاق وقبل أن يحدث المشكلة تكمن بقلوب اناس رفضوا الخضوع لله ومشورته. ولم يكن الطلاق الأول ما أثار دهشة الله. لا ولا ملايين عمليات الطلاق التي تبعتها. وعليه لم يعلن الله كراهيته للطلاق وحسب، وإنما لديه بعض الأمور ليقولها للمُطلقين.

في البداية

فبعد أن تم وضع الأساس، يمكننا الآن أن نستكشف وبتفاصيل ما أعلنه لنا الله حول موضوع الطلاق والزواج الثاني. وحيث أن أكثر التصريحات الجدلية عن الطلاق والزواج الثاني قد تحدث عنهما يسوع مع الإسرائيليين، ذلك سيساعدنا على دراسة ما قاله الله للإسرائيليين الأولين بما سبق ذلك بمئات السنين. فإن أتضح لنا أن ما قاله الله لموسى وما قاله الله ليسوع أمران متناقضان، هذا سيعني أن شريعة الله قد تغيرت أو أننا أخطأنا بتفسيرنا لما قاله موسى أو يسوع. ولذلك دعونا نبدأ أولاً بما أعلنه الله بخصوص الطلاق والزواج الثاني.

سبق وذكرنا تلك الفقرة من سفر التكوين إصحاح ٢، والتي طبقاً ليسوع، بها بعض الأمور المتعلقة بموضوع الطلاق. وهذه المرة، دعونا نقرأ بشكل مباشر من سفر التكوين:

وَعَمِلَ مِنْ هَذِهِ الضِّلَعِ امْرَأَةً أَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ.^{٢٢}

فَقَالَ آدَمُ: هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. فَهِيَ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرِيءٍ أُجِدْتُ.^{٢٣}

لِهَذَا، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَتْرُكُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَصِيرَانِ جَسَداً وَاحِداً.^{٢٤}

(تكوين ٢: ٢٢-٢٤)

وهنا نجد الأساس للعلاقة الزوجية. فقد صنع الله المرأة الأولى من الرجل الأول ولأجله تم إحضارها له شخصياً. وبمعني آخر قال يسوع "جمعهما الله معاً" (متي ١٩: ٦). فهذا الزواج المُعد من الله قد وضع النهج

لكل الزوجات اللاحقة. لذلك يخلق الله النساء بعدد مُماثل للرجال على نحو التقريب، ويخلقهم الله بطريقة جاذبة الواحد لجنس الآخر. وعليه يمكن القول ان الله ما زال يعمل بنظام الزواج المخطط ولكن بشكل أضخم (على الرغم من ذلك هناك أكثر من شريك واحد مناسب لكل فرد مما كان عليه متاح لأدم وحواء). ولذلك كما أشار يسوع، لا يمكن لإنسان أن يفرق ما جمعه الله. فلم يكن قصد الله للزوجين الأولين أن يعيشا حياة انفرادية، ولكن أن يجدا البركة في العيش معاً في استقلالية مشتركة. وبالطبع عصيان ما أعلنه الله يعتبر خطية. ولذلك من الإصحاح الثاني في الكتاب المقدس، قد أُعلِنَت حقيقة أن الطلاق ليس هو قصد الله لأي زوجة.

شريعة الله مكتوبة في القلوب

دعوني أقترح حتى لهؤلاء الذين لم يقرؤوا الإصحاح الثاني من سفر التكوين بدقة من قبل، أن يروا أن الطلاق أمر خاطئ، كما وأن عهد الزواج لمدى الحياة هو أمر يتم ممارسته لدي العديد من ذو الثقافات الأممية والتي ليس لها أي معرفة كتابية. كما ذكر بولس الرسول في رسالته لأهل رومية:

إِذْ نَ الْأُمَمَ الَّذِينَ بِلَا شَرِيعَةٍ، عِنْدَمَا يُمَارِسُونَ بِالطَّبِيعَةِ مَا فِي الشَّرِيعَةِ، يَكُونُونَ شَرِيعَةً لِنَفْسِهِمْ، مَعَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَيْسَتْ لَهُمْ.

فَهُمْ يُظْهِرُونَ جَوْهَرَ الشَّرِيعَةِ مَكْتُوباً فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِي دَاخِلِهِمْ، إِذْ تَنْتَهُمُهُمْ تَارَةً، وَتَارَةً تُبْرِئُهُمْ.

(رومية ٢: ١٤ - ١٥)

فقانون الله الأدبي مكتوب في القلوب. وفي الحقيقة فإن القانون الأدبي يتكلم وبشكل كافٍ من خلال الضمير والضمير هو القانون الذي أعطاه الله لكل إنسان منذ آدم إلى يسوع وباستثناء شعب إسرائيل (أعطوا الناموس). وعليه فإن كل من يفكر بالطلاق سيجد نفسه مُعاملاً مع ضميره، والطريقة الوحيدة للتخلص من هذا الضمير هي إيجاد أسباب عادلة، وإلا فسيستمر إتهابه، إلى أن يتخطاه بتلك الطريقة.

وعلى حد معرفتنا، فإنه وعلى مر سبعة وعشرون جيلاً أي منذ آدم إلى زمن إعطاء الله للشريعة الموسوية نحو سنة ١٤٤٠ قبل الميلاد، كان قانون الضمير المعطى من قبل الله هو بمثابة الرؤية لكل إنسان، وهذا قد شمل شعب إسرائيل أيضاً، وهذا القانون كان كافٍ لموضوع الطلاق والزواج الثاني، على اعتبار الله كافٍ. (تذكر أن موسى لم يَكُتُبْ إصحاح ٢ من سفر التكوين حتى وقت أحداث سفر الخروج. وبالطبع يبدو من المعقول أثناء هذه السبعة وعشرون جيلاً السابقة لشريعة موسى، بما يشمل أيام نوح والطوفان، ان ملايين الزوجات التي انتهت بالطلاق على مر مئات السنوات. فمن المعقول استنتاج ان الله لم يتغير وانه كان على استعداد ليغفر للمذنبين ممن تتطلقوا شريطة أن يتوبوا مُعترفين بخطاياهم. وبلا شك يمكنه أن يُخلصهم أو يدعوهم من الصالحين حتى وقبل إعطاء الله لشريعة موسى كما كان في عصر إبراهيم، وذلك بالإيمان (أنظر رومية ٤: ١-١٢). وإن كان بالإيمان إعلان الله لأناس على أنهم صالحون منذ آدم إلى موسى، فهذا

يعني أن بإمكانه غفران كل شيء، وهذا يشمل الطلاق الأمر الخاطئ. ولذلك نبدأ في احتمالية الطلاق والزواج الثاني فأنا أتساءل هل هؤلاء الذين أخطأوا بعة الطلاق قبل شريعة موسى وقد تم غفرانهم من قبل الله وبعد تأنيب ضمائرهم (حيث لم يكن هناك شريعة مكتوبة) سيجنون ذنباً إن تزوجوا مرة أخرى؟ سوف أتوقف عند هذا السؤال.

ماذا عن ضحايا الطلاق ممن لم يرتكبوا خطية الطلاق، أولئك الذين تم طلاقهم ليس لخطأ منهم، ولكن بسبب أنانية الشريك وحبه لذاته؟ هل سيحل عليهم ضميرهم الزواج مرة ثانية؟ إن هذا يبدو غير معقول لي. فإذا ترك الرجل امرأته لأجل امرأة أخرى، هل هذا يجعلها تمتنع عن الزواج من آخر؟ إذ تم طلاقها دون ذنب ارتكبه.

شريعة موسى

وإذ نصل إلى السفر الثالث من الكتاب المقدس (لاويين) نجد ذكراً للطلاق وبالتحديد الزواج للمرة الثانية. فمن ضمن شريعة موسى كان هناك جرمان على الكهنة أن يتزوجوا مرة أخرى من النساء المطلقات:

وَلَا يَتَزَوَّجُوا امْرَأَةً زَانِيَةً أَوْ مِنْ غَيْرِ سِبْطِهِمْ، أَوْ امْرَأَةً مُطْلَقَةً مِنْ زَوْجِهَا، لِأَنَّهُمْ مُقَدَّسُونَ لِلَّهِمْ.^٧

(لاويين ٢١: ٧)

ولا نجد حرمان كهذا على رجال إسرائيل في الشريعة الموسوية. وعلاوة على ذلك، فإن هذه الآية تشير إلى (١) أنه كان هنالك نساء إسرائيليات مُطلقات و (٢) ولم يكن هناك أي خطأ في زواجهن من رجال غير الكهنة ممن كانوا متزوجين من قبل. فالآية التي ذكرت أعلاه تنطبق على الكهنة والنساء المطلقات الذين يودوا الزواج من كهنة. فطبقاً لشريعة موسى لم يكن هناك أي خطأ للنساء المطلقات أن يتزوجن مرة أخرى، طالما تزوجن من غير الكهنة. ولم يكن هناك أي خطأ في زواج أي رجل، ماعدا الكهنة، من امرأة مُطلقة.

أما الكاهن الأعظم (قد يكون، رمز للمسيح بالسمو) كان يتطلب منه العيش بمستوى أعلى من الكهنة العاديين. وكان يُمنع منه بالزواج حتى من أرملة. وإذا فستمر تقدماً بما يلي من قراءة من سفر اللاويين ستجد مكتوب:

لَا مِنْ أَرْمَلَةٍ، وَلَا مُطْلَقَةٍ، وَلَا زَانِيَةٍ مُدْنَسَةٍ، بَلْ يَتَزَوَّجُ عَذْرَاءَ مِنْ سِبْطِهِ.^{١٤}

(لاويين ٢١: ١٤).

هل هذه الآية السابقة تُثبت أنه خطية على الأرامل في إسرائيل أن يتزوجن مرة أخرى أو أنه خطية على أي من رجال إسرائيل أن يتزوجوا من أرامل؟ لا، وبالطبع لا. ففي الحقيقة أن ما تُمليه هذه الآية وبقوة أنه ليس خطية لأي أرملة أن تتزوج من أي رجل طالما لم يكن الكاهن الأعظم، وتوضح بقوة أيضاً أنه عدى الكاهن

الأعلى كان يُسمح لكل رجل أن يتزوج من أرملة. وبعض الآيات الأخرى تؤكد قانونية زواج الأرمال لمرة أخرى (أنظر رومية ٧: ٢ - ٣٠؛ تيموثاوس الأولى ٥: ١٤).

فهذه الآية والتي تسبقها (لاويين ٢١: ٧)، توضحان أنه ليس ثمت من مشكلة لأي من رجل إسرائيلي (ماعدا الكهنة والكاهن الأعلى) أن يتزوج من امرأة مُطلقة أو حتى وإن لم تكن المرأة عذراء "لأنها تدنست بالزنا". ومثل ذلك تحت شريعة موسى، ليس هناك أي مشكلة لأي امرأة مُطلقة أن تتزوج مرة أخرى أو امرأة زانية لتتزوج، طالما لم تتزوج من كاهناً. فإله بنعمته أعطي الزنا والمُطلقات فرصة ثانية، على الرغم من معارضته الشديدة للزنا والطلاق.

حِرماتنا أخراً يُفرض على الزواج الثاني

كم عدد الفرص التي يُتيحها الرب للنساء المُطلقات؟ أعطينا الاعتقاد أن الله يعطي فرصة أخرى واحدة حسب الشريعة الموسوية؟ يعني أنه يسمح لهنّ بزواج ثاني آخر واحد فقط؟ ذلك سيكون استنتاجاً خاطئاً. إذا قرأنا ما كُتِبَ لاحقاً على لسان موسى:

إِذَا تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْ فَتَاةٍ وَلَمْ تَرْقُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اكْتَشَفَ فِيهَا عَيْباً مَا، وَأَعْطَاهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَصَرَفَهَا مِنْ بَيْتِهِ،^١

فَتَزَوَّجَتْ مِنْ رَجُلٍ آخَرَ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ طَلِيقَةً،^٢

ثُمَّ كَرِهَهَا الزَّوْجُ الثَّانِي وَسَلَّمَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَصَرَفَهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ إِذَا مَاتَ هَذَا الزَّوْجُ،^٣

فَإِنَّهُ يُحْظَرُ عَلَى زَوْجِهَا الْأَوَّلِ الَّذِي طَلَّقَهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مَرَّةً أُخْرَى، بَعْدَ أَنْ تَنَجَّسَتْ. لِأَنَّ ذَلِكَ رَجْسٌ لَدَى الرَّبِّ. فَلَا تَحْلِبُوا خَطِيئَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَهْبُهَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لَكُمْ مِيراثاً.^٤

(تثنية ٢٤: ١ - ٤)

الملاحظة هنا هي تحريم واحد على المرأة التي تطلقت مرتين (أو المرأة التي كانت مُطلقة ذات مرة وأرملة مرة أخرى) وتزوجت مرة أخرى من زوجها الأول. هنا لا نرى ذنباً مؤكداً بسبب الزواج الثاني، وعند تطبيقها للمرة الثانية (أو تصبح أرملة من الزوج الثاني)، كان يُحرم على المرأة أن تعود لتتزوج مرة أخرى من الزوج الأول. والاستنتاج الواضح هنا، أنها تكون حرة لتتزوج من أي رجل آخر (الذي يود أن يأخذ الفرصة عنها). وإن كان زواجها من أي شخص آخر خطية، لما كان هناك حاجة لإرشادات الله المحددة. فكل ما أريد قوله هو أن التقييد حال بتحريم إعادة الزواج لمن تطلقوا وكانوا لآخرين.

بالإضافة لذلك هو إن الله يسمح للمرأة أن تتزوج مرة ثانية، وعليه فليس على الرجل الذي اتخذها زوجة ذنباً يتحمله. وكذلك كان مسموحاً لها أن تتزوج للمرة الثالثة من أي رجل، فلن يُعتبر ذلك خطية (إلا إذا كان ذلك الرجل زوجها الأول). وبذلك نرى أن الله الذي يكره الطلاق يحب المُطلقين وقد اعطاهم حسب رحمته فرصة ثانية.

الخلاصة

دعوني أخص ما توصلنا له حتى الآن: على الرغم من إعلان الله كراهيته للطلاق، فلم يوحى قبل أو أثناء العهد القديم أن الزواج لمرة أخرى هو خطية، إلا باستثنائيين هما: (١) المرأة المُطلقة مرتين أو أنها كانت مُطلقة مرة والآن هي أرملة من أن تتزوج مرة أخرى من زوجها الأول و(٢) بحالة زواج المرأة المُطلقة من كاهناً. وزيادة على ذلك، لم يعط الله أي إشارة بأن زواج المُطلق يعتبر خطية لأي شخص ما عدا الكهنة.

وهذا تباين واضح لما ذكره يسوع عن المُطلقين الذين تزوجوا مرة أخرى وهؤلاء الذين يتزوجون من أشخاص مُطلقين. إذ قال عنهم أنهم قد ارتكبوا بذلك خطية الزنا (أنظر متي ٥: ٣٢). فإما أننا قد أسأنا فهم قول يسوع أو لما قاله موسى، أو أن الله قد غيرَ شريعته. وما أشك به هو إمكانية أننا أخطأنا تفسير ما علمه يسوع، لأنه غريب الأمر أن يتغير الله فجأةً يعتبر ما شرَّعه خطيةً، وكيف يا ترى سيحسب خطية ما لم يعتبرها كذلك لمدة تتراوح الألف وخمسمائة عاماً أي في ظل شريعة موسى لشعب إسرائيل.

وقبل أن نبدأ في دراسة هذا التناقض بالكامل، دعوني أشير إلى تصريح الله بالزواج الثاني في ظل العهد القديم إذ لم يحمل أي ذنب على الشخص جراء الأسباب التي يستخدمها الشخص للطلاق. فلم يقل الله أن هناك بعض الناس غير مؤهلين للزواج مرة أخرى لأن طلاقهم لم يكن لأسباب صحيحة. ولم يقل إن هناك بعض الناس يستحقون الزواج مرة أخرى لأنهم تطلقوا لأسباب شرعية. ولكن هذه الإدانات يتم ممارستها بيد خدام العصر الحديث على أساس اختياري من جانب واحد.

فعلى سبيل المثال تأتي امرأة مُطلقة وتحاول أن تقنع قسقسيتها أنها تستحق الزواج مرة أخرى لأنها كانت الضحية في طلاقها. وإن زوجها السابق هو الذي طلقها ولم تكن هي التي طلقته. ولكن إن أعطيت الفرصة لهذا القسيس أن يستمع لرأي الزوج فلربما يتعاطف معه. فقد تكون الزوجة هي الوحشية وشريكة للوم على لاتخاذ الزوج ذلك القرار بتطليقها.

وأنا شخصياً كنت على معرفة من زوجين حاول كل منهما إقناع الآخر ليتخذ قرار الطلاق، لكي يتجنب الواحد منهما الذنب ويُسقطه على الآخر، ليقول لست أنا من طلق بل الطرف الآخر. فكلاهما أرادا أن يلقي اللوم على الشخص الآخر وذلك ليجعلا زواجهما الثاني ذي شريعة. ويمكننا خداع الناس إن أمكننا ولكن لا يمكننا أن نخدع الله. فعلى سبيل المثال ماذا سيكون تقييمه للمرأة التي تعصي كلمة الله، إذ أنها باستمرار تمنع زوجها من الإضجاع معها وبعد ذلك تُطلقه لأنه خانها؟ ألم تكن هي مسئولة أيضاً في هذه الحالة عن الطلاق ولو بشكل جزئي؟

وحالة المرأة المُطلقة مرتين كما قرأنا عنه في سفر التثنية إصحاح ٢٤ لم يُذكر أي شيء عن شرعية أي من طلاقها الأول والثاني. فقد وجد الله بعض البذاءة بها. وإن كانت هذه البذاءة هي زنا، فهي تستحق الموت طبقاً لشريعة موسى، وهذا يعني رجمها بالحجارة (أنظر لاويين ٢٠: ١٠). وإن افترضنا إن كان الزنا هو السبب الشرعي الوحيد للطلاق، عليه ليس ثمت من سبب جيد لطلاقها من زوجها الأول. وعلى العكس، ربما قد ارتكبت خطية الزنا، وهو مُخلصاً لها كما كان يوسف مُخلصاً لمريم، حين أراد أن يُخليها سراً (متى ١: ١٩). فهناك احتمالات كثيرة ممكنة. وقد يكون ببساطة أن زوجها الثاني تحول ضدها لا يمكننا أن نعلم من هو المذنب أو إن كانا كليهما معاً يتشاركان الذنب. ولكن هذا لا يغير حقيقة أي شيء. ونعمة الله أعطت

لها الفرصة للزواج من أي شخص ليس له أي مشكلة في اتخاذ امرأة كزوجة كانت مُطلقة مرتين، باستثناء أن ترجع للتزوج من زوجها الأول.

اعتراض

"ولكن إن أُلِّمَ الناس أنه شرعاً لهم أن يتزوجوا مرة أخرى بعد الطلاق لأي سبب، فهذا سيشجعهم على الطلاق مرة أخرى ولأسباب غير شرعية"، هذا ما يتم ادعائه في مُعظم الأحيان. فأنا لا أعتقد أنها وسيلة جيدة وممارسة مفيدة لمبدأ الزواج وشرعية الطلاق، أن نحاول كبج أولئك من لا يسعون حقاً لإرضاء الله، ومن غير المُخلصين له، بتجنب الوقوع بالخطيئة واستخدام الطلاق والزواج الثاني كمظلة شرعية. أما المُخلصون لله من كل قلوبهم حقيقةً، لا يحاولون إيجاد طرق ليخطئوا. إذ دائماً ينوون على إرضاء الله، وهذا النوع من الناس عادةً ما يتمتعون بزيجات قوية. علاوة على ذلك أن الله لم يقلق بشأن سوء استخدام الناس في العهد القديم وطلاقهم لأسباب غير شرعية جراء قانون الزواج الثاني المُتحرر، لأنه أعطى إسرائيل ناموساً تحريراً يخص الزواج الثاني.

وهل علينا أن نتجنب القول لناس أن الله مُستعد أن يغفر لهم أي خطيئة، حتى لا يتشجعوا على فعل الخطيئة بمعرفتهم أن المغفرة متاحة لهم؟ وإن كان هذا ما ينبغي فعله، عندها سنتوقف عن الوعظ بالإنجيل. مرة أخرى أكرر أن الأمر كله متعلق بقلوب الناس. فهؤلاء الذين يحبون الله يريدون إرضاءه. وأنا أعلم جيداً أن غفران الله مُتاح لي إن سألته، بغض النظر عن الخطيئة التي ارتكبتها. ولكن هذا لا يحفزني على الإطلاق أن أقع بالخطيئة، لأنني أحب الله وقد وُلدت من جديد. فقد غيرتني نعمته. وهكذا كل ما أريده هو إرضاءه.

والله على علم من أنه لا حاجة لإضافة أمراً سلبياً على كثير من السلبيات التي لا يمكن تجنبها من مغبة الطلاق على أمل تشجيع الناس الاستمرار في زيجاتهم. بقوله للذين يعانون في زيجاتهم أنه من الأفضل ألا يُطلقوا إذ لن يُسمح لهم بالزواج ثانية وذلك هو دافع ضعيف لبقائهم متزوجين. وحتى إن صدقك، فإن التفكير في حياة العزوبية سيكون كحياة النعيم مقارنةً مع الحياة الزوجية التعيسة لمن هو متزوج وتعيش.

بولس والزواج ثانيةً

قبل أن نبدأ بمعالجة مشكلة توافق كلمات يسوع عن الزواج الثاني مع ناموس موسى، نحن بحاجة لاستنتاج أن هناك كاتباً إنجيلياً يتفق مع موسى ويدّعي بولس الرسول. ومن الواضح أن بولس قد كتب أن هؤلاء الذين تزوجوا ثانية من مطلقين لا يرتكبون بذلك خطيئة، وهنا يتفق مع العهد القديم إذ يقول:

وَأَمَّا الْعُرَابُ، فَلَيْسَ عِنْدِي لَهُمْ وَصِيَّةٌ خَاصَّةٌ مِنَ الرَّبِّ، وَلَكِنِّي أُعْطِي رَأْيَا بِاعْتِبَارِي ثَلَاثَ رَحْمَةٍ مِنَ الرَّبِّ لِأَكُونَ جَدِيراً بِالثِّقَةِ.

فَلِسَبَبِ الشَّدَّةِ الْحَالِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّهُ يَحْسُنُ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَبْقَى عَلَى حَالِهِ. ٢٦

فَإِنْ كُنْتُ مُرْتَبِطاً بِزَوْجَةٍ، فَلَا تَطْلُبِ الْفِرَاقَ، وَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُرْتَبِطٍ بِزَوْجَةٍ، فَلَا تَطْلُبِ زَوْجَةً. ٢٧

وَلَكِنْ، إِنْ تَزَوَّجْتَ، فَانْتَ لَا تُخْطِيءُ. وَإِنْ تَزَوَّجْتَ الْعَذْرَاءَ، فَهِيَ لَا تُخْطِيءُ. وَلَكِنْ أَمَثَالٌ هَؤُلَاءِ يُلَاقُونَ ٢٨ مَشَقَّاتٍ مَعِيشِيَّةً، وَأَنَا إِنَّمَا أُرِيدُ حِمَايَتَكُمْ مِنْهَا.

(كورنثوس الأولى ٧: ٢٥ - ٢٨)

ومما لا شك فيه أن بولس كان يُخاطب جمهور المُطلقين في هذه الفقرة. فقد نصح كل من المتزوجين، وغير المتزوجين، والمُطلقين أن يبقوا على حالهم وذلك بسبب الاضطهاد الذي كان يُعاني منه المسيحيين في ذلك الوقت. وبالرغم من ذلك، ذكر بولس أنه ليس بخطية إن تزوج كل من المُطلقين والعذارى.

لاحظ أن بولس لم يشرع حق الزواج الثاني لأولئك المُطلقين. فلم يقل إن الزواج مرة أخرى مُتاح للمُطلقين الذين لم يكن لهم يد في طلاقهم السابق. (وهل لأحد الحق بتقدير ذلك سوى الله؟) ولم يقل إن الزواج الثاني ليس بخطية لمن تطلق وبعدها تزوج مرة أخرى قبل خلاصهم. لا، فهو ببساطة أقر أن الزواج مرة أخرى ليس بخطية فحسب على من تطلق من قبل.

هل كان بولس مُتساهلاً بأمر الطلاق؟

هل بسبب تأييد بولس لوثيقة زواج كريمة، هذا يعني أنه كان مُتساهلاً بأمر الطلاق؟ لا، فقد كان بولس مُعارضاً للطلاق بشكل عام. وفي ذات الإصحاح مقدماً في رسالته لأهل كورنثوس، وضع قانوناً للطلاق ليتناسب مع كُره الله للطلاق:

أَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ، فَأَوْصِيهِمْ لَا مِنْ عِنْدِي بَلْ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، أَلَّا تَنْفَصِلَ الزَّوْجَةُ عَنْ زَوْجِهَا، ١٠

وَإِنْ كَانَتْ قَدْ انْفَصَلَتْ عَنْهُ، فَلْتَبْقَ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ، أَوْ فَلْتُصَالِحْ زَوْجَهَا وَعَلَى الزَّوْجِ أَلَّا يَتْرَكَ زَوْجَتَهُ. ١١

وَأَمَّا الْآخَرُونَ، فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا، لَا الرَّبُّ: إِنْ كَانَ لِأَخٍ زَوْجَةٌ غَيْرُ مُؤْمِنَةٍ، وَتَرْتَضِي أَنْ تُسَاكِنَهُ، فَلَا يَتْرُكُهَا. ١٢

وَإِنْ كَانَ لَامْرَأَةٍ زَوْجٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ، وَيَرْتَضِي أَنْ يُسَاكِنَهَا، فَلَا تَتْرُكُهُ. ١٣

ذَلِكَ لِأَنَّ الزَّوْجَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ قَدْ تَقَدَّسَ فِي زَوْجَتِهِ، وَالزَّوْجَةُ غَيْرُ الْمُؤْمِنَةِ قَدْ تَقَدَّسَتْ فِي زَوْجِهَا. وَإِلَّا كَانَ ١٤ الْأَوْلَادُ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّوْاجِ نَجْسِينَ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُقَدَّسُونَ.

وَلَكِنْ إِنْ انْفَصَلَ الطَّرْفُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ، فَلْيَنْفَصِلْ؛ فَلَيْسَ الْأَخُ أَوْ الْأُخْتُ تَحْتَ اِرْتِبَاطٍ فِي مِثْلِ هَذِهِ ١٥ الْحَالَاتِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ دَعَاكُمْ إِلَى الْعَيْشِ بِسَلَامٍ.

فَكَيْفَ تَعْلَمِينَ، أَيُّهَا الزَّوْجَةُ، مَا إِذَا كَانَ زَوْجُكَ سَيَخْلُصُ عَلَى يَدِكَ؟ أَوْ كَيْفَ تَعْلَمُ، أَيُّهَا الزَّوْجُ، مَا إِذَا ١٦ كَانَتْ زَوْجَتُكَ سَتَخْلُصُ عَلَى يَدِكَ؟

وَفِي كُلِّ حَالٍ، لَيْسَ لَكَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي حَيَاتِهِ كَمَا قَسَمَ لَهُ الرَّبُّ وَكَمَا دَعَاَهُ اللهُ هَذَا هُوَ الْمَبْدَأُ الَّذِي أَمُرُ بِهِ فِي ١٧
الْكَنَائِسِ كُلِّهَا.

(كورنثوس الأولى ٧: ١٠ - ١٧)

لاحظ أن بولس كان يوجه كلامه في البداية إلى المؤمنين وأقصد المتزوجين من مؤمنين. فعليهم ألا يطلقوا، وبالطبع، قد أوضح بولس أنه ليست تلك إرشاداته بل إرشاد الرب. وبالتأكيد هذا يتوافق مع كل ما اخذناه باعتبار في الكتاب المقدس حتى الآن.

هنا تصبح الأمور مثيرة. عندما أصبح بولس أكثر واقعياً ليستنتج أن حتى المؤمنين يمكنهم أن يطلقوا في حالات نادرة. وذكر بولس أنه عندما يحدث ذلك، يجب على الشخص المطلق أن يبقى على حاله دون زواج أو أن يتصلح مع الزوج أو الزوجة. ومع أن بولس يوجه هذه الإرشادات إلى الزوجة، إلا أنني أؤمن أنها تنطبق على الزوج أيضاً.

وهنا أيضاً نرى أن ما كتبه بولس لا يدهشنا. فقد وضع أمامنا شريعة الله بخصوص الطلاق، ولكن كان ذكياً بدرجة كافية ليعلم أن شريعة الله لربما لا تطاع على الدوام. لذلك عندما يحدث طلاق بين اثنين من المؤمنين، نراه يعطي إرشادات أعمق. فالشخص الذي طلق شريك حياته يجب أن يبقى دون زواج أو أن يتصلح مع زوجته أو زوجها. وبالتأكيد ذلك سيكون الأنسب بحالة وقوع الطلاق بين اثنين من المؤمنين. إذ لطالما بقيا بدون زواج ثاني، هناك أمل للتصالح، ذلك سيكون الحل الأمثل. وبالطبع إن تزوج أحدهما ذلك ينهي أمل الوصول للتصالح. ومن الواضح أنه إن كان بطلاقهما يرتكبان خطية لا تغفر، عندها لن يكون لبولس حيلة إلا إعلامهم أن يبقيا بدون زواج أو أن يتصالحا.

هل تعتقد أن بولس كان ذكي بدرجة كافية ليعرف أن إرشاده الثاني للمؤمنين لربما لن يحض بطاعة كلية؟ أنا أعتقد ذلك. ربما لم يُعط بولس إرشاداً أعمق لتوقعه أن المؤمنين سيتبعون إرشاده الأول ولن يطلقوا، ولذلك ولحالات مستعصية نادرة كان لإرشاده الثاني حاجة للوجود. وبلا شك أن الأتباع الحقيقيون للمسيح، سيفعلون ما يوسعهم ليحافظوا على الزواج إذا ما واجهوا مشاكل زوجية. ومن المؤكد أن حاول مؤمناً أن ينقذ زواجه ولكن بآنت كل محاولاته بالفشل ولم يكن هناك أي بديل سوى الطلاق، فبالأكيد أن هذا المؤمن ومن باب العار والرغبة بإكرام المسيح لن يحاول الزواج مرة أخرى من شخص آخر، آملاً بالتصالح. وما يبدو لي أن المشكلة الحقيقية في الكنيسة الحديثة بخصوص الطلاق هي النسبة الكبيرة من المؤمنين الغير حقيقيين، أولئك الذين لم يؤمنوا بحق بالمسيح ولم يُسلموا حياتهم للرب يسوع.

ويوضح من خلال ما كتبه بولس في رسالته الأولى لأهل كورنثوس إصحاح ٧ أن الله توقعات فائقة من المؤمنين، الذين ملئوا بالروح القدس، تفوق على هؤلاء من غير المؤمنين. فقد كتب بولس كما قرأنا أنه لا ينبغي على كل المؤمنين أن يطلقوا شركاء حياتهم من غير المؤمنين طالما أن للطرف الغير المؤمن الرغبة في العيش مع الزوج المؤمن. وهذا الإرشاد لا يدهشنا أيضاً لأنه يتماشى مع ما قرأناه في الكتاب المقدس بخصوص هذا الموضوع. فإله يُعارض الطلاق. ويستكمل بولس قائلاً، إن أراد الطرف غير المؤمن الطلاق فيجب على المؤمن أن يسمح بذلك. حيث عَلم بولس أن الغير مؤمن لا يتبع الله، ولذلك فلن يتوقع من المؤمن أن يسلك كما الغير مؤمن. وأريد أن أضيف أنه إن أراد الطرف غير المؤمن أن يستمر في العيش مع المؤمن، تلك هي إشارة جيدة لربما أن الغير المؤمن منفتحاً لمعرفة الإنجيل، أو أن المؤمن مُرتد أو أنه مسيحي غير حقيقي.

الآن، هل من الممكن القول إن مؤمناً قد تطلق من زوجته الغير مؤمنة لا حرية له من أن يتزوج ثانية؟ لم يذكر بولس أي شيء عن ذلك، كما أوضح في حالة طلاق اثنين من المؤمنين. فلم يخطر على بالنا لماذا سيعارض الله الزواج الثاني لمؤمن تم طلاقه قبلاً من غير مؤمن. فما غرض الخدمة؟ فالسماح بذلك يأتي ضد ما قاله يسوع عن الزواج مرة أخرى: " وَمَنْ تَزَوَّجَ بِمُطَلَّاقَةٍ " (متي ٥: ٣٢). وذلك لمرة أخرى يجعلني على ريب من اننا أسأنا تفسير رسالة يسوع بما يتعلق بالموضوع.

المشكلة

يسوع، وموسى، وبولس كلهم يتفقون على أنه هناك خطيئة حدثت من قبل أحد الطرفين أو من كليهما في الطلاق. فالجميع بلا استثناء يرفضون فكرة الطلاق بشكل عام؟ ولكن هنا تظهر مشكلتنا: كيف يمكن أن نوفق ما كتبه موسى وبولس مع ما قاله يسوع عن الزواج الثاني؟ وبالتأكيد علينا التوقع أنهم ينسجمون حيث أنهم جميعاً موحى بهم من الله.

دعونا نبحث فيما قاله يسوع وإلى من تكلم. نجد أن يسوع قد تحدث في إنجيل متى مرتين عن الطلاق والزواج الثاني، إحداهما في الموعظة على الجبل عندما سؤل من قبل بعض الفريسيين.

دعونا نتأمل بحوار يسوع مع أولئك الفريسيين:

وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ يُجَرِّبُونَهُ، فَسَأَلُوهُ: هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ زَوْجَتَهُ لِأَيِّ سَبَبٍ؟^٣

فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً: أَلَمْ تَقْرَأُوا أَنَّ الْخَالِقَ جَعَلَ الْإِنْسَانَ مِنْذُ الْبَدْءِ ذَكَراً وَأُنْثَى،^٤

وَقَالَ: لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَتَّحِدُ بِزَوْجَتِهِ، فَيَصِيرُ الاثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً؟^٥

فَلَيْسَ فِي مَا بَعْدَ ائْتِنِينَ، بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَلَا يُفَرِّقَنَّ الْإِنْسَانُ مَا قَدْ قَرَنَهُ اللَّهُ!^٦

فَسَأَلُوهُ: فَلِمَ إِذَا أَوْصَى مُوسَى بِأَنْ تُعْطَى الزَّوْجَةُ وَثِيقَةً طَلَاقٍ فَتُطَلَّقَ؟^٧

أَجَابَ: بِسَبَبِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ، سَمَحَ لَكُمْ مُوسَى بِتَطْلِيقِ زَوَّجَاتِكُمْ. وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا مِنْذُ الْبَدْءِ.^٨

وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةٍ الزَّنى، وَيَتَزَوَّجُ بِغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ يَزْتَكِبُ الزَّنى. وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّاقَةٍ، يَزْتَكِبُ الزَّنى.^٩

(متي ١٩: ٣ - ٩)

أثناء هذا الحوار مع يسوع، أشار بعض الفريسيين لجزئية من شريعة موسى والتي ذكرتها قبل قليل،

تنثية ٢٤: ١ - ٤. حيث يقول:

إِذَا تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْ فَتَاةٍ وَلَمْ تَرْقُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اكْتَشَفَ فِيهَا عَيْباً مَاءً، وَأَعْطَاهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَصَرَفَهَا مِنْ بَيْتِهِ،

فَتَزَوَّجَتْ مِنْ رَجُلٍ آخَرَ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ طَلِيقَةً،^٢

ثُمَّ كَرِهَهَا الرَّوْجُ الثَّانِي وَسَلَّمَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَصَرَفَهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ إِذَا مَاتَ هَذَا الرَّوْجُ،^٣

فَإِنَّهُ يُحْظَرُ عَلَى زَوْجِهَا الْأَوَّلِ الَّذِي طَلَّقَهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مَرَّةً أُخْرَى، بَعْدَ أَنْ تَنْجَسَتْ. لِأَنَّ ذَلِكَ رَجَسٌ لَدَى الرَّبِّ. فَلَا تَجْلِبُوا خَطِيئَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَهْبُهَا الرَّبُّ إِلَيْكُمْ لَكُمْ مِيراثاً.^٤

هناك مدرستين فكريتين في أيام يسوع في تعريف كلمة "عيب". حوالي عشرون عاماً قبل حاخام يُعي هاليل علّم أن العيب هو اختلاف لا يمكن بسببه التوافق بينهما. وحين جاء وقت جدال يسوع مع الفريسيين، تفسير هاليل كان أكثر لبرالية، سامحاً بالطلاق لأي سبب كان، كما أُشير في السؤال ليسوع. فيمكن لشخص ما أن يُطلق زوجته إن أحرقت عشاءه، أو إن وضعت الكثير من الملح في طعامه، أو إن جلست بشكل غير لائق مبيّنة ركبتيها، أو إن سدلت شعرها، أو إن تحدثت لرجل آخر، أو إن قالت شيئاً غير لطيف لحمايتها، أو إن كانت عاقرة. يمكن للرجل أن يطلق زوجته إن أُعجب بامرأة أخرى أكثر جمالاً منها، وكل ذلك يجعل بزواجه عيباً.

وهناك حاخام آخر شهير يُدعي شاماي، والذي عاش في فترة ما قبل هاليل، علّم شاماي أن "عيب" هو أمرٌ غير أخلاقي فقط، مثل الزنا. وفي الوسط الفريسي أيام يسوع، كان تفسير هاليل الليبرالي مشهوراً أكثر من شاماي. فقد عاش الفريسيين وعلموا أن الطلاق مُشرع لأي سبب، ولذلك فقد تفشي الطلاق في ذلك الزمان. الفريسيين، وفي طريقتهم الفريسية المعتادة، أكدوا على أهمية إعطاء الزوجة كتاب تُطلق عندما يطلقها، وبذلك كان حرصهم على ألا يكسروا شريعة موسى.

لا تنسي أن يسوع كان يتحدث إلى الفريسيين

مع هذه الخلفية، يمكننا أن نفهم بشكل أفضل ما كان يُعارضه يسوع. فمن قبل يسوع كان هناك مجموعة من المعلمين المنافقين، الذين كانوا يُسارعون بعضهم على الطلاق بأغليبتهم، وذلك بسبب أنهم قد وجدوا نساء أكثر جاذبية من زوجاتهم. (وأعتقد أنها ليست بصدفة كانت كلمات يسوع عن الطلاق أثناء عظته على الجبل تنلونها مباشرة تحذيراته عن الشهوة، وأيضاً مُسميه نوع من الزنا.) ومع ذلك كانوا يدعون أنهم مازالوا يحافظون على شريعة موسى.

فسؤالهم بحد ذاته يُشير لانحرافهم. فمن الواضح أنهم كانوا يؤمنون أنه ممكن للرجل أن يُطلق زوجته لأي سبب كان. فقد عرض يسوع مفهوم الخاطئ لغرض الله من الزواج مستشهداً بكلمات موسى عن الزواج في الإصحاح الثاني من سفر التكوين. فمشيئة الله لعدم حدوث أي طلاق، وكم بالأحرى الطلاق لأي سبب. وبالرغم من كل ذلك كان قادة إسرائيل يُطلقون كما ينهي المراهقون علاقاتهم!

وباعتقادي كان الفريسيون على علم من موقف يسوع تجاه الطلاق، حيث قد جهر موقفه علانية، ولذلك كانوا جاهزين بجوابهم بالاعتراض: فَسَأَلُوهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى بِأَنْ تُعْطَى الزَّوْجَةُ وَثِيقَةً طَلَاقٍ فَتُطْلَقُ؟» (متي ١٩: ٧)

وهذا السؤال بعينه يوضح انحيازهم. فقد تم التعبير عنه بطريقة وكأن تجعل ما قاله موسى أنه كان ليشجع الرجال على تطليق زوجاتهم عندما يجدون بهن عيباً، وهذا يتطلب كتاب طلاق، ولكن نحن نعلم مما قرأنا في تثنية ٢٤: ١-٤، أن هذا ليس ما كان يعنيه موسى على الإطلاق. فقد كان يضع تنظيمًا للزواج الثالث للمرأة فقط، مانعاً إياها من إعادة زواجها من زوجها الأول.

وحيث أن موسى قد ذكر الطلاق، هذا يعني أنه كان مُتاح لسبب ما. ولكن لاحظ كيفية استخدام يسوع لهذا الفعل في رده، "مسموح"، وهو يتناقض مع اختيار الفريسيين لفعل "أمر". فسمح موسى للطلاق كان بسبب غلاظة قلوب الإسرائيليين. فالله هو الذي سمح بالطلاق كإمتياز رحيم لشعب خاطئ. فقد عَلَّمَ الله أن الشعب لن يكون مُخلصاً بالحياة الزوجية. وقد عَلَّمَ أن الميول اللاأخلاقية ستسود. وعلَّمَ أيضاً أن قلوب الكثيرين من الشعب ستحطم. لذلك فقد أذن بالطلاق. لكن لم تكن هذه هي مشيئته الأولية، ولكن الخطية هي التي جعلت ذلك أمراً ضرورياً.

وبعدها قدم يسوع شريعة الله للفريسيين، بلا شك قد عَرَفَ ما كان قصد موسى لكلمة "عيب" عندما بينه بعلامة: "لِكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةِ الزَّنى، وَيَتَزَوَّجُ بِغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ يَزْتَكِبُ الزَّنى. وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقةٍ، يَزْتَكِبُ الزَّنى" (متي ١٩: ٩). ففي عيني الله الفجور هو السبب الوحيد لأن يُطلق الرجل زوجته، ويمكنني فهم ذلك. فكيف يمكن للرجل أو للمرأة أن يتهم ويخرج أحدهم شريكه للحياة أكثر من ذاك؟ فعندما يرتكب شخص خطية الزنا أو يتورط بعلاقة غير شرعية ذلك يعتبر رسالة جارحة. فبال تأكيد لم يكن يسوع يشير إلى الزنا فقط عندما أستخدم كلمة "الفجور". أي أن التقبيل الحار لأحد الزوجين مع شخص آخر يعتبر فجوراً مُهيناً، وكذلك الاستمرار بمشاهدة الأفلام الإباحية والأفلام الجنسية. تذكر أن يسوع قد أجمل أثناء عظته على الجبل الشهوة مع الزنا.

ولا ينبغي ألا ننسى عن حقيقة المجموعة التي كان يتحدث يسوع إليها — الفريسيين الذين كانوا يُطلقون زوجاتهم لأي سبب كان، وعلى التو يشرعون بزواج من أخريات، وكأنهم بذلك لا يكسرون الوصية السابعة، لا تزني!! إلا أن ما كانوا يمارسونه لا يختلف بشيء عن خطية الزنا. وبهذا كان توجيه يسوع لهم صريح لأنهم يخدعون أنفسهم. لأن ما كانوا يمارسونه من زواج وطلاق فزواج مرة أخرى ما هو إلا زنا بحد ذاته. أي إنسان صريح يُدرك جيداً أن من يطلق امرأته ليتزوج بأخرى هذا يُعتبر زناً، ولكن تحت مظلة "الشريعة".

وبعدها قدم يسوع شريعة الله للفريسيين، بلا شك قد عَرَفَ ما كان قصد موسى لكلمة "عيب" عندما بينه بعلامة: "لِكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةِ الزَّنى، وَيَتَزَوَّجُ بِغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ يَزْتَكِبُ الزَّنى. وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقةٍ، يَزْتَكِبُ الزَّنى" (متي ١٩: ٩). ففي عيني الله الفجور هو السبب الوحيد لأن يُطلق الرجل زوجته، ويمكنني فهم ذلك. فكيف يمكن للرجل أو للمرأة أن يتهم ويخرج أحدهم شريكه للحياة أكثر من ذاك؟ فعندما يرتكب شخص خطية الزنا أو يتورط بعلاقة غير شرعية ذلك يعتبر رسالة جارحة. فبال تأكيد لم يكن يسوع يشير إلى الزنا فقط عندما أستخدم كلمة "الفجور". أي أن التقبيل الحار لأحد الزوجين مع شخص آخر يعتبر فجوراً مُهيناً، وكذلك الاستمرار بمشاهدة الأفلام الإباحية والأفلام الجنسية. تذكر أن يسوع قد أجمل أثناء عظته على الجبل الشهوة مع الزنا.

ولا ينبغي ألا ننسى عن حقيقة المجموعة التي كان يتحدث يسوع إليها — الفريسيين الذين كانوا يُطلقون زوجاتهم لأي سبب كان، وعلى التو يشرعون بزواج من أخريات، وكأنهم بذلك لا يكسرون الوصية السابعة، لا تزني!! حان أن يرتكبوا خطية الزنا. وبهذا كان توجيه يسوع لهم صريح لأنهم يخدعون أنفسهم.

لأن ما كانوا يُمارسونه من زواج وطلاق فزواج مرة أخرى ما هو إلا زنا بحد ذاته. أي إنسان صريح يُدرك جيداً أن من يطلق امرأته ليتزوج بأخرى هذا يُعتبر زناً، ولكن تحت مظلة "الشريعة".

الحل

ذاك هو مفتاح التوافق بين يسوع من جهة وبين موسى وبولس من جهة أخرى. كان يسوع ببساطة يعرض نفاق الفريسيين. ولم يكن ذلك ليضع قانوناً يحرم الزواج الثاني. وإلا فسيكون مناقضاً لموسى وبولس خالقاً ارتباكاً عظيماً لملايين من المُطلقين والمتزوجين لمرة ثانية، وعندها ماذا سيفعل كل الذين تطلقوا وتزوجوا مرة أخرى قبل أن يتعرفوا على قانون يسوع؟ أهل علينا إخبارهم أنهم يعيشون حياة الزنا، عالمين أن الكتاب المقدس يحذر بأنه لن يدخل أي زاني ملكوت الله (انظر كورنثوس الأولي ٦: ٩ - ١٠)، وهل نأمرهم أن يتطلقوا ثانية؟ ألا يكره الله الطلاق؟

هل علينا أن نُعلمهم ألا يتضاجعوا مع زوجاتهم إلى أن تموت الزوجة السابقة، خشية أن يستمروا بارتكاب خطية الزنا يومياً؟ ألم يُحرم بولس المتزوجين ألا يمتنعوا عن الإضجاع مع شريك الحياة؟ ألن تقود هذه المشورة إلى الشهوات الجنسية العارمة أو حتى يتمنى الرجل وفاة زوجته السابقة؟

أو عسانا نُخبرهم أن يُطلقوا الزوجة الحالية وأن يُعيدوا لزواجهم مرة أخرى من الزوجة السابقة مرة أخرى (وهذا مُرجح من البعض)، والا أن هذا الأمر مُحرم حسب شريعة موسى في تثنية ٢٤: ١ - ٤؟

ماذا عن المُطلقين الذين لم يتزوجوا مرة أخرى؟ فإن كان مُصرح لهم الزواج مرة أخرى فقط بحالة أن الزوجة السابقة قد ارتكبت بعض الفجور، فمن يستطيع التأكد أن فجورٌ قد حدث بالفعل، أو لربما لم يحدث؟ وبغية الزواج مرة أخرى، هل سيتطلب من بعض الرجال إثبات أن الزوجة السابقة كانت مُذنبة بالشهوة، في حين سيحتاج آخرون لإحضار شهوداً لإثبات علاقات الزوجة الغير نزيهة؟

كما تساءلت قبلاً، ماذا عن حالات ارتكاب الزنا بسبب امتناع أحد أطراف الزواج عن ممارسة الجنس؟ هل هذا عادل أن يتم السماح للشريك الذي أمتنع عن ممارسة الجنس بالزواج مرة أخرى وعدم السماح للذي ارتكب خطيئة الزنا من الزواج مرة أخرى؟

ماذا عن الشخص الذي ارتكب فجوراً قبل الزواج؟ ألا يعتبر هذا الفجور عدم إخلاص لشريك الحياة المستقبلي؟ ألن يُعد ذلك خطيئة مساوية للزنا إن لم يكونا هاذان الشخصين متزوجين عندما ارتكبا هذا الفعل؟ فلماذا يُصرح لهذا الشخص أن يتزوج مرة أخرى؟

ماذا بحالة اثنان كانا يعيشان معاً، دون زواج، وبعد ذلك ينفصلان. لماذا يُسمح لهما الزواج من أشخاص آخرين بعد الانفصال، هل لأنهما لن يكونا متزوجان رسمياً قبلاً؟ وبماذا يختلفان عن أولئك الذين يُطلقون ويتزوجون ثانية؟

ماذا عن حقيقة أن "الأشياء القديمة قد مضت" و "كل الأشياء الآن أصبحت جديدة" بلحظة أن أصبح الشخص مسيحياً (انظر كورنثوس الثانية ٥: ١٧)؟ هل هذا يعني أن كل خطيئة تم ارتكابها ستغفر له ماعدا خطيئة الطلاق الغير شرعي؟

كل هذه الأسئلة وغيرها °° يمكن أن تُسأل لأسباب قوية تدعم الاعتقاد أن يسوع لم يضع قانوناً جديداً بخصوص الزواج الثاني. بالتأكيد يسوع كان ذكياً بدرجة كافية ليستنتج تداعياته لقانونه الجديد من قانون الزواج إن كان هذا ما يعنيه. هذا بحد ذاته يُعلمنا أنه كان يكشف نفاق الفريسيين — الشهبانيين، والمتدينين، والمنافقين هم الذين يُطلقون زوجاتهم لأتفه الأسباب ويتزوجون من أخريات.

بالتأكيد سبب قول يسوع هذا أنهم ارتكبوا خطيئة الزنا بدلاً من قوله ببساطته إن ما كانوا يفعلونه كان خاطئاً ولأنه يريد أن يُبين أن الطلاق لأي سبب كان والزواج مرة أخرى بهذه البساطة ليس هو على درجة أقل من الزنا، وهو أمر كانوا ينكرون فعله. وهل علينا أن نستنتج أن الشيء الوحيد الذي أقلق يسوع كان هو الجزء الجنسي في الزواج مرة أخرى، وكأنه يُصادق على الزواج مرة أخرى طالما كان بعيداً عن الجنس؟ وبالتأكيد لا؟ لذلك دعونا لا نستخرج من أقواله ما لم يعنيه.

مُقارنة مدروسة

دعونا نتصور شخصين. أحدهما رجل متزوج، ومُتدين، ويتدعى أنه يُحب الله من كل قلبه، وفجأة بدأ يشتهي جارته الشابة اليافعة. ووصل الى حالة كان على وشك أن يُطلق زوجته ويُسرع بالزواج من هذه الفتاة الصغيرة بدافع شهوته العارمة.

والآخر رجلاً عازباً غير مُتدين. ولم يسمع الإنجيل من قبل وكغيره من الناس يعيش في حياة الخطيئة التي أودت بنهاية المطاف إلى إنهاء حياته الزوجية. وها هو وبعد عدة سنوات وكرجل عازب يسمع الإنجيل للمرة الأولى، فتاب وأصبح من أتباع يسوع من كل قلبه. وبعد ثلاث سنوات من إيمانه يتقابل في الكنيسة مع امرأة مسيحية مؤمنة. الآن كلاهما يسيران في مشيئة الرب بجدية ومشورة الآخرين، وبعد زمن قرروا الزواج. وبعد زواجهما استمررا بخدمة الرب وبعضهما البعض بإخلاص حتى الموت.

الآن دعونا نحكم إذ كلا الرجلان قد أخطئا بالزواج الثاني. فمن من بينهما يحمل خطيئة أكبر من الآخر؟ واضح أن الرجل الأول. فهو لا يختلف عن الزاني.

ولكن ماذا عن الرجل الثاني؟ هل يبدو فعلاً أنه أخطأ؟ هل يمكن أن نقول إنه لا يختلف عن الزاني، كما يمكن أن يُقال عن الرجل الأول؟ لا أعتقد ذلك. وهل عليه أن يواجه بما قاله يسوع عن الذين يتطلقون ويتزوجون مرة أخرى، هل ندينه لأنه يعيش الآن مع امرأة لا يريد له الله أن يرتبط بها، لأن الله يعتبره متزوجاً ما زال من زوجته الأولى؟ أو عسانا نخبره أنه يعيش حياة الزنا؟

°° فعلي سبيل المثال، تخيل كم التعليقات التي سيتلقاها قسيساً مُطلقاً عندما يجد نفسه فُصل عن جسد المسيح عندما يتزوج مرة أخرى. قد يقول "أنه كان من الأفضل لي أن أقتل زوجتي بدلاً من أن أطلقها. لأنني إن قتلتها، فيمكنني أن أتوب ويُغفر لي، وأتزوج طبقاً للشريعة ويمكن لي أن أستمّر في خدمتي."

الإجابات واضحة. ارتكاب خطية الزنا قد تمت من قبل هؤلاء المتزوجون الذين ينظرون لنساء غير زوجاتهم. ولذلك الطلاق من الزوجة فقط لأن الزوج قد أُعِجِبَ بامرأة أخرى أكثر جاذبية هذا يُعتبر الزنا بعينه. ولكن الرجال العُزاب لا يمكنهم أن يرتكبوا خطيئة الزنا إذ ليس لديهم زوجات حتى يكونوا مُخلصين لهم أو أن يطلقوهن. فحين نفهم الكتاب المقدس والسياق التاريخي لما قاله يسوع، عندها ستكون استنتاجاتنا منطقية وغير متناقضة مع أجزاء أخرى بالكتاب المقدس.

عندما سَمِعَ التلاميذ رد يسوع علي سؤال الفريسيين، فَقَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَةُ الرُّوْحِ مَعَ الرُّوْحَةِ، فَعَدَمُ الرُّوْحِ أَفْضَلُ!» (متى ١٩: ١٠). يجب أن تُدرك أنهم قد عاشوا في ظل تعليم وتأثير الفريسيين، وفي ثقافة متأثرة كثيراً بالفريسيين. فلم يكن باعقادهم أن على الزواج أن يكون أدياً. وفي الواقع أنهم إلى هذه اللحظات آمنوا أنه أمراً شرعي للرجل أن يُطلق زوجته لأي سبب كان. ولذلك وبسرعة استنتجوا أنه لربما من الأفضل أن يمتنعوا عن الزواج كلياً، خشية أن يواجهوا خطر الطلاق والوقوع في خطيئة الزنا.

فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: هَذَا الْكَلَامُ لَا يَقْبَلُهُ الْجَمِيعُ، بَلِ الَّذِينَ أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ. ١١
فَإِنَّ بَعْضَ الْخَصِيَّانِ يُؤَلِّدُونَ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ خَصِيَّاناً؛ وَبَعْضُهُمْ قَدْ خَصَّاهُمْ النَّاسُ؛ وَغَيْرُهُمْ قَدْ خَصَّوْا ١٢
أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ هَذَا، فَلْيَقْبَلْهُ!
(متى ١٩: ١١ - ١٢)

هذا هو، أن التحكم بالنفس وبالذوافع الجنسية هو العامل الحاسم. وحتى بولس قال " وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُمْكِنَهُمْ ضَبْطُ أَنْفُسِهِمْ، فَلْيَتَزَوَّجُوا. لِأَنَّ الرُّوْحَ أَفْضَلُ مِنَ التَّحَرُّقِ." (كورنثوس الأولي ٧: ٩). فهؤلاء المولودين كخصيان أو تم خصيهم على يد الناس (كما تم فعل ذلك للرجال عندما كان هناك حاجة لحماية زوجات بثقة عالية) قد فقدوا أي شغف جنسي. وهؤلاء الذين "أصبحوا خصيان لأجل ملكوت السماوات" يبدو أنهم قد دعوا دعوة خاصة من الله وبغرض القدرة على التحكم بالنفس أكثر، ولذلك "ذَا الْكَلَامُ لَا يَقْبَلُهُ الْجَمِيعُ، بَلِ الَّذِينَ أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ" (متى ١٩: ١١).

الموعظة على الجبل

يجب أيضاً أن نأخذ في الاعتبار أن الجموع التي تحدث إليها يسوع على الجبل كانت من الناس الذين عاشوا طوال حياتهم تحت ظل تأثير نفاق الفريسيين، قادة ومعلمي إسرائيل. وكما علمنا من دراسة العظة على الجبل قبلاً، فمن الواضح أن ما قاله يسوع ليس إلا تصحيحاً لتعليم الفريسيين الكاذب. وقد قال يسوع للجموع أنهم لن يدخلوا ملكوت السماوات إلا إذا فاق برّهم بر الكثرة والفريسيين (متى ٥: ٢٠) وبمعنى آخر كان يقول إن الكثرة والفريسيين ذاهبون إلى الجحيم. وفي نهاية العظة تعجب الجموع، لأن يسوع لم يكن يُعلم ككتبتهم (متى ٧: ٢٩).

ففي بداية عطته تطرق يسوع لنفاق هؤلاء الذين يتدعون أنهم لم يرتكبوا خطية الزنا في حياتهم، ولكن علماً أنهم هم من يشتهون، ويطلقون ويتزوجون مرة أخرى. فقد أعطى بذلك لكلمة زنا معنى أوسع أبعد من السلوك الجسدي الخاطئ بين شخصين متزوجين مع أشخاص آخرين. فما قاله كان واضحاً لأي شخص أمين قد فكر قليلاً في الأمر. تذكر أنه حتى عظة يسوع، كان معظم الجموع يعتقدون أنه شرعي للرجل أن يطلق زوجته لأي سبب. ما أراد يسوع من مستمعيه ولكل واحد منا أن ندرك أن مشيئة الله بالنسبة للزواج ومنذ البدء تحتل مكانة سامية.

وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: لَا تَزْنِ! ٢٧

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ بَقْصِدٍ أَنْ يَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ ٢٨

فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الِئْمَنَى فَحَاً لَكَ، فَأَقْلَعُهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ غَضَنًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَلَا يُطْرَحَ ٢٩ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ!

وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الِئْمَنَى فَحَاً لَكَ، فَأَقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ غَضَنًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَلَا يُطْرَحَ ٣٠ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ!

وَقِيلَ أَيْضاً: مَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ، فَلْيُعْطِهَا وَثِيقَةَ طَلَاقٍ. ٣١

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ لِغَيْرِ عِلَّةٍ الزَّنى، فَهُوَ يَجْعَلُهَا تَزْتَكِبُ الزَّنى. وَمَنْ تَزَوَّجَ بِمُطْلَقَةٍ، ٣٢ فَهُوَ يَزْتَكِبُ الزَّنى.

(متي ٥: ٢٧ – ٣٢)

أولاً، كما أشرت قبل قليل أن ما لاحظته من كلمات يسوع عن الطلاق والزواج الثاني لم يكن لتتبع كلماته عن الشهوة وحسب، بل أنه ربطهما لدرجة معينة، حيث إنه وضعها بنفس الثقل كلاهما زنا، رابطاً بينهما بشكل وطيد. ولذلك نرى الخيط الدقيق الذي يجري عبر هذه الفقرات من الكتاب المقدس. وبذلك أراد يسوع أن يساعد أتباعه على فهم المعنى الحقيقي لطاعة الوصية السابعة. أي الحرص من السقوط بالشهوة لكيلا تكون علة تسبب الطلاق وبعد ذلك الزواج الثاني.

حاول يسوع أن يوضح مشيئة الله الأصلية لليهود بما قد جاء على مسامعهم مراراً كثيرة في الهيكل بقراءة الوصية السابعة (وفي ذلك الزمان لم يكن لكل شخص كتابه المقدس الخاص) ولم يسمعوا الوصية فقط وإنما رأوها تُمارس في حياة الكنيسة والفريسيين.

أولاً في الوصية العاشرة الشهوة مُحَرَّمَةٌ، وكل منا يُفكر بعض التفكير عنها سيدرك أنه من الخطأ أن يشتهي ما حرمه الله.

ثانياً في الفصول الأولى من سفر التكوين، أوضح الله أن الزواج هو ارتباط لمدى الحياة. فعليه، وإذ فكرنا بهذا الموضوع بعض التفكير سندرك لا محالة أن الطلاق والزواج الثاني لا يختلف عن الزنا، خاصةً عندما يُطلق أحدهم فقط بغرض الزواج مرة أخرى.

ومن الواضح أن يسوع في هذه العظة الشهيرة كان يُريد فقط أن يساعد الناس على رؤية الحقيقة عن الطلاق لأي سبب والزواج مرة أخرى. فلم يكن ليضع قانوناً جديداً عن الزواج مرة أخرى، لم يكن موجوداً في الكتب إلى ذلك الحين.

فمن العجيب أن قليلاً جداً من الناس في الكنيسة أخذوا كلمات يسوع عن خلع العين أو قطع اليد كمعنى حرفي، حيث أن الأفكار وإن تم تطبيقها فلن تكون بانسجام مع باقي تعاليم الكتاب المقدس. لكن هنا الهدف هو توضيح نقطة مهمة وهي تجنب الشهوة الجنسية. ومن ناحية أخرى هناك أناس في الكنائس يحاولون تفسير كلمات يسوع عن الزواج الثاني بشكل حرفي واعتباره زناً، حتى وإن كانت الترجمة الحرفية تتناقض مع مجمل ما يعلمه الكتاب المقدس. هدف يسوع كان لمُستمعيه أن يواجهوا الحقيقة، على أمل أن يكون هناك عدداً أقل من حالات الطلاق. فإن أخذ مُستمعيه ما قاله عن الشهوة ستكون حالات الفجور في أوساطهم بنسبة أقل بكثير مما كانت عليه. إذ أنه لو لم يكن هناك فجور لما كان هناك فرصة للطلاق، وتلك هي مشيئة الله منذ البدء.

كيف يمكن للرجل أن يجعل زوجته ترتكب خطيئة الزنا؟

لاحظ ما قاله يسوع، "من يُطلق زوجته إلا لعلّة الزنا، فهو يجعلها تُزني." وهذا أيضاً لا يقودنا للاعتقاد بأن يسوع بذلك وضع قانوناً جديداً للزواج الثاني، ولكن ليوضح أمر طلاق الرجل من زوجته لسبب جيد. فهو يجعلها ترتكب الزنا. البعض يفكر إن يسوع كان يُحرم زواجها مرة أخرى، لأنه اعتبر ذلك خطيئة زنا. ولكن هذا مُقذذ. فالتشديد هنا على خطيئة الرجل عندما يقوم بالطلاق. لأنه بسبب ما قد يفعله لن يكون للزوجة أي اختيار إلا لأن تتزوج مرة أخرى، وهذا الأمر لا يُحسب كخطيئة عليها لأنها ضحية غرور زوجها. ففي عيني الله، لأن الرجل ترك زوجته بلا خيار سوى أن تتزوج من رجل آخر، كما وكأنه بدفعها لتضع مع رجل آخر. ولذلك الشخص الذي يعتقد بإطلاق زوجته أنه لم يرتكب خطيئة الزنا سيحاسب على زنا مُضاعف - زناه وزنا زوجته.

فلا يمكن ليسوع القول إن الزوجة ضحية الطلاق مُذنبة بالزنا، لأن ذلك ليس من العدل، وفي الحقيقة لن يكون لذلك أي معنى على الإطلاق لطالما لن تتزوج الزوجة الضحية أبداً. كيف يمكن لله أن يقول إنها زانية إن لم تتزوج مرة أخرى؟ فهذا غير منطقي على الإطلاق. ولكن من الواضح أن الله يعتبر الرجل مُذنباً لأجل زناه، وزنا زوجته، بيد أنه في حقيقة الأمر هي غير زانية على الإطلاق من ناحيتها، وبالتالي زواجها الثاني هو شرعي.

ماذا عن تصريح يسوع التالي "من يتزوج من مُطلقة يزني"؟ فهناك احتمالان منطقيان. إما أن يسوع كان ليضيف حساباً ثالثاً من الزنا على الرجل الذي يعتقد أنه لم يزني البتة (لإضافته حساباً ثانياً)، أو أن يسوع كان يتحدث عن الرجل الذي يُشجع امرأة على الطلاق من زوجها بغية الزواج منها "حتى لا يرتكب خطيئة الزنا". فإن قال يسوع إن كل رجلاً على الأرض يتزوج بامرأة مُطلقة يزني، حينها كل الإسرائيليين عبر مئات السنين السابقة قد ارتكبوا الزنا بزواجهم من مُطلقات ومع التزامهم بشريعة موسى، بزواجه بمُطلقة. وفي الحقيقة، كل رجل من مُستمعي المسيح في ذات اليوم كان متزوجاً من امرأة مُطلقة طبقاً لشريعة موسى، الآن فجأة أصبح مُذنباً فيما لم يُعتبر خطيئة قبل ذلك، فأكد أن يسوع قد غير شريعة الله في هذه

اللحظة. وعلاوة على ذلك، كل شخص في المستقبل متزوجاً من مُطلقة، سيكون مُرتكباً خطيئة الزنا حتى وإن كان واثقاً مما قاله بولس في رسالته لأهل كورنثوس أن هذا الأمر ليس بخطية.

أما بالنسبة لي، فإن روح الكتاب المُقدس بأكمله سيقودني للإعجاب بشخصية الرجل الذي يتزوج من امرأة مُطلقة، إن كانت المرأة ضحية لزوجها الأول السابق من الرجل الأناني، ويعجبني هذا الرجل كشخص نبيل كنا بمن يتزوج من الأرملة، بأخذه إياها في رعايته. وإن كان عليها بعض اللوم من طلاقها السابق، سأعجب به لأخذه مثال المسيح برويته الأحسن بها، وبنعمته قد نسي الماضي وأخذ على ذاته المجازفة. لماذا على كل من قرأ الكتاب المقدس ويسكن الروح القدس فيه أن يستنتج أن يسوع كان بهذا يُحرم كل زواج من مُطلق/ة؟ بشكل قاطع كيف رأي كهذا ليتناسب مع عدل الله، العدل الذي لا يُعاقب شخصاً لكونه ضحية، كما هو الحال للمرأة التي تطلقت دون أن تُخطئ؟ كيف يتناسب هذا الرأي مع رسالة الإنجيل، التي توفر التسامح وإتاحة الفرصة لتوبة الخُطاه؟

الخلاصة

الكتاب المقدس يقول وباستمرار أن الطلاق هو تورط يشمل بخطية طرف واحد أو كلا الطرفين. فالله لم يشأ الطلاق لأي أحد، لكن برحمته وضع حلاً حين يحدث فجور. إذ أعطي فرصة لأولئك المُطلقين أن يتزوجوا وذلك حسب رحمته.

لو لم تدون كلمات يسوع عن الزواج مرة أخرى، لما أعتقد أي من قُراء الكتاب المقدس أن الزواج الثاني هو لربما خطيئة (ماعدا في حالتين نادرتين في ظل العهد القديم وفي حالة نادرة في ظل العهد الجديد، أن يتزوج مسيحي مرة أخرى بعد الطلاق من مسيحي آخر). وعلى الرغم من ذلك، قد وجدنا طريقة منطقية انسج ما قاله يسوع عن الزواج الثاني وما يعلمه باقي الكتاب المقدس بالكامل. لم يكن يسوع مُغيراً لشريعة الله عن الزواج مرة أخرى بشريعة أكثر صرامة مُحرمة كل أنواع الزواج الثاني لأي حالة، وإلا لكانت شريعته مُستحيلة الطاعة لهؤلاء الذين تطلقوا بالفعل وتزوجوا مرة أخرى، أولاً هذا سيخلق ارتباكاً وسيقود الناس على كسر شرائع إلهية أخرى. بدلاً من أن مُساعدة الناس أن يروا نفاقهم. فقد أراد مساعدة هؤلاء المؤمنين ليروا أن حياة الشهوة والأسلوب الفعلي للطلاق هو ارتكاب زنا وإن لم يروا في ذلك خطية.

كما أن الكتاب المقدس بكامله يُعلم أن الغفران مُقدم للخطاة التائبين بغض النظر عن خطاياهم، وإعطاء فرصة ثانية وثالثة للخطاة، وهذا يشمل المُطلقين أيضاً. فليس هنا أي خطية في الزواج مرة أخرى في ظل العهد الجديد، ماعدا إن كان المؤمن مُطلق من مؤمن آخر، ولا يجدر أن يحدث أمراً كهذا حيث أن المؤمنين لن يمارسوا الفجور وليس هناك أي سبب حقيقي للطلاق. وقد يحدث ذلك بحالات نادرة وعندها على الزوجين المُطلقين أن يبقيا دون زواج أو أن يتصالحا.

الفصل الرابع عشر

أساسيات الإيمان

Fundamentals of Faith

مِنَ الْمُسْتَحِيلِ إِرْضَاءَ اللَّهِ بِدُونِ إِيمَانٍ. إِذْ إِنَّ مَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ، لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّهُ مُوجُودٌ، وَبِأَنَّهُ يُكَافِئُ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ (عبرانيين ١١ : ٦).

إن تعامل الله معنا نحن المؤمنون يختلف عليه من كيفية تعامله مع من لا يسعى لمعرفة من الناس. وعندما نؤمن بوجوده وبأنه يتعامل معنا عندها نبدأ بإرضائه، إذ نبدأ بطبيعة الحال نسعى نحوه. والسعي لله يعني (١) معرفة مشيئته، (٢) طاعته، (٣) والثقة في وعوده. وهذه العناصر الثلاثة عليها أن تتواجد بحياتنا في مسيرتنا اليومية.

في هذا الفصل سوف نُسلط الضوء على مسيرتنا الإيمانية. ومن المؤسف أن الكثيرين ممن يُظهرون إيماناً غير كتابي، خاصةً أنهم يضعون الثقل على الازدهار المادي ذلك هو أساس إيمانهم. ولهذا السبب البعض يخشى التعرض لهذا الموضوع. ولكن لأن هناك من يغرق بالأنهار هذا لا يعني أنه علينا أن نكف عن شرب المياه. وبهذا يمكننا أن نحافظ على الاتزان الكتابي بتعرضنا لموضوع السير بالإيمان. والكتاب المقدس يعلمنا مباشرةً عن هذا الموضوع، فالله يريدنا أن نمارس إيماننا حسب وعوده الكثيرة.

وقد وضع لنا يسوع نموذجاً عن الإنسان المؤمن بالله، وتوقع من تلاميذه أن يتبعوا مثاله. وكذلك على الخادم صانع التلاميذ أن يسعى جاهداً ليكون مثلاً لشخص يثق بالله، وأن يُعلم تلاميذه أن يؤمنوا بوعود الله. وهذا في غاية الأهمية. فليس فقط من المستحيل أن نرضي الله بدون إيمان، ولكن من المستحيل أيضاً أن نتلقى إجابات لصلواتنا بدون إيمان (أنظر متي ٢١ : ٢٢؛ يعقوب ١ : ٥ - ٨). فالكتاب المقدس يعلمنا أن الشاكين محرومين من البركات التي فقط يتلقاها المؤمنون. قال يسوع " فكلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَى الْمُؤْمِنِ " (مرقس ٩ : ٢٣).

تعريف الإيمان

أما تعريف الإيمان فنجدّه في عبرانيين ١١ : ١

" أَمَّا الْإِيمَانُ، فَهُوَ الْثِقَةُ بِأَنَّ مَا نَرْجُوهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتَحَقَّقَ، وَالْاِقْتِنَاعُ بِأَنَّ مَا لَا نَرَاهُ مُوجُودٌ حَقًّا "

فمن هذا التعريف نتعلم صفات عديدة للإيمان. أولاً، أن من لديه إيمان يتمتع بثقة ويقين. وهذا يختلف عن الأمل، لأن "الإيمان هو تأكيد للأشياء التي نأمل بها". والأمل دائماً ما يتيح مساحة للشك. إذ أن الأمل دائماً

ما يقول "ربما". وعلى سبيل المثال، يمكن القول "أنني أمل أن تُمطر اليوم لكي ترتوي حديقتي". فأنا أُرغب بالمطر، ولكني غير مُتأكد من حتمية الإمطار. ولكن الإيمان دائماً مُتأكد، "التأكيد بما نأمل به".

فما يُسميه البعض إيماناً أو اقتناع، هذا ليس بالضرورة التعريف الكتابي للإيمان. فربما ينظرون إلى السماء ويَروُن سحابة سوداء، فيقولون "أنهم يعتقدون أنها ستمطر". ولكنهم غير مُتأكدين من إنها ستمطر بالفعل – ببساطة يعتقدون أن هناك احتمالية للمطر. وهذا ليس إيمان كتابي. فالإيمان الكتابي لا يحتوي على عنصر الشك. فليس هناك مجالاً لأي نتيجة عدا ما وعده الله.

الإيمان هو الاقتناع بالأشياء غير المرئية

التعريف المذكور في عبرانيين ١١: ١ يحدد أن الإيمان هو "الاقتناع بأنَّ ما لا نراه موجودٌ حقاً". وإن أمكننا رؤية شيئاً أو أن ندركه بحواسنا الجسدية، ذلك لا يتطلب أي إيمان.

أفترض أن أحد يقول لك الآن "لدي إيماناً" وليسبب لا يمكن تفسيره، أنه يوجد كتاباً بين يديك. "فبالطبع ستعتقد أن لذلك الشخص مشكلة ما في عقله. وستقول له: "ماذا؟ إنك لست بحاجة لأن تؤمن أن كتاب بين يدي، لأنني بالفعل أحمل كتاباً".

الإيمان دائماً يكون بأمور لا تري. فعلي سبيل المثال، حيث أكتب هذه الكلمات، أنا أؤمن بوجود ملاكاً بالقرب مني. ففي الحقيقة أنا مُتأكد من ذلك. فكيف لي أن أتأكد من ذلك؟ هل أرى ملاكاً؟ لا. هل شعرت أو سمعت الملاك يطير بجانبني؟ لا. فإن رأيت ملاكاً أو سمعته، عندها سيكون لي علم بوجوده ولا حاجة لي لأن أؤمن بوجوده بالقرب منه.

وماذا يجعلني على يقين من وجود الملاك؟ إن مصدر تأكدي ينبع من إحدى وعود الله. ففي مزمور ٣٤: ٧، قد وعد الله "مَلَاكُ الرَّبِّ يُحَيِّمُ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ". فليس لدي أي إثبات سبب أيماني به عدا كلمة الله. فهذا هو الإيمان الكتابي – الاقتناع بالأشياء غير المرئية. إن أهل العالم دائماً يستخدمون هذا التعبير "الإيمان بما يُرى". ولكن في مملكة الله العكس هو الصحيح: "الإيمان بما لا يُرى".

كثيراً ما تُحيط بنا ظروف تدعونا للشك عندما نبدأ بممارسة الإيمان بإحدى مواعيد الله، وأوقات لا نشعر أن الرب مُحافظاً على وعده لنا بسبب بقاء تلك التحديات في حياتنا. وفي تلك الحالات نحن نحتاج ببساطة لأن نتصدى للشكوك ولأن نثبت بالإيمان، ونحافظ على كلمة الله في قلوبنا. "فِي رَجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللَّهُ الْمُنْزَرَةَ عَنِ الْكَذِبِ، مِنْ قَبْلِ أَرْمَنَةِ الْأَزَلِ" (تيطس ١: ٢).

كيف يمكننا الحصول على الإيمان؟

إذ أن الإيمان مبني فقط على وعود الله، لذلك هناك مصدر واحد للإيمان الكتابي — وهو كلمة الله. فيقول في رومية ١٠: ١٧ "الإِيمَانُ نَتِيجَةُ السَّمَاعِ، وَالسَّمَاعُ هُوَ مِنَ النَّبَشِيرِ بِكَلِمَةِ الْمَسِيحِ". فكلمة الله هي التي توحى بمشيئته. وفقط عندما نعرف كلمة الله عندها نؤمن بها.

وعليه إن أردت أن يكون لديك إيمان، فيتوجب عليك أن تسمع (أو تقرأ) وعود الله. فالإيمان لا يأتي من جراء الصلاة لأجله، أو الصوم لأجله، أو طلب من أحدهم وضع الأيدي لكي تحصل على إيمان. فالإيمان يأتي من سماع كلمة الله، وحين تسمعها، عليك أن تقرر أنك تؤمن بها.

بعد الحصول على الإيمان، يزداد إيماننا بالقوة مع نموه. ويذكر الكتاب المقدس أن هناك مستويات مُتنوعة من الإيمان — ابتداءً من الإيمان الصغير إلى الإيمان المُحرك للرجال. فالإيمان ينمو قوةً كلما قمنا بتغذيته وبممارسته، كما يحدث لنمو عضلات الإنسان. علينا أن نستمر بتغذية إيماننا من خلال التأمل بكلمة الله. ويجب أن نمارسه بالسلوك والوصول لكل شيء على أساس كلمة الله. وهذا يشمل تلك الأوقات التي بها نواجه المشاكل، قلق أو اضطراب. الله لا يريد لأبنائه أن يقلقوا لأي شيء، ولكن أن يثقوا به في كل موقف (أنظر متى ٦: ٢٥ — ٣٤، فيلبي ٤: ٦ — ٨، بطرس الأولى ٥: ٧). رفضنا للقلق هو الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نمارس بها إيماننا.

نتيجة إيماننا بكلمة الله، سنسلك ونتحدث بالحقيقة. إن آمنت أن يسوع هو ابن الله، ستسلك وستتكلم كشخص يؤمن بذلك. وإن آمنت أن الله سيدعمك بما تحتاجه، ستسلك وستتكلم طبقاً لذلك. إن آمنت أن الله يريدك أن تكون إنساناً ذو صحة جيدة، فإنك بناءً عليه ستسلك وتحدث طبقاً لذلك. فالكتاب المقدس مليء بالأمثلة عن أولئك الذين سلكوا بالإيمان وسط الظروف الصعبة وحدثت معجزات في حياتهم، سنعرض إلى بعض الأمثلة في جزء لاحق من هذا الكتاب وفي فصل آخر (الشفاء الإلهي)، (ولبعض الأمثلة الجيدة على ذلك أنظر ملوك الثاني ٤: ١ — ٧، مرقس ٥: ٢٥ — ٣٤، لوقا ١٩: ١ — ١٠، أعمال الرسل ١٤: ٧ — ١٠).

الإيمان يكون من القلب

فالإيمان الكتابي لا يعمل في عقولنا، وإنما بقلوبنا إذا صح التعبير. فقد كتب بولس " فَإِنَّ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَى الْبِرِّ " (رومية ١٠: ١٠). وقال يسوع:

فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَيَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْقَلِعْ وَانْطَرَحْ فِي الْبَحْرِ! وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ سَيَحْدُثُ، فَمَا يَقُولُهُ يَتِمُّ لَهُ. (مرقس ١١: ٢٣)

فمن الممكن أن يكون لديك شكوك في عقلك في حين يبقى وجود الإيمان في قلبك قائماً وبه تتلقى ما وعده الله. في الحقيقة، بمعظم الأحيان عندما نسعى للإيمان بوعود الله، تتأثر عقولنا بالأحاسيس الجسدية وكذب الشيطان، بهجمات من الشكوك. أثناء هذه الأوقات علينا أن نبذل الأفكار المشككة بوعود الله لنا متمسكين بالإيمان دون تردد.

أخطاء شائعة عن الإيمان

أحياناً عندما نحاول أن نمارس إيماننا بالله على أرض الواقع، نفشل بالحصول على ما نرغبه لأننا لا نسلُك حسب كلمة الله. إحدى الأخطاء شائعة الحدوث هي عندما نحاول أن نؤمن بما لم يعدنا الله به.

فعلى سبيل المثال، فحسب الكتاب على الأزواج أن يثقوا بالله بشأن إنجاب الأطفال لأن كلمة الله تحتوي على وعد يستحق الاستناد عليه. وأنا أعرف أزواجاً تم إخبارهم من قِبل الأطباء أنهم غير قادرين أبداً على الإنجاب. على الرغم من ذلك كان عليهم أن يثقوا بالله، وباستنادهم على وعده المذكورين أدناه، اليوم هم والدين لأطفال أصحاء:

إِنَّمَا تَعْبُدُونَنِي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ فَأُبَارِكُ طَعَامَكُمْ وَشَرَابَكُمْ وَأَزِيلُ الْأَمْرَاضَ مِنْ بَيْنَكُمْ^{٢٥}

فَلَا تَكُونُ مُجْهَضَةً وَلَا عَاقِرٌ فِي أَرْضِكَ. وَأَمْتَعَكَ بِكَامِلِ عُمْرِكَ.^{٢٦}

(خروج ٢٣: ٢٥ - ٢٦)

وَتَكُونُونَ مُبَارَكِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، فَلَا يُوجَدُ عَقِيمٌ وَلَا عَاقِرٌ فِيكُمْ وَلَا فِي بَهَائِمِكُمْ.^{١٤}

(تثنية ٧: ١٤)

هذه الوعود عليها أن يُشجع هؤلاء الأزواج الغير مُنجبين! ولكن السعي بالإيمان للحصول على بنين أو بنات ذلك هو أمر آخر. إذ لا يوجد أي وعد مُحدد يضمن لنا جنس أطفالنا القادمين. إذا أردنا أن نتمتع بإيمان مؤثر علينا أن نلتزم بحدود الكتاب المُقدس.

دعونا نلقي نظرة على كلمة الله ومن ثم نُحدد ما يمكننا أن نؤمن به بُناءً على ما وُعدَ به:

لَأنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ سَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حَالِمًا يَدَوِّي أَمْرٌ بِالتَّجْمَعِ، وَيُنَادِي رَئِيسُ مَلَائِكَةٍ، وَيُبَوِّقُ فِي بُوقٍ^{١٦} إِلَهِيٍّ، عِنْدَئِذٍ يَقُومُ الْأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ أَوَّلًا.

(تسالونيكي الأولى ٤: ١٦)

وبُناءً على هذا العدد في الكتاب المُقدس يمكننا وبكل تأكيد أن نثق بعودة يسوع.

ولكن هل ينبغي أن نُصلي مؤمنين بأن يأتي يسوع بالغد؟ لا، لأنه ليس مذكور في الكتاب المُقدس ولا من أي من الآيات الكتابية تُعدنا بزمن بمجيئه. وبالواقع، أن يسوع قد قال إنه لا أحد يَعلم اليوم ولا الساعة التي سيعود فيها.

ولكن بالطبع يمكننا أن نُصلي أُمَليين بعودة يسوع في الغد، ولكن هذا الأمر غير مؤكد الحدوث. فعندما نُصلي بإيمان، نكون مُتأكدين أن ما نصلي لأجله سيحدث لأننا لدينا وعد الله به.

بُناءً على تلك الآية نحن نثق بقيامة أجساد الأموات عند مجيء المسيح. لكن هل لنا أن نؤمن بأننا نحن الأحياء سوف نُعطى أجساد القيامة عند عودة المسيح بنفس اللحظة التي سيعطى بها "الأموات بالمسيح" أو

باحتمال أننا سنتبعهم بذلك؟ لا، لأن الكتاب المقدس يعدنا بعكس ذلك: "الأموات في المسيح سيقومون أولاً". وبحقيقة الأمر إن الآية اللاحقة تقول " ثُمَّ إِنَّنَا، نَحْنُ الْبَاقِينَ أَحْيَاءُ، نُخْتَلَفُ جَمِيعاً فِي السُّحْبِ لِاجْتِمَاعِ بِالرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ. وَهَكَذَا نَبْقَى مَعَ الرَّبِّ عَلَى الدَّوَامِ." (تسالونيكي الأولى ٤: ١٧)

وعليه لا مجال للشك بأن "الأموات بالمسيح" سيحصلون على أجساد قيامة أولاً عند مجيء المسيح. لأن كلمة الله قد وعدت بذلك.

من الأجدر أن نكون على يقين حينما نقدم طلباتنا أمام الله، واثقين إنه سيستجيب إلينا ولكن أولاً على هذه الطلبات أن تتماشى مع مشيئة الله لحياتنا ويمكننا أن نتعرف على مشيئته من خلال وعوده المسجلة في الكتاب المقدس.

والإيمان في العالم الطبيعي كذلك يعمل على ذات النحو. فسيكون من باب حماقة إن آمن شخص بأن صديقه سيقوم بزيارته في وقت مُعين من النهار بدون أن يعده ذلك الصديق بأنه سيأتي لزيارته. وهكذا فعلى الإيمان دائماً أن يستند على وعد. وإلا لما كان ذلك إيماناً.

لذلك قبل أن تطلب أي شيء من الله، عليك أولاً أن تسأل نفسك سؤالاً – ما هي الآيات في الكتاب المقدس التي تعني بما أريد؟ إن لم يكن لديك وعد، فليس لإيمانك أساساً.

الخطأ الشائع الثاني

كثيراً ما يحاول المسيحيون أن يتقوا بإحدى مواعيد الله أن تتحقق في حياتهم دون الالتزام لكل الشروط المصاحبة لهذه المواعيد. فعلى سبيل المثال، في ذات يوم سمعت شخصاً مسيحياً يستشهد بمزمور ٣٧ وقال: "أن الكتاب المقدس سيعطيني سؤال قلبي. ولذلك أؤمن."

ولكن الكتاب المقدس لم يقل أن الله سيحقق كل رغبات قلوبنا.

هذا في الحقيقة ما يقوله الكتاب المقدس:

لَا يُفْلِقُكَ أَمْرُ الْأَشْرَارِ، وَلَا تَحْسَدُ فَاعِلِي الْإِثْمِ،^١

فَإِنَّهُمْ مِثْلَ الْحَشِيشِ سَرِيعاً يَذْوُونَ، وَكَالْعُشْبِ الْأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ.^٢

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ وَاصْنَعْ الْخَيْرَ. اسْكُنْ فِي الْأَرْضِ (مُطْمَئِنّاً) وَرَاعِ الْأَمَانَةَ.^٣

ابْتَهِجْ بِالرَّبِّ فَيَمْنَحَكَ بُغْيَةً قَلْبِكَ.^٤

سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَيَتَوَلَّى أَمْرَكَ.^٥

(مزامير ٣٧: ١ – ٥)

لذلك هناك عدة شروط علينا تليبيتها إن آمننا بأن الله سيعطينا رغبات قلوبنا. وبما أننا قد عثرنا على ثمانية شروط في الوعد السابق. فلن نأمل بأي بركة مُعطاة إلا إذا قمنا بتحقيق هذه الشروط، لأنه لا أساس لإيماننا.

ويحب المسيحيون الاستشهاد بوعده الرب المسجل في الرسالة إلى أهل فيلبي ٤: ١٩: "وَإِنَّ إِلَهِي سَيَسُدُّ حَاجَاتِكُمْ كُلَّهَا إِلَى التَّمَامِ، وَفَقاً لِعِغَاةٍ فِي الْمَجْدِ، فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". والسؤال، هل من شروط تتبع هذا الوعد؟ بالتأكيد نعم، توجد شروط.

فإن تدققت في الوعد الموجود في فيلبي ٤: ١٩، ستسجل أن هذا الوعد لم يُعط لجميع المسيحيين. بل هو وعد لأولئك المسيحيين المعطاءين. فقد عَلِمَ بولس أن الله سيد احتياجات أهل فيلبي لأنهم قد أرسلوا له العطايا في ذلك الحين. بذلك كانوا يبحثوا عن ملكوت الله أولاً كما أوصى يسوع، ولذلك سيزودهم الله بكل احتياجاتهم حسب وعد يسوع (أنظر متى ٦: ٣٣). فالكثير من الوعود الكتابية التي يَعِدُ بها الرب لتسديد احتياجات الناس دائماً ما تحمل شرطاً بأن يكونوا هم معطاءين بالدرجة الأولى.

وفي حقيقة الأمر لا حق لنا أن نعتقد بثقة من تسديد الله لاحتياجاتنا لطالما لا نُطيعه بما أوصانا به بما يتعلق بأموالنا. ففي العهد القديم، قال الله عن شعبه أنهم ملعونين بسبب عدم تقديمهم لعشورهم، في حين أنه وعدهم بالبركة إذا أطاعوه بتقديم عشورهم.

وهكذا الكثير من البركات الموعودة في الكتاب المقدس لنا مُشترطة بطاعتنا لله. لذلك قبل أن نؤمن أن الله سيخفف أمراً ما بحياتنا، علينا أولاً أن نسأل أنفسنا أولاً: "هل أنا بالفعل أفي بدوري لتلك الشروط المُصاحبة لهذا الوعد؟"

الخطأ الشائع الثالث

نرى في العهد الجديد أن يسوع قد وضع شرطاً عاماً علينا تليبيته بكل مرة نُصلي سائلين الله لأجل أمر ما:

فَرَدَّ يَسُوعُ قَائِلاً لَهُمْ: «لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ!»^{٢٢}

فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَيَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْقَلِعْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ! وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ سَيَحْدُثُ، فَمَا يَقُولُهُ يَتِمُّ لَهُ.

لِهَذَا السَّبَبِ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَا تَطْلُبُونَهُ وَتُصَلُّونَ لِأَجْلِهِ، فَاْمِنُوا أَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمُوهُ، فَيَتِمَّ لَكُمْ.^{٢٤}

(مرقس ١١: ٢٢ – ٢٤)

بهذا قد أقر يسوع شرطاً وهو أن نؤمن بأننا قد أُعطينا حينما نُصلي. فالكثير من المسيحيين يُحاولون أن يمارسوا إيمانهم خطأ، إذ يؤمنون فقط بعدما يروا الاستجابة لصلواتهم. فهم يؤمنون أنهم سيحصلون على الإجابة وليس أنهم قد تلقوها بالفعل.

فعندما نُصلي لله سائلين عن أمرٍ قد وعدنا به، علينا أن نؤمن بأننا قد حصلنا على الاستجابة بلحظة طلبتنا وهكذا نبدأ بإعطائه الحمد لأنه استجاب لصلواتنا. وهكذا علينا أن نؤمن أننا حصلنا على المُراد قبل رؤيتنا إياه وليس بعد أن نراه. واضعين طلباتنا مع الشكر، كما كتب بولس:

"لَا تَقْلُقُوا مِنْ جَهَةِ أَيِّ شَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ أَمْرٍ لِنَتَكُنْ طَلِبَاتُكُمْ مَعْرُوفَةً لَدَى اللَّهِ، بِالصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ، مَعَ الشُّكْرِ." (فيلبي ٤ : ٦)

كما ذكرت من قبل إن كان لدينا إيماناً في قلوبنا، فكلماتنا وسلوكياتنا ستتنسجم مع ما نؤمن به. إذ قال يسوع "لَأَنَّ الْفَمَ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَفِيضُ بِهِ الْقَلْبُ" (متي ١٢ : ٣٤)

إلا أن بعض المسيحيين يقعون بالخطأ عندما يكرروا طلباتهم لذات الأمر، وهذا بعينه يدل على أننا لم نحصل على الاجابة. لا حاجة لتكرار الطلب ذاته مراراً إذا طلبناه بإيمان وبأننا حصلنا عليه. ولذلك فإن تكرار الطلب مراراً هو مؤشر على شكنا بسماع الله لما سألناه منذ البداية.

لماذا طلب يسوع من الآب ذات الأمر ثلاثة مرات؟

عند صلاته في جثماني قد طلب يسوع ذات الأمر ثلاث مرات من الآب (أنظر ٢٦ : ٣٩ - ٤٤). لاحظ أنه لم يُصلي بإيمان لكي ما يوحى الله إرادته له. وفي الواقع، أنه صلي ثلاث مرات من أجل أي فرصة لتجنب الصليب، عالماً أن طلبه هذا كان بعكس إرادة الله العليا. ولذلك أخضع نفسه لمشيئة أبيه ثلاث مرات في تلك الصلاة.

صلاة يسوع هذه لا تُعتبر نموذجاً لنا بصلواتنا، كما نُعلم يجب علينا ختم كل صلاة بكلمات "لتكن مشيئتك"، أو "لا تكن إرادتي بل لتكن مشيئتك"، بذاك نفتدي بمثال يسوع.

وينبغي الإشارة مرة أخرى الى أن يسوع قد طلب مع علمه أن طلبته ليست حسب مشيئة الله له. فمن الخطأ أن نتبع مثاله حين نُصلي طبقاً لمشيئة الله ويدل على نقص الإيمان. فعلى سبيل المثال، إن صليت قائلاً "ربي، أنا أعترف لك بخطاياي وأسألك أن تغفر لي إن كانت إرادتك"، فقد يبدو ذلك وكأن إرادة الله ليست لغفران خطاياي. نحن نعلم أن الكتاب المقدس قد وعدنا بغفران خطايانا حين نعتترف بها (أنظر يوحنا الأولى ١ : ٩). ولذلك هذه الصلاة تعكس نقصاً بإيمان الشخص الذي يطلب من الله أن تكون مشيئته لشيء مُعلنأً كتابياً.

فليس من العادة ليسوع أن ينهي صلاته بكلمات "لتكن مشيئتك وليس مشيئتي". إلا أنه لمثالاً فريداً عندما صلي مُسلماً ذاته لإرادة الآب، ومع علمه بالآلام والمعاناة الآتية من جراء ذلك.

فمن الأفضل أن نختم صلواتنا بتعبير "لتكن مشيئتك" فقط عندما نُصلي لأمر جاهلين إرادة الله بصدد أنه لم يوحى به وغير مُعلنأً لنا بالكتاب المقدس عنه.

وكتب يعقوب:

وَأَنْتُمْ، يَامَنْ تُحْطِطُونَ قَائِلِينَ: «الْيَوْمَ أَوْ غَدًا، نَذْهَبُ إِلَى مَدِينَةٍ كَذَا، وَنَقْضِي هُنَاكَ سَنَةً، فَتُتَاجِرُ وَنَرْبَحُ»^{١٣}
 مَهْلًا! فَأَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ مَاذَا يَحْدُثُ غَدًا! وَمَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ فِتْرَةً قَصِيرَةً ثُمَّ يَتَلَاشَى!^{١٤}
 بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، كَانَ يَجِبُ أَنْ تَقُولُوا: «إِنْ شَاءَ الرَّبُّ، نَعِيشُ وَنَعْمَلُ هَذَا الْأَمْرَ أَوْ ذَلِكَ!»^{١٥}
 وَإِلَّا، فَإِنَّكُمْ تَفْتَخِرُونَ مُتَكَبِّرِينَ. وَكُلُّ افْتِخَارٍ كَهَذَا، هُوَ افْتِخَارٌ رَدِيءٌ!^{١٦}
 (يعقوب ٤: ١٣ - ١٦)

ماذا يجب علينا فعله حين نصنع طلباتنا بناءً على وعد الله وتلبية كل الشروط؟ يجب أن نشكر الله باستمرار لإجابته التي نؤمن أننا تلقيناها حتى تحدث بالفعل. فبالإيمان والصبر نرث وعود الله (عبرانيين ٦: ١٢). وبالتأكيد أن الشيطان سيحاول أن يغلبنا بإرساله شكوكاً، وهنا علينا أن نستنتج أن عقلنا في موقع المعركة. عندما تهاجم الشكوك عقولنا، فنحن نحتاج ببساطة لإحلال هذه الأفكار بأفكار مبنية على وعود الله ونعلن كلمة الله بكل إيمان. وحين نفعل ذلك، لا بد للشيطان أن يهرب (أنظر يعقوب ٤: ٧؛ بطرس الأولى ٥: ٨ - ٩).

مثالاً كتابياً على الإيمان العامل

على صفحات الكتاب المقدس نجد مثالاً تقليدياً للإيمان العامل الفعال عندما نقرأ قصة سير بطرس على الماء. دعونا نقرأ قصته مجدداً لنتعلم درساً قيماً منها:

وَفِي الْحَالِ أَلَزَمَ يَسُوعُ التَّلَامِيذَ أَنْ يَرْكَبُوا الْقَارِبَ وَيَسْبِقُوهُ إِلَى الضَّفَّةِ الْمُقَابِلَةِ مِنَ الْبُحَيْرَةِ، حَتَّى يَصْرِفَ^{٢٢}
 هُوَ الْجُمُوعَ. وَبَعْدَمَا صَرَفَ الْجُمُوعَ، صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ عَلَى انْفِرَادٍ. وَحَلَّ الْمَسَاءَ وَهُوَ وَحْدَهُ هُنَاكَ.^{٢٣}
 وَكَانَ قَارِبُ التَّلَامِيذِ قَدْ بَلَغَ وَسَطَ الْبُحَيْرَةِ وَالْأَمْوَاجُ تَضْرِبُهُ، لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ مُعَاكِسَةً لَهُ.^{٢٤}
 وَفِي الرُّبْعِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ جَاءَ يَسُوعُ إِلَى التَّلَامِيذِ مَاشِياً عَلَى مَاءِ الْبُحَيْرَةِ.^{٢٥}
 فَلَمَّا رَأَهُ التَّلَامِيذُ مَاشِياً عَلَى الْمَاءِ، اضْطَرَبُوا قَائِلِينَ: «إِنَّهُ سَبَحٌ!» وَمِنْ خَوْفِهِمْ صَرَخُوا.^{٢٦}
 وَفِي الْحَالِ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا: تَسَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لَا تَخَافُوا!^{٢٧}
 فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «إِنْ كُنْتُ أَنْتَ هُوَ، فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ مَاشِياً عَلَى الْمَاءِ!»^{٢٨}
 فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «تَعَالَ!» فَنَزَلَ بُطْرُسُ مِنَ الْقَارِبِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ مُتَّجِهاً نَحْوَ يَسُوعَ.^{٢٩}

وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا شَعَرَ بِشِدَّةِ الرِّيحِ، خَافَ وَبَدَأَ يَغْرُقُ، فَصَرَخَ: يَا رَبُّ نَجِّنِي! ٣٠

فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ فِي الْحَالِ وَأَمْسَكَهُ وَقَالَ لَهُ: يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ، لِمَ أَذًا شَكَّكَ؟ ٣١

وَمَا إِنَّ صَعِدَا إِلَى الْقَارِبِ، حَتَّى سَكَنَتِ الرِّيحُ. ٣٢

فَتَقَدَّمَ الَّذِينَ فِي الْقَارِبِ، وَسَجَدُوا لَهُ قَائِلِينَ: أَنْتَ حَقًّا ابْنُ اللَّهِ! ٣٣

(متي ١٤: ٢٢ - ٣٣)

والجدير بالذكر أنه قد سبق كما نعلم في متى الاصحاح الثامن من ٢٣-٢٧ ان تلاميذ يسوع قد واجهوا عاصفة عنيفة أخرى وهم بالقارب على بحر الجليل، واثناء ذلك الموقف كان يسوع مع تلاميذه حينها، وبعد أن أهدأ العاصفة، وبخ يسوع تلاميذه على قلة إيمانهم. وهنا وقبل بداية الرحلة قد سبق يسوع ليعلّم تلاميذه أنها تلك كانت إرادته لهم أن يذهبوا للجانب الآخر من البحيرة (مرقس ٤: ٣٥). الا اننا نراهم أنهم كانوا مُستسلمين للوضع الراهن عند هبوب العاصفة، وللحظة معينة كانوا على يقين أنهم سيهلكون جميعاً. لكن ما كان يتوقعه يسوع منهم هو ألا يرتعبوا.

وحدث بهذه المرة أن يسوع قد أرسل تلاميذه ليذهبوا بأنفسهم إلى بحيرة الجليل. وبلا شك أنه كان يقودهم بالروح ليفعلوا ذلك، وبالطبع كان الله على علم بهبوب تلك الرياح المُعاكسة في تلك الليلة، وبالرغم من ذلك قد سمح الرب لأن يواجهوا ذلك التحدي الصغير لإيمانهم. ومن العروف عن تلك الرياح المُعاكسة أنها كانت عادةً ما تستمر لعدة ساعات إلا انها استغرقت هذه المرة الليلة بأكملها دون توقف. علينا أن نُقدر التلاميذ على احتمالهم، ولكن لا تأتي على مخيلتنا أنه حاول أحدهم تهدئة الرياح بالإيمان، الامر الذي رأوه بأعينهم قبل عدة أيام عندما أهدأ يسوع. ومن العجيب انه يذكر في أنجيل مرقس سير يسوع على الماء نحو تلاميذه، "فقد قصد أن يمر بجانبهم" (مرقس ٦: ٤٨). وكان على وشك أن يتركهم ليواجهوا مشاكلهم بأنفسهم حيث كان يسير على الماء بطريقة معجزية بجوارهم! وهذا يشير الى أنهم لم يصلوا آنذاك ولم ينظروا لله. وهنا لا يسعني الا أن أتساءل كم من مرة حدث أن صانع المعجزات سار لجوارنا حيث كنّا بتوتر خائفين من الرياح العاصية.

مبادئ الإيمان

قد كان رد يسوع على تحدي بطرس بكلمة واحدة: "تعال". فلو حاول بطرس أن يسير على الماء قبل هذه الكلمة، لكاد أن يغرق في الحال، لأنه لم يعطى بعد وعداً ليبنى عليه إيمانه. ولكان أجرى خطواته بالاعتقاد بدلاً من الإيمان. وكذلك حتى وبعد نُطق يسوع لهذه الكلمة، إن حاول أي من التلاميذ الآخرين السير على الماء لكان قد غرق في الحال، لأن وعد يسوع قد أُعطي لبطرس بالتحديد. فلم يلائم أي منهم تحقيق شرط هذا الوعد لأنه لم يكن رجل آخر من بينهم يُدعى بطرس. وهكذا فإن حاول أي منا أن يثق بأحدى مواعيد الله، عندها يتوجب عليه أن يكون على يقين من أن هذا الوعد ينطبق عليه وأنه يستجيب للشروط المرافقة لذلك الوعد.

وقد اتخذ بطرس خطوةً على الماء. وهذه كانت بلحظة إيمانه، وليس هناك أي شك أنه كان يبكي من الخوف قبل ثوانٍ مُعتقداً أنه رأى شبحاً وكان ينتابه الشك في عقله عندما خطا خطواته الأولى. ولكن لكي يحصل على المعجزة، كان عليه أن يسلك بإيمان. فقد تثبث بطرس في صاري القارب ولمس الماء بإبهام قدمه ليرى إن كان سيعمل الماء وزنه، والا لما شهد حدوث المعجزة. وكذلك نحن قبل أن نتلقى المعجزات، يتوجب علينا أن نُسلم أنفسنا لله بثقة في وضع ما ونسلك حسب الإيمان. اختبار إيماننا قد يأتي في أي حين. أحياناً هذا الوقت من الاختبار قد يكون قصيراً، وأخرى طويلاً. ولكن إن تحوّل ليكون وقتاً مطولاً عندها علينا أن نتجاهل اختبارنا الحسي وعوضاً عن ذلك أن نسلك حسب كلمة الله.

فقد تقدم بطرس كثيراً في البداية. ولكن حين أدرك ما كان يفعله ملاحظاً الريح والأمواج، أنتابه الخوف للتو. ولربما بحياتنا أيضاً قد نتوقف عن السير، خائفين من اتخاذ خطوة للإمام. وهو ذلك الشخص بعينه من كان يختبر على نفسه حدوث المعجزة وجد نفسه بعد هنيه يغرق. عندما نشرع بالقيام بعمل ما بالإيمان علينا أن نستمر بذلك العمل بالإيمان دون توقف مستمرين السلوك بإيماننا. لا نتوقف عن الدفع قدماً.

فقد غرق بطرس إذ انتابه الشك. ومن عادة الناس انهم لا يرغبون بعتاب أنفسهم على قلة إيمانهم. فيفضلوا أن يلقوا اللوم على الله. ولكن ماذا تفترض رد فعل يسوع سيكون لو سمع بطرس، عندما عاد سالماً إلى القارب، قائلاً للتلاميذ الآخرين "أنها فعلاً كانت هذه إرادة الرب لي أن أسير على المياه لمنتصف المسافة نحو يسوع؟"

أما الحقيقة الصريحة هي فشل بطرس لأنه سمح للخوف أن يمتلكه وعليه قد فقد إيمانه. نعم تلك هي الحقيقة. لكن لم يلمه يسوع، بل في الحال مدّ له يده وأعطاه شيئاً قوياً ليتمسك به. وفي الحال سأل بطرس لماذا شككت. ولم يكن لبطرس أي سبب جيد لشكه، لأن لكلمة ابن الله ثقل وضمن يفوق أي شيء آخر. ليس لأي منا سبب مقنعاً للشك بكلمة الله، ولا للخوف أو للقلق.

والكتاب المقدس مليء بالانتصارات الناتجة عن الإيمان والفشل الناتج عن الشك. فقد دخل يشوع وكالب أرض الميعاد بسبب إيمانهما في حين أن الأغلبية من أقرانهم قد ماتوا في الصحراء بسبب شكوكهم (انظر العدد ١٤: ٢٦ - ٣٠).

وقد تلقى تلاميذ يسوع كل احتياجاتهم طوال رحلتهم عندما أرسلوا اثنان اثنان ليعظوا الإنجيل (انظر لوقا ١٧: ١٩ - ٢٠). وكثير من الناس حصلوا على مُعجزات شفاء في ظل خدمة المسيح بينما بقي آخرون في قريته الناصرة على مرضهم بسبب عدم إيمانهم (انظر مرقس ٦: ٥ - ٦).

وكما حدث لجميعهم أنا أيضاً قد اختبرت نجاحاً وفشلاً طبقاً لإيماني وشكوكي. ولكنني لا أريد أن أنمي مرارةً بسبب فشلي أو أن ألوم الله على ذلك. ولا أن اسعى لتبرير ذاتي عن طريق لوم الله. ولن أبحث عن تفسير لاهوتي مُعقد ليعيد إيضاح إرادة الله الواضحة. فأنا أعلم أنه من المستحيل لله أن يكذب. ولذلك عندما أفسل، يجب أن أتوب من عدم إيماني وأبدأ في السير على المياه مرةً أخرى. وما لاحظته دائماً أن يسوع يسامحني وينقذني من الغرق.

إصدار الحكم: المؤمنون هم من يتلقون البركة وليس الشكاكون! الخادم المُتلمذ دوماً ما يتبع مثال يسوع، فهو ممثلي بالإيمان، وكثيراً ما يحث تلاميذه قائلاً: "لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ" (مرقس ١١: ٢٢).

الفصل الخامس عشر

الشفاء الإلهي

Divine Healing

لقد كان وما يزال موضوع الشفاء الإلهي يعتبر موضوعاً جدلياً نوعاً ما، ولكنه وبالتأكيد ليس أحد المواضيع الغامضة في الكتاب المقدس. وفي حقيقة الامر تبلغ حصة خدمة يسوع الشفائية ما يقارب عُشر ما كُتِبَ في الأناجيل الأربعة. كما ونجد وعود الشفاء الإلهي أيضاً في العهد القديم ورسائل العهد الجديد. لذلك يمكن للمرضى منا أن يجدوا تشجيعاً عظيماً من خلال غنى تلك الآيات البناءة للإيمان الكتابي.

ومن ملاحظتي العامة حول العالم أدركت أن الشفاء الإلهي هو امرٌ مألوفٌ بالنسبة للكنائس التي تحتوي على المؤمنين الملتزمين (تلاميذ حقيقيين). ولكن في الكنائس الفاترة والمتضخمة، الشفاء الإلهي ما هو الا شيئاً نادراً.^{٥٦} وما العجب في ذلك، إذ قد سبق وأعلمنا يسوع عن إحدى العلامات التي سترافق المؤمنين ألا وهي أنهم سيضعون أيديهم على المرضى فيتعافون (أنظر مرقس ١٦: ١٨). وإن حكمنا على الكنائس بالعلامات التي ذكرها يسوع وأنها ستتبع المؤمنين به، سنستنتج أن هناك العديد من الكنائس تتكون من غير مؤمنين.

وَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ، وَبَشِّرُوا الْخَلِيقَةَ كُلَّهَا بِالْإِنْجِيلِ: ^{١٥}

مَنْ آمَنَ وَتَعَمَّدَ، خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَسَوْفَ يُدَانُ. ^{١٦}

وَأُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا، ثَلَاثُمُهُمْ هَذِهِ الْآيَاتُ: بِاسْمِي يَطْرُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ جَدِيدَةٍ عَلَيْهِمْ، ^{١٧}

وَيَقْبِضُونَ عَلَى الْحَيَّاتِ، وَإِنْ شَرَبُوا شَرَاباً قَاتِلاً لَا يَتَأَذُّونَ النَّبَّةَ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَتَعَفَوْنَ. ^{١٨}

(مرقس ١٦: ١٥ - ١٨).

أما الخادم المُتلمذ، الذي يسعى لان يحتذي مثال خدمة المسيح بشكل أفضل، سيستخدم مواهبه لينمي خدمة الشفاء الإلهي في حيّز نفوذه. فهو يعلم أن الشفاء الإلهي يعزز ملكوت الله بطريقتين على الأقل. أولاً، مُعجزات الشفاء تعتبر إعلاناً ترويجياً رائعاً للإنجيل، كما سيفهمه أي طفل عند قراءته للأناجيل أو سفر أعمال الرسل (الامر الذي يتعسر على العديد من الخدام ذوي الدرجات الأكاديمية العالية استيعابه). ثانياً التلاميذ الأصحاء لا تعيقهم الأمراض الشخصية عن الخدمة.

ويحتاج الخادم المُتلمذ أن يكون أكثر حساساً اتجاه الأعضاء الذين يرغبون في الشفاء في جسد المسيح ولكنهم يواجهون صعوبة في التلقي.

^{٥٦} ففي بعض الكنائس في أمريكا الشمالية، يتخذ الخادم الكثير من المجازفة ليطرق لموضوعاً كهذا مقابل مقاومة ثقيلة من هؤلاء المُدعين أنهم مؤمنين. وكذلك يسوع قابل مقاومة وعدم إيمان أحياناً والذين أعاقوا خدمة الشفاء لديه (أنظر مرقس ٦: ١ - ٦).

فدائماً ما يحتاجون الى إرشادات قليلة وتشجيع رقيق، خاصةً إذا نمّوا علاقة سلبية تجاه أي رسالة شفاء. فالخادم المُتلمذ هنا يواجه اختبارين: إما أن يتجنب التعليم عن موضوع الشفاء الإلهي تماماً، وفي هذه الحالة لن يجرح أحداً ولن يُشف أحداً،

أو إما أن يُعلم بمحبة هذا الموضوع مُجازفاً بأمر الإساءة للبعض حين يساعد آخرين أن يختبروا الشفاء. أنا شخصياً سأُتبع الاختيار الثاني، مؤمناً أن ذلك إتباعاً لمثال يسوع.

الشفاء على الصليب

مكاناً مناسباً لدراسة الشفاء الإلهي وهو الإصحاح الثالث والخمسون من سفر أشعياء، والمعروف بنبوءة المسيح. من خلال الروح القدس، تحدث أشعياء جغرافياً عن موت يسوع للفداء وعمله الذي سيحققه على الصليب:

لَكِنَّهُ حَمَلَ أَحْزَانَنَا وَتَحَمَّلَ أَوْجَاعَنَا، وَنَحْنُ حَسِبْنَا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَاقَبَهُ وَأَذَلَّهُ،^٤
إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مَجْزُوحاً مِنْ أَجْلِ آثَامِنَا وَمَسْخُوقاً مِنْ أَجْلِ مَعَاصِينَا، حَلَّ بِهِ تَأْدِيبُ سَلَامِنَا، وَبَجَرَجِهِ بَرْتُنَا.^٥
كُلُّنَا كَغَنَمٍ شَرَدْنَا مَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى سَبِيلِهِ، فَاتَّقَلَ الرَّبُّ كَاهِلَهُ بِإِثْمِ جَمِيعِنَا.^٦
(أشعياء ٥٣: ٤ - ٦)

أعلن أشعياء بوحى الروح القدس، أن يسوع قد حمل عنا أحزاننا وأوجاعنا. وفي ترجمة أفضل من النسخة العبرية تقول أن يسوع حمل عنا أمراضنا وآلامنا، كما يشير العديد من الترجمات في ملاحظاتهم المرجعية.

فالترجمة العبرية لكلمة أحزان المذكورة في أشعياء ٥٣: ٤ هي كلمة حولي، والتي توجد أيضاً في

تنثية ٧: ١٥؛ ٢٨: ٦١؛ ملوك الأولى ١٧: ١٧؛ ملوك الثاني ١: ٢؛ ٨: ٨؛

وأخبار الثاني ١٦: ١٢؛ ٢١: ١٥. فكل هذه الحالات مُترجمة على أنها أمراض.

وترجمة كلمة أوجاع بالعبرية هي ماكئوب، والتي توجد أيضاً في أيوب ١٤: ٢٢ وأيوب ٣٣: ١٩. وفي كلا الحالات تُترجم بالآلم.

وحتى إن كان الأمر كذلك، ترجمة أشعياء ٥٣: ٤ الدقيقة، "بالتأكيد هو نفسه حمل وأحتمل عنا الآلام." وتم تأكيد هذه الحقيقة بقول متى المباشر عندما أُستشهد بما قاله أشعياء " وَأَخَذَ أَسْقَامَنَا، وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا " (متى ٨: ١٧).

وليس من مجال لان نهرب من الحقيقة، كمثّل بعض من يحاولون إقناعنا بأنه ما كان يعنيه أشعيا هو أمراضنا الروحية. ولكن استشهد متى بما قاله أشعيا في ٥٣: ٤ لا يتركنا لنا أي مجال للشك أنه بالفعل كان يُشير إلى المرض الجسدي.

دعونا نقرأ هذه الفقرة:

وَعِنْدَ خُلُولِ الْمَسَاءِ، أَحْضَرَ إِلَيْهِ النَّاسُ كَثِيرِينَ مِنَ الْمَسْكُونِينَ بِالشَّيَاطِينِ. فَكَانَ يَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ بِكَلِمَةٍ^{١٦} مِنْهُ. وَشَفَى الْمَرْضَى جَمِيعاً،

لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِلِسَانِ النَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ الْقَائِلِ: هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا، وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا.^{١٧}

(متى ٨: ١٦-١٧)

وما كان متى هنا يشير مباشرةً إليه هو الشفاء الجسدي الذي صنعه يسوع لكي يتم ما قيل في أشعيا ٥٣: ٤. لذلك بلا شك أن أشعيا ٥٣: ٤ قد أشار لحمل المسيح لعبوبنا وأمراضنا الجسدية^{٥٧}. كما ذكر الكتاب المقدس أن يسوع حمل عنا آثامنا (أنظر أشعيا ٥٣: ١١)، ويقول أيضاً أنه حمل عنا آثامنا وأمراضنا. فهذا الخبر عليه أن يكون سبب لفرح كل شخص مريض. إذ بذبيحته الكفارية، قد قدم لنا يسوع خلاصاً وشفاءً.

سؤل سؤالاً

ويتساءل البعض إن كان المقصود به هنا الشفاء الجسدي عندها لماذا لم يُشفى الجميع؟ وأفضل إجابة لهذا السؤال هي بسؤال آخر: لماذا لم يولد الجميع الميلاد الثاني؟ فلم يولد الناس قاطبةً الميلاد الثاني، إما لأنهم لم يسمعوا الإنجيل وإما انهم لم يؤمنوا به. ولذلك فإن شفاء كل فرد يتم من خلال إيمانه الشخصي. فالكثيرون لم يسمعوا عن الحقيقة الرائعة وهي أن يسوع قد حمل عنهم أمراضهم، وآخرين سمعوا ولكن رفضوها.

وموقف الله الأب اتجاه المرض تم إيضاحه من خلال خدمة ابنه الحبيب عندما شهد بنفسه،

الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الْإِبْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ يَفْعَلُ مَا يَرَى الْآبُ يَفْعَلُهُ. فَكُلُّ مَا^{١٩} يَعْمَلُهُ الْآبُ، يَعْمَلُهُ الْإِبْنُ كَذَلِكَ. (يوحنا ٥: ١٩)

فقد قرأنا في عبرانيين أن يسوع كان "ضياءً مجدّد الله وصورة جوهريه" (عبرانيين ١: ٣). فليس هناك أي مجال لتساؤل عن موقف يسوع اتجاه المرض حيث أنه صورة أبيه في موقفه اتجاه المرض أيضاً.

^{٥٧} منتهزين أي شيء ليتشبثوا بعدم إيمانهم، البعض يُحاول أن يُقنعنا أن يسوع حقق ما جاء في أشعيا ٥٣: ٤ بشفائه بعض الناس في هذه الليلة في كفر ناحوم. ولكن أشعيا قال إن يسوع حمل عنا أمراضنا كما مات لأجل آثامنا (قارن أشعيا ٥٣: ٤ و ٥). فقد حمل يسوع أمراض هؤلاء الذين مات عن آثامهم أيضاً. إلا أنه ما كان يُشير إليه متى لخدمة يسوع للشفاء في كفر ناحوم فقط على أنها تأكيد أنه هو المسيح المُقال عنه في أشعيا ٥٣، الذي سيجمل عنا آثامنا وأمراضنا.

وماذا كان موقف يسوع؟ لم يحدث انه قد رفض حتى ولو لمرة أي شخص جاءه ملتمساً الشفاء. ولم يَقُل ولا لمرة واحدة لشخص طالباً منه الشفاء "لا، ليست إرادة الله لك أن تُشفى، ولذلك ستبقى على مرضك." دائماً كان يشفي كل من أتى إليه طالباً الشفاء، ودائماً كان يقول لهم أن إيمانهم قد شفاهم. وزد على ذلك، أن الكتاب المقدس يعلن بوضوح أن الله لم يتغير (أنظر ملاخي ٣: ٦) ويسوع المسيح "هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ" (عبرانيين ١٣: ٨).

إعلان الشفاء

وللأسف قد تم تحديد كلمة الخلاص بأيامنا لمعنى الغفران من الخطايا فقط، بيد أن الكلمات اليونانية دائماً ما يتم ترجمتها لـ "خَلَصَ" و"خلاص" وتُفسر ليس بمفاهيم الغفران فقط، بل النجاة والشفاء التام^{٥٨}. دعونا نأخذ على سبيل المثال رجلاً ذُكر عنه في الإنجيل، وهو قد أُختبر الخلاص بالمعنى الكامل. فقد شُفي بإيمانه عندما سمع بولس يعظ بالإنجيل في مدينته.

عَلِمَا بِذَلِكَ فَهَرَبَا إِلَى مَدِينَتَي لِسْتَرَةَ وَدَرْبَةَ الْوَاقِعَتَيْنِ فِي مُقَاطَعَةٍ لِيكَأُونِيَّةَ، وَإِلَى الْمِنْطَقَةِ الْمُحِيطَةِ بِهِمَا،^٦ وَأَخَذَا يُبَشِّرَانِ هُنَاكَ.^٧

وَكَانَ يُقِيمُ فِي مَدِينَةِ لِسْتَرَةَ كَسِيحٌ مُقْعَدٌ مُنْذُ وَلَدَتْهُ لَمْ يَمْشِ قَطُّ.^٨

فَإِذْ كَانَ يُصْغِي إِلَى حَدِيثِ بُولُسَ قَرَأَى فِيهِ إِيمَانًا بِأَنَّهُ سَيُشْفَى،^٩

فَنَادَاهُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَنْهَضْ وَاقِفًا عَلَى رِجْلَيْكَ!» فَفَقَرَ الرَّجُلُ وَبَدَأَ يَمْشِي.^{١٠}

(أعمال الرسل ١٤: ٦ – ١٠)

لاحظ أنه على الرغم من أن بولس كان يعظ الإنجيل إلا أن هذا الرجل قد سمع شيئاً خلق في قلبه إيماناً ليتلقى شفاءً جسدياً، فعلى الأقل قد سمع بولس يقول شيئاً عن خدمة يسوع الشفائية، وكيف كان يشفي كل من طلب منه ذلك بإيمان. ولربما ذكر بولس نبؤه أشعياء عن يسوع حاملاً أثامنا وأسقمانا. فنحن لا نعلم، ولكن وبما أن "الإيمانَ نَتَبَّجُهُ السَّمَاعَ" (رومية ١٠: ١٧)، فالرجل الأعرج لابد أنه سمع من فم بولس شيئاً أضاء في قلبه الايمان ليُشفى. الامر الذي أقنعه أن الله لا يريد له أن يبقى أعرجاً.

وبدون أدنى شك بولس بذاته آمن أن الله قد أراد الشفاء لذلك الرجل، وإلا لما كانت كلماته قد أقنعت هذا الرجل ليكون له إيماناً ليُشفى، ولما قدر على أن يأمره ليقف.

^{٥٨} وعلى سبيل المثال قال يسوع للمرأة نازفة الدم عندما شُفيت "إيمانك قد شفأك" (مرقس ٥: ٣٤). فالترجمة اليونانية لكلمة شفاء المذكورة في هذه الآية هي (سوزو) وتم ترجمتها عشر مراتٍ أخرى في العهد الجديد إلى "خلاص" أو "خلصت" حوالي ثمانون مرة في العهد الجديد. فعلى سبيل المثال هي ذات الكلمة التي تم ترجمتها "خلصت" في أفسس ٢: ٥، "إِنَّمَا بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ". ولكن نري أم معظم الشفاء الجسدي الذ ينطبق على معنى الكلمة اليونانية دائماً يتم ترجمتها "بالخلاص".

ماذا تتوقع أن يحدث إن قال بولس ما يقوله واعطو العصر الحديث؟ ماذا لو وعظ بولس قائلاً " ليست إرادة الله للجميع أن يُشفوا؟" عندها لما نما إيمان ذلك الرجل ليُشفى. وأعتقد أن هذا ما يفسر عدم حدوث شفاء للكثيرين من مرضى هذا العصر. لأن أولئك الوعاظ المتوجب والمفروض عليهم أن يُشجعوا الناس على الإيمان ليتقبلوا الشفاء، نراهم يحطمون إيمان مستمعيهم للحول دون شفاء.

وهنا أيضاً نلاحظ أن الرجل المذكور أعلاه قد تم شفاؤه بالإيمان، فإن لم يؤمن، لكاد أن بقي أعرجاً طوال عمره، حتى وإن كانت إرادة الله له أن يُشفى. وأكثر من ذلك يمكن القول أنه لربما كان هناك مرضى آخرون وسط الجموع، ولكن لم يُذكر هنا أي شفاء لاحدهم، إن كان ذلك صحيحاً، لماذا لم يتم شفائهم؟ ذلك أيضاً قد نعزه لذات السبب أن الكثر من غير المُخلصين وسط الجموع في ذلك اليوم لم يتم ولادتهم الميلاد الثاني - لأنهم لم يؤمنوا برسالة بولس.

ولا ينبغي علينا الوصول للاستنتاج أن إرادة الله ليست لشفاء كل الناس بناءً على حقيقة أن بعض الناس لم يتم شفائهم أبداً. والا لتوصل البعض للاستنتاج الخاطئ بأن إرادة الله ليست للجميع قط أن يولدوا الميلاد الثاني. فعلى كل شخص أن يؤمن أن الإنجيل قد أُعطي له شخصياً لأجل الخلاص، كذاك كل شخص مريض عليه أن يؤمن ليشفى.

المزيد من البراهين على أن إرادة الله هي للشفاء

كان الشفاء الإلهي في ظل العهد القديم جزءاً مشمولاً بميثاق الله مع شعبه إسرائيل. وبعد أيام معدودة لخروج شعب إسرائيل، صنع الله ذلك العهد معهم:

"إِنْ كُنْتَ تَحْرِصُ عَلَى سَمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ، وَتَفْعَلُ مَا هُوَ حَقٌّ أَمَامَهُ، وَتُطِيعُ وَصَايَاهُ وَتُحَافِظُ عَلَى جَمِيعِ فَرَائِضِهِ، فَلَنْ أَدْعَاكَ ثَقَاسِي مِنْ أَيِّ مَرَضٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي ابْتَلَيْتُ بِهَا الْمِصْرِيِّينَ، فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ".^{٢٦}

(خروج ١٥: ٢٦)

كل شخص صادق مع نفسه سيوافق على أن الشفاء شُمِلَ في ميثاق الله مع إسرائيل، مشروطاً بطاعة الناس له. (وهذا يجعل ما قاله بولس واضحاً في كورنثوس ١١: ٢٧ - ٣١ أن الصحة الجسدية في العهد الجديد أيضاً مشترطة على طاعتنا.)

فقد وعد الله أيضاً شعب إسرائيل:

إِنَّمَا تَعْبُدُونَنِي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ فَأَبَارِكُ طَعَامَكُمْ وَشَرَابَكُمْ وَأَزِيلُ الْأَمْرَاضَ مِنْ بَيْنَكُمْ^{٢٥}

فَلَا تَكُونُ مُجْهَضَةً وَلَا عَاقِرٌ فِي أَرْضِكَ. وَأَمْتَعَكَ بِكَامِلِ عُمْرِكَ. ٢٦

(الخروج ٢٣: ٢٥ - ٢٦)

وَتَكُونُونَ مُبَارَكِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، فَلَا يُوجَدُ عَقِيمٌ وَلَا عَاقِرٌ فِيكُمْ وَلَا فِي بَهَائِمِكُمْ. ١٤
وَيَقِيكُمْ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ عِلَّةٍ، وَكُلِّ أَمْرَاضِ مِصْرَ الْخَبِيثَةِ الَّتِي عَايَنْتُمُوهَا، وَلَا يُصِيبُكُمْ بِهَا، بَلْ يَجْعَلُهَا عَلَى
مُبْغِضِيكُمْ.

(تثنية ٧: ١٤ - ١٥)

إن كان الشفاء الجسدي مُشْمَلًا في العهد القديم، سيثير ذلك عجبنا إن لم يكن ليشمل بالعهد الجديد أيضاً، مع العلم حقيقة أن العهد الجديد أفضل من القديم، كما يظهر في الكتاب المقدس:

فَرِيسُ كَهَنَتِنَا، إِذْنُ، قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ مِنْ خِدْمَةِ الْكَهَنُوتِ الْأَرْضِيِّ، لِكُونِهِ الْوَسِيطَ الَّذِي أُعْلِنَ ٦
لَنَا قِيَامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَهْدِ السَّابِقِ، وَلِكُونَ هَذَا الْعَهْدُ الْجَدِيدُ يَنْطَوِي عَلَى وُعودٍ أَفْضَلَ.

(عبرانيين ٨: ٦)

وهناك المزيد من البراهين

الكتاب المقدس يحتوي على العديد من الآيات التي تعرض براهين غير قابلة للجدل تنص وبصريح العبارة على أن إرادة الله لكل شخص هي أن يُشفى. دعوني أسرد ثلاثة من أفضل البراهين:

بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلِيَحْمَدْ كُلُّ مَا فِي دَاخِلِي اسْمَهُ الْقُدُّوسَ. ١

بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلَا تَنْسَيَ جَمِيعَ خَيْرَاتِهِ. ٢

إِنَّهُ يَغْفِرُ جَمِيعَ آثَامِكَ وَيُبْرِئُ كُلَّ أَمْرَاضِكَ. ٣

(مزامير ١٠٣: ١ - ٣)

فهل للمسيحي أن يشك فيما أعلنه داود أن الله سيغفر جميع آثامنا؟ وقد آمن داود أن إرادة الله هي شفاء كل أمراضنا مهما كانت.

يَا ابْنِي أَصْنَعْ إِلَيَّ كَلِمَاتِ حِكْمَتِي، وَأَرْهِفْ أُذُنَكَ إِلَيَّ أَقْوَالِي. ٢٠

لِنَظُلَّ مَائِلَةً أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَاحْتَفِظْ بِهَا فِي دَاخِلِ قَلْبِكَ، ٢١

لَأَنَّهَا حَيَاةٌ لِمَنْ يَغْتَرُّ عَلَيْهَا، وَعَافِيَةٌ لِكُلِّ جَسَدِهِ. ٢٢

(أمثال ٤: ٢٠ - ٢٢)

وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا، فَلْيَسْتَدْعِ شُيُوحَ الْكَنِيسَةِ لِيُصَلُّوا مِنْ أَجْلِهِ وَيَذْهَبُوا بِزَيْتِ بِاسْمِ الرَّبِّ ١٤
فَالصَّلَاةُ الْمَرْفُوعَةُ بِإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ، إِذْ يُعِيدُ الرَّبُّ إِلَيْهِ الصِّحَّةَ. وَإِنْ كَانَ مَرَضُهُ بِسَبَبِ خَطِيئَةٍ مَا، ١٥
يَغْفِرُهَا الرَّبُّ لَهُ.

(يعقوب ٥: ١٤ - ١٥)

لاحظ أن هذا الوعد الأخير يتعلق بهؤلاء المرضى. ومن الملفت للنظر أنه ليس الشيوخ أو مسح الزيت ما يؤدي للشفاء بل "الصلاة بإيمان".

هل هو إيمان الشيوخ أم الشخص المريض؟ كلا، بل يتطلب إيمان كلاهما. إيمان الشخص المريض يتم التعبير عنه على الأقل بدعوته لشيوخ الكنيسة، وعدم إيمان الشخص المريض يمكنه أن يلغي تأثير صلوات الشيوخ. إن نوع الصلاة التي كتب عنها يعقوب هي مثال "للتوافق في الصلاة" التي ذكرها يسوع في متى ١٨ : ١٩. فكلا الجانبين المشتركين في هذا النوع من الصلاة يلزم عليهما أن "يتفقا". فإن آمن شخصاً واحداً وآخر لم يؤمن، عندها سيكونان على غير اتفاق.

ونحن نعلم أن هنالك عدة فقرات في الكتاب المقدس تدين الشيطان على تسبب الامراض (أنظر أيوب ٢: ٧؛ لوقا ١٣: ١٦؛ أعمال الرسل ١٠: ٣٨؛ كورنثوس الأولى ٥: ٥). وهذا بحد ذاته سيقف كسبب لإرادة الله لشفائنا لأن الله هو العدو الاول لعمل الشيطان في أجساد أولاده. فأبانا يحبنا أكثر من أي محبة أب أرضي لأولاده (أنظر متى ٧ : ١١)، وأنا لم أقابل بعد أي أب يتمنى المرض لأولاده.

فمجمال معجزات الشفاء التي صنعها يسوع أثناء خدمته على الأرض، وكل ما تم تسجيله في سفر أعمال الرسل كان ليُشجعنا على أن نثق بحقيقة أن الله يريدنا أن نكون أصحاء. إذ كان يسوع دائماً يشفي أولئك الذين سعوا إليه طالبين الشفاء، وهو الذي أشاد بأن إيمانهم هو الصانع للمعجزة، فإن هذا يثبت أن يسوع لم يستثن أحدًا قد دنى منه طالباً الشفاء. فقد شفاهم جميعاً، ولكنه دائماً ما كان يطلب منهم إيمانهم الشخصي لان يأخذ مكانه.

إجابات لبعض الأسئلة الشائعة

ولربما من أشهر الاعتراضات تلك الغير مبنية على كلمة الله، وإنما مؤسسة على اختبارات انسانية. وعادةً ما تبدو هذه الاعتراضات على النحو الكلاسيكي التالي: "أنا أعرف فلانة امرأة مسيحية رائعة كانت تصلي لتشفى من مرض السرطان، ومع ذلك قد ماتت. فهذا يثبت أن إرادة الله ليست الشفاء للجميع."

لا ينبغي علينا أن نحدد إرادة الله بشيء من غير كلمته. فعلي سبيل المثال، إن كان بإمكانك السفر عبر الزمن ورأيت شعب إسرائيل تائهون في البرية لمدة أربعين عاماً سعيًا وراء الأرض التي تفيض لبنًا وعسلًا، على الرغم من انها كانت فقط على الجانب الآخر من نهر الأردن، فلربما اعتقدت أن الله لم يرد للشعب أن يدخل أرض الميعاد. ولكن إن كنت على علم بالكتاب المقدس، فلسوف تعلم أن الحقيقة هي مغايرة لما تراه.

فبالتأكيد كانت إرادة الله لهم هي أن يدخلوا أرض الميعاد ولكنهم فشلوا بسبب عدم إيمانهم (أنظر عبرانيين ٣: ١٩).

ماذا عن هؤلاء الذين يمكنون الآن في الجحيم؟ فقد كانت إرادة الله لهم أن يدخلوا السماء، ولكنهم لم يقابلوا شروط التوبة والإيمان بالرب يسوع. ولذلك لا يمكننا أيضاً أن نحدد إرادة الله بخصوص الشفاء عن طريق النظر لأولئك المرضى. فلا يعني بسبب أن مسيحي قد صلى ولم يُستجاب له، أن ذلك هو إثباتاً على أن إرادة الله ليست لشفاء للجميع. فإن قابل هذا المسيحي شروط الله فقد شُفي، وإلا سيعتبر الله كاذباً. فعندما نفشل بالحصول على الشفاء ونلقي اللوم على الله، ونقول إن الشفاء لم يكن إرادة الله، فحينها نحن لا نختلف عن شعب إسرائيل الغير مؤمن إذ لم يعترفوا أن إرادة الله لهم كانت الدخول الى أرض الميعاد. فمن الأفضل أن نتحرر من غرورنا وأن نعترف أننا نحن من يجدر عليه اللوم.

كما ذكرت في الفصل السابق عن الإيمان، أن العديد من المسيحيين المؤمنين يختمون صلواتهم خطأً بعبارة مُحطمة للإيمان وهي "لتكن مشيئتك". وهذا يوضح أنهم لا يُصلون بإيمان لأنهم غير مُتأكدين من إرادة الله. ففيما يخص الشفاء، إرادة الله واضحة كما رأينا. فإن كنت تعلم أن الله يريد أن يشفيك، فليس هناك أي سبب لإضافة "لتكن مشيئتك" لصلاتك من أجل الشفاء. فهذا مساوٍ لأن أقول للرب "أنا أعلم أنك وعدت بأن تشفيني، ولكن ربما كنت تكذب، فأنا أسألك أن تشفيني فقط إن كانت تلك هي مشيئتك".

ومن المؤكد أن الله يؤدب المؤمنين غير المُطيعين بسماحه للمرض أن يؤثر عليهم، لدرجة سماحه بموتهم قبل الأوان في بعض الأحيان. فهؤلاء المؤمنون بحاجة ماسة للتوبة قبل حصولهم على الشفاء

(أنظر كورنثوس الأولي ١١: ٢٧ - ٣٢). وآخرين بسبب تجاهلهم لرعاية أجسادهم، يُعرضون أنفسهم لأنواع معينة من الأمراض. فعلى المسيحيين أن يكونوا متنبهين محافظين على نظامٍ صحي، بأكلهم المتوازن والمواظبة على ممارسة بعض التمارين البدنية بشكل مستمر، وأن لا ينسوا أخذ قسط من الراحة الضرورية.

اعتراض شائع ثاني

دائماً نسمعهم يقولون إن "بولس كان يُعاني من شوكة في جسده". وفكرة أن شوكة بولس كانت مرضاً لهي ببساطة نظرية لاهوتية خاطئة على ضوء حقيقة أن بولس قد أخبرنا وبالتحديد عن ماهية شوكة - أحد ملائكة الشيطان:

وَلَكِنِّي لَا أَتَكَبَّرُ بِمَا لِهَذِهِ الْإِعْلَانَاتِ مِنْ عَظَمَةِ فَائِقَةٍ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي جَسَدِي كَأَنَّهَا رَسُولٌ مِنَ الشَّيْطَانِ^٧
يَلْطُمُنِي كَيْ لَا أَتَكَبَّرَ!

لَأَجَلِ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يَنْزِعَهَا مِنِّي^٨

فَقَالَ لِي: «نِعْمَتِي تَكْفِيكَ، لِأَنَّ قُدْرَتِي تُكَمِّلُ فِي الضَّعْفِ!» فَأَنَا أَرْضَى بِأَنْ أَفْتَجَرَ مَسْرُوراً بِالضَّعْفَاتِ الَّتِي^٩
فِيَّ، لِكَيْ تُخَيِّمَ عَلَيَّ قُدْرَةُ الْمَسِيحِ.

(كورنثوس الثانية ١٢: ٧-٩)

الترجمة اليونانية لكلمة "رسول" هي "أجيلوس"، وهي تعني ملاك أو ملائكة وقد وردت ١٦٠ مرة في العهد الجديد. وشوكة بولس كانت ملاك شيطان قد أُرْسِلَ ليضربه، ولم يكن ذلك مرضاً.

لاحظ أنه ليس ثمة من أي ذكر على أن صلاة بولس كانت لأجل شفائه، أو أن الله قد رفض أن يشفيه. ولكن في ثلاثة مواقف طلب بولس من الله أن ينزع عنه ذلك الملاك الضارب، بيد أن جواب الله له كان أن نعمته كافية.

ومن الذي أعطى بولس تلك الشوكة؟ البعض يؤمن أن الشيطان فعل ذلك، حيث ذُكر "ملاك الشيطان". وآخرين يؤمنون أن الله هو الذي أعطاه تلك الشوكة لنلا يتكبر. وقد قال بولس بذاته "لكيلا أتكبر".

ففي ترجمة الملك جيمس هذه الآيات تختلف قليلاً. حيث يقول بدلا من "لكيلا أتكبر"، يقول "خشية من أن أرتفع فوق المقاييس". فهذا اختلاف مُهم لأن الله ليس ضد ارتفاعنا. ففي الحقيقة أنه قد وعد بأن يرفعنا إن تواضعنا. فمن الممكن أن الله الذي كان يُحاول أن يرفع والشيطان كان يُحاول أن يمنع ارتفاع بولس عن طريق تعيين ملاكاً ضارباً صانع المشاكل كان يرافق بولس أينما ذهب. وبالرغم من ذلك قال الله أنه سيستخدم كل تلك الأحوال لمجده، لأن قوته كامنة في حياة بولس إزاء ضعفه.

وبغض النظر عن ذلك كله، فلنفترض أن بولس كان مريضاً وأن الله رفض أن يشفيه، فهذا سيكون بمثابة تشويهاً لمجمل ما تم ذكره في الكتاب المقدس بهذا الموضوع. ففي هذه الفقرة عن شوكة بولس، لم يشير بولس إلى أي مرض، أو أي شيء آخر عن رفض الله لما هو مُفترض أن يكون مرضاً. فعند قراءة الشخص الصادق لما سرده بولس في كورنثوس الثانية، لن يجد أي ذكر لأمراض حتى ولا لمرة واحدة.

صياغة لنفس الموضوع

وقد يعترض البعض على تفسيري عن شوكة بولس قائلين "لكن ألم يقل بولس بذاته لأهل غلاطية أنه كان مريضاً عندما وعظه الإنجيل لهم للمرة الأولى؟ ألم يكن يتحدث عن شوكة الجسد؟"

هنا ما قاله بولس في رسالته لأهل غلاطية:

بَلْ تَعْرِفُونَ أَنَّنِي فِي عِلَّةٍ بِالْجَسَدِ بَشَرْتُكُمْ أَوَّلَ الْأَمْرِ؛^{١٣}

وَمَعَ أَنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي فِي جَسَدِي كَانَتْ تَجْرِبَةً لَكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَحْتَقِرُونِي وَلَمْ تَنْفُرُوا مِنِّي بِسَبَبِهَا، بَلْ قَبِلْتُمُونِي^{١٤} كَأَنِّي مَلَاكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَوْ كَأَنِّي الْمَسِيحُ يَسُوعُ.

(غلاطية ٤: ١٣-١٤)

فالترجمة اليونانية لكلمة علة المذكورة في غلاطية هي أستينيا، وهي تعني حرفياً "ضعف". فيمكن أن تعني ضعف بسبب المرض، ولكن هذا ليس ضرورياً.

فعلي سبيل المثال كتب بولس "ضَعَفَ اللهُ أَقْوَى مِنَ الْبَشَرِ" (كورنثوس الأولى ١: ٢٥). فالكلمة التي تم ترجمتها كضعف هي أيضاً كلمة أستيانيا. فلم تحمل أي معنى إن تم ترجمتها على أنها "مرض الله أقوى من البشر". (أنظر أيضاً متى ٢٦: ٤١ وبطرس الأولى ٣: ٧، حيث تم ترجمة كلمة أستيانيا لضعف ولم يكن من الممكن ترجمتها على أنها مرض).

فعند زيارته لغلاطية، لم نرى هناك أي ذكر بأنه كان مريضاً. ولكن هناك ذكر أنه تم رجمه وطرحه ليموت، وإما أنه قام من الأموات أو تعافى بطريقة مُعجزيه (أنظر أمال الرسل ١٤: ٥-٧، ١٩-٢٠). فبالتأكيد أن جسد بولس كان في حالة سيئة من الجروح والالتهابات في كل أنحاء جسده بعد أن رُجِمَ وطُرِحَ ليموت.

لم يكن بولس مريضاً في غلاطية وكان ذلك مجرد اختباراً قدمه لمستمعيه، في حين كان جسده ضعيفاً بسبب الرجم الذي تعرض له. وعلى الأرجح أنه كان يحمل شيئاً بذاكرته ما فتأ عن الم الاضطهاد الذي كابده في غلاطية عندما كتب رسالته للكنيسة هناك، وها يشير برسالته لهم بهذه الكلمات:

لَا يُسَبِّبْ لِي أَحَدٌ الْمَتَاعَبَ فِيمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحْمِلُ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ.^{١٧}
(غلاطية ٦: ١٧)

اعتراض آخر: "أنني أعاني لمجد الله"

هذا الاعتراض يُستخدم من قبل بعض الناس الذين يأخذون آية من قصة إقامة اليعازر كأساس لادعائهم أن مُعاناة المرض من أجل مجد الله. فقد قال يسوع بخصوص اليعازر:

«لَنْ يَنْتَهِيَ هَذَا الْمَرَضُ بِالْمَوْتِ، بَلْ سَيُؤَدِّي إِلَيَّ تَمْجِيدِ اللهِ، إِذْ بِهِ سَيَتَمَجَّدُ ابْنُ اللهِ» (يوحنا ١١: ٤).

هنا لم يقل يسوع أن مجد الله كان نتيجة مرض اليعازر ولكن لان يأخذ الله المجد بشفاء اليعازر وقيامته من الأموات. بمعنى آخر، وبنهاية المطاف نتيجة المرض لم يكن الموت وإنما مجد الله. فلم يتمجد الله في المرض، ولكن بعمل الشفاء. (أنظر متى ٩: ٨؛ ١٥: ٣١؛ لوقا ٧: ١٦؛ ١٣: ١٣، ١٧: ١٥، حيث جَلَبَ الشفاء مجداً لله).

اعتراض آخر: "قال بولس أنه ترك ترفيموس مريضاً في ملتيوم"

وقد حدث انني كتبت هذه العبارة في مدينة ألمانية، وكان ذلك قبل مغادرتي لمدينتي في الولايات المتحدة بأسبوع تاركاً عدداً كبيراً من المرضى ورأيي هناك. إذ غادرت مُستشفيات مليئة بالمرضى. لكن هذا لا يعني أن إرادة الله ليست لشفاء جميعهم. وإن قد ترك بولس رجلاً مريضاً في مدينة قد زارها هذا لا يمكن أن

يكون إثبات على أن إرادة الله ليست الشفاء لذلك الشخص. وماذا عن الجموع من الغير المُخلصين الذين تركهم بولس ورائه؟ هل يمكن أن يكون هذا أيضاً إثباتاً على أن إرادة الله ليست لخلاصهم؟ بالتأكيد لا.

اعتراض آخر: "أنا مثل أيوب!"

شكراً للرب! فإن قرأت نهاية قصة أيوب، فستعلم أنه قد شُفي. فلم تكن إرادة الله لأيوب أن يبقى مريضاً، وإرادته لك اليوم أيضاً ألا تبقى على مرضك. قصة أيوب إنما جاءتنا لتؤكد حقيقة أن إرادة الله كانت دائماً للشفاء.

اعتراض آخر: نصيحة بولس لتيموثاوس بما يتعلق بمعدته

لَا تَشْرَبِ الْمَاءَ فَقَطْ بَعْدَ الْآنَ. وَإِنَّمَا خُذْ قَلِيلاً مِنَ الْخَمْرِ مُدَاوِياً مَعِدَتَكَ وَأَمْرَاضَكَ الَّتِي تُعَاوِذُكَ كَثِيراً.
(تيموثاوس الأولي ٥: ٢٣)

وفي الحقيقة أن بولس كان يُخبر تيموثاوس أن يتوقف عن شرب الماء ويستخدم القليل من الخمر لأجل معدته وأمراضه. فيبدو أن هذا كان يُشير لوجود شيئاً بالماء أدى لتلوثه. وعليه إن كنت تشرب الماء الملوّث، يجب أن تتوقف عن فعل ذلك وأن تشرب شيئاً بديلاً، وإلا ستواجه مشاكل بالمعدة كما قد عانى تيموثاوس.

اعتراض آخر: "يسوع شفى فقط ليثبت ألوهيته"

البعض يريدنا أن نؤمن أن السبب الوحيد لصنع يسوع للمعجزات كانت فقط لإثبات ألوهيته. والآن وقد تم إعلان هذه الألوهية بشكل كاف وجيد، لذلك ليس من المفروض أنه يقوم بإجراء أي من معجزات الشفاء إذ ليست ثمت حاجة لذلك.

هذا أيضاً غير صحيح، إذ لم يقيم الرب يسوع بشفاء المرضى من الناس ليثبت ألوهيته، لا على الإطلاق. فحقاً أن يسوع صنع مُعجزات عديدة أثناء خدمته على الأرض ولم تكن تلك هي السبب الوحيد أنه شفى الناس. فكثيراً ما طلب يسوع من هؤلاء الذين شفاهم ألا يخبروا أحداً عما حدث لهم (أنظر متى ٨: ٤؛ ٩: ٣٠، ٦، ١٢: ١٣ - ١٦). وإن كان ذلك غرضه الوحيد لشفائه المرضى، فلطلب من هؤلاء الناس أن يخبروا كل من يروه بما جرى لهم.

فما هو دافع يسوع وراء الشفاء؟ كثيراً ما تذكر الآيات أن الدافع وراء الشفاء ما هو الا لأن يسوع " أَخَذَتْهُ الشَّقَّةُ " (أنظر متى ٩ : ٣٥ - ٣٦ ، ٢٠ : ٣٤ ، ١٤ : ١٤ ، مرقس ١ : ٤١ ، ٥ : ١٩ ، لوقا ٧ : ١٣) . هل أصبح يسوع أقل رحمة وشفقة مما كان عليه أثناء خدمته الأرضية؟ هل أَسْتَنْفَذ حُبَّهُ؟ بالطبع لا!

اعتراض آخر: " لسبب ما الله يُردني مريضاً "

على ضوء كل الآيات التي درسناها سالفاً تبدو العبارة أعلاه شيئاً من المستحيل. فإن واصلت العيش بعدم الطاعة، فيمكن أن لذلك أن يكون حقيقة أي أن الله سيسمح من خلال مرضك أن يقودك للتوبة. ولكن إرادته ليست لك أن تقضي حياتك مريضاً. فهو يريدك أن تتوب وتُشفى.

بالإضافة إلى ذلك، إن كان الله يريدك أن تبقى مريضاً، حينئذ لماذا الذهاب الى الطبيب لتلقي العلاج على أمل الشفاء؟ وهل بذلك تحاول أن تهرب من إرادة الله؟

اعتراض أخير: "إن لم نعاني من أي مرض، كيف سنموت؟"

يعلّمنا الكتاب المُقدس أن أجسادنا ستتحلل (أنظر كورنثوس الثانية ٤ : ١٦). فليس لدينا أي حيلة لمنع شعرنا من أن يشيب أو أن أجسادنا تتوقف عن الأخذ بالهرم والشيخوخة. وفي النهاية لن يكون نظرنا وسمعنا بتلك الحدة التي كانتا عليه بسنوات ربيع عمرنا الشباب. فلن نستطيع أن نجري بسرعة كما عهدنا. وقلوبنا سوف تأخذ بالوهن، وهكذا يتحلل انساننا الخارجي يوم بعد يوم وإن كان ذلك يحدث ببطيء غير مرئي للعيان.

وبما أن هذه العملية تحدث لنا هذا يعني أننا لن نمت حصراً ميتة المرض. فأجسادنا ببساطة ستتحلل، وعندما يتم ذلك سنُغادر أرواحنا تاركة أجسادنا عند دعوة الله لكل منّا على حده وبوقته الذهاب إلى السماء. وهكذا الكثر من المؤمنين قد توفوا على هذا النحو، فلماذا لا تكون تلك هي نهاية حياتك الارضية؟

الفصل السادس عشر

خدمة السيد المسيح الشفائية

The Healing Ministry of Jesus

الاعتقاد السائد واسع الشيوع أن كون يسوع هو ابن الله، ذلك أمكنه من قيامه بإجراء المعجزات متى شاء. لكن حينما نتفحص الكتاب المقدس بدقة أكثر، سنجد أنه وعلى الرغم من أن يسوع كان إلهاً، إلا أنه كان ومع ذلك مُقيداً (مُحددًا) في خدمته على الأرض. فقد قال ذات مرة " إِنَّ الْإِبْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ يَفْعَلُ مَا يَرَى الْآبُ يَفْعَلُهُ" (يوحنا ٥ : ١٩). فهذا يوضح لنا أن يسوع كان مُقيداً وأنه كان يعتمد على الآب.

وحسب ما جاء به بولس، لقد "أخلى يسوع نفسه" من أشياء مُعينة لربما كانت في الوهيته عندما صار إنساناً:

فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي هُوَ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.^٥

إِذْ إِنَّهُ، وَهُوَ الْكَائِنُ فِي هَيْئَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْتَسِبْ مُسَاوَاتَهُ بِلِهْ خُلْسَةً، أَوْ غَنِيمَةً يُتَمَسَّكُ بِهَا؛^٦

بَلْ أَخْلَى نَفْسَهُ، مُتَّخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً شَبِيهاً بِالْبَشَرِ^٧

(فيلبي ٢ : ٥ - ٧)

إذاً دعونا نطرح السؤال التالي، ما هو الامر الذي "أخلى يسوع ذاته" منه؟ فلم يكن ليخلي ألوهيته، لا ولم يخلي قداسته، وبالطبع لم يكن ليخلي محبته. فلا بد أن قواته الفوق طبيعية إياها قد أخلى. فمن الواضح أنه لم يعد كلي الوجود أي أن يتواجد في كل مكان. وبالمثل، لم يعد كُلي المعرفة (عالمًا بكل شيء)، ولا كُلي القدرة أي قادراً على كل شيء. فقد أصبح يسوع رجلاً. وقد سلك في خدمته كرجُل ممسوحاً بالروح القدس. وقد تصبح هذه الحقيقة أكثر وضوحاً لنا حين ننظر بدقة أكثر الى ما قد ورد على صفحات الاناجيل الأربعة.

فعلى سبيل المثال لربما نتساءل إن كان يسوع هو ابن الله، لماذا كان ضروري له أن يعتمد بالروح القدس عند بدء خدمته في الثلاثين من عمره؟

إن احتاج يسوع للمعمودية من الروح القدس كان بالتأكيد ليُمسح لأجل خدمته. وهذا نعرفه لأنه بعد المعمديته وعلى التو، نقرأ أنه وعظ بهذه الكلمات قائلاً: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْفُقَرَاءَ؛ أَرْسَلَنِي لِأُنَادِيَ لِلْمَاسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمْيَانِ بِالْبَصَرِ، لِأُطْلِقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَاراً" (لوقا ٤ : ١٨).

ولهذا عينه أيضاً أشار الرسول بطرس "فَقَدْ مَسَحَ اللَّهُ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَبِالْقُدْرَةِ، فَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ يَعْمَلُ الْخَيْرَ، وَيَشْفِي جَمِيعَ الَّذِينَ تَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَهُ"

(أعمال الرسل ١٠ : ٣٨).

هذا قد يقودنا الى السؤال التالي، لماذا لم يصنع يسوع أي مُعجزة الى ان تمت المعموديته بالروح القدس في الثلاثين من عمره. هل كان هو ابن الله في الخامس والعشرين من عمره؟ بالطبع كان. فلما لم يصنع أي مُعجزة حتى سن الثلاثين؟ الجواب وببساطة لأن يسوع قد أدخل نفسه من القوة فوق طبيعية الخاضعة لله، وكان عليه أن ينتظر حتى يُمنح القوة من الروح القدس.

إثبات إضافي على خدمة يسوع كرجل ممسوحاً بالروح القدس

ونلاحظ عند قرأتنا للأناجيل أن ليسوع كانت أحياناً معلومات خارقة وأحياناً أخرى لم تكن. وفي الحقيقة دائماً كان يطرح يسوع أسئلة بهدف الحصول على معلومات.

فعلى سبيل المثال، قد أخبر يسوع المرأة السامرية أن كان لديها خمسة من الرجال والرجل الذي تعيش معه ليس زوجها (أنظر يوحنا ٤: ١٧-١٨). كيف عرف يسوع كل هذا؟ هل هذا لأنه الله والله يعلم كل شيء؟ لا، لأنه إن كان الأمر كذلك، لقد أثبت يسوع هذه القدرة على الدوام. لكن على الرغم من انه كان الله والله يعلم كل شيء، قد أدخل يسوع ذاته من معرفته لكل الاشياء عندما أصبح إنساناً. فقد عَلِمَ يسوع بتاريخ زواج هذه المرأة عند البئر لأن الروح القدس أعطاه في تلك اللحظة عطية " كلمة علم " (كورنثوس الأولى ١٢: ٨)، وهي قدرة خارقة ليعرف شيئاً عن الماضي والحاضر. (فسندرس بتفصيل أكثر موضوع عطايا الروح في الفصل التالي).

هل عَلِمَ يسوع بكل شيء طوال الوقت؟ لا، فحين لمست المرأة نازفة الدم طرف ثيابه وشعر أن قوة شفاء قد خرجت منه، عندها سألت "من لمس ثيابي؟" (مرقس ٥: ٣٠). وحين رأى يسوع شجرة التين عن بُعد في مرقس ١١: ١٣، ذهب "ليرى إن كان عليها أي ثمر."

لماذا لم يعلم يسوع من لمسه؟ لماذا لم يعلم إن كان هناك ثمار من التين أي كانت على تلك الشجرة؟ ذلك لأن يسوع كان يتحرك كإنسان ممسوحاً بعطايا الروح القدس، وعطايا الروح القدس تعمل دائماً بإرادة الروح القدس (أنظر كورنثوس الأولى ١٢: ١١؛ عبرانيين ٢: ٤). وعليه لم يعلم يسوع الأشياء الخارقة إلا إذا شاء الروح القدس أن يعطيه " كلمة العلم."

وهذا الامر صحيح أيضاً وبنفس المقدار بما يتعلق وخدمة يسوع الشفائية. فإن الكتاب المقدس يوضح أن يسوع لم يستطيع أن يصنع أي من مُعجزات الشفاء على الإطلاق. فعلى سبيل المثال عندما نقرأ إنجيل مرقس، وأثناء زيارته لقريته الناصرة، لم يكن يسوع عندها قادراً أن يفعل كل ما يرغب القيام به.

وَعَادَرَ يَسُوعُ ذَلِكَ الْمَكَانَ وَعَادَ إِلَى بَلَدِيَّتِهِ، وَتَلَامِيذُهُ يَتَّبِعُونَهُ.^١

وَلَمَّا حَلَّ السَّبْتُ، أَخَذَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ، فَدُهِشَ كَثِيرُونَ جِئِينَ سَمِعُوهُ، وَقَالُوا: «مِنْ أَيْنَ لَهُ هَذَا؟ وَمَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ الْمُؤْهِبَةُ لَهُ، وَهَذِهِ الْمُعْجَزَاتُ الْجَارِيَةُ عَلَى يَدَيْهِ؟»

أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَخَا يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسَمْعَانَ؟ أَوَ لَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ عِنْدَنَا هُنَا؟» هَكَذَا^٣ كَانُوا يَشْكُونَ فِيهِ.

وَلَكِنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُمْ: "لَا يَكُونُ النَّبِيُّ بِلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي بَلَدِيَّتِهِ، وَبَيْنَ أَقْرَبَائِهِ، وَفِي بَيْتِهِ!"^٤

وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَعْمَلَ هُنَاكَ آيَةً مُعْجَزَةً، غَيْرَ أَنَّهُ لَمَسَ بِيَدَيْهِ عَدَدًا قَلِيلًا مِنَ الْمَرْضَى فَشَفَاهُمْ.^٥
وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ. ثُمَّ أَخَذَ يَطُوفُ بِالْقَرْيِ الْمَجَاوِرَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ.^٦

(مرقس ٦: ١ - ٦)

لاحظ أن مرقس لم يقل إن يسوع لم يصنع أي معجزة هناك، بل أنه لم يستطيع عمل أي واحدة منها أي كانت. ولماذا؟ ذلك بسبب عدم إيمان سكان الناصرة به. إذ لم يقبلوا يسوع على أنه ابن الله ولكنهم اتخذوه كابن النجار وحسب. ولذلك قال يسوع "لَا يَكُونُ النَّبِيُّ بِلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي بَلَدَتِهِ، وَبَيْنَ أَقْرَبَائِهِ، وَفِي بَيْتِهِ" (مرقس ٦: ٤). وكنتيجة لذلك، كل ما أمكن فعله هو شفاء القليل من الناس "ذو الأمراض البسيطة" فقط، (حسب ذكر المترجم) وبكل تأكيد إن كان هناك مكان أكثر رغبة على قلب يسوع ليصنع فيه المعجزات وشفاء كثيرون من الناس، سيكون هذا المكان البلد التي عاش معظم حياته به. ولكنه قال أنه لم يستطيع أن يفعل ذلك.

الدرس من لوقا

وقد حدثت الشفاءات التي اجراها يسوع أساساً بطريقتين: (١) عن طريق تعليمه كلمة الله مُشجعاً أولئك المرضى أن يؤمنوا لينالوا الشفاء، و(٢) عن طريق استخدام عطية الشفاء حسب مشيئة الروح القدس. بفعله ذلك، وبخدمة الشفاء كان يسوع محدوداً بحقيقتين: أولهما محدودية الشفاء على أثر عدم إيمان أولئك المرضى، ثانياً محدوديتها بإرادة الروح القدس الساكن فيه من خلال "عطايا الشفاء".

فمن الواضح أن معظم الناس في بلدته لم يكن لديهم إيماناً به. على الرغم من أنهم قد سمعوا عن معجزات الشفاء التي اجراها في بلدان كثيرة أخرى، فإذ لم يؤمنوا بقدرته على الشفاء، ذلك أدى وبكل تلك الحالات الى عدم قدرته على شفائهم. وعلاوة على ذلك، أن روحه القدوس لم يمنحه أي من "عطايا شفاء" في بلده الناصرة - ولا يعلم أحد ما سبب ذلك.

وقد سُرد بإنجيل لوقا تفاصيلاً أكثر للأحداث عما عليها بإنجيل مرقس بما يتعلق بزيارة يسوع للناصرة:

وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ نَشَأَ، وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ، كَعَادَتِهِ، يَوْمَ السَّبْتِ، وَوَقَفَ لِيَقْرَأَ.^{١٦}

فَقَدَّمَ إِلَيْهِ كِتَابَ النَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ، فَلَمَّا فَتَحَهُ وَجَدَ الْمَكَانَ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ:^{١٧}

رُوحَ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْفُقَرَاءَ؛ أَرْسَلَنِي لِأُنَادِيَ لِلْمَاسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمْيَانِ بِالْبَصَرِ، «^{١٨}
لَأُطْلِقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا،

وَأُبَشِّرَ بِسَنَةِ الْقَبُولِ عِنْدَ الرَّبِّ.^{١٩}

ثُمَّ طَوَى الْكِتَابَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ، وَجَلَسَ. وَكَانَتْ عَيْنُونَ جَمِيعِ الْحَاضِرِينَ فِي الْمَجْمَعَ شَاخِصَةً إِلَيْهِ.^{٢٠}

...فَأَخَذَ يَخَاطِبُهُمْ قَائِلًا: «الْيَوْمَ تَمَّ مَا قَدْ سَمِعْتُمْ مِنْ آيَاتٍ^{٢١}

وَشَهِدَ لَهُ جَمِيعُ الْحَاضِرِينَ، مُتَعَجِّبِينَ مِنْ كَلَامِ النِّعْمَةِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ، وَتَسَاءَلُوا: أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ يُوسُفَ؟^{٢٢}
(لوقا ٤ : ١٦ - ٢٢)

قد أراد يسوع من مُستمعيه أن يؤمنوا بأنه هو المسيح الموعود به حسب نبوءة أشعياء النبي، آملاً بهذا أن يؤمنوا ويتلقوا كل المنفعة من مسحته، والتي كما ذكر أشعياء، تشمل على تحرير المأسورين والمسحوقين و للعميان أن يبصروا.^{٢٩} ولكنهم لم يؤمنوا، على الرغم من انهم اندهشوا من قدرة يسوع علي الحديث، فلم يؤمنوا بأن ابن يوسف النجار شخصاً مميزاً. وقد رد يسوع على شكوكهم قائلاً:

"لَا شَكَّ أَنْتُمْ تَقُولُونَ لِي هَذَا الْمَثَلُ: أَبُيَا الطَّبِيبِ اشْفِ نَفْسَكَ! فَاصْنَعْ هُنَا فِي بِلَدَتِكَ مَا سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي... كَفَرْنَا حَوْمً"

ثُمَّ أَضَافَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَا مِنْ نَبِيٍّ يُقْبَلُ فِي بِلَدَتِهِ».^{٢٤}

(لوقا ٤ : ٢٣ - ٢٤)

فكان هؤلاء الناس من بلده ينتظرون ليروا إن كان عساه أن يفعل ما سمعوا عما فعله من عجائب في كفر ناحوم. لكن سلوكهم لم يكن مؤسساً على توقع بإيمان لا ريب فيه. وهكذا ولعدم إيمانهم قد حددوا يسوع على إجراء أي من معجزات شفاء العظيمة.

تحديد آخر ليسوع في الناصرة

الكلمات التالية لأهل الناصرة توضح أيضاً أن يسوع كان مُقيداً بإرادة الروح القدس أن يعلن ذاته من خلال "عطايا الشفاء"

وَبِالْحَقِيقَةِ أَقُولُ لَكُمْ: كَانَ فِي إِسْرَائِيلَ أَرَامِلُ كَثِيرَاتٌ فِي زَمَانِ إِيلِيَّا، حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى حَدَثَتْ مَجَاعَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا؛

وَلَكِنْ إِيلِيَّا لَمْ يُرْسَلْ إِلَى آيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ بَلْ إِلَى امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ فِي صَرْفَةٍ صَيِّدًا.^{٢٦}

وَكَانَ فِي إِسْرَائِيلَ، فِي زَمَانِ النَّبِيِّ أَلِيشَع، كَثِيرُونَ مُصَابُونَ بِالْبَرَصِ؛ وَلَكِنْ لَمْ يُطَهَّرْ أَيُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، بَلْ نَعْمَانُ السُّورِيُّ!

(لوقا ٤ : ٢٥ - ٢٧)

^{٢٩} فكل هذه يمكن أن تشير إلى الشفاء الجسدي. فالمرض بالتأكيد يعتبر قمع، كما ذكر الكتاب المقدس "الله مسح يسوع بالروح القدس والقوة، و.... ذهب تجاه هؤلاء المقموعين من الشيطان" (أعمال الرسل ١٠ : ٣٨).

أشار يسوع أن إيليا لم يستطع أن يضاعف الزيت والدقيق لأجل أي من أرامل إسرائيل وإن كانت له رغبة بمساعدة احدهن أثناء سنوات الجفاف الثلاث (ملوك أولي ١٧: ٩ - ١٦). فعلى الرغم من وجود الكثير من الأرامل اللواتي كنّ تعانين في إسرائيل في ذلك الوقت، إلا أن مشيئة الروح القدس كانت إرسال إيليا لمساعد أرملة واحدة، ولم تكن حتى من شعب إسرائيل. وبالمثل، لم يستطع أليشع أن يُظهر أي أبرص كان يرغب في إشفائه، هذا ليثبت أنه كان هناك العديد من البرص في إسرائيل عندما شُفي نَعْمَان. فإن كان ذلك يتوقف على اختياره الشخصي، فلعله يبدو من الطبيعي والاحرى لإيليا أن يشفي شعبه بني إسرائيل من البرص قبل أن يشفي نَعْمَان، عابد الأوثان. (أنظر ملوك الثاني ٥: ١ - ١٤).

فكلاً من إيليا وأليشع كانا نبيان ممسوحين بالروح القدس وتم استخدامها من خلال عطايا مُختلفة للروح كما أراد الروح القدس أن يعطي. لماذا لم يرسل الله إيليا إلى أرملة أخرى؟ لا أعلم. لماذا لم يشفي أليشع أبرصاً آخر؟ لا أعلم. لا أحد يعلم إلا الله.

فهؤلاء الذين على دراية بقصص العهد القديم لا يقدروا أن يثبتوا أن إرادة الله لم تكن تزويد كل أرملة بما تحتاج إليه أو أن إرادته هي لإشفاء كل أبرص. فقد كان بإمكان شعب إسرائيل أن ينهي هذه المجاعة في عصر إيليا وأليشع لكن إن كانوا قد تابوا هم وملكهم الشرير أخاب عن خطاياهم. فهذه المجاعة كانت نوع من عقاب الله عليهم. واولئك البرص من شعب إسرائيل كان لهم أن يشفوا إن أطاعوا وأمنوا بالعهد المعطى لهم من الله، الذي رأيناه، وهذا يشمل الشفاء الجسدي أيضاً.

فقد وَضَحَ يسوع لأهل الناصرة أنه تحت ذات القيود التي خضع لها إيليا وأليشع. ولسبب ما لم يُعطي الروح القدس أي "عطايا شفاء" في الناصرة. وتم مُضاعفة هذه الحقيقة مع عدم إيمان أهل الناصرة، وبالنتيجة لم يحقق يسوع أي مُعجزة كبيرة في بلده.

نظرة على "عطية الشفاء" ليسوع

وإذا درسنا ما ذكره العهد الجديد عن معجزات الشفاء المختلفة التي صنعها يسوع، سنجد أن مُعظم الذين تم شفائهم، لم يكن ذلك بفضل "عطايا الشفاء"، بل من خلال إيمانهم. دعونا نأخذ بعين الاعتبار هاذان النوعان من الشفاءات وذلك بالنظر على أمثلة لكلٍ من النوعين. هيا ندرس أولاً قصة الأعرج الذي كان عند بركة بيت حسدا، والذي لم يُشفى بسبب إيمانه بل عن طريق "عطية الشفاء" التي كان يتمتع بها يسوع.

وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الْعَنَمِ فِي أُورُشَلِيمَ بَرَكَةٌ اسْمُهَا بِالْعِبْرِيَّةِ بَيْتُ حِسْدَا، حَوْلَهَا خَمْسُ قَاعَاتٍ. ٢
يَرْقُدُ فِيهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَرْضَى مِنَ عُمَيَّانٍ وَعُزْجٍ وَمَشْلُولِينَ، يَنْتَظِرُونَ أَنْ تَتَحَرَّكَ مِيَاهُ الْبَرَكَةِ، ٣
لَأَنَّ مَلَكَاً كَانَ يَأْتِي مِنْ حِينٍ لآخر إِلَى الْبَرَكَةِ وَيُحَرِّكُ مَاءَهَا، فَكَانَ الَّذِي يَنْزِلُ أَوَّلاً يُشْفَى، مَهْمَا كَانَ ٤
مَرَضُهُ.

وَكَانَ عِنْدَ الْبَرَكَةِ مَرِيضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، ٥

رَأَى يَسُوعُ رَاقِداً هُنَاكَ فَعَرَفَ أَنَّ مُدَّةَ طَوِيلَةً انْقَضَتْ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَسَأَلَهُ: أَتَرِيدُ أَنْ تُشْفَى؟ ٦

فَأَجَابَهُ الْمَرِيضُ: يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُقِينِنِي فِي الْبُرْكَه مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ حَاوَلْتُ التَّزُولَ،^٧ فَكَانَ غَيْرِي يَنْزِلُ قَبْلِي دَائِماً.

فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمْ أَحْمِلْ فِرَاشَكَ وَامْشِ».^٨

وَفِي الْحَالِ شَفِيَ الرَّجُلُ وَحَمَلَ فِرَاشَهُ وَمَشَى. وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ سَبْتٍ.^٩

(يوحنا ٥ : ٢-٩)

كيف يمكننا أن نعلم أن شفاء هذا الرجل لم يكن بسبب إيمانه بل بسبب "عطية الشفاء"؟

ولهذا الرأي عدة دلائل.

أولاً، لاحظ أن هذا الرجل لم يسعى نحو يسوع. بل يسوع هو الذي وجده جالساً بالقرب من البركة. ولو سعى هذا الرجل نحو يسوع، لكان ذلك دليلاً على إيمانه الشخصي.

ثانياً، لم يَقُلْ يسوع لذلك الرجل أن إيمانه هو الذي شفاه، العبارة التي لطالما أعتاد يسوع أن يذكرها لآخرين ممن قد شفاهم.

ثالثاً، عندما سأل اليهودُ الرجلَ الذي تم شفاؤه عن هوية ذلك الذي قال له "قُمْ وامْشِ"، ردُّ عليهم قائلاً أنه لا يعلم من كان ذلك الرجل. فمن المؤكد لم يكن إيمانه بيسوع الأمر الذي شفاه. فمن الواضح أن في هذه الحالة أن شخصاً قد شُفي من خلال "عطية الشفاء" وحسب إرادة الروح القدس.

لاحظ أنه على الرغم من وجود جموع من المرضى بالقرب من البحيرة، إلا أن يسوع قد شفى شخصاً واحداً فقط وترك باقي المرضى الباقين. لماذا؟ ولمرة أخرى أقول، لا أعلم. ولكن في هذه الحالة أيضاً، ليس هناك أي دليل على أن إرادة الله للباقيين أن يبقوا على مرضهم. وفي الحقيقة يمكن أن يكون هذا هو السبب لشفاء هذا الرجل، لكي يلفت انتباه هؤلاء المرضى ليسوع، فهو القادر على شفائهم إن آمنوا فقط.

كثيراً ما تقع "عطايا الشفاء" في فئة "آيات وعجائب"، وهي معجزات تم تصميمها لكي تجتذب انتباه الناس ليسوع. وذلك لما كان مُبشرو العهد الجديد كفيلبس مُعدين "بعطايا الشفاء" المختلفة، لأن المعجزات التي أجروها اجتذبت انتباه الكثيرين للإنجيل الذي كان يعظوه (انظر اعمال الرسل ٨: ٥-٨).

فلا يترتب على المرضى المسيحيين أن ينتظروا شخصاً ذا "عطايا الشفاء" ليأتي ويشفيهم، لأنه لربما لن يأتي بتاتاً. فالشفاء مُتاح من خلال الإيمان بيسوع، وعلى الرغم انه لا يمكن شفاء الجميع من خلال "عطايا الشفاء"، لكن يمكن شفاء الجميع بالإيمان. فعطايا الشفاء موجودة في الكنيسة بشكل أساسي فلربما يُشفى المرضى من غير المؤمنين وذلك يلفت انتباههم ويجذبهم للإنجيل. وأشرت بهذا ليس للقول أن المسيحيين لن يُشفوا من خلال عطايا الشفاء البحتة. ولكن الله يتوقع من أولاده أن يتلقوا الشفاء أساساً بالإيمان.

مثالاً واحداً لشخص قد شُفي بسبب إيمانه

كان بارتيمائوس رجل أعمى وقد شُفي بسبب إيمانه بالرب يسوع. دعونا نقرأ قصته المذكورة في أنجيل مرقس.

ثُمَّ وَصَلُوا إِلَى أَرِيحَا. وَبَيْنَمَا كَانَ خَارِجاً مِنْ أَرِيحَا، وَمَعَهُ تَلَامِيذُهُ وَجَمْعٌ كَبِيرٌ، كَانَ ابْنُ تِيمَاوُسَ،^{٦٦} بَارْتِيمَاوُسُ الْأَعْمَى، جَالِساً عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي.

وَإِذْ سَمِعَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ، أَخَذَ يَصْرُخُ قَائِلاً: يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي!^{٦٧}

فَرَجَرَهُ كَثِيرُونَ لَيْسَكْتَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَزِيدُ صُرَاخاً أَكْثَرَ: يَا ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي.^{٦٨}

فَتَوَقَّفَ يَسُوعُ وَقَالَ: «ادْعُوهُ!» فَدَعَا الْأَعْمَى قَائِلِينَ: تَشَجَّعْ، إِنَّهُ يَدْعُوكَ!^{٦٩}

فَهَبَّ مُتَجِهاً إِلَى يَسُوعَ طَارِحاً عَنْهُ رِدَاءَهُ.^{٧٠}

وَسَأَلَهُ يَسُوعُ: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ لَكَ؟» فَأَجَابَهُ الْأَعْمَى: يَا سَيِّدِي، أَنْ أَبْصِرَ!^{٧١}

فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ادْهَبْ! إِيْمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ». وَفِي الْحَالِ أَبْصَرَ، وَتَبَعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ.^{٧٢}

(مرقس ١٠: ٤٦ - ٥٢)

أولاً لاحظ أن يسوع لم يسعى للبحث عن بارتيمائوس. (فهذا تماماً عكس ما حدث للرجل عند البركة في بيت حسدا). وفي الحقيقة، أن يسوع كان يسير على الطريق بمحاذاته، وإن لم يصرخ بارتيمائوس منادياً يسوع، لاستمر يسوع بسيره. وعندها لما شُفي بارتيمائوس.

والآن فكر بهذا جيداً! ماذا لو أن بارتيمائوس جلس قائلاً لنفسه "إن كانت إرادة يسوع لي أن أشفى، فسيأتي ويشفي". عندها ما عسى أن يحدث له؟ الإجابة واضحة، لما كان قد شُفي بارتيمائوس البتة، حتى وإن كانت هذه القصة توضح أن إرادة يسوع له كانت بأن يُشفى. فإن أول علامة لإيمان بارتيمائوس كانت صراخه بصوت عالٍ.

ثانياً، لاحظ أن بارتيمائوس وعلى الرغم من الجموع التي حاولت أن تسكته، إلا أنه لم يتأثر بها ولم يُحبط إيمانه وعزيمته بسببهم. فعندما حاول الناس أن يسكتوه، زاد أكثر صراخاً (مرقس ١٠: ٤٨). وهذا يبين لنا الإيمان الذي كان له.

ثالثاً، لاحظ أن يسوع لم يستجب بالطبع وللوهلة الأولى لصراخ بارتيمائوس، فمن الممكن أن يسوع لم يسمع في البداية صراخ بارتيمائوس، ولكن وإن قد سمعه لما استجاب لندائه الأول، وبمعنى آخر أنه كان يختبر إيمان ذلك الرجل.

فإن توقف بارتيمائوس بعد صراخه للمرة الأولى وكفّ، فلماذا أنه لم يُشفى. وهكذا نحن أيضاً وبالمثل ينبغي علينا المثابرة بالإيمان لأنه لربما يبدو لنا وكأن صلاتنا لم تُستجاب لمرات عديدة. هنا عندما يُختبر إيماننا، نحن بأمس الحاجة لأن نستمر في صمودنا بثبات، رافضين الإحباط بسبب الأوضاع المضادة لنا.

حالات ذَكَرَ فيها أن الإيمان هو السبب للشفاء

- ١- عبد (أو غلام) قائد المئة: متى ٨: ٥ - ١٣؛ لوقا ٧: ٢ - ١٠ " اذهب، وَلْيَكُنْ لَكَ مَا آمَنْتَ بِأَنْ يَكُونَ".
 - ٢- المشلول الذي أدلى به من السقف: متى ٩: ٢ - ٨؛ مرقس ٢: ٣ - ١١؛ لوقا ٥: ١٨ - ٢٦ "فَلَمَّا رَأَى إِيمَانَهُمْ قَالَ لَهُ اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ".
 - ٣- ابنة يايروس: متى ٩: ١٨ - ٢٦؛ لوقا ٨: ٤١ - ٥٦؛ مرقس ٥: ٢٢ - ٤٣ " لَا تَخَفْ، آمِنْ فَقَطْ وَلَكِنَّهُ أَوْصَاهُمَا أَلَّا يُخْبِرَا أَحَدًا بِمَا جَرَى".
 - ٤- المرأة نازفة الدم: متى ٩: ٢٠ - ٢٢؛ مرقس ٥: ٢٥ - ٣٤؛ لوقا ٨: ٤٣ - ٤٨ " يَا ابْنَتُ، إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ؛ اذْهَبِي بِسَلَامٍ".
 - ٥- الأعميان: متى ٩: ٢٧ - ٣١ "لِيَكُنْ لَكُمْ بِحَسَبِ إِيمَانِكُمْ انْتَبِهْ! لَا تُخْبِرَا أَحَدًا!"
 - ٦- برتيمائوس الأعمى: مرقس ١٠: ٤٦ - ٥٢؛ لوقا ١٨: ٣٥ - ٤٣ "إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ".
 - ٧- العشرة بُرص: لوقا ١٧: ١٢ - ١٩ "إِنَّ إِيمَانَكَ قَدْ خَلَّصَكَ".
 - ٨- ابن الرجل الغني: يوحنا ٤: ٤٦ - ٥٣ "فَأَمَنَّ الرَّجُلُ بِكَلِمَةِ يَسُوعَ الَّتِي قَالَهَا لَهُ".
- وأما في الحالات الأربعة القادمة، سنرى أن إيمان أولئك المرضى غير مذكور بالتحديد ولكنه مضمون في كلماتهم وسلوكياتهم. فعلى سبيل المثال، كيف أن الرجلين الأعميان (في رقم ١٠ أدناه) قد صرخا ليسوع بينما هو سائر، كما فعل برتيمائوس. فكل من المرضى المذكورين في الأربعة أمثلة التالية قد سعوا لملاقاة يسوع، وهذه إشارة واضحة على إيمانهم. وفي ثلاثة حالات من الأربع حالات التالية، قد طلب يسوع منهم ألا يخبروا أحداً عما جرى لهم، مُشيراً إلى أن هذه الحالات لم تكن لحدث بسبب عطايا شفاء.
- ٩- الأبرص الذي لم يعلم إرادة الله: متى ٨: ٢ - ٤؛ مرقس ١: ٤٠ - ٤٥؛ لوقا ٥: ١٢ - ١٤ " فَأَوْصَاهُ: لَا تُخْبِرْ أَحَدًا".
 - ١٠- الرجلين الأعميين (ربما أحدهما برتيمائوس): متى ٢٠: ٣٠ - ٤٠ "صَرَخَا: اِرْحَمْنَا يَا رَبُّ!"
 - ١١- الرجل الأصم والأبكم: مرقس ٧: ٣٢ - ٣٦ "أَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يُخْبِرُوا أَحَدًا بِذَلِكَ".
 - ١٢- الرجل الأعمى: مرقس ٨: ٢٢ - ٢٦ "لَا تَدْخُلْ وَلَا إِلَى الْقَرْيَةِ".
- لم يتعلق الامر في الحالتين الأخيرتين بالشفاء بل من خلال الإيمان قد تم تحرير هاذين الشخصين من الأرواح الشريرة. لكن هنا أيضاً نرى كيف أشاد يسوع بتأثير إيمانهما على تحريرهما.
- ١٣- الولد المريض بالصرع: المذكور في كل من، متى ١٧: ١٤ - ١٨؛ مرقس ٩: ١٧ - ٢٧؛ لوقا ٩: ٣٨ - ٤٢ " فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: بَلْ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تُؤْمِنَ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَى الْمُؤْمِنِ. فَصَرَخَ أَبُو الصَّبِيِّ فِي الْحَالِ: أَنَا أَوْمِنُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي".

١٤- ابنة المرأة الكنعانية: متى ١٥: ٢٢-٢٨؛ مرقس ٧: ٢٥-٣٠ "أَيُّهَا الْمَرْأَةُ، عَظِيمُ إِيمَانِكَ! فَلْيَكُنْ لَكَ مَا تَطْلُبِينَ".

حالات شفاء من خلال "عطايا الشفاء":

الحالات السبع الأخيرة لأشخاص تم شفائهم من خلال عطايا الشفاء. وإذ في الثلاث حالات الأولى طلب يسوع الطاعة لوصية مُعينه قبل أن أجرى شفاء الشخص المريض. وقد طلب يسوع في كل من هذه الحالات ألا يخبروا أحداً عن امر شفائهم. ومن الملاحظ أنه لم يسع أي من هؤلاء المرضى لملاقاة يسوع.

١٥- الرجل ذو اليد اليابسة: متى ١٢: ٩-١٣؛ مرقس ٣: ١-٥؛ لوقا ٦: ٦-١٠ "فَمُ وَقِفْ فِي الْوَسْطِ! مَدِّ يَدَكَ!"

١٦- الرجل عند بركة بيت حسدا: يوحنا ٥: ٢-٩ "فَمُ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَامْشِ".

١٧- المولود أعمى: يوحنا ٩: ١-٣٨ "اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بَرْكَةِ سَلْوَامَ".

١٨- حماة سمعان (بطرس): متى ٨: ١٤-١٥؛ مرقس ١: ٣٠-٣١؛ لوقا ٤: ٣٨-٣٩.

١٩- المرأة ذو الظهر الأحنب لمدة ١٨ عام: لوقا ١٣: ١١-١٦.

٢٠- الرجل المُصاب بالاستسقاء: لوقا ١٤: ٢-٤.

٢١- عبد رئيس الكهنة: لوقا ٢٢: ٥٠-٥١.

لاحظ أن في كل من الواحد والعشرون مثلاً أعلاه، ليس هناك أي حالة لأي شخص بالغ قد شُفي بإيمان شخصاً بالغاً آخر. ففي كل حالات الشفاء لشخص بسبب إيمان شخص آخر قد كانت دائماً حالات شفاء أطفال من خلال إيمان الوالدين (أنظر مثال ١، ٣، ٨، ١٤، ١٣).

فإن الاستثنائيين الوحيدان هما في مثال ١ و٢، عبد قائد المئة والمشلول الذي أدلاه أصدقاؤه من السقف. ففي حالة عبد قائد المئة، الترجمة اليونانية لكلمة عبد هي بياس، والتي يمكن ترجمتها صبي كما في

متى ١٧: ١٨: "فَخَرَجَ مِنَ الصَّبِيِّ، وَشُفِيَ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ".

فإن لم يكن عبد قائد المئة أبنه، فلا بد وأنه كان صبيّاً صغيراً. ولذلك كون قائد المئة مسئولاً قانونياً عنه وبهذا أستطاع أن يمارس إيمانه كما لو كان أحد والدي ذلك الصبي.

وفي حالة إدلاء المشلول من السقف، لابد وأن للمشلول نفسه كان إيماناً، وإلا لما سمح لأصدقائه أن يدلوه من خلال السقف. وهكذا لم يُشف بإيمان أصدقاؤه وحسب.

وعليه فإن كل ذلك يُشير على أنه من غير المُحتمل أن إيمان شخص بالغ يشفي شخصاً مريضاً إلا إذا كان للمريض نفسه إيماناً شخصياً. نعم يمكن لشخص بالغ أن يتفق بصلاة مع شخص آخر مُحْتَاج للشفاء، ولكن عدم إيمان الشخص المريض يمكن أن يُبطل تأثير إيمان الآخرين.

وعلى الرغم من ذلك، يمكن شفاء أطفالنا من خلال إيماننا، وذلك لحد عمر مُعين. ولكن في يوم ما سيبلغون سنّاً مُعيّناً حين يتوقع الله منهم أن يتلقوا منه بأنفسهم بناءً على إيمانهم الشخصي.

أنا بدوري أشجعكم على دراسة كل من هذه الأمثلة التي سردها بدقة كلٌ في كتابه المُقدس الخاص لعل إيمانكم يتقوى بمنال الشفاء من ربنا.

مسحة الشفاء

وأخيراً من المهم أن تعلم أن يسوع كان ممسوحاً بقوة شفاء حقيقية أثناء خدمته على الأرض. وهذا لدرجة أنه كان يشعر بخروج قوة مسحة الشفاء تخرج من جسده، وفي بعض الحالات الشخص المريض الذي تم شفاؤه شعر بهذه المسحة تدخل جسده. فعلى سبيل المثال، في لوقا ٦: ١٩ قيل أن "وَكَانَ الْجَمْعُ كُلُّهُ يَسْعَوْنَ إِلَى لَمْسِهِ، لِأَنَّ قُدْرَةَ كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَشْفِيهِمْ جَمِيعاً."

فبيدو أن حتى ملابسه كانت متشبعة من مسح الشفاء، فإن لمس شخصاً مريضاً رداءه، لدخلت مسحة الشفاء لجسده. ونقرأ في مرقس ٦: ٥٦:

وَأَيْنَمَا دَخَلَ، إِلَى الْفُرَى أَوْ الْمُدُنِ أَوْ الْمَزَارِعِ، وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي السَّاحَاتِ الْعَامَّةِ، مُتَوَسِّلِينَ إِلَيْهِ أَنْ يَلْمَسُوا وَلَوْ طَرَفَ رِدَائِهِ. فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَلْمَسُهُ يُشْفَى.

فالمراة نازفة الدم (انظر مرقس ٥: ٢٥ - ٣٤) شُفيت ببساطة بلمس طرف ثياب يسوع وتوقعت الشفاء بالإيمان.

ولم يكن يسوع وحده الممسوح بقوة الشفاء ولكن بولس الرسول أيضاً بعده وبعده سنوات أثناء خدمته:

وَكَانَ اللَّهُ يُجْرِي مُعْجَزَاتٍ خَارِقَةً عَلَى يَدِ بُولُسَ،^{١١}

حَتَّى صَارَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ الْمَنَادِيلَ أَوْ الْمَازَرَ الَّتِي مَسَّتْ جَسَدَهُ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى الْمَرْضَى، فَتَزُولُ^{١٢} أَمْرَاضُهُمْ وَتَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ الشِّرِيرَةُ مِنْهُمْ.

(أعمال الرسل ١٩: ١١ - ١٢)

فإن قوة مسحة الشفاء تشبعت في أي لباس كان يرتديه بولس علي جسده، والدليل على ذلك أن أي ملابس كان يرتديها بولس كانت موصل جيد لقوة الشفاء!

ولم يتغير الله من أيام يسوع لأيام بولس، ولذلك لا ينبغي علينا أن نندهش إذما مسح الله أحد خدامه اليوم بمسحة الشفاء، كما فعل مع يسوع وبولس. فهذه العطايا، لا تُمنح للمبتدئين، بل لאלئك الذين أثبتوا أنفسهم بأمانتهم وصدقهم على مدى فترة طويلة من الزمن، الذين لم تكن لهم دوافع حب الذات.

الفصل السابع عشر

مواهب الروح القدس

The Gifts of the Spirit

الكتاب المقدس مليء بأحداث قد أُعطي من خلالها لرجال ونساء قدرات فوق طبيعية من قبل الروح القدس. وتدعى هذه القدرات الفوق طبيعية في العهد الجديد بـ "مواهب الروح القدس". فهي عطايا بمعنى انه لا يمكن اكتسابها. وعلينا ألا ننسى أن الله يعزز ويقدم أولئك الذين يثق بهم من المؤمنين. فقد قال يسوع "إنَّ الأَمِينَ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضاً فِي الْكَثِيرِ، وَالْخَائِنُ فِي الْقَلِيلِ خَائِنٌ أَيْضاً فِي الْكَثِيرِ." (لوقا ١٦ : ١٠). وبالتالي نتوقع أنه على الأرجح ستُعطي مواهب الروح القدس لهؤلاء الذين أثبتوا جدارة بالثقة أمام الله. وهكذا فمن المهم الخضوع والتكريس الكامل للروح القدس، فإن الله دائماً ما سيستخدم هذا النوع من الناس بطرق خارقة. ومن ناحية أخرى، قد أستخدم الله ذات مرة جماراً ليتنبأ، ولذلك فهو قادر على أن يستخدم كل من يحلو له. فإن أنتظر الله متاً أن نكون مثاليين ليستخدمنا، فعندها لن يستخدم منا أحداً.

وفي العهد الجديد، تم سرد مواهب الروح القدس في كورنثوس الأولى إصحاح ١٢، وهنا تسعة منها:

فَوَاجِدٌ يُوَهَّبُ، عَنْ طَرِيقِ الرُّوحِ، كَلَامَ الْحِكْمَةِ، وَآخَرُ كَلَامَ الْمَعْرِفَةِ وَفَقاً لِلرُّوحِ نَفْسِهِ،^٨

وَآخَرُ إِيْمَاناً بِالرُّوحِ نَفْسِهِ. وَيُوَهَّبُ آخَرُ مَوْهَبَةً شِفَاءِ الْأَمْرَاضِ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ،^٩

وَآخَرُ عَمَلِ الْمُعْجَزَاتِ، وَآخَرُ النُّبُوءَةِ وَآخَرُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ، وَآخَرُ التَّكَلُّمِ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ (لَمْ يَتَعَلَّمَهَا)،^{١٠} وَآخَرُ تَرْجَمَةِ اللُّغَاتِ تِلْكَ.

(كورنثوس الأولى ١٢ : ٨-١٠)

إن قدرة أحدهم على كيفية تعريف كل هبة من المواهب ليس ذلك بالأمر الحاسم لاستخدام الله له في مواهب الروح القدس. ففي العهد القديم أنبياء وملوك وكذلك خدام الكنيسة الأولى في العهد الجديد، كلهم تم توجيههم بمواهب الروح القدس دون معرفتهم كيف لهم أن يصنفونها أو أن يعرفونها. ومع ذلك، وبسبب إدراج مواهب الروح القدس في العهد الجديد فلا بد ان ذلك يشير الى شيء أراد الله لنا أن نفهمه. بالتأكيد، كما كتب بولس " وَأَمَّا بِخُصُوصِ الْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ، فَلَا أَرِيدُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَمْرُهَا" (كورنثوس الأولى ١٢ : ١).

تصنيف مواهب للروح القدس التسع

لقد تم تصنيف مواهب الروح القدس بشكل أفضل في العصر الحديث وذلك لثلاث مجموعات: (١) مواهب الكلام، والتي تختلف أنواعها من حيث التكلم بالأسنة، وتفسير الأسنة، والتنبؤ؛ (٢) مواهب الرؤيا، وهي في

كلمة الحكمة، كلمة المعرفة، وتمييز الأرواح؛ (٣) مواهب القوات، وهي: صنع المعجزات، إيمان خاص، ومواهب الشفاء. وكل من هذه المواهب، ثلاث منهن تفلن شيئاً، ثلاث تُعلن شيئاً، وثلاث تفعلن شيئاً. كل من هذه المواهب كانت تتجلى في ظل العهد القديم ماعدا الأنواع التي تتعلق بالتكلم باللسنة وتفسير الألسنة. فهاتين الهبتين تتميزان حصراً على العهد الجديد.

فالعهد الجديد لا يعطي لنا إرشادات بخصوص الاستخدام الصحيح "لمواهب القوات" وقليل جداً من الإرشادات المتعلقة بالاستخدام الصحيح "لمواهب الرؤيا". ولكن هناك الكثير من الإرشادات، التي أعطاه بولس تتعلق بالاستخدام الصحيح "لمواهب الكلام"، والسبب في ذلك ربما يكون مُضاعفاً.

أولاً، مواهب الكلام دائماً ساكنة في هؤلاء الذين في اجتماعات الكنيسة، حيث مواهب الرؤيا تكون أقل، ولذلك هناك إرشادات أكثر للمواهب الساكنة في هؤلاء الذين يداومون على حضور اجتماعات الكنيسة. ثانياً، تتطلب مواهب الكلام الى أعلى درجة من التعاون البشري، ولذلك فهي المواهب التي دائماً ما يسوء استخدامها. فمن الأسهل أن يتم إفساد نبوءة أكثر من إفساد موهبة الشفاء، والقصد بسوء استخدام الموهبة.

كما تشاء الروح

ومن المهم أن يتم إدراك مواهب الروح كما تشاء الروح وليس كما يشاء الشخص. والكتاب المقدس قد وضح ذلك:

وَلَكِنْ هَذَا كُلُّهُ يُسَعِّلُهُ الرُّوحُ الْوَاحِدُ نَفْسُهُ، مُؤَرِّعاً الْمَوَاهِبَ، كَمَا يَشَاءُ، عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ

(كورنثوس الأولى ١٢: ١١).

وَقَدْ أَيْدَ اللَّهُ شَهَادَتَهُمْ بِعَلَامَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَمُعْجَزَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَبِالْمَوَاهِبِ الَّتِي وَزَعَهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ وَفَقاً لِإِرَادَتِهِ! (عبرانيين ٢: ٤).

يمكن لشخص ما أن يمارس مواهب معينة وبشكل دائم، ولكن ذلك لا يعني أن هذا الشخص يمتلك تلك المواهب. فقط لأنك قد مُسحت لصنع مُعجزة مُعينة هذا ليس بدلالة على أنك مخول لصنع المُعجزات في أي وقت تشاء؛ لا بل لا يوجد هناك أي ضمان لأن تقوم بفعل ذلك مرة أخرى.

سندرس باختصار عدد قليل من الأمثلة الكتابية لكل موهبة. ومع ذلك تذكر أن الله يمكنه أن يحل بنعمته وقوته بعدد لا حصر له من الطرق، ولذلك فمن المستحيل أن نُعرف بالتحديد كيف ستعمل كل هبة بكل مرة. وعلاوة على ذلك، ليس هناك تعريف لكل من المواهب الروحية التسع — وكل ما لدينا هو أسمائها. ولذلك يمكننا أن ننظر الى الأمثلة الكتابية ومحاولة تحديد معنى كل أسم، وفي النهاية تعريفهم بالاختلافات الظاهرة. وبسبب أن هناك طرق عديدة للروح القدس أن تحل من خلال القوى الخارقة، فربما سيكون من غير الحكيم أن نحاول أن نُحدد تعريفاتنا. فبعض المواهب تعتبر في الحقيقة مزيج من مواهب عديدة معاً. وكذلك كتب بولس:

وَقَدْ أَيْدَ اللَّهُ شَهَادَتَهُمْ بِعَلَامَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَمُعْجَزَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَبِالْمَوَاهِبِ الَّتِي وَرَّعَهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ وَفَقَّ ٤
لِإِرَادَتِهِ!

ثُمَّ إِنَّ «الْعَالَمَ الْآتِي» الَّذِي نَتَحَدَّثُ عَنْهُ كَثِيرًا، لَنْ يَكُونَ خَاصِعًا لِسَيِّطَرَةِ الْمَلَائِكَةِ. ٥

فَقَدْ شَهِدَ أَحَدُهُمْ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الْكِتَابِ، قَائِلًا: ٦

جَعَلْتُهُ أَدْنَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى حِينٍ، ثُمَّ كَلَّمْتُهُ بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، وَأَعْطَيْتُهُ السُّلْطَةَ عَلَى كُلِّ مَا صَنَعْتُهُ يَدَاكَ. ٧

مواهب القوات

(١) **مواهب الشفاء:** ومن الواضح أن مواهب الشفاء تتعلق بلا شك بشفاء المرضى. ودائماً ما يتم تعريفها بمواقف خارقة مفاجئة تؤدي الى شفاء المرضى، ولذلك لا أرى أي داعي للشك في ذلك. ففي الفصل السابق قد درسنا مثلاً واحداً لهبة الشفاء من خلال شفاء يسوع للرجل الأعرج عند بركة بيت حسدا (أنظر يوحنا ٥: ٧-٢).

وقد أستخدم الله أليشع ليشفي نعمان الكنعاني من البرص، نعمان الذي كان عابداً للأوثان (أنظر ملوك الثاني ٥: ١-١٤). وكما تعلمنا من التدقيق في كلمات يسوع في لوقا ٤: ٢٧ بخصوص شفاء نعمان، نجد عجز أليشع أن يشفي أي أبرص كان متى حلّى له. فكان الامر فجائي إذ قام بإرشاد نعمان ليطمس نفسه في نهر الأردن سبع مرات، وعندما أطاع نعمان، تم تطهيره من البرص.

وقد أستخدم الله بطرس ليشفي الرجل الأعرج عند باب الهيكل الذي يُسمى باب الجميل من خلال موهبة الشفاء (أنظر أعمال الرسل ٣: ١-١٠). فلم يُشف الرجل الأعرج فقط، ولكن تلك الآية الخارقة قد اجتذبت العديد من الناس ليسمعوا الإنجيل عن طريق شفاء الرجل على يد بطرس، وحوال خمسة الألاف نفس انضمت للكنيسة في ذلك اليوم. فهبة الشفاء دائماً تخدم غرضين وهما شفاء المرضى وجذب غير المُخلصين للمسيح.

فعندما كان بطرس يعظ رسالته في ذلك اليوم للجموع:

فَقَالَ لَهُمْ بَطْرُسُ إِذْ رَأَى ذَلِكَ: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِمَاذَا تَتَعَجَّبُونَ مِمَّا حَدَثَ، وَلِمَاذَا تُحَدِّقُونَ إِلَيْنَا كَأَنَّا بُقَدَرْنَا أَوْ نَبْتَؤَانَا جَعَلْنَا هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي؟ (أعمال الرسل ٣: ١٢)

وهكذا ذكر بطرس أنه ليس بسبب قوة شخصية يمتلكها أو بسبب قداسته العظيمة، أن الله أستخدمه ليشفي ذلك الرجل الأعرج. وتذكر كيف أنه وقبل شهرين من هذه المعجزة كان قد أنكر بطرس علاقته بيسوع. فحقيقية أن الله أستخدم بطرس بطريقة معجزية وذلك في أوائل صفحات سفر أعمال الرسل، عليها أن تدعم ثقتنا بأن الله سيستخدمنا نحن أيضاً كما يشاء.

فعندما حاول بطرس أن يشرح كيف لهذا الرجل أن يشفى، فانه لمن غير المعقول أنه قد صنفها "كموهبة الشفاء". فكل ما كان بطرس ويوحنا على عِلم به هو أن ذلك الرجل لم يتمكن من المشي وفجأة وجد بطرس

نفسه ممتلئ بالإيمان لأجل اشفاء الرجل. ولذلك طلب بطرس منه أن يمشي باسم يسوع، فمسك بيده اليمنى ورفعته. وبدأ الرجل الأعرج "بالمشي شاكراً الله". وقد شرح بطرس ذلك على الطريقة التالية:

وَبِفَضْلِ الْإِيمَانِ بِاسْمِهِ، أَعَادَ اسْمُهُ الْقُوَّةَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي تَرَوْنَهُ وَتَعْرِفُونَهُ. فَالْإِيمَانُ بِيَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ هَذِهِ الصِّحَّةَ الْكَامِلَةَ بِمَشْهَدٍ مِنْكُمْ جَمِيعاً. (أعمال الرسل ٣: ١٦)

فبهذا الحالة سيلزمك إيماناً عظيماً لتمسك بيد رجل أعرج لترفعه متوقفاً منه أن يسير! فجانِب موهبة معينه كموهبة الشفاء هناك أهمية وحاجة بالغة للإيمان لأن يتم المراد، وبدون الإيمان لن يحدث.

والبعض يعتقد أن سبب هذه الموهبة هو مجموع (مواهب الشفاء)، وذلك لأن يوجد هناك أنواع مختلفة من المواهب لأنواع مختلفة من الأمراض. فهؤلاء الذين يتم استخدامهم دائماً في مواهب الشفاء يلاحظون أن أنواع معينة من الأمراض يتم شفاؤها أكثر من أنواع أخرى من خلال خدمة الشفاء التي يمارسونها. فعلى سبيل المثال، فيلبس المبشر يبدو أنه كان لديه نجاح في شفاء بعض العرج والمشلولين (أعمال الرسل ٨: ٧). فهناك بعض المبشرين في القرن السابق مثلاً، كان لهم نجاحاً في شفاء العميان والخرس أو هؤلاء الذين يعانون من مشاكل في القلب، وكل ما شابه ذلك، وتحديد نوعية الموهبة الخاصة بالشفاء لهم تعتمد على ظهورها من خلال تواردها بالممارسة.

(٢) موهبة الإيمان وصنع المعجزات: إن موهبة الإيمان وموهبة صنع المعجزات تبديان متشابهتان. فبكلا الموهبتين، الشخص الذي يتم مسحه فجأةً يتلقى الإيمان لأجل الأمور المستحيلة. والفرق بينهما قد نصفه على النحو التالي: بما يتعلق وموهبة الإيمان، الشخص المُعطى إيماناً يتلقى المعجزة لنفسه، في حين أن بموهبة صنع المعجزات، الشخص المتلقي الإيمان يكون ذلك لصنع معجزة لشخص آخر.

موهبة الإيمان يُشار إليها عادةً بـ "الإيمان المميز" لأنها تعتبر منح مفاجئ للإيمان تفوق الإيمان العادي. فالإيمان العادي يأتي من سماع وعود الله، في حين أن الإيمان المميز يأتي بمنح مفاجئ من الروح القدس. فهؤلاء الذين يختبروا موهبة الإيمان المميز يتحدثون عن حدوث أشياء كانوا يعتبروها مستحيلة وقد أصبحت فجأةً ممكنة، وفي الحقيقة أنهم يجدوا أنه من المستحيل أن يشككوا فيما حدث. وذات الشيء هو حقيقة لموهبة صنع المعجزات.

وتعتبر قصة أصدقاء دانيال الثلاثة، شدرخ، ميشخ، وعبدناغو، مثلاً رائعاً على أن "الإيمان المميز" لا ريب فيه وغير قابل للشك.

فعندما أُلقي الثلاثة رجال في أتون النار لرفضهم السجود لتمثال الملك، تم تزويدهم جميعهم بموهبة الإيمان المميز. فبعد إلقاء النار ساحتاج لإيماناً أكثر من العادي لتبقى على قيد الحياة! دعونا ننظر الى إيمان هؤلاء الثلاثة رجال صغار السن أمام الملك:

فَأَجَابَهُ شَدْرُخُ وَمِيشُخُ وَعَبْدَنَغُو: لَا دَاعِيَ لَأَنْ نُجِيبَكَ عَنْ هَذَا الشَّأْنِ ١٦

لَأَنَّ إِلَهَنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ قَادِرٌ أَنْ يُنَجِّينَا مِنْ أَتُونِ النَّارِ الْمُتَقَدِّةِ، وَأَنْ يُنْقِذَنَا مِنْ يَدِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. ١٧

وَحَتَّى إِنْ لَمْ يُنْقِذْنَا، فَاعْلَمْ يَقِيناً أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّنَا لَا نَعْبُدُ إِلَهَتَكَ، وَلَا نَسْجُدُ لِتِمْتَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَهُ. ١٨

(دانيال ٣: ١٦-١٨)

لاحظ أن الموهبة كانت تعمل بهم قبل أن تم إلقاءهم الفعلي في الآتون. وبدون شك أنهم قرروا في أفكارهم الإيمان بأن الله سينقذهم.

وقد أختبر إيليا الإيمان المميز حين كان يتناول يومياً مما أحضره له الغراب أثناء الثلاثة ونصف عام من المجاعة أيام الملك أخاب الشرير (أنظر ملوك الثانية ١٧: ١-٦). فستحتاج لما هو أكثر من الإيمان العادي لتثق بأن الله سيستخدم طائراً ليحضر لك طعاماً صباحاً وليلاً. وعلى الرغم من ذلك لم يعدنا الله في أي مكان في كلمته أن الغريان ستحضر لنا طعاماً كل يوم، فيمكننا أن نستخدم إيماناً عادياً لنثق بأن الله سيلبي احتياجاتنا - لأن هذا ما قد وعد الرب به (أنظر متى ٦: ٢٥-٣٤).

صُنِعَ المعجزات كان عملاً متكرراً في أثناء خدمة موسى، فقد مارس هذه الموهبة حين شق البحر الأحمر (أنظر خروج ١٤: ١٣-٣١) وأيضاً بالضربات المختلفة التي حلت على مصر.

يسوع قام بصنع العديد من المعجزات ومثلاً على ذلك حين أشبع ٥٠٠٠ نفس بمباركته لقليل من السمك والخبز (أنظر ١٤: ١٥-٢١).

وحين تسبب بولس لعليم الساحر بالعمي حين كان يعيق خدمة بولس في جزيرة قبرص، ذلك أيضاً يمكن اعتباره مثلاً لصنع المعجزات (أنظر ١٣: ٤-١٢).

مواهب الإعانات

(١) كلمة علم وكلمة الحكمة: دائماً ما يتم تعريف كلمة علم كإفصاح مفاجئ وخارقاً لمعلومات معينة، في الماضي أو الحاضر. فالله الذي يمتلك كل المعرفة، سيفصح أحياناً بجزئية عن المعرفة، ولهذا السبب تُدعى كلمة المعرفة أو العلم. فالكلمة هي جزء لا يتجزأ من الجملة، وكلمة العلم هي جزء لا يتجزأ من معرفة الله.

كلمة الحكمة هي مشابهة لكلمة العلم، لكن دائماً ما يتم تعريفها كأنها إفصاح مفاجئ خارق عن معرفة أحداث ستحدث في المستقبل. فمحتوى الحكمة دائماً يشمل شيئاً بخصوص المستقبل. وأعيد وأكرر بأن هذه التعريفات قد تكون استغلالية لحد ما.

دعونا نلقي نظرة على إحدى الأمثلة في العهد القديم لما يتعلق وكلمة العلم. بعد أن شفي أليشع نعمان الكنعاني من البرص، عرض نعمان عليه المال الكثير كنوع من الشكر على شفائه، ولكن رفض أليشع أن يأخذ ذلك القدر الكبير من المال، لكيلا يعتقد نعمان أنه قد اشترى الشفاء بماله عوضاً عن أنه قد مُنِحَ له الشفاء من الله بالنعمة. ولكن جيحزي خادم أليشع رأى بذلك طريقة للغنى، وهكذا قام بأخذ جزء من المال سراً. وبعد أن أخذ جيحزي هذه الفضة وخباها، جاء أمام أليشع. كما نقرأ:

مِنْ أَيْنَ جِئْتَ يَا جِيحْزِي؟ فَأَجَابَ: لَمْ يَذْهَبْ عَبْدُكَ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ ٢٥

فَقَالَ لَهُ: أَلَا تَعْرِفُ أَنَّ قَلْبِي كَانَ حَاضِراً هُنَاكَ حِينَ تَرَجَّلَ الرَّجُلُ مِنْ مَرْكَبَتِهِ لِلْقَائِكَ؟ ٢٦

(ملوك الثاني ٥: ٢٥ ب-٢٦ أ)

فالله الذي علّم بنوايا جيحزي الشريرة، أعلن عن ذلك بطريقة فوق طبيعية لأليشع. وهذا يجعل القصة واضحة وهي أنه بما أن أليشع لم يمتلك (بشكل دائم) كلمة العلم أي لم يعرف كل شيء عن كل شخص بكل وقت. وإن كانت هذه هي الحقيقة، لما تجرأ جيحزي بتأتاً على كتمان سراً عن سيده. وهكذا فإن أليشع علّم أحياناً أموراً بشكل خارقة عند إعلان الله له ذلك. فالموهبة تعمل حسب مشيئة الروح القدس.

وقد أستخدم يسوع كلمة علم عندما أخبر المرأة السامرية عند البئر أنه كان لديها خمسة من الرجال "أزواجاً". (أنظر يوحنا ٤: ١٧-١٨).

وقد تم استخدام بطرس لهذه الموهبة عندما علّم أن حنانيا وسفيرة كانا يكذبان بصدد إعطاء المبلغ بكامله الذي تلقوه من جراء بيع أرض (أنظر ٥: ١-١١).

وأما بالنسبة لكلمة الحكمة، نرى ظهور هذه الموهبة كحالة مميزة من خلال أنبياء العهد القديم. حين تنبأوا عن أحداث ستكون في المستقبل، وهكذا كانت كلمة الحكمة تعمل كلما تنبأوا عن المستقبل. ومُنحت هذه الموهبة ليسوع الذي قام بممارستها بشكل مستمر. فقد تنبأ بانهيـار أورشليم، وصلبه، وأحداث نهاية العالم قبل مجيئه الثاني (لوقا ١٧: ٢٢-٣٦؛ ٢١: ٢٦-٢٨).

وتم استخدام يوحنا الرسول للكشف عما سيحدث في فترة الضيقة العظيمة. وهذه كلها مُسجلة في سفر الرؤيا.

(٢) موهبة تمييز الأرواح: وأما موهبة تمييز الأرواح دائماً ما يتم تعريفها كقدرة مفاجئة فوق طبيعية على رؤية أو تمييز ما يحدث في العالم الروحي.

وهكذا فإن الرؤية التي يمكن معاينتها من خلال أعين المؤمن أو فكره، يمكن تصنيفها كتمييز للأرواح. فهذه الموهبة ربما تُتيح للمؤمن أن يرى ملائكة، شياطين، أو حتي يسوع نفسه، كما حدث لبولس عدة مرات ونجد ذلك في (أعمال الرسل ١٨: ٩-١٠؛ ٢٢: ١٧-٢١؛ ٢٣: ١١).

فبينما كان الجيش الاشوري يلاحق أليشع وخادمه، وقد وجدوا أنفسهم مُحاصران في مدينة دوثان. وفي تلك اللحظة، رأى خادم أليشع فيما وراء أسوار المدينة ربوات من الجنود، وكان قَلْباً:

فَأَجَابَهُ أَلِيشَعُ: لَا تَخَفْ لِأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ.^{١٦}

وَتَضَرَّعَ أَلِيشَعُ قَائِلاً: «يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ». فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنِي الْخَادِمِ، وَإِذَا بِهِ يُشَاهِدُ الْجَبَلَ يَكْتَنُظُ^{١٧} بِخَيْلٍ وَمَرْكَبَاتٍ نَارٍ تُحِيطُ بِأَلِيشَعِ.

(ملوك الثاني ٦: ١٦-١٧)

هل علّمت أن الملائكة يقودون أخيلة وعربات حربية روحية؟ في يوم ما ستراهم في السماء، ولكن الجميل انه تم منح خادم أليشع القدرة على رؤيتهم هنا على الأرض.

ومن خلال هذه الموهبة قد يستطيع المؤمن أن يميز روحاً شريرة قامعة لشخص ما، ويمكن له تعريف نوعية ذلك الروح.

وهذه الموهبة لا تشمل فقط على رؤية العالم الروحي بل تميز أي نوع من العالم الروحي، ويكون ذلك على سبيل المثال عن طريق سماع شيئاً من العالم الروحي، على سبيل المثال سماع صوت الله نفسه.

أخيراً، هذه الموهبة ليست كما يعتقد البعض أنها "موهبة التمييز". فالبعض يتدعي أن هذه الموهبة أحياناً تمكنهم من تمييز دوافع الآخرين وذلك ما يؤول الى أن تصبح "موهبتهم"، الا انه يمكن وصفها بـ "موهبة النقد وإدانة الآخرين". وبالحقيقة انها لربما كانت لديك هذه "الموهبة" قبل أن تخلص، ولكن وبعد أن خلصت، يريد الله أن ينقذك منها تماماً!

مواهب الكلام

(١) **موهبة التنبؤ:** إن موهبة التنبؤ هي القدرة فوق طبيعية المفاجئة للتكلم بإيحاء إلهي بلغة المتحدث. ويمكن أن تبدأ دائماً بـ "هكذا قال الرب."

فهذه الموهبة ليست بوعظ أو تعليم. فالوعظ والتعليم يحتويان على عنصر التنبؤ لأنهما ممسوحان من الروح، ولكن ليس ذلك التنبؤ بالمعنى الحرفي. فكثيراً ما يُسمع على لسان الواعظ أو المعلم قد يقولان أشياء عن طريق وحي مفاجئ لم يُعد له، ذلك ليس بنبوءة، ولكن أنا أفترض أنه يمكن اعتبار ذلك كلمة نبوية.

فموهبة التنبؤ ذاتها تعمل على إنشاء، حدث، ووحدة التحكم:

أَمَّا الَّذِي يَتَنَبَّأُ، فَهُوَ يُخَاطِبُ النَّاسَ بِكَلَامِ الْبُنْيَانِ وَالنَّشْجِيعِ وَالتَّعْزِيَةِ.^٣

(كورنثوس الأولى ١٤: ٣)

والجدير بالذكر أن موهبة النبوءة بحد ذاتها، لا تحتوي على رؤيا. لأنها لا تعلن أي شيء عن الماضي، الحاضر أو المستقبل، كما الامر بكلمة الحكمة وكلمة العلم. الا أنه وكما ذكرت من قبل، يمكن لمواهب الروح أن تعمل بتعاون مع بعضها البعض، وكذلك يمكن لكلمة الحكمة أو كلمة العلم أن تصلا الى المستمع عن طريق النبوءة.

فحين نسمع شخصاً يتنبأ في اجتماع مُخبراً أحداثاً في المُستقبل، فأنا لا نستمع لنبوءة وحسب، بل نستمع لكلمة حكمة حالة من خلال النبوءة. فببساطة موهبة التنبؤ ستبدو وكأن شخصاً يقرأ نصائح تشجيعية من الإنجيل، كـ "تقوي في الرب وفي شدة قوته" و "أنا لن أتركك ولا أتخلي عنك".

البعض يؤمن أن نبوءة العهد الجديد يجب ألا تحتوي على أي شيء "سلبي" لأن ذلك النوع وكما يُفترض لا يتناسب مع معايير "البنيان والموعظة والتعزية". ولكن ذلك ليس سليماً، بأن تحدد ما قد يقوله الله لشعبه، سامحاً له أن يقول فقط ما يمكن اعتباره "إيجابياً" حتى وإن كان شعبه يستحق التوبيخ، هذا بحد ذاته يعتبر ارتفاعاً على الله. فالتوبيخ يمكن أن يتم إدراجه في قائمة الوعظ والبنيان. وقد لاحظت أن رسائل الرب للكنائس السبعة في أسيا، والتي تم تدوينها في رؤيا يوحنا، بالتأكيد تحتوي على عنصر التوبيخ الواضح. هل هذا يعني أن علينا نبذها؟ لا أعتقد ذلك.

(٢) **موهبة الأنواع المختلفة للألسنة وتفسير الألسنة:** إن موهبة الأنواع المختلفة من الألسنة هي القدرة الخارقة المفاجئة على التكلم بلغة غير معروفة للمتكلم. وهذه الموهبة دائماً ما تُصاحبها موهبة تفسير الألسنة، وهي قدرة خارقة مفاجئة على تفسير ما تم التكلم به بلغة غير معروفة.

وهذه الموهبة تُدعى تفسير الألسنة وليس ترجمة الألسنة. ولذلك لا ينبغي أن نتوقع ترجمة كلمة كلمة لرسائل الألسنة. ولهذا السبب فيمكن أن تكون رسالة الألسنة قصيرة ولكن تفسيرها طويلاً، والعكس صحيح.

وموهبة تفسير الألسنة مُشابهة كثيرة للتنبؤ لأنها لا تحتوي على إعلانات وهي عادةً ما تُعطى لأجل البنين والوعظ والتعزية. ونكاد أن نقول طبقاً لكورنثوس ١٤: ٥، أن الألسنة وتفسير الألسنة معاً يساوي نبوءة:

إِنِّي أَرْغَبُ فِي أَنْ تَتَكَلَّمُوا جَمِيعاً بِلُغَاتٍ مَجْهُولَةٍ، وَلَكِنْ بِالْأُخْرَى أَنْ تَتَنَبَّأُوا. فَإِنَّ مَنْ يَتَنَبَّأُ أَفْضَلُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِاللُّغَاتِ إِلَّا إِذَا تَرَجَّم (مَا يَقُولُهُ) لِنَتَّالِ الْكَنِيسَةِ بُنْيَاناً.

كما ذكرت من قبل، فليس هناك أي إرشادات تم إعطاؤها في الكتاب المقدس بخصوص عمل قوي المواهب، وإرشادات قليلة تم إعطاؤها عن كيفية عمل مواهب الإعلان، ولكن الكثير من الإرشادات تم إعطاؤها بخصوص مواهب الكلام. ولأن هناك كانت بعض اضطرابات في كنيسة كورنثوس بخصوص عمل مواهب الكلام، فقد خصص بولس تقريباً الإصحاح الرابع عشر كله من رسالته الأولى لأهل كورنثوس لهذا الموضوع.

فالمشكلة قبل كل شيء كانت تتعلق بشكل مباشر بالاستخدام الصحيح للتكلم بألسنة، لأننا عرفنا في الفصل الذي يتحدث عن معمودية الروح القدس أن كل مؤمن مُعمد من الروح القدس لديه القدرة على الصلاة بألسنة حينما يشاء. وقد كان يتكلم أهل كورنثوس بألسنة أثناء خدماتهم الكنسية، ولكن مُعظمها لم تكن مُنظمة.

الاستخدامات المتنوعة للألسنة الأخرى

ومن بالغ الأهمية أن نفهم الفرق ما بين الاستخدام العام للألسنة الغير المألوفة والاستخدام الخاص لها. فعلى الرغم من أن كل مؤمن مُعمد من الروح القدس يمكنه التكلم بألسنة في أي وقت، هذا لا يعني أن الله سيستخدمه في المواهب العامة للألسنة وبأنواعها المختلفة. الاستخدام الأساسي للتكلم بألسنة يحدث في الحياة التعبدية الخاصة لكل مؤمن. ولكن أهل كورنثوس كانوا يأتون معاً مُتكلمين بألسنة دون تفسير، وبالطبع ذلك لم يُساعد على بناء أحد (انظر ١٤: ٦-١٢؛ ١٦-١٩؛ ٢٣؛ ٢٦-٢٨).

إحدى الطرق بها نفرق ما بين الاستخدام العام والاستخدام الخاص للألسنة هو تصنيف الاستخدام الخاص بالصلاة بألسنة والاستخدام العام كالتكلم بألسنة أخرى. فحدثنا بولس الرسول عن كلا الاستخدامين في الإصحاح الرابع عشر من رسالته الأولى لأهل كورنثوس. فما هي تلك الاختلافات؟

عندما نُصلي بألسنة، تصلي أرواحنا لله (انظر كورنثوس الأولى ١٤: ٢، ١٤). ولكن حين يُسمح شخصاً ما فجأةً بموهبة أنواع مختلفة من الألسنة، عندها تكون رسالة من الله للشعب (انظر كورنثوس ١٤: ٥)، ويتم فهما عندما تُعط تفسيراً.

طبقاً للكتاب المقدس، يمكن لنا أن نُصلي بالأسنة كما نشاء (كورنثوس الأولى ١٤ : ١٥)، ولكن موهبة الأنواع المختلفة للأسنة تعمل فقط كما يشاء الروح القدس (أنظر كورنثوس الأولى ١٢ : ١١).

فالأنواع المختلفة للأسنة عادةً ما تصاحبها موهبة تفسير الأسنة. بينما الاستخدام الخاص للصلاة بالأسنة عادةً لا يتم تفسيرها. وقد قال بولس عندما كان يُصلي بالأسنة كان عقله عديم الثمر (أنظر كورنثوس الأولى ١٤ : ١٤).

فحين يُصلي شخصاً بالأسنة فهو الوحيد الذي يتم بنيانه (أنظر كورنثوس الأولى ١٤ : ٤)، ولكن يتم بناء الشعب بأسره حين تحل أنواع مختلفة من الأسنة مُصاحبة بمواهب التفسير (أنظر كورنثوس الأولى ١٤ : ٤ب-٥).

على كل مؤمن أن يُصلي بالأسنة كل يوم كجزء من تعبدته اليومي مع الرب. فأحد الأشياء الجميلة عن الصلاة بالأسنة انها لا تتطلب استخدام عقلك. وهذا يعني أنه يمكنك الصلاة بالأسنة حتى وإن كان فكرك مشغولاً بعملك أو أشياء أخرى. فقد قال بولس لأهل كورنثوس " أَشْكُرُ اللهَ لِأَنِّي أَتَكَلَّمُ بِلُغَاتٍ مَجْهُولَةٍ أَكْثَرَ مِنْكُمْ جَمِيعاً " (كورنثوس الأولى ١٤ : ١٨). وهكذا فلا بد أنه قد قضى وقتاً طويلاً مُتكلماً بالأسنة ليتفوق بذلك على كنيسة كورنثوس برمتها!

وكتب بولس أيضاً أنه حين نُصلي بالأسنة، فأحياناً نحن " نبارك الرب " (كورنثوس الأولى ١٤ : ١٦-١٧). فقد حدث ذلك معي ثلاثة مرات حين صليت بالأسنة وكان هناك من الحاضرين من فَهَمَ اللغة التي كنت أصلي بها. فكنت أصلي باللغة اليابانية فكل من هذه الثلاث مرات. فمرة قُلْتُ للرب باليابانية "انت عظيم جداً". ومرة أخرى قُلْتُ " شكراً جزيلاً لك". ومرة أخرى قد قُلْتُ " تعال بسرعة تعال بسرعة، فأنا أنتظر". أليس هذا رائعاً؟ إذ لم يحدث أنني تكلمت باللغة اليابانية ولا تعلمت منها أي كلمة من قبل، ولكن يبدو على الأقل في هذه المرات الثلاثة انني "باركت الرب" باللغة اليابانية!

إرشادات بولس عن التكلم بالأسنة

كانت إرشادات بولس لكنيسة كورنثوس مُخصصة، كالعدد الذي يُسمح به لأشخاص التكلم بالأسنة على الملء علنيةً في الاجتماعات المتاحة لذلك. وقد حدده ليقصر على اثنين أو ثلاثة، إذ لا ينبغي عليهم جميعاً التكلم في آن واحد، ولكن يجب أن ينتظر الواحد الآخر للتكلم بانتظام (كورنثوس ١٤ : ٢٧).

بولس لم يعن بالضرورة أن لثلاثة فقط كان مسموحاً إعطاء "رسائل بالأسنة"، ولكن لمن يتكلموا بالأسنة الا يزيد عددهم عن ثلاثة أشخاص أثناء الخدمة الواحدة. فالبعض يعتقد أنه إن كان هناك أكثر من ثلاثة أشخاص من الذين يُستخدمون موهبة أنواع الاسنة المختلفة بصورة دائمة، هذا سوف يؤدي الى الخضوع التام للروح الذي سيُعطيهم "رسائل التكلم بالأسنة" كما يرغب فيها الروح أن تتجلى في الكنيسة. وإن لم يكن الامر كذلك، لكانت إرشادات بولس لتحدد الروح القدس عن طريق تحديد عدد رسائل الأسنة المتجلية في تلك الاجتماعات. فإن لم يُعط الروح القدس لأكثر من ثلاثة مواهب لأنواع مختلفة في اجتماع، لما كانت هناك أي حاجة لبولس أن يعطي تلك الإرشادات.

وذاات الامر يمكن أن يكون صحيحاً أيضاً لما يتعلق وتفسير الألسنة. فمن المُعتقد انه لربما كان هناك أكثر من شخص بالاجتماع من الذين يخضعون للروح ليعطوا التفسير "لرسائل الألسنة". وهؤلاء الذين يُعتبروا "مُفسرين" (كورنثوس الأولى ١٤ : ٢٨)، حيث يتم استخدامهم دائماً لموهبة تفسير الألسنة. فإن كان ذلك صحيحاً، ربما ذلك ما كان يشير إليه بولس عندما أعطى إرشاداً "ليكن مُفسراً واحداً" (كورنثوس الأولى ١٤ : ٢٧). ولربما لم يعني أنه شخصاً واحداً فقط ينبغي أن يُفسر كل الرسائل المعطاة بالألسنة أخرى؛ بينما تحذيره كان من مغبة "التفسير التنافسي" أثناء اعطاء رسالة معينة. فإن فسر أحد المُفسرين رسالة للألسنة، عندها لا ينبغي لآخر من الذين لم يُصرح لهم التفسير أن يفسر ذات الرسالة، حتى وإن أعتقد الآخر أنه أعطي تفسيراً أفضل.

وبشكل عام، كل ما يجب فعله أن يُعمل "بشكل صحيح وبطريقة مُنظمة" في اجتماعات الكنيسة - فلا ينبغي أن يكون اختلاط في وقت واحد، ولا حتى التشويش من جراء الكلام المتنافس. بالإضافة لذلك، يجب على المؤمنين أن يكونوا حساسين تجاه غير المؤمنين الذين لربما يكونوا حاضرين في الاجتماعات، كما كتب بولس:

فَإِنْ اجْتَمَعَتِ الْكَنِيسَةُ كُلُّهَا مَعًا، وَأَخَذَ الْجَمِيعُ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ مَجْهُولَةٍ، ثُمَّ دَخَلَ بَعْضُ قَلِيلِي الْخَبَرَةِ أَوْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَفَلَا يَقُولُونَ إِنَّكُمْ مَجَانِينَ؟ (كورنثوس الأولى ١٤ : ٢٣).

كان ذلك لتحديد المشكلة الكائنة في كورنثوس - إذ كل واحد منهم كان يتحدث بنفس الوقت بالألسنة، ولم يكن هناك أي تفسير بصورة دائمة.

بعض الإرشادات بخصوص مواهب الإعلانات

عرض بولس برسالته بعض الإرشادات بخصوص "مواهب الإعلانات" والتي تتجلى من قبل الأنبياء:

وَلْيَتَكَلَّمْ أَيْضاً اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُتَنَبِّئِينَ وَلِيَحْكَمْ الْآخَرُونَ. ٢٩

وَإِنْ أُوجِيَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْجَالِسِينَ، فَلْيَسْكُتِ الْمُنْكَلِّمُ الْأَوَّلُ. ٣٠

فَإِنَّكُمْ جَمِيعاً تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَنَبَّأُوا وَاحِداً فَوَاحِداً، حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْجَمِيعُ وَيَتَشَجَّعَ الْجَمِيعُ. ٣١

وَلَكِنَّ مَوَاهِبَ النَّبُوءَةِ هِيَ خَاضِعَةٌ لِأَصْحَابِهَا. ٣٢

فَلْيَسِ اللَّهُ إِلَهُ فَوْضَى بَلِّ إِلَهُ سَلَامٍ، كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي كَنَائِسِ الْقَدِيسِينَ كُلِّهَا. ٣٣

(كورنثوس الأولى ١٤ : ٢٩-٣٣).

كما وكان هنالك أعضاء في جسد الكنيسة في كورنثوس من الذين تم استخدامهم دائماً في موهبة تفسير الألسنة وكانوا يُدعون بالترجمين (المفسرين)، أيضاً كان هناك آخرون تم استخدامهم لمواهب التنبؤ والإعلانات وكانوا يُدعون بأنبياء. الا انهم لم يكونوا في نفس مستوى أنبياء العهد القديم ولا حتى مثل

شخص يُدعي أغابوس في العهد الجديد (أنظر أعمال الرسل ١١: ٢٨؛ ٢١: ١٠). ولكن خدماتهم لتكون مُحددة في حيز جسد الكنيسة المحلية.

فعلى الرغم من أنه قد يكون هنالك ثلاثة أنبياء فقط حاضرين في اجتماع الكنيسة، لكن بولس ولمرة أخرى يضع تحديداً هنا، خاصةً في خدمة التنبؤ ليكون هناك "أثنين أو ثلاثة أنبياء" فقط. وهذا أيضاً ليُشير إلى أنه عندما أُعطيت هذه المواهب الروحية في الاجتماع، عندها لربما نال أكثر من شخص واحد تلقي تلك العطايا. وإن لم يكن الأمر كذلك، فسيستنتج من إرشادات بولس عن وجود مواهب روحية قد أُعطيت من الروح ولكنها لم تستخدم وبالتالي لن يستفيد منها الجسد، بسبب تحديد عدد الأنبياء الذين يسمح لهم بالتكلم.

فإن كان هنالك أكثر من ثلاثة أنبياء حاضرين فيمكن لآخرين أن يساعدوا على تقييم ما يُقال، وعلى الرغم من أنهم مقيدون عن التكلم. وهذا سيُشير أيضاً إلى قدرتهم على تمييز ما يقوله الروح وإمكانية تطبيق ما حققه الروح بأنفسهم ليستخدموا ذات المواهب الحالة من خلال الأنبياء الآخرين. وإلا فيمكنهم أن يقيموا نبوءات وإعلانات بصورة عامه، عن طريق التأكد من أنهم متفقون مع إعلانات الله المُعطاة (كما في الكتاب المقدس)، وهو لأمر سيفعله كل مؤمن بالغ.

فقد قال بولس أنه يمكن لكل هؤلاء الأنبياء أن يتنبؤوا بالتتابع (كورنثوس الأولى ١٤: ٣١) وبذلك "مواهب النبوءة هي خاضعة لأصحابها" (كورنثوس الأولى ١٤: ٣٢)، مُشيراً إلى أنه ينبغي على كل نبي أن يمتنع عن إحداث اضطراباً لنبي آخر، حتى وإن كانت النبوءة أو الإعلان مُعطاه من الروح ليُشارك مع الشعب المجتمع. وهذا يوضح أن الروح يمكن أن يعطي مواهب لعدة أنبياء في نفس الوقت من المجتمعين، ولكن بإمكان كل نبي من أن يتحكم بمشاركته إعلان كان أو بنبوءة لا وبل يتوجب عليه ذلك.

وهذا أيضاً صحيح بخصوص موهبة التكلم المعلنه من قبل أي مؤمن. فإن تلقى شخص ما رسالة أو نبوءة من الرب، يمكنه أن يكتمها إلى أن يأتي الوقت المناسب ليُشاركها مع الجميع. فمن الخطأ أن تُعطى نبوءة أو تعليم شخص آخر لأنك تريد أن تُفصح عن نبوءتك.

عندما قال بولس "فإنكم جميعاً تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْبِؤُوا وَاجِدًا فَوَاجِدًا" (كورنثوس الأولى ١٤: ٣١)، تذكر أنه كان يتحدث في سياق الأنبياء الذين حصلوا على نبوءات. لكن وللأسف البعض أخذ كلام بولس خارج السياق، قائلين أن كل مؤمن يمكنه أن يتنبأ وفي كل اجتماع للكنيسة، في حين تُعطى موهبة التنبؤ كما الروح يشاء.

واليوم وكما بأي زمن آخر، تحتاج الكنيسة لمُساعدة الروح القدس وقوته وحضوره ومواهبه. فقد أرشد بولس مؤمني كورنثوس بما يلي: "اسْعَوْا وَرَاءَ الْمَحَبَّةِ، وَتَسَوَّفُوا إِلَى الْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ، بَلْ بِالْأُخْرَى مَوْهَبَةِ التَّنَبُّؤِ" (كورنثوس الأولى ١٤: ١). وهذا يُشير إلى أن مستوى تشوقنا يتعلق بمظاهر مواهب الروح وإعلانها، وإلا فما أعطى بولس هذه الإرشادات. فالخادم المُتلمذ، سيسعى لاستخدام المواهب المعطاة من الله لأجل مجده، وبالتأكيد سيسعى جاهداً لمواهب الروح وسيعلم تلاميذه على أن يمارسوا ذلك بعينه.

الفصل الثامن عشر

مواهب الخدمة

The Ministry Gifts

عَلَى أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنَّا قَدْ أُعْطِيَ نِعْمَةً تُوَافِقُ مِقْدَارَ مَا يَهْبُهُ الْمَسِيحُ.^٧
وَهُوَ قَدْ وَهَبَ الْبَعْضُ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضُ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضُ مُبَشِّرِينَ وَالْبَعْضُ رُعَاةَ وَمُعَلِّمِينَ،^{١١}

لِتَأْهِلِ الْقَدِيسِينَ مِنْ جِهَةِ عَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِابْنِيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ،^{١٢}

حَتَّى نَصِلَ جَمِيعًا إِلَى وَحْدَةِ الْإِيمَانِ وَوَحْدَةِ الْمَعْرِفَةِ لِابْنِ اللَّهِ، إِلَى إِنْسَانٍ تَامَ الْبُلُوغِ، إِلَى مِقْدَارِ قَامَةِ مِلءِ^{١٣}
الْمَسِيحِ.

(أفسس ٤: ٧؛ ١١-١٣)

وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ فِي الْكَنِيسَةِ أَشْخَاصًا مَخْصُوصِينَ: أَوَّلًا الرُّسُلَ، ثَانِيًا الْأَنْبِيَاءَ، ثَالِثًا الْمُعَلِّمِينَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَصْحَابُ
الْمَوَاهِبِ الْمُعْجِزِيَّةِ أَوْ مَوَاهِبِ الشِّفَاءِ أَوْ إِعَانَةِ الْآخَرِينَ أَوْ تَدْبِيرِ الشُّؤُنِ أَوْ التَّكَلُّمِ بِاللُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ
(كورنثوس الأولى ١٢: ٢٨).

وأما بالنسبة للمواهب التي تدعى مواهب الخدمة، فهي عبارة عن دعوات وقدرات مختلفة مُعطاه لمؤمنين
معينين تمكنهم ليكونوا رُسُلًا، أَنْبِيَاءَ، وَمُبَشِّرِينَ، وَقُسُوسًا، وَمُعَلِّمِينَ. فلا أحد يمكنه أن يقرر ذلك بذاته رجالاً
كان أم امرأة بأن يضع نفسه في هذه المهمة أو تلك. فلا بد للشخص أن يكون مدعواً معطى موهبة من الله.

فمن الممكن لشخص أن يشغل أكثر من موهبة واحدة مما ذُكرت أعلاه، ولكن ذلك يكون بمزج معين
وملائم. فعلى سبيل المثال، يمكن لمؤمن أن يدعى ليشغل مهمة القس والمعلم، أو النبي والمعلم. ولكن من
غير المعقول أن يشغل شخصاً مكانة القسيس والمُبَشِّرِ وهذا ببساطة لأن القسيس يحتاج للبقاء في مكانٍ واحدٍ
ليخدم شعباً معيناً، ولذلك لا يمكنه ممارسة دعوة المُبَشِّرِ الذي يتحتم عليه السفر كثيراً.

وعلى الرغم من أن كل من هذه المواهب الخمس المتنوعة المعطاة لأغراض مختلفة، إلا أنها جميعها قد
أعطيت للكنيسة لهدفٍ واحدٍ عام وشامل ألا وهو - " لِتَأْهِلِ الْقَدِيسِينَ مِنْ جِهَةِ عَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِابْنِيَانِ جَسَدِ
الْمَسِيحِ " (أفسس ٤: ١٢).^{١٠} إذ أن الهدف المرجو من كل خادم أن يُعدَّ أشخاصاً مُقدَّسين (وهو ما تعنيه
كلمة "قديسين") لأعمال الخدمة. لكن وللأسف كثيراً ما نرى أولئك الذين في الخدمة وكأنهم مدعوون، إلا
أنهم لا يعدون أشخاصاً مُقدَّسين للخدمة، ولكن لترفيه الجسديين الذين يجلسون في خدمات الكنيسة. فكل من
هم مدعوون لأي من هذه المواهب عليهم أن يُداوموا بمثابرة وبلا انقطاع مساهمين "في إعداد قديسين لعمل
الخدمة". فإن زاول كل خادم خدمته على هذا النحو عندها يمكننا أن نتخلص من الأخطاء الكثيرة في
"الخدمة".

^{١٠} فهذا قول آخر، "الصُّنْعُ تلاميذاً ليسوع المسيح".

هل كانت مواهب الخدمة مقتصرة فقط على الكنيسة الأولى؟

الى متى تُمنح مواهب الخدمة تلك للكنيسة؟ سيمنحها يسوع لطالما شعبه المُقدس يحتاج الاعداد للخدمة، وذلك سيحدث حتى مجيئه الثاني. فالكنيسة دائماً ما تستقبل مسيحيين جُدد مُحتاجين للنمو، ودائماً لدينا القابلية لكل واحد منا على النضوج الروحي.

وللأسف بعضهم يعتقد أن هناك نوعين فقط من الخدمات ما تزالا ساريتا المفعول الى هذا اليوم، ألا وهما: – القسيس والمُبشر – وكأن الله غير خطته. لا، لأننا مازلنا بحاجة للرسل، والأنبياء، والمُعلمين كما كان هناك احتياج لهم في الكنيسة الأولى. والسبب لماذا لا نرى كهذه المواهب في أوساط مُعظم الكنائس حول العالم الآن، هو ببساطة لأن يسوع يعطي هذه المواهب لكنيسته، وليس للكاذبين، غير المُقدسين، ولا لكنائس الإنجيل المزيف. ففي الكنيسة الكاذبة يمكن أن نجد هؤلاء الذين يحاولون محاولات واهنة أن يملوا أدواراً لبعض مواهب الخدمة (ومعظمهم قُسوس وأحياناً مُبشرين)، ولكنهم قلما اقتدوا بالدعوة الالهية المقدسة ومواهب الخدمة الممسوحة التي يعطيها يسوع لكنيسته. وبلا شك أنهم لا يُعدون أشخاصاً مُقدسين ليسلكوا في الخدمة، لأن الإنجيل الذي يدعون به لا ينتج عنه قداسة؛ فأنة فقط يخدع الناس للاعتقاد بأنهم قد غُفِر لهم. ول هؤلاء الناس ليست أي رغبة لأن يُعدوا للخدمة، إذ ليس لديهم أي رغبة لإنكار ذواتهم وحمل صليبيهم.

كيف تَعلم إن كُنْتَ مدعو؟

كيف يمكن لشخص أن يَعلم إن كان مدعواً لأحدى تلك الخدمات الكنسية؟ أولاً وفي المقام الأول، سيشعر الشخص بدعوة إلهية من الله. وسيجد نفسه يحمل بقلبه ثقلاً اتجاه مهمة مُعينة. وهذا ببساطة أكثر بكثير من رؤية أن هناك فراغاً عليه ان يمليه. ولكنه جوعاً مُعطى من قِبل الله ولطالما قاد ذلك الشخص اتجاه خدمة مُعينة. فإن كان شخص مدعواً من الله فلن يهدأ حتى يُكمل دعوة الله بحياته. وهذا لا يتعلق بتعيينه من قِبل إنسان أو اي لجنة من الناس، لا! فالله هو الذي يدعو المؤمن للخدمة.

ثانياً، الشخص المدعو حقاً سيجد نفسه مُعد ومؤهل ليحقق المهمة المُعطاة له من الله. فكل من الخمس مواهب تحمل بطياتها مسحة فوق طبيعية والتي تُمكن الفرد على عمل ما دعاه الله له. فمع الدعوة تأتي المسحة. فإن لم تكن هناك مسحة، لن تكون هناك دعوة. فيمكن لشخص أن يطمح في عمل خدمه مُعينة، وحتى وإن التحق بمدرسة الكتاب المُقدس لمدة أربعة سنوات ليتعلّم وليستعد لتلك الخدمة، ولكن دون مسحة من الله، لن يكون لديه أي فرصة للنجاح الحقيقي.

ثالثاً، سيجد أن الله يفتح له بعض الأبواب والفرص ليمارس بعض المواهب المُعينة. وبهذه الطريقة يمكنه أن يثبت أمانته وفي نهاية المطاف سيُثق به وسيُمنح له فرص أعظم، مسؤوليات ومواهب أكثر.

فإن لم يشعر الشخص بالحاح إلهي داخلي ودعوة لأحدى مواهب الخدمة الخمس تلك، أو إن لم يكن مُدركاً المسحة المُعينة لتحقيق المهمة المُعطاة من الله، أو إن لم تأتي الفرصة لممارسة المواهب التي يعتقد أنه يمتلكها، فعندها يجب على ذلك الشخص ألا يحاول عمل شيء لم يدعوه الله له. ولكن يترتب عليه أن يعمل

جاهداً ليكون بركة في جسد الكنيسة، في الحي الذي يسكن فيه، وفي عمله. حتى وإن لم يُدعى لخدمة الخمس، فهو مدعو لمواهب الله المعطاة له، وعليه أن يسعى ليكون أميناً.

فعلي الرغم من أن الكتاب المقدس ذكر خمسة مواهب، هذا لا يعني أن كل شخص في موهبة معينة سيكون لديهم خدمات متشابهة. فقد كتب بولس أن هناك وجود لـ "خِدْمَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ"، مُفَرِّقاً بين كل الخدمات التي تقع في ذات الحيز. وزد على ذلك، يبدو وكأن هناك مستويات مُختلفة للمسحة التي تقع على هؤلاء العاملين في الخدمة، ولذلك يمكن أن نسرد كل خدمة طبقاً لدرجة المسحة. فعلي سبيل المثال، هناك بعض المعلمين يظهرون بمسحة أكثر من مُعلمين آخرين. وهذا أيضاً حقيقة لمواهب أخرى في الخدمة. فأنا شخصياً أؤمن أن الخادم بإمكانه أن يفعل أشياءً بسببها يمكن أن يؤدي لزيادة المسحة على خدمته، كمثال ان يثبت أمانته عبر وقتٍ ويكرّس ذاته بعمق لله.

نظرة أعمق على الخدمة الرسولية

إنّ كلمة "رسول" باليونانية هي أبوسطولوس وتعني بالمعنى الحرفي "الشخص المُرسَل". رسول العهد الجديد وحسب الترجمة الحقيقية، هو المؤمن المُرسَل من قِبل الله لمكان أو أماكن مُعينة بغرض تأسيس الكنائس. فهو من يضع أساساً روحياً لمبنى الله ومن باب المقارنة يمكن تشبيهه بالمقاول العام، كما كتب الرسول بولس نفسه:

فَإِنَّا نَحْنُ جَمِيعاً عَامِلُونَ مَعاً عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ حَقْلُ اللَّهِ وَبَنَاءُ اللَّهِ.^٩

وَبِحَسَبِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُؤَهُوبَةِ لِي، وَضَعْتُ الْأَسَاسَ كَمَا يَفْعَلُ الْبَنَاءُ الْمَاهِرُ، وَغَيْرِي يَبْنِي عَلَيْهِ.^{١٠}

(كورنثوس الأولى ٣: ٩-١٠أ)

فـ"البَنَاءُ الماهر"، أو المقاول العام، يُشرف على عملية البناء بالكامل – فهو يتصور المُنتَج النهائي للبناء. وهو غير مُختص كالنجار والبناء. ولربما يمكنه مزاولة عمل النجارة أو البناء، ولكنه لا يقوم بالعمل بذات الجودة كما للمختص. والرسول لديه القدرة أيضاً على عمل المُبشر أو القسيس لكن لوقت محدد أثناء تأسيس الكنائس. (فالرسول بولس كان يمكث عادةً في مكان واحد لفترة ما بين ستة أشهر وثلاثة سنوات).

فالرسول هو الأفضل لتأسيس الكنائس وبعد ذلك الإشراف عليها والحفاظ عليها بالنطاق الالهي. أيضاً الرسول يكون مسؤولاً عن تعيين الشيوخ، والقسوس، والأسقفين على رعاية كل جماعة يُخطط لها

(أنظر أعمال الرسل ١٤: ٢١-٢٣؛ تيطس ١: ٥).

الرسل الحقيقيون والرسل الكذبة

يبدو أن بعض الخدام بأيامنا يسعون للتسلط على كنائسهم، وسريعاً ما يتدعون دعواتهم المفترضة كرسل، ولكن لمُعظمهم مُشكلة كبيرة، حيث أنهم لم يؤسسوا أي كنيسة (أو ربما واحدة أو اثنتين فقط) وليس لديهم أي موهبة أو مسحة كرسل الكتاب المقدس، بل ينتقلون من مكان إلى آخر، الى أن يجدوا قسوساً ساذجين ليمنحوهم السلطة على كنائسهم. فإن كُنْتَ قسيساً لا تتخذ بأولئك الرسل الكاذبين الجياع لتمجيد الذات والساعيين لأجل السلطة. فهم كذئاب بتياب حملان. دائماً ما يسعوا وراء المال. والكتاب المقدس يُحذر من الرسل الكذبة (أنظر كورنثوس الأولى ١١: ١٣؛ رؤيا ٢: ٢). فإن أعلموك أنهم رسل، فهذه إشارة على أنهم ليسوا برسل. فلتحدث ثمارهم بالنيابة عنهم.

واما القس الذي يؤسس كنيسة ويبقى راعياً لها لسنين طويلة فهو ليس برسول. فهذا النوع من القساوسة لربما يُشار إليه بالقس الرسول حيث أنه قد أسس كنيسته الخاصة. وبالرغم من ذلك لا يمكن اعتباره رسولاً لأن الرسول يؤسس كنائس وباستمرار.

المُبعوثون الممسوحون حقاً من الله، وكما يدعون في هذا العصر بـ "المرسلين"، ودعوتهم الأساسية هي تأسيس كنائس، وهم يحققون المهمة الرسولية. وبمقابل ذلك، المرسلون الذين يعملون على تأسيس مدارس الكتاب المقدس أو لتدريب قسوس فهم ليسوا برسل بل مُعلمين. وخدمة الرسول الحقيقي يتم تمييزها بآيات خارقة وعجائب، التي بدورها ستساعده على تأسيس الكنائس. كما كتب بولس:

لَأَنِّي لَسْتُ مُتَخَلِّفاً فِي شَيْءٍ عَنْ أَوْلَئِكَ الرُّسُلِ الْمُتَفَوِّقِينَ، وَإِنْ كُنْتُ لَا شَيْئاً.^{١١}

إِنَّ الْعَلَامَاتِ الَّتِي تُمَيِّزُ الرُّسُلَ أُجْرِيَتْ بَيْنَكُمْ فِي كُلِّ صَبْرٍ، مِنْ آيَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَمُعْجَزَاتٍ.^{١٢}

(كورنثوس الثانية ١٢: ١١ - ١٢).

فإن لم تُصاحب خدمة الشخص علامات وعجائب فهو ليس رسولاً. فمن الواضح أن الرسل الحقيقيين نادري الوجود، ولا وجود لهم في الكنيسة الزائفة، وغير المقدسة، وذات الإنجيل الكاذب. وأنا لكثير ما أجدهم متواجدين فقط في أماكن لم يصل إليها الإنجيل بعد.

المستوى الأعلى للرسول

وفي كلا من قائمتي الخدمة التي تم سردها في العهد الجديد، قد تم إدراج الموهبة الرسولية على رأس اللائحة، الأمر الذي يشير لأهمية هذه الدعوة (أنظر أفسس ٤: ١١؛ كورنثوس الأولى ١٢: ٢٨).

لا أحد يبدأ خدمته كرسل. فلربما يُدعى شخصاً ما ليكون رسولاً بوقتٍ لاحقٍ من الخدمة، ولكن لا أحد يبدأ خدمته بمهمة الرسول. فلا بد لهذا الشخص ان يثبت إيمانه لمدة عدة سنوات في الوعظ، الي أن يمارس في نهاية المطاف بما أعده الله اياه للخدمة. فقد تم دعوة بولس للرسولية منذ أن كان في رحم أمه، ولكنه قد قضى سنيهاً عديدة في الخدمة الكاملة قبل أن يصل لهذه المكانة (أنظر غلاطية ١: ١٥؛ ٢: ١). وفي الحقيقة

أنه قد ابتدأ كمعلم ونبي (أنظر ١٣ : ١-٢)، وارتقى بعد ذلك ليكون رسولاً حين تم إرساله بواسطة الروح القدس.

ونجد أيضاً ذكراً لبعض الرُّسل الآخرين بجانب بولس والاثنى عشر الآخرين في أعمال الرسل ١ : ١٥-٢٦؛ ١٤ : ١٤؛ رومية ١٦ : ٧؛ كورنثوس الثانية ٨ : ٢٣؛ غلاطية ١ : ١٧-١٩؛ فيلبي ٢ : ٢٥؛ تسالونيكي الأولى ١ : ١؛ ٢ : ٦). (الترجمة اليونانية لكلمة رسول المذكورة في كورنثوس الثانية ٨ : ٢٣؛ وفيلبي ٢ : ٢٥ هي أبوسطولوس). وهذا يبدد نظرية أن الرسولية كانت تقتصر فقط على الاثنى عشر رجلاً.

اثنى عشر رسولاً فقط يمكن تعريفهم بـ "رُسل الحمل"، وهؤلاء الاثنى عشر فقط لديهم مكانة خاصة في ألفية المسيح (أنظر متي ١٩ : ٢٨؛ رؤية ٢١ : ١٤). فنحن لم نَعُد بحاجة لرسلاً كبطرس، ويعقوب ويوحنا الذين تم إلهامهم لكتابة الكتاب المقدس، لأن إعلانات الوحي (الكتاب المقدس) قد اكتملت. وعلى الرغم من ذلك، نحن ما زلنا بحاجة لرُسل ليؤسسوا كنائس بقوة الروح القدس، كما فعل بولس والرسل الآخرون، ونرى ذلك كما أُعلن في سفر أعمال الرسل.

مهمة النبي

النبي هو الشخص الذي يتلقى إعلانات فوق طبيعية ويتكلم بوحي إلهي. وبطبيعة الحال، هو يُستخدم كثيراً في الموهبة الروحية للنبوة بالإضافة الى مواهب الإعلان المتنوعة: كلمة الحكمة، وكلمة العلم، وأرواح التمميز.

وبالرغم من أن كل مؤمن يمكنه أن يُستخدم من قِبَل الله بموهبة النبوة وكما تشاء الروح، لكن ذلك لا يجعله نبياً. فالنبي وقبل كل شيء هو الخادم الذي يعظ أو يُعَلِّم بمسحة. وكما يبدو أن النبي يعتبر ثاني أعلى دعوة (أنظر الترتيب الذي تم سرده في كورنثوس الأولى ١٢ : ٢٨)، وحتى الخادم الذي يخدم بدوام كامل لن يُضع في مكانة النبي الى ان يستمر بالخدمة لسنوات عديدة. فإن أَسْتَطَاع الثبات في مهمة النبي فإنه سيُعد بقوى خارقة تصاحب هذه الخدمة.

وهناك رَجُلَان قد أُعْطِيََا لقب أنبياء في العهد الجديد وهما يهوذا وسيل. وعندما نقرأ عنهما في سفر أعمال الرسل ١٥ : ٣٢ انهما أبلغا نبوءة طويلة للكنيسة في أنطاكية:

وَكَانَ يَهُودَا وَسِيلَا نَبِيَّيْنِ أَيْضاً، فَوَعَّظَا الْإِخْوَةَ كَثِيراً، وَشَدَّدَا عَزِيمَتَهُمْ.

مثالاً آخر في العهد الجديد لنبي وهو أغابوس. ففي أعمال الرسل ١١ : ٢٧-٢٨ نقرأ:

وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ جَاءَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أُورُشَلِيمَ،^{٢٧}

وَبَيَّنَّ لَهُمْ نَبِيٌّ اسْمُهُ أَغَابُوسُ، تَنَبَّأَ بِوَحْيٍ مِنَ الرُّوحِ أَنَّ مَجَاعَةً عَظِيمَةً سَتَحْدُثُ فِي الْبِلَادِ كُلِّهَا. وَقَدْ وَقَعَتْ^{٢٨} هَذِهِ الْمَجَاعَةُ فِعْلاً فِي عَهْدِ الْقَيْصَرِ كُلُودِيُوسَ.

لاحظ أن أغابوس قد اعطي كلمة حكمة – أي كُشف له شيئاً عن المُستقبل. بالطبع أغابوس لا يعلم بكل ما سيحدث في المُستقبل، فقد عِلِمَ فقط ما شاءه الروح القدس أن يُعلن له.

وفي أعمال الرسل ٢١: ١٠-١١، هناك نرى مثلاً آخرًا لكلمة الحكمة تعمل من خلال خدمة أغابوس. وهذه المرة كانت بالنيابة عن شخص واحد، بولس:

فَبَقِينَا عِنْدَهُ عِدَّةَ أَيَّامٍ. وَبَيْنَمَا نَحْنُ هُنَاكَ جَاءَنَا مِنْ مِثْلَةِ الْيَهُودِيَّةِ نَبِيٌّ اسْمُهُ أَغَابُوسُ.^{١٠}

فَأَخَذَ جَزَامَ بُولَسَ، وَقَيَّدَ نَفْسَهُ رَابِطاً يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ: يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدُسُ إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْجَزَامِ سَيُقَيِّدُهُ^{١١} الْيَهُودُ هَكَذَا فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى أَيْدِي الْأَجَانِبِ.

هل هو امر كتابي في ظل العهد الجديد أن نسعى لإرشادات الأنبياء الشخصية؟ لا. السبب في ذلك هو أن المؤمنين لديهم الروح القدس بداخلهم ليرشدهم. فيجب علي النبي أن يؤكد فقط للمؤمن ما يعرفه من إرشادات الله في روحه. فعلى سبيل المثال، عندما تنبأ أغابوس لبولس، لم يكن ليعطيه أي إرشادات على ما يجب عليه فعله، لكنه قد أكد له فقط ما كان بولس على علم به منذ زمن.

كما ذكرت من قبل، كان بولس في مكانة النبي (كَمُعَلِّمٍ) قبل أن تتم دعوته للخدمة كرسول (أنظر أعمال الرسل ١٣: ١). فنحن نعلم أن بولس تلقى إعلاناته من الرب كما ذكر في غلاطية ١: ١١-١٢، وهو أيضاً تلقى العديد من الإعلانات (أنظر أعمال الرسل ٩: ١-٩؛ ١٨: ٩-١٠؛ ٢٢: ١٧-٢١؛ ٢٣: ١١؛ كورنثوس الثانية ١٢: ١-٤).

كما الامر والرسل الحقيقيون، نحن لا نجد أنبياء حقيقيين في الكنائس الزائفة. فالكنيسة الزائفة تتجنب انبياء حقيقيين كسيلا، ويهوذا، وأغابوس. السبب بذلك، أن الأنبياء الحقيقيين سيحضرون لهم إعلانات الله التي تجعلهم يستأثرون من أنفسهم لعدم طاعتهم (كما فعل يوحنا لمُعظم الكنائس في أسيا الصُغرى في الإصحاحين الأولين من سفر الرؤيا). الكنيسة الزائفة غير مُتاحة لذلك التوبيخ.

مهمة المُعَلِّم

طَبَقاً لما تم سرده في كورنثوس الأولى ١٢: ٢٨، إن مكانة المُعَلِّم وحسب إدراجها هي الثالثة بتصنيفها من بين المواهب الأخرى. والمُعَلِّم هو الشخص الممسوح بقوى فوق طبيعية ليعلم كلمة الله. ولأن الشخص يُعلم الكتاب المقدس ذلك لا يعني أنه مُعَلِّماً للعهد الجديد. لكن ببساطة يلجأ البعض للتعليم لأنهم يحبون ذلك أو لأنهم يشعرون انهم مُلزَمون على فعل ذلك، بيد أن الشخص الذي عليه ان يملّي مهمة المُعَلِّم أن يكون موهوباً بموهبة فوق طبيعية. ودائماً ما تُعطي له إعلانات فوق طبيعية بخصوص كلمة الله، وبشرح الكتاب المقدس بشكل مفهوم وقابل للتطبيق.

أبلوس يعتبر مثلاً لشخص مارس خدمته لهذه المكانة في العهد الجديد. فقد قارن بولس خدمته الرسولية وخدمة أبلوس التعليمية في كورنثوس الأولى بقوله:

أَنَا غَرَسْتُ وَأَبْلُوسُ سَقَى؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْمَى. وَضَعْتُ الْأَسَاسَ كَمَا يَفْعَلُ الْبَنَاءُ الْمَاهِرُ، وَغَيْرِي يَبْنِي عَلَيْهِ (كورنثوس الأولى ٣: ٦، ١٠ ب).

فأبلوس المعلم لم يزرع ولم يضع الأساس. ولكن عوضاً عن ذلك، هو مَنْ روى ما قد زُرِعَ قبلاً بكلمة الله وهو مَنْ بنى الجدار على الأساس الموجودة.

فذكر أبلوس أيضاً في أعمال الرسل ١٨: ٢٧-٢٨

وَقَرَّرَ أَبْلُوسُ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى بِلَادِ أَخَائِيَّةٍ فَسَجَّعَهُ الْإِخْوَةُ وَكَتَبُوا إِلَى التَّلَامِيذِ هُنَاكَ أَنْ يُرَجِعُوا بِهِ. وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ أَعَانَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا إِعَانَةً كُبْرَى بِمَا لَهُ مِنَ النِّعْمَةِ: فَقَدْ كَانَ جَرِيناً فِي مُجَادَلَاتِهِ الْعَلَنِيَّةِ مَعَ الْيَهُودِ، وَكَانَ يُفَحِّمُهُمْ مُسْتَنِدّاً إِلَى الْكِتَابِ فَيُنَبِّئُ أَنْ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ.

لاحظ أن أبلوس "ساعد إلى حد كبير" هؤلاء الذين كانوا مسيحيين بحق، وقد وُصف تعليمه "بالفعال". فالتعليم الممسوح دائماً فعال.

وتعتبر خدمة التعليم الأكثر أهمية في الكنيسة وتُفوق صنع المعجزات ومواهب الشفاء. وذلك لأن تم إدراجها قبل أي من تلك المواهب في كورنثوس الأولى ١٢: ٢٨:

وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ فِي الْكَنِيسَةِ أَشْخَاصاً مَخْصُوصِينَ: أَوَّلًا الرُّسُلَ، ثَانِيًا الْأَنْبِيَاءَ، ثَالِثًا الْمُعَلِّمِينَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَصْحَابَ الْمَوَاهِبِ الْمُعْجَزِيَّةِ أَوْ مَوَاهِبِ الشِّفَاءِ أَوْ إِعَانَةِ الْآخَرِينَ أَوْ تَدْبِيرِ الشُّؤُنِ أَوْ التَّكَلُّمِ بِاللُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وللأسف أحيانا ينجذب المؤمنون أكثر تجاه رؤية المعجزات عن أن يسمعون للتعليم الواضح للكلمة الذي سينتج عنه نمو روحي وقداسة في أرواحهم.

والكتاب المقدس يتكلم عن كلتا الخدمتين الوعظ والتعليم. فان التعليم هو أكثر فكري وإرشادي، في حين أن الوعظ أكثر إلهاما وتحفيزاً. فالمبشرون يعطون بشكل عام. بينما المعلمين والقسوس يُعلمون على نحو عام. في حين أن الرسل يُعلمون ويعطون. ومن المؤسف أن بعض المؤمنين لا يُدركون قيمة التعليم. ويعتقد البعض أن الوقت الوحيد به المتحدثين يكونون ممسوحين فقط عندما يعطون بسرعة وبصوت عالٍ! ولكن هذه ليست الحقيقة.

فإن يسوع هو أفضل مثال للمعلم الممسوح. وتعليمه للآخرين كان يشغل حيزاً كبيراً ومستمراً من خدمته وهكذا فقد عَرَفُوهُ "كمُعلم"

(متي ٨: ١٩؛ مرقس ٥: ٣٥؛ يوحنا ١١: ٢٨).

ولدراسة أعمق عن المعلمين والتعليم، أنظر أعمال الرسل ٢: ٤٢؛ ٥: ٢١؛ ٢٥، ٢٨، ٤٢؛ ١١: ٢٢-٢٦؛ ١٣: ١؛ ١٥: ٣٥؛ ١٨: ١١؛ ٢٠: ١٨-٢٠؛ ٢٨: ٣٠-٣١؛ رومية ١٢: ٦-٧؛ كورنثوس الأولى ٤: ١٧؛ غلاطية ٦: ٦؛ كولوسي ١: ٢٨؛ تيموثاوس الأولى ٤: ١١-١٦؛ ٥: ١٧؛ ٦: ٢؛ تيموثاوس الثانية ١: ١١؛ ٢: ٢؛ يعقوب ٣: ١. وتلك الآيات الأخيرة تُخبرنا أن المعلمين سيواجهون دينونة صارمة، ولذلك يجب عليهم أن يكونوا حريصين على ما يُعلموه، وعليهم أن يُعلموا الكلمة بأمانة.

مهمة المُبشِّر

المُبشِّر هو الشخص الممسوح ليعظ بالإنجيل. ورسائله مُوجهة لتقود الناس للتوبة والإيمان بالرب يسوع المسيح. وتصاحبهم مُعجزات لتجذب انتباه غير المؤمنين ولتُقنعهم بحقيقة رسالته.

وبلا شك فيه أنه كان هناك العديد من المُبشرين في الكنيسة الأولى، ولكن قد ذكر اسم شخص واحد في سفر أعمال الرسل كمُبشِّر. وكان ذاك فيلبس " وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي دَهَبْنَا إِلَى مَدِينَةٍ قَيْصَرِيَّةٍ وَنَزَلْنَا ضُيُوفاً بَيْتِ الْمُبَشِّرِ فِيلِبُّسَ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُدَبِّرِينَ السَّبْعَةِ" (أعمال الرسل ٢١: ٨).

فيلبس بدأ خدمته كخادم (أو ربما كشماس) يخدم على الطاولات (أنظر أعمال الرسل ٦: ١-٦). وبعد ذلك تم ترفيقه كمُبشِّر أثناء عصر اضطهاد الكنيسة والتي بدأت بشهادة أسطافانوس. وعظته الأولى للإنجيل كانت في السامرة:

فَدَهَبَ فِيلِبُّسُ إِلَى مَدِينَةٍ فِي مَنطَقَةِ السَّامِرَةِ، وَأَخَذَ يُبَشِّرُ أَهْلَهَا بِالْمَسِيحِ. °

فَأَصْغَتِ الْجُمُوعُ إِلَى كَلَامِهِ بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، إِذْ سَمِعُوا بِالْعَلَامَاتِ الَّتِي أَجْرَاهَا، أَوْ رَأَوْهَا بِأَنْفُسِهِمْ، °

فَقَدْ كَانَ يَأْمُرُ الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ، فَتَصْرُخُ بِصَوْتٍ عَالٍ وَتَخْرُجُ مِنَ الْمَسْكُونِينَ بِهَا، كَمَا شَفَى كَثِيرِينَ مِنَ الْمَسْثُولِينَ وَالْعُرْجِ،

فَعَمَّتِ الْفَرْحَةُ أَنْحَاءَ الْمَدِينَةِ. °

(أعمال الرسل ٨: ٥-٨)

لاحظ أن لفيلبس كانت رسالة واحدة وهي المسيح. فهدفه الأول كان المباشرة بتلمذة المؤمنين، ليصيروا أتباعاً مُطعبيين للمسيح. وقد أعلن المسيح صانعاً للمعجزات، وابن الله، ورباً، ومُخلصاً، ودياناً سيأتي قريباً. وكان يحث الناس على ان يتوبوا ويتبعوا ربه.

لاحظ أيضاً أن فيلبس كان مُؤيداً بآيات وعجائب خارقة مصدقة لرسالته. فالشخص الذي يُمسح ليملي مهمة المُبشِّر يُمسح أيضاً بمواهب الشفاء ومواهب روحية أخرى. اما الكنيسة الزائفة ترسل فقط مُبشرين زائفين مُعلنين لإنجيل زائف. والعالم اليوم مليء بمثل هؤلاء المُبشرين، وبالتأكيد الله لا يؤيد رسائلهم بمعجزات وشفاء. والسبب البسيط، هو أنهم لا يعظون بإنجيله. فلم يعظوا المسيح حقاً. وعادةً ما يعظون عن حاجات الناس وكيف يمكن للمسيح أن يعطيهم حياة وفيرة، أو يعظون بوصفة لخلاص لا تشمل التوبة. فيقودون الناس إلى لإعتناق زائف ليبقوا عبيداً لذنوبهم بلا خلاص. والنتيجة لهذا النوع من الوعظ هي أن لهذا الشعب فُرصة أقل للميلاد الثاني، لأنهم الآن وعلى ضوء ما يختبرونه لا يرون هناك أي ضرورة لهم بأن يتلقوا ما يعتقدون أنه وكأنه بحوزتهم. وهؤلاء المُبشرين في الحقيقة يساعدون على بناء مملكة الشيطان.

فمكانة المُبشِّر لم يتم ذكرها مع المواهب الأخرى في كورنثوس الأولى ١٢: ٢٨ كما في أفسس ٤: ١١. وأنا أعتقد ان الإشارة لـ "معجزات ومواهب الروح" تُشير إلى مكانة المُبشِّر حيث ذلك بعينه ما قد ميّز خدمة فيلبس المُبشِّر، ومن الطبيعي أن هذا ما يعطي مصداقية خارقة لخدمة المُبشِّر.

الكثار من الذين يتدعون أنهم مُبشرون وينتقلون من كنيسة لأخرى، أما هم فليسوا بالحقيقة مُبشرين لأنهم يعطون فقط داخل مباني كنائس للمسيحيين، وهم غير مُعدون لمواهب الشفاء والمعجزات. (البعض يتدعى أن لديهم هذه الموهبة، لكنهم هم يخدعون السذج من الناس. والمعجزة الوحيدة التي يصنعوها هي دفع الناس للسقوط المؤقت.) هؤلاء الخدام الرخالة ربما يكونوا مُعلمين، واعظين أو مُتكلمين

(رومية ١٢: ٨)، ولكنهم لن يُعتبروا اهلاً بمكانة المُبشرين. في حين أن الله قد يبدأ خدمة شخص ما كمُتكلّم أو كواعظ ولاحقاً يتم ترقيته إلى مكانة المُبشر.

لدراسة أعمق لمكانة المُبشر، أقرأ أعمال الرسل ٨: ٤-٤٠، فهناك تسجيل لخدمة فيلبس. لاحظ أن هناك أهمية اعتماد مُتبادل بين مواهب الخدمة (أنظر ١٤: ٢٥) وكيف أن فيلبس لم يعظ بالإنجيل فقط للجموع، ولكن كان مُقاد من الله ليقدم أفراداً أيضاً (أنظر أعمال الرسل ٨: ٢٥-٣٩).

وكما يبدو أن المُبشرين مُكلفون بتعميد الذين يؤتون بهم للإيمان، ولكن ليس من الضرورة لخدمة المؤمنين الجدد لمعمودية الروح القدس، إذ انها بالأساس هي مسؤولية الرسل والقسوس والشيوخ والأساقفة.

مكانة القسيس

قد قمت بمقارنة قبل فصلين من هذا الكتاب ما بين دور القسيس ودور القسيس المتوسط في الكنيسة المؤسسية. وعلى الرغم من ذلك ما زال هناك الكثير لأقوله عن خدمة القسيس.

لنفهم بالكامل ما قاله الكتاب المُقدس عن مكانة القسيس، نحتاج لأن نفهم ثلاث كلمات يونانية أساسية. ففي اللغة اليونانية تتوارد كلمات التالية (١) بومين، (٢) بريستورس، (٣) إيبسكوبوس. ويتم ترجمة هذه الكلمات على التوالي (١) راعي أو قسيس، (٢) شيخ، (٣) مُشرف أو أسقف.

فقد وُجدت كلمة بومين ثمانين عشر مرة في العهد الجديد وتم ترجمتها راعياً سبعة عشر مرة وقسيس مرة واحدة. والفعل لهذه الكلمة هي بومانو، وتتواجد هذه الكلمة إحدى عشر مرة وتم ترجمة مُعظمها كراعي.

فالكلمة اليونانية بريستورس وُجدت ستة وستون مرة في العهد الجديد. وتم ترجمتها شيخ ستون مرة.

وأخيراً الكلمة اليونانية إيبسكوبوس وُجدت خمسة مرات في العهد الجديد، وتم ترجمتها مُشرف أربعة مرات. وفي ترجمة الملك جيمس تم ترجمة هذه الكلمة أسقف.

كل هذه الكلمات تُشير لذات المهمة في الكنيسة، وتم استخدامهم بالتبادل. أينما أسس بولس الرسول كنائس، قد عيّن مُشرفين (إيبسكوبوس) وقد تركهم ليهتموا ويعتنوا برعتهم المحلية

(أنظر ١٤: ٢٣، تيطس ١: ٥). فمسؤولياتهم كانت ليُشرفوا (إيبسكوبوس) وأن يكونوا رعاة (بومين)

لشعبهم. فعلي سبيل المثال، في أعمال الرسل ١٧: ٢٠ نقرأ:

وَمِنْ مِيلْيْتُسَ أَرْسَلَ بُولُسُ إِلَى أَفَسُسَ يَسْتَدْعِي شَيْوَخَ الْكَنِيسَةِ.

وماذا قال بولس عن هؤلاء من شيوخ الكنيسة؟

فَاسْهَرُوا إِذَنْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى جَمِيعِ الْقَطِيعِ الَّذِي عَيْنَكُمْ بَيْنَهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ نَظَاراً، لِتَرْعَوْا كَنِيْسَةَ اللَّهِ الَّتِي اشْتَرَاهَا بِدَمِهِ. (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨)

لاحظ التبادل المُستخدم لهذه الكلمات اليونانية الثلاثة، وهي ليست بثلاثة مكانات مُختلفة. فأخبر بولس الشيوخ الأسقفين الذين كانوا يمثلون كرعاة.

فقد كتب بطرس ذلك في رسالته الأولى:

وَهَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، بِصِفَتِي شَيْخاً رَفِيقاً لَهُمْ، وَشَاهِداً لِأَلَامِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكاً فِي الْمَجْدِ الَّذِي سَيَنْجَلِي:

ارْعَوْا قَطِيعَ اللَّهِ الَّذِي بَيْنَكُمْ، كَحِرَّاسٍ لَهُ، لَا بِدَافِعٍ الْوَاجِبِ، بَلْ بِدَافِعِ التَّطَوُّعِ، كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ، وَلَا رَغْبَةً فِي الرِّبْحِ الدُّنْيَا، بَلْ رَغْبَةً فِي الْخِدْمَةِ بِنَشَاطٍ.

لَا تَتَسَلَّطُوا عَلَى الْقَطِيعِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ أَمَانَةً بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، بَلْ كُونُوا قُدُوةً لَهُ.^٣

وَعِنْدَمَا يَظْهَرُ رَئِيسُ الرُّعَاةِ، تَنَاقُلُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لَا يَفْنَى.^٤

(بطرس الأولى ٥: ١-٤)

فقد أوصى بطرس الشيوخ ليرعوا رعيته. والفعل الذي تُرجم هنا يرعي (وفي صيغة الاسم) تُترجم كقسيس في أفسس ٤: ١١:

وَهُوَ قَدْ وَهَبَ الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ وَالْبَعْضَ رُعاةً وَمُعَلِّمِينَ.

فهذا يقودنا لنؤمن أن الشيوخ والقسوس هما ذات الشيء.

بولس أستخدم كلمة الشيوخ (بريسبتورس) والأساقفة (إبيسكوبوس) بالتبادل في تيطس ١: ٥-٧:

تَرَكْنُكَ فِي جَزِيرَةٍ كَرِيتٍ لِكَيْ تُكْمَلَ تَرْتِيبُ الْأُمُورِ الْبَاقِيَةِ، وَتُقِيمَ شُيُوخاً فِي كُلِّ مَدِينَةٍ، مِثْلَمَا أَمَرْتُكَ؛^٥

عَلَى أَنْ يَكُونَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بَرِيناً مِنْ كُلِّ نَهْمَةٍ، زَوْجاً لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، أَباً لِلأَوْلَادِ مُؤْمِنِينَ لَا يُنْهَمُونَ^٦ بِالْخَلَاةِ وَالنَّمَرُدِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاطِرَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بَرِيناً مِنْ كُلِّ نَهْمَةٍ بِاعْتِبَارِهِ وَكَيْلًا بِهِ، لَا مُعْجَباً بِنَفْسِهِ وَلَا حَادَّ الطَّنَعِ، وَلَا مُدْمِنَ الْخَمْرِ، وَلَا عَنِيفاً، وَلَا سَاعِياً إِلَى الْمَكْسَبِ الْخَسِيسِ.

ولذلك الامر غير قابل للجدل بأن مكانة القسيس والشيخ والأسقف لا تختلف عن بعضها البعض. فأى شيء تم كتابته عن الأساقفة والشيوخ في رسائل العهد الجديد ينطبق على القسس أيضاً.

الادارة الكنسية

فمن الواضح أن الآيات المُستخدمة أعلاه لم تُعطي للشيوخ، والقُسوس، والأساقفة إشرافاً روحياً في الكنيسة وحسب، بل سُلطة إدارية أيضاً. وببساطة إذ أن الشيوخ والقُسوس والأساقفة في موضع مسؤولية، وذلك يلزم أعضاء الكنيسة للخضوع لهم بالرب:

أَطِيعُوا مُرَشِدِيكُمْ، وَاخْضَعُوا لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ عَلَى مَصْلَحَتِكُمُ الرُّوحِيَّةِ، كَمَا يَسْهَرُ الَّذِي يَحْمِلُ^{١٧} مَسْئُولِيَّةَ سَوْفَ يُقَدِّمُ حِسَاباً عَنْ قِيَامِهِ بِهَا. وَعِنْدَيْهِ، يُؤَدُّونَ مُهِمَّتَهُمْ بِفَرَحٍ دُونَ تَذَمُّرٍ. فَلَنْ يَكُونَ فِي تَذَمُّرِهِمْ نَفْعٌ لَكُمْ!

(عبرانيين ١٣: ١٧)

بالطبع، لا ينبغي على أي مسيحي أن يطيع قسيساً إذا ما لم يطع ذلك القسيس الله بذاته، ولكن علينا أن يدرك أنه ليس هناك ثمت من قسيس خالٍ من العيوب.

فللقُسوس والشيوخ والأساقفة سُلطة على الكنيسة كما للأب على عائلته:

إِذَنْ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الرَّاعِي بِلَا عَيْبٍ، رَوْجاً لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، نَبِيهاً عَاقِلاً مُهَذَّباً مُضَيِّفاً، قَادِراً عَلَى التَّعْلِيمِ؛^٢ لَا مُدْمِناً لِلخَمْرِ وَلَا عَنيفاً؛ بَلْ لَطِيفاً، غَيْرَ مُتَعَوِّدِ الْخِصَامِ، غَيْرَ مُوَلِّعٍ بِالْمَالِ،^٣ يُحْسِنُ تَدْبِيرَ بَيْتِهِ، وَيَرْبِّي أَوْلَادَهُ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ اخْتِرَامٍ.^٤ فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُحْسِنُ تَدْبِيرَ بَيْتِهِ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟^٥

(تيموثاوس الأولى ٣: ٢-٥).

وأستمر بولس قائلاً:

أَمَّا الشُّيُوخُ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الْقِيَادَةَ، فَلْيُعْتَبَرُوا أَهْلاً لِلْإِكْرَامِ الْمُضَاعَفِ، وَبِخَاصَّةِ الَّذِينَ يَبْذُلُونَ الْجَهْدَ فِي نَشْرِ الْكَلِمَةِ وَفِي التَّعْلِيمِ. (تيموثاوس الأولى ٥: ١٧)

فمن الواضح أن الشيوخ هم من يديرون الكنيسة.

الشيوخ الغير كتابيين

الكثير من الكنائس تؤمن بأن نظامها الإداري كتابي، فقط لأن لهم مجموعة من الشيوخ يديرونها، ولكن مُشكلتهم هي أن مفهومهم عن الشيوخ غير صحيح. فعادةً ما يتم انتخاب شيوخهم أو تغييرهم من قبل شعب الكنيسة. ودائماً ما يُشار إليهم "بمجلس الشيوخ". لكنهم ليسوا بشيوخ حسب التعريف الكتابي. فإن اخترنا

ببساطة المتطلبات التي ذكرها بولس ليصبح الرجل شيخاً، لساعدنا ذلك على الاستيضاح. فقد كتب بولس أن الشيخ يعمل بدوام كامل، كمعلم وواعظ وله مكانة إدارية في الكنيسة وعليه فإنه يتلقى أجره لتفرغه القيام بذلك.

(أنظر تيموثاوس الأولى ٣: ٤-٥؛ ٥: ١٧-١٨؛ تيطس ١: ٩). لكن القلائل ممن يحضرون اجتماعات مجالس الشيوخ في الكنيسة يتلاءمون وهذه المؤهلات. فلا يُدفع لهم أجر، ولا يعطوا ولا يُعلموا، ولا يعملوا بدوام كامل للكنيسة، ومن ناحية إدارة الكنيسة فإنهم لمن النادر ما يصلحون لذلك.

فالإدارة الكنسية الغير كتابية ممكن أن تكون سبباً لمشاكل كثيرة في الكنيسة. فعندما يُدير الكنيسة أشخاص غير ملائمين فالتو هناك مشكلة على وشك الحدوث. ويمكن أن يفتح باباً للصراع، والمساومات وبالتالي يؤدي الى خسارة بعض أفراد الكنيسة. فالنظام الإداري الغير كتابي للكنيسة هو مثل علامة ترحيبية للشيطان.

وقد أدركت أنني أكتب لقسوس الكنائس المؤسسية كما لقسوس الكنائس البيئية على حد سواء. وقد يحدث أن لبعض قسوس الكنائس المؤسسية نظام غير كتابي قبلاً، حيث تم انتخاب شيوخها من وسط شعب الكنيسة. وكمثل هذه الأنظمة الغير كتابية عادةً يعسر تعديلها دون نشوء صراع.

ونصيحتي لهؤلاء القسوس أن يفعلوا كل ما بإمكانهم وبمعونة الله لأن يقوموا بتصحيح النظام الإداري للكنيسة وأن يتحملوا صراعاً مؤقتاً، لأن الصراع محتوم لا محالة إن لم يُفعل شيئاً. وإن نجح بتحمل صراعاً مؤقتاً، سيتجنب كل الصراعات المستقبلية. وإن فشل بذلك، فبإمكانه ومن الأفضل أن يبدأ كنيسة كتابية جديدة.

ذلك لأمر مؤلم، ولكن وبالرغم من ذلك فلهو من الضروري لأجل مستقبل يجنى فيه ثماراً أكثر في مملكة الله. لأن الآن هؤلاء الذين يديرون الكنيسة هم تلاميذ حقيقيون للمسيح، وسيسهل عليه إقناعهم لتغيير نظام الكنيسة إن كان بإمكانه إقناعهم وبمصادقية من الكتاب المقدس لفعل التغييرات الضرورية.

تعدد الشيوخ

البعض يحب أن يشير الى أنه تم التحدث عن الشيوخ في الكتاب المقدس دائماً بصيغة الجمع، وبذلك يزعمون أن وجود شيخ أو قسيس أو مُشرف واحدٌ لهو أمر غير كتابي. ولكن حسب رأيي هذا لا يعتبر دليلاً قاطعاً. بالطبع الكتاب المقدس يذكر أنه في بعض البلاد كان هناك أكثر من شخص يُشرفون على الكنيسة، ولكن لا يقول إن الشيوخ كانوا متساويين على كل الكنائس. فعلى سبيل المثال، عندما أُجتمعت بولس مع الشيوخ من أفسس (أنظر أعمال الرسل ٢٠: ١٧)، فمن الواضح أن هؤلاء الشيوخ كانوا من مدينة مجموع شعبها آلاف وربما عشرات الآلاف من المؤمنين (أنظر أعمال الرسل ١٩: ١٩). ولذلك لا بد وأن كانت الرعية في أفسس كثيرة العدد من بلدات متعددة، ومن الممكن أن كل شيخ كان مُشرفاً على كنيسة بيتية واحدة.

وليس هناك أي مثال في الكتاب المقدس يشير الى أن الله قد دعا لجنةً وفوضها على عمل ما. فحين أراد أن يُخرج شعب إسرائيل من مصر، دعا رجلاً واحداً موسى، ليكون القائد. وآخرين تم دعوتهم ليساعدوا

موسى، وليكونوا خاضعين تحت قيادته، في حين كان لكل منهم مسؤوليات فردية تجاه مجموعة فرعية من الناس. وهذا النموذج من القيادة نجده وبتكرار في الكتاب المقدس. حين يكون هناك مهمة لله أن يحققها، يقوم بدعوة شخصاً واحداً لتلك المسؤولية، ويدعو آخرين ليساعدوه.

ولذلك فيبدو من غير المعقول لله أن يدعو لجنة من الشيوخ متساويين في السلطة ليشفروا على كل كنيسة بيتية صغيرة مكونة من عشرين شخص. هذا يبدو كدعوة للصراع.

ليس هذا لأقول أنه يجب الإشراف على كل كنيسة بيتية من قبل شيخ واحد فقط. ولكن لأقول، إن كان هناك أكثر من شيخ واحد في الكنيسة، فيتوجب على الأصغر سنناً الأقل روحياً أن يخضع للأكبر سنناً والبالغ روحياً. طبقاً للكتاب المقدس يجب على الكنائس وليس مدارس الكتاب المقدس تدريب القسوس الصغار والشيوخ والأسقفين، ولذلك فمن الممكن أن يكون هناك عدداً من الشيوخ والقسوس والأسقفين في الكنيسة البيتية، هناك تتم تلمذة الصغار روحياً على يد الناضجين.

وقد شاهدت ذلك حتى في الكنائس الأسقف عليها من قبل شيوخ متساويين. أن هناك دائماً شخصاً واحداً يُقدر من الآخرين. أو أن هناك واحداً مُهيمن في حين أن الآخرين أكثر سلبية. وإلا فسيحدث صراعاً. وهذه حقيقة تجعل حتى أعضاء لجنة ما في غالب الاحيان أن تختار رئيساً واحداً لها. فكلما اتت مجموعة من متساويين لإتمام مهمة ما، يُدركون أنه لا بد وأن يكون هناك قائداً واحداً لهم. وذلك الامر يحدث في الكنيسة أيضاً.

بالإضافة إلى ذلك، مسؤولية الشيوخ تماثل مسؤولية الآباء حسب بولس في تيموثاوس الأولى ٣: ٤-٥. فلا بد للشيوخ أن يدبروا أعمالهم المنزلية، وإلا فهم غير مؤهلين لإدارة الكنيسة. ولكن كيف يمكن إدارة عائلة ذي أبوين اثنين؟ فحسب اعتقادي أن مشاكل عديدة ستنتج عن ذلك.

يجب على الشيوخ والقسوس والأسقفين أن يندمجوا وجسد الكنيسة حتى يكون هناك مسؤولية متبادلة وسط الشيوخ الآخرين ليساعدوا إن قامت هناك أي مشكلة لكي يعالجوها. فقد كتب بولس عن "اجتماع الشيوخ" (أنظر تيموثاوس الأولى ٤: ١٤)، فلا بد وأنه كان يقام اجتماع للشيوخ ومن المحتمل يحضره رجال آخرين ذوي مواهب الخدمة. فإن كان هناك رسولاً مؤسساً، فيمكن أن يكون هو أيضاً في الخدمة إن كان هناك أي مشكلة حللت في جسد الكنيسة المحلية بسبب خطأ شيخ. فعندما يضل قسيس الكنيسة المؤسسية، فذلك دائماً ما ينتج عنه مشاكل أكبر بسبب نظام الكنيسة. إذ يجب الحفاظ على المبنى والبرامج هناك. في حين أن الكنائس البيتية قد تتفكك في حال ضلال القسيس. عندها وببساطة ينتقل أعضاء تلك الكنيسة لينضموا الى جسد آخر.

سلطة الخدمة

ولأن الله يعطي القس سلطة روحية وقيادية في كنيسته، هذا لا يمنحه الحق بأن يتسلط على رعيته. فهو ليس بربهم ولكن يسوع هو الرب. وهم ليسوا برعيته بل رعية الله.

أَرْعَوْا قَطِيعَ اللَّهِ الَّذِي بَيْنَكُمْ، كَحَرَّاسٍ لَهُ، لَا يَدَافِعُ الْوَاجِبَ، بَلْ يَدَافِعُ النَّطْوَعِ، كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ ، وَلَا رَغْبَةً فِي ٢
الرَّبْحِ الدُّنْيَا، بَلْ رَغْبَةً فِي الْخِدْمَةِ بِنَشَاطٍ.

لَا تَتَسَلَّطُوا عَلَى الْقَطِيعِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ أَمَانَةً بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، بَلْ كُونُوا قُدُوةً لَهُ. ٣

وَعِنْدَمَا يَظْهَرُ رَئِيسُ الرُّعَاةِ، تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لَا يَفْنَى. ٤

(بطرس الأولى ٥: ٢-٤).

فكل قسيس سيُحاسب على خدمته يوماً ما أمام كرسي المسيح الديان.

وبالإضافة إلى ذلك لا يجدر على كل من القس أو الشيخ أو الأسقف أن يتصرف أي منهم في الأمور المالية على حدا. فإن كان هناك جمع لأموال بشكل دائم أو مُتقطع ولأي سبب آخر كان، يجب أن يقوم بالمحاسبة أعضاء آخرين من جسد الكنيسة حتى لا يكون هناك مشاكل ثقة بخصوص التعامل مع المال (أنظر كورنثوس الثانية ٨: ١٨-٢٣). ويمكن لهذه المجموعة المالية أن تُنتخب أو تُختار.

الشيوخ متقاضو أجره

ومن الواضح مما ذكره الكتاب المقدس أن يتم دفع أجراً للشيوخ وللقسيس والأسقفين، لأنهم عاملون بدام كامل في الكنيسة، فقد كتب بولس:

أَمَّا الشُّيُوخُ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الْقِيَادَةَ، فَلْيُعْتَبَرُوا أَهْلًا لِلْإِكْرَامِ الْمُضَاعَفِ، وَبِخَاصَّةِ الَّذِينَ يَبْذُلُونَ الْجَهْدَ فِي ١٧
نَشْرِ الْكَلِمَةِ وَفِي التَّعْلِيمِ.

لَأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: «لَا تَضَعْ كِمَامَةً عَلَى فَمِ الثَّوَرِ وَهُوَ يَدْرُسُ الْخُبُوبَ»، وَأَيْضًا: الْعَامِلُ يَسْتَحِقُّ أَجْرَتَهُ ١٨

(تيموثاوس الأولى ٥: ١٧-١٨)

هذا لموضوع واضح - حتى أن بولس أستخدم كلمة أجر. فتعبيره المبهم عن السماح للشيوخ حسني القيادة باعتبارهم جديرين بالحصول على ضعف الكرامة وهذا ما يمكن فهمه من السياق. ففي هذه الآيات التي تم ذكرها من قبل، كتب بولس وبدون مجال للخطأ أن مسؤولية الكنيسة هي إعطاء الدعم المالي للأرامل اللواتي لا دخل لهن، واستهل باستخدام التعبير ذاته: "أَكْرِمِ الْأَرَامِلَ اللَّوَاتِي لَا مُعِيلَ لَهُنَّ" (أنظر تيموثاوس الأولى ٥: ٣-١٦). ولذلك في هذا السياق، لـ "يُكرم تعني الدعم المالي. فدور الشيوخ يُعتبر ضعف الكرامة، مُتلقين على الأقل ضعف ما يُعطى للأرامل وأكثر من ذلك إن كان لديهم أطفال ليعولوهم.

مُعظم الكنائس المؤسسية حول العالم تُدعم قُسيسيها دعماً مادياً في مُعظم الأحيان (حتى هؤلاء من الأمم الفقيرة)، ولكن يبدو أن الكثير من الكنائس البيئية حول العالم، خاصةً في الغرب، لا يفعلون ذلك. وأنا أؤمن أن جزءاً من الحقيقة يرجع إلى أن دوافع هؤلاء في الدول الغربية للانضمام إلى كنائس بيئية هي أنهم متمردون في القلب، ويبحثون في هذا الكوكب عن نوع من المسيحية لها مُتطلبات أقل فوجدوها. فيقولوا إنهم

انضموا لكنيسة بيتية لأنهم يريدوا الهروب من عبودية الكنيسة المؤسسية، ولكنهم بالواقع يريدوا الهروب من أي درجة من الالتزام، فوجدوا كنائس لا تطلب أي التزام مالي، كنائس تقف بنقيض لما يتوقعه يسوع من تلاميذه (أنظر متى ٦: ١٩-٢٤؛ لوقا ١٤: ٣٣). فإن لم تؤثر المسيحية على ما يفعل الشخص بأمواله، هذا يعني أن ذلك الشخص ليس مسيحياً على الإطلاق.

فالكناس البيتية التي تدعي أنها كتابية يجب أن تدعم قسوسها، كما يجب أن تعتني بالفقراء وبمرسليها. وعلى هذه الكنائس أن تمتاز وبشكل ملحوظ بالعطاء وكل الأحوال المالية عن الكنائس المؤسسية، لأن ليس لديهم مباني ليصرفوا عليها أو أن يدفعوا لمجموعة عمل لأجل برامج معينة. فلا تحتاج لأكثر من عشر عشرة أفراد لدعم قسيساً واحداً. فإن أعطى عشرة أشخاص ٢٠% من دخلهم يمكن أن يُدعموا بشكل كامل قسيساً واحداً وأحد المرسلين الذي يعيش بنفس المقاييس كقسيسهم.

ما هو عمل القسوس؟

تصور أنك تسأل المعدل المتوسط لجمهور حضور الكنيسة، السؤال التالي: "وظيفة من القيام بالأمور التالية؟"

من عليه ان يأتي بالإنجيل لولائك الغير مُخلصين؟ من عليه ان يعيش حياة مُقدسة؟ وأن يُصلي؟ وأن يوجه، ويُشجع، ويُساعد مؤمنين آخرين؟ وأن يزور المرضى؟ وأن يضع الأيادي ويشفي المرضى؟ وأن يتحمل أعباء الآخرين؟ وأن يُمارس مواهبه نيابة عن الجسد؟ وأن يُنكر ذاته، مُضحياً بذاته لأجل مملكة الله؟ وأن يصنع تلاميذ ويُعمدهم، مُعلماً إياهم إطاعة وصايا المسيح؟

فالكثائر ممن يحضرون اجتماعات الكنيسة سيجيبون وبدون أي تردد " تلك هي مسؤوليات القسيس." ولكن هل هم على حق؟

فطبقاً للكتاب المقدس، المفروض على كل مؤمن أن يُشارك الإنجيل مع غير المؤمنين، إذ يقول: وَإِنَّمَا كَرَسُوا الْمَسِيحَ رَبًّا فِي قُلُوبِكُمْ. وَكُونُوا دَائِمًا مُسْتَعِدِّينَ لِأَنْ تُقَدِّمُوا جَوَاباً مُقْنِعاً لِكُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِي دَاخِلِكُمْ (بطرس الأولى ٣: ١٥).

أيضاً من المفروض على كل مؤمن أن يعيش حياة قداسة:

لَأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: كُونُوا قَدِيسِينَ، لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ! ١٦

وَمَا دُمْنُمْ تَعْتَرِفُونَ بِاللَّهِ أَبًا لَكُمْ، وَهُوَ يَحْكُمُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ دُونَ انْحِيَا، فَاسْأَلُوا فِي مَخَافَتِهِ ١٧
مُدَّةَ إِقَامَتِكُمُ الْمُؤَقَّتَةِ عَلَى الْأَرْضِ.

(بطرس الأولى ١: ١٥-١٦)

وَأليس من المفروض على كل مؤمن أن يُصلي؟ كما مكتوب:

أَفْرَحُوا عَلَى الدَّوَامِ؛^{١٦}

صَلُّوا دُونَ انْقِطَاعٍ؛^{١٧}

(تسالونيكى الأولى ٥ : ١٦-١٧)

ومن المتوقع من كل مؤمن أن يوجه ويُشجع ويساعد المؤمنين الآخرين:

إِلَّا أَنَّنَا نُنَاشِدُكُمْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَنْ تَعْطُوا الْفَوْضَوِيَّينَ، وَتُسَدِّدُوا فَاقِدِي الْعِزِّ، وَتُسَانِدُوا الضُّعَفَاءَ، وَتُعَامِلُوا
الْجَمِيعَ بِطَوْلِ الْبَالِ. (تسالونيكى الأولى ٥ : ١٤)

ومن المفروض على كل مؤمن أن يزور المرضى:

عُرْيَانًا فَكَسَوْثُمُونِي، مَرِيضًا فَرَزْتُمُونِي، سَجِينًا فَأَتَيْتُمُ إِلَيَّ!^{٣٦}

(متى ٢٥ : ٣٦)

مسؤوليات اخرى

ولكن هذا ليس كل ما هنالك. فمن المفروض على كل مؤمن أن يضع الأيدي ويشفي المرضى:

وَأُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا، ثَلَاثُمُهُمْ هَذِهِ الْآيَاتُ: بِاسْمِي يَطْرُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَيَنكَلُمُونَ بِلُغَاتٍ جَدِيدَةٍ عَلَيْهِمْ،^{١٧}
وَيَقْبِضُونَ عَلَى الْحَيَاتِ، وَإِنْ شَرَبُوا شَرَابًا قَاتِلًا لَا يَتَأَذُّونَ الْبَيْتَةَ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَتَعَفَوْنَ.^{١٨}
(مرقس ١٦ : ١٧-١٨)

وكذلك على كل مؤمن أن يتحمل أعباء المؤمنين الآخرين:

لِيَحْمِلِ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ أَثْقَالَ الْآخَرِ، وَهَكَذَا تَتِمُّونَ شَرِيعَةَ الْمَسِيحِ. (غلاطية ٦ : ٢)

فمن المتوقع من كل مؤمن أن يمارس مواهبه أو مواهبها بالنيابة عن الآخرين:

وَلَكِنْ، بِمَا أَنَّ الْمَوَاهِبَ مُوزَّعَةً بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُوهُوبَةِ لَنَا، (فَلْنُمَارِسْهَا): فَمَنْ وَهَبَ النُّبُوَّةَ، فَلْيَتَنَبَّأْ بِحَسَبِ
مِقْدَارِ الْإِيمَانِ؛

وَمَنْ وَهَبَ الْخِدْمَةَ، فَلْيَتَنَهَّمِكْ فِي الْخِدْمَةِ؛ أَوْ التَّعْلِيمِ، فَفِي التَّعْلِيمِ؛^٧

أَوْ الْوَعظَ، فَفِي الْوَعظِ؛ أَوْ الْعَطَاءَ، فَلْيُعْطِ بِسَخَاءٍ؛ أَوْ الْقِيَادَةَ، فَلْيَقُدْ بِاجْتِهَادٍ؛ أَوْ إِظْهَارَ الرَّحْمَةِ، فَلْيَرْحَمْ^٨
بِسُرُورٍ.

(رومية ١٢ : ٦-٨)

وبالطبع من المفروض على كل مؤمن أن ينكر ذاته، مُضحياً من أجل الإنجيل:

ثُمَّ دَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَسِيرَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ،^{٣٤} وَيَتَّبِعْنِي.

فَأَيُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ، يَخْسِرُهَا. وَلَكِنَّ مَنْ يَخْسِرُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ، فَهُوَ يُخَلِّصُهَا.^{٣٥}
(مرقس ٨ : ٣٤-٣٥)

ومن المتوقع من كل مؤمن أن يصنع تلاميذ ويُعدهم ، مُعلماً إياهم طاعة وصايا المسيح:

فَأَيُّ مَنْ خَالَفَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى، وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُ، يُدْعَى الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ^{١٩} السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، فَيُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.
(متي ٥ : ١٩)

كَانَ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا الْآنَ قَادِرِينَ عَلَى تَعْلِيمِ الْآخَرِينَ، بَعْدَمَا مَضَى زَمَانٌ طَوِيلٌ عَلَى اهْتِدَائِكُمْ. وَلَكِنَّكُمْ^{١٢} مَا زِلْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى الْمَبَادِيءِ الْآسَاسِيَّةِ لِإِعْلَانَاتِ اللَّهِ. هَا قَدْ عُدْتُمْ مِنْ جَدِيدٍ تَحْتَاجُونَ إِلَى اللَّبَنِ! فَانْتُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى هَضْمِ الطَّعَامِ الْقَوِيِّ.
(عبرانيين ٥ : ١٢)

فَادْهَبُوا إِذَنْ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ؛^{١٩} وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْتِهَاءِ الزَّمَانِ.^{٢٠}
(متى ٢٨ : ١٩-٢٠)^{٢١}

كل من هذه المسؤوليات، وكما رأينا آنفاً، أُعطيت لكل مؤمن، ولكن مُعظم الذين يحضرون الكنيسة يعتقدون أن المهام أُعطيت فقط للقسيس! والسبب في ذلك ربما لأن القسوس أنفسهم دائماً ما يعتقدون أن هذه المهام مسؤوليتهم الخاصة.

^{٢١} إن كان التوقع من تلاميذ يسوع ليعلموا تلاميذهم لطاعة كل ما أوصاهم به، فهم باستمرار عُلِّموا تلاميذهم ليصنعوا تلاميذاً كأنفسهم، مُعَمِّدين ومُعَلِّمين أن يطيعوا كل ما أوصي به المسيح. ولذلك صُنِعَ، وتعميد، وتعليم التلاميذ يمكن أن يكون وصية دائمة كانت مُلزمة على كل تلميذ لاحق.

إذن، ماذا ينبغي على القُسوس أن يفعلوا؟

إن كانت كل هذ المسؤوليات مُعطاه لكل مؤمن، عندها ما المفروض على القُسيس فعله؟ ببساطة، هم مدعوين ليعودوا المؤمنين المُقدسين لكل هذه الأشياء (أنظر أفسس ٤: ١١-١٢). فهم مدعوين ليعلموا المؤمنين المُقدسين ليطيعوا وصايا المسيح (متي ٢٨: ١٩-٢٠) بالمبدأ والمثال (أنظر تيموثاوس الأولى ٣: ٢؛ ٤: ١٢-١٣؛ ٥: ١٧؛ تيموثاوس الثانية ٢: ٢؛ ٣: ١٦-٤٤؛ بطرس الأولى ٥: ١-٤).

ولم يمكن بوسع الكتاب المُقدس أن يوضح ذلك أكثر من ذلك. فدور القسيس الكتابي ليس لجمع أكبر عدد ممكن من المؤمنين في اجتماعات صباح يوم الأحد. ولكن "كَيَّ تُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ" (كولوسي ١: ٢٨). فإن القُسوس الكتابيون لا يداعبون آذان الناس (أنظر تيموثاوس الثانية ٤: ٣)؛ فهم يُعلمون، ويدربون، ويحثون، ويعاتبون، ويصححون، ويثبتون، ويوبخون، وكل ذلك مؤسساً على كلمة الله (تيموثاوس الثانية ٣: ١٦ - ٤: ٤).

وقد سرد بولس بعض المؤهلات لكل رجل يملي مكانة القسيس في رسالته الأولى لتيموثاوس. وهناك نجد أن أربعة عشر من الخمسة عشر من هذه المؤهلات تتعلق بشخصه، الامر الذي يشير أنه أراد أن يبين مثلاً شخصياً لأسلوب حياته وهذا الأمر الأكثر أهمية:

مَا أَصْدَقَ الْقَوْلُ إِنَّ مَنْ يَرْغَبُ فِي الرَّعَايَةِ فَإِنَّمَا يَثُوقُ إِلَى عَمَلٍ صَالِحٍ.^١

إِذَنْ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الرَّاعِي بَلَا عَيْبٍ، زَوْجاً لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، نَبِيهاً عَاقِلاً مُهَذَّباً مِضْيفاً، قَادِراً عَلَى التَّعْلِيمِ؛^٢

لَا مُدْمِناً لِلخَمْرِ وَلَا عَنيفاً؛ بَلْ لَطِيفاً، غَيْرَ مُنْعَوِدٍ الْخِصَامِ، غَيْرَ مُوَلِّعٍ بِالْمَالِ،^٣

يُحْسِنُ تَدْبِيرَ بَيْتِهِ، وَيَرْبِّي أَوْلَادَهُ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ اخْتِرَامٍ.^٤

فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُحْسِنُ تَدْبِيرَ بَيْتِهِ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟^٥

وَيَجِبُ أَيْضاً أَنْ لَا يَكُونَ مُبْتَدِئاً فِي الْإِيمَانِ، لِئَلَّا يَنْتَفِخَ تَكْبُراً، فَيَقَعَ فِي جَرِيمَةِ إِبْلِيسَ!^٦

وَمِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ فِي خَارِجِ الْكَنِيسَةِ، لِكَيْ لَا يَقَعَ فِي الْعَارِ وَفِي فَخٍّ^٧ إِبْلِيسَ.

(تيموثاوس الأولى ٣: ١-٧)

قارن المؤهلات المذكورة اعلاه مع تلك اللائحة المعروضة من قبل الكنائس المؤسسية التي تبحث عن قسيساً جديداً وهذا بحد ذاته يبين مشكلة أساسية مع العديد من الكنائس. فهم يبحثون عن موظف مُدير، أو مُسلياً أو مُعطي وعظمت قصيرة أو إدارياً أو طبيباً نفسياً أو مُعد برامج أو جامع للتبرعات أو صديقاً للجميع أو عاملاً جاهداً. فهم يريدون شخصاً "ليدير الخدمة في الكنيسة". فالأسقف الكتابي، بغض النظر عن كل هذا، يجب أن يكون رجل ذا شخصية عظيمة والتزام للمسيح، خادماً حقيقياً، لأن هدفه هو يكثر من أمثاله. ولا بد وأن يكون قادراً لأن يقول لرعيته، "فَاقْتَدُوا بِي كَمَا أَقْتَدِي أَنَا بِالْمَسِيحِ!" (كورنثوس الأولى ١١: ١).

ولدراسة أعمق بخصوص مكانة القسيس، أنظر أعمال الرسل ٢٠: ٢٨-٣١؛ تيموثاوس الأولى ٥: ١٧-٢٠؛ وتيطس ١: ٥-٩.

مكانة الشماس

وفي النهاية، دعوني أذكر باختصار شيئاً عن الشماسية. فمكانة الشماس هي المكانة الوحيدة الأخيرة في الكنيسة المحلية، وهو ليس من ضمن مواهب الخدمة الخمس. فالشماسية ليس لهم أي سلطة في الكنيسة كما للشيوخ. فالكلمة اليونانية لشماس تُترجم دياكون، والتي تعني حرفياً "خادم".

فالرجال السبعة الذين تم اختيارهم لمهمة يومية وهي إطعام الأراامل في كنيسة أورشليم وعادةً ما عرّفوا بالشماسية الأوائل (أنظر ٦: ١-٦). تم اختيارهم بواسطة شعب الكنيسة وتفويضهم بواسطة التلاميذ. وعلى الأقل اثنين منهم، فيليب وأسطفانوس، ولاحقاً تمت ترقيتهم من قبل الله ليكونوا مبشرين أقوياء.

وذكر عن الشماسية في تيموثاوس الأولى ٣: ٨-١٣ وفيلبي ١: ١. ومن الواضح أن هذه المكانة يمكن أن تزاوَل من قبل كل من الرجال والسيدات على حد سواء (أنظر تيموثاوس ٣: ١١).

الفصل التاسع عشر

حقائق في المسيح

In-Christ Realities

نجد من خلال قراءتنا لرسائل العهد الجديد، تعابير كمثّل، "المسيح"، "مع المسيح"، "من خلال المسيح"، "فيه". وهذا دائماً ما يلقي الضوء الامتيازات التي نمتلكها نحن المؤمنين بسبب ما فعله يسوع لأجلنا. فحين نرى أنفسنا كما يرانا الله، "في المسيح"، ذلك سيساعدنا على العيش كما يريدنا الله أن نحيا. فالخادم المُتلمذ سيسعى لأجل تعليم تلاميذه في المسيح ويساعدهم على النمو للنضوج الروحي الكامل.

أولاً ما معنى كلمة "في المسيح"؟

عندما وُلدنا الميلاد الثاني، قد وُضعنا في جسد المسيح وهكذا أصبحنا بوحدة روحية واحدة معه. دعونا نلقي نظرة على بعض الآيات في رسائل الكتاب المقدس والتي تؤكد ذلك:

فَكَذَلِكَ نَحْنُ الْكَثِيرِينَ جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَكُلُّنَا أَعْضَاءُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ. (رومية ١٢: ٥)

وَأَمَّا مَنْ اقْتَرَنَ بِالرَّبِّ، فَقَدْ صَارَ مَعَهُ رُوحاً وَاحِداً! (كورنثوس الأولي ٦: ١٧)

قَالُوا قُوعُ أَنْتُمْ جَمِيعاً جَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءُ فِيهِ كُلٌّ بِمُفْرَدِهِ. (كورنثوس الأولي ١٢: ٢٧)

فنحن الذين آمنّا بالرب يسوع المسيح علينا أن نرى أنفسنا بأننا شركاء معه، وأعضاء في جسده وروحاً واحداً معه، هو فينا ونحن به.

وهنا إحدى الآيات التي تُعلمنا عن بعض الامتيازات التي حصلنا عليها فضلاً لكوننا واحداً في المسيح:

وَبِفَضْلِ اللَّهِ صَارَ لَكُمْ مَقَامٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي جُعِلَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبِرّاً وَقِدَاسَةً وَفِدَاءً (كورنثوس الأولي ١: ٣٠).

ففي المسيح قد أصبحنا أبراراً (هذا تصريحاً على اننا غير مُذنبين لا بل نحن الآن نعمل ما هو الحسن)، مُكرسين (أفرزنا جانباً لاستخدام الله القدوس)، وأُفْتَدِينَا (أي قد تم شرائنا من العبودية). فلا ننتظر لنكون في يوم من أيام المستقبل صالحين أو مُكرسين أو لنفتدى عند نقطة مُعينة في حياتنا. ولكن نحن نتمتع الآن بكل هذه البركات لأننا في المسيح.

ففي المسيح قد تم غفران خطايانا السابقة:

هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَةِ الظَّلَامِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّةٍ^{١٣}

الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، أَيْ غُفْرَانُ الْخَطَايَا.^{١٤}

(كولوسي ١: ١٣-١٤)

لاحظ أن الكتاب المقدس يُخبرنا أننا لم نعد في مملكة الشيطان، ملكاً للظلمة، بل في مملكة النور، مملكة يسوع.

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ، فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: إِنَّ الْأَشْيَاءَ الْقَدِيمَةَ قَدْ زَالَتْ، وَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ قَدْ صَارَ جَدِيداً.
(كورنثوس الثانية ٥: ١٧)

أشكر الرب، إن كنت من أتباع المسيح، فأنت الآن "خليقة جديدة" مثل الشرنقة التي تتحول إلى فراشة! فلروحك أعطيت طبيعة جديدة. في حياتك السابقة كانت أنانية الشيطان تمتلك روحك، ولكن الآن حياتك الماضية قد زالت.

بركات أكثر في المسيح

فَإِنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. (غلاطية ٣: ٢٦)

أليس من الرائع ان نعرف أننا حقاً أبناء الله، مولودين من الروح القدس؟ عندما نأتي إليه بصلاة، عندها نحن نقرب إليه ليس كإلهنا فقط بل كأب لنا!

فَإِنَّا نَحْنُ تُحَفُّهُ اللَّهُ، وَقَدْ خَلَقَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ أَعَدَّهَا سَلْفاً لِنَسُكِّ فِيهَا (أفسس ٢: ١٠).

إذ لم يخلقنا الله وحسب، بل خلقنا في المسيح. زد على ذلك، أن الله خدمة محتومة التحقيق بكل واحد منا، "الأعمال الجيدة مُعدة من قبل." فكل منا له مُستقبل إلهي مُنفرد.

فَإِنَّ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، جَعَلَهُ اللَّهُ خَطِيئَةً لْأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بَرَّ اللَّهِ فِيهِ (كورنثوس الثانية ٥: ٢١).

والبر الذي صار لنا لأننا وضعنا بالمسيح لهو بر الله محضاً. ذلك لأن الله قد سكنَ فينا وغيرنا بالروح القدس. وأعمالنا الصالحة الآن لهي أعمال الله الصالحة من خلalna.

وَلَكِنَّا، فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأُمُورِ، نُحَرِّزُ مَا يَفُوقُ الْاِنْتِصَارَ عَلَى يَدِ مَنْ أَحَبَّنَا. (رومية ٨: ٣٧)

وماذا عن "جميع هذه الأمور" التي كتب عنها بولس؟ فالآيات التي تسبق هذه الآية تؤكد أن هناك شدة ومُعانة يختبرهما المؤمنون. حتى وبالاستشهاد نحن مُنتصرين، على الرغم من أن العالم قد يعتبرنا ضحايا، فلنا الغلبة بالمسيح وبشكل ساحق لأننا نموت فنذهب للسماء!

إِنِّي أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي (فيلبي ٤: ١٣).

بالمسيح لم يعد أي شيء مُستحيل علينا لأن الله يعطينا القدرة والقوة. وبإمكاننا أن نُحقق أي مُهمة كانت تعطى لنا.

وَإِنَّ إِلَهِي سَيَسُدُّ حَاجَاتِكُمْ كُلَّهَا إِلَى التَّمَامِ، وَفَقاً لِغِنَاهُ فِي الْمَجْدِ، فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ (فيلبي ٤: ١٩).

والآن يمكننا أن نتوقع ان الله سوف يُلبّي كل احتياجاتنا الحقيقية إن سَعِينَا أولاً لملكوته. فالرب هو راعيها، وهو يرفع خرافه!

الاتفاق مع ما يقوله الله

للأسف بعضنا لا يؤمن بما تقوله كلمة الله عنا، إذ أن أعمالنا تُشير الى تناقض مع ما يقوله الكتاب المُقدس. فبدلاً من قول "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" نقول، "لا أعتقد أنه يمكنني فعل هذا او ذاك." وكمثل هذه التصريحات يدعوها الكتاب المُقدس بـ "تقارير سيئة" لأنها لا تتفق مع ما يقوله الله (عدد ١٣ : ٣٢). وعلى الرغم من ذلك، إن امتلأت قلوبنا بكلمة الله، عندها ستمتلأ من الإيمان، وستكون تصريحاتنا بالإيمان مع اتفاق بما يقوله الكتاب المُقدس.

بعض إعلانات الكتاب المُقدس

علينا أن نؤمن ونقول بما يقوله الله عنا.
علينا أن نؤمن ونقول باننا نستطيع فعل ما يقوله الله ان بمكاننا فعله.
علينا أن نؤمن ونقول ما يقوله الله عن نفسه.
علينا أن نؤمن ونقول ان الله سيفعل ما قال إنه سيفعل.
فهناك بعض التصريحات التي يمكن للمؤمنين إعلانها بصراحة. وليس من الضروري انهم جميعاً حقائق "في المسيح"، لكنهم جميعاً حقيقيين طِبْقاً للكتاب المُقدس.
وَبَفَضْلِ اللَّهِ صَارَ لَكُمْ مَقَامٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي جُعِلَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبِرّاً وَقِدَاسَةً وَفِدَاءً (كورنثوس الأولى ١ : ٣٠).
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَةِ الظَّلَامِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ (كولوسي ١ : ١٣).
فَفِيهِ لَنَا بِدَمِهِ الْفِدَاءُ، أَيْ غُفْرَانُ الْخَطَايَا؛ بِحَسَبِ غِنَى نِعْمَتِهِ (أفسس ١ : ٧).
فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ، فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: إِنَّ الْأَشْيَاءَ الْقَدِيمَةَ قَدْ زَالَتْ، وَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ قَدْ صَارَ جَدِيداً (كورنثوس الثانية ٥ : ١٧).
فَإِنَّمَا نَحْنُ تُحَفَّةُ اللَّهِ، وَقَدْ خَلَقَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ أَعَدَّهَا سَلْفاً لِنَسُلكَ فِيهَا (أفسس ٢ : ١٠).
فَإِنَّ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، جَعَلَهُ اللَّهُ خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بَرّاً اللَّهِ فِيهِ (كورنثوس الثانية ٥ : ٢١).
وَلَكِنَّمَا، فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأُمُورِ، نُحَرِّرُ مَا يَفُوقُ الْاِئْتِصَارَ عَلَى يَدِ مَنْ أَحَبَّنَا (رومية ٨ : ٣٧).
إِنِّي أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي (فيلبي ٤ : ١٣).
وَإِنَّ إِلَهِي سَيَسُدُّ حَاجَاتِكُمْ كُلَّهَا إِلَى التَّمَامِ، وَفَقْراً لِنَغْنَاهُ فِي الْمَجْدِ، فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ (فيلبي ٤ : ١٩).

إِلَى كَنِيسَةِ اللَّهِ فِي مَدِينَةِ كُورِنْثُوسَ، إِلَى الَّذِينَ تَقَدَّسُوا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُوعِينَ، الْقَدِّيسِينَ؛ وَإِلَى جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ رَبًّا لَهُمْ وَلَنَا (كورنثوس الأولى ١ : ٢).

حَتَّى صِرْنَا نُدْعَى "أَوْلَادَ اللَّهِ" (يوحنا ١ : ١٢؛ يوحنا الأولى ٣ : ١-٢).

أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ السَّاكِنِ فِيكُمْ وَالَّذِي هُوَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ لَسْتُمْ مِلْكَاً لَأَنْفُسِكُمْ؟ (كورنثوس الأولى ٦ : ١٩).

وَفِيمَا بَعْدُ لَا أَحْيَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ (غلاطية ٢ : ٢٠).

لِتَفْتَحْ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنَ الظَّلَامِ إِلَى النُّورِ، وَمَنْ سَيَطَرَةُ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ، فَيَبْأَلُوا غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيْباً بَيْنَ الَّذِينَ تَقَدَّسُوا بِالْإِيمَانِ بِي (أعمال الرسل ٢٦ : ١٨).

وَالرَّجَاءُ لَا يُخَيِّبُنَا، لِأَنَّ اللَّهَ أَقَاضَ مَحَبَّتَهُ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي وَهَبَنَا إِيَّاهُ (رومية ٥ : ٥).

أَيُّهَا الْأَوْلَادُ الصِّغَارُ، أَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ، وَقَدْ غَلَبْتُمْ الَّذِينَ يُقَاوِمُونَ الْمَسِيحَ: لِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ السَّاكِنَ فِيكُمْ أَقْوَى مِنَ الرُّوحِ الشَّرِيرِ الْمُنْتَشِرِ فِي الْعَالَمِ (يوحنا الأولى ٤ : ٤).

تَبَارَكَ اللَّهُ، أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَاتٍ رُوحِيَّةٍ فِي الْأَمَاكِنِ السَّمَاوِيَّةِ (أفسس ١ : ٣).

أَمَّا اللَّهُ، وَهُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، فَيَسَبِّبُ مَحَبَّتِهِ الْعَظِيمَةَ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا،^٥

وَإِذْ كُنَّا نَحْنُ أَيْضاً أَمْوَاتاً بِالذُّنُوبِ، أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ، إِنَّمَا بِالْغُرَّةِ أَنْتُمْ مُخْلَصُونَ،^٥

وَأَقَامَنَا مَعَهُ وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي الْأَمَاكِنِ السَّمَاوِيَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ^٦

(أفسس ٢ : ٤-٦).

وَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ جَمِيعَ الْأُمُورِ تَعْمَلُ مَعاً لِأَجْلِ الْخَيْرِ لِمُحِبِّهِ، الْمَدْعُوعِينَ بِحَسَبِ قَصْدِهِ

(رومية ٨ : ٢٨).

مَاذَا اللَّهُ مَعَنَا، فَمَنْ يَكُونُ عَلَيْنَا؟ (رومية ٨ : ٣١).

فَمَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ لَنَا؟ (رومية ٨ : ٣٥-٣٩).

بَلْ إِنْ كُنْتُ أَنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تُؤْمِنَ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَى الْمُؤْمِنِ! (مَرَقَس ٩ : ٢٣).

وَجَعَلَ مِنَّا مَمْلُوكَةً، وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ! (رُؤْيَا ١ : ٦)

حَتَّى يَتِمَّ فِينَا الْبِرُّ الَّذِي تَسْعَى إِلَيْهِ الشَّرِيعَةُ، فِينَا نَحْنُ السَّالِكِينَ لَا بِحَسَبِ الْجَسَدِ بَلْ بِحَسَبِ الرُّوحِ

(رومية ٨ : ١٤).

أَمَّا سَبِيلُ الْأَبْرَارِ فَكَثُورٌ مُتَلَالِيٌّ يَتَزَايِدُ إِشْرَافُهُ إِلَى أَنْ يَكْتَمِلَ النَّهَارُ (أمثال ٤ : ١٨).

وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَخْدِمَ الْآخَرِينَ بِالْمَوْهَبَةِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، بِاعْتِبَارِكُمْ وَكَلَاءِ صَالِحِينَ^{١٠}
مُؤْتَمِنِينَ عَلَى أَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْمَوَاهِبِ الَّتِي يَمْنَحُهَا اللَّهُ بِالنِّعْمَةِ.

فَمَنْ يَتَكَلَّمْ، عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّمْ بِمَا يُوَافِقُ أَقْوَالَ اللَّهِ؛ وَمَنْ يَخْدِمُ، عَلَيْهِ أَنْ يَخْدِمَ بِمُوجِبِ الْقُوَّةِ الَّتِي يَمْنَحُهَا اللَّهُ. ^{١١}
وَذَلِكَ لِكَيْ يَتِمَّجَدَّ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَةُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ!
(بطرس الأولى ٤: ١٠-١١).

وَأُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا، تَلَزَمُهُمْ هَذِهِ الْآيَاتُ: بِاسْمِي يَطْرُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ جَدِيدَةٍ عَلَيْهِمْ،^{١٧}
وَيَقْبِضُونَ عَلَى الْحَيَاتِ، وَإِنْ شَرِبُوا شَرَاباً قَاتِلاً لَا يَتَأَذُّونَ النَّبَةَ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ^{١٨}
(مرقص ١٦: ١٧-١٨)

وَلَكِنْ، شُكْرًا لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا دَائِمًا فِي مَوْكِبِ النَّصْرِ فِي الْمَسِيحِ، وَيَنْشُرُ بَنَاءَ رَائِحَةِ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.
(كورنثوس الثانية ٢: ١٤)

فَنَحْنُ إِذِنْ سَفَرَاءُ الْمَسِيحِ (كورنثوس الثانية ٥: ٢٠).

لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ
(يوحنا ٣: ١٦).

وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ بِإِيمَانٍ، تَنَالُونَهُ (متي ٢١: ٢٢).

هُوَ نَفْسُهُ حَمَلَ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ (عِنْدَمَا مَاتَ مَصْلُوبًا) عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ بِالنِّسْبَةِ لِلْخَطَايَا فَنَحْيَا حَيَاةَ
الْبِرِّ. وَبِحِرَاجِهِ هُوَ تَمَّ لَكُمْ الشِّفَاءَ (بطرس الأولى ٢: ٢٤).

أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ. فَإِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ، فَمَاذَا يُعِيدُ إِلَيْهِ مُلُوحَتَهُ؟ إِنَّهُ لَا يَعُودُ يَصْلُحُ لَشَيْءٍ إِلَّا لِأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا^{١٣}
لِيَتَدَوَّسَهُ النَّاسُ

أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لَا يُمْكِنُ أَنْ تُخْفِيَ مَدِينَةً مَبْنِيَّةً عَلَى جَبَلٍ^{١٤}

(متي ٥: ١٣-١٤)

وَمَا دُمْنَا أَوْلَادًا، فَنَحْنُ أَيْضًا وَارِثُونَ؛ وَرَثَةُ اللَّهِ وَشُرَكَاءُ الْمَسِيحِ فِي الْإِرْثِ. وَإِنْ كُنَّا الْآنَ نُشَارِكُهُ فِي
مُقَاسَاةِ الْأَلَمِ، فَلَا تَنَا سَوْفَ نُشَارِكُهُ أَيْضًا فِي التَّمَتُّعِ بِالْمَجْدِ (رومية ٨: ١٧).

فَإِنَّ سُقُوطَهُمْ أَمْرٌ حَثْمِيٌّ! وَأَمَّا أَنْتُمْ، فَإِنَّكُمْ تُشْكِلُونَ جَمَاعَةً كَهَنَةً مُلُوكِيَّةً، وَسُلَالَةً اخْتَارَهَا اللَّهُ، وَأُمَّةً كَرَّسَهَا
لِنَفْسِهِ، وَشَعْبًا امْتَلَكَهُ. وَذَلِكَ لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الرَّبِّ، الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظَّلَامِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ!

(بطرس الأولى ٢: ٩)

فَالْوَاقِعُ أَنَّكُمْ أَنْتُمْ جَمِيعًا جَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ فِيهِ كُلُّ بِمُفْرَدِهِ. (كورنثوس الأولى ١٢: ٢٧).

الرَّبُّ رَاعِيٌّ فَلَسْتُ أَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ (مزامير ٢٣ : ١).

الرَّبُّ نُورِي وَخَلَّاصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟ (مزامير ٢٧ : ١)

أُطِيلُ عُمْرَهُ، وَأُريهِ خَلَّاصِي (مزامير ٩١ : ١٦).

لَكِنَّهُ حَمَلَ أَحْزَانَنَا وَتَحَمَّلَ أَوْجَاعَنَا، وَنَحْنُ حَسِبْنَا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَاقَبَهُ وَأَذَلَّهُ (أشعيا ٥٣ : ٤-٥).

الرَّبُّ مُعِينِي، فَلَنْ أَخَافَ! (العبرانيين ١٣ : ٦)

وَاطْرَحُوا عَلَيْهِ ثِقَلَ هُمُومِكُمْ كُلِّهَا، لِأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ (بطرس الأولي ٥ : ٧).

إِذَنْ، كُونُوا خَاضِعِينَ لِلَّهِ. وَقَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْزُبَ مِنْكُمْ (يعقوب ٤ : ٧).

فَأَيُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ، يَخْسِرْهَا؛ وَلَكِنْ مَنْ يَخْسِرُ نَفْسَهُ لِأَجْلِي، فَإِنَّهُ يَجِدُهَا (متي ١٦ : ٢٥).

فَإِنَّ مَنْ دُعِيَ فِي الرَّبِّ وَهُوَ عَبْدٌ، صَارَ مُعْتَقاً لِلرَّبِّ. وَكَذَلِكَ أَيْضاً مَنْ دُعِيَ وَهُوَ حُرٌّ، صَارَ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ (كورنثوس الأولي ٧ : ٢٢).

فَالْحَيَاةُ عِنْدِي هِيَ الْمَسِيحُ، وَالْمَوْتُ رِبْحٌ لِي (فيلبي ١ : ٢١).

أَمَّا نَحْنُ، فَإِنَّ وَطَنَنَا فِي السَّمَاوَاتِ (فيلبي ٣ : ٢٠).

أَنَّ الَّذِي بَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا سَوْفَ يُتِمُّهُ إِلَيَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ يَسُوعَ (فيلبي ١ : ٦).

لَأنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُنْشِئُ فِيكُمْ الْإِرَادَةَ وَالْعَمَلَ لِأَجْلِ مَرْضَاتِهِ (فيلبي ٢ : ١٣).

إِنَّ الْمَسِيحَ حَرَّرَنَا بِالْفِدَاءِ مِنْ لَعْنَةِ الشَّرِيعَةِ (غلاطية ٣ : ١٣).

وكل هذه الآيات ما هي الا عينات من الإعلانات الإيجابية لما يمكننا فعله بناءً على كلمة الله. وإنها لمن فكرة حسنة أن نعتاد على التفوه بهذه الإعلانات الى أن تصبح حقائق مغروسة عميقاً في قلوبنا. وعلينا أيضاً أن نراقب كل كلمة تخرج من أفواهنا خشية أن نؤخذ بموقف نقيض لما قاله الله.

الفصل العشرون

التسبيح والعبادة

Praise and Worship

فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ. ^{١٩}

أَبَاؤُنَا عَبَدُوا اللَّهَ فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ الْيَهُودَ تُصِرُّونَ عَلَى أَنَّ أُورُشَلِيمَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْمَرْكَزَ الْوَحِيدَ ^{٢٠} لِلْعِبَادَةِ.

فَأَجَابَهَا يَسُوعُ: «صَدِّقِينِي يَا امْرَأَةً، سَتَأْتِي السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا تَعْبُدُونَ الْآبَ لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ. ^{٢١}

أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَا تَجْهَلُونَ، وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا نَعْلَمُ، لِأَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ مِنْ عِنْدِ الْيَهُودِ. ^{٢٢}

فَسَتَأْتِي سَاعَةٌ، لَا بَلْ هِيَ الْآنَ، حِينَ يَعْبُدُ الْعَابِدُونَ الصَّادِقُونَ الْآبَ بِالرُّوحِ وَبِالْحَقِّ. لِأَنَّ الْآبَ يَبْتَغِي مِثْلَ ^{٢٣} هَؤُلَاءِ الْعَابِدِينَ.

اللَّهُ رُوحٌ، فَلِذَلِكَ لَا بَدْءَ لِعَابِدِيهِ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوهُ بِالرُّوحِ وَبِالْحَقِّ. ^{٢٤}

تلك الكلمات التي تفوهه بها يسوع قد وضعت الأساس لفهمنا لأهم جوانب العبادة. فقد تحدث عن "العابدين الحقيقيين" ووصف مؤهلاتهم. فهذا يُشير إلينا هناك مَنْ يعبدون ولكنهم ليسوا بعبادين حقيقيين. فلربما يعتقدون أنهم يعبدون الله ولكنهم لا يعبدونه إذ أنهم لا يستجيبون لمتطلباته.

وقد أعلن يسوع الأمر الذي يمتاز به العابدون الحقيقيون — فهم يعبدونه "بالروح والحق". ولذلك يمكن أن نقول إن العابدين الزائفون هم الذين يعبدون بـ "الجسد والنفاق". ففي الجسد، قد تخالغ العابدون الزائفون مشاعر العبادة، ولكن هذه مجرد عبادة استعراضية، لأنها لا تنبع من قلب محب لله.

أما العبادة الحقيقية فإنها تنبع بمصدرها من قلب مُحب لله. فالتعبد ليس هو بشيء نقوم به أثناء اجتماع الكنيسة وحسب ولكن ما نفعله في كل لحظة من حياتنا لطالما أطعنا وصايا المسيح. فمن العجيب أن المرأة التي كان يتحدث يسوع معها قد تزوجت خمسة مرات من قبل والرجل التي كانت تعيش معه ليس زوجها، وبذات الوقت كانت تُجادله عن المكان الملائم لعبادة الله! وهي من تتوب وتمثل العديد من الناس المُتدينين الذين يحضرون الصلوات في حين أنهم يعيشون حياتهم اليومية في تمرد على الله. فهم ليسوا بعبادين حقيقيين.

وذات مرة وبخ يسوع الكتبة والفريسيين على عبادتهم الزائفة المُتجبرة القلب، بقوله:

أَيُّهَا الْمُرَاوُونَ! أَحْسَنَ إِسْعِيَاءُ إِذْ تَنَبَّأَ عَنْكُمْ فَقَالَ: ^٧

هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَقَتِهِ، أَمَّا قَلْبُهُ فَبَعِيدٌ عَنِّي جِدًّا! ^٨

إِنَّمَا بَاطِلًا يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ لَيْسَتْ إِلَّا وَصَايَا النَّاسِ. ^٩

وعلى الرغم من أن اليهود والسامريين على حد سواء كانوا يضعون أهمية كبرى لمكان العبادة في أيام يسوع، إلا أن يسوع قد أعلن وبصريح العبارة، ليس المكان هو بالأمر المهم. إنما وضع القلب وسلوك الشخص اتجاه الله هما ما يحددان قيمة عبادته.

فإن الكثير مما تُدعى "عبادات" في الكنائس بأيامنا، ما هي إلا طقوس مितّة تُمثل بعباد أموات. فالناس دون تفكير يُرددون كلمات شخص آخر عن الله حين يُرسمون "الترانيم التعبدية"، عبادتهم باطلة، لأن أسلوب حياتهم يفضح حقيقة ما في قلوبهم.

فالله يُفضل أن يسمع عبارة بسيطة من القلب كـ "أنا أحبك" من أحد أبناءه المُطيعين، على أن يتحمل آلاف المسيحيين عديمي القلوب قائلين معاً "كم أنت عظيم" في صباح يوم الأحد.

العبادة بالروح

البعض يقول إن العبادة "بالروح" تعني الصلاة والترنيم بألسنة أخرى، لكن وعلى ضوء كلمات يسوع هذا التفسير يبدو وهيناً. فقد قال المسيح: "فَسَتَأْتِي سَاعَةٌ، لَا بَلْ هِيَ الْآنَ، حِينَ يَعْبُدُ الْعَابِدُونَ الصَّادِقُونَ الْآبَ بِالرُّوحِ وَبِالْحَقِّ" هذا ليشير إلى أولئك الذين التزموا بشروط العبادة "بالروح". وبالطبع، عندها لم يتكلم أحد بألسنة حتى يوم الخمسين. ولذلك، يمكن لأي مؤمن، بغض النظر إن كان يتحدث بألسنة أم لا، أن يعبد الله بالروح والحق. فالصلاة والترانيم بألسنة أخرى يمكن وبكل تأكيد أن تساعد المؤمن في عبادته، ولكن حتى الصلاة بألسنة يمكن أن تصبح عبادة بلا قلب.

فهذه شهادة عجيبة عن العبادة في الكنيسة الأولى في سفر أعمال الرسل ١٣: ١-٢:

وَكَانَ فِي الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أَنْطَاكِيَّةَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُعَلِّمِينَ؛ وَمِنْهُمْ بَرْنَابَا؛ وَسَمِعَانُ الَّذِي يُدْعَى الْأَسْوَدَ؛^١ وَلُوكْيُوسُ مِنَ الْقَيْرَوَانِ؛ وَمَنَّايْنُ الَّذِي تَرَبَّى فِي طُفُولَتِهِ مَعَ هِيرُودُسَ حَاكِمِ الرُّبْعِ؛ وَشَاوُلُ.

وَدَاثَ يَوْمٍ، وَهُمْ صَائِمُونَ يَتَعَبَّدُونَ لِلرَّبِّ، قَالَ لَهُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ: خَصِّصُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِأَجْلِ الْعَمَلِ^٢ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ.

لاحظ أنه قال في هذه الفقرة أنهم كانوا "يتعبدون للرب" وبالترجمة الإنجليزية "يخدمون الرب". فيبدو ومن المعقول الاعتقاد أنهم كانوا يعبدونه، وهكذا نعلم أن العبادة الحقيقية في الواقع هي الخدمة للرب. وهذا حقيقي بالفعل عندما يكون الرب هو محور حُبنا وشغفنا.

طُرق العبادة

لربما كان كتاب المزامير هو كتاب الترانيم لشعب إسرائيل، يحثنا على عبادة الرب بعدة طرق. فعلي سبيل المثال، نقرأ في مزمور ٣٢:

" اهْتَفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ" (مزامير ٣٢: ١١ ب).

وعلى الرغم من أن الهدوء والوقار التعبدية له مكانه، هكذا أيضاً للهِتاف بالفرح.

سَبِّحُوا الرَّبَّ أَيُّهَا الْأَبْرَارُ، فَإِنَّ الْحَمْدَ يَلِيقُ بِالْمُسْتَقِيمِينَ.^١

اشْكُرُوا الرَّبَّ عَلَى الْعُودِ، رَتِّبُوا لَهُ بِرَبَابَةِ ذَاتِ عَشْرَةِ أَوْتَارٍ.^٢

اغْرِفُوا أَمْهَرَ عَزْفٍ مَعَ الْهُتَافِ، رَتِّبُوا لَهُ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً.^٣

(مزامير ٣٣: ١-٣).

حسن أن نرنم للرب في العبادة، ولكن ترنيمنا عليه أن يؤدي بفرح، وهي إشارة أخرى للوضع الخارجي لقلب المؤمن. فيمكن أن هتاف الفرح يصاحب الآلات الموسيقية المختلفة. وهنا عليّ أن أذكر الظاهرة المنتشرة في العديد من اجتماعات الكنيسة، وهي أن صوت الأدوات الموسيقية الإلكترونية عالٍ لدرجة تغطي على صوت الترانيم بشكل كامل. فيجب أن يُخفض الصوت أو أن يوقف كلياً. على أن كتاب المزامير لم يواجهوا هذه المشكلة!

أَحْمَدُكَ عَلَى بَرَكَاتِكَ مَدَى حَيَاتِي، وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيَّ مُبْتَهِلًا.^٤

(مزامير ٦٣: ٤).

كعلامة للاستسلام والخشوع، يمكن أن نرفع أيدينا لله.

اهْتَفِي لِلَّهِ يَا كُلَّ الْأَرْضِ.^١

تَرْتَنِّمُوا بِعَظَمَةِ اسْمِهِ وَاجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مَجِيدًا.^٢

قُولُوا لِلَّهِ: «مَا أَرْوَعُ أَعْمَالُكَ». يَتَمَلَّقُكَ أَعْدَاؤُكَ لِأَنَّ قُوَّتَكَ عَظِيمَةٌ.^٣

كُلُّ الْأَرْضِ تَسْجُدُ لَكَ وَتُسَبِّحُكَ. الْجَمِيعُ يَلْهَجُونَ بِاسْمِكَ.^٤

(مزامير ٦٦: ١-٤).

بتعبدنا علينا أن نذكر كم هو رائع ربنا وأن نحمده على سماته العظيمة. والمزامير إنما هو سفر ممتاز به نجد كلمات مناسبة لحمد الله. والمحذ أن نتجنب الإعادة المستمرة لـ "أحمدك يا رب!" إذ هناك الكثير الكثير ما يمكن أن نعبر عنه من كلمات الحمد.

تَعَالَوْا نَسْجُدُ وَنُحْنِي، لِنَرْكَعَ أَمَامَ الرَّبِّ صَانِعِنَا (مزامير ٩٥: ٦).

وحتى وضعنا الجسدي يمكن أن يكون تعبيراً للعبادة، إما بالوقوف أو الركوع، أو السجود.

لِيَبْتَهِجَ الْاَتَّقِيَاءُ بِهَذَا الْمَجْدِ. لِيَهْتَفُوا فَرَحاً فِي أَسِرَّتِهِمْ (مزامير ١٤٩: ٥).

ولكنه ليس هو شرط أن نقف أو نركع - فيمكن أن نكون مضجعين في السرير أيضاً.

ادْخُلُوا أَبْوَابَهُ حَامِدِينَ، دِيَارَهُ مُسَبِّحِينَ. اشْكُرُوهُ وَبَارِكُوا اسْمَهُ (مزامير ١٠٠: ٤).

فالشكر يجب أن يكون وبكل تأكيد جزءاً من عبادتنا.

لِيُسَبِّحُوا اسْمَهُ بِالرَّقْصِ، لِيَرْتَمُوا لَهُ عَلَى عَرْفِ الدُّفِّ وَالْعُودِ.^٣

(مزامير ١٤٩: ٣).

فيمكن لنا أن نسبح الرب بالرقص. لكن حذار من أن يكون الرقص جسدياً أو حسياً أو ترفيهياً البحتة.

سَبِّحُوهُ بِصَوْتِ بُوقٍ. سَبِّحُوهُ بِالرَّبَّابِ وَالْعُودِ.^٣

سَبِّحُوهُ بِالْدُّفِّ وَالرَّقْصِ. سَبِّحُوهُ بِأُوتَارٍ وَمَزْمَارٍ.^٤

سَبِّحُوهُ عَلَى وَفَعِ الصُّنُوجِ. سَبِّحُوهُ بِالصُّنُوجِ الْمُدَاوِيَّةِ. لِتُسَبِّحِ الرَّبَّ كُلُّ نَسَمَةٍ. هَلِّلُويَا.^٥

(مزامير ١٥٠: ٣-٦).

نشكر الله على الموهوبين موسيقياً. إذ يمكن استخدام هذه الموهبة لتعظيم الله إن عزفوا على آلاتهم الموسيقية من قلب محب.

الترانيم الروحية

رَبِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، لِأَنَّهُ قَدْ صَنَعَ عَجَائِبَ (مزامير ٩٨: ١)

أن نرنم ترنيمة قديمة ليس ذلك بالأمر الخاطئ، لطالما لم تصبح شعائرية. والآن فالحاجة ماسة لترنيمة جديدة تنبع من القلوب، عالمين أن الروح القدس بينما نعيش في العهد الجديد، سيساعدنا على تأليف ترانيم جديدة:

لِتَسْكُنْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ فِي دَاخِلِكُمْ بَغْنًى، فِي كُلِّ حِكْمَةٍ، مُعَلِّمِينَ وَوَاعِظِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، مُرْتَمِينَ بِمَزَامِيرَ^{١٦} وَتَسَابِيحَ وَأَنَاشِيدَ رُوحِيَّةٍ فِي قُلُوبِكُمْ لِلَّهِ، رَافِعِينَ لَهُ الْحَمْدَ. (كولوسي ٣: ١٦)

لَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ، فَفِيهَا الْخَلَاعَةُ، وَإِنَّمَا امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ،^{١٨}

مُحَدِّثِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَنَاشِيدَ رُوحِيَّةٍ، مُرْتَمِينَ وَمُرْتَلِينَ بِقُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ؛^{١٩}

رَافِعِينَ الشُّكْرَ كُلَّ حِينٍ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِهِ وَالْآبِ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. ٢٠
(أفسس ٥: ١٨-٢٠).

فقد كتب بولس الرسول أن علينا أن نرنم لبعضنا البعض "بالمزامير، وَتَسَابِيحَ وَأَنَاشِيدَ رُوحِيَّةٍ" وحيث انه سرد هذه التعابير الثلاث، فلا بد أن يكون هناك فرقاً بين كل منها. هنا دراسة الكلمات باللغة اليونانية قد يوفر لنا القليل من المساعدة، ولكن ربما "المزامير" تعني الترنيم الفعلي للمزامير من الكتاب المقدس مُرافقاً للأدوات الموسيقية. أما "التَسَابِيحُ" على العكس من ذلك، فلربما كانت ترانيم حمد عامة، من تأليف مؤمنون عدة في الكنائس. بينما "الأَنَاشِيدَ رُوحِيَّةٍ" لربما كانت ترانيم تلقائية مُعطاة لهم من الروح القدس كما يحدث وموهبة النبوة، إلا أنه كلام مغنى.

وعلى العبادة والتسبيح أن يكونا جزءاً من حياتنا اليومية – وليس شيئاً نفعله فقط في اجتماعات الكنيسة. فيمكننا أن نعبد الرب بكل يوم مختبرين علاقة أقرب معه.

الحمد هو إيمان فعلي

الحمد والتعبد هما تعبيران طبيعيان عن إيماننا بالله. فإن آمناً حقاً بوعود كلمة الله، عندها سنكون فرحين، مملوئين من كل تسبيح لله. كان صراخ يشوع وشعب إسرائيل سابقاً لسقوط أسوار أريحا. الكتاب المقدس ينصحنا أن نفرح بالرب دوماً:

"افرحوا في الرب دائماً" (فيلبي ٤: ٤) و "ارفعوا الشُّكْرَ فِي كُلِّ حَالٍ" (تسالونيكي الأولي ٥: ١٨).

ومن الأمثلة العظيمة على قوة الحمد، مذكورة في أخبار الأيام الثاني إصحاح ٢٠ عندما جرى الاعتداء على شعب اليهودية من قبل جيوش موآب والعمونيين، قد أعطى الله إرشاده لشعب إسرائيل كاستجابة لصلاة الملك يهوذاشافاط:

لَا تَجْزَعُوا وَلَا تَرْتَعِبُوا خَوْفًا مِنْ هَذَا الْجَيْشِ الْعَظِيمِ، إِذْ لَيْسَتْ الْحَرْبُ حَرْبُكُمْ، بَلْ هِيَ حَرْبُ اللَّهِ.^{١٥}

ارْحَقُوا نَحْوَهُمْ غَدًا، فَهَا هُمْ صَاعِدُونَ فِي عَقَبَةِ صِيصَ، فَتَجِدُوهُمْ فِي طَرَفِ الْوَادِي بِحَذَاءِ صَحْرَاءِ يَرْوَيْلَ.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُخَوضُوا هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ، بَلْ قِفُوا وَانْبِثُوا وَاشْهَدُوا خَلَّاصَ الرَّبِّ الَّذِي يُنْعِمُ بِهِ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي يَهُوذَا وَيَا أَهْلَ أُورُشَلِيمَ. لَا تَجْزَعُوا وَلَا تَرْتَعِبُوا. انْطَلِقُوا غَدًا لِلْقَائِمِ وَالرَّبُّ مَعَكُمْ.

(أخبار الأيام الثاني ٢٠: ١٥-١٧).

ويواصل السرد:

وَفِي سَاعَةٍ مُبَكَّرَةٍ مِنْ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ تَوَجَّهَ جَيْشُ يَهُوذَا إِلَى صَحْرَاءِ تَفُوعَ، فَقَالَ يَهُوْشَافَاطُ لَهُمْ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ: اصْغُوا يَا رَجَالَ يَهُوذَا وَيَا سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ. آمِنُوا بِالرَّبِّ إِلَهُكُمْ فَتَأْمِنُوا. آمِنُوا بِأَنْبِيَائِهِ فَتَقْلَحُوا.

وَبَعَدَ النَّدَاوِلَ مَعَ الشَّعْبِ، جَعَلَ فِرْقَةً مِنَ الْمُعَيَّنِينَ الَّذِينَ تَرَيُّنَا بِالنِّيَابِ الْمُقَدَّسَةِ تَتَقَدَّمُ مَسِيرَةَ الْمُجَنَّدِينَ^{٢١} لِلْقِتَالِ، لِتُسَبِّحَ الرَّبَّ قَائِلَةً: اْحْمَدُوا الرَّبَّ لِأَنَّ رَحْمَتَهُ إِلَى الْأَبَدِ تَدُومُ.

وَعِنْدَمَا شَرَعُوا فِي الْغِنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ أَثَارَ الرَّبِّ كَمَا نَحْنُ عَلَى الْعُمُونِيِّينَ وَالْمُوَابِيِّينَ، وَأَهْلِ جَبَلِ سَعِيرِ^{٢٢} الْقَادِمِينَ لِمَحَارَبَةِ يَهُوذَا، فَانْكَسَرُوا.

فَقَدِ انْقَلَبَ الْعُمُونِيُّونَ وَالْمُوَابِيُّونَ عَلَى سُكَّانِ جَبَلِ سَعِيرِ وَقَضَوْا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَأَقْنَى^{٢٣} بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَحِينَ بَلَغَ جَيْشُ يَهُوذَا بُرْجَ الْمُرَاقَبَةِ فِي الصَّحَرَاءِ، التَّقَتُوا نَحْوَ جَيْشِ الْأَعْدَاءِ، وَإِذَا بِهِمْ جُنُتٌ مُتَنَائِرَةٌ^{٢٤} عَلَى الْأَرْضِ، لَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ حَيٌّ.

فَهَبَّ يَهُوشَافَاطُ وَجَيْشُهُ لِنَهْبِ الْغَنَائِمِ، فَوَجَدُوا بَيْنَ الْجُنُتِ أَمْوَالًا وَأَسْلَاحًا هَائِلَةً وَأَمْتَعَةً ثَمِينَةً وَفِيرَةً^{٢٥} فَغَنِمُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى عَجَزُوا عَنْ حَمْلِهَا، وَظَلُّوا يَنْهَبُونَ الْغَنِيمَةَ طَوَالَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لَوْفَرَتِهَا.

(أخبار الأيام الثاني ٢٠: ٢٠-٢٥).

وهكذا الإيمان المتشبع بالتسبيح يجلب الحماية!

ولدراسة أعمق عن موضوع قوة التسبيح، أنظر فيلبي ٤: ٦-٧ (التهليل يجلب سلام)،

أخبار الأيام الثاني ٥: ١-١٤ (التسبيح يجلب حضور الله)، أعمال الرسل ١٣: ١-٢ (التسبيح يجلب مقاصد الله وخططه للنور)، أعمال الرسل ١٦: ٢٢-٢٦ (التسبيح يجلب حماية الله والتحرير من السجون).

الفصل الحادي والعشرون

الأسرة المسيحية

The Christian Family

عندما نتكلم عن الأسرة علينا بالبداية التنويه الى ان فكرة الأسرة وبلا شك هي من صنع الله. وعليه فمن المنطقي جداً أنه هو الذي يقدم لنا النظرة الثاقبة عن كيفية التعامل الأسري وليحذرننا من العثرات التي قد تدمر الأسر. وبالطبع أن الرب قد أعطانا العديد من المبادئ في كلمته بخصوص هيكل الأسرة وكيف ينبغي لكل من أفرادها أن يؤدي دوره. وفي حين أن إتباع هذه الإرشادات الكتابية ستمنح الأسرة بكل البركات التي أرادها الله لهم أن يتمتع بها، إلا أننا نرى ومع الأسف أن الخراب وجروح نفسية وقلبية ستحل بالأسرة فيما إذا انتهكت هذه المبادئ.

دور الزوج والزوجة

تصميم الله للأسرة كان ليتوافق ببنية معينة. ولأن هذا الإطار يزود الأسرة بحياة أسرية مستقرة، فإن الشيطان يعمل جاهداً على إيقاف عمل التصميم الالهي.

أولاً، لقد وضع الله الزوج ليكون رأس العائلة، بيد أن هذا لا يعطي الزوج الحق ليتحكم بزوجته وأبنائه بأنانية. فالله دعا الرجال ليجبوا ويحموا ويزودوا ويقودوا أسرهم، كون الرجل هو الرأس. وأراد الله للزوجات أن يتبعوا قيادة أزواجهن.

أَيَّتْهَا الرِّجَالُ، اخْضَعْنَ لَأَزْوَاجِكُنَّ، كَمَا لِلرَّبِّ.^{٢٢}

فَإِنَّ الرَّوْجَ هُوَ رَأْسُ الرِّجْوَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً هُوَ رَأْسُ الْكَنِيسَةِ (جَسَدِهِ)، وَهُوَ نَفْسُهُ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ.^{٢٣}

فَكَمَا أَنَّ الْكَنِيسَةَ قَدْ أُخْضِعَتْ لِلْمَسِيحِ، فَكَذَلِكَ الرِّجَالُ أَيْضاً لَأَزْوَاجِهِنَّ، فِي كُلِّ شَيْءٍ.^{٢٤}

(أفسس ٥: ٢٢-٢٤)

الزوج ليس هو الرأس الروحي للزوجة - يسوع هو الذي يقوم بهذا الدور. على أن يسوع هو الرأس الروحي للكنيسة، والزوجة كما زوجها المسيحي هي عضو في جسد المسيح (الكنيسة). لكن في إطار العائلة، الزوج المسيحي هو رأس لزوجته وأطفاله، وعليهم أن يخضعوا للسلطة المعطاة له من الله.

لأي درجة يجب على الزوجة أن تخضع لزوجها؟ - عليها أن تخضع له في كل شيء كما قال بولس. فالاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هي عندما يطلب الزوج من زوجته أن تعصي كلمة الله أو تفعل شيئاً مخالفاً للضمير. فالزوج ليس هو رباً لزوجته - يسوع وحده هو السيد بهذه المكانة. وإن أُجبرت أن تختار من عليها أن تطيع من بينهما، عندها هي حرة أن تختار يسوع.

على الرجال أن يتذكروا انه ليس من الضروري على الله أن "ينحاز مع الزوج" دائماً. وفي ذات مرة قد أعلم الله أبراهيم ان يفعل بموجب ما قالته سارة زوجته له. أيضاً يذكر الكتاب المقدس أن أبيجايل رفضت أن تطيع زوجها الأحق نابال وبهذا قد تفادت كارثة كانت وشيكة الوقوع (أنظر صموئيل الأول ٢٥: ٢-٣٨).

كلمة الله للأزواج

فقد قال الله للأزواج:

أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ، أَحِبُّوا زَوْجَاتِكُمْ مِثْلَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ الْكَنِيسَةَ وَبَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا،^{٢٥}
عَلَى هَذَا الْمِثَالِ يَجِبُ عَلَى الْأَزْوَاجِ أَنْ يُحِبُّوا زَوْجَاتِهِمْ كَأَجْسَادِهِمْ. إِنَّ مَنْ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ، يُحِبُّ نَفْسَهُ.^{٢٨}
فَلَا أَحَدٌ يَبْغِضُ جَسَدَهُ الْبَنَى، بَلْ يُغَذِّيه وَيَعْتَنِي بِهِ، كَمَا يُعَامِلُ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ.^{٢٩}
فَإِنَّمَا نَحْنُ أَعْضَاءُ جَسَدِهِ.^{٣٠}
إِنَّمَا أَنْتُمْ أَيْضاً، كُلُّ بِمُفْرَدِهِ، لِيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ زَوْجَتَهُ كَنَفْسِهِ. وَأَمَّا الزَّوْجَةُ، فَعَلَيْهَا أَنْ تَهَابَ زَوْجَهَا.^{٣٣}
(أفسس ٥: ٢٥، ٢٨-٣٠، ٣٣)

الله قد أوصى الأزواج أن يحبوا زوجاتهم كما أحب المسيح الكنيسة. تلك ليست مسؤولية صغيرة! فأى زوجة ستخضع بكل ترحاب لزوجها أياً كان، إن أحبها كما يحبها يسوع - الذي أعطي حياته بمحبته المضحية. فكما يحب المسيح جسده، الكنيسة، كذلك يجب على الزوج أن يحب امرأته، والتي معه يُعتبر "جسداً واحداً" (أفسس ٥: ٣١). فإن أحب الزوج زوجته كما ينبغي، عندها سيوفر لها احتياجاتها، ويعتنى بها، ويُقدِّرها، ويُساعدُها، ويُشجعها، ويقضي معها أوقاتاً. وإن فشل في مسؤولياته تجاه محبته لزوجته، عندها سيقع في خطر إعاقة استجابات صلواته:

وَأَنْتُمْ، أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ، إِذْ تُسَاكِنُونَ زَوْجَاتِكُمْ عَالِمِينَ بِأَنَّهُنَّ أَوْعَفُ مِنْكُمْ، أَكْرَمُوهُنَّ بِاعْتِبَارِهِنَّ شَرِيكَاتٍ لَكُمْ فِي وَرَاثَةِ نِعْمَةِ الْحَيَاةِ، لِكَيْ لَا يَعُوقَ صَلَوَاتُكُمْ شَيْءٌ (بُطرس الأولي ٣: ٧).

وتجدر الإشارة أنه ليس هناك أي زواج خالٍ من الصراعات وعدم الاتفاق، لكن ممكن للأزواج والزوجات أن يتعلموا كيف يعيشوا بانسجام وأن يختبروا بركة الزواج المسيحي الآخذة بالازدياد المستمر، وذلك من خلال الالتزام والتقدم بثمار الروح القدس في حياتهم. ومن خلال المشاكل التي تنشأ في كل الزيجات ولا محالة، يمكن لكلا الطرفين أن يتعلما منها أن ينميا نضوجاً عظيماً بها يتحولاً على شاكلة المسيح.

لدراسة أعمق عن مهام الأزواج والزوجات، أنظر الى الآيات التالية: تكوين ٢: ١٥-٢٥، أمثال ١٩: ١٣؛ ٢١: ٩، ١٩، ٢٧: ١٥-١٦، ٣١: ١٠-٣١، كورنثوس الأولي ١١: ٣، ١٣: ١-٨، كولوسي ٣: ١٨-١٩، تيموثاوس الأولي ٣: ٤-٥، تيطس ٢: ٣-٥، بُطرس الأولي ٣: ١-٧.

العلاقات الجنسية في الزواج

الله هو من أنشأ الجنس، وبالتأكيد هو من خلق المتعة وكذلك الإنجاب. والكتاب المقدس يذكر بوضوح أن العلاقات الجنسية هي حصريّة فقط لمتعة أولئك الذين ارتبطوا معاً بعهد الزواج لمدى الحياة.

فالعلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج تُصنّف كفسق أو زنا. فقد ذكر بولس الرسول أن هؤلاء الذين يمارسون هذه العلاقات لن يرثوا مملكة الله (أنظر كورنثوس الأولى ٦: ٩-١١). وعلى الرغم من ذلك قد يُعزى المسيحي ويسقط في فعل الفسق أو الزنا، لكنه سيشعر بذنبٍ عظيم، وذلك ما سيقوده للتوبة.

وأيضاً أعطى بولس بعض الإرشادات بخصوص المسؤوليات الجنسية للأزواج والزوجات:

وَلَكِنْ، تَجَنَّبَا لِلزَّنا، لِيَكُنْ لِكُلِّ رَجُلٍ زَوْجَتُهُ، وَلِكُلِّ امْرَأَةٍ زَوْجُهَا.^٢

وَلْيُوفِ الزَّوْجُ زَوْجَتَهُ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ حَقَّ زَوْجِهَا.^٣

فَلَا سُلْطَةٌ لِلْمَرْأَةِ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِرَّوْجِهَا. وَكَذَلِكَ أَيْضاً لَا سُلْطَةٌ لِلزَّوْجِ عَلَى جَسَدِهِ، بَلْ لِرَّوْجَتِهِ.^٤

فَلَا يَمْنَعُ أَحَدُكُمَا الْآخَرَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا حِينَ تَتَّفَقَانِ مَعاً عَلَى ذَلِكَ، وَلِفَتْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، بِقَصْدِ التَّفَرُّغِ لِلصَّلَاةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ عُودَا إِلَى عِلَاقَتِكُمَا السَّابِقَةِ، لِكَيْ لَا يُجَرِّبَكُمَا الشَّيْطَانُ لِعَدَمِ ضَبْطِ النَّفْسِ.

(كورنثوس الأولى ٧: ٢-٥)

فهذه الآيات توضح صراحةً أنه لا ينبغي استخدام الجنس "كمكافأة" من جانب الزوج أو الزوجة إذ ليس لأحدهما أي سلطة على جسده.

زد على ذلك، يعتبر الجنس عطية من الله، وليست دنساً أو خطيئة طالما كان واستمر في نطاق الزواج. ألا بل ويُشجع بولس الأزواج المسيحيين أن يمارسا العلاقة الجنسية الفعلية. ولدراسة أعمق نجد هذه النصيحة للأزواج المسيحيين في سفر الأمثال:

لِيَكُنْ يَنْبُوعُ عِفَّتِكَ مُبَارَكاً، وَاعْتَبِطْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ،^{١٨}

فَتَكُونُ كَالطَّبِيبَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةِ الْبَهِيَّةِ، فَتَرْتَوِي مِنْ فَيْضِ فِتْنَتِهَا، وَتَظَلَّ دَائِماً أُسِيرَ حُبِّهَا.^{١٩}

(أمثال ٥: ١٨-١٩).^{٢٠}

^{٢٢} لإثبات أكثر أن الله غير مُتشدد، أنظر نشيد الأنشاد ٧: ١-٩ ولاويين ١٨: ١-٢٣.

فإن أراد الأزواج المسيحيين التمتع بعلاقة جنسية مُرضية للطرفين، عليهما أن يُدركا أن هناك فرقٌ شاسع بين الطبيعة الجنسية لكل من الرجال والنساء. ومن باب المقارنة يمكن القول إن الطبيعة الجنسية للرجل أكثر جسدية، بينما الطبيعة الجنسية للمرأة تتعلق أكثر بالمشاعر. وأن كانت إثارة الرجال تتم عن طريق المحفزات المرئية (أنظر متي ٥: ٢٨)، إلا أن إثارة النساء عن طريق العلاقات واللمس (أنظر كورنثوس الأولي ٧: ١). فيُجذب انتباه الرجال جنسياً للنساء اللواتي يحسنّ بأعينهم، في حين أن النساء ينجذبن جنسياً لإعجابهنّ بالرجال لأسباب أكثر من الجاذبية الجسدية. ولذلك الزوجات الحكيمات يفعلنّ كل ما بوسعهنّ ليرضينّ أزواجهنّ في كل حين. والأزواج الحكماء بدورهم يُظهرون مشاعراً عارمة تجاه زوجاتهم طوال الوقت عن طريق الضم وسلوكيات ذوات عواطف جمّة، بدلاً من التوقع من زوجاتهم أن "يُثاروا" بأي لحظة في نهاية اليوم.

فدرجة ازدياد الإثارة الجنسية لدى الرجل تحدث بازدياد السائل المنوي في جسده، في حين أن إثارة المرأة تزداد أو تنقص بناءً على دورة الحيض لديها. فالرجال لديهم القدرة على أن يُثاروا ويختبروا قمة النشوة الجنسية خلال ثواني أو دقائق، في حين أن النساء يستغرقنّ وقتاً أكثر للشعور بذلك. وإذ أن الرجل قد يكون مُستعداً للجماع جسدياً خلال ثوانٍ، غير أن جسد المرأة لربما يحتاج لمدة كنصف ساعة ليكون مُستعداً. فالأزواج الحكماء يستغرقون وقتاً أطول في المداعبات الجنسية كالفُبلات واللمسات لأماكن مُعينة في جسدها حتى يصبح جسدها مُستعد للجماع. وإن لم يعرف الرجل هذه المناطق، يجب أن يسأل زوجته. بالإضافة لذلك، يجب على الرجل أن يعرف أن لديه القدرة للوصول لقمة نشوة جنسي واحدة بينما زوجته لديها القدرة للمزيد. فعليه أن يهتم كي تتلقّى بما تشتهيّه.

فمن المهم للأزواج والزوجات المسيحيين أن يُناقشوا احتياجاتهم بأمانة مع بعضهم البعض وأن يتعلموا بقدر المستطاع ميزات الجنس الآخر. وعبر شهور وسنين من التواصل، والاكتشاف، والممارسة للعلاقة الجنسية بين الأزواج والزوجات يمكن أن لإضافة زيادة من البركات.

أطفال الأسرة المسيحية

يجب تهذيب الأبناء على إطاعة والديهم المسيحيين بخضوع كامل. وإن فعلوا ذلك سيحصلون على حياة طويلة وبركات أخرى كما وُعد لهم:

أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي (رَضَى) الرَّبِّ. فَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ: ^١

أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَهَذِهِ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ مُرْتَبِطَةٍ بِوَعْدٍ ^٢

لِكَيْ تُلَاقِيَ الْخَيْرَ وَتَبْطُولَ عُمُرُكَ عَلَى الْأَرْضِ! ^٣

(أفسس ٦: ١-٣)

فالآباء المسيحيين، كرؤوس العائلات، يُعطي لهم المسؤولية لتدريب أطفالهم:

وَأَنْتُمْ، أَيُّهَا الْآبَاءُ، لَا تُثِيرُوا غَضَبَ أَوْلَادِكُمْ. وَإِنَّمَا رَبُّهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَتَحْرِيسِهِ. (أفسس ٦: ٤).

لاحظ أن للآباء مسؤولية ثنائية تجاه أولادهم، للانضباط ولإرشادهم في الرب.

دعونا أولاً نأخذ بعين الاعتبار الحاجة لانضباط الأبناء.

انضباط الابناء

الطفل الغير مُنضبط سوف يكبر ويصبح إنساناً أنانياً ومتمرداً تجاه أي سلطة. فعلى الأطفال أن يُعاقبوا بكل مرة يتحدون فيها القوانين المنطقية التي تم وضعها مسبقاً من قبل الوالدين. ولا ينبغي معاقبتهم على أخطائهم أو على اللامسؤولية الصببانية، بل عليهم أن يواجهوا عواقب ذلك العبث الامر الذي سيساعد في إعدادهم لحقائق الحياة البالغة.

فالأطفال الصغار يجب أن يُضبطوا بكل طرق الضرب على الأرداف كما أرشدت كلمة الله. بينما الأطفال الجد صغار بالطبع لا يُضربون، لكن هذا لا يعني ان نعطيهم كل ما يريدونه. فمنذ يوم ميلادهم يجب أن يكون الامر واضحاً لهم بأن الأب والأم هما المسؤولان. فيمكن تعليمهم وفي سن صغير جداً أن معنى كلمة "لا" ببساطة تمنعهم من فعل ما يفعلوه أم ما هم على وشك أن يفعلوه. في حال علمهم معنى كلمة "لا"، عندها ضربة خفيفة على الأرداف ستعمل بشكل جيد بالمرات التي يرفضون الطاعة. وإن داومت على فعل ذلك باستمرار، عندها سيتعلم الأطفال الطاعة في سن صغير.

يمكنهم للوالدين أن يؤسسوا سلطتهم عن طريق عدم تعزيز السلوكيات الغير مرغوب بها من قبل أطفالهم، مثل إعطائهم ما يريدون في حال أن يفجرون في البكاء. فإن قام الوالدين بفعل ذلك، ستكون تلك طريقة لتعليمهم أن البكاء هو وسيلتهم لينالوا ما يريدون. أو إن أستجاب الوالدين لطلبات أطفالهم بكل مرة انفجروا بنوبة غضب وصراخ، فهؤلاء الوالدين في الحقيقة يشجعون أبنائهم على هذه السلوكيات الغير مرغوب فيها. الوالدين الحكيمين يكافئون أولادهم على السلوكيات المرغوب فيها فقط.

ضرب الأطفال لا ينبغي أن يكون مؤذي، لكن ليولد ألم كافٍ يجعل الطفل غير المُطيع يبكي لفترة قصيرة. بهذه الطريقة سيتعلم الطفل أن عدم الطاعة والألم هما امران مرادفان. والكتاب المقدس يؤكد ذلك:

مَنْ كَفَّ عَنْ تَأْدِيبِ ابْنِهِ يَمُوتُهُ، وَمَنْ يُحِبُّ ابْنَهُ يَسْعَى إِلَى تَأْدِيبِهِ. ٢٤

الْحَمَاقَةُ مُتَأَصِّلَةٌ فِي قَلْبِ الْوَلَدِ، وَعَصَا التَّأْدِيبِ تَطْرُدُهَا مِنْهُ. ١٥

لَا تَمْتَنِعْ عَنْ تَأْدِيبِ الْوَلَدِ. إِنْ عَاقَبْتَهُ بِالْعَصَا لَا يَمُوتُ. ١٣

اضْرِبْهُ بِالْعَصَا، فَتُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنَ الْهَافِيَةِ. ١٤

الْعَصَا وَالتَّأْنِيبُ يُثْمِرَانِ حِكْمَةً، لَكِنَّ الصَّبِيَّ الْمُهْمَلَّ يُخْجِلُ أُمَّهُ. ١٥

(أمثال ١٣: ٢٤؛ ٢٢: ١٥؛ ٢٣: ١٣-١٤؛ ٢٩: ١٥).

عندما يفرض الوالدين قوانينهم، عندها لن تكون لهما بعد أي حاجة لتهديد الأطفال لكي يجعلوهم مُطيعين. فإن لم يطع الطفل بتحدٍ، عندها يجب ضربه على الأرداف. وإن هدد أحد الوالدين بضرب الطفل بسبب عدم طاعته، بهذا يكون يُشجع طفله الاستمرار على عدم الطاعة. وكنتيجة لذلك، سيعلم الطفل ألا يطيع الى أن يهدد بكلام يصل لحد مُعين فقط.

وبعد الضرب يجب حضن الطفل وتأكيد حُب الوالدين.

دربوا الطفل

يجب على الوالدين المسيحيين أن يدركا انهما مسؤولين على تدريب أطفالهما، كما نقرأ في سفر الأمثال ٢٢: ٦: "دَرَّبِ الْوَلَدَ بِمُقْتَضَى مَوَاهِبِهِ وَطَبِيعَتِهِ، فَمَتَى شَاخَ لَا يَمِيلُ عَنْهَا". يجب

فالتدريب لا يشمل فقط العقاب على السلوك السيء بل المكافأة أيضاً على السلوك الحسن. فالأطفال يحتاجون لتقدير والديهم وبشكل مستمر بأن يُشجعوا السلوك الحسن والصفات المرغوب فيها. والأطفال يحتاجون أيضاً للتأكد بأنهم محبوبون، مقبولون ومُقدرون من قبل والديهم. يمكن للوالدين أن يُعربوا عن حُبهم بالتقدير، وبالضم، وبالقبلات، وعن طريق قضاء بعض الوقت مع الأطفال.

لـ "يُدرّب" يعني "جعله يطيع". فلذلك لا يجدر على الوالدين المسيحيين أن يعطوا فرصة حق الاختيار لأطفالهم، ليقرروا بأنفسهم إن أرادوا حضور الكنيسة، أو ان أرادوا الصلاة كل يوم وهكذا. فالأطفال غير مسؤولين بدرجة كافية ليعرفوا ما هو الأفضل لهم – ولذلك منح الله لهم والدين. والله قد وعد الوالدين الذين يضعون جهداً و طاقة ليروا أن أطفالهم مُتدربين جيداً، أن أطفالهم لن يعزفوا عن الذهاب في الطريق الصحيح عندما يكبرون، كما نقرأ في أمثال ٢٢: ٦.

ويجب إعطاء الأطفال مسؤوليات بتزايد كلما كبروا في العمر. فهدف الرعاية الأبوية الفعالة هو إعداد الأطفال على المسؤولية بالتدريج مع كبر سنهم. فكما ينمو الطفل، يجب أن يُعطى الحرية بالتدريج ليأخذ قراراته الخاصة. وبالإضافة إلى ذلك يجب على المُراهقين ان يقبلوا بمسؤولية عواقب قراراتهم ويعلموا أن الوالدان لن يكونا مُستعدين دائماً لدفع الغرامة لإطلاق سراحهم من السجن بسبب مشاكلهم.

مسؤولية الآباء للإرشاد

كما نقرأ في أفسس ٦: ٤، ١ ليس من مسؤولية الوالدين ضبط أولادهم وحسب، بل المتوقع منهما أن يرشدوهم في طرق الرب. تلك ليست مسؤولية الكنيسة أن تعطي إرشاد للأطفال على أخلاقيات حسب الكتاب المُقدس، ولا على الشخصية المسيحية، ولا باللاهوت – تلك هي مسؤولية الآباء. فمن الخطأ خطير أن الآباء يلقون المسؤولية على مُدرسي مدارس الأحد ليعلموا أطفالهم عن الله. فقد أمر الله شعب إسرائيل على لسان موسى قائلاً:

وَضَعُوا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أُوصِيَكُمْ بِهَا عَلَى قُلُوبِكُمْ،^٦

وَقُصُّوْهَا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَتَحَدَّثُوا بِهَا حِينَ تَجْلِسُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، وَحِينَ تَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُونَ،^٧
وَحِينَ تَنَهَضُونَ.

(تثنية ٦: ٦-٧).

فعلى الآباء المسيحيين أن يقدموا الله لأولادهم في سنٍ صغير، مخبريهم عن مدى حُبِّه لهم. فيجب تعليم الأطفال الصغار قصة ميلاد المسيح، وحياته، وقيامته. فالكثار من الأطفال يمكنهم فهم رسائل الإنجيل وفي سن الخامسة أو السادسة ويمكنهم أن يتخذوا قراراً لخدمة الرب. وقریباً بعد ذلك ويسن السادسة أو السابعة أو أصغر يمكنهم نوال معمودية الروح القدس مع الدليل وهو التكلم بالسنّة. وبالطبع ليس ثمة من قوانين صارمة لأن كل طفل يختلف عن الآخر. والاعتبار هنا أنه على الآباء المسيحيين أن يجعلوا تدريب أطفالهم أولوية أرضية.

القوانين العشر لمحبة أولادك

- ١) لا تثيروا غضب أولادكم (أنظر ٦: ٤). لا تتوقع من الأولاد البنات أن يسلكوا كالبالغين. فإن توقعت الكثير منهم، فسيتوقفون عن محاولاتهم لإرضائك، لعلمهم أن ذلك من المستحيل.
- ٢) لا تقارن أولادك بأولاد الآخرين. دعهم يعلمون تقديرك لقيمتهم ومواهبهم المَعطاة لهم من الله.
- ٣) أعطهم مسؤوليات في المنزل حتى يعلموا أنهم جُزء ذات أهمية في العائلة. فهذه الإنجازات هي أحجار البناء الصحي لاحترام الذات.
- ٤) أقضي بعض الوقت مع أطفالك. فهذا ما سيجعلهم يُدركون أنهم ذوات أهمية لك. فإعطائهم أشياء عينية لن تكون بدائل عن إعطاء نفسك لهم. زد على ذلك، أن الأولاد شديدي التأثير بمن يقضون أوقاتهم معهم.
- ٥) فإن كان عليك أن تقول شيئاً سلبياً، حاول أن تقوله بطريقة إيجابية. فلا أذكر انني قلت أبد لأولادي أنهم كانوا "سيئين" عندما لم يطيعوني، ولكن كنت أقول أبني "أنت حسن، والأولاد الجيدين لا يفعلوا ما فعلته أنت!" (وبعد ذلك أضربه على الأرداف).
- ٦) أدرك أن كلمة "لا" تعني "أنا أخاف عليك". عندما يفعل الأطفال ما يحلو لهم، ولا تقوم بتأديبهم عندها سيشعرون بأنك لا تخاف عليهم كفايةً.
- ٧) توقع من أولادك أن يتمثلوا بك. فالأولاد يتعلمون من آبائهم كقدوة يحتذوا بها. فالأب الحكيم لن يقول لابنه "افعل ما أقوله لك، ليس ما تراني فاعله".
- ٨) لا تدفع غرامات لتُخرج أولادك من كل مشاكلهم. قم بالالتقاط حجارة العثرات، ودع حجارة التخطي باقية في طريقهم.

٩) أخدم الله من كل قلبك. ما قد لاحظته هو أن الابناء لآباء ذوي إيمان ضعيف وفاتر نادراً ما يستمروا في خدمة الله في سن البلوغ. أما الاولاد المسيحيين ذوي الآباء غير المُخلّصين والاولاد ذوي الآباء المسيحيين مُكرسين بالكامل، دائماً ما يستمر أولئك الاولاد بخدمة الله "بعدما يغادرون العش".

١٠) عِلِّم أولادك كلمة الله. دائماً ما يضع الآباء أولوية للتعليم ولكن يفشلون في إعطائهم ما هو أهم من الثقافة العامة، الا وهو تعليمهم الإنجيل.

أولويات الخدمة والزواج والأسرة

ربما الخطأ الأكثر شيوعاً يُفعل من القادة المسيحيين، إذ أنهم يهملون زيجاتهم وأسرهم بسبب إخلاصهم لخدماتهم. ويبرروا ذلك بقولهم إنهم يضحون في سبيل "عمل الرب".

هذا الخطأ يمكن تقويمه عندما يُدرك الخادم المُتلمذ أن طاعته الحقيقية وخدمته لله تنعكس على علاقته مع زوجته وأبنائه. فالخادم الذي يدّعي أنه مُخلص لله ولا يُحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة، أو يتجاهل قضاء أوقات ضرورية مع أولاده ليتغذوا ويوعظوا من الرب.

فقد وَعدَ يسوع أن حملة خفيف ونيره هَيِّن (أنظر متي ١١: ٣٠). فهو لم يدعو أي خادم ليُظهر إخلاصاً تجاه العالم أو الكنيسة على حساب محبته لعائلته. وفي الحقيقة هناك مَطْلَب للشيخ وهو أن "يلتزم الشخص بإدارة منزله أولاً" (تيموثاوس الأولي ٣: ٤). فعلاقته مع عائلته تعتبر بمثابة اختباراً لصلاحيته في الخدمة.

أما الذين يقومون بخدمات السفر وعليهم قضاء مدة زمنية طويلة بعداً عن بيوتهم يجب عليهم أن يقضوا أوقاتاً مُكثفة مع عائلاتهم عندما يعودون لمنازلهم. وعلى أعضاء جسد المسيح أن يفعلوا كل ما في استطاعتهم ليجعلوا ذلك مُمكناً. فالخادم المُتلمذ يُدرك أن أبنائه هم تلاميذه الأساسيون. وإن فشل في هذه المهمة فلا حق له محاولة صنع تلاميذ خارج منزله.

الفصل الثاني والعشرون

كيف نُقاد بالروح القدس

How to be led by the Spirit

لقد ذُكرَ بإنجيل يوحنا العديد من وعود يسوع بخصوص دور الروح القدس في حياة كل مؤمن. دعونا نقرأ بعض منها:

وَسَوْفَ أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ مُعِيناً آخَرَ يَبْقَى مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ،^{١٦}
وَهُوَ رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ فِي
وَسْطِكُمْ، وَسَيَكُونُ فِي دَاخِلِكُمْ.

(يوحنا ١٤: ١٦-١٧)

وَأَمَّا الرُّوحُ الْقُدُسُ، الْمُعِينُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَإِنَّهُ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ
(يوحنا ١٤: ٢٦).

وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: مِنَ الْأَفْضَلِ لَكُمْ أَنْ أَذْهَبَ، لِأَنِّي إِنْ كُنْتُ لَا أَذْهَبُ، لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعِينُ. وَلَكِنِّي إِذَا
ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ.

وَصِيتِي لَكُمْ هِيَ هَذِهِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَنَا أَحْبَبْتُكُمْ.^{١٢}

لَيْسَ لِأَحَدٍ مَحَبَّةٌ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ: أَنْ يَبْذُلَ أَحَدٌ حَيَاتَهُ فِدَى أَجْبَائِهِ.^{١٣}

وَأَنْتُمْ أَجْبَائِي إِنْ عَمِلْتُمْ بِمَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ.^{١٤}

لَا أَسْمِيَكُمْ عِبِيداً بَعْدُ، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يُطْلِعُهُ سَيِّدُهُ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ. وَلَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَجْبَاءَ لِأَنِّي أَطْلَعْتُكُمْ عَلَى
كُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي.

(يوحنا ١٦: ٧، ١٢-١٥)

لقد وعدَ يسوع تلاميذه أنه سيسكن الروح القدس فيهم. ليساعدهم، ويعلمهم، ويُرشدهم، ويُرِيهم الأشياء
القادمة. ونحن اليوم كتلاميذ للمسيح لا يوجد لنا أي سبب للاعتقاد بأن الروح القدس سيتعامل معنا بأقل مما
وعد به يسوع تلاميذه.

ومن المدهش قول يسوع لتلاميذه أن ذاك من الأفضل لهم إن يتركهم، لأن بدون ذلك لن يأتي الروح القدس
ليسكن بهم! وقد أشار بذلك لهم أن إتباعهم للروح القدس يمكن أن يكون كما وكأنه بالفعل حاضر في
وسطهم. وإلا لما كان خيراً لهم أن يحل الروح القدس في وسطهم بدلاً من يسوع. وهكذا فإن يسوع دائماً
حاضر في وسطنا بالروح القدس.

بأي وسيلة يمكننا أن نتوقع قيادة الروح القدس لنا؟

اسمه بحد ذاته الروح **القدس** يُشير إلى أن الدور الأساسي له هو قيادتنا لنكون قديسين ومطيعين لله. ولذلك كل ما يتعلق بالقداسة وتحقيق إرادة الله على الأرض يتم فقط بنطاق إرشاد الروح القدس. فهو من سيقودنا لنطيع وصايا المسيح العامة كذاك وصياه الخاصة المتعلقة بالخدمة التي دعانا الله إليها. ولذلك إن أردت أن تُقاد بالروح القدس في خدمتك المُعينة، فلابد وأن تكون مُقاد بالروح في القداسة العامة. إذ لا يمكنك أن تنال واحدة من دون الأخرى. فالكثار من الخدام يريدون قيادة الروح القدس لخدمة عظيمة ومُعجزات، ولكن لا يهتمون بالعناصر الصغرى للقداسة العامة، وذاك خطأ عظيم. كيف كانت قيادة يسوع لتلاميذه؟ لقد كانت قيادته أساساً بإعطائهم إرشادات عامة في القداسة، ومقارنةً مع ذلك قد كانت قيادته المُحددة لمسؤوليات خدمتهم نادرة. وكذلك الأمر مع الروح القدس الساكن فينا. فإن أردت أن تُقاد بالروح، يجب عليك أولاً أن تتبع قيادته للقداسة.

فقد كتب الرسول بولس "فَإِنَّ جَمِيعَ الْخَاضِعِينَ لِقِيَادَةِ رُوحِ اللَّهِ، هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ" (رومية ٨: ١٤). فكوننا مُقادين بالروح القدس ذلك بعينه هو المؤشر على أننا ننتمي لأولئك المدعوين بأولاد الله. وهكذا فإن أولاد الله جميعاً مُقادون بالروح القدس. وبالطبع ذلك يرجع لنا كمخلوقات نتمتع بإرادة حرة، إلى أي مدى نطيع قيادة الروح.

ومع ذلك، المسيحي أياً كان ليس بحاجة لأحد ليُعلمها كيف يُقاد بالروح القدس، لأن الروح القدس هو فعلاً من يقود كل مسيحي. وبالمقابل فإن الشيطان يُحاول تضليل أبناء الله، ولا تنسى أننا مازلنا نملك الطبيعة الجسدية بداخلنا التي تحاول قيادتنا عكس إرادة الله، لذلك هناك حاجة للمؤمنين أن يعرفوا كيف يميزون قيادة الروح من بين القيادات الأخرى المختلفة. وهذه عملية في طريق طوري للنضوج. لكن الحقيقة الأساسية هنا هي أن الروح القدس دائماً ما يقودنا بتطابق ملائم لكلمات الله المكتوبة، وهو دائماً ما يقودنا إلى الحقيقة وإلى ما هو مُرضي للرب، الأمر الذي يعطي مجداً لله.

صوت الروح القدس

وعلى الرغم من أن الكتاب المُقدس يُخبرنا أن الروح القدس قد يقودنا أحياناً بطُرق علنية، كالرؤى والتنبؤ أو أصوات أخرى من الله، إلا أن الطريقة الأكثر مألوفة للروح القدس بها يتواصل معنا هي من خلال أرواحنا عن طريق "الانطباعات". هذا إن أراد الروح منا أن نفعل شيئاً، سيهزنا في أرواحنا وسنشعر قيادة الروح لنا لنتبعه في اتجاه مُعين.

ويمكن أن نُسمي صوت أرواحنا بـ "الضمير". فكل المسيحيون يعرفون ما هو صوت الضمير. وإن أغرينا لخطيئة ما، عندها لا نسمع صوتاً بداخلنا يقول "لا تخضع للتجربة"، ولكننا نشعر ببساطة شيئاً بداخلنا يُحارب التجربة. وإن استسلمنا للتجربة، وبعد أن نخطي، لن نسمع صوتاً داخلياً ما يقوله، "أنت أخطأت! أنت أخطأت!" لا، بل نشعر ببساطة باقتناع داخلي يقودنا للتوبة والاعتراف بخطايانا.

وبذات الطريقة سيعلمنا الروح القدس ويقودنا للحقيقة العامة والفهم. فسيعلمنا بإعطائنا رؤية مُفاجئة (دائماً بآية من الكتاب المقدس) بداخلنا. وفيما يمكن أن يستغرق عشرة دقائق لشرح هذا الاعلان لشخص ما، إلا أنه قد يحدث لنا في ثوانٍ معدودة.

وبنفس الطريقة سيقودنا الروح القدس في أمور الخدمة. لذلك علينا أن نبذل جهداً واعياً لأجل أن نكون حساسين تجاه هذه القيادات والانطباعات الداخلية، وسنتعلم تدريجياً (بالتجربة والخطأ) كيف نتبع الروح بخصوص الأمور المتعلقة بالخدمة. وسنجد أنفسنا متخذين قرارات خاطئة بما يتعلق وإرادة الله، عندما نسمح لعقولنا (بتفكيرنا العقلاني وغير العقلاني) أن تذهب في نفس الاتجاه لقلوبنا (حيث يقودنا الروح).

كيف قاد الروح يسوع

لقد كان يسوع مقادراً بالروح القدس عن طريق الانطباعات الداخلية. فعلى سبيل المثال، يصف إنجيل مرقس ما الذي حدث مباشرةً بعد المعمودية يسوع بالروح القدس التي تلت المعمديته من يوحنا:

وَفِي الْحَالِ اقْتَدَا الرُّوحُ يَسُوعَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ (مرقس ١: ١٢).

فلم يسمع يسوع صوتاً داخلياً ولم يرى رؤيةً قادته للبرية – فقد تم قيادته وببساطة للذهاب. وهكذا على الغالب يتعامل الروح القدس معنا بقيادته لنا. إذ سنشعر بانجذاب، وقيادة، واقتناع من داخلنا أن علينا أن نفعل شيئاً مُعيناً.

فعندما أخبر يسوع المشلول الذي تم إدلاءه عبر السقف " قد غُفرت لك خطاياك"، عندها كان يعلم يسوع في ذلك الحين ما الذي يدور في فكر الكتبة، عن أنه كان بنظرهم يُجذف. وكيف علِمَ ما كان في فكرهم؟ فنقرأ ذلك في إنجيل مرقس:

وَفِي الْحَالِ أَدْرَكَ يَسُوعُ بَرُوحِهِ مَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَسَأَلَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا الْأَمْرِ فِي قُلُوبِكُمْ؟ (مرقس ٢: ٨).

فقد علِمَ يسوع بالروح ما كانوا يفتكرون به. فإن حاولنا أن نكون حساسين للروح، لاستطعنا نحن أيضاً أن نُعطي اجابةً لمن يُعارضون عمل الله.

قيادة الروح في خدمة بولس الرسول

قد أمضى بولس الرسول عشرون عاماً ونيف في خدمته، حتى تعلم بصورة جيدة كيف يتبع قيادة الروح القدس. وقد أراه الروح بدرجة مُعينة "أشياء ستحدث في المُستقبل" مُتعلقة بالخدمة المُستقبلية. وعلى سبيل المثال، في حين كان بولس على شفى نهاية خدمته في أفسس، كانت له صورةً عن مسار خدمته وحياته في الثلاث سنوات القادمة:

وَبَعْدَ حُدُوثِ هَذِهِ الْأُمُورِ، عَزَمَ بُولُسُ عَلَى السَّفَرِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُرُوراً بِمَقَاطِعَتَي مَقْدُونِيَّةٍ وَأَخَائِيَّةٍ، قَائِلاً: لَا بُدَّ لِي بَعْدَ إِقَامَتِي فِيهَا مِنْ زِيَارَةِ رُومًا أَيْضاً (أعمال الرسل ١٩ : ٢١).

لاحظ أن بولس لم يهدف السير باتجاه ما قد نوى عليه في ذهنه ولكن ما في روحه. وهذا يُشير إلى أن الروح القدس كان يقوده بالروح ليذهب إلى مقدونية وأخائية (كلاهما تقعا في اليونان الحديثة)، وبعد ذلك الذهاب إلى أورشليم، وأخيراً إلى روما. وذلك كان بالضبط المسار الذي أتبعه بولس. وإن كان لديك خريطة في كتابك المقدس توضح رحلته الإرسالية الثالثة ورحلته إلى روما، يمكنك أن تتبع مساره من أفسس (حيث كان غرض الروح لهذا المسار) من خلال مقدونية وأخائية، إلى أورشليم وبعد عدة سنوات إلى روما.

وبتدقيق أكثر، مرَّ بولس بمقدونية وأخائية، وعاد مرة أخرى إلى مقدونية، سائراً حول بحر إيجه، وبعدها سافر نحو شاطئ إيجه في آسيا الصغرى. وأثناء رحلته توقف في مدينة ميليثس، إذ دعى شيوخ الكنيسة من الكنيسة القريبة في أفسس، وودعهم برسالة وداع موجهة إليهم:

وَأَنَا الْيَوْمَ ذَاهِبٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ، مَدْفُوعاً بِالرُّوحِ، وَلَا أَعْلَمُ مَاذَا يَنْتَظِرُنِي هُنَاكَ. ٢٢

إِلَّا أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَانَ يُعَلِّنُ لِي فِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَذْهَبُ إِلَيْهَا أَنَّ السِّجْنَ وَالْمَصَاعِبَ تَنْتَظِرُنِي. ٢٣

(أعمال الرسل ٢٠ : ٢٢-٢٣)

فقد قال بولس أنه كان "مُقيداً بالروح القدس"، يعني أنه كان مُقتنع بأن الروح كانت تقوده إلى أورشليم. فلم يدرك أنذاك الصورة بأكملها عما سيحدث معه عندما يصل إلى أورشليم، ولكنه ذكر أن في كل مدينة ذهب إليها أثناء رحلته، شهد الروح القدس أنه كانت هناك شدائد تنتظره. كيف "شهد" الروح القدس عن هذه الشدائد التي كانت تنتظره في أورشليم؟

مثالان

في الإصحاح ٢١ من سفر أعمال الرسل، نجد أن هناك ذكر لحادثتين وهما إجابة لهذا السؤال. المثال الأول عندما توقف بولس في مدينة صور على البحر المتوسط:

عِنْدَئِذٍ بَحَثْنَا عَنِ التَّلَامِيذِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَكَانُوا يَنْصَحُونَ بُولُسَ، بِالْهَامِ مِنَ الرُّوحِ، أَلَّا يَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ (أعمال الرسل ٢١ : ٤).

وبسبب هذه الآية الواحدة، استنتج بعض المُعلقين أن بولس لم يُطيع الله لإكمال الرحلة إلى أورشليم. ولكن على ضوء المعلومات التي أُعطيت لنا من سفر أعمال الرسل، لا يمكن لنا أن نستنتج استنتاجاً كهذا. ومع طور الأحداث سيصبح لنا هذا واضحاً.

وكما يبدو أن التلاميذ في صور كانوا حساسين وقد شعروا بأن هناك مشاكل تنتظر بولس في أورشليم. فقد حاولوا وباستمرار أن يقنعوه ألا يذهب. فترجمة ويليام للكتاب المقدس توضح ذلك، حيث يترجم هذه الآية: "بسبب الانطباعات التي صُنعت بالروح استمروا على تحذيره ألا يذهب إلى أورشليم."

غير أنه لم ينجح التلاميذ في صور على إقناعه وهكذا أكمل بولس رحلته إلى أورشليم على الرغم من تحذيراتهم له.

هذا يُعلمنا أنه ينبغي علينا أن نكون حريصين من مغبة إضافة تفسيرات شخصية على الرؤى التي نتلقاها من أرواحنا. فقد علّم بولس جيداً أن مشاكلاً كانت تنتظره في أورشليم، ولكنه قد علّم أن إرادة الله أن يستمر في رحلته بغض النظر عما سيحدث. فإن وضح الله شيئاً لنا بالروح القدس، وهذا لا يعني بالضرورة أنه يجب علينا أن نجهر به، ويجب علينا ألا نُضيف تفسيراتنا الخاصة لما أعلنه الروح لنا.

التوقف في قيصرية

الوقفة الثانية في رحلة بولس إلى أورشليم كانت على ميناء قيصرية:

فَبَقِينَا عِنْدَهُ عِدَّةَ أَيَّامٍ. وَبَيْنَمَا نَحْنُ هُنَاكَ جَاءَنَا مِنْ مِثْلَةِ الْيَهُودِيَّةِ نَبِيٌّ اسْمُهُ أَغَابُوسٌ.^{١٠}
فَأَخَذَ حِزَامَ بُولُسَ، وَقَيَّدَ نَفْسَهُ رَابِطاً يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ: يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدُسُ إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْحِزَامِ سَيَقِيدُهُ^{١١} الْيَهُودُ هَكَذَا فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى أَيْدِي الْأَجَانِبِ.

(أعمال الرسل ٢١: ١٠-١١)

وهنا نرى مثلاً آخر لشاهدة الروح القدس لبولس عن "السَّجَنَ وَالْمَصَاعِبَ" التي كانت تنتظره في أورشليم. لكن لاحظ أن أغابوس لم يقل "هكذا يقول الرب، لا تذهب إلى أورشليم!" لا، فقد كان الله هو الذي يقود بولس للذهاب إلى أورشليم وإن استخدم وبساسة تنبؤ أغابوس للمشاكل التي كانت تنتظره هناك. ولاحظ أن نبوءة أغابوس أكدت ما كان بولس يدري به بالفعل لمدة من شهور مضت. وعلينا ألا نُقاد بالنبوءة. وإن لم تؤكد النبوءة علمنا المسبق، لا ينبغي علينا إتباعها.

تعتبر نبوءة أغابوس ما يمكن اعتقاده أنها كانت "إرشاداً علنياً" لأنها تجاوزت الانطباع الداخلي بروح بولس. وحين يُرسل الله لنا "إرشاداً علنياً" كروية أو صوتاً مسموعاً، عادةً ذلك ما يحدث لأن الله يعلم أن طريقنا ليست بسيطة. فلحاجتنا من التأكيد المضاعف، هذا ما قد يجلبه الإرشاد العلني. وفي حالة بولس، كان تقريباً سيقتل من قبل عصابة أو سيقضي عدة سنوات كسجين في روما. وبسبب الإرشاد الرائع الذي تلقاه، جعله يبقى في حالة سلام أثناء كل هذا، عالماً أن النتيجة ستكون عظيمة.

فإن لم تتلقَ إرشاداً علنياً لا تقلق لأنه إن كنت بحاجة له، سيؤكد الله لك أنك ستتلقاه. لذلك علينا أن نكون حساسين لقيادة الشاهد الداخلي.

مُقيد بسلاسل وبارادة الله

قد تم اعتقال بولس وسجنه حالاً عند وصوله الى اورشليم، ومرة أخرى حصل على إرشاداً رائعاً في شكل رؤية ظهر له يسوع فيها:

وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ ظَهَرَ الرَّبُّ لِبُولُسَ وَقَالَ لَهُ: «تَسْجَعُ، فَكَمَا أَدَيْتَ لِي الشَّهَادَةَ فِي أُورُشَلِيمَ، لَا بُدَّ أَنْ تُؤَدِّيَهَا لِي فِي رُومًا أَيْضًا. (أعمال الرسل ٢٣: ١١)

ولاحظ أن يسوع لم يقل "والآن يا بولس، ماذا انت فاعل هنا؟ فقد حاولت أن أحذرك ألا تأتي إلى اورشليم!" لا، ولكن أكد يسوع ما قاد بولس طوال تلك الشهور السابقة. إذ كان بولس في مركز قصد الله لأجل اورشليم ليشهد ليسوع. وهو الذي في نهاية المطاف كان مزمعاً على أن يشهد للمسيح في روما أيضاً.

ويجب أن نتذكر أن الدعوة الأساسية لبولس ليس لشهادته عن المسيح لليهود والأمميين فقط، بل أمام الملوك أيضاً (أنظر أعمال الرسل ٩: ١٥). وأثناء سجن بولس في اورشليم وبعد ذلك في قيصرية، أُتيحت له الفرصة أن يشهد أمام الحاكم فيلكس، والوالي فسستوس، والملك أغريباس، الذي "كاد على وشك الاقتناع" بالإيمان بيسوع (أعمال الرسل ٢٦: ٢٨). وأخيراً أرسل بولس لروما ليشهد للإمبراطور الروماني.

في طريقه لرؤية نieron

في حين كان بولس مبحراً في السفينة إلى إيطاليا، تلقى ولمرة أخرى إرشاداً من الله لكونه حساساً للروح. وفيما كان قائد السفينة ومساعدته يحاولون تحديد مكان مرسى السفينة على شواطئ جزيرة كريت، عندها رأى بولس رؤية:

وَقَضَيْنَا هُنَاكَ مَدَّةً طَوِيلَةً، حَتَّى مَضَى الصَّيْفُ وَأَصْبَحَ السَّفَرُ فِي الْبَحْرِ خَطِراً إِذْ كَانَ الصَّوْمُ أَيْضاً قَدْ مَضَى، فَتَصَحَّ بُولُسُ بِحَارَةِ السَّفِينَةِ، قَائِلاً: أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَرَى فِي سَفَرِنَا الْآنَ خَطِراً وَخَسَارَةً عَظِيمَةً، لَا عَلَى السَّفِينَةِ وَحُمُولَتِهَا فَقَطْ، بَلْ عَلَى حَيَاتِنَا أَيْضاً.

(أعمال الرسل ٢٧: ٩-١٠)

فقد تلقى بولس علماً لما كان على وشك الحدوث. ومن الواضح أن تصويره كان رغم انطباعه بالروح.

وللأسف، لم يستمع قائد السفينة لما قاله بولس وحاول إرساء السفينة في ميناء آخر. وكنتيجة لذلك، غلقت السفينة بين الرياح الشديدة لمدة أسبوعين. وكان الموقف سيء لدرجة أن عمال السفينة ألقوا كل البضائع في البحر في اليوم التالي بسبب الرياح الشديدة، وفي اليوم الثالث ألقوا بعضاً من مُدعمات السفينة في البحر أيضاً. وفي وقت لاحق، حصل بولس على إرشاد أعمق:

وَكَانَتْ الْعَاصِفَةُ تَشْتَدُّ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، حَتَّى إِنَّا لَمْ نَرَ الشَّمْسَ وَلَا النُّجُومَ عِدَّةَ أَيَّامٍ، فَانْقَطَعَ كُلُّ أَمَلٍ فِي النَّجَاةِ.

وَكَانَ الْمُسَافِرُونَ قَدْ امْتَنَعُوا مُدَّةً طَوِيلَةً عَنِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ، فَتَقَدَّمَ بُولُسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ، كَانَ يَجِبُ أَنْ تَسْمَعُوا كَلَامِي وَلَا تَقْلَعُوا مِنْ كَرِيثٍ، فَتَسْلُمُوا مِنْ هَذَا الْخَطَرِ وَالْخَسَارَةِ..

وَلَكِنِّي الْآنَ أَدْعُوكُمْ لِتَطْمَئِنُّوا، فَلَنْ يَفْقِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَيَاتَهُ. وَلَكِنَّ السَّفِينَةَ وَحْدَهَا سَتَنْحَطِّمُ.

فَقَدْ ظَهَرَ لِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ مَلَائِكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَإِيَّاهُ أَخْدُمُ،

وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ يَا بُولُسُ! فَلَا بُدَّ أَنْ تَمُوتَ أَمَامَ الْقَيْصَرِ. وَقَدْ وَهَبَكَ اللَّهُ حَيَاةَ جَمِيعِ الْمُسَافِرِينَ مَعَكَ!

فَاطْمَئِنُّوا أَيُّهَا الرِّجَالُ، لِأَنِّي أَوْمِنُ بِاللَّهِ وَبِأَنَّ مَا قَالَهُ لِي سَيَتِمُّ.

وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ تَجَنِّحَ السَّفِينَةُ إِلَى إِحْدَى الْجُزُرِ.

(أعمال الرسل ٢٧: ٢٠-٢٦)

وأنا أعتقد ومن الواضح السبب الذي لأجله أعطى الله "إرشاداً علنياً" إضافياً لبولس على ضوء مآزقه الحالي. إذ وما يتعدى محنته الشخصية، واجه بولس كارثة غرق السفينة. وقريباً بعد ذلك سيعضه ثعبان مُميت (أنظر ٢٧: ٤١-٢٨: ٥). فمن اللطيف أن يكون لك ملاكاً يُخبرك أن كل شيء سيكون على ما يُرام!

بعض النصائح العملية

أبدأ البحث في روحك عن التصورات والانطباعات التي تعتبر قيادة الروح القدس. لربما وفي البداية ستخطأ بتمييزك مُعتقداً أنك مُقاد بالروح، لكن في الحقيقة أنت لست مقاداً بالروح. لا بأس! هذا أمر طبيعي، فلا تشعر بالإحباط لكن أستمِر في المحاولة.

وسيساعدك في ذلك أيضاً قضاء بعض الوقت في مكانٍ هادئ، مُصلياً باللسنة قارئاً للإنجيل. وعندما نُصلي باللسنة أخرى، فإن روحنا هو الذي يُصلي، ومن الطبيعي عندها ستكون أرواحنا حساسة أكثر. وبالقراءة والتأمل بكلمة الله، يمكن أن نصبح حساسين أكثر لأرواحنا لأن كلمة الله هي غذاء روحي.

فعندما يقودك الله في اتجاه مُعين، فإن قيادته لن تخيبك. وهذا يعني أن عليك أن تستمر في الصلاة بخصوص القرارات الكبيرة لمدة زمنية مُعينة لتتأكد بأن الله هو الذي يقودك وليس أفكارك أو عواطفك الشخصية. فإن لم يكن سلاماً في قلبك عندما تُصلي لأجل اتجاه مُعين، فلا تتخذ ذلك الاتجاه إلى أن يكون لك سلاماً في قلبك.

وإن تلقيت إرشاداً علنياً ذلك لأمر حسن، لكن لا تحاول أن تؤمن أنك رأيت رؤية أو سمعت صوتاً. فإله لم يعننا القيادة بهذه الأشياء (ولكنه يفعل ذلك أحياناً طبقاً لإرادته المستقلة). لذلك يمكننا أن نشق دائماً بأن الله سيقودنا عن الطريق الشهادة الداخلية.

وأخيراً، لا تُزِيد على ما قاله الله لك. فلربما يوحى الله لك بخدمة مُعِينِهِ كان يُعِدُّكَ لِأَجْلِهَا لِلْمُسْتَقْبَلِ، فلا تُخْمِن
أن وقت تحقيقها سيتم خلال أسابيع بينما في الحقيقة ستستغرق سنين لتتحقق. وأنا أعلم ذلك من خلال
خبرتي. فلا تفترض. فقد عِلِمَ بولس قليلاً عما يحمله المُسْتَقْبَلُ لَهُ ولكنه لم يعلم بكل شيء لأن الله لم يوحى
ذلك لَهُ.

يُرِيدُنَا اللهُ أَنْ نَسِيرَ بِالْإِيمَانِ لَطَامًا نَعِيشَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ.

الفصل الثالث والعشرون

الطقوس المقدسة

The Sacraments

لقد أعطي يسوع الكنيسة طقسين مُقدسَيْن وهما: المعمودية الماء (أنظر متي ٢٨ : ١٩) والعشاء الرباني (أنظر كورنثوس الأولى ١١ : ٢٣-٢٦). وسندرس أولاً المعمودية الماء.

في ظل العهد الجديد على كل مؤمن أن يختبر ثلاثة أنواع مُختلفة من المعموديات، ألا وهي: المعمودية المؤمن في جسد المسيح، المعموديته في الماء، ومعمودية الروح القدس.

فعندما يولد أحدهم الميلاد الثاني، عندها يتعمد مباشرةً في جسد المسيح -الكنيسة:

فَإِنَّا، بِالرُّوحِ الْوَّاحِدِ، قَدْ تَعَمَّدْنَا جَمِيعاً لِنَصِيرَ جَسَداً وَاحِداً (كورنثوس الأولى ١٢ : ١٣؛ أنظر أيضاً رومية ٦ : ٣؛ أفسس ١ : ٢٢-٢٣؛ كولوسي ١ : ١٨، ٢٤).

أما المعمودية الروح القدس فهي اختبار لاحق للخلاص وهذا النوع من المعمودية ممكن لا وبَل على كل مؤمن أن يتلقاها.

وأخيراً يجب على كل مؤمن أن يعتمد بالماء بأقرب وقت ممكن بعد توبته وإيمانه بالرب يسوع. فالمعمودية عليها أن تكون أول خطوة من طاعة لكل مؤمن جديد:

وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ، وَبَشِّرُوا الْخَلِيقَةَ كُلَّهَا بِالْإِنْجِيلِ: ١٥

مَنْ آمَنَ وَتَعَمَّدَ، خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَسَوْفَ يُدَانُ. ١٦

(مرقس ١٦ : ١٥-١٦).

فقد اعتبرت الكنيسة الأولى وصية يسوع للمعمودية مهمة جداً. وعلى التقريب وبدون استثناء، قد تم تعميد المؤمنين الجدد للتو بعد إيمانهم وقبولهم للمسيح (أنظر أعمال الرسل ٢ : ٣٧ : ٨ : ١٢-١٦؛ ٣٦-٣٩، ٩ : ١٧-١٩، ٤٤-٤٨، ١٦ : ٣١-٣٣، ١٨ : ٥-٨؛ ١٩ : ١-٥).

بعض الأفكار غير الكتابية عن المعمودية

يمارس بعضهم المعمودية عن طريق رش بعض القطرات من الماء على المؤمن الجديد. فهل هذا صحيح؟ الفعل يُعمد في الترجمة اليونانية للعهد الجديد هو بابتيزو، وهذه الكلمة حرفياً تعني "التغطيس". فهؤلاء الذين

تعمدوا بالماء، يجب أن يتم تغطيتهم تحت الماء وليس برش القليل من قطرات الماء. وأيضاً فإن رموز المعمودية المسيحية، والتي سندرسها بعد قليل، تُدعم فكرة التغطيس.

ويذهب آخرون ليمارسوا المعمودية الرُضّع، وعلى الرغم من انعدام أي مثال كتابي عن المعمودية الرُضّع. وأساس هذه المعمودية مأخوذ من عقيدة زائفة عن "التجديد بالمعمودية" – والفكرة أن الشخص يولد الميلاد الثاني في وقت المعمودية الماء. لكن الكتاب المقدس يُعلمنا بوضوح أن على الإنسان أن يؤمن بيسوع أولاً قبل أن يعتمد. ولذلك يكون الأولاد والبنات مؤهلين للمعمودية فقط بعد بلوغهم سن الوعي عندها يكونوا قادرين على التوبة وإتباع يسوع، وليس الأطفال الصغار والرُضّع من بيتهم.

وآخرون يُعلمون أنه وبالرغم من أيمان أحدهم، فهو لن يُخلص إلا إذا اعتمد بالماء. وهذا التعليم غير صحيح حسب ما قد جاء بالكتاب المقدس ففي أعمال الرسل ١٠: ٤٤-٤٨ و ١١: ١٧، نقرأ أن أهل كورنيليوس تم خلاصهم وتعميدهم من الروح القدس قبل أن يعتمد بالماء منهم أحداً. فمن المُستحيل لشخص أن يعتمد بالروح القدس إلا إذا كان قد خُصّ بالفعل (أنظر ١٤: ١٧).

والبعض الآخر يُعلم أن خلاص المؤمن مشروط بمعموديته، بمعنى آخر وحسب رأيهم الشخصي لن يكون مخلصاً إلا إذا اعتمد حسب النهج الذي يتبعونه. بينما لم يزودنا الكتاب المقدس بمنهج طقسي محدد لإتباع المعمودية الصحيحة. فعلي سبيل المثال، بعضهم يؤمن لن يُخلص شخص إن كان قد أعتد "باسم الأب والابن والروح القدس" (متي ٢٨: ١٩) ولكن يجدر أن يعتمد "باسم يسوع" (أعمال الرسل ٨: ١٦). أولئك يستعرضون ذات الروح التي طغت على الفريسيين، يصفون البعوض ويبتلعون الجمال. فمن المؤسف أن المسيحيين يتجادلون بصدد أي من الكلمات يترتب عليهم استخدامها أثناء المعمودية، في حين أن هناك عالم بأسره ينتظر سماع الإنجيل.

الرمزية الكتابية للمعمودية

ترمز المعمودية الماء لعدة أشياء قد حدثت بالفعل في الحياة الجديدة للمؤمن. فإنها وببساطة تمثل غسلنا من خطايانا وأنا نقف أنقياء الآن أمام الله. فعندما أرسل حنانيا لشاول (بولس) قريباً بعد تحوله، فقال له:

وَالآن لِمَاذَا تُبْطِيءُ؟ فَمُ تَعْمَدُ وَاغْتَسِلُ مِنْ حَطَايَاكَ، دَاعِيَا بِاسْمِ الرَّبِّ (أعمال الرسل ١٦: ٢٢).

ثانياً، المعمودية بالماء ترمز لهويتنا أي لانتمائنا الجديد للمسيح ولموته. ومنذ لحظة ميلادنا الولادة الثانية قد وُضعنا في جسد المسيح، ومنذ ذلك الحين نُعتبر أننا "في المسيح" أمام الله. ولأن يسوع هو بديلنا، لذلك فإن الله قد أعاز لنا كل ما فعله يسوع بالنيابة عنا. ولذلك "في المسيح" نحن مُتنا، ودُفنا، وقمنا من الأموات لنعيش كأنا جدد:

أَمْ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّنَا جَمِيعاً، نَحْنُ الَّذِينَ تَعَمَّدْنَا إِتِّحَاداً بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، قَدْ تَعَمَّدْنَا إِتِّحَاداً بِمَوْتِهِ؟³

وَبِسَبَبِ ذَلِكَ دُفْنَا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أَقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ، كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ نَحْنُ⁴ أَيْضاً فِي حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ.

(رومية ٦: ٣-٤).

فَقَدْ دُفِنْتُمْ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، وَفِيهَا أَيْضاً أَقِمْتُمْ مَعَهُ، عَنْ طَرِيقِ إِيْمَانِكُمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. (كولوسي ٢: ١٢)

لذلك ينبغي على كل مؤمن جديد أن يعلم هذه الحقائق المهمة عندما يعتمد بالماء، وعليه أن يعتمد بأقرب وقت ممكن بعد إيمانه بالمسيح.

العشاء الرباني

أساس العشاء الرباني يرجع الى عيد الفصح في العهد القديم. ففي الليلة التي خَلَصَ الله شعب إسرائيل من عبوديتهم بأيدي المصريين، أرشد الله كيف أن على كل بيت أن يذبح خروف ابن سنة واحدة ويرش دمانه على عتبة وقوائم باب البيت. وحين مرَّ "ملاك الموت" في تلك الليلة قاتلاً كل بكر من أبناء المصريين، وإذ رأى الدم على بيوت الإسرائيليين "فصح" أي تخطى عنها.

وبالإضافة لذلك، كان على شعب إسرائيل أن يحتفل معيداً في تلك الليلة، بأكلهم خروف الفصح وأيضاً الفطير لمدة سبعة أيام. وكان هذا عهداً دائماً لشعب إسرائيل، ليحتفلوا به في ذات الوقت من كل عام (أنظر خروج ١٢: ٢٨-١٢). ومن الواضح أن خروف الفصح كان يمثل المسيح، والذي ندعوه "فصحنا" في كورنثوس الأولى ٥: ٧.

فعندما مثل يسوع العشاء الرباني، كان هو وتلاميذه يحتفلون عيد الفصح. وقد صُلِبَ يسوع أثناء عيد الفصح، مُحَقَّقاً دعوته "هُوَ حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يُزِيلُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١: ٢٩).

فالخيز الذي نأكله والعصير الذي نشربه هما رمزان لجسد يسوع، الذي كُسِرَ من أجلنا، ودمه الذي سَفِكَ لإزالة خطايانا:

وَبَيْنَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ رَغِيفاً، وَبَارَكَ، وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ: خُذُوا، كُلُوا: هَذَا هُوَ جَسَدِي!

ثُمَّ أَخَذَ الْكَاسَ، وَشَكَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ»²⁷

فَإِنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَالَّذِي يُسَفِّكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا.²⁸

عَلَى أَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا حَتَّى يَأْتِيَ الْيَوْمُ الَّذِي فِيهِ أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي.

(متى ٢: ٢٦-٢٩)

فقد قال بولس الرسول عن هذا الأمر:

فَإِنِّي قَدْ تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُمْ لِيَّاهُ. وَهُوَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ، فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزاً،²³
وَشَكَرَ، ثُمَّ كَسَرَ الْخُبْزَ وَقَالَ: هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُكْسَرُ مِنْ أَجْلِكُمْ اَعْمَلُوا هَذَا لِذِكْرِي.²⁴
وَكَذَلِكَ أَخَذَ الْكَاسَ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَقَالَ: هَذِهِ الْكَاسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي اَعْمَلُوا هَذَا، كُلَّمَا شَرَبْتُمْ، لِذِكْرِي.²⁵
إِذَنْ، كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرَبْتُمْ هَذِهِ الْكَاسَ، تُعْلِنُونَ مَوْتَ الرَّبِّ، إِلَى أَنْ يَرْجِعَ.²⁶
(كورنثوس الأولى ١١: ٢٣-٢٦)

متي وكيف

لم يُخبرنا الكتاب المقدس كم من العادة علينا ان نشارك في العشاء الرباني، ولكن من الواضح أنه عادة ما تمت ممارسته في الكنيسة الأولى كوجبة طعام كاملة (أنظر كورنثوس الأولى ١١: ٢٠-٣٤). ولأن العشاء الرباني يرجع بأساسه لوجبة الفصح، فهو كان جزءاً من وجبة طعام كاملة عندما وضعه يسوع، وهكذا ينبغي ممارسته اليوم أيضاً. ومع ذلك الكثير من الكنائس يتبعون "عادات الناس".
علينا أن نتقرب الى العشاء الرباني بخشوع. فقد حذرنا الرسول بولس أنه خطأ عظيماً أن نشارك في العشاء الرباني من دون استحقاق:

فَمَنْ أَكَلَ الْخُبْزَ، أَوْ شَرَبَ كَاسَ الرَّبِّ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، يَكُونُ مُذْنِباً تُجَاهَ جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ.²⁷
وَلَكِنْ، لِيَقْصِرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَأْكُلْ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبْ مِنَ الْكَاسِ.²⁸
لَأَنَّ الْأَكْلَ وَالشَّارِبَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ الْحُكْمَ عَلَى نَفْسِهِ إِذْ لَا يُمَيِّزُ جَسَدَ الرَّبِّ.²⁹
لِهَذَا السَّبَبِ فِيكُمْ كَثِيرُونَ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمَرْضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْفُذُونَ.³⁰
فَلَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى نَفُوسِنَا، لَمَا كَانَ حُكْمَ عَلَيْنَا.³¹
وَلَكِنْ، مَا دَامَ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا، فَإِنَّا نُوَدِّبُ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ حَتَّى لَا نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ.³²
(كورنثوس الأولى ١١: ٢٧-٣٢)

وهكذا فنحن مُلزمون على أن نمتحن أنفسنا قبل أن نشارك في العشاء الرباني، وإن اكتشفنا أي خطية فينا، عندها علينا أن نعترف ونتوب عنها. وإلا فيمكن أن نكون "مُذنبين في جسد ودم الرب".
ولأن المسيح مات وسفك دمه من أجل خطايانا، فنحن بالتأكيد لا نريد أن نشارك في هذه العناصر، والتي تمثل جسده ودمه، مع علمنا لوجود أي خطيئة لم نعترف بها. فإن فعلنا ذلك، أي أكلنا وشربنا فنحن نجلب دينونة على أنفسنا في شكل مرض أو موت في سن صغير، كما ذكر بولس برسالته الى مسيحي كورنثوس. ولتجنب عقاب الله، علينا "اختبار أنفسنا"، والاعتراف والتوبة عن خطايانا.

فالخطيئة الأساسية التي أرتكبها أهل كورنثوس هي نقصهم للحُب، حيث كانوا يتشاحنون ويتصارعون مع بعضهم البعض. وفي الحقيقة أن نقصهم للاحترام قد ظهر جلياً أثناء العشاء الرباني، حيث أكل البعض لأنهم كانوا جائعين، والبعض كان يسكر (أنظر كورنثوس الأولى ١١: ٢٠-٢٢).

فالخبز الذي نأكله يُمثل جسد المسيح -الكنيسة. فنحن نُشارك رغيف خُبز واحد، كمثال لوحدتنا بجسد واحد (أنظر كورنثوس الأولى ١٠: ١٧). فيا لها من جريمة نرتكبها حين نشارك ما يمثل جسد المسيح الواحد حين نتشاجر ولا نندمج مع أعضاء آخرين في جسد المسيح! فقبل أن نُشارك في العشاء الرباني، علينا التأكيد من أن علاقتنا مع اخواننا وأخواتنا في المسيح سليمة لا غبار عليها.

الفصل الرابع والعشرون

المواجهة، الغفران، المصالحة

Confrontation, Forgiveness and Reconciliation

عندما درسنا عظة يسوع على الجبل في فصل سابق، قد تعلمنا أهمية الغفران لأولئك الذين يذنبون إلينا. وإنه إن لم نغفر لهم، عندها لن يغفر لنا الله كما وعد يسوع وبشكل قاطع (أنظر متى ٦: ١٤-١٥).

ما معنى الغفران للآخر؟ دعونا نلقي نظرة لما يُخبرنا الكتاب المقدس عن ذلك:

فقد شبه يسوع الغفران بمحي ديون شخص ما (أنظر متى ١٨: ٢٢-٣٥). تخيل أن شخصاً كان مديوناً لك بالمال وبعد فترة من الزمن أعفيتَه عن التزامه بسد دينه هذا لك، وقمت عندها بالقضاء على كل الوثائق التي تُثبت ذلك الدين. ولن تتوقع منذ ذلك الحين أنه سيدفع لك دينه البتة، ولم يعد يعتريك أي شعور من غضب إزاء ذلك الشخص. فإنك الآن ستراه بطريقة تختلف عما كنت تراه من قبل حين كان مديناً لك.

ويمكننا أن نفهم معنى الغفران، إن فهمنا معنى غفران الله لنا. فعندما يغفر الله لنا خطايانا، فهو لم يعد يعتبرنا مُحاسبين على المسبب للإساءة نحوه. فلم يعد غاضباً منا بسبب خطيئتنا. ولن يؤدبنا أو يُعاقبنا على ما فعلناه. فنحن الآن مصالحوه معه.

وبالمثل، فإني إذا غفرت لأحدهم، فسأحرر ذلك الشخص من قلبي، مُتغلباً على الرغبة للعدل أو للانتقام بإظهار الرحمة. فلن أعد غاضباً على من أذنب إليّ. فنحن الآن مصالحوه. وهكذا إذا استمر شعور من الغضب أو الضغينة يعتريني ضد شخص ما، هذا يعني انني لم أغفر له بعد.

كثيراً ما يخدع المسيحيون أنفسهم بهذا الامر. إذ يقولون إنهم غفروا لأحدهم، لأنهم على علم بأن ذلك امراً مفروض عليهم فعله، لكن بالحقيقة أنهم مازالوا يحملون الغضب أو الضغينة تجاه من أذنب إليهم. ولهذا يتجنبون رؤية ذلك المُذنب بحقهم لئلا يتسبب بإحضار الغضب لقلوبهم مرة أخرى. وأنا أعلم جيداً عما أتحدث، لأنني قد فعلت ذلك بنفسني من قبل. دعونا ألا نخدع أنفسنا. تذكر أن يسوع لا يريدنا أن نغضب على مؤمن آخر (أنظر متى ٥: ٢٢).

الآن دعوني أسألكم سؤالاً: لمن أسهل لك أن تغفر، هل لمُذنب قد طلب منك الغفران أم لمُذنب آخر لم يطلب الغفران؟ بالطبع جميعنا سنتفق على انه من السهل أن نغفر للمُذنب يعترف بخطيئته ويطلب غفراننا. ففي الحقيقة، يبدو أنه أسهل للغاية أن تغفر لشخص يطلب الغفران من أنك تغفر لآخر لم يطلبه. وأن تسامح شخصاً لم يطلب الغفران يبدو كالمُستحيل.

دعونا ننظر لهذا الموضوع من زاوية أخرى. إذا رُفضت المغفرة لمُذنب تائب ورفضت أيضاً لمُذنب لم يتب فذلك من الخطأ بكلا الحالتين، ولكن من منهما خطية أعظم؟ أعتقد أن جميعنا سنتفق على أن عدم الغفران للتائب يعتبر خطية أعظم.

مُفاجأة من الكتاب المقدس

كل ذلك يقودني لسؤال آخر: هل يتوقع الله منا أن نسامح كل من يُذنب إلينا، حتى هؤلاء الذين لا يتواضعون، ولا يعترفوا بخطاياهم ولا يطلبون الغفران؟

وحيث ندرس الكتاب المقدس عن كتب، سنكتشف ولمُفاجأة الكفار من المسيحيين، أن الإجابة هي "لا". ولأن الكتاب المقدس يذكر بوضوح، وعلى الرغم أنه علينا أن نُحب كل شخص حتى أعدائنا، لكن ليس مطلوب منا أن نسامح كل شخص. وعلى سبيل المثال، هل يسوع يتوقع منا أن نسامح مؤمناً قد أذنب إلينا؟ لا، هو لا يتوقع ذلك. وإلا فلن يُخبرنا أن نتبع الخطوات الأربع للتصالح المذكورة في

متى ١٨: ١٥-١٧، الخطوات التي تنتهي بحرمان من لا يعترف بأنه مُذنب:
إِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ، فَادْهَبْ إِلَيْهِ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَى انْفِرَادٍ. فَإِذَا سَمِعَ لَكَ، تَكُونُ قَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. ١٥
وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَخَاً آخَرَ أَوْ اثْنَيْنِ، حَتَّى يَثْبُتَ كُلُّ أَمْرٍ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. ١٦
فَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، فَاعْرِضِ الْأَمْرَ عَلَى الْكَنِيسَةِ. فَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ لِلْكَنِيسَةِ أَيْضاً، فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثْنِيِّ وَجَابِي الضَّرَائِبِ. ١٧

فمن الواضح إذا توصلنا الى الخطوة الرابعة وهي المقاطعة، ذلك يعني أن الغفران غير مؤكد للمُذنب، كما أن الغفران والمقاطعة هما أمرين مُتناقضان. ويبدو من الغريب أن سمعنا شخصاً يقول "نحن نسامحه وبعد ذلك نقاطععه"، لأن الغفران ينتج عنه تصالح، وليس مُقاطعة. (فماذا تعتقد إن قال الله "أنا أسامحك، ولكن لا أريد أن أتعامل معك بعد الآن"؟) فقد أخبرنا يسوع لتُعامل الشخص الذي تم حرمانه "كوثنى وكجاني الضرائب"، وهما فئتين من المجتمع لم يكن لليهود أي علاقة معهم وفي الحقيقة كانوا مكروهين.

وفي الأربعة خطوات التي ذكرها يسوع، الغفران غير مؤكد في البداية، وفي الخطوة الثانية أو الثالثة أيضاً إلا إذا أعترفت ذلك المُذنب. وإن لم يعترف بعد أي من تلك الخطوات، فسننتقل بكيفية التعامل معه للمرحلة التي تليها، حتى نصل لدرجة معاملته كمُذنب غير تائب.

و فقط في حالة ان المُذنب "يسمع كلمتك" (وهذا يعني أنه يتوب)، عندها يمكن أن يُقال أنك "ربحت أخاً لك" (أي بالمُصالحة)

فالغرض من المواجهة هو تأكيد حدوث الغفران. فالغفران مؤسس على توبة المُذنب. وبتتابع كهذا: (١) المواجهة على أمل في رغبة المُذنب (٢) التوبة حتى نستطيع (٣) الغفران له.

ومع كل ذلك، يمكن أن نقول وبكل تأكيد وببساطة أن الله لم يتوقع منا أن نسامح مؤمنين آخرين قد أساءوا إلينا ولم يتوبوا بعد المواجهة. وهذا بالطبع لا يعطينا الحق لأن نكره أي مؤمن مُذنب. وعلى العكس، علينا مواجهة ذلك المُذنب لأننا نُحبه ونريد أن نسامحه ونتصالح معه.

ومع أن كل الجهود تُبذل لأجل المُصالحة من خلال الخطوات الثلاث التي ذكرها يسوع، فإن الخطوة الرابعة تُنهي علاقة الطاعة في المسيح.^{٦٣} كما أنه من المفروض علينا ألا نتعامل مع المدعين أنهم مسيحيون لكن بالحقيقة هم زناة، سكارى، مثليين (شواذ) إلخ (أنظر كورنثوس الأولي ٥: ١١)، فلا يمكن أن نتعامل مع هؤلاء الذين يدّعون أنهم مسيحيون لكنهم يرفضون التوبة والاتفاق الكلي في الجسد. فهؤلاء أثبتوا أنهم ليسوا أتباعاً للمسيح، بل يجلبون اللوم على الكنيسة.

مثال الله

حيث نأخذ بالاعتبار على مدى بعيد مسؤوليتنا لغفران الآخرين، فلربما تتعجب كيف الله ان يتوقع منا فعل ما هو بذاته لا يفعله. فبال تأكيد أن الله يحب هؤلاء المُذنبين ويمد يد الرحمة ليسامحهم. فهو يحجب غضبه ويعطيهم فرصة للتوبة. ولكن الغفران الفعلي لهم مبني على توبتهم. فإله لن يُسامح المُذنبين إلا إذا تابوا. وعليه لماذا علينا أن نُفكر ان الله يتوقع منا أكثر من ذلك؟

وان كان المذكور أعلاه صحيح، أليس من الممكن أن تكون خطيئة عدم الغفران هي الأكثر فظاظة في عيني الله خاصة عدم الغفران للذين طلبوا عفونا؟ من المُدهش أن بعد ما ذكر يسوع الخطوات الأربع ، سألَهُ بطرس،

عُنْدِيذِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بَطْرُسُ وَسَأَلَهُ: «يَا رَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِيءُ إِلَيَّ أَخِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟»^{٢١}

فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: لَا إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ سَبْعِ مَرَّاتٍ!^{٢٢}

(متى ١٨: ٢١-٢٢)

أعتقد بطرس أن يسوع يتوقع منه غفران الأخ المُذنب مئات المرات عن مئات الخطايا في حين أن يسوع أعلمه قبل هذا بقليل أن يتعامل مع الأخ غير التائب كالأممي والجابي بسبب خطيئة واحدة؟ فهذا يبدو من غير المعقول. ولمرة أخرى نكرر، أنت لا تُعامل شخصاً بضغينة إذما غفرت لهم.

سؤالاً آخر لابد وأن يخطر ببالنا عندما نُفكر في ذلك: إن توقع يسوع منا أن نُسامح مؤمناً مئات المرات عن مئات الخطايا بدون توبته، ومع ذلك نحافظ على علاقتنا، فلما يسمح لنا إنهاء علاقة الزواج بسبب خطأ واحداً قد نقترفه، خطيئة الزنا، إن لم يتب الجانب المذنب (متى ٥: ٣٢)^{٦٤} ذلك سيبدو غير مُلائم.

^{٦٣} فستكون في مكانة سبب حرمان شخصاً قد تاب لاحقاً، فسيُتوقع يسوع منح الغفران لهم في ذلك اللحين.

^{٦٤} إن كان شريك الحياة الزاني مسيحياً، فيجب أن نتعامل من خلال الثلاث خطوات التي ذكرها يسوع للمُصالحة قبل الطلاق. وإن تاب الشريك الواني، فمن المتوقع منا أن نتوب طبقاً لما أوصانا به يسوع.

الصياغة

للتو بعدما طلب يسوع من بطرس أن يسامح أخاه أربعمئة وتسعون مرة، قال يسوع مثلاً ليساعد بطرس أن يفهم ما كان يعنيه:

لِهَذَا السَّبَبِ، يُشَبَّهُ مَلَكُوثُ السَّمَاوَاتِ بِإِنْسَانٍ مَلِكٍ أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ.^{٢٣}
فَلَمَّا شَرَعَ يُحَاسِبُهُمْ، أَحْضَرَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرَةِ أَلْفٍ وَرَنْةٍ.^{٢٤}
وَإِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يُوفِي بِهِ دَيْنَهُ، أَمَرَ سَيِّدُهُ بِأَنْ يُبَاعَ هُوَ وَرَوْجَتُهُ وَأَوَّلَادُهُ وَكُلُّ مَا يَمْلِكُ لِیُوفِيَ الدَّيْنَ.^{٢٥}
لَكِنَّ الْعَبْدَ خَرَّ أَمَامَهُ سَاجِداً وَقَائِلاً: يَا سَيِّدُ، أَمْهِلْنِي فَأُوفِيَ لَكَ الدَّيْنَ كُلَّهُ.^{٢٦}
فَأَشْفَقَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ عَلَيْهِ، فَاطْلَقَ سَرَاحَهُ، وَسَامَحَهُ بِالدَّيْنِ.^{٢٧}
وَلَكِنْ لَمَّا خَرَجَ ذَلِكَ الْعَبْدُ، قَصَدَ وَاحِداً مِنْ زُمَلَائِهِ الْعَبِيدِ كَانَ مَدْيُوناً لَهُ بِمِئَةِ دِينَارٍ. فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ^{٢٨}
بِخَنَاقِهِ قَائِلاً: أَوْفِنِي مَا عَلَيْكَ!
فَحَزَّ زَمِيلُهُ الْعَبْدُ أَمَامَهُ وَقَالَ مُتَوَسِّلاً: أَمْهِلْنِي فَأُوفِيَكَ!^{٢٩}
فَلَمْ يَقْبَلْ بَلْ مَضَى وَأَلْقَاهُ فِي السِّجْنِ حَتَّى يُوفِيَ مَا عَلَيْهِ!^{٣٠}
وَإِذْ شَاهَدَ زُمَلَاؤُهُ الْعَبِيدُ مَا جَرَى، حَزَنُوا جِداً، فَمَضَوْا وَأَخْبَرُوا سَيِّدَهُمْ بِكُلِّ مَا جَرَى.^{٣١}
فَاسْتَدْعَاهُ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ، ذَلِكَ الدَّيْنُ كُلُّهُ سَامَحْتُكَ بِهِ لِأَنَّكَ تَوَسَّلْتَ إِلَيَّ.^{٣٢}
أَفَمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَرْحَمَ زَمِيلَكَ الْعَبْدَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟^{٣٣}
وَإِذْ تَارَ غَضَبُ سَيِّدِهِ عَلَيْهِ، دَفَعَهُ إِلَى الْجَلَادِينَ لِيُعَذِّبُوهُ حَتَّى يُوفِيَ كُلَّ مَا عَلَيْهِ.^{٣٤}
هَكَذَا يَفْعَلُ بِكُمْ أَبِي السَّمَاوِيِّ إِنْ لَمْ يَغْفِرْ كُلُّ مَنْكُمُ لِأَخِيهِ مِنْ قَلْبِهِ!^{٣٥}

لاحظ أن العبد الأول قد أعفي عندما طلب من سيده أن يعفيه. ولاحظ أن العبد الثاني طلب باتضاع من العبد الأول أن يمنحه العفو، ولكن العبد الأول لم يستجب لطلبه، وذلك ما قد أغضب السيد. العبد الأول لم يمنح العبد الثاني ما هو بذاته قد أنعم به من قبل سيده. ومع هذا أعتقد بطرس أن يسوع توقع منه أن يغفر للأخ غير التائب الذي لم يطلب الغفران، وهو أمر لم يذكره يسوع في مثاله؟ ذلك يبدو من غير المعقول، لأنه قالها يسوع، كيف يمكن التعامل مع الأخ الغير تائب، بعد أن يتم مواجهته كالأممي أو كجابي الضرائب.

فيبدو من غير المعقول أن بطرس أعتقد أنه متوقع منه أن يسامح الأخ غير التائب على ضوء العقاب الذي وعد به يسوع إن لم تسامح من قلوبنا. فقد وعد يسوع أن يرجع لنا ديوننا التي تم غفرانها في السابق وليسلمنا للمُعذِّبين حتى تُسد كل ما كنّا مديونين به. فهل يكون عقاباً عادلاً بحق مسيحي لم يغفر لأخيه على ذنب علماً بأن الله بذاته لم يغفر لذلك الأخ؟ إذا أساء أخ لي فهو بذلك يخطئ ضد الله، والله لن يغفر له إلا إذا تاب. فهل من العدل معاقبتي على عدم غفراني لمن لم يغفر له الله؟

الخلاصة

إن توقعات يسوع من غفراننا للمؤمنين الآخرين قد ذكرها موجزاً بكلماته في إنجيل لوقا ١٧: ٣-٤:

خُذُوا الْجِدْرَ لَأَنْفُسِكُمْ: إِنْ أَخْطَأَ أَخُوكَ، فَعَاتِبْهُ. فَإِذَا تَابَ، فَاعْفُ لَهُ. ٣

وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَعَادَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ! فَعَلَيْكَ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ. ٤

ماذا يمكن أن يكون أوضح من هذا؟ فيسوع يتوقع منا أن نغفر للمؤمنين الآخرين عندما يتوبون. فعندما نُصلي، "أغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا"، فنحن نسأل من الله أن يفعل معنا ما نفعله نحن مع الآخرين. فلا نتوقع منه أن يغفر لنا إلا إذا طلبنا منه ذلك. فكيف لنا أن نعتقد أنه يتوقع منا أن نغفر لهؤلاء الذين لا يطلبون منا العفران؟

ولمرة أخرى أكرر، ذلك لا يعطينا الحق أن نحمل ضغينة ضد أخ أو أخت في المسيح من بين مَنْ أخطأوا بحقناً. فيتطلب علينا أن نحب بعضنا البعض. ولهذا يتطلب منا أن نواجه المؤمن الذي أخطأ ضدنا، فربما هذا يقود إلى المصالحة معه، ولربما يتصالح هو مع الله الذي أخطأ إليه أيضاً. هذا ما تفعله المحبة. ولكن دائماً ما يقول المسيحيين أنهم قد غفروا للمُذنب إليهم، ولكنهم فقط يحاولون أن يتجنبوا المواجهة. فهم في الحقيقة لم يغفروا وهذا واضح من سلوكياتهم. فيتجنبون المُذنب بكل الأشكال ودائماً ما يتحدثوا عن جروحهم. ما يبين أنه لم تكن هناك أي مُصالحة.

فإن أخطأنا، الله يوجهنا بروحه القدوس ذلك لأنه يحبنا ويريد أن يغفر لنا. وهكذا علينا أن نفتدي بمثاله، بمواجهة المؤمنين الذين أخطأوا إلينا بمحبة حتى يكون هناك توبة، وغفران، ومُصالحة.

فالله دائماً يتوقع من شعبه أن يحبوا بعضهم البعض حُباً حقيقياً، الحب الذي يعطي مكاناً للتوبيخ، ولكن لا يسمح بالضغينة. وفي شريعة موسى هناك وصية تقول:

لَا تُبْغِضَ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ، بَلْ إِذَا رَأَى تَنْذَرُهُ لِئَلَّا تَكُونَ شَرِيكاً فِي ذَنْبِهِ. ١٧

لَا تَنْقَمِ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، وَلَكِنْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَمَا تُحِبُّ نَفْسَكَ، فَأَنَا الرَّبُّ. ١٨

(لاويين ١٩: ١٧-١٨).

اعتراض

ولكن ماذا عن كلمات يسوع في مرقس ١١: ٢٥-٢٦؟ هل بذلك يشير أن علينا أن نُسامح كل شخص على كل شيء بغض النظر إن كان قد طلب الغفران أو لم يطلبه؟

وَمَتَّى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، وَكَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، فَاعْفُوا لَهُ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ ٢٥
زَلَايَكُمُ أَيْضاً.

وَلَكِنْ، إِنْ لَمْ تَغْفِرُوا، لَا يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَايَكُمُ. ٢٦

هذه الآية لا يمكنها ان تحل مكان الآيات التي تعرفنا عليها آنفاً المتعلقة بهذا الموضوع. فنحن نعلم بالطبع أن الله يحزن لرفضنا غفران شخص طلب منا المذرة. ولذلك يمكن أن تُفسر هذه الآية على ضوء الحقيقة حسنة التأسيس. فما يؤكد يسوع أنه علينا أن نغفر للآخرين إن أردنا لله أن يغفر لنا. فهو لم يعطينا آية محددة للغفران ولا ما عسانا فعله لتتلقاه من الآخرين.

لاحظ، لم يقل يسوع هنا أن علينا طلب الغفران من الله لكي ما يمنحنا إياه. فهل لنا إذاً أن نتجاهل كل ما يعلمه باقي الكتاب المقدس عن غفران الله المبني على طلبنا له (أنظر متي ٦: ١٢؛ يوحنا الأولى ١: ٩)؟

هل علينا الافتراض أننا لسنا بحاجة لطلب الغفران من الله عندما نُخطئ لأن يسوع لم يذكر ذلك؟ هذا سيكون استنتاج غير حكيم على غرار مجمل ما يُعلمنا إياه الكتاب المقدس. هكذا أيضاً ليس من الحكمة تجاهل كل ما يقوله الكتاب المقدس عن الغفران للآخرين بناءً على طلبهم الغفران.

اعتراض آخر

ألم يُصلِّ يسوع لأجل الجنود الذين اقتسموا ثيابه، "يَا أَبِي، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا يَفْعَلُونَ!" (أنظر لوقا ٢٣: ٣٤)؟ أهذا لا يُشير إلى أن الله يغفر لهؤلاء الذين لم يطلبوا الغفران؟

فهو كذلك ولكن لدرجة معينة. فهذا يُشير إلى أن الله يبيِّن رحمةً للجُهلاء بقدرٍ من الغفران. لأن الرب عادل، فهو يحمل الناس المسؤولية فقط عندما يُدركون أنهم يُخطئون.

فصلاة يسوع للجنود لم تمنحهم مكاناً في السماء – ولكن لتضمن فقط أن هؤلاء الجنود لن يُحاسبوا على اقتسامهم ثياب ابن الله، بسبب جهلهم له. فقد اعتبروه كأحد المجرمين الذي يستحق الصلب. ولذلك مدَّ الله رحمته على عمل يستحق حُكماً مؤكداً على أنهم ما كانوا يعلمون ماذا يفعلون.

ولكن هل صلى يسوع لمغفرة الله لأجل كل من هو مسؤول بطريقة أو بأخرى عن مُعاناته؟ لا، لم يفعل ذلك. بخصوص يهوذا على سبيل المثال، فقد قال يسوع عنه كَانَ خَيْرًا لِذَلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُؤْذَ (متى ٢٦: ٢٤). فبالأكيد لم يُصلِّ يسوع لأباه ليغفر ليهوذا. بل على العكس تماماً – لو أخذنا بالاعتبار مزمور ٦٩ و ١٠٩ كصلوات نبوية عن يسوع، كما فعل بُطرس (أنظر أعمال الرسل ١: ١٥-٢٠). فقد صلى يسوع لتحل الدينونة على يهوذا، الرجل المتعدي عن غير جاهلاً.

ولهؤلاء الذين يسعون للاقتياد بالمسيح، علينا أن نظهر رحمةً للجُهلاء ممن أساءوا معاملتهم لنا، كما الحال لغير المؤمنين مثل الجنود الجُهلاء غير المؤمنين الذين اقتسموا ثياب يسوع. ويتوقع يسوع منا أن نظهر رحمة عظيمة لغير المؤمنين، أن نُحب أعدائنا، وأن نفعل الخير لأولئك الذين يكرهونا، مُباركين لاعنيها

ومصلين لأجل الذين يهينونا (أنظر لوقا ٦: ٢٧-٢٨). فهكذا علينا أن نزيل كراهيتهم بمحبتنا، مُواجهين الشر بالخير. وهذا المبدأ تم وصفه حتى في ظل الشريعة الموساوية:

إِذَا صَادَقْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ جِمَارَهُ شَارِداً، فَرُدَّهُ إِلَيْهِ. ٤

وَإِذَا عَايَنْتَ جِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعاً تَحْتَ حِمْلِهِ، فَلَا تَتَجَاوَزَهُ حَتَّى تُسَعِفَ عَدُوَّكَ فِي حَلٍّ ثَقِيلٍ جِمَارِهِ. ٥

(خروج ٢٣: ٤-٥)

إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ، وَإِنْ عَطَشَ فَاسْقِهِ، ٢١

فَإِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعُ جَمِراً عَلَى رَأْسِهِ، وَالرَّبُّ يُكَافِئُكَ. ٢٢

(أمثال ٢٥: ٢١-٢٢)

ومن العجيب أنه على الرغم من وصية يسوع لنا بأن نُحب أعدائنا، وأن نفعل خيراً للذين يكرهونا، وأن نُبارك لاعيننا، وأن نُصلي من أجل الذين يُسيئون إلينا (لوقا ٦: ٢٧-٢٨)، فإنه لم يطلب منا أن نغفر لأي منهم. فيمكن لنا أن نُحب بعض الناس دون غفراننا لهم – كما أن الله يُحب كل الناس دون غفرانهم. ولا ينبغي علينا أن نُحبهم فقط، ولكن أن نحبههم هكذا كما أمرنا الله. وبإظهار حُبنا من خلال سلوكياتنا.

ولأن يسوع صلى لأجل الجنود الذين اقتسموا ثيابه هذا لا يثبت أن الله يتوقع منا أن نتجاهل كل ما درسناه في الكتاب المُقدس عن هذا الموضوع ونُسامح كل الذين يذنبون إلينا. فهو يعلمنا أن نغفر فقط لهؤلاء الغير مُدركين بخطيئتهم تجاهنا وأن نُظهر رحمة غير عادية تجاه غير المؤمنين.

وماذا عن يوسف؟

ودائماً استخدم مثال يوسف، الذي غفر بنعمة فياضة لإخوته الذين باعوه في سوق العبيد كصورة كيف ينبغي علينا أن نغفر لكل ولأي شخص يُذنب بحقنا، بغض النظر إن طلب الغفران أم لم يطلبه. ولكن هل هذا ما تُعلمنا قصة يوسف؟

لا، ليس على الإطلاق.

فقد وضع يوسف إخوته في اختبارات وتجارب لمدة لا تقل عن سنة ليصلهم الى احتاجهم للتوبة. حتى أنه قد سجن أحد إخوته لعدة شهور في مصر (أنظر تكوين ٤٢: ٢٤). وأخيراً عندما أدرك إخوته جميعاً ذنبهم الذي اقترفوه بحق اخيهم (أنظر تكوين ٤٢: ٢١؛ ٤٤: ١٦)، وبعدها قدّم أحدهم نفسه كفدية من أجل ابقاء الابن المُفضل على أبيهم (أنظر ٤٤: ٣٣) عندها علم يوسف أنهم تغيروا بشكل ملحوظ فهم ليسوا بعد رجالاً حسودون أنانيون كما كانوا عليه عندما

باعوه للعبودية. ذلك حدث فقط بعدما كشف يوسف عن شخصيته الحقيقية وتحدث معهم بكل برحمة بالرغم من كل ما كابده بسببهم. وإن لم يغفر لهم يوسف في الحال، فلربما لن يتوبوا أبداً. وهذه هي إحدى الأخطاء برسالة "الغفران الفوري لكل الناس" والتي تُعلّم في إيماننا. فالغفران لإخوتنا دون مواجهتهم ينتج عنها أمرين: (١) غفران زائف غير مُعد لأي مُصالحة، و(٢) مُذنبين غير تائبين وهكذا ينمون روحياً.

للممارسة ما جاء في متى ١٨ : ١٥-١٧

وعلى الرغم من أن الخطوات الأربع الذي ذكرها يسوع تبدو سهلة الفهم، على أنها أحياناً ممكن أن تكون أكثر تعقيداً في الممارسة. فعندما ذكر يسوع الخطوات الأربعة، فهو ذكرها من جانب أن الأخ "أ" مُقتنع وبحق أن الأخ "ب" قد أذنب بحقه. بينما يمكن في الحقيقة أن الأخ "أ" على خطأ. ولذلك دعونا نتصور الموقف في كل من احتمالاته الممكنة.

فإن كان الأخ "أ" على يقين بأن الأخ "ب" أخطأ بحقه، فيجب عليه أن يتأكد أولاً من أنه ليس شديد النقد، الامر الذي دفعه لأن يجد القشة التي في عين الأخ "ب". فيجب التعاضى عن العديد من الخطايا الصغيرة والتماس الرحمة (أنظر متى ٧ : ٣-٥). ولكن إن وجد الأخ "أ" أنه يشعر بالاستياء من الأخ "ب" بسبب خطيئة عظيمة، فيجب عليه أن يواجهه.

وعليه أن يفعل ذلك سراً، مُطيعاً وصية يسوع، مُظهراً محبته للأخ "ب". فعليه فعل ذلك بدافع المحبة وبهدف المُصالحة. ولا ينبغي أن يُخبر أي شخص آخر عن هذه الخطيئة. "لأنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ إِسَاءَاتٍ كَثِيرَةً" (بطرس الأولى ٤ : ٨). فإن كنا نُحب شخصاً ما، فلا نُفشي خطاياهم، ولكن نسترها.

فيجب أن تكون المواجهة بعطف مُظهراً محبة. ويجب أن يقول شيئاً مثل "أيها أخ "ب"، أنا أُثمن علاقتنا. ولكن شيئاً قد حدث وخلق حائطاً في قلبي ضدك. وأنا لا أريد هذا الحائط بيننا، ولذلك لا بد وأن أخبرك لما أشعر أنك أخطأت بحقي، لنتصالح. وإن فعلتُ شيئاً ما قد أضاف لهذه المُشكلة، أود منك أن تُخبرني." وبعد ذلك يجب أن تُخبر الأخ "ب" بعطف عن خطيئته.

ففي مُعظم الأحيان نجد أن الأخ "ب" لم يدري أنه أخطأ للأخ "أ"، وعندما يُدرك ذلك يطلب الغفران في الحال. وإن كان ذلك ما حدث فعلاً، فيجب على الأخ "أ" أن يغفر للأخ "ب" في الحال. وهنا تحدث المُصالحة.

وبموقف آخر قد يُحاول الأخ "ب" أن يبرر خطأه ضد الأخ "أ" مُخبراً إياه أن ذاك كان رد فعل لموقف آخر قد ارتكبه الأخ "أ" ضده. وفي هذه الحالة كان يتوجب على الأخ "ب" أن يواجه الأخ "أ". ولكن الآن وعلى الأقل قد فُتح باباً لبعض الحوار بينهما على أمل المُصالحة.

وفي هذه الحالة الجانب المُخطئ يجب أن يُحاور عما حدث ويعترف بخطيئته وبعد ذلك يتلقى الغفران. وهكذا يتم إعلان المُصالحة.

الموقف الثالث هو أن الأخ "أ" و "ب" غير قادرين على المُصالحة. بهذه الحالة كلاهما بحاجة للمُساعدة هذا ما يقودنا الى الخطوة الثانية.

الخطوة الثانية

من الأفضل للأخ "أ" والأخ "ب" أن يتفقا عمن يريدان أن يتدخل لمساعدتهما العمل نحو المُصالحة. فمن المحتمل أن يكون الأخ "ج" والأخ "د" على معرفة ومحبة لكلا من الأخوة "أ" و "ب"، وبالتالي ضمان حيادتهما. ويجب إعلام الأخ "ج" و "د" بالمشكلة فقط بسبب حُبهما وتقديرهما للأخوة "أ" و "ب".

وإن لم يتعاون الأخ "ب"، فيمكن للأخ "أ" أن يجد شخصاً أو أكثر للمساعدة.

وإن كان الأخ "ج" و "د" حكيماً، فلن يصدرا أي حُكم قبل أن يسمعا من كلا الجانبين "أ" و "ب". وعندما يصدر الأخ "ج" و "د" حُكمهما، يجب علي الأخ "أ" و "ب" أن يتبعا ذلك القرار ويعتذران ويقدمتا التعويضات الموصي بها لشخص نحو الآخر أو لكلاهما.

لا ينبغي على الأخ "ج" و "د" أن يُظهرا حيادية شخصية أكثر أو أقل محبذان أن كلا الأخوين "أ" و "ب" أن يتوبا في حين أن على أحدهما فقط أن يفعل ذلك. ويجب أن يعلما أنه إن رفض أي من الأخ "أ" أو "ب" للحكم، أن هذا سيأتي أمام الكنيسة بأكملها، وحكمهما الجبان سيُعلن لكل واحد. فمواجهة هذه الفتنة بواسطة "ج" و "د" كمحاولة للحفاظ على صداقة كل من "أ" و "ب" في التلاعب بالحقيقة ولهذا السبب يجب أن يكون هناك قاضيين ذلك أفضل من واحد، حيث كلاهما سيقوي أحدهما الآخر بالحقيقة. بالإضافة إلي أن قرارهما سيحملهما عبئاً أمام "أ" و "ب".

الخطوة الثالثة

فإن رفض أي من "أ" و "ب" حُكم "ج" و "د"، ستطرح المُشكلة أمام الكنيسة بجلتها. وهذه الخطوة الثالثة لا يتم مُمارستها في الكنائس المؤسسية – ولسبب حسن – حيث ينتج حتماً انقسامات داخل الكنيسة بسبب انحياز بعضهم لأحد الاطراف. يسوع لم يقصد للكنائس المحلية أن تكون أكبر مما يتناسب وحجم الكنائس البيئية. فهذه العائلة الكنسية حيث الجميع يعرف ويهتم بكل من "أ" و "ب" كما ذُكر في الكتاب المقدس بخصوص الخطوة الثالثة. واما في الكنيسة المؤسسية فيجب العمل بالخطوة الثالثة في إطار مجموعة صغيرة مكونة من أناس يحبون ويعرفون كل من "أ" و "ب". وإن كان "أ" و "ب" ينتميان لكنيستين مُختلفتين، فعليه مجموعة مؤلفة من كلتا الكنيستين أن تشارك في اتخاذ القرار.

وعندما تتخذ الكنيسة القرار، على الأخ "أ" و "ب" أن يقبلاه، عالمان بعواقب التحدي. فيجب أن يحدث اعتذار وتأكيد للغفران وحدث مُصالحة.

وإن رفض أي من "أ" أو "ب" الاعتذار، فيجب أن يُطرح خارج الكنيسة وعلى أعضاء الكنيسة أن تقطع كل علاقة معه. وعادةً ما يحدث إذا توصلنا إلى هذه المرحلة أن الشخص الممتنع عن التوبة يخرج نفسه طوعاً من الكنيسة، ولربما فعل ذلك من مدة طويلة قبلاً لعدم حصوله على ما يرغب بأي من خطوات ذلك الاجراء. وهذا يبين نقصه للمحبة الأصلية اتجاه الأسرة الروحية.

المُشكلة الشائعة

أما في الكنائس المؤسسية فبيغية تحاشي النزاعات يحسمون الموقف بمغادرة الكنيسة وبشكل طبيعي والذهاب لأخرى، هناك حيث القسيس يسعى لبناء مملكته بكل ثمن ولا علاقة له مع قسوس آخرين، فهو يقبل هؤلاء الأشخاص ليقف بجانبهم ويتعاطف مع قصصهم البائسة. فهذا النموذج يُستثنى فعلياً خطوات يسوع للمصالحة. ومن الطبيعي، وبعد مضي شهوراً أو ربما بضع سنوات حتى يُغادر ذلك الشخص بعينه الذي رُحب به ليذهب لكنيسة أخرى.

يتوقع يسوع من الكنائس أن تكون قليلة العدد لتتناسب وحجم بيت، وأن القسوس والشيوخ والأسقفين المحليون يعملون معاً في الجسد. ولذلك حرمان عضواً من الكنيسة سيكون حرماناً من كل الكنائس. فهي مسؤولة كل من القسوس والشيوخ والأسقفين ليسألوا المسيحيين القادمين للكنيسة عن كنيتهم السابقة وبعد ذلك الاتصال بقائده من الكنيسة السابقة للتساؤل فيما يجدر استقبال القادم الجديد بترحاب ام لا.

مقصد الله لأجل الكنيسة المقدسة

والمُشكلة الأخرى المتفشية في الكنائس المؤسسية هي أنها تحتوي دائماً على الكثير من الذين يذهبون للكنيسة لحب الظهور فقط، علاقاتهم مع الآخرين تكاد تكون معدومة وإن كانت فهي علاقات ذات طبيعة اجتماعية سطحية وحسب. ولذلك لا أحد (خاصةً القسيس) لديه أي علم عن نمط حياتهم، وهؤلاء هم الغير مُقدسين يجلبون وصمة عارٍ على الكنائس التي يترددون إليها. وهكذا يدين الغير مسيحيين من الناس الكنيسة بسبب هؤلاء الذين يتدعون بأنهم مسيحيين الا انهم في الحقيقة لا يختلفون عن غير المؤمنين.

وهذا إثبات لمن يريد، أنّ نظام الكنائس المؤسسية لم تكن قصد الله لكنيسته المقدسة. فالأشخاص غير المُقدسين والمرائيين يختبئون في الكنائس المؤسسية، ويجلبون اللوم على المسيح. ولكن مما قرأناه في

متي ١٨: ١٥-١٧، قصد يسوع لكنيسته أن تحتوي على أشخاص مُقدسين أعضاء مُلتزمين بهيئة تطهير الذات. وعندما ينظر العالم إلى الكنيسة سيراه عروسته النقية. ولكن اليوم يرون الزانية العظيمة، الغير مُخلصة لزوجها.

فقد كان القصد الإلهي لعامل التطهير الذاتي للكنيسة واضحاً عندما تكلم بولس ناقداً موقفاً في كنيسة كورنثوس، والمقصود بذلك العضو في الجسد الذي كان يعيش في علاقة زنا مع زوجة والده:

قَدْ شَاعَ فِعْلاً أَنَّ بَيْنَكُمْ زَنَى. وَمِثْلُ هَذَا الزَّنى لَا يُوْجَدُ حَتَّى بَيْنَ الْأُمَّمِ. ذَلِكَ بِأَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ يُعَاشِرُ زَوْجَةً أُبِيَهُ.^١

وَمَعَ ذَلِكَ، فَأَنْتُمْ مُنْتَفِعُونَ تَكْبَرًا، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَتَّخِذُوا حَتَّى يُسْتَأْصَلَ مِنْ بَيْنِكُمْ مُرْتَكِبُ هَذَا الْفِعْلِ!^٢
فَإِنِّي، وَأَنَا غَائِبٌ عَنْكُمْ بِالْجَسَدِ وَلَكِنْ حَاضِرٌ بَيْنَكُمْ بِالرُّوحِ، قَدْ حَكَمْتُ عَلَى الْفَاعِلِ كَأَنِّي حَاضِرٌ:^٣
بِاسْمِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِذْ تَجْتَمِعُونَ مَعًا، وَرُوحِي مَعَكُمْ، فَبِسُلْطَةِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ،^٤
تُقَرَّرُونَ تَسْلِيمَ مُرْتَكِبِ هَذَا الْفِعْلِ إِلَى الشَّيْطَانِ، لِيَهْلِكَ جَسَدُهُ؛ أَمَّا رُوحُهُ فَتَخْلُصُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ.^٥

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي رِسَالَتِي أَنْ لَا تُعَاشِرُوا الزُّنَاةَ.^٦
فَلَا أَغْنِي زُنَاةَ هَذَا الْعَالَمِ أَوْ الطَّمَاعِينَ أَوْ السَّرَّاقِينَ أَوْ عَابِدِي الْأَصْنَامِ عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ، وَإِلَّا كُنْتُمْ^٧
مُضْطَرِّينَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ!
أَمَّا الْآنَ فَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِأَنْ لَا تُعَاشِرُوا مَنْ يُسَمَّى أَخًا إِنْ كَانَ زَانِيًا أَوْ طَمَّاعًا أَوْ عَابِدَ أَصْنَامٍ أَوْ شَتَمًا أَوْ
سِكِّيرًا أَوْ سَرَّاقًا. فَمِثْلُ هَذَا لَا تُعَاشِرُوهُ وَلَا تَجْلِسُوا مَعَهُ لِتَتَأَوَّلَ الطَّعَامَ.^٨
فَمَا لِي وَلِلَّذِينَ خَارَجَ (الْكَنِيسَةِ) حَتَّى أَدِينَهُمْ؟ أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ تَدِينُونَ الَّذِينَ دَاخِلَهَا؟^٩
أَمَّا الَّذِينَ فِي الْخَارِجِ، فَاللَّهُ يَدِينُهُمْ. فَاعْزِلُوا مَنْ هُوَ شَرِيرٌ مِنْ بَيْنِكُمْ.^{١٠}
(كورنثوس الأولى ٥: ١-٥؛ ٩-١٣)

فلم تكن هناك أي حاجة للشروع بإجراءات الخطوات نحو المصالحة لأن ذلك الرجل ومن الواضح لم يكن مؤمنًا حقيقياً. فقد أشار إليه بولس "بالمُتدعي أخاً" و"الرجل الشرير". وبالإضافة إلى ذلك كتب بولس بعض الآيات لاحقاً،

أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَنْ يَرِثُوا مَلَكُوتَ اللَّهِ؟ لَا تَضِلُّوا: فَإِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ لَنْ يَرِثَهُ الزُّنَاةُ وَلَا عَابِدُو الْأَصْنَامِ^١
وَلَا الْفَاسِقُونَ وَلَا الْمُتَحَنِّنُونَ وَلَا مُضَاجِعِي الذُّكُورِ،
وَلَا السَّرَّاقُونَ وَلَا الطَّمَّاعُونَ وَلَا السِّكِّيرُونَ وَلَا الشَّتَّامُونَ وَلَا الْمُعْتَصِبُونَ.^{١٠}
(كورنثوس الأولى ٦: ٩-١٠)

ومن الواضح أن بولس كان على اقتناع تام بأن هؤلاء الفاسقين، كأمثال ذلك الرجل من كنيسة كورنثوس، خائني إيمانهم المزيف. كمثل هؤلاء يرفض معاملتهم كإخوة والسير معهم بالإجراءات نحو المصالحة من خلال الخطوات الأربعة. بل يجب أن يتم حرمانهم، "تسليمهم إلى الشيطان"، خشية أن تقوم الكنيسة بدعم ضلالهم الذاتي، وذلك لكي يكون لهم أملاً لرؤية حاجتهم للتوبة "ليخلصوا في يوم الرب يسوع" (كورنثوس الأولى ٥: ٥).

ففي الكنائس الكبرى حول العالم اليوم، هناك المئات من المسيحيين بالظاهر فقط، والذين حسب الكتاب المقدس غير مؤمنين ويجب أن يُحرموا منها. فالكتاب المقدس يقولها بوضوح لنا أن الكنيسة لديها مسؤولية حرمان أولئك الفاسقين الذين لا يريدون التوبة، زُناة، شواذ، وسكارى وغير ذلك. إذ عادةً ما يوضع هؤلاء تحت راية ما يدعوه "بالنعمة" في مجموعات تدعيمية بالكنسية لكي يشجعون من قبل "مؤمنون" ذوي مشاكل مُشابهة. وهذه هي إهانة لقوة الإنجيل المُحوّلة للحياة بيسوع المسيح.

سقوط قائد

وأخيراً هل ينبغي إعادة القائد التائب لمكانته إن سقط في خطيئة جدية للغاية (مثل الزنا)؟ فعلى الرغم من أن الرب سيسامح القائد التائب في الحال (وكذلك يجب على الكنيسة)، لكن بذلك يكون القائد التائب قد فقد ثقة أولئك الذين يخدمهم. فالثقة هي أمر لا بد أن يربحه المرء. ولذلك فعلى القادة الساقطين أن يتركوا مكانة القيادة طوعاً وان يخضعوا للرقابة الروحية الى أن يثبتوا جدارتهم بالثقة. فليبدؤوا من جديد. أما الذين يرفضون ذلك المسار لان يخدموا بتواضع وبطرق صغيرة لاسترجاع الثقة عندها لا يمكن اعتبارهم قادة لأي أحد في جسد الكنيسة.

الخلاصة

وهكذا فإن الخدام المُتلمذون مدعوين لـ "تَوَبَّحْ وَتَنذِرْ وَتَشَجَّعْ بِكُلِّ صَبْرٍ فِي التَّعْلِيمِ" (تيموثاوس الثانية ٤: ٢)، فدعونا لا نخجل من دعوتنا. دعونا نُعلم تلاميذنا أن يحبوا بعضهم البعض حقاً وأن يتحلوا دائماً بالصبر والرحوم، والمواجهة بعطف أن كان ذلك من الضرورة، وبالإضافة إلى المواجهة بمعونة آخرين إن كان لذلك حاجة، والغفران إن طُلب. وهو أفضل من الغفران الزائف الذي لا يجلب أي شفاء للعلاقات المنكسرة. دعونا نسعى لطاعة الرب في كل شيء لنُحافظ على طهارة وقداسة الكنيسة، لمجد اسمه!

ولدراسة أعمق عن المُصالحة وتأديب الكنيسة، أنظر رومية ١٦: ١٧-١٨؛ كورنثوس الثانية ١٣: ١-٣؛ غلاطية ٢: ١١-١٤؛ تيموثاوس الثانية ٣: ٦، ١٤-١٥؛ تيموثاوس الأولى ١: ١٩-٢٠، ٥: ١٩-٢٠؛ تيطس ٣: ١٠-١١؛ يعقوب ٥: ١٩-٢٠؛ يوحنا الثانية ١٠-١١.

الفصل الخامس والعشرون

تأديب الرب

The Discipline of the Lord

فَتَأْمَلُوا مَلِيًّا مَا قَاسَاهُ بِتَحْمَلِهِ تِلْكَ الْمُعَامَلَةَ الْعَنِيفَةَ الَّتِي عَامَلَهُ بِهَا الْخَاطِئُونَ، لِكَيْ لَا تَتْعَبُوا وَتَنْتَهَارُوا! ٣

لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى بَذَلَ الدَّمُ فِي مُجَاهَدَتِكُمْ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ. ٤

فَهَلْ نَسِيتُمْ الْوَعْدَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ بِوصْفِكُمْ أَبْنَاءَ لَهُ؟ إِذْ يَقُولُ: يَا ابْنِي، لَا تَسْتَخِفَّ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ. وَلَا ٥ تَفْقِدِ الْعَزِيمَةَ حِينَ يُوبِّخُكَ عَلَى الْخَطَا.

فَإِنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ. وَهُوَ يَجْلِدُ كُلَّ مَنْ يَتَّخِذُهُ لَهُ ابْنًا! ٦

إِذَنْ، تَحْمَلُوا تَأْدِيبَ الرَّبِّ. فَهُوَ يُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ الْأَبْنَاءِ: وَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ ٧

فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَتَلَقَّوْنَ التَّأْدِيبَ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ أَبْنَاءُ اللَّهِ جَمِيعًا، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ شَرِّعِيْنَ لَهُ. ٨

إِنَّ آبَاءَنَا الْأَرْضِيِّينَ كَانُوا يُؤَدِّبُونَنَا وَنَحْنُ أَوْلَادٌ، وَكُنَّا نَحْتَرِّمُهُمْ. أَفَلَا يَجْذُرُ بِنَا الْآنَ أَنْ نَخْضَعَ خُضُوعًا ٩ تَامًّا لِتَأْدِيبِ أَبِي الْأَرْوَاحِ، لِنَحْيَا حَيَاةً فَضْلَى؟

وَقَدْ أَبْنَيْنَا آبَاؤُنَا فَنَزَرَةً مِنَ الزَّمَانِ، حَسَبَ مَا رَأَوْهُ مُنَاسِبًا. أَمَّا اللَّهُ، فَيُؤَدِّبُنَا دَائِمًا مِنْ أَجْلِ مَنَفَعَتِنَا: لِكَيْ ١٠ نَشْتَرِكَ فِي قِدَاسَتِهِ.

وَطَبْعًا، كُلُّ تَأْدِيبٍ لَا يَبْدُو فِي الْحَالِ بَاعِثًا عَلَى الْفَرَحِ، بَلْ عَلَى الْحُزْنِ. وَلَكِنَّهُ فِيمَا بَعْدُ، يُنْتِجُ بَسَاطَةً فِي ١١ الَّذِينَ يَتَلَقَّوْنَهُ ثَمَرَ الْبِرِّ.

لِذَلِكَ، شَدِّدُوا أَيْدِيَكُمْ الْمُرْتَحِيَةَ، وَرَكِّبْكُمْ الْمُنْحَلَّةَ. ١٢

وَمَهِّدُوا لِأَقْدَامِكُمْ طُرُقًا مُسْتَقِيمَةً، حَتَّى لَا تَنْحَرِفَ أَرْجُلُ الْعُرْجِ، بَلْ تُشْفَى! ١٣

(عبرانيين ١٢: ٣-١٣)

حسب ما جاء في سفر العبرانيين، يؤدب أبونا السماوي جميع أولاده. وإن لم يؤدبنا الرب، لما اعتُبرنا من أحد أولاده. ولذلك نحن بحاجة لأن نكون مُدركين وحساسين لتأديبه. فبعضهم من يركزون على بركات الله وخيراته فقط، ويترجموا كل الظروف السلبية التي يمرون بها على أنها هجمات شيطانية خالية من أي مقصد إلهي، هذا قد يكون خطأ عظيمًا إن شاء الله بذلك أن يقودهم للتوبة عن طريق تأديبه لهم.

فإن الآباء الأرضيين الجيدين منهم يُؤدبون أولادهم آملين من أولادهم أن يتعلموا، وينموا، ويكونوا مُستعدين لمسؤوليات الحياة. هكذا بالمثل يؤدبنا الله لكي ننمو روحياً ونصبح نافعين نحسن خدمته، وعلى استعداد تام للوقوف أمام عرش دينونته. فهو يؤدبنا لأنه يحبنا، ولأنه يرغب أن نشارك بقداسته. فأبانا السماوي يحبنا

مُكرساً ذاته لأجل نمونا الروحي. يقول الكتاب المقدس "أَنَّ الَّذِي بَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا سَوْفَ يُنْتَمِمُهُ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ." (فيلبي ١ : ٦)

وكما أنه لا يستمتع الطفل حين يضربه أبوه، كذلك نحن ساعة تأديب الله لنا، لن يكون ذلك اختباراً سعيداً البتة بل مؤلماً، كما قرأنا قبلاً. ولكن نتيجة التأديب تكون في النهاية للأفضل: "ثمره السلام للبر".

كيف ومتى يؤدبنا الله؟

كأي أب صالح، الله يؤدب أولاده فقط عندما يرفضون طاعته. فحين تُعصي الرب عندها سنكابذ خطر معاناة تأديبه. فإله رحوم طويل الأناة، ويعطينا وقتاً كافياً للتوب. إلا انه عادة ما يؤدبنا بعدما نُكرر سلوكنا العصياني مُتجاهلين تحذيراته.

كيف يؤدبنا الله؟ كما تعلمنا في فصل سابق، أن تأديب الله يأتي على شكل ضعف، أو مرض، أو موت في عُمر صغير:

لِهَذَا السَّبَبِ فِيكُمْ كَثِيرُونَ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمَرْضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْفُودُونَ.^{٣٠}

فَلَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى نَفْسِنَا، لَمَا كَانَ حُكْمَ عَلَيْنَا.^{٣١}

وَلَكِنْ، مَا دَامَ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا، فَإِنَّا نُؤَدِّبُ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ حَتَّى لَا نُذَانَ مَعَ الْعَالَمِ.^{٣٢}

(كورنثوس الأولى ١١ : ٣٠-٣٢)

فليس من الصواب الاعتقاد أن كل مرض هو نتيجة لتأديب الله (فحالة أيوب تشهد عكس ذلك). فإن ابتلى أحدهم بمرض ما، فمن الحكمة اجراء فحصاً روحياً، لنكشف إذا ما قد فتحنا باباً لتأديب الرب من جرّاء عدم الطاعة.

ويمكننا تجنب حكم الله إن قمنا بحكمنا على أنفسنا – وذلك بمعرفتنا لخطيئتنا والتوبة عنها. ومن المنطقي أن نستنتج ترشيحنا للشفاء عندما نتوب، هذا إن كان حدوث المرض نتيجة تأديب الله لنا.

أما عن حكم الله، فقد قال بولس الرسول أننا في الحقيقة نتجنب الدينونة مع العالم "نُؤَدِّبُ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ حَتَّى لَا نُذَانَ مَعَ الْعَالَمِ". فماذا كان يقصد؟ بهذا أراد أن يقول أن تأديب الله يقودنا إلى التوبة حتى لا نذهب للجحيم مع العالم. ولكن يصعب على البعض قبول ذلك من الذين يعتقدون أن القداسة أمرٌ اختياري لمن يسيرون في طريقهم للسماء. لكن أولئك الذين قرأوا عظة يسوع على الجبل يعلمون، أنه فقط مَنْ يطيع الله سيدخلون ملكوت السماوات (أنظر متى ٧ : ٢١).

ولكن إن أستمرينا في الخطيئة ولم نتب، فنحن نُخاطر بخسارة الحياة الأبدية. فالمجد للرب على تأديبه الذي يقودنا للتوبة ليحفظنا من الجحيم.

الشيطان كأداة لقضاء الله

وعن دور الشيطان فقد أوضحت بعض آيات الكتاب المقدس أن الله قد يستخدم الشيطان لأغراضه التأديبية. فعلى سبيل المثال، في مثل الخادم الغير مُسامح في متى ١٨، قال يسوع أن سيد ذلك الخادم قد امتلئ بالغضب عندما عَلِمَ بأن العبد الذي عُفِرَ له لم يغفر للعبد الآخر. وكنتيجة لذلك سُلِمَ العبد الغير غافر "وَدَفَعَهُ إِلَى الْجَلَادِينَ لِيُعَذِّبُوهُ حَتَّى يُوفِيَ كُلَّ مَا عَلَيْهِ" (متى ١٨: ٣٤). وقد أنهى يسوع المثل بهذه الكلمات:

هَكَذَا يَفْعَلُ بِكُمْ أَبِي السَّمَاوِيِّ إِنْ لَمْ يَغْفِرْ كُلُّ مِنْكُمْ لِأَخِيهِ مِنْ قَلْبِهِ! (متى ١٨: ٣٥).

فمن هم المُعذِّبين؟ فمن المعقول أن يكون المُعذِّبين هم الشيطان وجنوده. وقد يسلم الله أحد أبنائه من بين الغير مُطيعين للشيطان بغية أن يقوده ذلك للتوبة. فأن المشقات والمصائب ما هي إلا طرق لإقدام بعض الناس ليد التوبة. كما تعلم الأبْن الضال (أنظر لوقا ١٥: ١٤-١٩).

ونجد في العهد القديم أمثلة عن استخدام الله للشيطان أو للأرواح الشريرة لتأديب أو ليُدين أشخاصاً يستحقون عقابه. إحدى هذه الأمثلة نجدها في الإصحاح التاسع من سفر القضاة، إذ نقرأ: "وَمَا لَبِثَ الرَّبُّ أَنْ جَعَلَ الْعَلَاقَةَ تَسُوءُ بَيْنَ أَبِيمَالِكَ وَأَهْلِ شَكِيمَ، فَخَانَ أَهْلُ شَكِيمَ أَبِيمَالِكَ" (قضاة ٩: ٢٣) ليُدينهم لأعمالهم الشريرة ضد أبناء جدعون.

والكتاب المقدس يقول أيضاً أنه قد "فَارَقَ رُوحُ الرَّبِّ شَاوُلَ وَهَاجَمَهُ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ رُوحٌ رَدِيءٌ يُعَذِّبُهُ" (صموئيل الأول ١٦: ١٤).

ففي كلا المثالين من الكتاب المقدس يقول إنه تم "إرسال الأرواح الشريرة من الله". ولكن هذا لا يعني أن هناك أرواح شريرة في السماء مُنتظرة لخدمته. ولكن على الأرجح أن الله يسمح لبعض الأرواح الشيطانية الشريرة أن تسبب مرضهم بمحدودية معينة على أمل توبة الخطة من خلال مصائبهم.

وسائل أخرى للتأديب الالهي

ونجد أيضاً في ظل العهد القديم، أن الله كان دائماً يؤدب شعبه بطرق عدة مثل سماحه للأوبئة أو بان يقعوا تحت حكم الأمم المُعادية. وبنهاية المطاف كانوا يتوبون وعندها يتدخل لإنقاذهم من أيدي أعدائهم. وإذا ما أبوا التوبة بعد سنوات من إنذاراته لهم، عندها سمح الله لأمة مُعادية لتسود على شعبة بسلطة كاملة وأن تنفيهم خارج بلادهم.

والآن في ظل العهد الجديد قد يقوم الله بتأديب أولاده الغير مُطيعين بسماحه لبعض المشاكل في حياتهم، أو السماح لأعدائهم أن يتحكموا بهم. فعلى سبيل المثال، ذكر الكتاب المقدس تأديب الله لأولاده والذي تطرقنا له في بداية هذا الفصل (عبرانيين ١٢: ٣-١٣) ونجد في وسط المؤمنين العبرانيين ممن قد أضطهد من أجل إيمانهم. فلا يُسمح بالاضطهاد على الإطلاق لعلّة عدم الطاعة. لذلك يجب الحُكم على كل حالة بمفردها.

الرد الصحيح على تأديب الله

حسب النصائح التي ذكرناه في بداية هذا الفصل، يمكن لردود الفعل لتأديب الله تكون خاطئة بطريقة من الاثنين. فلربما يكون رد فعلنا اننا "نستخف بتأديب الله" أو أن "نفقد العزيمة بسبب توبيخ الله" (عبرانيين ١٢: ٥). وإن "استخفينا" بتأديب الله، هذا يعني أننا لا ندرك ونتجاهل تحذيراته. أما فقدان العزيمة لتأديب الله يعني أننا فقدنا الأمل في محاولات إرضائه، لأننا نضن أن تأديبه جد قاسي. وكلا الردان هما على خطأ. عندما نعلم أن الله يحبنا وأن تأديبه لصالحنا، عندما ندرك يده المحبة لتأديبنا، عندها علينا أن نتوب ونتلقى الغفران.

وعندما نتوب فلنتوقع فرجاً من تأديب الله لنا. مع انه لا ينبغي لنا أن نتوقع التخفيف من العواقب الحتمية لخطايانا، لكن يمكن ان نطلب من الرب الرحمة والمُساعدة. فإله يسمع للرجل المتواضع ومُنسحق الروح (أنظر أشعيا ٦٦: ٢). فالكتاب المقدس يعد بـ "فَإِنَّ غَضَبَهُ يَدُومُ لِلْحَظَّةِ، أَمَّا رِضَاؤُهُ فَمَدَى الْحَيَاةِ. يَبْقَى الْبُكَاءُ لِلَّيْلَةِ، أَمَّا فِي الصَّبَاحِ فَيَعُمُّ الْابْتِهَاجُ" (مزامير ٣٠: ٥).

وبعد أن وقع حُكمه على شعب إسرائيل، كان وعد الله:

لَقَدْ هَجَرْتُكَ لَحَظَةً، وَلَكِنِّي بِمَرَاحِمٍ كَثِيرَةٍ أَجْمَعُكَ.^٧

فِي لَحَظَةٍ غَضَبٍ جَامِحٍ حَبَبْتُ وَجْهِي عَنْكَ، وَلَكِنِّي بِحُبِّ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكَ، يَقُولُ الرَّبُّ قَادِيكَ.^٨

(أشعيا ٥٤: ٧-٨).

فإله صالح ورحوم!

ولدراسة أعمق عن تأديب الله، أنظر كورنثوس الثانية ٦: ٢٤-٣١، ٣٦-٣٩؛ ٧: ١٣-١٤؛ مزامير ٧٣: ١٤

٩٤: ١٢-١٣؛ ١٠٦: ٤٠-٤٦؛ ١١٨: ١٨؛ ١١٩: ٦٧، أرميا ٢: ٢٩-٣٠؛ ٥: ٢٣-٢٥؛ ١٤: ١٢؛ ٣٠:

١١؛ حجي ١: ٢-١٣؛ ٢: ١٧؛ أعمال الرسل ٥: ١-١١؛ رؤيا ٣: ١٩.

الفصل السادس والعشرون

الصيام

Fasting

الصيام هو الامتناع الطوعي والفعلي عن تناول الطعام أو الشراب لمدة معينة من الزمن.

الكتاب المقدس يذكر أمثلة عن أناس صاموا. فبعضهم أمتنع عن الأكل كلياً، وآخرون امتنعوا عن تناول أنواع معينة من الأطعمة أثناء فترة اصوامهم. كمثال على ذلك، صيام دانيال لمدة ثلاثة أسابيع، حين أمتنع عن أكل أي "طعاماً شهياً.....أو لحماً أو خَمْراً" (دانيال ١٠: ٣).

هناك أيضاً أمثلة قليلة أخرى في الكتاب المقدس لبعض الناس الذين صاموا كلياً عن الطعام والشراب، ولكن هذا النوع من الصيام الكلي كان نادراً ويجب اعتباره أمراً فوق طبيعياً إن أستمر لمدة أطول من ثلاثة أيام. مثلاً عندما أمضى موسى أربعون يوماً دون طعام أو شراب، إذ كان في حضرة الله ذاته، لدرجة أن أصبح وجهه ساطعاً (أنظر خروج ٣٤: ٢٨-٢٩). وقد كرر موسى هذا الفعل لمدة أربعون يوماً أخرى بعد فاصلاً زمنياً قصيراً عن المرة الأولى (أنظر تثنية ٩: ٩، ١٨). فكلا الصيامان كانا فوق طبيعيين، ولا يترتب على أحد محاولة محاكاة موسى بهذا الشأن، فإنه من المستحيل أن ينجو شخصاً بعد عدة أيام من دون ماء إلا إذا كان ذلك بعون من الله. فالجفاف يؤدي للموت. معظم الأشخاص الأصحاء يمكن أن يبقوا على قيد الحياة دون طعام لبضعة أسابيع فقط.

لماذا الصيام؟

الغرض الأساسي للصيام هو جنى منافع بقضاء أوقات مكثفة بالصلاة للسعي للرب. فمن الصعب أن نجد مثلاً في الكتاب المقدس عن الصيام لا يتضمن الصلاة، وهذا يقودنا لفهم أنه ليس هناك مبرر للصيام دون صلاة.^{٦٥} وفي سفر أعمال الرسل يشير إلى حالتين لأصوام ذكر بهما الصلاة أيضاً. في الحالة الأولى (أنظر أعمال الرسل ١٣: ١-٣) كان الأنبياء والمعلمين في أنطاكية ببساطة "صَائِمُونَ يَتَعَبَّدُونَ لِلرَّبِّ". وأثناء ذلك تلقوا رؤية نبوية، وفي الحال أرسلوا بولس وبرنابا ليشرعا برحلتهم التبشيرية الأولى. وأما الحالة الثانية كانت عندما اختار بولس وبرنابا شيوخاً للكنائس الجديدة في غلاطية. كما نقراً، وَعَيْنًا لِلتَّلَامِيذِ شُبُوحًا فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ. ثُمَّ صَلَّيَا بِأَصْوَامٍ وَأَسْلَمَا الْجَمِيعَ وَدِيعَةً بَيْنَ الرَّبِّ الَّذِي آمَنُوا بِهِ. (أعمال الرسل ١٤: ٢٣)

^{٦٥} لقد صُمت من قبل لمدة قد تصل لسبعة أيام دون أي منافع روحية على الإطلاق، وذلك لسبب بسيط وهو انه لم يكن هناك أي غرض روحي للصيام ولم أقضي أي وقت أكثر في الصلاة.

وربما أن بولس وبرنابا كانا يتبعان مثال يسوع في الحالة الثانية، حين صلي طوال الليل قبل أن يختار الاثني عشر تلميذاً (أنظر لوقا ٦: ١٢). فعند اتخاذ القرارات المهمة مثل اختيار قادة للكنيسة، هناك حاجة للصلاة للتأكد من قيادة الرب بالاختيار، وعليه فالصيام يساعد على تخصيص وقت أطول للصلاة. فإن كان العهد الجديد يوصي على الامتناع المؤقت عن العلاقات الجنسية بين الزوجين (أنظر كورنثوس الأولى ٧: ٥)، فذلك سيُسهل علينا فهم قدر ما يخدمه الامتناع عن تناول الطعام لذات الغرض.^{٦٦}

ولذلك نحن بحاجة للصلاة من أجل إرشاد الله في القرارات الروحية المهمة، والصيام يُتيح مجالاً لذلك الى النهاية. ولكن الصلاة للاحتياجات الأخرى يمكن أن تقضى بوقت قصير. مثلاً، لا حاجة للصيام لتُصلى الصلاة الربانية. ولكن الصلاة من أجل إرشاد الله تقتضي زمناً أطول لأنه من الصعب علينا "تمييز صوت الله في قلوبنا"، حيث يتنافس صوت الله مع كل الدوافع والرغبات الخاطئة، أو لنقص في التفاني بداخلنا. فالحصول على الإرشاد يتطلب وقت الصلاة مطوّل، وهنا يكون الصوم نافعاً.

وبالطبع، قضاء أوقات في الصلاة لأي غرض كان هو امر حسن، ولا يمكن اعتباره إلا منفعة روحية. ولهذا السبب، يمكن أن نعتبر الصيام وسيلة رائعة للتقوية الروحية المؤثرة – لطالما أن الصيام يقضى بالصلاة. ونقرأ في سفر أعمال الرسل أن رُسُل الكنيسة الأولى كانوا "يُداومون على الصَّلَاة وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ" (أعمال الرسل ٦: ٤). وبالتأكيد ذلك يكشف لنا على الأقل شيئاً عن سر قوتهم الروحية ومدى تأثيرها.

الأسباب الخاطئة للصيام

حيث أننا أوردنا السبب الكتابي للصيام في العهد الجديد، علينا أن نُنوه لبعض الدوافع الغير كتابية للصيام. فالبعض يصوم على أمل أن سيستجيب الله لطلبات صلاتهم. ولكن يسوع قال لنا أن الاستجابة للصلاة تحدث بفضل الإيمان وليس الصوم (أنظر متي ٢١: ٢٢). فالصوم لا يعني "لوي ذراع الله"، كوسيلة لنقول له "يجب عليك أن تستجيب لصلاتي أو سأضرب عن الطعام حتى الموت!" هذا ليس صوماً كتابياً – وانما إضراب عن الطعام! تذكر أن داود صام وصلى لعدة أيام من أجل أن يعيش ابن بتشبع المريض، ولكن مات الطفل لأن الله بذلك كان يؤدب داود. فصيامه لم يُغير موقفه. فلم يُصلى داود بإيمان لأنه لم يكن لديه وعد يستند عليه. وفي الحقيقة أنه كان يُصلى ويصوم ضد إرادة الله، وكان هذا واضحاً من النتيجة.

ليس الصوم شرطاً أساسياً لحدوث نهضة. فليست هناك أمثلة في العهد الجديد لأحد قد صام لأجل النهضة. ولكن كان الرُسُل ببساطة يطيعون يسوع بوعظهم الإنجيل. وإن لم تستجب لهم مدينة ما، فقد أطاعوا يسوع بذلك انهم نفضوا الغبار عن أقدامهم وغادروا لمدينة أخرى (أنظر لوقا ٩: ٥؛ أعمال الرسل ١٣: ٤٩-٥١).

^{٦٦} ترجم الملك جيمس لكورنثوس الأولى ٧: ٥ تُشيد بالتوافق بين الزوجات والأزواج ليمتنعوا عن العلاقات الجنسية ليكرسوا أنفسهم للصوم والصلاة. ولكن معظم الترجمات الإنجليزية الحديثة لا تذكر الصوم بل الصلاة فقط.

فلم يمتثلوا ليصوموا الى ان يكسر الله القوى الروحية، انتظاراً للنهضة المنشودة. ومع ذلك عليّ أن أضيف إن الانضمام للصوم المرافق الصلاة بالتأكيد سيكون له منفعة عظيمة لهؤلاء الذين يخدمون في نشر الإنجيل، جاعلاً إياهم خداماً مُثمرين للنهضة. فالكثيرين من العظماء الروحيين الذين نقرأ عنهم في تاريخ الكنيسة كانوا رجالاً ونساءً اتخذوا من الصوم والصلاة عادة لهم.

فالصيام ليس وسيلة "لإخضاع الجسد"، إذ الرغبة لتناول الطعام هي امر شرعي لا غبار عليه، وليست كما "رغبات الجسد الواضحة" المذكورة في غلاطية ٥: ١٩-٢١. ومن ناحية أخرى، الصيام هو تدريب على التحكم بالذات، وهي فضيلة للسلوك حسب الروح وليس الجسد.

فالصيام بغرض إثبات روحانية أو كإعلان لإخلاص أحدهم امام الله، ما هو إلا مضيعة للوقت وإشارة للنفاق. فلهذا السبب صام الفريسيين، ولهذا أدانهم يسوع (أنظر متي ٦: ١٦؛ ٢٣: ٥).

والبعض من يصوم ليحصل على انتصار على الشيطان. ولكن هذا غير كتابي. فوعد الكتاب المقدس بأن تصدينا للشيطان يكون بالإيمان بكلمة الله، حينها سيهرب الشيطان (أنظر يعقوب ٤: ٧؛ بطرس الأولى ٥: ٨-٩). فالصوم غير ضروري.

ولكن ألم يقل يسوع أنه يمكن طرد الأرواح الشريرة بالصوم والصلاة؟

هذه المقولة تم ذكرها عند تخلص شخصاً من نوع مُعين من الأرواح الشريرة التي تسكن فيه، ولكن لم تكن تلك إشارة للحصول على الانتصار على الشيطان، الامر المفروض على كل مؤمن.

ولكن ألم يكن يسوع يُشير إلى أنه يمكن لنا الحصول على سلطان أعظم على الشياطين؟

تذكر أن يسوع سمع تقريراً يؤكد له فشل تلاميذه على إخراج الأرواح الشريرة التي كانت تسكن في جسد صبي، وأول ما فعله هو توبيخ نقص إيمانهم (أنظر متى ١٧: ١٧). عندما سأله تلاميذه لما فشلوا، فأجابهم أن هذا بسبب قلة إيمانهم (أنظر متى ١٧: ٢٠). وربما كان يمكنه أن يُضيف "أَمَّا هَذَا النَّوْعُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَلَا يُطْرَدُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ" (متى ١٧: ٢١). وأنا أقول إنه ربما أضاف هذه الكلمات كدليل على بيان مُعين الذي ربما لم يُشمل في النسخة الأصلية من إنجيل متى. فهناك ملحوظة هامشية في نسخة الإنجيل التي لدى (الطبعة الأمريكية الأساسية الجديدة، وهي طبعة موثوق بها على مستوى عالي) تُشير إلى أن العديد من النسخ الأصلية لإنجيل متى لم تحتوي على هذه الآية بالتحديد، وهذا يعني أن يسوع ربما لم يقل ذلك على الإطلاق "أَمَّا هَذَا النَّوْعُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَلَا يُطْرَدُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ". فالمتكلمين باللغة الإنجليزية لديهم منفعة الحصول على ترجمات مُختلفة للكتاب المقدس بلغتهم، ولكن ترجمات الكتاب المقدس للغات أخرى دائماً لم تكون مأخوذة من الترجمات الأصلية كالعبرية واليونانية، بل من ترجمة الملك يعقوب، وهي ترجمة لها بضعة مئات من السنوات.

ففي مرقس ذكر أن يسوع قال في ذات الموقف أن " هَذَا النَّوْعُ لَا يُطْرَدُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ "

(مرقس ٩: ٢٩)، ونلاحظ أن على هامش نسخة الكتاب المقدس الأمريكية أُضيفت كلمة " والصوم " في نهاية هذه الآية.

فحتى ولو قال يسوع هذه الكلمات بالفعل، فسنكون على خطأ إذا اعتقدنا أن الصوم ضروري لإخراج كل الشياطين. وإن أعطى يسوع شخصاً ما السلطة على إخراج الشياطين، كما فعل مع تلاميذه

(أنظر متى ١٠: ١)، ففي تلك الحالة السلطة له ولا يزيد الصوم على السلطة الممنوحة له بشيء. ولكن بالطبع يمكن للصيام أن يوفر وقتاً أكثر للصلاة، وهو ما يزيد من الاحساس الروحي وربما الإيمان بأن الله سيعطيه سلطةً.

وتذكر أيضاً انه وإن قال يسوع ذلك بالفعل فلربما كان بذلك يُشير لنوع معين من الشياطين. وعلى الرغم من أن تلاميذ يسوع قد فشلوا في إخراج هذا النوع من الشياطين، فقد نجحوا بإخراج شياطين كثيرة أخرى (أنظر لوقا ١٠: ١٧).

وكل هذا لأقول أنه ليس هناك أية حاجة للصوم لأجل الحصول على انتصار شخصي على هجمات الشيطان ضدنا.

التركيز المفرط فيما يتعلق بالصيام

وللأسف بعض المسيحيين صنعوا ديناً من الصيام، مُخصصين له مكانة السيادة على حياتهم المسيحية. ومع ذلك ليس هناك ولا حتى ذكر واحد عن الصوم في أي من رسائل العهد الجديد.^{٦٧} فليس هناك أي إرشاد أُعطى للمؤمنين عن متى أو كيف ينبغي الصوم. ولم نعط أي تشجيع للصيام. وهذا يوضح لنا أن الصيام ليس هو بالأمر العظيم لدى أتباع يسوع.

وبالمقابل نرى انه قد ذُكر أكثر عن الصيام في العهد القديم. فلطالما تعلق إما في اوقات الحداد، مثل الحداد على موت شخص أو انه تعلق بالتوبة، أو بالصلاة المُلجّة في اوقات الأزمات العامة أو الشخصية (أنظر قضاة ٢٠: ٢٤-٢٨؛ صموئيل الأول ١: ٧-٨؛ ٧: ٦-١١؛ ١٣-١١؛ صموئيل الثاني ١: ١٢؛ ١٥: ٢٣؛ ملوك الأول ٢١: ٢٠-٢٩؛ أخبار الأيام الثاني ٢٠: ٣-١؛ عزرا ٨: ٢١-٢٣؛ ١٠: ١-٦؛ نحميا ١: ١-٤؛ ٩: ١-٢؛ أستير ٤: ٣-١، ١٥-١٧؛ مزامير ٣٥: ١٣-١٤؛ ٦٩: ١٠؛ أشعيا ٥٨: ١-٧؛ دانيال ٦: ١٦-١٨؛ ٩: ١-٣؛ يوشيا ١٣-١٤؛ يونا ٣: ٤-١٠؛ زكريا ٧: ٤-٥). وحسب اعتقادي، تلك أسباب صالحة ما فتئت لممارسة الصيام بأيامنا أيضاً.

والعهد القديم يُعلمنا أن الإخلاص في الصيام ولكن إذا كان على حساب تجاهلنا لرعاية الفقراء والطاعة لوصايا مهمة أخرى، ذلك لهو خلل بالتوازن (زكريا ٧: ١-١٤؛ أشعيا ٥٨: ١-١٢).

لا يمكن اتهام يسوع بالمغلاة في تعزيزه للصيام. فقد أتهمه الفريسيين بعدم ممارسته للصيام (أنظر متى ٩: ١٤-١٥). على انه وبخهم لوضعهم الصيام في مقام يفوق أمور تحمل قيم روحية أكثر أهمية (متى ٢٣: ٢٣؛ لوقا ١٨: ٩-١٢).

^{٦٧} الاستثناء الوحيد يكون بذكر بولس لصوم زوجين في كورنثوس الأولى ٧: ٥. ولكن وسط الترجمات الإنجيلية للكتاب المقدس نجد هذا مذكور فقط في ترجمة الملك جيمس. فالصيام الغير تطوعي ذُكر أيضاً في أعمال الرسل ٢٧: ٢١، ٣٣-٣٤، كورنثوس الأولى ٤: ١١، وكورنثوس الثانية ٦: ٥، ١١: ٢٧. فهذه الأصوام لم تحدث من أجل غرض روحي، ولكن فقط بسبب الأمور الحالة أو بسبب عدم وجود طعام قيم للأكل.

ومن ناحية أخرى، تكلم يسوع عن الصيام لأتباعه أثناء عظته على الجبل، من خلالها أرشدهم على الصيام بدوافع صحيحة، مُشيراً إلى توقعه من أتباعه أن يصوموا لمرات مُعينة. وقد وعدهم أيضاً بأن الله سيكافئهم على صيامهم. هو بنفسه مارس الصيام لدرجة مُعينة (أنظر متى ١٧ : ٢١). وقال إن الوقت سيأتي على تلاميذه ليصوموا، بعد صعوده (أنظر لوقا ٥ : ٣٤-٣٥).

ما هي مدة الصيام؟

كما ذكرت قبلاً أن أصوام الأربعين يوماً المذكورة في الكتاب المُقدس يمكن تصنيفها كفوق طبيعية. فقد ذكرنا أن موسى صام الأربعين يوماً مرتين، كان اثنتانها في محضر الله. وإيليا أيضاً صام لمدة أربعين يوماً، ولكن ملائكة أطعمته قبل بداء الصيام (أنظر ملوك الأول ١٩ : ٥-٨). وكان هناك عوامل خارقة لصيام يسوع لأربعين يوماً. فقد قاده الروح القدس للبرية. وقد أختبر تجارب فوق طبيعية من قبل الشيطان أثناء الأيام الأخيرة من صيامه. وأيضاً زيارته ملائكة في نهاية صيامه (أنظر متى ٤ : ١-١١). فالصيام لمدة أربعين يوماً لا يُعتبر الرقم الكتابي لصيام طبيعي.

إن أمتنع شخص عن أكل وجبة طعام واحدة بغرض قضاء بعض الوقت سعياً للرب، فهو قد صام. ففكرة أن الصيام يُقاس بعدد من الأيام هذا خطأ.

فالصومين المذكورين في سفر أعمال الرسل (أنظر أعمال الرسل ١٣ : ١-٣؛ ١٤ : ٢٣) لم يكونا لمدة طويلة. ولربما كانا أصوام عن تناول نوعاً مُعيناً من اللحوم.

ولأن الغرض الأساسي للصيام هو السعي وراء الرب، ونصيحتي لك أن تصوم الى أن تحصل على ما تسعى إليه من قبل الله.

وتذكر أن الصيام لا يُجبر الله التكلم معك لكن ممكن للصوم أن يُحسن احساسك للروح القدس. فالله يتحدث إليك سيات فيما إذا صُمت أم لا. فالصعوبة التي نختبرها أحياناً هي التعرف على قيادته وسط جُل رغباتنا الشخصية.

بعض النصائح العملية

للصيام عادةً تأثيرات على الجسد بطرق مُختلفة. فيمكن للشخص أن يختبر ضعفاً، إرهاقاً، وصُداعاً، إعياءً، آلاماً في المعدة، وهكذا. فإن كان لدى الشخص عادة شرب القهوة أو الشاي أو أي المشروبات التي تحتوي على الكافيين، سيختبر بعض من هذه الأعراض لتوقفه عن أخذ الكافيين. وفي هذه الحالة يُقلل الحكماء كمية مشروبات الكافيين تدريجياً بضعة أيام قبل بدء صيامهم. وإن صام شخصاً بشكل مُعتاد أو شبه مُعتاد، سيكتشف أن أصوامه تتقدم بشكل أسهل، وعلى الرغم من ذلك سيختبر ببعض الوهن على الأقل في الأسبوع الأول أو الثاني.

ويجب على الشخص أن يشرب الكثير من المياه أثناء الصيام لئلا تنتابه حالة من الجفاف.

فالصوم يجب أن يُنهي بحرص وببطيء، وكلما طالت فترة الصوم كلما انبغى على الشخص أن يكون حذراً بإنهائه. وإن لم تهضم المعدة أي من الطعام الجامد خلال ثلاثة أيام، فلن يكون من الحكيم إنهاء الصيام بتناول لأطعمة صعب الهضم. فالأصوام الطويلة تتطلب نظام هضم معين تدريجياً للبدء في هضم الطعام الجامد من جديد، ولكن عدم تناول وجبة أو اثنتين لا يحتاج لذلك.

لبعضهم اقتناعاً وأنا من بينهم، أن الصيام المتواضع الحريص يُحسن صحة أجسادنا، وسمعت العديد من الاختبارات لبعض الناس انهم قد شفوا أثناء الصيام. من المعتقد أن الصيام هو وسيلة للراحة ولتنظيف الجسد. وهذا ما يجعل الصيام الاول لأحدهم كاختبار صعباً نسبياً. وأولئك الذين لم يصوموا بعد هم الأكثر حاجة لتطهير الجسد.

فالجوع الجسدي أثناء الصيام عادةً ما يتوقف بعد مضي يومين لأربعة أيام. وعندما يعود الجوع (بعد عدة أسابيع)، هذه علامة لإنهاء الصوم، إذ أنها بداية للجوع الشديد، بعدما يستنفذ الجسد الدهون المُخزنة ويبدأ الآن باستخدام الخلايا الأساسية. وبذلك المرحلة أنهى يسوع صومه (أنظر متى ٤ : ٢) عند ذلك الجوع بعد صوم استغرق مدة أربعين يوماً.

الفصل السابع والعشرون

ما بعد الموت

The Afterlife

يعلم مُعظم المسيحيون أن وجود الإنسان لا ينتهي بموته، وإنما بعد الموت سيذهب كل شخص لإحدى الأماكن إما إلى السماء أو إلى الجحيم. ولكن قلائل هم الذين يدركون، أن السماء ليست هي المكان الأخير لمكوث الأبرار، كما أن الجحيم ليس بالمكان النهائي للأشرار.

فحين يموت أتباع يسوع المسيح، فإن أرواحهم تذهب في الحال إلى السماء حيث يسكن الرب (أنظر كورنثوس الثانية ٥: ٦-٨؛ فيلبي ١: ٢١-٢٣؛ تسالونيكي الأولى ٤: ١٤). وفي وقتٍ ما في المُستقبل سيخلق الله سماءً جديدة وأرضاً جديدة وأورشليم الجديدة ستأتي من السماء إلى الأرض (أنظر بطرس الثانية ١٣: ٣؛ رؤيا ٢١: ١-٢). حيث سيعيش الأبرار إلى الأبد.

أما عندما يموت الأشرار فانهم في الحال يذهبون إلى الجحيم، لمكان مؤقت، مُنتظرين هناك قيامة أجسادهم من جديد. وحين يأتي هذا اليوم سيقفون أمام عرش الله للمُحاكمة وبعد ذلك سيُلَقون في بُحيرة النار ويُحرقون بالنار والكبريت، والتي يُشار إليها بجحيم في الكتاب المُقدس. فسنُعرف على كل ذلك لاحقاً وبالتفصيل من خلال الكتاب المُقدس.

بعد موت الاشرار

ولنتمكن من فهم أفضل لما يحدث للأشرار عندما يموتون، لابد أن ندرس كلمة عبرية من العهد القديم وثلاث كلمات يونانية من العهد الجديد. وعلى الرغم من أن الكلمة العبرية والكلمات اليونانية يصفون ثلاث أماكن مُختلفة، إلا أنها دائماً ما تترجم تلك الكلمة لجحيم في ترجمات مُعينة للكتاب المُقدس، وقد تكون أحياناً مُضللة للقارئ.

أولاً دعونا نُلقي نظرة على الكلمة العبرية شِيئول.

فقد ذُكرت كلمة شِيئول أكثر من ستين مرة في العهد القديم. ومن الواضح أنها تُشير إلى مكان الاشرار ما بعد الموت. فعلى سبيل المثال، عندما تمرد قورح وأتباعه ضد موسى في البرية، عاقبهم الله عندما انشقت الأرض وابتلعتهم مع كل ما يملكون. والكتاب المُقدس يقول إنهم سقطوا إلى شِيئول:

فَاخْتَفَوْا هُمْ وَكُلُّ مَا يَمْلِكُونَ أَحْيَاءً فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ الَّتِي انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ (عدد ١٦: ٣٣).

ولاحقاً في تاريخ إسرائيل، حذرهم الله بغضبه الذي هو نار موقدة في شِيئول:

فَهَا قَدْ أَصْرَمَ غَضَبِي نَاراً تُحْرِقُ حَتَّى الْهَالِيَةِ السُّفْلَى، وَتَأْكُلُ الْأَرْضَ وَغَلَاتِهَا، وَتَشْعِلُ أُسُسَ الْجِبَالِ (تنبيه ٣٢: ٢٢).

وقد أعلن الملك داود:

مَالُ الْأَشْرَارِ إِلَى الْجَحِيمِ. وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأُمَمِ النَّاسِينَ اللَّهُ (مزامير ٩: ١٧).

وقد طلب بصلاة ضد الأشرار يقول فيها:

لِيَفَاجِئِ الْمَوْتُ أَعْدَائِي فَيَنْزِلُوا إِلَى الْهَالِيَةِ أَحْيَاءَ، لِأَنَّ الشَّرَّ جَائِمٌ فِي وَسْطِ مَسَاكِينِهِمْ (مزامير ٥٥: ١٥).

وكتب سليمان مُحذراً الشباب من حيل المرأة الزانية:

وَلَكِنَّهُ لَا يَذَرِي أَنْ أَشْبَحَ الْمَوْتَى هُنَاكَ، وَأَنْ إِنَّ بَيْنَهَا هُوَ طَرِيقُ الْهَالِيَةِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَخَادِعِ الْمَوْتِ... ضَيُوفُهَا مَطْرُوحُونَ فِي أَعْمَاقِ الْهَالِيَةِ (أمثال ٧: ٢٧؛ ٩: ١٨).

وفي أمثال أخرى كتب سليمان بها يقودنا للإيمان المؤكد أن الأبرار لا يذهبون إلى الجحيم يقول:
طَرِيقُ الْإِنْسَانِ الْحَكِيمِ تَرْتَقِي بِهِ صُغُوداً نَحْوَ الْحَيَاةِ، لِكَيْ يَتَقَادَى الْهَالِيَةِ مِنْ تَحْتِ (أمثال ١٥: ٢٤).
اضْرِبْهُ بِالْعَصَا (طفلك)، فَتُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنَ الْهَالِيَةِ (أمثال ٢٣: ١٤).

وأخيراً أنذر يسوع بوصفه للجحيم، وكما تنبأ عنها أشعياء لملك بابل الذي تعالى ولكنه سقط في الهاوية:

ثَارَتِ الْهَالِيَةُ مِنْ أَسْفَلٍ لَا سِتْقَبَالِكَ عِنْدَ قُدُومِكَ وَحَشَدَتِ الْأَخِيلَةَ، مِنْ كُلِّ الْعُظَمَاءِ، لِتَحْيِيَّتِكَ؛ أَنْهَضْتَ كُلَّ 9
مُلُوكِ الْأُمَمِ عَنْ عُرُوشِهِمْ

كُلُّهُمْ يُخَاطِبُونَكَ قَائِلِينَ: لَقَدْ صِرْتَ ضَعِيفاً مِثْلَنَا، أَصْبَحْتَ مُمَاتِلاً لَنَا! 10

طُرِحْتَ كُلَّ عَظَمَتِكَ فِي الْهَالِيَةِ مَعَ رَنَّةِ عِيدَانِكَ، وَأَصْبَحْتَ الرَّمَمُ فِرَاشَكَ وَالذُّودُ غِطَاءَ لَكَ! 11

كَيْفَ هَوَيْتَ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهْرَةٌ بِنْتُ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ وَطُرِحْتَ إِلَى الْأَرْضِ يَا قَاهِرَ الْأُمَمِ؟ 12

قَدْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: إِنِّي أَرْتَقِي إِلَى السَّمَاءِ وَأَرْفَعُ عَرْشِي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللَّهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الْاجْتِمَاعِ فِي 13
أَقْصَى الشَّمَالِ.

أَرْتَقِي فَوْقَ أَعَالِي السَّحَابِ، وَأُصْبِحُ مِثْلَ الْعُلِيِّ. 14

وَلَكِنَّكَ طُرِحْتَ إِلَى الْهَالِيَةِ، إِلَى أَعْمَاقِ الْجُبِّ. 15

وَالَّذِينَ يَرُونَكَ يُحْمِلُونَ فِيكَ وَيَتَأَمَّلُونَ مُتَسَائِلِينَ: أَهَذَا هُوَ الْإِنْسَانُ الَّذِي رَعَزَ الْأَرْضَ وَهَزَّ الْمَمَالِكَ؟ 16

الَّذِي حَوَّلَ الْمَسْكُونَةَ إِلَى مِثْلِ الْفَقْرِ، وَقَلَبَ مُدْنَهَا، وَلَمْ يُطْلِقْ أَسْرَاهُ لِيَرْجِعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ؟ 17

(أشعياء ١٤: ٩-١٧)

فكل هذه الآيات وغيرها تجعلنا نؤمن بأن شيئول كانت دائماً وما زالت مكان العذاب، فيه يسجن الأشرار بعد موتهم. وهناك إثباتات أكثر.

الجحيم

من الواضح أن الكلمة اليونانية هادس في العهد الجديد تُشير إلى ذات المكان بعينه المذكور في معناه للكلمة العبرية شيئول في العهد القديم. ولُنُثبت ذلك يجب أن نُقارن مزمو ١٠: ١٦ مع

أعمال الرسل ٢: ٢٧:

لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي هُوَّةِ الْأَمْوَاتِ وَلَنْ تَدَعَ وَجِيدَكَ الْقُدُّوسَ يَبَالُ مِنْهُ الْفَسَادُ (مزامير ١٠: ١٦).

لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي هُوَّةِ الْأَمْوَاتِ، وَلَنْ تَدَعَ وَجِيدَكَ الْقُدُّوسَ يَرَى فَسَادًا (أعمال الرسل ٢: ٢٧).

ومع كل ذلك، من العجيب أن في كل العشرة حالات التي ذُكر فيها هادس في العهد الجديد، دائماً تَحْدَثُ عنا بشكل سلبي ودائماً يشار بها لسجن الأشرار بعد موتهم (أنظر متى ١١: ٢٣؛ ١٦: ١٨؛ لوقا ١٠: ١٥؛ ١٦: ٢٣؛ أعمال الرسل ٢: ٢٧؛ ٢: ٣١؛ رؤيا ١: ١٨؛ ٢٠: ١٣-١٤). ولمرة أخرى هذا يُشير أن كلاً من شيئول أو هادس (الهاوية والجحيم) كانوا وما زالوا مكاناً للأشرار بعد موتهم، مكان سكناهم.^{٦٨}

هل ذهب يسوع إلى الهاوية/ أو الجحيم (شيئول أو هادس)؟

دعونا نلقي نظرة على مزمو ١٠: ١٦ ولاقتباسه في أعمال الرسل ٢: ٢٧، فهما آيتان تشيران إلى أن الهاوية والجحيم هما ذات المكان. وطبقاً لعظة بطرس في يوم الخمسين، لم يتكلم داود عن نفسه في مزامير ١٠: ١٦، ولكنه كان يتنبأ عن المسيح، لأن جسد داود تحلل وهذا على عكس ما حدث لجسد يسوع (أنظر أعمال الرسل ٢: ٢٩-٣١). ومع كل ذلك، نُدرِك أنه في الحقيقة كان يسوع الذي يتكلم لأبيه في مزامير ١٠: ١٦، مُعلنًا إيمانه بأن أباه لن يترك روحه في الهاوية أو يسمح لجسده أن يتحلل. والبعض يُفسر أن الدليل على ذهاب يسوع للهاوية أو الجحيم أن روحه كانت هناك أثناء الثلاثة أيام من موته حتى قيامته. ولكن هذا لم يحدث بالفعل. لاحظ لمرة أخرى ما قاله يسوع لأباه: لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي هُوَّةِ الْأَمْوَاتِ وَلَنْ تَدَعَ وَجِيدَكَ الْقُدُّوسَ يَبَالُ مِنْهُ الْفَسَادُ (مزامير ١٠: ١٦).

^{٦٨} فالبعض يحاول أن يُعقد الأور باستخدام القليل من الآيات كـ تكوين ٣٧: ٣٥، أيوب ١٤: ١٣، مزامير ٨٩: ٤٨، الجامعة ٩: ١٠، أشعياء ٣٨: ٩-١٠، حيث يُذكر أن الهاوية هي مكان ذهب إليه الأبرار أيضاً بعد موتهم. فالدليل الكتابي لهذه الفكرة غير مُقنع. وإن كانت الهاوية مكاناً حيث يذهب إليه كلاً من الأبرار وغير الأبرار، فلا بد وأن هناك جزين، أحدهما الجحيم والآخر الفردوس، وهو ما يزعمه مُدعي هذه الفكرة.

فلم يقل يسوع لأبيه "أنا أعلم أنني سأقضى بعض الأيام في الجحيم /أو الهاوية، ولكن أومن أنك لن تتركني هناك." ولكنه قال "أنا أومن أنك لن تتركني عند موتي ولن أعامل كغير الأبرار، وتترك روحي لتبقى في الهاوية أو الجحيم. فلن أقضي ولا حتى دقيقة هناك. لا، فأنا أومن أن خطتك هي لتقيمني من الأموات بعد ثلاثة أيام، ولن تسمح لجسدي بالتحلل".

فهذا التفسير بالتأكيد مضمون. فعندما قال يسوع "فأنت لن تسمح لخاصتك المقدسة الذبول أو التحلل"، فهذا لا يقبل التفسير بأن جسد يسوع بدأ عملية التحلل أثناء الأيام الثلاثة بعد موته الى قيامته. ولكن تفسير ذلك هو أن جسده لم يدخل في مرحلة التحلل ولا بأي وقت منذ موته حتى الى قيامه من الأموات.

وكذلك قوله بأن روحه لم تترك للهاوية أو الجحيم (شيئول أو حادس) لا تحتاج لتفسير على أنه نُقل الى الهاوية أو الجحيم لبضعة أيام ولكنه لم يترك هناك.^{٦٩} ولكن يجب تفسير ذلك على أن روحه لم تُعامل كأرواح غير الأبرار الذين تترك أرواحهم في الهاوية أو الجحيم. فروحه لم تقض ولا حتى دقيقة واحدة هناك. ولاحظ أن يسوع قال "فأنت لم تترك روحي إلى الهاوية"، وليس "لم تترك روحي في الهاوية".

أين كانت روح يسوع أثناء الثلاثة أيام؟

تذكر أن يسوع قال لتلاميذه أنه سيقضى ثلاثة أيام وثلاثة ليال بقلب الأرض (متى ١٢: ٤٠). وهذه لا تبدو لنا كأنها إشارة إلى وجود جسده في القبر لثلاثة أيام، حيث أنه ليس من المعقول اعتبار المقبرة قلب الأرض. ولكن لا بد أن يسوع كان يتحدث عن وجود روحه في عمق الأرض. ولذلك يمكن أن نستنتج أن روحه لم تكن في السماء في الفترة ما بين موته وقيامته. وأكد يسوع ذلك عند قيامته وإخباره لمريم أنه لم يصعد إلى أبيه بعد (أنظر يوحنا ٢٠: ١٧).

تذكر أيضاً أن يسوع أخبر اللص التائب على الصليب أنه سيكون معه في ذلك اليوم في الفردوس

(أنظر لوقا ٢٣: ٤٣). وإن وضعنا كل هذه الحقائق معاً، نعلم أن روح يسوع مَضَتْ ثلاثة أيام وثلاثة ليالي في قلب الأرض. وعلى الأقل أنه أمضى بعض الوقت في المكان الذي يُدعى "الفردوس"، والذي بالتأكيد لا يُعتبر معقولاً مرادفاً لمكان العذاب الذي يُدعى الهاوية!

فكل هذا يجعلني أفكر أنه لا بد وأنه يكون هناك مكاناً في قلب الأرض لجانب الهاوية أو الجحيم (شيئول أو هادس)، مكاناً يُدعى الفردوس. فهذه الفكرة مدعومة بقصة قالها يسوع عن شخصين ماتا، أحدهما باراً والثاني غير بار، الرجل الغني وأليعازر. دعونا نقرأ القصة:

كَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ، يَلْبَسُ الْأَرْجُوَانَ وَنَاعِمَ الثِّيَابِ، وَيُقِيمُ الْوَلَائِمَ الْمُثْرَفَةَ، مُتَنَعِّمًا كُلَّ يَوْمٍ.¹⁹

^{٦٩} فهؤلاء الذين يخضعون لهذا التفسير لا بد وأن يخضعوا لنظرية واحدة أو اثنتين أخريين. أحد هذه النظريات أن الهاوية أو الجحيم هو أسم لمكان بعد الموت للأبرار وغير الأبرار وهو مكان مُقسم لجزيئين، مكان للعذاب ومكان الفردوس الذي ذهب يسوع إليه. النظرية الأخرى هي أن يسوع عانى عذاب الملعونين لمدة ثلاثة أيام وثلاثة ليالي في نيران الهاوية أو الجحيم كما أنه عانى بالكامل لعقوبة الخطيئة كبديل عنا. وكلاً من هاتين النظريتين يصعب إثباتهم من الكتاب المقدس، غير ضروريين إن لم يقضى يسوع أي وقت في الهاوية أو الجحيم. وهذا هو معنى إعلانه. وبخصوص النظرية الثانية لم يُعاني يسوع العذاب لمدة ثلاثة أيام وثلاثة ليالي بين موته وقيامته، لأنه تم شراء فدائنا من خلال مُعاناته على الصليب (أنظر كورنثوس ١: ٢٢)، وليس من خلال معاناته في الهاوية أو الجحيم.

وَكَانَ إِنْسَانٌ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، مَطْرُوحاً عِنْدَ بَابِهِ وَهُوَ مُصَابٌ بِالْفُرُوحِ،²⁰
يَسْتَنْهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفَنَاتِ الْمُتَسَاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغِنَى. حَتَّى الْكِلَابُ كَانَتْ تَأْتِي وَتُلْحَسُ فُرُوحَهُ.²¹
وَمَاتَ الْمِسْكِينُ، وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حِصْنِ إِبْرَاهِيمَ. ثُمَّ مَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضاً وَدُفِنَ.²²
وَإِذْ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ فِي الْهَلَاوِيَةِ يَتَعَدَّبُ، رَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَالْيَعَازَرَ فِي حِصْنِهِ.²³
فَنَادَى قَانِلًا: يَا أَبَايَ إِبْرَاهِيمَ! ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَعْمِسَ طَرْفَ إصْبَعِهِ فِي الْمَاءِ وَيُبْرِدَ لِسَانِي: فَإِنِّي²⁴
مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهْيَبِ.
وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: يَا بُنَيَّ، تَذَكَّرْ أَنَّكَ نِلْتَ خَيْرَاتِكَ كَامِلَةً فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِكَ، وَلِعَازَرُ نَالَ الْبَلَايَا. وَلَكِنَّهُ الْآنَ²⁵
يَتَعَزَّى هُنَا، وَأَنْتَ هُنَاكَ تَتَعَذَّبُ.
وَفَضْلًا عَنْ هَذَا كُلِّهِ، فَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هُنَا لَا²⁶
يَقْدِرُونَ، وَلَا الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَسْتَطِيعُونَ الْعُبُورَ إِلَيْنَا!
(لوقا ١٦: ١٩-٢٦).

بالطبع لم يكن أليعازر والغني في الجسد بعد الموت، ولكن انتقلت أرواحهما إلى أماكن معدة للأرواح.

أين كان أليعازر؟

لاحظ أن الرجل الغني وجد نفسه في الجحيم، وكان يقدر هناك على رؤية أليعازر الماكث في مكان آخر مع إبراهيم. وبالأحرى مذكور أن أليعازر كان في أحضان إبراهيم، وهو ليس أسم لمكان بل هي إشارة للراحة التي أنعم بها من إبراهيم عقب وصوله لذلك المكان.

كم كانت المسافة بين الرجل الغني وأليعازر بعد موتهما؟

يذكر الكتاب المقدس أن الرجل الغني رأى أليعازر "عن مسافة بعيدة"، ويخبرنا أيضاً أنه كانت "هوة عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ بَيْنَهُمْ". فالمسافة بينهم قد تكون مدعاةً للجدل. لكن من المعقول أن نستنتج أن المسافة بينهم لم تكن كبيرة كالمسافة بين قلب الأرض والسماء. وإلا يبدو من المستحيل للرجل الغني أن يرى أليعازر (الآ بالمساعدة الإلهية)، ولن يكون هناك حاجة لوجود أو حتى لذكر "الهوة العظيمة المثبتة" بين الموقعين ليمنع عبور أحد من مكان لآخر. وهذا يثير اعتقادنا بأنهما كانا قريبين من بعضها البعض لدرجة تحدث الواحد مع الآخر عبر الهوة العظيمة.

فكل هذا يجعلني أومن بأن أليعازر لم يكن بما يُضن أنه السماء وإنما في مكان مُنفصل على الأرض.^{٧٠}

^{٧٠} لاحظ أنه على الرغم من كل من أليعازر والرجل الغني لم يكونوا في الجسد، ولكنهم كانوا على علم بكل حواسهم، كالرؤية واللمس والسمع. فقد استطاعوا اختبار ألم وراحة وتذكروا اختبارات الماضي. وهذا أثبت بطلان نظرية "الروح النائمة"، الفكرة التي تعني أن الناس يدخلون حالة اللاوعي عندما يموتون، مُنتظرين ليستعيدوا وعيهم في يوم قيامة الأموات.

ولابد وأن يكون ذلك المكان هو الذي أشار له يسوع بالفردوس للص التائب. فكان هذا الفردوس في قلب الأرض الذي انتقل إليه الأبرار في العهد القديم بعد موتهم. وهو المكان الذي انتقل إليه كل من أليعازر ويسوع واللص التائب.

وهو ذات المكان الذي ذهب إليه صموئيل النبي بعد موته. عندما نقرأ في صموئيل الأول ٢٨ عندما سمح الله لروح النبي وبعد موته أن تظهر لشاول ليتبنا له، والوسيلة الداخلية تصف صموئيل كـ "الهأ صاعداً من الأرض" (صموئيل الأول ٢٨: ١٣). فقد قال صموئيل نفسه لشاول "لماذا أزعجتني بإصعادك إياي؟ فمن الواضح أن روح شاول كانت في الفردوس على الأرض.

فمن الواضح أن الكتاب المقدس يدعم الحقيقة أنه بقيامة المسيح قد أخلت الفردوس، وأن الأبرار الذين ماتوا في العهد القديم أخذوا إلى السماء مع يسوع. والكتاب المقدس يقول إن يسوع صعد إلى السماء من الأجزاء السفلية من الأرض، "إذ صعد إلى الغلاء سبياً" (أفسس ٤: ٨-٩؛ مزمير ٦٨: ١٨). وأعتقد أن كل هؤلاء السبايا كانوا يمكنون في الفردوس. وبالطبع لم يحرر يسوع الناس من الهاوية أو الجحيم!^{٧١}

وعظ يسوع للأرواح في السجن

ويعلمنا الكتاب المقدس إعلان يسوع عن مجموعة من الناس، أرواحاً بلا أجساد، وبفترة معينة من الزمن ما بين موته وقيامته. كما نقرأ في بطرس الأولى ٣: ١٨-٢٠:

فَإِنَّ الْمَسِيحَ نَفْسَهُ مَاتَ مَرَّةً وَاحِدَةً لِكَيْ يَحُلَّ مُشْكَلَةَ الْخَطَايَا. فَمَعَ أَنَّهُ هُوَ الْبَارُّ، فَقَدْ تَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِنا نَحْنُ الْمُذْنِبِينَ، لِكَيْ يُقَرَّبَنَا إِلَى اللَّهِ، فَمَاتَ بِجَسَمِهِ الْبَشَرِيِّ، ثُمَّ عَادَ حَيًّا بِالرُّوحِ.

بِهَذَا الرُّوحِ نَفْسِهِ، ذَهَبَ قَدِيمًا وَبَشَّرَ النَّاسَ الَّذِينَ أَصْبَحَتْ أَرْوَاحُهُمُ الْآنَ فِي السِّجْنِ.^{١٩}

وَذَلِكَ بَعْدَ مَا رَفَضُوا الْبَشَارَةَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ، عِنْدَمَا كَانَ اللَّهُ يَتَأَنَّى صَابِرًا طَوَالَ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ نُوحٌ يَبْنِي فِيهَا السَّفِينَةَ، الَّتِي نَجَا بِهَا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ عِبرَ الْمَاءِ، ثَمَانِيَةَ أَشْخَاصٍ فَقَطْ!^{٢٠}

وبالطبع أن هذه الفقرة تثير الكثير من الأسئلة لا أجوبة لي عنها. لماذا جهر يسوع بهذا الإعلان لأجل بعض الناس من غير المطيعين الذين ماتوا أثناء فيضان نوح؟ لماذا أخبرهم بذلك؟

فعلى أي حال، يبدو أن هذه الفقرة تدعم حقيقة أن يسوع لم يمضي الثلاثة أيام تماماً في الفردوس بين موته وقيامته.

^{٧١} فمن المُعتقد أن البعض، وربما يكون هذا صحيح، أن السبايا المذكورين في أفسس ٤: ٨-٩ المقصود بهم نحن جميعاً حيث أننا مأسورين بخطايانا، وقد تحررنا الآن بقيامة المسيح.

(جِهينا) - جُهنم

عندما يموت الأبرار في الوقت الحاضر، فإن أرواحهم فوراً تذهب إلى السماء (أنظر كورنثوس الثانية ٥: ٦-٨؛ فيليبي ١: ٢٣-٢١؛ تسالونيكي الأولى ٤: ١٤).

وما زال الأشرار يذهبون إلى الهاوية أو الجحيم حيث يُعذبوا وينتظروا لقيامة الأموات، وإدانتهم الأخيرة، وبعد ذلك يُلقوا في "بحيرة النار"، وهو مكان مُنفصل ومُختلف عن الهاوية أو الجحيم.

فبحيرة النار توصف بكلمة ثالثة والتي تُترجم أحياناً جُهنم، وهي الكلمة اليونانية جِهينا. وهي كلمة مأخوذة من أسم مكان خارج أورشليم كانت تلقى به القمامة في وادي هانوم، لتشكل هضبة مملوءة بالديدان والعفونة، وجزءاً من مكان القمامة هذا كان دائم الاشتعال يتصاعد منه الدخان بشكل دائم.

وإذ تحدث يسوع عن جهنم، قد تحدث عن مكان حيث يُلقى به أجساد بشرية. فعلى سبيل المثال أنه قال في أنجيل متى:

وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى فَحَاكَ لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقَدَ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَلَا يُطْرَحَ 30 جَسَدُكَ كُلَّهُ فِي جَهَنَّمَ!

لَا تَخَافُوا الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْجِزُونَ عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ، بَلْ بِالْآخَرَى خَافُوا الْقَادِرَ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ 28 وَالْجَسَدَ جَمِيعاً فِي جَهَنَّمَ.

(متى ٥: ٣٠، ١٠: ٢٨)

فجهنم (جِهينا) والجحيم (هادس) لا يمكن أن يكونا المكان ذاته، لأن الكتاب المقدس يقول أن الأشرار يرسلون إلى الجحيم كأرواح بدون أجساد. وما سيحدث هو أنه بعد حكم الألف عام للمسيح، ستقوم أجساد الأشرار من الأموات وتواجه الدينونة أمام الله وبعد ذلك ستلقى في بحيرة النار، أو جُهنم (رؤية ٢٠: ٥؛ ١١-١٥). وبالإضافة إلى ذلك الجحيم ذاته سيتم إلغاؤه في بحيرة النار والكبريت)، ومن هنا نفهم أن الجحيم يختلف عن بحيرة النار-جهنم.

طارطاروس

الكلمة الرابعة والتي تعنى جهنم في الكتاب المقدس هي طارطاروس باليونانية. ونراها مذكورة مرة واحدة فقط في العهد الجديد:

فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَخْطَأُوا، بَلْ طَرَحَهُمْ فِي أَعْمَاقِ هَاوِيَةِ الظَّلَامِ مُقَيَّدِينَ بِالسَّلَاسِلِ، حَيْثُ يَظْلُونَ مَحْبُوسِينَ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ (بطرس الثانية ٢: ٤).

ويعتقد على الاغلب ان طارطاروس هو مكان لسجن الملائكة الساقطة؛ ولذلك فهي ليست الهاوية أو الجحيم أو جهنم. وكتب يهوذا أيضاً عن الملائكة الذين أُعْثِلُوا:

وَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحَافِظُوا عَلَى مَقَامِهِمُ الرَّفِيعِ، بَلْ تَرَكُوا مَرْكَزَهُمْ، فَمَازَالَ الرَّبُّ يَحْفَظُهُمْ مُقَيَّدِينَ⁶ بِسِلَاسِلِ أَبَدِيَّةٍ فِي أَعْمَاقِ الظَّلَامِ، بِإِنْتِظَارِ دَيْئُونَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ. (يهوذا ١ : ٦).

ويلات جهنم

عندما يموت الشخص الغير التائب، لا تُعطى له بعد أي فرصة للتوبة. فقد أُغْلِقَ على مصيره. وقد قال الكتاب المقدس " فَكَمَا أَنَّ مَصِيرَ النَّاسِ الْمَحْنُومِ، هُوَ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً وَاحِدَةً ثُمَّ تَأْتِي الدَّيْنُونَةُ " (عبرانيين ٩ : ٢٧).

فجهنم هي أبدية، وكل الذين قُيدوا هناك لا أمل لهم بالهروب البتة. وإذ نتحدث عن الدينونة العتيدة للأشرار قال يسوع " فَيَذْهَبُ هَؤُلَاءِ إِلَى الْعِقَابِ الْأَبَدِيِّ، وَالْأَبْرَارُ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ " (متى ٢٥ : ٤٦). عقوبة الأشرار في جهنم هي أبدية كما أن حياة الخلود للأبرار أبدية أيضاً.

وكتب بولس الرسول:

فَمِنْ الْعَدْلِ عِنْدَ اللَّهِ حَقًّا أَنْ يُجَازِيَ بِالضَّيْقَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ،⁶

وَأَنْ يُكَافِئَكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِينَ تَتَضَايِقُونَ، كَمَا يُكَافِئُنَا نَحْنُ، بِالرَّاحَةِ لَدَى ظُهُورِ الرَّبِّ يَسُوعَ عَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ،⁷ وَمَعَهُ مَلَائِكَةُ قُدْرَتِهِ،

وَسَطَ نَارٍ مُلْتَهَبَةٍ، مُنْتَقِمًا إِلَى النَّمَامِ مِنْ غَيْرِ الْعَارِفِينَ بِهِ وَغَيْرِ الْمُطِيعِينَ لِإِنْجِيلِ رَبِّنَا يَسُوعَ.⁸

فَهَؤُلَاءِ سَيُكَابِدُونَ عِقَابَ الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ، بَعِيداً مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ.⁹

(تسالونيكي الثانية ١ : ٦-٩).

فجهنم هو مكان لعذاب منقطع النضير نعجز عن وصفه فهو عقاب لا نهاية له. مُقَيَّدُونَ فِيهِ لِلأَبَدِ، فالأشرار سيتحملون ذنبهم الأبدي وسيكابدون معاناة غضب الله في نار لا تنتهي.

وقد وصف يسوع مكان جهنم "بالظلمة الخارجية"، حيث هناك "النحيب وصرير الأسنان"، ذلك المكان

"حَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ، وَالنَّارُ لَا تَطْفَأُ" (متى ٢٢ : ١٣؛ مرقس ٩ : ٤٤). فكم هذا يدفعنا لأن نُحَذِرَ النَّاسَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمَرُوعِ وَنُخْبِرَهُمْ عَنِ الْخُلَاصِ الْمُوفَّرِ لَهُمْ بِالْمَسِيحِ وَحْدَهُ!

الا ان هناك طائفة مُعِينَةٌ تُعَلِّمُ عَنْ مَفْهُومِ الْمَطْهَرِ، وَهُوَ مَكَانٌ سِيعَانِي فِيهِ الْمُؤْمِنِينَ لِمُدَّةٍ مُّحَدَّدَةٍ حَتَّى يَتَطَهَّرُوا مِنْ خَطَايَاهُمْ لِيَصْبَحُوا مُسْتَحْقِينَ الذَّهَابِ لِلسَّمَاءِ. وهذه الفكرة ليست موجدة في الكتاب المقدس على الإطلاق.

بعد موت الأبرار

عندما يموت أحد المؤمنين، فوراً تنتقل روحه إلى السماء لتكون مع الرب. وقد أوضح بولس هذه الحقيقة تمام الوضوح عندما كتب عن موته الشخصي:

فَالْحَيَاةُ عِنْدِي هِيَ الْمَسِيحُ، وَالْمَوْتُ رِبْحٌ لِي.²¹

وَلَكِنْ، إِنْ كَانَ لِي أَنْ أَحْيَا فِي الْجَسَدِ، فَحَيَاتِي تُهَيِّئُ لِي عَمَلًا مُثْمَرًا. وَلَسْتُ أَدْرِي أَيَّ الْاِثْنَيْنِ أُخْتَارُ!²²

فَأَنَا تَحْتَ ضَغْطٍ مِنْ كِلَيْهِمَا: إِذْ إِنِّي رَاغِبٌ فِي أَنْ أَرْحَلَ وَأَقِيمَ مَعَ الْمَسِيحِ، وَهَذَا أَفْضَلُ بِكَثِيرٍ جِدًّا.²³

(فيلبي ١: ٢١-٢٣).

لاحظ قول بولس إنه يرغب في الرحيل وإن رحل، عندها سيكون مع المسيح، ولن تنتقل روحه الى حالة من اللاوعي، لتنتظر القيامة (كما بعضهم يزعم وللأسف).

لاحظ أيضاً قوله أن الموت هو ربح له. وذلك سيكون حقيقة فقط إذا ذهب للسماء بعد موته.

وأعلن بولس أيضاً في خطابه لأهل كورنثوس إن تركت روح شخص مؤمن جسده، ففلتو سيصبح مُقيماً عند الرب:

لِذَلِكَ نَحْنُ وَاثِقُونَ دَائِمًا، وَغَالِمُونَ أَنَّ مَا دُمْنَا مُقِيمِينَ فِي الْجَسَدِ، نَبْقَى مُعْتَرِبِينَ عَنِ الرَّبِّ،⁶

لَأَنَّنا نَسْأَلُكَ بِالْإِيمَانِ لَا بِالْعِيَانِ.⁷

فَنَحْنُ وَاثِقُونَ إِذْنًا، وَرَاضُونَ بِالْآخَرَى أَنْ نَكُونَ مُعْتَرِبِينَ عَنِ الْجَسَدِ وَمُقِيمِينَ عِنْدَ الرَّبِّ.⁸

(كورنثوس الثانية ٥: ٦-٨).

ولمزيد دعم لهذه الحقيقة لنضطلع على ما كتبه بولس:

عَلَى أَنَّنَا نُرِيدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَلَّا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَمْرُ الرَّاقِدِينَ، حَتَّى لَا يُصِيبَكُمُ الْحُزْنُ كَغَيْرِكُمْ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا رَجَاءَ لَهُمْ.^{١٣}

فَمَا دُمْنَا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ ثُمَّ قَامَ، فَمَعَهُ كَذَلِكَ سَيُحْضِرُ اللَّهُ أَيْضًا الرَّاقِدِينَ بِيَسُوعَ.^{١٤}

(تسالونيكي الأولى ٤: ١٣-١٤).

فإذ سيحضر يسوع من السماء ومعه أولئك الذين رقدوا به، هذا يعني أنهم لا محالة معه في السماء الآن.

السماء المتوقعة

بماذا نُشبه السماء؟ بالطبع لا نستطيع بعقولنا المحدودة أن ندرك الأمجاد العتيدة أن تأتي، والكتاب المقدس لا يعطينا الا لحظة صغيرة فقط. اما الحقيقة الأكثر إثارة عن السماء لنا المؤمنين أننا سنرى الرب والمخلص، يسوع، والله وجهاً لوجه. وسنقيم في "بيت الأب":

فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَقُلْتُ لَكُمْ! فَإِنِّي ذَاهِبٌ لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا.²
وَبَعْدَمَا أَذْهَبُ وَأَعِدُّ لَكُمْ الْمَكَانَ أَغُودُ إِلَيْكُمْ وَأَخْذُكُمْ إِلَيَّ، لِتَكُونُوا حَيْثُ أَكُونُ أَنَا.³
(يوحنا ١٤: ٢-٣).

عند وصولنا الى السماء، في الحال سيزول كل الغموض الذي لا تستطيع عقولنا الارضية أن تفهمه، عندها سنفهم كما عبّر عنه بولس:

وَنَحْنُ الْآنَ نَنْظُرُ إِلَى الْأُمُورِ مِنْ خِلَالِ زُجَاجٍ قَاتِمٍ فَتَرَاهَا بِغُمُوضٍ. إِلَّا أَنَّنَا سَنَرَاهَا آخِرًا مُوَاجِهَةً. الْآنَ، أَعْرِفُ مَعْرِفَةً جُزْئِيَّةً. وَلَكِنِّي، عِنْدِيذٍ، سَأَعْرِفُ مِثْلَمَا عُرِفْتُ (كورنثوس الأولى ١٣: ١٢).

فسفر الرؤيا سيعطينا صورة أفضل عما نُشبه السماء. وُصفت كمكان عظيمًا، تنوعات غير محدودة، وفرح غير معقول، السماء لن تكون مكانًا للناس يجلسون فيه على السحاب ويعزفون على القيثارات طوال اليوم. ويوحنا الذي أعطيت له رؤية للسماء، أول ما لاحظته كان عرش الله في مركز الكون:

وَفِي الْحَالِ صِرْتُ فِي الرُّوحِ، فَرَأَيْتُ فِي السَّمَاءِ عَرْشًا يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ²
تَتَّبَعْتُ مِنْهُ أَنْوَارٌ كَأَنَّهَا صَادِرَةٌ مِنْ لَمَعَانِ الْيَشْبِ وَالْعَفِيقِ الْأَحْمَرِ. وَحَوْلَ الْعَرْشِ قَوْسٌ قُزَحٌ يَلْمَعُ كَأَنَّهُ³ الزُّمُرُّدُ.
وَقَدْ أَحَاطَ بِالْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشًا يَجْلِسُ عَلَيْهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ شَيْخًا يَلْبَسُونَ ثِيَابًا بَيَضَاءً، وَعَلَى⁴ رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ.
وَكَانَتْ تَخْرُجُ مِنَ الْعَرْشِ بُرُوقٌ وَرُغُودٌ وَأَصْوَاتٌ، وَأَمَامَهُ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُضَاءَةٍ، هِيَ أَرْوَاحُ اللَّهِ⁵ السَّبْعَةُ.
وَكَانَ يَبْدُو كَأَنَّ بَحْرًا شَفَافًا مِثْلَ الْبَلُورِ يَمْتَدُّ أَمَامَ الْعَرْشِ، وَفِي وَسْطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَهُ أَرْبَعَةُ كَائِنَاتٍ تَكْسُوهَا⁶ غُيُونٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَمَامِ وَمِنْ الْخَلْفِ:
الْكَايِنُ الْأَوَّلُ يُشَبِّهُ الْأَسَدَ، وَالثَّانِي يُشَبِّهُ الْعِجْلَ، وَالثَّالِثُ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ إِنْسَانٍ. أَمَّا الْكَايِنُ الرَّابِعُ فَيُشَبِّهُ⁷ النَّسْرَ الطَّائِرَ.

وَكَانَ لِكُلِّ كَائِنٍ مِنْهَا سِتَّةُ أَجْنَحَةٍ، تَكْسُوهَا عُيُونٌ مِنَ الدَّاخلِ وَمِنَ الْخَارِجِ. وَهَذِهِ الْكَائِنَاتُ الْحَيَّةُ الْأَرْبَعَةُ⁸ تَهْتَفُ لَيْلاً وَنَهَاراً دُونَ انْقِطَاعِ قَائِلَةٍ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي سَيَأْتِي.

وَكُلَّمَا قَدَّمَتْ هَذِهِ الْكَائِنَاتُ التَّمَجِيدَ وَالْإِجْلَالَ وَالْحَمْدَ لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ،⁹ يَجْنُو السُّيُوحُ الْأَرْبَعَةُ وَالْعَشْرُونَ أَمَامَ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ سَاجِدِينَ لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ، وَيُقْفُونَ أَكَالِيلَهُمْ¹⁰ أَمَامَ عَرْشِهِ وَهُمْ يَهْتَفُونَ:

مُسْتَحَقُّ أَنْتَ يَا رَبَّنَا وَإِلَهَنَا الْمَجْدَ وَالْإِجْلَالَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ خَلَقْتَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَقَدْ خَلَقْتَ!

(رؤيا ٤: ٢-١١).

وهكذا فقد بذل يوحنا جهداً ليعطي الوصف بمعانٍ أرضية لما يصعب علينا فهمه ههنا بعقولنا. ومن الواضح أننا لن نفهم كل ما رآه يوحنا حتى نراه بأنفسنا. وعلى الرغم من ذلك وبالتأكيد قراءتها ستمنحنا الهاماً عجبياً.

ومُعظم الفقرات المُلهمة موجودة خاصةً في الإصحاح ٢١ و٢٢ من سفر الرؤيا، حيث وصف يوحنا أورشليم الجديدة، القائمة الآن في السماء ألا أنها ستأتي الى الأرض بعد حكم المسيح ألفي:

وَأَخَذَنِي بِالرُّوحِ إِلَى قِمَّةِ جَبَلٍ ضَخْمٍ عَالٍ، وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ¹⁰ وَلَهَا مَجْدُ اللَّهِ، وَهِيَ تَتَلَأَلُ كَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَكَأَنَّهَا مِنْ حَجَرِ الْيَشْبِ الْبَلُورِيِّ!¹¹

لَهَا سُورٌ ضَخْمٌ عَالٍ وَأَتْنَا عَشَرَ بَاباً يَحْرُسُهَا اثْنَا عَشَرَ مَلَكاً، وَقَدْ كُتِبَتْ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ¹² الْاِثْنَيْ عَشَرَ؛

إِلَى الشَّرْقِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ؛ وَإِلَى الشِّمَالِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ، وَإِلَى الْجَنُوبِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ؛ وَإِلَى الْغَرْبِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ.¹³ وَيَقُومُ سُورُ الْمَدِينَةِ عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ دِعَامَةً كُتِبَتْ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ رُسُلِ الْحَمَلِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ.¹⁴

وَكَانَ الْمَلَأُ الَّذِي يُكَلِّمُنِي يُمَسِّكُ قَصَبَةً مِنَ الذَّهَبِ لِيُقَيِّسَ بِهَا الْمَدِينَةَ وَأَبْوَابَهَا وَسُورَهَا.¹⁵

وَكَانَتْ أَرْضُ الْمَدِينَةِ مَرْبَعَةً، طُولُهَا يُسَاوِي عَرْضَهَا، فَلَمَّا قَاسَهَا بِالْقَصَبَةِ تَبَيَّنَ أَنَّ ضِلْعَهَا يُسَاوِي أَلْفَيْنِ¹⁶ وَأَرْبَعِينَ كِيلُومِترٍ، وَهِيَ مُتَسَاوِيَةُ الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْإِرْتِفَاعِ.

ثُمَّ قَاسَ السُّورَ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ يُسَاوِي مِئَةً وَأَرْبَعاً وَأَرْبَعِينَ ذِرَاعاً، وَكَانَ الْمَلَأُ يَسْتَعْمِلُ قِيَاساً يُعَادِلُ ذِرَاعَ¹⁷ إِنْسَانٍ.

كَانَتْ الْمَدِينَةُ مَبْنِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ شَفَافٍ كَالزُّجَاجِ النَّقِيِّ. أَمَّا سُورُهَا فَمِنْ الْيَشْبِ،¹⁸

وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ دِعَامَةً مَرْصَعَةً بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ: كَانَتْ الدِّعَامَةُ الْأُولَى مِنَ الْيَشْبِ؛ وَالثَّانِيَةُ¹⁹ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ؛ وَالثَّالِثَةُ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَبْيَضِ؛ وَالرَّابِعَةُ مِنَ الزُّمُرُدِ الدُّبَابِيِّ؛

وَالْخَامِسَةُ مِنَ الْجَزَعِ الْعَقِيقِيِّ؛ وَالسَّادِسَةُ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ؛ وَالسَّابِعَةُ مِنَ الزَّبَرْجَدِ؛ وَالثَّامِنَةُ مِنَ الزُّمُرْدِ²⁰ السِّلْقِيِّ؛ وَالتَّاسِعَةُ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَصْفَرِ، وَالْعَاشِرَةُ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَخْضَرِ؛ وَالْحَادِيَةُ عَشْرَةَ مِنَ الْأَسْمَانْجُونِيِّ؛ وَالثَّانِيَةُ عَشْرَةَ مِنَ الْجَمَشْتِ.

أَمَّا الْأَبْوَابُ الْاثْنَا عَشَرَ فَهِيَ اثْنَتَا عَشْرَةَ لَوْلُؤَةً: كُلُّ بَابٍ لَوْلُؤَةٌ وَاحِدَةٌ. وَسَاحَةُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ²¹ كَالزُّجَاجِ الشَّقَافِ.

وَلَمْ أَجِدْ فِي الْمَدِينَةِ هَيْكَلًا، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ الْفَاقِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالْحَمَلُ هُمَا هَيْكَلُهَا.²²

وَلَمْ تَكُنِ الْمَدِينَةُ فِي حَاجَةٍ إِلَى نُورِ الشَّمْسِ أَوْ الْقَمَرِ، لِأَنَّ مَجْدَ اللَّهِ يُنِيرُهَا، وَالْحَمَلُ مِصْبَاحُهَا.²³

سَتَسِيرُ بِنُورِهَا الْأُمَمُ، وَيَأْتِيهَا مُلُوكُ الْأَرْضِ بِكُنُوزِهِمْ.²⁴

وَلَا تُفْقَلُ أَبْوَابُهَا أَبَدًا طُولَ النَّهَارِ، لِأَنَّ اللَّيْلَ لَا يَأْتِي عَلَيْهَا!²⁵

وَسَتُحْمَلُ إِلَيْهَا كُنُوزُ الْأُمَمِ وَأَمْجَادُهَا.²⁶

وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ نَجِسٌ، وَلَا الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْقَبَائِحَ وَيُدْجِلُونَ، بَلْ فَقَطِ الَّذِينَ كُتِبَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سِجْلِ الْحَيَاةِ²⁷ لِلْحَمَلِ!

ثُمَّ أَرَانِي الْمَلَائِكَةَ تَهْرَمَاءِ الْحَيَاةِ صَافِيًا كَالْبَلُورِ، يُنْبَعُ مِنْ عَرْشِ اللَّهِ وَالْحَمَلِ.¹

وَيَخْتَرِقُ سَاحَةَ الْمَدِينَةِ، وَعَلَى ضَفْتَيْهِ شَجَرَةُ الْحَيَاةِ تُثْمِرُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، كُلُّ شَهْرٍ مَرَّةً. وَأَوْرَاقُهَا دَوَاءٌ² يَشْفِي الْأُمَمَ.

لَنْ تَكُونَ فِيمَا بَعْدَ لَعْنَةٍ أَبَدًا. لِأَنَّ عَرْشَ اللَّهِ وَالْحَمَلِ قَائِمٌ فِي الْمَدِينَةِ، حَيْثُ يَخْدُمُهُ عِبِيدُهُ³

وَيَرَوْنَ وَجْهَهُ، وَقَدْ كُتِبَ اسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ.⁴

وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ لَيْلٌ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى نُورِ مِصْبَاحٍ أَوْ شَمْسٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَهُ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ⁵ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ!

(رؤيا ٢١: ١٠ - ٢٢: ٥).

هذه العجائب عليها أن تثير الشغف في قلوب أتباع يسوع، لطالما استمروا بالإيمان. وبلا شك سنقضي الأيام الأولى لنا في السماء قائلين بعضنا البعض، "هذا ما كان يوحنا يحاول أن يصفه لنا في سفر رؤيته يوحنا!"

الفصل الثامن والعشرون

خطة الله الأبدية

God's Eternal Plan

يطرح الناس أسئلة وجدانية عبر العصور وبكل الحضرات من مختلف الشعوب والامم، سوف نتطلع على بعض هذه الأسئلة وسنرى كيف يجيب الكتاب المقدس عنها.

لماذا خلقنا الله؟ هل كان له هدف معين منذ البدئ؟ ألم يعلم أن الجميع سيتمردون عليه؟ ألم يرى عواقب تمردنا، وكل المعاناة والحزن الذي ستوجهها البشرية؟ وعليه لماذا خلق الله الانسان أياً كان أصلاً؟

الكتاب المقدس يُجيب على كل هذه الأسئلة. فيُخبرنا أنه حتى قبل أن يخلق الله آدم وحواء، كان على علم أنهما وكل من سيأتي بعدهما سيخطئون. والعجيب أنه قد وضع خطة مؤكدة ليفدي البشرية الساقطة بيسوع. فقد كتب بولس عن خطة الله السابقة للخلقة،

مُتَوَكِّلاً عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ،^٨

فَهُوَ قَدْ خَلَصَنَا، وَدَعَانَا إِلَيْهِ دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لَا عَلَى أَسَاسِ أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُوجِبِ قَصْدِهِ وَنِعْمَتِهِ الَّتِي وَهَبَتْ لَنَا^٩ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ أَرْمَنَةِ الْأَزَلِ. (تيموثاوس الثانية ١ : ٨ ب - ٩).

فإن نعمة الله قد ضمنت لنا في المسيح ليس فقط إلى الأبد بل منذ الأزل أيضاً. ذلك يُشير إلى موت يسوع الكفاري الذي كان في مخطط الله منذ قديم الأزل.

وقد كتب بولس شيئاً مُشابهاً لهذا في رسالته لأهل أفسس:

وَفَقْراً لِلْقَصْدِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي قَصَدَهُ اللَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا (أفسس ٣ : ١١).

فموت يسوع على الصليب لم يكن مجرد حدث عفوي، أو حل سريع لتصليح خطأ غير متوقع.

فلم يكن لله قصداً أبدياً لضمان نعمته للأبد وحسب، ولكنه كان يعلم منذ الأزل مَنْ هم الذين سيختارون قبول نعمته، حتى أنه قد كتب أسماءهم في سفر الحياة:

فَيَسْجُدُ لِلْوَحْشِ جَمِيعُ سُكَّانِ الْأَرْضِ الَّذِينَ لَمْ تُكْتَبْ أَسْمَاؤُهُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ فِي سِجْلِ الْحَيَاةِ لِلْحَمَلِ الَّذِي دُبِحَ (رؤيا ١٣ : ٨).

فلم يفاجئ سقوط آدم الله. ولا حتى سقوطك أو سقوطي. الله عالم مسبقاً من سيخطئ ومن سيتوب ومن سيؤمن بالرب يسوع.

السؤال التالي

فإن كان الله يعلم أن البعض سيؤمنون بيسوع وآخرون سيرفضونه، فلماذا عليه خَلَقَ الله أشخاصاً مع علمه أنهم سيرفضونه؟ لماذا لم يخلق الله فقط أشخاصاً سيتوبون ويؤمنون بيسوع؟

لربما من العسير فهم الإجابة على هذا السؤال ولكن ليس مُستحيلاً. أولاً، علينا أن ندرك أن الله خلقنا مع إرادة حرة. وهذا يعني أن لجميعنا قد أعطيت ميزة اتخاذ القرار بأنفسنا، أن نشاء خدمة الله أم لا. فإن قراراتنا للطاعة أو للعصيان، للتوبة أو عدمها غير مُحدد مسبقاً من الله. فذلك يرجع لاختياراتنا الشخصية. ومع هذا، لا بد وأن يُختبر كل منا نحن البشر. بالطبع الله يعلم مسبقاً ما سنفعله، ولكن لا بد لنا أن نقوم بفعل شيئاً بوقت معين من الزمن لنجعله يعلم مسبقاً ما سنفعله.

فعلى سبيل المثال، الله يعلم ما ستكون نتيجة كل مباراة كرة قدم قبل أن تبدأ، ولكن ليعلم الله النتائج مسبقاً لا بد وأن يتم اجراء المباريات بالأساس. فلا علم لله ولن يستطيع أن يعلم مسبقاً نتائج لمباريات كرة القدم إن لم يتم لعبها.

وكذلك يمكن لله أن يعلم قرارات الوكلاء ذوي أخلاق حرة إن كانوا قد أعطوا الفرصة لاتخاذ القرارات واخراجها الى حيز التنفيذ. فعليه فلا بد وأن تُختبر. ولذلك لا يستطيع الله أن يخلق فقط الأشخاص الذي يعلم أنهم سيتوبون وسيأتون بالآيمان بيسوع.

سؤالاً آخر يُطرح

ويمكن أن يسأل سائل، " أن كان كل ما يريده الله هو اناساً مُطيعين، فلماذا خلقنا نتمتع بإرادة حرة؟ لماذا لم يخلق الله عرق من الناس على شبه آلة (روبوت) ليطيعوه للأبد؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول أن الله هو أب. وهو يود أن يكون له علاقة مع كل واحد منّا كعلاقة الأب لابنه، ولا يمكن أن تقوم علاقة كهذه مع أناس على شبه آلة. فرغبة الله بأن تكون له عائلة أبدية من اولاد اختاروا وبكل ارادتهم الحرة أن يحبوه. وحسب الكتاب المقدس، تلك كانت خطته الازلية المسبقة:

كَمَا كَانَ قَدْ اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ بِلَا لَوْمٍ أَمَامَهُ. ٤

إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا فِي الْمَحَبَّةِ لِنَتَّخِذَنَا أَبْنَاءَ لَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَذَلِكَ مُوَافِقٌ لِلْقَصْدِ الَّذِي سُرَّتْ بِهِ مَشِيئَتُهُ. ٥

(أفسس ١: ٤-٥).

فإن أردت أن تكون لديك فكرة عن السرور الذي يحصل عليه الله من أشخاص آليين، ضع دُمية بين يديك ودع الدمية المتكلمة وفق برمجة ما، أن تقول لك بأنها تُحبك. فعلى أغلب الضن وبمعظم الحالات لن تحض بذلك الشعور الدافئ في قلبك! فالدُمية تنطق فقط بما تجعلها تنطقه. أما بالحقيقة فهي لا تُحبك.

فما يجعل من الحب شيئاً مميزاً هو أنه مبني على اختيار شخصي كامل الحرية. فالدمى والآليين (روبوت) لا يفقهون بشيء عن الحب لأنهم عديمي القدرة على اتخاذ القرارات بأنفسهم.

ولأن الله أراد له عائلة مؤلفة من أولاد اختاروا أن يحبوه ويخدموه من قلوبهم، لذلك خلق وكلاء ذوي أخلاق حرة. فالقرار يتضمن مجازفته بأن ليس كل هؤلاء الوكلاء ذوي أخلاق حرة سيختارون أن يحبوه ويخدموه. ولكن بعد مقاومة هؤلاء طوال حياتهم لإله قد أعلن عن ذاته بجذب الناس لنفسه من خلال خليقته، ضمائرهم ودعوة الإنجيل، سيواجهون عقوبتهم الحقّة، مُثبتين أن عقوبة الله عادلة نحوهم.

وهكذا لن يستطع أحد ممن القوا في الجحيم أن يوجه أصبع الاتهام ضد الله، إذ أنه قد وفر طريق الهروب لكل بني البشر لئلا يعانون من عقاب خطاياهم. فالله يرغب بخلص كل شخص (أنظر تيموثاوس الأولى ٢: ٤؛ بطرس الثانية ٣: ٩)، ولكن لا بد للمرء أن يُقرر ذلك لنفسه.

القدر الكتابي

ماذا عمّا ورد في أسفار العهد الجديد بما يتعلق بالتعيين الإلهي المسبق، إذ أختارنا قبل تأسيس العالم؟ للأسف يعتقد البعض أن الله قد أختار أشخاصاً مُعينين ليخلصوا والباقيين اختارهم للهلاك، هذه الفكرة من الواضح تلغي مفهوم الإرادة الحرة وهذا بالطبع ما لا يعلمه الكتاب المُقدس. دعونا نأخذ في الاعتبار ما يعلمه الكتاب المُقدس عن التعيين المسبق.

بالطبع يعلمنا الكتاب المُقدس أن الله قد اختارنا، ولكن على هذه الحقيقة أن تكون مؤهلة. فالله أختار منذ تأسيس العالم ليفدي هؤلاء الذين علّم انهم سيتوبون ويؤمنون بالإنجيل وبتأثير النعمة التي جذبتهم إليه، ولكن ذلك يكون حسب اختيارهم بإرادتهم الحرة. فدعونا نقرأ ما كتبه بولس الرسول عن الذين أختارهم الله:

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْفُضْ شَعْبَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ اخْتَارَهُ. أَمَّا تَعْلَمُونَ مَا يَقُولُهُ الْكِتَابُ فِي أَمْرِ إِبِلْيَا لَمَّا رَفَعَ إِلَى اللَّهِ ٢ شُكْوَى عَلَى إِسْرَائِيلَ قَائِلاً:

يَا رَبُّ؟ قَتَلُوا أَنْبِيََاءَكَ، وَهَدَمُوا مَذَابِحَكَ، وَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَسْعَوْنَ إِلَيَّ قَتْلِي! ٣

وَلَكِنْ، مَاذَا كَانَ الْجَوَابُ الإِلَهِيُّ لَهُ؟: أَبْقَيْتُ لِنَفْسِي سَبْعَةَ آلَافِ رَجُلٍ لَمْ يَخْنُوا رُكْبَةً لِلْبَعْلِ! ٤

فَكَذَلِكَ، فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، مَا تَزَالُ بَقِيَّةُ اخْتَارَهَا اللَّهُ بِالنِّعْمَةِ. ٥

(رومية ١١: ٢-٥)

لاحظ أن الله قال لإبيليا أنه "أبقى لنفسه سبعة آلاف رجل"، ولكن هؤلاء السبعة آلاف رجل اختاروا قبلاً ألا يسجدوا للبعل. وبالطريقة ذاتها قال بولس أن هناك مؤمنين من اليهود وفقاً لاختيار الله. ولذلك يمكن القول، نعم لقد اختارنا الله، ولكنه اختار هؤلاء الذين اختاروا الاختيار الصحيح أولاً. فقد اختار الله أن يخلص هؤلاء الذين آمنوا بيسوع، وكانت هذه خطته قبل الخليقة.

المعرفة المسبقة لله

ومع ذلك، يُعلمنا الكتاب المقدس أن الله يعلم مسبقاً بمن سيختارون الخيار الصحيح. فعلى سبيل المثال ما قاله بطرس:

مِنْ بَطْرُسَ، رَسُولِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى الْمُشَتَّتِينَ الْمُعْتَرِبِينَ فِي بِلَادِ بُنْطُسَ وَغَلَاطِيَّةَ وَكَبْدُوكِيَّةَ وَآسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ،
أُولَئِكَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ الْآبُ بِحَسَبِ عِلْمِهِ السَّابِقِ. (بطرس الأولى ١: ١-٢ب).

فقد تم اختيارنا طبقاً لعلم الله المسبق. فقد كتب بولس أيضاً عن المؤمنين المعروفين لله مسبقاً:

لَأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ، سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ أَيْضاً لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ الْبِكْرَ بَيْنَ إِخْوَةٍ^{٢٩}
كَثِيرِينَ.

وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ دَعَاهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهَؤُلَاءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ
مَجَّدَهُمْ أَيْضاً.

(رومية ٨: ٢٩-٣٠).

لقد عرف الله مسبقاً أولئك الذين سيختارون أن يؤمنوا بيسوع، فقدّر لنا أن نتغير على شاكلة صورة ابنه،
لنكون اولاداً متجددين لله نضم الى عائلته الكبيرة. وللحفاظ على خطته الأبدية، قد دعانا عن طريق الإنجيل،
وجعلنا أبراراً كي ننمجد بالحياة الآتية في ملكوته.

وكتب بولس برسالة أخرى:

تَبَارَكَ اللَّهُ ، أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَاتٍ رُوحِيَّةٍ فِي الْأَمَاكِنِ السَّمَاوِيَّةِ.^٣

كَمَا كَانَ قَدْ اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قَدِيسِينَ بِلَا لَوْمٍ أَمَامَهُ.^٤

إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا فِي الْمَحَبَّةِ لِنَتَّخِذَنَا أَبْنَاءَ لَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَذَلِكَ مُوَافِقٌ لِلْقَصْدِ الَّذِي سُرَّتْ بِهِ مَشِيئَتُهُ،^٥

بِغَرَضٍ مَدَحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي بِهَا أَعْطَانَا خُطْوَةً لَدَيْهِ فِي الْمَحْبُوبِ.^٦

(أفسس ١: ٣-٦)

وذاات الحقيقة قُدمت لنا هنا أيضاً - قدّر الله لنا (إذ علم مسبقاً أننا سنتوب ونؤمن) قبل تأسيس العالم لنكون
أولاده المقدسين بيسوع المسيح.

وكما ذكرت آنفاً عن البعض من الذين يُغيرون معنى هذه الآيات متجاهلين كل ما يعلمنا الكتاب المقدس بهذا
الامر، يتدعون أنه لا فرصة لنا لاختيار خلاصنا - الاختيار المفترض على أن كله لله. ويسمون ذلك عقيدة
"الاختيار الغير مشروط". ولكن من سَمِعَ عن شيء كالاختيار الغير مشروط، وهو اختيار ليس مبنياً على
أساس إتمام شروط معينة؟ ففي الدول الحرة، ننتخب المرشحين السياسيين بناءً على تلبيةهم للشروط التي
تناسب معنا. فنحن ننتخب شريكاً للحياة بناءً على تلبيةه/ها لشروط معينة، ولصفاتهم التي نرغب بها. لكن

مازال بعض اللاهوتيون يريدون أن نؤمن أن الله اختار من يُريد أن يخلصهم وهو "اختيار غير مشروط" ولم يختار آخرين لذلك، وهذا الاختيار ليس مؤسساً على الشروط التي لهاها الناس! ولذلك خلاص الأفراد يتم بمحض الصدفة من نزوات خاصة غير بارة ومرايئة وغير ذكية من وحش يُدعى الله! فهذا هو تعبير "الاختيار الغير مشروط" وهذا يأتي بتناقض مع ذاته، حيث كلمة اختيار توحى بشروط. فالاختيار الغير المشروط ليس باختيار على الإطلاق، ولكن مجرد صدفة.

الصورة واضحة

الآن نرى ان الصورة توضحت لنا أكثر. فإذا وحسب علم الله المسبق أن كل انسان منا سوف يخطئ لامحالة، ذلك جعله يضع خطة لفدائنا حتى قبل أن نأتي الى هذا العالم. هذه الخطة توحى بحُبه العظيم والعدل، والذي يتطلب موت ابنه الغالي الغير خاطي من أجل خطايانا وكبديل عنا. ولم يكتف الله ليقدر لنا الغفران نحن التائبون المؤمنون وحسب، بل قدر لنا أيضاً اننا سنصبح على شبه ابنه يسوع، كما قال بولس، "وَفِيمَا بَعْدُ لَا أَحْيَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ." (غلاطية ٢: ٢٠).

سيأتي يوماً به سنعطى، نحن أولاد الله المولدين الميلاد الثاني، أجساداً غير قابلة للفساد، وسنعيش في بيئة كاملة، خادمين ومُحبيين ومُتعبدين مع أبانا السماوي! سنعيش في أرض جديدة وأورشليم جديدة. وكل هذا سيصبح ممكناً فقط بفضل موت يسوع الكفاري! فلنسبح الله على خطته الأبدية المسبقة!

الحياة الحاضرة

عندما نفهم خطة الله الأبدية، عندها نستطيع ان ندرك معنى هذه الحياة الحاضرة. فهذه الحياة بالأساس ما هي إلا اختبار لكل مرءٍ. فلكل انسان قد أُعطيت الفرصة ليختار إن كان يريد أن يتمتع بذلك الامتياز المبارك ليكون من أبناء الله الذين سيعيشون معه للأبد. فالذين يتضعون عند استماع كلمة الله الجاذبة، وبعدها يتوبون ويؤمنون، سيُرفعون (أنظر لوقا ١٨: ١٤). فان الحياة الحاضرة تعتبر اختباراً للحياة العتيدة.

ذلك سيساعدنا أيضاً على فهم بعض الحقائق المكتومة الخفية والتي تُحيط بالحياة الحاضرة. على سبيل المثال قد نَسأل "لماذا يُسمح للشيطان وأتباعه على إغواء الناس؟ أو "عندما طُرد الشيطان من السماء لماذا أُعطيت له فرصة الوصول إلى الأرض؟"

هنا يمكن أن نرى بأنه حتى الشيطان يخدم الغرض الإلهي في خطة الله. أساساً يخدم الشيطان كونه الاختيار البديل للبشرية. فإن كان الاختيار الوحيد هو خدمة يسوع، فعندها جميع الناس سيخدمون يسوع شاءوا ذلك أم أبوا.

ذلك سيشبه الانتخابات التي تتطلب من كل فرد التصويت في حين ليس هناك سوى مُرشح واحد. فبالطبع سيُنخب ذلك المُرشح بالإجماع، ولكن مُرشحنا هذا لن يكون له أي يقين بأنه محبوب أو حتى معجب من قبل

أي من الناصحين! إذ لم يكن لهم خيار آخر سوى التصويت له! هكذا سيغدو الله في الموقف ذاته إن لم يكن له منافساً آخرًا على قلوب الناس.

دعونا نُلقي نظرة على ذلك من زاوية أخرى: ماذا لو وضع الله آدم وحواء في جنة تخلو من أي مُحرم؟ عندها سوف يصبحوا أشخاصاً أليين (روبوت) بسبب البيئة التي وضعوا بها، ولن يتمكنوا من قول "أنا اخترنا طاعة الله" إذ لم تعطى لهما فرصة عصيانه.

والأهم من هذا أن الله من جهة أخرى لا يمكنه قول: "أنا أعلم أن آدم وحواء يحبونني"، إذ لم تعطى لا لآدم ولا لحواء فرصة لطاعة الله وإثبات حُبهم له. لابد أن يعطى الله الناس فرصة لعصيانه لتحديد إن كانوا بالفعل يريدون طاعته. فالله لا يُجرب أحداً (يعقوب ١: ١٣)، ولكنه يختبرنا جميعاً (أنظر مزامير ١١: ٥؛ أمثال ١٧: ٣). فأحدى طرقه لاختبار الناس هي السماح للشيطان لإغرائهم، والذي يخدم الغرض الإلهي في خطة الله الأبدية.

مثال مُمتاز

فتقرأ في تثنية ١٣: ١-٣

إِذَا ظَهَرَ بَيْنَكُمْ نَبِيٌّ أَوْ صَاحِبُ أَحْلَامٍ، وَتَنَبَّأَ بِوُقُوعِ آيَةٍ أَوْ أُعْجُوبَةٍ^١

فَتَحَقَّقْتَ تِلْكَ الْآيَةَ أَوْ الْأُعْجُوبَةَ الَّتِي تَنَبَّأَ بِهَا، ثُمَّ قَالَ: هَلَمْ نَذْهَبْ وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا وَنَعْبُدْهَا.^٢

فَلَا تُصْغُوا إِلَى كَلَامِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوْ صَاحِبِ الْأَحْلَامِ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ يُجَرِّبُكُمْ لِيَرَى إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ.^٣

من المنطقي الاستنتاج أنه ليس الله من وهب النبي الكذاب القدرة الفوق طبيعية للقيام بصنع الآيات العجائب لكن لابد ان الشيطان الذي فعل ذلك. فقد سمح الله باستخدامه تجارب الشيطان في اختباره ذاك ليكشف ماذا يختبأ في قلوب أبناء شعبه.

والمبدأ ذاته موضح في قضاة ٢: ٢١-٣: ٨ عندما أجاز الله باختبار شعب إسرائيل من خلال الأمم المحيطة لهم ليحدد فيما إذا كانوا يطيعوه ام لا. يسوع أيضاً قاده الروح القدس إلى البرية بغرض تجربته من قبل الشيطان (أنظر متى ٤: ١) وبالتالي اختباره من قبل الله. كان من اللازم إثبات تزكيته انه بلا خطية، والطريقة الوحيدة لإثبات تزكيته بأن يختبر التجربة.

لا يحمل الشيطان كل اللوم

بدون أدنى شك قد خدع الشيطان وما يزال يخدع عدداً كبيراً من الناس حول العالم بوضعه غمامة على أذهانهم لئلا يروا حقيقة الإنجيل، لكن علينا إدراك حقيقة أن الشيطان لا يقدر أن يعصى أي شخص كان. فهو يتمكن من أن يخدع فقط أولئك الذين يسمحون بإخداع أنفسهم، وهم ممن يتجاهلون الحقيقة.

فقد أعلن بولس أن الغير مؤمنين الذين "هم مُظْلِمِي الْبَصِيرَةِ" وُجُهَاء، ولكنه بيّن السبب الجذري الذي يقف وراء ظلام بصيرتهم وجهلهم:

فِيمَا بَعْدُ كَمَا يَسْأَلُكَ الْأُمَمُ فِي عُمْمِ ذُهُنِهِمْ،^{١٧}

لِكُونِهِمْ مُظْلِمِي الْبَصِيرَةِ وَمُتَعَرِّبِينَ عَنْ حَيَاةِ اللَّهِ بِسَبَبِ مَا فِيهِمْ مِنْ جَهْلِ وَقَسَاوَةِ قُلُوبٍ.^{١٨}

فَهَؤُلَاءِ، إِذْ طَرَحُوا جَانِباً كُلَّ إِحْسَاسٍ، اسْتَسْلَمُوا لِلِابَاحِيَّةِ لِيَرْتَكِبُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ بِشَهْوَةٍ نَهْمَةٍ لَا تَرْتَوِي.^{١٩}
(أفسس ٤: ١٧-١٩)

ليس الغير مُخلصون من الناس مجرد أشخاص ذوي حظ سيئ وتم إخداعهم ببساطة من قِبل الشيطان. لا! ولكنهم خُطاه مُتمردون؟ جُهلاء بإرادتهم وهم يريدون البقاء على حالتهم مخدوعين بسبب صلابة قلوبهم. فلا ينبغي على أحد البقاء بالخداع، كما حياتك تشهد بذلك! فحين تُلين قلبك تجاه الله، لن يقدر الشيطان الاستمرار بإخداعك.

وفي نهاية المطاف، سيُفقد الشيطان أثناء حكم يسوع المسيح الالفي، ولن يكون له بعد تأثير على أي شخص:

فَقَدْ بَهَا النَّبِيُّنَ، أَيِ الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَهُوَ إِبْلِيسُ أَوِ الشَّيْطَانُ، وَسَجَنَهُ مُدَّةَ أَلْفِ سَنَةٍ،^٢

وَطَرَحَهُ فِي الْهَالَوِيَّةِ وَأَغْلَقَهَا عَلَيْهِ، وَخَتَمَهَا، حَتَّى يَكْفَ عَنْ تَضْلِيلِ الْأُمَمِ، إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ الْأَلْفُ سَنَةً.^٣
وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ إِطْلَاقِهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ.

(رؤيا ٢٠: ٢-٣)

لاحظ أنه قبل أن يُسجن قد "خدع الأمم"، ولكن عندما يُقيد سيفقد القدرة على إخداع الأمم. بعدها سيعود ليخدع الأمم مرة أخرى عندما يطلق:

فَحِينَ تَنْقُضِي الْأَلْفَ سَنَةً، يُطْلَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ،^٧

فَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الْأُمَمَ فِي زَوَايَا الْأَرْضِ الْأَرْبَعِ، جُوجَ وَمَاجُوجَ، وَيَجْمَعُهُمْ لِلْقِتَالِ، وَعَدَدُهُمْ كَثِيرٌ جَدًّا كَرَمْلِ الْبَحْرِ!

فَيَصْنَعُونَ عَلَى سُهُولِ الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ، وَيُحَاصِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مُعَسَّكَرَ الْقَيْسِيِّينَ وَالْمَدِينَةَ الْمَحْبُوبَةَ،^٩
وَلَكِنَّ نَاراً مِنَ السَّمَاءِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ وَتَلْتَهُمْ.

(رؤيا ٢٠: ٧-٩)

لماذا سيطلق الله الشيطان لهذه الفترة القصيرة من الزمن؟ والسبب يرجع لأنّ الذين يكرهون المسيح في قلوبهم بينما يظهرون له طاعة أثناء حكمه سوف يُكشفون. وبعد ذلك ستتم إدانتهم بالحق. وهذا سيكون الاختبار النهائي.

ولذات السبب، يُسمح للشيطان أن يعمل في الأرض الآن - لكي يظهر الذين يكرهون المسيح ويدانون. وعندما لن يصبح هناك أي حاجة لاستخدام الشيطان لتحقيق أي غرض بخطة الله، سي طرح ذاك المُخادع خارجاً إلى بُحيرة النار لِيُعذب هناك إلى الأبد (أنظر رؤيا ٢٠ : ١٠).

الإعداد للعالم العتيد أن يأتي

إن كنت قد ثبتت و آمنت بالإنجيل، عندها تكون قد اجتزت الاختبار الأول والأهم في هذه الحياة. ولكن لا تعتقد أنك لن تمر بعدها بتجارب واختبارات مستمرة في حياتك حتى ينظر الله لتفانيك وإخلاصك له. فهو لاء الذين يستمرون في الإيمان هم فقط من سيقفون أمام الله "مُقدسين بلا عيب" (كولوسي ١ : ٢٢-٢٣).

وزد على ذلك، يعلن الكتاب المُقدس لنا بوضوح أن كلنا سنقف أمام كرسي الله الديان، حتى يتم مكافأتنا كأفراد حسب طاعتنا على الأرض. وعليه فما زلنا تحت اختبار الى أن يتم إقرار أحقيتنا للمكافأة في ملكوت الله العتيدة. وكتب بولس عن ذلك،

وَلَكِنْ، لِمَاذَا أَنْتَ تَدِينُ أَخَاكَ؟ وَأَنْتَ أَيْضاً، لِمَاذَا تَحْتَقِرُ أَخَاكَ؟ فَإِنَّا جَمِيعاً سَوْفَ نَقِفُ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ ١٠
لِنُحَاسَبَ.

فَإِنَّهُ قَدْ كُتِبَ: أَنَا حَيٌّ، يَقُولُ الرَّبُّ، لِي سَتَنْحَنِي كُلُّ رُكْبَةٍ، وَسَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ بِيهِ. ١١
إِذَا، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُؤَدِّي حِسَاباً عَنْ نَفْسِهِ بِيهِ. ١٢

(رومية ١٤ : ١٠-١٢)

إِذْ لَأَبْدَ أَنْ نَقِفَ جَمِيعاً مَكْشُوفِينَ أَمَامَ عَرْشِ الْمَسِيحِ، لِنَبَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا اسْتِحْقَاقَ مَا عَمَلَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَسَدِ، أَصَالِحاً كَانَ أَمْ رَدِيئاً! (كورنثوس الثانية ٥ : ١٠).

إِذَنْ، لَا تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَأْنِ، رَيْثَمَا يَرْجِعَ الرَّبُّ الَّذِي سَيَسْلُطُ النُّورَ عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَخْجُبُهَا ٥
الظُّلَامُ الْآنَ، وَيَكْشِفُ نِيَّاتِ الْقُلُوبِ، عِنْدَئِذٍ يَبَالُ كُلُّ وَاحِدٍ حَقَّهُ مِنَ الْمَدْحِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ!
(كورنثوس الأولى ٤ : ٥).

ما هي المُكَافآت (الأجرة)؟

ماذا ستكون المُكَافآت لأولئك الذين أثبتوا حُبهم وتفانيهم وإخلاصهم ليسوع؟
يتكلم الكتاب المُقدس على الأقل عن مُكَافأتين - المديح من الله، وفُرص أكثر لخدمته. وكلاهما يظهران من خلال المثال الذي قاله يسوع عن الرجل النبيل:

فَقَالَ: ذَهَبَ إِنْسَانٌ نَبِيلٌ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ لِيَتَسَلَّمَ لَهُ مُلْكًا ثُمَّ يَعُودُ.^{١٢}

فَاسْتَدْعَى عَبِيدَهُ الْعَشْرَةَ، وَأَوْدَعَهُمْ عَشْرَ وَرَنَاتٍ، وَقَالَ لَهُمْ: تَاجِرُوا إِلَيَّ أَنْ أَعُودَ.^{١٣}

وَلَكِنَّ أَهْلَ بَلَدِهِ كَانُوا يُبْغِضُونَهُ، فَأَرْسَلُوا فِي إِثْرِهِ وَقَدَاءً، قَائِلِينَ: لَا تُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَ هَذَا عَلَيْنَا!^{١٤}

وَلَدَى عَوْدَتِهِ بَعْدَمَا تَسَلَّمَ الْمُلْكُ، أَمَرَ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدُ الَّذِينَ أَوْدَعَهُمُ الْمَالُ، لِيَعْرِفَ مَا رَبَحَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِتِجَارَتِهِ.

فَتَقَدَّمَ الْأَوَّلُ قَائِلًا: يَا سَيِّدِي، إِنَّ وَرْنَتَكَ رَبَحْتُ عَشْرَ وَرَنَاتٍ!^{١٥}

فَقَالَ لَهُ: حَسَنًا فَعَلْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ. فَلَا تَنُكَ كُنْتَ أَمِينًا فِي مَا هُوَ قَلِيلٌ، فَكُنْ وَالْيَا عَلَى عَشْرِ مُدُنٍ!^{١٦}

وَتَقَدَّمَ الثَّانِي قَائِلًا: يَا سَيِّدِي، إِنَّ وَرْنَتَكَ رَبَحْتُ خَمْسَ وَرَنَاتٍ!^{١٧}

فَقَالَ لِهَذَا أَيْضًا: وَكُنْ أَنْتَ وَالْيَا عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ!^{١٨}

ثُمَّ تَقَدَّمَ عَبْدٌ آخَرُ قَائِلًا: يَا سَيِّدِي، هَا هِيَ وَرْنَتُكَ الَّتِي حَفِظْتُهَا مَطْوِيَةً فِي مِندِيلٍ.^{١٩}

فَقَدْ كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ لِأَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، نَسْتَوْفِي مَا لَمْ نَسْتَوْدِعْهُ، وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزِرْ عَهْ!^{٢٠}

فَقَالَ لَهُ: مِنْ فَمِكَ سَأَحْكُمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ: عَرَفْتُ أَنَّي إِنْسَانٌ قَاسٍ، أَسْتَوْفِي مَا لَمْ أَسْتَوْدِعْهُ،^{٢١} وَأَحْصُدُ مَا لَمْ أَزِرْ عَهْ.

فَلَمَّاذَا لَمْ تُودِعْ مَالِي فِي الْمَصْرَفِ، فَكُنْتُ أَسْتَوْفِيهِ مَعَ الْفَائِدَةِ عِنْدَ عَوْدَتِي؟^{٢٢}

ثُمَّ قَالَ لِلْوَاقِفِينَ هُنَاكَ: خُذُوا مِنْهُ الْوَرْنََةَ وَأَعْطُوهَا لِصَاحِبِ الْوَرَنَاتِ الْعَشْرِ^{٢٣}

فَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدِي، إِنَّ عِنْدَهُ عَشْرَ وَرَنَاتٍ! فَقَالَ:^{٢٤}

إِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ يُعْطَى الْمَزِيدَ؛ وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ، فَحَتَّى الَّذِي عِنْدَهُ يُنْتَرَعُ مِنْهُ.^{٢٥}

وَأَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَحْضِرُواهُمْ إِلَيَّ هُنَا وَادْبَحُوهُمْ قُدَّامِي!^{٢٦}

(لوقا ١٩: ١٢-٢٧).

من الواضح أنه في هذا المثال يُشار بالرجل النبيل إلى يسوع الذي كان غائباً ثم عاد. فعندما يعود يسوع سيتوجب علينا تقديم حساباً لما فعلناه بالموهب، والقدرات، والخدمات، والفرص التي أعطيت لنا، الممثلة بكل من الوزنات التي أعطيت لكل خادم في هذا المثال. فإن كنا مُخلصين سنكافأ بمديحه وسيُعطى لنا سلطاناً لمساعدته في حكمه ومملكه على كل الأرض (أنظر تيموثاوس الثانية ٢: ١٢؛ رؤيا ٢: ٢٦-٢٧؛ ٥: ١٠؛ ٢٠: ٦)، متمثلة بالمُدن التي أعطيت لكل خادم أمين أن يشرف عليها في هذا المثال.

عدالة دينونتنا العتيدة

هناك مثلاً آخر قاله يسوع يوضح لنا عدالة دينونتنا العتيدة:^١
فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشَبَّهُ بِإِنْسَانٍ رَبَّ بَيْتٍ خَرَجَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ لِيَسْتَأْجِرَ عُمَّالاً لِكَرْمِهِ،
وَاتَّفَقَ مَعَ الْعُمَّالِ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ لِكُلِّ مِنْهُمْ دِينَاراً فِي الْيَوْمِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كَرْمِهِ.^٢
ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَبَاحاً، فَلَقِيَ فِي سَاحَةِ الْمَدِينَةِ عُمَّالاً آخَرِينَ بِلَا عَمَلٍ،^٣
فَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً وَاعْمَلُوا فِي كَرْمِي فَأُعْطِيَكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ! فَذَهَبُوا.^٤
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى السَّاحَةِ أَيْضاً نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ ظُهراً. ثُمَّ نَحْوَ الثَّالِثَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ، أَرْسَلَ مَزِيداً مِنْ
الْعُمَّالِ إِلَى كَرْمِهِ.
وَنَحْوَ السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ، خَرَجَ أَيْضاً فَلَقِيَ عُمَّالاً آخَرِينَ بِلَا عَمَلٍ، فَسَأَلَهُمْ: لِمَاذَا تَقْفُونَ هُنَا طُولَ
النَّهَارِ بِلَا عَمَلٍ؟
إِلْجَابُهُ: لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ. فَقَالَ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلَى كَرْمِي^٥
وَعِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ، قَالَ رَبُّ الْكَرْمِ لَوَكِيلِهِ: ادْعُ الْعُمَّالَ وَادْفَعْ الْأَجْرَةَ مُبْتَدِئاً بِالْآخَرِينَ وَمُنْتَهِيّاً إِلَى الْأَوَّلِينَ.^٦
فَجَاءَ الَّذِينَ عَمِلُوا مِنَ السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ وَأَخَذَ كُلُّ مِنْهُمْ دِينَاراً.^٧
فَلَمَّا جَاءَ الْأَوَّلُونَ، ظَنُّوا أَنَّهُمْ سَيَأْخُذُونَ أَكْثَرَ. وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَالَ دِينَاراً وَاحِداً.^٨
وَفِيمَا هُمْ يَقْبِضُونَ الدِّينَارَ، تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ،^٩
قَائِلِينَ: هَؤُلَاءِ الْآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَأَنْتِ قَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الَّذِينَ عَمَلْنَا طُولَ النَّهَارِ تَحْتَ
حَرِّ الشَّمْسِ!
فَأَجَابَ وَاحِداً مِنْهُمْ: يَا صَاحِبِي، أَنَا مَا ظَلَمْتُكَ؛ أَلَمْ تَتَّفَقْ مَعِي عَلَى دِينَارٍ؟^{١٠}
خُذْ مَا هُوَ لَكَ وَامْضِ فِي سَبِيلِكَ: فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هَذَا الْآخِرَ مِثْلَكَ.^{١١}
أَمَّا يَجُوزُ لِي أَنْ أَتَصَرَّفَ بِمَالِي كَمَا أُرِيدُ؟ أَمْ أَنَّ عَيْنَكَ شَرِيرَةٌ لِأَنَّنِي أَنَا صَالِحٌ؟^{١٢}
فَهَكَذَا يَصِيرُ الْآخِرُونَ أَوَّلِينَ، وَالْأَوَّلُونَ آخِرِينَ.^{١٣}

(متى ٢٠: ١-١٦).

في هذا المثال يُعلم يسوع أنه في النهاية لن يتلقى كافة خدام الله المكافآت بذات الدرجة، إذ لن يكون ذلك من غير العدل فقط، بل هذا سيعارض آيات أخرى كثيرة (أنظر لوقا ١٩: ١٢-٢٧؛ كورنثوس الأولى ٣: ٨).
ولكن بالأحرى يعلمنا يسوع أن كل فرد من خدام الله سيكافأ ليس فقط بناءً على ما فعلوه لأجله، ولكن أيضاً على أساس كم من الفرص قد أعطيت لهم. فإن الفعلة الذين عملوا لمدة ساعة واحدة في مثال المسيح، كان

بإمكانهم العمل لليوم بأكمله إن كانت قد أعطيت لهم تلك الفرصة من قبل صاحب العمل. ولذلك الذين استغلوا تلك الساعة الواحدة للعمل بأمانة سيكافئون كما الذين أعطيت لهم فرصة العمل لليوم بأكمله. وبالمثل يعطي الله فرصاً متنوعة لكل من خُدامه. فهو يُعطي البعض فرصاً رائعة لخدمة ولبركة الكثيرين باستخدامهم العطايا العظيمة التي منحهم إياها الرب. ولآخرين أعطى فرصاً وعطايا أقل، لكن ومع ذلك سينلقون المكافآت بعينها في النهاية على قدر إخلاصهم لما ائتمنوا عليه من قبل الرب.^{٧٢}

الخلاصة

ليس شيئاً في هذه الحياة أهم من طاعة الله، سيأتي يوماً به سيتعرف كل مرءٍ على هذه الحقيقة. أما الحكماء فإنهم يدركون ذلك الآن ويسلكون بطاعة الله!

فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الْكَلَامِ كُلِّهِ: اِتَّقِ اللَّهَ ، وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ كُلُّ وَاجِبِ الْإِنْسَانِ،^{١٣}

لِأَنَّ اللَّهَ سَيَدِينُ كُلَّ عَمَلٍ مَهْمَا كَانَ خَفِيًّا، سَوَاءً كَانَ خَيْرًا أَمْ شَرًّا.^{١٤}

(الجامعة ١٢: ١٣-١٤).

فالخادم المُتَلِمذ يطيع الله من كل قلبه ويفعل جاهداً على تشجيع تلاميذه على أتباع ذات السلوك!

ولدراسة أعمق بخصوص هذا الموضوع المُهم عن دينونتنا العتيدة، أنظر متى ٦: ١-٦، ١٦-١٨؛ ١٠: ٤١-٤٢؛ ١٢: ٣٦-٣٧؛ ١٩: ٢٨-٢٩؛ ٢٥: ١٤-٣٠؛ لوقا ١٢: ٢-٣؛ ١٦: ١٠-١٣؛ كورنثوس الأولى ٣: ٥-١٥؛ تيموثاوس الثانية ٢: ١٢؛ بطرس الأولى ١: ١٧؛ رؤيا ٢: ٢٦-٢٧؛ ٥: ١٠؛ ٢٠: ٦.

^{٧٢} هذا المثل أيضاً لا يُعلمنا أن هؤلاء الذين يتوبون في سناً صغيراً ويعملون لسنيناً عديدة سيكافئون كهؤلاء الذين تابوا أثناء آخر سنة في حياتهم وخدموا الله بأمانة خلال هذا العام. سيكون ذلك غير عادل، ولم يُبني على الفرصة التي يعطيها الله لكل واحد، حيث يعطي الله فرصة لكل واحد للتوبة طوال حياتهم. ولذلك هؤلاء الذين اجتهدوا لمدة أطول سينلقون مكافئة أكبر من هؤلاء الذين عملوا أقل وقت.

الفصل التاسع والعشرون

الاختطاف ونهاية الأزمنة

The Rapture and End Times

عندما سار يسوع على أرضنا بهيئته الإنسانية، أعلم تلاميذه مراراً وبصريح العبارة أنه سيغاد ولكنه سيرجع إليهم ثانية بيوم من الأيام. وعندما يعود سيأخذهم معه إلى السماء (وهذا ما يسميه مسيحي العصر الحديث "بالاختطاف"). واحدة من وعوده هذه وعلى سبيل المثال لا الحصر، قد قالها في الليلة قبيل صلبه لتلاميذه الإحدى عشر المؤمنين:

لَا تَضْطَرُّ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ، فَآمِنُوا بِي أَيْضًا. ١
فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَقُلْتُ لَكُمْ! فَإِنِّي ذَاهِبٌ لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا. ٢
وَبَعْدَمَا أَذْهَبُ وَأَعِدُّ لَكُمْ الْمَكَانَ أَعُودُ إِلَيْكُمْ وَأَخْذُكُمْ إِلَيَّ، لِتَكُونُوا حَيْثُ أَكُونُ أَنَا. ٣
(يوحنا ١٤: ١-٣)

من الواضح أن كلمات يسوع كانت تشير إلى إمكانية عودته وهم (الإحدى عشر) بعد على قيد الحياة. وبالواقع بعد سماعهم لما قاله يسوع، قد افترضوا أنه سيعود على أيامهم. فقد حذر يسوع تلاميذه مراراً أن يكونوا مُستعدين لمجيئه الثاني، ولمرة أخرى يلمح لإمكانية مجيئه الثاني في أيامهم (أنظر متى ٢٤: ٤٢-٤٤).

عودته الوشيكة في الرسائل

رسائل العهد الجديد تؤكد أيمان الرسل بعودة يسوع الوشيكة في أيام سامعي تلك الرسائل من مؤمني القرن الأول. على سبيل المثال، كتب يعقوب:

وَأَمَّا أَنْتُمْ، يَا إِخْوَتِي، فَاصْبِرُوا مُنْتَظِرِينَ عَوْدَةَ الرَّبِّ. خُذُوا الْعِبْرَةَ مِنَ الْفَلَّاحِ: فَهُوَ يَنْتَظِرُ أَنْ تُعْطِيَهُ ٧
الْأَرْضُ غِلًّا ثَمِينَةً، صَابِرًا عَلَى الزَّرْعِ حَتَّى يَشْرَبَ مِنْ مَطَرِ الْخَرِيفِ وَمَطَرِ الرَّبِّيعِ.
فَاصْبِرُوا أَنْتُمْ إِذَنْ، وَشَدِّدُوا قُلُوبَكُمْ لِأَنَّ عَوْدَةَ الرَّبِّ قَدْ صَارَتْ قَرِيبَةً. ٨
(يعقوب ٥: ٧-٨)

فلا يوجد سبب منطقي ليعقوب لقيامه بحث قرائه على الصبر لما قد لا يحدث في أيام حياتهم. فقد آمن بعودة الرب "القريبة". وعلى خلفية سياق ما كتبه يعقوب كانت الكنيسة وقتها تعاني من الاضطهاد الشديد (أنظر يعقوب ١: ٢-٤)، اثناء ذلك الوقت كان من الطبيعي شغل المؤمنين لعودة ربهم.

وكذلك بولس آمن بأن يسوع قد يعود أثناء حياة الكثيرين من مُعاصريه:

عَلَى أَنَّنَا نُرِيدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَلَّا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَمْرُ الرَّاقِدِينَ، حَتَّى لَا يُصِيبَكُمْ الْحُزْنُ كَغَيْرِكُمْ مِنَ النَّاسِ^{١٣} الَّذِينَ لَا رَجَاءَ لَهُمْ.

فَمَا دُمْنَا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ ثُمَّ قَامَ، فَمَعَهُ كَذَلِكَ سَيُحْضِرُ اللَّهُ أَيْضاً الرَّاقِدِينَ بِيَسُوعَ.^{١٤}

فَهَذَا نَقُولُهُ لَكُمْ بِكَلِمَةٍ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الْبَاقِينَ أَحْيَاءٌ إِلَى حِينِ عَوْدَةِ الرَّبِّ، لَنْ نَسْبِقَ الرَّاقِدِينَ.^{١٥}

لَأَنَّ الرَّبَّ نَفْسُهُ سَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ خَالِماً يُدَوِّي أَمْرٌ بِالتَّجَمُّعِ، وَيُنَادِي رَئِيسُ مَلَائِكَةٍ، وَيُبَوِّقُ فِي بُوقٍ إِلَهِيٍّ، عِنْدَئِذٍ يَقُومُ الْأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ أَوَّلاً.

ثُمَّ إِنَّنَا، نَحْنُ الْبَاقِينَ أَحْيَاءٌ، نُخْتَلَفُ جَمِيعاً فِي السُّحْبِ لِلِاجْتِمَاعِ بِالرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ. وَهَكَذَا نَبْقَى مَعَ الرَّبِّ^{١٦} عَلَى الدَّوَامِ.

لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِهَذَا الْكَلَامِ!^{١٨}

(تسالونيكي الأولى ٤: ١٣-١٨).^{٧٣}

وهكذا نعلم أنه عند مجيء يسوع من السماء، فستقوم أجساد المؤمنين الراقدين من الأموات، وسينطلقون مع المؤمنين الأحياء، وسـ"نُخْتَلَفُ جَمِيعاً فِي السُّحْبِ لِلِاجْتِمَاعِ بِالرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ." (ذلك هو الاختطاف). وإذ ذكر بولس أيضاً أن يسوع سوف يحضر معه بمجيئه من السماء أولئك الذين رقدوا فيه، فيمكننا الاستنتاج أنه بالاختطاف ستضم أرواح المؤمنين الآتين من السماء إلى أجسادهم المقامة من الأموات.

بطرس عند كتابته لرسالته الأولى آمن هو أيضاً أن عودة المسيح كانت قريبة:

لِذَلِكَ اجْعَلُوا أَذْهَانَكُمْ مُتَنَبِّهَةً دَائِماً، وَتَيَقَّظُوا، وَعَلِّقُوا رَجَاءَكُمْ كُلَّهُ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي سَتَكُونُ مِنْ نَصِييْكُمْ عِنْدَمَا يَعُودُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ ظَاهِراً بِمَجْدِهِ!

إِنَّ نِهَايَةَ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ صَارَتْ قَرِيبَةً. فَتَعَلَّقُوا إِذْنَ، وَكُونُوا مُتَنَبِّهِينَ لِرَفْعِ الصَّلَاةِ دَائِماً.

وَإِنَّمَا أَفْرَحُوا: لِأَنَّكُمْ كَمَا تَشَارِكُونَ الْمَسِيحَ فِي الْآلَامِ الْآنَ، لِأَبَدٍ أَنْ تَفْرَحُوا بِمُشَارَكَتِهِ فِي الْإِبْتِهَاجِ عِنْدَ ظُهُورِ مَجْدِهِ.

(بطرس الأولى ١: ١٣، ٤: ٧، ١٣).^{٧٤}

وأخيراً عندما كتب يوحنا رسائله إلى الكنائس، هو الآخر آمن أن النهاية قريبة وأن هم الذين قد وصلت إليهم رسائله في ذلك الوقت لربما سيرون عودة يسوع:

^{٧٣} هنا القليل من الآيات التي توضح إيمان بولس أنه من الممكن أن يسوع سيعود خلال حياة مُعاصريه وهذا في فيلبي ٣: ٢٠، تسالونيكي الأولى ٣: ١٣، ٥: ٢٣، تسالونيكي الثانية ٢: ١-٥، تيموثاوس الأولى ٦: ١٤-١٥، تيطس ٢: ١١-١٣، عبرانيين ٩: ٢٨.

^{٧٤} وهناك آيات أخرى تُشير إلى اقتناع بطرس أن يسوع سيعود خلال حياة مُعاصريه كما في بطرس الثانية ١: ١٥-١٩، ٣: ٣-١٥.

أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، اَعْلَمُوا أَنَّنَا نَعِيشُ الْآنَ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَوْفَ يَأْتِي أَخِيرًا «مَسِيحٌ دَجَالٌ»، فَقَدْ ظَهَرَ حَتَّى الْآنَ كَثِيرُونَ مِنَ الدَّجَالِينَ الْمُقَاوِمِينَ لِلْمَسِيحِ. مِنْ هُنَا نَتَأَكَّدُ أَنَّنَا نَعِيشُ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ. وَالْآنَ، أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، كُونُوا ثَابِتِينَ فِي الْمَسِيحِ، حَتَّى تَكُونَ لَنَا نَحْنُ ثِقَةٌ أَمَامَهُ، وَلَا نَحْجَلَ مِنْهُ، عِنْدَمَا يَعُودُ.

أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، نَحْنُ الْآنَ أَوْلَادُ اللَّهِ. وَلَا نَعْلَمُ حَتَّى الْآنَ مَاذَا سَنَكُونُ، لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَظْهَرَ الْمَسِيحُ، سَنَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ عِنْدِنَا كَمَا هُوَ!

وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِالْمَسِيحِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ طَاهِرٌ.

(يوحنا الأولى ٢: ١٨، ٢٨، ٣: ٢-٣).

تأخره

وإذا نظرنا للوراء عبر الألفي سنة السابقة، فمن الواضح أن يسوع لم يعد آنذاك كما كان تلاميذه يرجون. وحتى في أيامهم تلك كان هناك بعض من بدأ بالشك بعودته على ضوء تأخره بطوال تلك المدة منذ رحيله. ونورد مثالا على ذلك قبيل نهاية حياة بطرس، (أنظر بطرس الثانية ١: ١٣-١٤) وحيث لم يرجع يسوع بعد، كتب بطرس في رسالته الأخيرة لهؤلاء الذين بدأت تراودهم أفكار متشككة يقول لهم فيها:

فَاعْلَمُوا، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّهُ سَيَأْتِي فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَنْاسٌ مُسْتَهْزِئُونَ يَسْخَرُونَ بِالْحَقِّ، وَيَسْلُكُونَ مُنْجَرِفِينَ^٣ وَرَاءَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ!

وَسَيَقُولُونَ: أَيْنَ هُوَ الْوَعْدُ بِرُجُوعِ الْمَسِيحِ؟ فَمُنْذُ أَنْ مَاتَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ، بَلْ مُنْذُ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ، مَا زَالَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى حَالِهِ!

إِنَّهُمْ يَتَنَاسُونَ، عَمْدًا، أَنَّهُ بِكَلِمَةِ أَمْرِ مِنَ اللَّهِ وُجِدَتِ السَّمَاوَاتُ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَتَكُونَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ.^٥ وَبِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَيْضًا، دُمِرَ الْعَالَمُ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، إِذْ فَاضَ الْمَاءُ عَلَيْهِ.^٦

أَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ الْحَالِيَّةُ، فَسَتَبْقَى مَحْزُونَةً وَمَحْفُوظَةً لِلنَّارِ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنِهَا إِلَى يَوْمِ الدِّيُونَةِ^٧ وَهَلَاكِ الْفَاجِرِينَ!

وَلَكِنْ، أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، عَلَيْكُمْ أَلَّا تَنْسُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا فِي نَظَرِ الرَّبِّ هُوَ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفِ سَنَةٍ^٨ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ.

فَالرَّبُّ، إِذَنْ، لَا يُبْطِئُ فِي إِثْمَامِ وَعْدِهِ، كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْكُمْ، فَهُوَ لَا يُرِيدُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَهْلِكَ، بَلْ يُرِيدُ لِجَمِيعِ النَّاسِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ ثَابِتِينَ.

إِلَّا أَنَّ «يَوْمَ الرَّبِّ» سَيَأْتِي كَمَا يَأْتِي اللَّيْلُ فِي اللَّيْلِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، تَزُولُ السَّمَاوَاتُ مُحْدَنَةً دَوِيًّا هَانِيًا^{١٠} وَتَنْحَلُّ الْعُنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً بِنَارٍ شَدِيدَةٍ، وَتَحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ مُنْجَرَاتٍ.

(بُطرس الثانية ٣: ٣-١٠).

وقد أكد بُطرس أن سبب تأخر يسوع هو حُبّه ورحمته - فهو يُريد منح الناس وقتاً مديداً لكي تتوفر لهم فرصاً أكثر للتوبة. ولكنه قد أكد أيضاً أنه لا شك بمجيئ المسيح الثاني، وعندما يأتي، سيأتي بغضب عظيم. والكتاب المُقدس واضح جداً، كما سنرى، أنه سيسبق عودته الغاضبة سنوات من الضيقة العظيمة والتي لم يشهد العالم لها مثيل، سكيب عارم من غضب الله على الأشرار. وكثير من الأحداث في سفر الرؤيا تُسلط الضوء على هذه الفترة العتيدة. كما سنرى لاحقاً في دراستنا، والكتاب المُقدس يُشير إلى أنه ستكون هناك سبعة سنوات من الضيقة القادمة. وبدون أدنى شك ان اختطاف الكنيسة سيحدث في وقت ما أثناء هذه السبعة سنوات، او قريباً منها.

متى سيحدث الاختطاف بالضبط؟

هذا سؤالٌ لطالما اختلف المسيحيون على اجابته، ألا وهو الموعد المحدد للاختطاف. فالبعض يقول إن الاختطاف سيحدث قبل بداية سنوات الضيقة السبع، وعليه فقد يتم الاختطاف في أي وقت. وآخرون يقولون إن الاختطاف سيحدث في مُنتصف ضيقة السبع سنوات. وآخرون يعتقدون أنه سيحدث بعد النصف الاول لسبع سنوات الضيقة. والبعض يزعم أن يسوع سيعود ليختطف الكنيسة في نهاية الضيقة العظيمة.

وبالتأكيد لا داعي للاختلاف بشأن هذه المسألة، المهم أن على كل من أصحاب المجموعات الاربع أن يتذكروا أن جميعهم يتفقون على أن الاختطاف سيحدث في وقت مُعين قريب جداً من فترة سبع سنوات الضيقة. وعلى أي حال ما هي الا نافذة صغيرة لتاريخ آلاف من السنين. ولذلك عوضاً عن الانشاقات جراء عدم الاتفاق على هذه المسألة، فلنتهّل بما نتفق عليه! وما يؤمن به كل منا بمسألة زمن حدوث الاختطاف، ذلك على أي حال لن يُغير حقيقة حدوثه على الاطلاق.

وعلى الرغم من قول ذلك، أود أن أخبركم أنني كنت أوّمن في الخمس وعشرون سنة الأولى من حياتي المسيحية أن الاختطاف سيحدث سابقاً لسبع سنوات الضيقة العظيمة. فكُنت أوّمن بما قد تعلمته، وكما أنني لم أرد التوقف على ما قرأته في سفر الرؤية! وحين بدأت في دراسة الكتاب المُقدس بنفسي أدركت وجهات نظر مُختلفة. ولذلك دعونا نُلقي نظرة معاً على ما يقوله الكتاب المُقدس ونرى ما يمكننا استنتاجه. وحتى وإن لم أقدر على اقناعك الانضمام لفريقي، فلا بأس سنظل نحب بعضنا البعض.

عظة جبل الزيتون

في البداية دعونا ننظر الى الإصحاح الرابع والعشرون من إنجيل متى، وهو يعتبر الجزء الأساسي في الكتاب المُقدس بما يتعلق وأحداث نهاية الأزمنة ومجيء يسوع الثاني، معاً بالإضافة لإصحاح الخامس

والعشرون من إنجيل متى، وهذه الجزئية تدعى عظة المسيح على جبل الزيتون، لأن كلا الإصحاحين يُسجلان عظة يسوع لبعض من تلاميذه المُقربين^{٧٥} على جبل الزيتون. وعندما نقرأها سنتعلم عن بعض الأحداث التي ستكون في نهاية الأزمان، وسنأخذ في الاعتبار ما استنتجه تلاميذ يسوع، إذ أن الكلام كان موجه إليهم، مما يتعلق بتوقيت الاختطاف:

ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنَ الْهَيْكَلِ، وَلَمَّا غَادَرَهُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ، وَلَفَتُوا نَظْرَهُ إِلَى مَبَانِي الْهَيْكَلِ.^١
فَقَالَ لَهُمْ: أَمَّا تَرَوْنَ هَذِهِ الْمَبَانِي كُلَّهَا؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُتْرَكَ هُنَا حَجَرٌ فَوْقَ حَجَرٍ إِلَّا وَيُهْدَمُ!^٢
وَبَيْنَمَا كَانَ جَالِساً عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلَامِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالُوا لَهُ: «أَخْبِرْنَا مَتَى يَحْدُثُ هَذَا.»^٣
وَمَا هِيَ عَلَامَةُ رُجُوعِكَ وَانْتِهَاءِ الزَّمَانِ.
(متى ٢٤: ١-٣).

قد أراد تلاميذ يسوع أن يعرفوا ما عسى أن يحدث في المستقبل. وأرادوا بالتحديد أن يعرفوا زمن هدم الهيكل (كما قال لهم يسوع من قبل)، وما هي علامات مجيئه الثاني ونهاية الأزمنة. ونحن نعلم من نظرة تاريخية موثقة أن مبنى الهيكل قد دُمِرَ بالكامل في سنة ٧٠ ميلادية على يد تيطس والجيش الروماني. ونعلم أيضاً أن يسوع لم يعد بعد ليجمع الكنيسة لنفسه، وعليه فإن هذين الحدثان يستحيل أن يكونا متزامنين.

إجابة يسوع على أسئلتهم

يبدو أن متى لم يُسجل إجابة يسوع على السؤال الأول وهو عن هدم الهيكل مستقبلاً، في حين أن لوقا سجل ذلك في إنجيله (أنظر لوقا ٢١: ١٢-٢٤). ولكن في إنجيل متى، استهل يسوع حديثه على التو عن علامات مجيئه الثاني ونهاية الأزمان:

فَأَجَابَ يَسُوعُ: «انْتَبِهُوا! لَا يُضَلِّلُكُمْ أَحَدٌ؛
فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِأَسْمِي قَائِلِينَ إِنِّي أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ، فَيُضَلِّلُونَ كَثِيرِينَ.^٥
وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَرْتَعِبُوا! فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا كُلُّهُ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ النِّهَايَةُ بَعْدُ.^٦
فَسَوْفَ تَتَقَلَّبُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ، وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَحْدُثُ مَجَاعَاتٌ وَزَلَزَلٌ فِي عِدَّةٍ أَمَاكِنَ.^٧
وَلَكِنْ هَذِهِ كُلُّهَا لَيْسَتْ إِلَّا أَوَّلَ الْمَخَاضِ.^٨

^{٧٥} مرقس ١٣: ٣ يذكر أسماء أربعة كانوا حاضرين وهم: بطرس، ويعقوب، ويوحنا، وأندراوس. وبالمُناسبة نجد أن العظة على جبل الزيتون منسوبة أيضاً في مرقس ١٣: ١-٣٧ وفي لوقا ٢١: ٥-٣٦. ولوقا ١٧: ٢٢-٣٧ يحتوي أيضاً على معلومات مُشابهة.

(متى ٢٤: ٤-٨)

على ضوء كلمات هذه العظة من الواضح أن يسوع كان يؤمن أنه لربما سيكون تلاميذ القرن الأول أحياءً عند عودته. لاحظ استخدام يسوع لاسم الإشارة "أنتم" على الأقل عشرون مرة في إصحاح ٢٤ وحده، فليس من العجب أن جل مُستمعيه آمنوا أنهم سيبقون على قيد الحياة ليشهدوا ما قاله يسوع.

ونعلم جيداً أن كل تلاميذ يسوع الذين سمعوا هذا الكلام ماتوا منذ زمن بعيد. طبعاً الاستنتاج بأن يسوع كان يخدعهم هو غير وارد بالحسبان، وإنما نحن على علم أنه هو نفسه لم يكن عالماً وقت عودته على وجه التحديد (أنظر متى ٢٤: ٣٦). فمن الطبيعي أنه كان من الممكن لمستمعي عظة جبل الزيتون أن يكونوا أحياء أثناء عودته في ذلك الحين.

وقد كان جل اهتمام يسوع ألا يُخدع تلاميذه من قبل الكذبة المُدعين بأنهم مسحاء، كما سيحدث لمن سيخدعون في آخر الأيام. ونحن نعلم أن الضد مسيح هو مسيحاً كاذباً سيخدع الكثيرين في هذا العالم. وسيعتبرونه مُخلصاً عظيماً.

وقال يسوع أنه ستكون هناك حروب، ومجاعات، وزلازل، ولكن كل هذه الأحداث لا تشير إلى عودته، بل فقط "بداية المُخاض". فمن السليم أن نقول أن هذه العلامات بدأت بالحدوث مع بداية الألفي سنة السالفة. وبعدها انتقل يسوع ليتحدث عن شيء لم يحدث بعد.

بدء الضيقة العالمية

عِنْدَئِذٍ يُسَلِّمُكُمُ النَّاسُ إِلَى الْعَذَابِ، وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مَكْرُوهِينَ لَدَى جَمِيعِ الْأُمَمِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي؛^٩

فَيَرْتَدُّ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً،^{١٠}

وَيُظْهِرُ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الدَّجَالِينَ وَيُضَلَّلُونَ كَثِيرِينَ.^{١١}

وَإِذْ يَعْصِمُ الْإِثْمَ، تَبْرُدُ الْمَحَبَّةُ لَدَى الْكَثِيرِينَ.^{١٢}

وَلَكِنَّ الَّذِي يَنْبُتُ حَتَّى النَّهَايَةِ، فَهُوَ يَخْلُصُ.^{١٣}

فَسَوْفَ يُنَادَى بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، شَهَادَةً لِي لَدَى الْأُمَمِ جَمِيعاً. وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْتِي النَّهَايَةُ.^{١٤}

(متى ٢٤: ٩-١٤)

وأكررها مرة أخرى، إذا سأل أولئك الذين سمعوا كلام يسوع في حينه، "هل تتوقعوا أنكم ستكونون على قيد الحياة أثناء تحقيق هذه الأحداث؟" أكيد أن اجابتهم ستكون بـ "نعم". وتابع يسوع في استخدامه للاشارة "أنتم".

وكما قرأنا بعد "بداية المُخاض" سيتلوها بالتأكيد حدثاً لم يشهد التاريخ الإنساني نظيره، وهو زمن لم يسبق له مثيل، اضطهاد عالمي جارف المسيح الدجاليين. وسنكون مكروهين من "كل الأمم" أو حرفياً "من كل

القبائل والمجموعات العرقية". وتحدث يسوع عن وقت مُعين، وليس وقتاً عاماً على مر مئات السنوات، لأنه بين ذلك في الجملة التالية، "وفى ذلك الوقت الكثر سيسلمون وسيلقون ويكرهون بعضهم البعض."

ففي هذه الجملة يتحدث عن تعثر المؤمنين المسيحيين الذين سيكرهون مؤمنين آخرين، إذ لا يمكن لغير المؤمنين أن يسقطوا لأنهم بالفعل يكرهون بعضهم البعض. ولكن عندما يبدأ الاضطهاد العالمي، وذلك سينتج عنه ارتداد كبير لكل الذين يتدعون انهم أتباع المسيح. فإن كانوا مؤمنين حقيقيين أم كذبة، حملاناً أم جداء، سيسقط الكثيرون، وهم الذين سيكشفون عن هويات المؤمنين الحقيقيين للجهات المضطهدة، كارهين أولئك من ألدعوا بمحبتهم لهم ذات يوم. وبالنتيجة سيتم تطهير الكنيسة حول العالم.

وفى ذلك الحين سيقوم أنبياء كذبة، والذين أحدهم وُصِفَ في سفر الرؤية بالمسيح الدجال (رؤيا ١٣: ١١-١٨؛ ١٩؛ ٢٠؛ ٢٠: ١٠). ستزيد الفوضى لدرجة استنفاد الحب القليل المتبقي في قلوب الناس، وسيصبح الخطأ بدون قلب على الاطلاق.

الشهداء والناجون

ومع أن يسوع قد تنبأ عن المؤمنين أنهم سيخسرون حياتهم (أنظر ٢٤: ٩)، ولن يحدث ذلك لجميعهم، لأنه وعد بخلاص كل من سيتحمل حتى المنتهى (أنظر ٢٤: ١٣). أي من لن يسمح للمسيح الكذاب أو الأنبياء الكذبة أن يخدعهم وسيتصدون لكل تجربة تغويهم على ترك إيمانهم والسقوط، أولئك سوف يخلصون أو يُنقذوا بواسطة المسيح عندما يعود ليجمعهم اليه في السماء. وزمن الضيقة المُستقبلية هذا قد أُعلن عنه بإيجاز على لسان النبي دانيال أيضاً، الذي تنبأ:

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْمَلَاكُ مِيخَائِيلُ حَارِسُ شَعْبِكَ، وَذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَثِيلٌ مُنْذُ أَنْ وُجِدَتْ أُمَّةٌ حَتَّى ذَلِكَ الزَّمَانِ. غَيْرَ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ اسْمُهُ مُدَوَّنًا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَعْبِكَ يَنْجُو فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

وَيَسْتَنقِظُ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَمْوَاتِ الْمَدْفُونِينَ فِي تُرَابِ الْأَرْضِ، بَعْضُهُمْ لِيُنْأَبُوا بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَبَعْضُهُمْ لِيُسَامَوْا ذُلَّ الْعَارِ وَالْأَذِيرَاءِ إِلَى الْأَبَدِ.

(دانيال ١٢: ١-٢)

حتى وأثناء هذه الأيام سيعطى الخلاص بفيض النعمة، كما وعد يسوع أنه سيكرز بالإنجيل لكل الأمم (حرفياً "القبائل والمجموعات العرقية")، مُعطياً الفرصة الأخيرة للتوبة، وبعد ذلك ستأتي النهاية.^{٧٦} ومن العجيب أنه عندما نقرأ سفر الرؤيا نجد ما يمكن أن يكون تحقيقاً لما وعد يسوع به:

^{٧٦} هذا الوعد دائماً ما يتم سحب هذا الوعد من السياق، ودائماً ما يُقال قبل عودة يسوع، ولا بد وأن نتم المهمة في عالم التبشير. ولكن في هذا السياق، هذا الوعد يتحدث عن الإعلان النهائي للإنجيل للعالم بأكمله قبل النهاية.

ثُمَّ رَأَيْتُ مَلَكَآ آخَرَ يَطِيرُ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ، مَعَهُ بَشَارَةٌ أَبَدِيَّةٌ يُبَشِّرُ بِهَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَكُلَّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلُغَةٍ^٦ وَشَعْبٍ،

وَهُوَ يُنَادِي عَالِيًّا: «انْقُوا اللَّهَ وَمَجِّدُوهُ، فَقَدْ حَانَتْ سَاعَةُ دَيْنُونَتِهِ. اسْجُدُوا لِمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِيعَ.

(رؤيا ١٤ : ٦-٧)

والبعض يعتقد أن سبب كرازة الملاك للإنجيل وذلك بعد السبع سنوات الضيقة، لأنه عندها سيكون الاختطاف قد حدث ولن يبقى مؤمنون، إذ سيؤخذون إلى السماء. وعلى هذا الأمر آراء متضاربة.

المسيح الدجال

لقد وضح دانيال أن المسيح الدجال سيحتل عرش الهيكل المعاد بنائه في أورشليم أثناء مُنتصف سبع سنوات الضيقة وسيعلم عن نفسه انه الله (أنظر دانيال ٩ : ٢٧، وهو ما سندرسه لاحقاً). وبهذا الموقف كان يسوع يفكر بينما واصل عظته على جبل الزيتون:

فَعِنْدَمَا تَرَوْنَ رَجَاسَةَ الْخَرَابِ، الَّتِي قِيلَ عَنْهَا بِلِسَانِ دَانِيَالِ النَّبِيِّ، قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ، لِيَفْهَمُوا^{١٥} الْقَارِيءُ!

عِنْدَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي مَنطَقَةِ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ؛^{١٦}

وَمَنْ كَانَ عَلَى السَّطْحِ، فَلَا يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مَا فِي بَيْتِهِ؛^{١٧}

وَمَنْ كَانَ فِي الْحَقْلِ، فَلَا يَرْجِعْ لِيَأْخُذَ ثَوْبَهُ!^{١٨}

وَالْوَيْلُ لِلْحَبَالِيِّ وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ!^{١٩}

فَصَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ أَوْ فِي سَبْتٍ،^{٢٠}

فَسَوْفَ تَحْدُثُ عِنْدَئِذٍ ضِيقَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهَا مُنْذُ بَدْءِ الْعَالَمِ إِلَى الْآنَ، وَلَنْ يَحْدُثَ^{٢١}.

وَلَوْلَا أَنَّ تِلْكَ الْأَيَّامَ سَخَّتَصَرُ، لَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ يَنْجُو. وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ الْمُخْتَارِينَ سَخَّتَصَرُ تِلْكَ^{٢٢} الْأَيَّامُ.

(متي ٢٤ : ١٥-٢٢).

^{٢٢} إن حدث اختطاف الكنيسة عند نقطة مُحددة في سبعة سنوات المحنة كما يقول البعض، فلن يكون هناك حاجة لإرشادات يسوع للمؤمنين أن يهربوا بحياتهم لأنهم سيُختطفون.

وهناك جزئية أخرى تتعلق بالأخص بالضيقة العظيمة، وقد تحدث عنها يسوع قبلاً (متى ٢٤: ٩). وهي عند إعلان المسيح الدجال أنه الله من هيكل أورشليم، عندها سيحل هناك اضطهاداً لا يمكن تصوّره موجه بشراسة ضد المؤمنين بالمسيح. وعند إعلان نفسه كالله، سيتوقع المسيح الدجال من كل شخص أن يعترف بألوهيته. وبالتالي، سيصبح أتباع المسيح الحقيقيون أعداءً للدولة لرفضهم لمسيحها الكذاب وعليه سيطاردون ويقتلون. ولهذا قال يسوع أن المؤمنين من اليهودية سيهربون للجبال دون تأخر، مُصلين ألا يُعاق هروبهم لسبب ما.

وأنا أؤمن أنه ستكون فكرة جيدة للمؤمنين من كل أنحاء العالم أن يهربوا إلى أماكن نائية عند اندلاع هذه الأحداث، ولربما سيُذاع ويبث هذا الحدث حول العالم. فإن الكتاب المقدس يُخبرنا أن العالم بأسره سيُخدع بالمسيح الدجال وسيُتحدون معه، مُعتقدين أنه هو المسيح. وعندما يُعلن عن نفسه كاله، سيؤمنون به ويعبدوه. وحين يتكلم بتجديف ضد الإله الحقيقي – إله المسيحيين – سيُفنع عندها العالم المخدوع كاملة به أن يكرهوا ويرفضوا كل من لا يسجد له (أنظر ١٣: ١-٨).

ووعّد يسوع الخلاص لشعبه في نهاية المطاف وذلك "بتقصيره" لهذه الأيام من الضيقة، وإلا "فَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ لَيُنْجُو" (٢٤: ٢٢). فتقصير هذه الأيام لأجل المُختارين لا بد وأن يكون إشارة الى إنقاذهم عندما يظهر ليجمعهم اليه في السماء. ولم يعلمنا يسوع هنا متى بالتحديد سيحدث الإنقاذ منذ إعلان المسيح الدجال لألوهيته.

ففي أي حالة، نلاحظ مرة أخرى أن يسوع ترك مُستمعيه في ذلك اليوم بانطباع أنهم سيكونون أحياء وسيرون المسيح الدجال واعلانه لألوهيته وبشنة الحرب على المسيحيين. وهذا يأتي بتناقض مع الرأي الذي يرجح أن المؤمنين سيأخذون إلى السماء قبل وقوع تلك الأحداث. فإن سألت بطرس، ويعقوب، أو يوحنا إن كان يسوع سيعود ليخلصهم قبل إعلان المسيح الدجال ألوهيته، فسيكون ردهم "بالطبع لا".

الحرب ضد القديسين

فالكتاب المقدس أخبرنا في أماكن أخرى عن اضطهاد المسيح الدجال للمؤمنين. فعلى سبيل المثال قد أوحى ليوحنا كما ذُكر في سفر الرؤيا:

وَأَعْطَى الثَّانِيْنَ الْوَحْشَ فَمَا يَنْطِقُ بِكَلَامِ الْكِبْرِيَاءِ وَالتَّجْدِيفِ، وَأَعْطَاهُ سُلْطَةَ الْعَمَلِ مُدَّةَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا. °
فَأَخَذَ الْوَحْشُ يَثْنُثُمْ اسْمَ اللَّهِ، وَيَثْنُثُمْ بَيْتَهُ وَسُكَّانَ السَّمَاءِ. ٦
وَأَعْطَى الْوَحْشُ قُدْرَةً عَلَى أَنْ يُحَارِبَ الْقَدِيسِينَ وَيَهْزِمَهُمْ وَسُلْطَةً عَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ وَشَعْبٍ وَلُغَةٍ وَأُمَّةٍ. ٧
(رؤيا ١٣: ٥-٧).

لاحظ أن المسيح الدجال (الدجال) سيُعطى سُلْطَةً للعمل لمدة اثنين وأربعين شهراً، أو بالتحديد ثلاث سنوات ونصف. ومن المثير أن هذا الزمن بالضبط مُنتصف مدة سبع سنوات الضيقة، فيبدو من المعقول الاعتقاد أن

السُّلْطَةُ سُنْعُطَى لَهُ فِي الْاِثْنَيْنِ وَالْأَرْبَعُونَ شَهْرًا الثَّانِيَةَ (النصف الثاني من السبع سنوات) للضيقة، حيث أن هذه السُّلْطَةُ سُنْأَخْدُ مِنْهُ بِالْكَامِلِ عِنْدَمَا يَعُودُ الْمَسِيحُ لِيُعلنَ حَرْبًا ضَدَّهُ وَضَدَ جِيُوشِهِ بِهَا يَنْهِي الضِّيْقَةَ الْعَظِيمَةَ.

وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ "السُّلْطَةُ لِلْعَمَلِ" لِمُدَّةِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا تُشِيرُ إِلَى سُلْطَةِ "خَاصَّةٍ"، حَيْثُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدِّجَالَ سُنْعُطَى سُلْطَةً مِنْ اللَّهِ أَثْنَاءَ صُعُودِهِ لِلْحَكْمِ. وَهَذِهِ السُّلْطَةُ الْخَاصَّةُ الْمَعْطَى يُمْكِنُ أَنْ تُشِيرَ إِلَى زَمَنِ تَصْدِيهِ لِلْقَدِيسِينَ، حَيْثُ نَقْرَأُ فِي سَفَرِ دَانِيَالٍ عَنْهَا:

وَقَدْ شَهِدْتُ هَذَا الْقَرْنَ يُحَارِبُ الْقَدِيسِينَ وَيَغْلِبُهُمْ. ٢١

إِلَى أَنْ جَاءَ الْأَرْزَلِيُّ وَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ الَّذِي فِيهِ تَبَرَّأْتُ سَاحَةِ قَدِيسِي الْعَلِيِّ، وَأَزَفَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ ٢٢
امْتَلَكُوا الْمَمْلَكَةَ.

وَيُعَيِّرُ الْعَلِيُّ وَيُنْكِلُ بِقَدِيسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الْأَوْقَاتَ وَالْقَوَانِينَ، فَيُنْذِلُ الْقَدِيسِينَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفَ ٢٥
السَّنَةِ.

(دانيال ٧: ٢١-٢٢، ٢٥)

فَقَدْ قَالَ دَانِيَالُ أَنَّ الْقَدِيسِينَ سَيُسْلَمُونَ لِأَيْدِي الْمَسِيحِ الدِّجَالِ "الزمن، وأزمنة، ونصف الزمن". وَيُفْسَرُ هَذَا التَّعْبِيرُ الْغَامِضُ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ وَنِصْفٍ (كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْعَرَبِيَّةِ)، طَبَقًا لِمُقَارَنَةِ رُؤْيَا ١٢: ٦ وَ ١٤. وَمَا نَعْلَمُهُ مِنْ سَفَرِ الرُّؤْيَا أَنَّهُ سَيُعْطَى الْمَرْأَةُ الرَّمْزِيَّةُ مَكَانًا لَتَخْتَبِئَ بِهِ فِي الْبَرِيَّةِ حَتَّى "يُعْتَنَى بِهَا" لِمُدَّةِ ١٢٦٠ يَوْمًا، وَالتِّي إِنْ حُسِبَتْ سَتَكُونُ ثَلَاثَةَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفٍ بِحَيْثُ تَعْتَبَرُ كُلُّ سَنَةٍ ٣٦٠ يَوْمًا. وَبَعْدَ ثَمَانِي آيَاتٍ، تَحْدُثُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ، وَقَبْلَ أَنْ تُعْطَى مَكَانًا فِي الْبَرِيَّةِ "يُعْتَنَى بِهَا" لِمُدَّةِ "الزمن، وأزمنة، ونصف الزمن". وَلِذَلِكَ "الزمن، وأزمنة، ونصف الزمن" يُسَاوُونَ ١٢٦٠ يَوْمًا أَوْ ثَلَاثَةَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفٍ. فَكَلِمَةُ "زمن" فِي هَذَا السِّيَاقِ تَعْنِي سَنَةً، "وَأَزْمَنَةً" تَعْنِي سَنَتَيْنِ، "وَنِصْفُ الزَّمَنِ" تَعْنِي نِصْفَ عَامٍ وَهُوَ تَعْبِيرٌ غَيْرُ عَادِي فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا ١٢: ١٤ فَلَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى كَمَا فِي دَانِيَالِ ٧: ٢١. وَبِمَا أَنَّ نَعْلَمُ أَنَّ الْقَدِيسِينَ سَيُسْلَمُونَ لِأَيْدِي الْمَسِيحِ الدِّجَالِ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ سَنَوَاتٍ وَنِصْفٍ، وَبِالْمُقَابِلِ نَعْلَمُ مِنْ سَفَرِ رُؤْيَا ١٣: ٥ أَنَّ الْمَسِيحَ الدِّجَالَ سَيُعْطَى "سُلْطَانًا" طَوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ.

فَأَنَا أَعْتَقِدُ وَمِنْ الْمَفْهُومِ ضَمْنًا إِنْ كِلَا الْفَتْرَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ الْمَتَكُونَتَانِ مِنَ الْاِثْنَيْنِ وَالْأَرْبَعِينَ شَهْرًا هُمَا مُتَطَابِقَتَيْنِ. فَإِنْ كَانَ بَدَأَ إِعْلَانُ أُلُوهِيَةِ الْمَسِيحِ الدِّجَالِ فِي مُنْتَصَفِ سَبْعَةِ سِنِينَ الضِّيْقَةِ، عِنْدَهَا سَيَتِمُ تَسْلِيمُ الْقَدِيسِينَ لَهُ فِي بَدَايَةِ الثَّلَاثَةِ سَنَوَاتٍ وَنِصْفِ الثَّانِيَةِ، وَسَيُخْلَصُهُمْ يَسُوعُ عِنْدَمَا يَظْهَرُ فِي السَّمَاءِ وَيَجْمَعُهُمْ مَعَهُ قَرِيبًا مِنْ نِهَآيَةِ سَبْعَةِ سَنَوَاتٍ الضِّيْقَةِ. وَلَكِنْ إِنْ بَدَأَتْ الْاِثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ مِنْ سَبْعَةِ سَنَوَاتٍ الضِّيْقَةِ، فَيُمْكِنُ أَنْ نَسْتَنْتِجَ أَنَّ الْاِخْتِطَافَ سَيَحْدُثُ فِي وَقْتٍ مَا قَبْلَ نِهَآيَةِ سَبْعَةِ سَنَوَاتٍ الضِّيْقَةِ.

وَلَكِنْ الصَّعُوبَةُ فِي الْاِحْتِمَالِ الثَّانِي تَتَطَلَّبُ أَنَّ الْقَدِيسِينَ سَيُسْلَمُونَ لِأَيْدِي الْمَسِيحِ الدِّجَالِ قَبْلَ أَنْ يَصْبَحُوا فِي خَطَرٍ وَالحَاجَةُ لِلْهَرُوبِ لِلجِبَالِ عِنْدَ إِعْلَانِ أُلُوهِيَتِهِ. وَهَذَا يَبْدُو مِنْ غَيْرِ مَعْقُولٍ.

وَالصَّعُوبَةُ الْآخَرَى هِيَ فِي الْاِحْتِمَالِ الْاَوَّلِ أَنَّ الْقَدِيسِينَ وَكَمَا يَبْدُو سَيَكُونُونَ عَلَى الْأَرْضِ أَثْنَاءَ إِدَانَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِ مِنْ خِلَالِ الْكَوَارِثِ الرَّهِيْبَةِ وَالتِّي نَقْرَأُ عَنْهَا فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا. وَنَسْتَنْظِرُ لِهَذِهِ الصَّعُوبَةِ لَاحِقًا.

اما الآن دعونا نعود للعبطة على جبل الزيتون.

المسحاء الكذبة

لنقرأ فيما يلي ما أوضحه يسوع لتلاميذه عن أهمية عدم إتباعهم للمسيح الكذاب:

فَإِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ عِنْدِيذٍ: هَا إِنَّ الْمَسِيحَ هُنَا، أَوْ هُنَاكَ، فَلَا تُصَدِّقُوا! ٢٣
فَسَوْفَ يَبْزُرُ أَكْثَرُ مِنْ مَسِيحٍ دَجَالٍ وَنَبِيِّ دَجَالٍ، وَيَقْدِمُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَأَعَاجِيبَ، لِيُضِلُّوا حَتَّى ٢٤
الْمُخْتَارِينَ، لَوْ اسْتَطَاعُوا.
هَآ أَنَا قَدْ أَخْبَرْتُكُمْ بِالْأَمْرِ قَبْلَ حُدُوثِهِ. ٢٥
فَإِذَا قَالَ لَكُمْ النَّاسُ: هَآ هُوَ الْمَسِيحُ فِي الْبَرِّيَّةِ! فَلَا تَخْرُجُوا إِلَيْهَا؛ أَوْ: هَآ هُوَ فِي الْغُرْبِ الدَّاخلِيَّةِ! فَلَا ٢٦
تُصَدِّقُوا.

فَكَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يُومِضُ مِنَ الشَّرْقِ فَيُضِيءُ فِي الْغَرْبِ، هَكَذَا يَكُونُ رُجُوعُ ابْنِ الْإِنْسَانِ! ٢٧

فَحَيْثُ تُوجَدُ الْجِيفَةُ، تَتَجَمَّعُ النُّسُورُ! ٢٨

(متى ٢٤: ٢٣-٢٨).

لاحظ أن استخدام يسوع المتكرر لاسم الإشارة للجماعة "أنتم". بشكل أن مُستمعيه على جبل الزيتون توقعوا رؤية المسيح الكذاب والأنبياء الكذبة الذين سيجرون مُعجزات على مرأى من عيونهم وهم على قيد الحياة. كما وتوقعوا معاينة عودة يسوع من السماء كما البرق.

بالطبع خطر السقوط سيكون عظيماً، لأن اضطهاد المؤمنين سيزداد شراسة من كل صوب، وسيبدو المسيح الكذاب والأنبياء الكذبة مُقتعين للغاية بسبب صننهم لمُعجزاتهم العظيمة. ولذلك كان تحذير يسوع لتلاميذه مستمراً من مغبة ما سيحدث قبيل عودته. فجُلَّ اهتمامه كان مركزاً لخيرهم ألا يضلوا كما سيضل الكثيرون. اما المؤمنين الحقيقيين والراسخين سينتظرون عودة يسوع في السماء الآتي كالبرق، في حين سيستمر المسيح الكذاب بجذب من هم ليسوا بأتباع حقيقيين ليسوع كما تجتذب النُسُور لجثث فرائسها في البرية.

العلامات في السماء

وقد استرسل يسوع بقوله:

وَحَالًا بَعْدَ الضِّيْقَةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، تُظْلَمُ الشَّمْسُ، وَيَحْجُبُ الْقَمَرُ ضَوْءَهُ، وَتَنْهَاوِي النُّجُومُ مِنَ السَّمَاءِ،^{٢٩}
وَتَنْزَعِرُ قُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ.

وَعِنْدَئِذٍ تَظْهَرُ آيَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ، فَتَنْتَحِبُ قَبَائِلُ الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَيَرَوْنَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى
سُحُبِ السَّمَاءِ بِقُدْرَةٍ وَمَجْدٍ عَظِيمٍ.

وَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ بِصَوْتِ بُوقٍ عَظِيمٍ لِيَجْمَعُوا مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ، مِنْ أَقَاصِي السَّمَاوَاتِ إِلَى
أَقَاصِيهَا.

(متى ٢٤: ٢٩-٣١)

كانت هذه الصور التعبيرية للأحداث في هذه الجزئية من العظة على جبل الزيتون مألوفة ليهود ذلك
العصر، حيث انها تواردت هذه الصور في أسفار الأنبياء وعلى وجه التحديد بأشعياء ويوئيل اللذان تكلمان
عن دينونة الله الأخيرة في نهاية الازمنة، والمعروفة "بיום الرب"، عندما تُظلم الشمس والقمر (أنظر أشعياء
١٣: ١٠-١١؛ يوئيل ٢: ٣١). وبعدها سترى كل عين يسوع آتٍ من السماء بمجدٍ، وسينوح سكان
المعمورة. وعندها ستبدأ خدمة ملائكة يسوع " لِيَجْمَعُوا مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ، مِنْ أَقَاصِي السَّمَاوَاتِ
إِلَى أَقَاصِيهَا ". مُشيراً الى المؤمنين الذين سيجمعون لمقابلة يسوع في الهواء، وكل هذا سيحدث مع صوت
البوق.

ولمرة أخرى إن سألت بطرس، أو يعقوب أو يوحنا في تلك اللحظة من عظة يسوع في جبل الزيتون إن
كانت عودة يسوع لأجلهم ستحدث قبل زمن المسيح الدجال والضيقة العظيمة او بعدها، لأجابوا "بعدها" بكل
تأكيد.

العودة والاختطاف

تبدو الاحداث الواردة في هذه الجزئية من العظة على جبل الزيتون مشابهة تماماً لما وصفه بولس الرسول،
وبلا شك كان يتكلم عن اختطاف الكنيسة، الا ان الكثيرين من المفسرين ما زالوا يقولون ان الاختطاف سيتم
قبل بدء زمن الضيقة. دعونا نلقي نظرة على تلك الآيات التي درسناها قبلاً:

عَلَى أَنَّنَا نُرِيدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَلَّا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَمْرُ الرَّاقِدِينَ، حَتَّى لَا يُصِيبَكُمْ الْحُزْنُ كَعَيْرِكُمْ مِنَ النَّاسِ^{١٣}
الَّذِينَ لَا رَجَاءَ لَهُمْ.

فَمَادُمُنَا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ ثُمَّ قَامَ، فَمَعَهُ كَذَلِكَ سَيُحْضِرُ اللَّهُ أَيْضاً الرَّاقِدِينَ بِيَسُوعَ.^{١٤}

فَهَذَا نَقُولُهُ لَكُمْ بِكَلِمَةٍ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الْبَاقِينَ أَحْيَاءٌ إِلَى حِينِ عَوْدَةِ الرَّبِّ، لَنْ نَسْبِقَ الرَّاقِدِينَ.^{١٥}

لَأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ سَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حَالِمًا يُدَوِّي أَمْرًا بِالتَّجْمُعِ، وَيُنَادِي رَئِيسُ مَلَائِكَةٍ، وَيُبَوِّقُ فِي بُوقٍ^{١٦}
إِلَهِيٍّ، عِنْدَئِذٍ يَقُومُ الْأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ أَوَّلًا.

ثُمَّ إِنَّا، نَحْنُ الْبَاقِينَ أَحْيَاءَ، نُخْتِطِفُ جَمِيعاً فِي السُّحُبِ لِلْاجْتِمَاعِ بِالرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ. وَهَكَذَا نَبْقَى مَعَ الرَّبِّ ١٧
عَلَى الدَّوَامِ.

لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِهَذَا الْكَلَامِ! ١٨

أَمَّا مَسْأَلَةُ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَوْقَاتِ الْمُحَدَّدَةِ، فَلَسْنُمْ فِي حَاجَةٍ لِأَنْ يُكْتَبَ إِلَيْكُمْ فِيهَا. ١

لَأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ يَقِيناً أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ سَيَأْتِي كَمَا يَأْتِي اللَّصُّ فِي اللَّيْلِ. ٢

فَبَيْنَمَا النَّاسُ يَقُولُونَ: حَلَّ السَّلَامُ وَالْأَمْنُ! يَنْزِلُ بِهِمُ الْهَلَاكُ الْمُفَاجِئُ كَالْمَخَاضِ الَّذِي يَذْهَبُ الْخُبْلَى، فَلَا ٣
يَسْتَطِيعُونَ أَبَداً أَنْ يُفْلِتُوا.

(تسالونيكي الأولى ٤: ١٣ - ٥: ٣).

فقد كتب بولس أن مجيء يسوع من السماء مع صوت البوق الإلهي وبتك اللحظة سيقابل المؤمنون
المُجتمعون الرب على السحاب في الهواء. وهذا يبدو كما وصفه يسوع في إنجيل متى ٢٤: ٣٠-٣١، ومن
الواضح أن هذا سيحدث بعد ظهور المسيح الدجال والضيقة.

زد على ذلك أن بولس يتابع كتابه عن مجيء المسيح الثاني، وأشار لمسألة متى ستتم "الأزمة والاقوات
المحددة"، هذا ليذكر قرائه ما يعرفونه جيداً ألا وهو "يوم الرب الآتي كلص في الليل." فقد أمن بولس بعودة
المسيح والاختطاف في "يوم الرب"، اليوم الرهيب المروع حين ينسكب الغضب بدمار قاس على الذين
كانوا يتوقعون "سلاماً وأماناً." فحين يعود المسيح ليأخذ كنيسته، سيحل غضبه على العالم.

هذا يتناسب تماماً مع ما كتبه بولس في رسالته اللاحقة لأهل تسالونيكي بخصوص عودة المسيح بغضب:

فَمِنْ الْعَدْلِ عِنْدَ اللَّهِ حَقًّا أَنْ يُجَازِيَ بِالضَّيْقَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ، ٦

وَأَنْ يُكَافِئَكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِينَ تَتَضَايِقُونَ، كَمَا يُكَافِئُنَا نَحْنُ، بِالرَّاحَةِ لَدَى ظُهُورِ الرَّبِّ يَسُوعَ عَلَنًا مِنَ السَّمَاءِ، ٧
وَمَعَهُ مَلَائِكَةُ قُدْرَتِهِ،

وَسَطَ نَارٍ مُلْتَهَبَةٍ، مُنْتَقِماً إِلَى التَّمَامِ مِنْ غَيْرِ الْعَارِفِينَ بِهِ وَغَيْرِ الْمُطِيعِينَ لِإِنْجِيلِ رَبِّنَا يَسُوعَ. ٨

فَهَؤُلَاءِ سَيُكَابِدُونَ عِقَابَ الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ، بَعِيداً مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ، ٩

عِنْدَمَا يَعُودُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِيَنْمَجَّدَ فِي قَدِّيسِيهِ وَيَكُونَ مَوْضِعَ الْعَجَبِ عِنْدَ جَمِيعِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَأَنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ ١٠
بِشَهَادَتِنَا لَكُمْ!

(تسالونيكي الثانية ١: ٦-١٠)

وقد ذكر بولس أن مع عودة يسوع لتحرير المسيحيين المضطهدين في تسالونيكي (تسالونيكي ١: ٤-٥)،
سيظهر حينها "مع ملائكته في النار المُلتهبة" ليُعاقب أولئك الذين عذبوهم، لينتقم لهم. ولكن هذا لا يبدو
مطابقاً لما يصفه كثيرون من المفسرين عن مرحلة ما قبل الاختطاف، وحسب افتراضهم المزعوم أن
الكنيسة ستؤخذ إلى المسيح قبل بداية سبع سنوات الضيقة، وهذا ما يوصف عادةً بظهور يسوع السري وأخذ

الكنيسة بهدوء. لا! فهذا لا يبدو مطابقاً لوصف يسوع في إنجيل متى ٢٤: ٣٠-٣١، إذ سيعود بالقرب أو في نهاية سبع سنوات الضيقة، حين يأتي ليأخذ المؤمنين وليصب بغضبه على غير المؤمنين.

يوم الرب

لاحقاً في ذات الإصحاح، كتب بولس:

وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رُجُوعِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ مَعاً، نَرْجُو مِنْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ^١
أَلَّا تَضْطَرِبَ أَفْكَارُكُمْ سَرِيعاً وَلَا تَقْلُقُوا، لَا مِنْ إِحْيَاءٍ وَلَا مِنْ خَبَرٍ وَلَا مِنْ رِسَالَةٍ مَنْسُوبَةٍ إِلَيْنَا زُوراً، يُزَعَمُ^٢
فِيهَا أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَدْ حَلَّ فِعْلاً. (تسالونيكي الثانية ٢: ١-٢).

لاحظ أولاً أن موضوع بولس كان مجيء المسيح والاختطاف. فقد كتب عن "اجتماعنا إليه معاً"، مستخدماً ذات الكلمات التي أستخدمها يسوع في متى ٢٤: ٣١، عندما تحدث عن الملائكة التي "سيجمعون المختارين معاً" "مِنَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ، مِنْ أَقَاصِي السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقَاصِيهَا"

لاحظ ثانياً أن بولس يناظر هذه الأحداث مع "يوم الرب"، ومع انه ذكر ذلك لكنيسة تسالونيكي الأولى ٤: ١٣-٥: ٢. ألا ان هذا يفسر لنا الامر بوضوح.

وأكمل بولس:

لَا تَدْعُوا أَحَدًا يَخْذَعُكُمْ بِأَيَّةٍ وَسِيلَةٍ! فَإِنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يَأْتِي دُونَ أَنْ يَسْبِقَهُ انْتِشَارُ الْعِصْيَانِ وَظُهُورُ الْإِنْسَانِ^٣
الْمُتَمَرِّدِ، ابْنِ الْهَلَاكِ،

الَّذِي يَتَحَدَّى كُلَّ مَا يُدْعَى إِلَهًا أَوْ مَعْبُودًا، وَيُعَادِيهِ مَتَرَفِعًا عَلَيْهِ. بَلْ إِنَّهُ أَيْضًا يَتَّخِذُ مِنْ هَيْكَلِ اللَّهِ مَقَرًّا لَهُ،^٤
مُحَاوِلًا أَنْ يُبْرِزَ هُنَّ أَنَّهُ إِلَهٌ.

(تسالونيكي الثانية ٢: ٣-٤).

ويتكلم بولس برسالته لمسيحيي تسالونيكي ليصحح حقيقة مجيء يوم الرب والذي كما يبدو كانت لهم صورة مضللة وخاطئة عنها، حيث طبقاً لبولس الرسول لا بد وأن يوم الرب سيبدأ بعد الاختطاف ومجيئ المسيح. ولكن ذكر بولس بصريح العبارة أنه يمكن ألا يأتي إلا بعد الارتداد (ربما السقوط العظيم الذي تحدث عنه يسوع في متى ٢٤: ١٠) وبعد إعلان المسيح الدجال ألوهيته من قلب الهيكل في أورشليم. ولذلك حذر بولس أهل تسالونيكي بوضوح أنه لا ينبغي أن يتوقعوا عودة المسيح، والاختطاف أو يوم الرب، إلا بعد إعلان المسيح الدجال ألوهيته.^{٧٨}

^{٧٨} هذا يُبدد نظرية ان كلمات يسوع في عظة جبل الزيتون تنطبق فقط على المؤمنين اليهود الذين وُلِدوا بالميلاد الثاني أثناء المحنة لأنه من المفروض أن كل هؤلاء الذين وُلِدوا ثانيّاً قبل المحنة سيكونون قد أُخْطِفُوا بالفعل. لا، فقد أخبر بولس المؤمنين الأمميين من تسالونيكي أن اختطافهم وعودة المسيح لن يحدثوا إلا بعد أن يعلن المسيح الدجال ألوهيته، وهو ما سيحدث في مُنتصف سبعة سنوات المحنة.

فيما يلي يصف بولس عودة المسيح والدمار الذي سيلحق بالمسيح الدجال:

أَلَا تَذْكُرُونَ أَنِّي كَثِيرًا مَا قُلْتُ لَكُمْ هَذَا عِنْدَمَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ؟^٥
وَأَنْتُمْ الْآنَ تَعْرِفُونَ مَا الَّذِي يَحْتَجِرُهُ حَتَّى لَا يَظْهَرَ إِلَّا فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لَهُ.^٦
فَإِنَّ التَّمَرُّدَ الْآنَ يَعْمَلُ خُفْيَةً كَأَنَّهُ سِرٌّ. وَلَكِنْ فَقَطْ إِلَى أَنْ يُرْفَعَ مِنَ الْوَسْطِ ذَلِكَ الَّذِي يَحْتَجِرُ الْمُتَمَرِّدَ.^٧
عِنْدَئِذٍ سَيَظْهَرُ الْإِنْسَانُ الْمُتَمَرِّدُ ظُهُورًا جَلِيًّا فَيُبِيدُهُ الرَّبُّ يَسُوعُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ وَيُلَاشِيهِ بِبَهَاءِ ظُهُورِهِ عِنْدَ^٨
عُودَتِهِ.
أَمَّا بُرُوزُ الْمُتَمَرِّدِ، فَسَوْفَ يَكُونُ بِقَدْرِ طَاقَةِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْمُعْجَزَاتِ وَالْعَلَامَاتِ وَالْعَجَائِبِ الْمُرِيقَةِ كُلِّهَا،^٩
وَعَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ التَّضَلُّيلِ الَّذِي يَجْرُفُ الْهَالِكِينَ إِلَى الْعَصْيَانِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا.^{١٠}
(تسالونيكي الثانية ٢: ١٠-٥).

وذكر بولس أنه سيوضع حداً لمسيح الدجال "بظهوره (يسوع) عند عودته" وإن كان هذا الظهور هو ظهوره بالاختطاف، حيث ذكر ذلك قبلاً بتسع آيات (أنظر ٢: ١)، فإن نهاية المسيح الدجال ستكون في وقت جمع الكنيسة لمقابلة الرب في الهواء. وهذا يتوافق مع ما قد جاء بإصحاح ١٩ و ٢٠ من سفر الرؤيا. فنقرأ هناك عن عودة المسيح (أنظر رؤيا ١٩: ١١-١٦)، ودمار المسيح الدجال وجيوشه (أنظر ١٩: ١٧-٢١)، وتقييد الشيطان (أنظر ٢٠: ١-٣) و"القيامة الأولى" (أنظر ٢٠: ٤-٦)، في حين يقوم من الأموات كل المؤمنين الذين استشهدوا أثناء سبع سنوات الضيقة. فإن كانت هذه هي بالفعل القيامة الأولى بمعنى القيامة العامة الأولى للأبرار، فإن ذلك سيبعد الشكوك بأن الاختطاف وغضب المسيح بمجيئه إنما سيحدثان في ذات الوقت مع دمار المسيح الدجال، كما يُخبرنا الكتاب المقدس أن هؤلاء المؤمنين الذين ماتوا في المسيح سيقومون من الأموات في الاختطاف (أنظر تسالونيكي الأولى ٤: ١٥-١٧).^{٧٩}

الاستعداد

دعونا نعود مرة أخرى للعبطة على جبل الزيتون.

وَتَعَلَّمُوا هَذَا الْمَثَلَ مِنْ شَجَرَةِ النَّيْنِ: عِنْدَمَا تَلِينُ أَغْصَانُهَا، وَتُطْلِعُ وَرَقًا، تَعْرِفُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ.^{٢٢}
هَكَذَا أَيْضًا حِينَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْأُمُورَ جَمِيعَهَا تَحْدُثُ، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ بَلْ عَلَى الْأَبْوَابِ!^{٢٣}

^{٧٩} فالبعض يقول إن القيامة المتحدث عنها في رؤيا ٢٠: ٤-٦ هي في الحقيقة الجزء الثاني من القيامة الأولى، وهي القيامة التي حدثت عند عودة يسوع الأولى عند الاختطاف. إذن ما يبرر إن كان هناك تفسير؟ وإن كانت القيامة المذكورة في رؤيا ٢٠: ٤-٦ هي في الحقيقة قيامة ثانية، فلما لم تُسمى "القيامة الثانية"؟

الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَزُولُ هَذَا الْجِيلُ أَبَدًا، حَتَّى تَحْدُثَ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا.^{٣٤}

إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَزُولَانِ؛ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ أَبَدًا.^{٣٥}

(متى ٢٤: ٣٢-٣٥)

لم يشأ يسوع لتلاميذه أن يكونوا غير مُستعدين، ذلك هو الموضوع الأساسي للعة على جبل الزيتون. فسيعلمون انها (ضيقة العالم) على الابواب حالما يرون هذه الأشياء بدأت بالحدوث، الارتداد، وظهور العديد من الأنبياء الكذبة والمسيح الكذاب، وإعلان المسيح الدجال لألوهيته، وبعدها وقيل عودة المسيح، سيظلم الشمس والقمر وستسقط النجوم.

وعلى الرغم من ذلك، بعد أن أخبرهم بهذه العلامات التي ستحدث قبل قدومه بسنوات قليلة، أو أشهراً أو حتى أياماً، أعلمهم أن الوقت المُحدد لعودته سيظل مجهولاً:

أَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ، فَلَا يَعْرِفُهُمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا الْآبُ وَحْدَهُ. (متى ٢٤: ٣٦)

لطالما كثر الاستشهاد بهذه الآيات بغير محلها وخارجة عن السياق! إذ يتم استخدامها لدعم فكرة أننا لن ولا نعلم متى سيعود يسوع، حيث يمكن أن يعود في أي وقت ليخطف الكنيسة. ولكن في سياق هذا النص، لم يكن هذا كل ما قصده يسوع. أراد اليقين بإعلام تلاميذه أن يكونوا مُستعدين ولذلك أخبرهم بالعديد من العلامات التي ستحدث قبل عودته. وزد على ذلك، أن يسوع لم يُشر في هذه الفقرة عن عودته الأولى "المفترضة" قبل سبع سنوات الضيقة، عندما يأتي ليختطف الكنيسة سرّاً كما يزعم البعض، ولكن عودته في نهاية الضيقة أو قريباً من نهايتها. وهذا امر غير قابل للنقاش من وجهة نظر صادقة حسب السياق.

هل عودته – مفاجأة محضة؟

هناك جدال دائم ورأي يعارض فكرة حدوث الاختطاف بزمان وشيك من نهاية الضيقة العظيمة وذلك لأن مجيء يسوع عندها لن يكون مفاجئاً كما "ومن المفترض" على ضوء ما قاله يسوع، إذ عندها لصار وقت العودة متوقعاً نظراً لمجريات أحداث الضيقة. فعليه لا بد أن يكون هناك مجيء ما قبل الضيقة، وإلا فلا كان من حاجة لذكر الكتاب المقدس تحذير المؤمنين ان يكونوا على استعداد، عالمين أنه قد تمر سبع سنوات أو أكثر قبل عودة المسيح.

ولكن ما ينقض هذا الاعتراض، حقيقة أن موضوع الموعظة على جبل الزيتون بأكمله كان للتأكيد على التلاميذ أن يكونوا مُستعدين لعودة الرب بزمان الضيقة أو قريباً من نهايتها، وكشف لهم العديد من العلامات التي ستسبق عودته. لماذا يتخلل عظة جبل الزيتون العديد من التحذيرات للاستعداد والحفاظ على اليقظة والحد من علم يسوع أن عودته ستكون بعد سنين كثيرة منذ تفوهه بهذه الكلمات؟

^{٣٥} وعلى الرغم من أن هؤلاء الذين سمعوا يسوع في ذلك اليوم ربما اعتقدوا أن جيلهم هو الجيل الذي سيرى كل هذه الأشياء، فنحن نعلم أنهم لم يكونوا كذلك. ولذلك لا بد وأن تُفسر كلام يسوع في ٢٤: ٣٤ التي تعني كل هذه الأشياء. فما حدث في جيل واحد، أو ربما لهذا العرق (كما يتم أحياناً ترجمة كلمة جيل) من المسيحيين (أو اليهود) لن يزول حتى تحدث كل هذه الأشياء.

فلعل يسوع على ما يبدو قد آمن بحاجة المسيحيين التزود بالاستعداد اللازم وأن يبقوا حذرين حتى وإن كانت عودته بعد سنوات كثيرة. وفي رسائل الرُّسل للمؤمنين هناك أيضاً تحذير لهم بأن يكونوا مُستعدين وبقوا يقظين لعودة يسوع، بهذا اقتدى الرسل قدوةً من يسوع.

وبالإضافة إلى ذلك، هؤلاء الذين يؤمنون بالاختطاف السابق للضيقة على أنه وحده يعطي معنى ومصادقية للتحذير والبقاء على استعداد، ستكون لأصحاب هذا الادعاء مشكلة أخرى. فطبقاً لهم سيعود المسيح أولاً قبل نهاية ضيقة السبع سنوات. ولذلك عودة يسوع لا يمكن أن تحدث في أي وقت آخر – ولكن لابد وأن تحدث وبالتحديد قبل ضيقة السنوات السبع. وبالتالي الحقيقة هي أنه ليس من حاجة لتوقع عودة يسوع إلى أن تظهر الأحداث العالمية لبدأ ضيقة السنوات السبع، تلك الأحداث التي يمكن توقعها والتأكد منها.

معظم الذين يدعمون فكرة الاختطاف السابق للضيقة، وإن كانوا أمناء، سيقولون إنهم عالمين أن يسوع لن يعود اليوم أو في الغد نظراً للوضع السياسي العالمي. ولكن هناك نبوءات عليها أن تحدث قبل بدء ضيقة السنوات السبع. فعلى سبيل المثال، كما نعلم من سفر دانيال، أن المسيح الدجال سيصنع عهداً مع إسرائيل لمدة سبعة سنوات، وذلك سيكون شرارة نشوب الضيقة. وبالتالي إذا حدث الاختطاف سبعة سنوات قبل نهاية الضيقة، فلابد وأن يحدث عندما يقطع المسيح الدجال اتفاقية السبع سنوات مع إسرائيل. إلى أن يقوم شيئاً في الأفق السياسي ما سيجعل هذا السيناريو ممكناً، لن تكون هناك حاجة لمنظري الاختطاف السابق للضيقة توقع عودة يسوع.

بالإضافة لذلك، أن الذين يتبعون فكرة الاختطاف السابق للضيقة ويؤمنون بعودة يسوع في نهاية الضيقة، وعليه هذا يعني أنه يمكن حساب اليوم المزعوم لعودة يسوع. وهذا يناقض ما قاله يسوع عن زمن مجيئه المعروف فقط للآب، لكن هنا يمكن حسابه بقضاء سبع سنوات منذ حدوث الاختطاف.

ولمرة أخرى، وبناءً على ما قاله يسوع، هو لا يُريد أن يكون مجيئه فجائي محض. ولكن بالواقع أنه أراد أن نتوقع مجيئه من خلال أحداث مُعينة في الضيقة. ببساطة، لا يُريد يسوع لتلاميذه أن يكونوا غير مستعدين، كحال العالم. وأكمل عظته على جبل الزيتون:

وَكَمَا كَانَتْ الْحَالُ فِي زَمَنِ نُوحٍ، كَذَلِكَ سَتَكُونُ عِنْدَ رُجُوعِ ابْنِ الْإِنْسَانِ: ٣٧

فَقَدْ كَانَ النَّاسُ فِي الْأَيَّامِ السَّابِقَةِ لِلطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ، حَتَّى فَاجَأَهُمُ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ السَّفِينَةَ،

وَنَزَلَ الطُّوفَانُ وَهُمْ لَا هَوْنَ فَأَخَذَ الْجَمِيعَ. هَكَذَا سَتَكُونُ الْحَالُ عِنْدَ رُجُوعِ ابْنِ الْإِنْسَانِ: ٣٩

عِنْدَئِذٍ يَكُونُ رَجُلَانِ فِي الْحَقْلِ، فَيُؤَخَذُ أَحَدُهُمَا وَيُتْرَكَ الْآخَرُ، ٤٠

وَأَمْرَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى الرَّحَى، فَتُؤَخَذُ إِحْدَاهُمَا، وَتُتْرَكَ الْأُخْرَى ٨١. ٤١

فَاسْهَرُوا إِذَنْ، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَرْجِعُ رَبُّكُمْ. ٤٢

^{٨١} ففي الحقيقة ليس هناك أي اختلاف إن كان الشخص يُعاني من الدينونة هو الشخص الذي تُرك أو الذي أُجِدَّ، كما دائماً يتم الجدل عليه. فالهم هو البعض سيكونون مُستعدين لعودة المسيح والبعض لن يكونوا مُستعدين. واستعدادهم سيحدد مصيرهم الأبدي.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ رُبْعٍ مِنَ اللَّيْلِ يَذْهَبُ اللَّصُّ، لَطَلَّ سَاهِراً وَلَمْ يَدْعُ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. ٣
فَكُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اسْتِعْدَادٍ، لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَيَرْجِعُ فِي سَاعَةٍ لَا تَتَوَقَّعُونَهَا! ٤

(متى ٢٤: ٣٧-٤٤)

ولمرة أخرى، جل اهتمام يسوع الواضح هو أن يكون تلاميذه مُستعدين لعودته. وهذا كان في الحقيقة السبب الأساسي لكل ما قاله قبل وبعد هذا الموضوع من عظته على جبل الزيتون.

وعليه فإن تحذيراته لهم ليبقوا مُستعدين ويقضين ليست هي إشارة إلى عودته المفاجئة، وإنما إشارة إلى صعوبة شدائد ذلك الوقت ليبقوا مُستعدين وحذرين. وبناءً على ذلك أولئك الذين يتوقعون الاختطاف السابق للضيقة المحتمل في أي وقت، مُعتقدين انهم أكثر استعداداً من المسيحيين الآخرين، ولكن في الحقيقة ليسوا مُستعدين لمواجهة أي شيء. فخير لهم أن يتوقعوا الضيقة من أن يجدوا أنفسهم بعد ذلك في وسط الاضطهاد العالمي بظل حُكم المسيح الدجال، وعندها تجربة السقوط سُنطغي عليهم. فمن الأفضل أن نكون مُستعدين لما علمنا إياه الكتاب المُقدس بما هو عتيد الحدوث.

ولمرة أخرى، إن سألت بُطرس، أو يعقوب، أو يوحنا عن زمن أن توقعهم لعودة يسوع، فسيخبرونك أن كل العلامات التي قالها يسوع لهم انها ستحدث قبل عودته. فهم لم يتوقعوا رؤيته قبل فترة الضيقة أو قبل ظهور المسيح الدجال.

كلص الليل

لاحظ أنه حتى تشبيه يسوع لـ "لص الليل" التي ذكر في هذا السياق يحتوي على تنبيهات تحذيرية لئلا يوجدوا غير مُستعدين. ولذلك لا ينبغي فهم تشبيه "لص الليل" لإثبات عدم الحاجة لتوقع عودة يسوع.

وقد أستخدم كلاً من بولس وبُطرس مماثلة يسوع كـ "لص الليل" عندما كتبا عن "يوم الرب" (أنظر تسالونيكي الأولى ٥: ٢-٤، بُطرس الثانية ٣: ١٠). فقد آمنوا أن هذا التشبيه يُشير إلى عودة يسوع الغاضبة أثناء أو قريباً من نهاية ضيقة السبع سنوات. ومن العجيب أن بولس قال لُقرائه "عَبِّرْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، لَسْتُمْ فِي الظَّلَامِ حَتَّى يُفَاجِئَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ كَأَنَّهُ لَصٌّ." (تسالونيكي الأولى ٥: ٤). فقد أستخدم بولس هذا التشبيه بشكل صحيح، مُدركاً أن هؤلاء الواعين للعلامات وتابعي يسوع بكل طاعة من غير الممكن أن يقبِعوا في الظلام، وهكذا سيكونون مُستعدين عند مجيء يسوع للقائه. فلهم لن تكون عودة يسوع كلص الليل. أما أولئك الذين يعيشون في الظلمة هم من سيندهشون، وهذا ما علّمه يسوع. (أنظر أيضاً استخدام يسوع لتعبير "اللص في الليل" في سفر الرؤيا ٣: ٣، حيث أستخدمه كإشارة لعودته، وللمعركة الحاسمة).

هكذا وكما اعلم يسوع تلاميذه ومنذ تلك اللحظة من عظته على جبل الزيتون، أن عليهم دائماً أن يكونوا مُستعدين لعودته. وبعدها أرشدهم ايضاً عن كيفية استعدادهم، حين ذَكَرَ مثل العبد غير الأمين، والعشرة عذارى، والوزنات، وبعد ذلك دينونة الجداء والخراف (كل هذه الجزئيات تستحق القراءة لفهم شامل). وفي

كل حالة على التقريب ذكرهم بأن الجحيم ينتظر الغير مُستعدين لعودته من الناس (أنظر متى ٢٤: ٥٠-٥١؛ ٢٥: ٣٠، ٤١-٤٦). والاستعداد يكون بالعيش حسب إرادة الله الى ان يعود.^{٨٢}

اعتراض آخر

يعترض البعض على امكانية حدوث الاختطاف اثناء الضيقة أو قريباً لنهايتها بُناءً على الأساس الكتابي أنه لا عقاب للأبرار مع الاشرار، وبرهان ذلك أمثلة كتابية، مثل نوح، ولوط، وشعب إسرائيل في مصر.

بالطبع، لدينا أسباب جيدة تؤكد على عدم معاناة الأبرار من جراء الغضب الالهي أثناء سبع سنوات الضيقة، كما وان ذلك يتعارض مع الكثير من السوابق والوعود الكتابية (أنظر الأمثلة في تسالونيكي الأولي ١: ٩-١٠؛ ٥: ٨).

وعلى الرغم من ذلك، أخبر يسوع تلاميذه عن معاناة الأبرار أثناء الضيقة العظيمة، إلا ان هذه المعاناة لن تتم بأيدي الله بل ستاتي عليهم من قبل الأشرار. فلن يستثنى المسيحيين من الاضطهاد - فقد وعدوا بالاضطهاد. واثناء سبع سنين الضيقة سيودي بحياة كثير من المسيحيين (متى ٢٤: ٩، رؤ ٦: ٩، ١٧: ٦، ١٣: ٥، ١٩: ٢، ٢٤: ١٨). وستقطع رؤوس الكثيرين (رؤ ٢٠: ٤).

وبالتالي إذا استشهد جميع المؤمنين في امة ما، فعندها لن يبقى أي سبب من أن ينزل غضب الله على تلك الامة بأكملها. وبالتأكيد أنه إن كان هناك مؤمنين في الأمة، الله قادر على حمايتها عند سقوط دينونته على الأشرار. فقد أثبت الله ذلك أثناء دينونته على مصر في أيام موسى. إذ لم يسمح الله حتى لكلب واحد أن ينبح على شعب إسرائيل، في حين سقط دينونته على جيرانهم المصريين (خروج ١١: ٧) كان عظيماً. هكذا أيضاً حسب سفر الرؤيا سيتم إطلاق جراداً لاذعاً على الأشرار في الأرض لمدة خمسة أشهر، ولكن هذا الجراد لن يسمح له بلمس احداً من ١٤٤٠٠٠ خادماً يهودياً الذين ستكون لهم علامة خاصة على جباههم (أنظر رؤيا ٩: ١-١١).

الاختطاف في سفر الرؤيا

في سفر الرؤيا لا نقرأ عن اختطاف الكنيسة ولا عن أي ظهور للمسيح سوى مرة واحدة فقط في إصحاح ١٩، عندما سيعود المسيح ليهزم المسيح الدجال وجيوشه في معركة هارمجون (جبل مجدو) الحاسمة. ولم يُذكر في ذلك الحين بتلك الآيات شيئاً عن حدوث الاختطاف. على انه يذكر قيامة شهداء الضيقة في ذلك الحين (أنظر ٢٠: ٤).

^{٨٢} فمن الواضح أن يسوع كان يُحذر تلاميذه الأقرباء ألا يكونوا غير مُستعدين عند عودته، وهنا وجدَ احتمال عدم استعدادهم. فإن حذرهم من عقاب عدم استعدادهم بسبب الخطية، وبعد ذلك كان من الممكن لهم أن يخسروا خلاصهم بسبب خطيتهم. كيف يمكن لهذا أن يحدث لنا عن أهمية القداسة، ومن حماقة هؤلاء الذين يقولون انه مُستحيل للمؤمنين ان يخسروا خلاصهم.

لأن بولس كتب عن أن الأموات في المسيح سيعودون، في الوقت الذي سَتُخطف الكنيسة فيه أيضاً، وبجانب ذلك العديد من الآيات التي درسناها بالطبع، كل هذا يقودنا للإيمان بأن الاختطاف لن يحدث حتى نهاية سبعة سنوات الضيقة، كما وُصِفَ في رؤيا ١٩ و ٢٠.

ولكن هناك وجهات نظر أخرى.

يجد بعضهم حدوث الاختطاف في رؤيا ٦ و ٧. ففي رؤيا ٦: ١٢-١٣، نقرأ سَتُظلم الشمس كـ " كَخِرْقَةٍ مِنْ شَعْرِ " والنجوم سَتُسْقَط من السماء، وهما علامتان تكلم عنهما يسوع أنهما سَتسبقان ظهوره وجمعه للمُختارين (أنظر متى ٢٤: ٢٩-٣١). وبعدها بقليل في إصحاح ٧، نقرأ عن الجموع العظيمة في السماء من كل الأمم، والقبائل وكل الألسنة الذين " هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أُتُوا مِنَ الصَّيْفَةِ الْعَظِيمَةِ " (٧: ١٤). فلم يُذكروا على أنهم كانوا شُهَدَاءَ ولكن كمجموعة أخرى مختلفة كما ذُكِرَ في إصحاح آخر (أنظر ٦: ٩-١١)، هذا ما يجعلنا نفترض أنه قد تم اختطافهم لا استشهداهم – أولئك المؤمنين الذين أنقذوا من أنياب الصيغة العظيمة.

وبالتأكيد يمكن الافتراض أن الاختطاف سيحدث في وقت حالاً بعد نشوب الأحداث الكونية كما صُوِّرَ في رؤيا ٦: ١٢-١٣، وببساطة هذا مُشابه لما قاله يسوع في متى ٢٤: ٢٩-٣١. فلم تُعطى أي إشارة قاطعة عن زمن وقوع الأحداث الكونية المذكورة في رؤيا ٦: ١٢-١٣ أثناء سبع سنوات الضيقة. وإن وُصِفَت هذه الأحداث في رؤيا ٦: ١-١٣ بتتابع، وإن حدث الاختطاف بعد ٦: ١٣، فهذا سيجعلنا نؤمن أن المجيء الثاني لن يحدث إلا بعد ظهور المسيح الدجال (أنظر ٦: ١-٢)، الحرب العالمية (أنظر ٦: ٣-٤)، والمجاعة (أنظر ٦: ٥-٦)، وموت رُبع سكان الأرض بسبب الحرب، والمجاعات، والأوبئة والحيوانات البحرية (أنظر رؤيا ٦: ٧-٨)، واستشهاد الكثيرين (أنظر رؤيا ٦: ٩-١١). بالتأكيد أن كل هذه الأحداث الموصوفة يمكن أن تحدث قبل نهاية سبع سنوات الضيقة، ولكن يمكن أيضاً أنهم يصفوا كل مدة سبع سنوات المحنة، ولكنهم أيضاً قد يصفون أحداث فترة السبع سنوات بأكملها، واضعين الاختطاف في النهاية.

لإضافة بعض الثِقَل على فكرة حدوث اختطاف قبل نهاية السبعة سنوات وهو في الحقيقة أن سفر الرؤيا يأتي بوصف جزئي لسبع سنوات الدينونة بعد رؤيا ٨: "دينونة الأبواق" و"دينونة الجامات". والبوق الأخير منهما ضرب لينهى غضب الله (أنظر ١٥: ١). وفقط قبل بدء دينونة الجامات يرى يوحنا "رَأَيْتُ أَيْضاً مَا يُشَبِّهُ بَحْراً مِنْ رُجَاجٍ تَحْتَلِطُ بِهِ النَّارُ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الَّذِينَ انْتَصَرُوا عَلَى الْوَحْشِ وَتِمَثَالِهِ وَرَفِئَ اسْمُهُ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ قِيَارَاتِ اللَّهِ" (١٥: ٢). فيمكن أنه قد تم اختطاف هؤلاء القديسين المُنتصرين. ومن ناحية أخرى لربما كانوا قد استشهدوا. فالكتاب المُقدس لا يُعلمنا بذلك. وزد على ذلك، أننا لا نعلم إن كان ١٥: ٢ يحمل أي علاقة زمنية لمشاهد الأحداث الموصوفة بالقرب منها.

حقيقة أخرى نجدها في سفر الرؤيا لربما تضيف ثِقَل على فكرة إمكانية حدوث اختطاف قبل نهاية السبع سنوات وهذا: عند حدوث "بوق الدينونة" الخامس المذكور في رؤيا ٩: ١-١٢، يعلمنا بأنه سيطلق الجراد اللاذع ليضر كل "مَنْ لَيْسَ عَلَى جِبَاهِهِمْ خَتْمُ اللَّهِ" (٩: ٤). مع علمنا أنه فقط ١٤٤٠٠٠ إسرائيلي لهم ختم على جباههم (رؤيا ٧: ٣-٨). وهكذا يبدو أن المؤمنين الآخرين سيتم اختطافهم قبل بوق الإدانة الخامس؛ وإلا لما غُفي عنهم من قوى الجراد اللاذع. بالإضافة إلى ذلك، وبسبب أن الجراد سيضر الناس لمدة خمسة شهور (٩: ٥، ١٠)، فيعتقد أن الاختطاف سيحدث على الأقل خمسة شهور قبل نهاية سبع سنوات الضيقة.

ولكن بالطبع هناك رأي يتغلب على هذا المنطق. إذ لربما سيكون هناك اخرون مختومين بعلامة على جباههم وقد لم يذكروا في النبذة المختصرة لوحى سفر الرؤيا. فعلى أي حال، إن لم يثبت أن الاختطاف سيحدث قبل بوق الدينونة الخامس، فهذا يُشير إلى امكانية وجود مجموعة من المؤمنين الذين لن يُختطفوا قبل إطلاق الجراد اللاذع - خاصة الـ ١٤٤٠٠٠ من شعب إسرائيل المختومين على جباههم. ولكنهم سيكونون محميين من غضب الله كما الظاهر بالجراد اللاذع.

ما هي الخلاصة من كل ذلك؟ يمكنني أن أخص هذه الجزئية، بذلك أن الاختطاف سيحدث إما بنهاية ضيقة السبع سنوات او قريباً من نهايتها. فلا ينبغي علينا نحن المؤمنين أن نخاف من غضب الله، ولكن علينا أن نكون مُستعدين لاضطهاد عظيم واحتمالاً للاستشهاد.

بزمَن الضيقة

دعونا نقض بعض الوقت لننظر عن كثب لما يُعلمنا الكتاب المُقدس عن ضيقة السنوات السبع. كيف توصلنا إلى أن الضيقة ستدوم لمدة سبعة أعوام؟ لذلك علينا أن ندرس سفر دانيال، الذي يُعتبر السفر الأكثر توضيحاً في الكتاب المُقدس عن نهاية الأزمان لجانب سفر الرؤيا.

في الإصحاح التاسع من سفره نجد أن دانيال قد أُسرَ ببابل مع كثيراً من اليهود. وعند درَس سفر أرميا، أكتشف دانيال أن مُدة سبي اليهود في بابل ستستغرق السبعون عاماً (أنظر دانيال ٩: ٢، أرميا ٢٥: ١١-١٢). على الرغم من أن دانيال قد أدرك قُرب نهاية السنوات السبعون، الا انه شرع بصلواته والاعتراف بخطايا شعبه طالباً الرحمة. وكرد على صلواته، ظهر له الملاك جُبرائيل وبيّن له خطة الله لمُستقبل شعب إسرائيل أثناء أيام الضيقة إلى عودة المسيح. فالنبوءة المذكورة في دانيال ٩: ٢٤-٢٧ هي واحدة من أعظم ما ذكره الكتاب المُقدس. وقد ذكرتها بين الأقواس كتعليقاتي عليها:

قَدْ صَدَرَ الْقَضَاءُ أَنْ يَمْضِيَ سَبْعُونَ أَسْبُوعاً [فمن الواضح أن هذه الأسابيع إشارة إلى سنين، أو كما نرى مجموع ٤٩٠ سنة] عَلَى شَعْبِكَ [إسرائيل] وَعَلَى مَدِينَةِ قُدُسِكَ [أورشليم]، لِانْتِهَاءِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ [ربما الفعل الذى توجَّ خطايا إسرائيل - وهو صلب مَسِيحهم] وَالْقَضَاءِ عَلَى الْخَطِيئَةِ [ربما يُشير ذلك لعمل المسيح الخلاصي على الصليب]، وَلِلتَّكْفِيرِ عَنِ الْإِثْمِ [بلا شك يُشير لعمل يسوع الخلاصي على الصليب]، وَلِلْإِشَاعَةِ الْبَرِّ الْأَبَدِيِّ [بداية العهد الدنيوي لمملكة يسوع]، وَخَتَمَ الرُّؤْيَا وَالنَّبُوءَةَ [هذه قد تكون إشارة لنهاية كتابة الكتاب المُقدس، أو لتحقيق نبوءة ما قبل الألفية] وَلَمَسَحِ قُدُوسِ الْقُدُوسِينَ [ربما يكون هذا إشارة لهيكل الألفية].

لِهَذَا فَاَعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُمْتَدَّةَ مِنْذُ صُدُورِ الْأَمْرِ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ أُورُشَلِيمَ [منذ العهد الذي قُطع في عهد الملك أَحْشَوِيَرُوش سنة ٤٤٥ قبل الميلاد] إِلَى مَجِيءِ الْمَسِيحِ [الرب يسوع المسيح]، سَبْعَةُ أَسَابِيعَ، ثُمَّ اثْنَانِ وَسِتُّونَ أَسْبُوعاً [مجموع ٦٩ أسبوع أو ٤٨٣ سنة] يَبْنَى فِي غُضُونِهَا سُوقٌ وَخَلِيجٌ. إِنَّمَا تَكُونُ تِلْكَ أَرْمَنَةً ضَيْقٍ [هذه إشارة لإعادة بناء أورشليم، التي تحطمت على يد البابليين].

وَبَعْدَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أَسْبُوعاً [وهذا ٤٨٣ سنة بعد عهد ٤٤٥ قبل الميلاد] يُقْتَلُ الْمَسِيحُ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ [سُيْلَبَ يَسُوعَ فِي سَنَةِ ٣٢ ميلادية، وإن حسبنا بحسب التقويم اليهودي السنة بها ٣٦٠ يوم]، وَيَذْمَرُ شَعْبُ [الرَّومَانِ] رَئِيسَ آتِ [المسيح الدجال] الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ [هذا إشارة لدمار أورشليم في سنة ٧٠ ميلادية على يد تيطس والرومان]، وَثَقِيلُ أَخْرَثُهَا كَطُوفَانٍ، وَتَسْتَمِرُّ الْحَرْبُ حَتَّى النِّهَايَةِ، وَيَعْمُ الْخَرَابُ الْمُقْضِيُّ بِهِ. وَيُبْرَمُ [الرئيس الآتي - المسيح الدجال] عَهْداً ثَابِتاً مَعَ كَثِيرِينَ [إسرائيل] لِمُدَّةِ أَسْبُوعٍ وَاحِدٍ [أو سبعة سنوات - وهذه هي فترة الضيقة]، وَلَكِنَّهُ فِي وَسْطِ الْأَسْبُوعِ [عند ثلاثة سنوات ونصف] يُبْطَلُ الذَّبِيحَةُ وَالتَّقْدِمَةُ، وَيُقِيمُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ رَجَاسَةَ الْخَرَابِ [حين يرفع نفسه على أورشليم ويدعي أنه الله، أنظر تسالونيكي الثانية ٢: ٤-١]، إِلَى أَنْ يَتِمَّ الْقَضَاءُ [سيعود يسوع]، فَيَنْصَبُ الْعِقَابُ عَلَى الْمُخَرَّبِ [سيُهزم المسيح الدجال] (دانيال ٩: ٢٤-٢٧).

٤٩٠ سنة خاصة

مُنْذُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الْمَلِكُ أَحْشَوِيرُوشَ ٤٤٥ ق.م مع اليهود ليعيدوا بناء أورشليم، قد خصص الله ٤٩٠ سنة للتاريخ المُستقبلي. ولكن هذه الـ ٤٩٠ سنة لن تكن بتتابع، وإنما مُنْقَسِمَةٌ لجزئين عبارة عن ٤٨٣ سنة والجزء الثاني عبارة عن سبع سنوات. وقد كمل الجزء الأول، ٤٨٣ سنة (عند صلب يسوع)، وتوقفت الساعة بعد ذلك من الجري. وربما لم يحلم دانيال أن الساعة ستتوقف لما هو الآن قرابة ٢٠٠٠ سنة. وعند نُقْطَةِ مُعَيْنَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، ستجري الساعة مرة أخرى لمدة السبع سنوات الأخيرة. وتعاز هذه السنوات السبع ليس فقط للضيقة، وإنما أيضاً كالأُسبُوعِ الدانيالي السبعون.

فهذه السبعة أعوام مُقسمة لفترتين كل منهما ثلاثة سنوات ونصف. وعند نُقْطَةِ مُعَيْنَةٍ، كما نقرأ في نبوءة دانيال، أن المسيح الدجال سيكسر عهده مع شعب إسرائيل "وسيضع نهايةً للتضحية والتقدمة". وبعدها وكما أخبرنا بولس أن المسيح الدجال سيجلس في هيكل أورشليم وسيعلن عن نفسه إلهاً.^{٨٣} هذا سيكون "رجسة الخراب" التي أشار إليها يسوع (أنظر متى ٢٤: ١٥). ولهذا على المؤمنين من اليهودية أن يهربوا إلى الجبال (متى ٢٤: ١٦)، وهذه ستكون بداية أسوأ ضيقة شهدتها التاريخ الانساني (أنظر ٢٤: ٢١).

كما انه من المُحتمل أن "هروب اليهودية" تم رؤيته بعلامة رمزية في رؤيا يوحنا، وهو مُذكور في الإصحاح ١٢ من سفر الرؤيا. وإن كان الأمر كذلك، فإن المؤمنين من اليهودية سيجدون مكاناً خاصاً آمناً مُعد لهم في البرية حيث سيعتنى بهم لمدة ثلاثة سنوات ونصف، وهذا ما تبقى من سبع سنوات الضيقة (أنظر رؤيا ١٢: ٦، ١٣-١٧). فقد رأى يوحنا غضب الشيطان على هروبهم، وحربه التي تلت ذلك مع الباقين من الذين "يَعْمَلُونَ بِوَصَايَا اللَّهِ وَعِنْدَهُمُ الشَّهَادَةُ لِيَسُوعَ" (رؤيا ١٢: ١٧). ولهذا السبب أعتقد أنها ستكون فكرة جيدة للمؤمنين حول العالم أن يهربوا لأماكن آمنة عند اعلان المسيح الدجال نفسه إلهاً على إسرائيل.

^{٨٣} فهذا يُشير لنا أنه لابد وأن يُبنى هيكل أورشليم، كما يحدث الآن، وليس هناك أي هيكل في أورشليم (حيث لم يكن كذلك في سنة ٢٠٠٥ عندما كُتِبَ هذا).

رؤية دانيال الأخيرة

لم تُلقَى نظرة بعد على إحدى الفقرات المدهشة من سفر دانيال الموجودة في الثلاثة عشر آية الأخيرة من سفره الرائع. فهي كلمات قالها الملاك لدانيال. وقد استشهدت فيما يلي بهذه الآيات مع تعليقاتي بين الأقواس:

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْمَلَاكُ مِيخَائِيلُ [الملاك] حَارِسُ شَعْبِكَ، وَذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ ضَيْقٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَثِيلٌ مُنْذُ أَنْ وُجِدَتْ أُمَّةٌ حَتَّى ذَلِكَ الزَّمَانِ [وهو ذاته الضيق الذي تكلم عنه يسوع في متى ٢٤: ٢١]. غَيَّرَ أَنْ كُلُّ مَنْ كَانَ اسْمُهُ مُدَوَّنًا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَعْبِكَ يَنْجُو فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ [لربما هذه إشارة لهروب اليهودية أو لإنقاذ المؤمنين عند الاختطاف].

وَيَسْتَبْقِطُ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَمْوَاتِ الْمَذْفُونِينَ فِي تَرَابِ الْأَرْضِ، بَعْضُهُمْ لِيُنْأَبُوا بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَبَعْضُهُمْ لِيُسَامُوا ذَلِكَ الْعَارِ وَالْإِزْدِرَاءِ إِلَى الْأَبَدِ [قيامة الأبرار والأشرار].

وَيُضِيءُ الْحُكَمَاءُ (أَيُّ شَعْبِ اللَّهِ) كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ يَشْعُونَ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى مَدَى الدَّهْرِ [بعد القيامة، الأبرار سيتلقون أجساداً جديدة منيرة بجد الله].

أَمَّا أَنْتَ يَا دَانِيَالُ فَانْكُثِ الْكَلَامَ، وَاخْتِمْ عَلَى الْكِتَابِ إِلَى مِيعَادِ النَّهَايَةِ. وَكَثِيرُونَ يَطُوفُونَ فِي الْأَرْضِ وَتَزْدَادُ الْمَعْرِفَةُ. [التقدم العظيم الذي حلَّ على وسائل المواصلات ونقل المعلومات عبر القرن الماضي وما يزال يبدو أنه تحقيق لهذه النبوءة].

ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَا دَانِيَالُ فَإِذَا بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ وَقَفَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى صِفَةٍ مِنْ صِفَتِي النَّهْرِ،

سَأَلَ أَحَدُهُمَا الرَّجُلَ اللَّابِسَ الْكُتَّانَ الْوَاقِفَ عَلَى مِيَاهِ النَّهْرِ: مَتَى يَنْقُضِي زَمَنُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْعَجِيبَةِ.

فَسَمِعْتُ الرَّجُلَ اللَّابِسَ الْكُتَّانَ الْوَاقِفَ فَوْقَ مِيَاهِ النَّهْرِ يَقُولُ، بَعْدَ أَنْ رَفَعَ يَدَيْهِ نَحْوَ السَّمَاوَاتِ مُفْسِماً بِالْحَيِّ إِلَى الْأَبَدِ: تَنْقُضِي هَذِهِ الْعَجَائِبُ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ وَنِصْفٍ [ثلاثة سنوات ونصف هكذا حُلَّ هذا الرمز في سفر الرؤيا ١٢: ٦ و١٢: ١٤]، حِينَ يَتِمُّ تَشْنِيبُ قُوَّةِ الشَّعْبِ الْمُقَدَّسِ [كما أخبرنا في دانيال ٧: ٢٥ أن القديسين سيقدّمون لأيدي المسيح الدجال لمدة ثلاثة سنوات ونصف، وهنا يتضح أن هذه هي الثلاث سنوات ونصف الأخيرة من سبعة سنين الضيقة. وإتمام الأحداث التي تكلم عنها الملاك ستكون عند تشنيت قوة الشعب المقدس.]"

فَسَمِعْتُ مَا قَالَهُ وَلَكِنِّي لَمْ أَفْهَمْ، فَسَأَلْتُ: يَا سَيِّدِي مَا هِيَ آخِرُ هَذِهِ؟

فَأَجَابَ: أَذْهَبُ يَا دَانِيَالُ لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ مَكْثُومَةٌ وَمَخْثُومَةٌ إِلَى وَقْتِ النَّهَايَةِ.

كَثِيرُونَ يَطْهَرُونَ وَيَتَنَقَّوْنَ وَيُمَحَّصُونَ بِالتَّجَارِبِ [من خلال المحنة، بلا شك]، أَمَّا الْأَشْرَارُ فَيَرْتَكِبُونَ شَرًّا وَلَا يَفْهَمُونَ. إِنَّمَا دَوُو الْفِطْنَةِ يَذْرَكُونَ.

أَمَّا الْفَتْرَةُ مَا بَيْنَ إِزَالَةِ الْمُحَرِّقَةِ الدَّائِمَةِ وَإِقَامَةِ رَجْسِ الْمُخَرَّبِ، فَهِيَ أَلْفٌ وَمِئَتَانِ وَتِسْعُونَ يَوْماً [لا ينبغي تفسير هذا الوقت على أنه وقع بين الحدثين، لأن كلاهما يحدثان في مُنتصف السبع سنوات. ولكن بالأحرى يُفسَّر ذلك أنه مع بدأ هاذان الحدثان، ستبدأ مدة ١٢٩٠ يوماً إلى حدوث شيئاً عظيماً في النهاية. ١٢٩٠ يوماً هي مدة تزيد بثلاثين يوماً عن ثلاث سنوات ونصف إذا كانت السنة مكونة من ٣٦٠ يوماً، وهذا الوقت نراه

مذكوراً بكثرة في نبوءات دانيال ورؤيا يوحنا. لماذا اضيفت الثلاثين يوماً هذه، لهي مسألة تدعي للجدل. ولإضافة المزيد من الغموض، قال الملاك فيما يلي لدانيال:]

فَطُوبَى لِمَنْ يَنْتَظِرُ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الْأَلْفِ وَالثَّلَاثِ مِئَةٍ وَالْخَمْسَةِ وَالثَّلَاثِينَ يَوْماً [وهكذا لدينا الآن خمسة وأربعون يوماً غامضين].

وَأَمَّا أَنْتَ فَادْهَبْ إِلَى آخِرَتِكَ فَتَسْتَرِيحَ [وُعدَ دانيال بالقيامة]، ثُمَّ تَقُومَ فِي نَهَايَةِ الْأَيَّامِ لِتُنَابِ بِمَا قُسِمَ لَكَ. (دانيال ١٢: ١-١٣)

فمن الواضح أن شيئاً رائعاً سيحدث في نهاية ال ٧٥ يوماً الإضافي! فعلينا أن ننتظر لنرى ماذا سيحدث. فنحن نعلم من قراءة الإصحاحات الأخيرة من سفر الرؤيا أن هناك أحداث كثيرة ستحدث حالاً بعد عودة المسيح، أحدها عشاء عرس الحمل، هذا بما يتعلق وما قاله الملاك ليوحنا، " وَأَمْلَى عَلَيَّ الْمَلَكُ أَنْ أَكْتُبَ: «طُوبَى لِلْمَدْعُودِينَ إِلَى وَلِيمَةِ عُرْسِ الْحَمَلِ». ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ نَفْسُهُ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ الْحَقُّ " (رؤيا ١٩: ٩). ربما هذه ذاتها البركة التي أشار إليها في حديثه لدانيال. وإن كان الأمر كذلك، فالعشاء العظيم سيحدث بعد حوالي شهرين ونصف من عودة يسوع.

ربما هؤلاء الخمسة وسبعون يوماً سيملئون بأشياء أخرى التي سنعلم عن حدوثها طبقاً لما كُتِبَ في الإصحاحات الأخيرة من سفر الرؤيا، كطرح المسيح الدجال والأنبياء الكذبة في بحيرة النار، تقيد الشيطان، وإعداد مملكة يسوع الالفيه (أنظر ١٩: ٢٠ - ٢٠: ٤).

الآلفية

الآلفية هي لفظ يُشير إلى عهد حُكم يسوع على الأرض باسرها ولمدة ألف عام (أنظر رؤيا ٢٠: ٣، ٥، ٧)، والتي ستحدث بعد إتمام سبعة سنوات الضيقة. فقد رأى أشعيا حُكم المسيح الأرضي منذ حوالي ثلاثة آلاف سنوات:

لَأَنَّهُ يُؤَلَّدُ لَنَا وَلَدٌ وَيُعْطَى لَنَا ابْنٌ يَحْمِلُ الرِّيَاسَةَ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشِيرًا، إِلَهَا قَدِيرًا، أَبَا^٦ أَبَدِيًّا، رَبِّيسَ السَّلَامِ.

وَلَا تَكُونُ نِهَايَةُ لِنُموِّ رِيَاسَتِهِ وَلِلْسَّلَامِ الَّذِينَ يَسُودَانِ عَرْشَ دَاوُدَ وَمَمْلَكَتَهُ، لِيُنْبِتَتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ،^٧ مِنْ الْآنَ وَإِلَى الْأَبَدِ. إِنَّ غَيْرَةَ الرَّبِّ الْقَدِيرِ تَنْتَمُّ هَذَا.

(أشعيا ٩: ٦-٧)

ويشبه ذلك، إعلان الملاك جبرائيل لمريم أن ابنها سيملك على المملكة الأبدية:

فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: «لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، فَإِنَّكَ قَدْ نَلْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ!»^{٣٠}

وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا، وَتُسَمِّيْنَهُ يَسُوعَ.^{٣١}

إِنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيَمْنَحُهُ الرَّبُّ الْإِلَهُ عَرْشَ دَاوُدَ أَبِيهِ،^{٣٢}

فَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَنْ يَكُونَ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ.^{٣٣}

(لوقا ١: ٣٠-٣٣).^{٨٤}

أثناء الألفية سيملك يسوع على جبل صهيون في أورشليم، الذي سيُرفع ليزيد ارتفاعه عما هو عليه الآن. وبحكمه ستسود العدالة المثالية على كل الأمم، وسيعم السلام على كل الأرض:

وَيَحْدُثُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ، أَنَّ جَبَلَ الرَّبِّ يُصْبِحُ أَسْمَى مِنْ كُلِّ الْجِبَالِ، وَيَعْلُو فَوْقَ كُلِّ التَّلَالِ، فَتَنَوَّافُ^٢ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ.

وَتُقْبَلُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ وَتَقُولُ: تَعَالَوْا لِنَذْهَبَ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلَهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا طَرَفَهُ، وَنَسْأَلَكَ فِي سُبُلِهِ، لِأَنَّ مِنْ صِهْيُونَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ تُعْلَنُ كَلِمَةُ الرَّبِّ.

فَيَفْضِي بَيْنَ الْأُمَمِ وَيَحْكُمُ بَيْنَ الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ، فَيُطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ مَحَارِيثَ وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ، وَلَا تَرْفَعُ أُمَّةٌ^٤ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلَا يَنْتَدِرُبُونَ عَلَى الْحَرْبِ فِيمَا بَعْدَ.

(أشعيا ٢: ٢-٤)

وتنبأ زكريا بذات الشيء:

هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: إِنِّي أَغَارُ عَلَى صِهْيُونَ غَيْرَةً عَظِيمَةً مُفْعَمَةً بِغَضَبٍ شَدِيدٍ عَلَى أَعْدَائِهَا.^٢

لِهَذَا يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: هَا أَنَا عَائِدٌ إِلَى صِهْيُونَ لِأَقِيمَ فِي أُورُشَلِيمَ، فَتُدْعَى آيْنِزَ مَدِينَةُ الْحَقِّ، كَمَا يُدْعَى^٣ جَبَلُ الرَّبِّ الْقَدِيرِ الْجَبَلُ الْمُقَدَّسِ.

وَسَتَأْتِي شُعُوبٌ أَيْضًا وَأَفْوَاجٌ مِنْ سُكَّانِ مَدْنٍ كَثِيرَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ.^{٢٠}

وَيَمْضِي أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْأُخْرَى قَائِلِينَ: هَيَّا نَذْهَبْ عَلَى الْفُورِ لِنَطْلُبَ رِضَى وَجْهِ الرَّبِّ^{٢١} الْقَدِيرِ وَنَلْتَمِسَ بَرَكَتَهُ، لِأَنَّنَا عَلَى أَيِّْ حَالٍ مُنْطَلِقُونَ إِلَى هُنَاكَ.

فَتَنَوَّافُ^{٢٢} أُمَمٌ كَثِيرَةٌ وَشُعُوبٌ قَوِيَّةٌ لِيَلْتَمِسُوا وَجْهَ الرَّبِّ الْقَدِيرِ فِي أُورُشَلِيمَ وَلِيَحْظُوا بِرِضَاهُ.

فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ يَنْشَبُثُ عَشْرَةُ رِجَالٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْأُمَمِ بِثُوبِ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ قَائِلِينَ: دَعْنَا نَذْهَبَ مَعَكُمْ، لِأَنَّنَا^{٢٣} سَمِعْنَا أَنَّ الرَّبَّ مَعَكُمْ.

^{٨٤} فهذه الآية توضح كيف انه من السهل أن نصنع افتراضاً خاطئاً عن الأشياء أوقات الأحداث النبوية عن طريق سوء فهم ما يقوله الكتاب المقدس حقاً. فكان من السهل على مريم أن تُخمن أن ابنا سيملك على عرش داود في خلال عدة عقود. فأخبرها جبرائيل أنها ستلد ابنا وسيملك على بيت يعقوب، جاعلاً ذلك يبدو وكأن ميلاد وملك يسوع سيكونان حدثين مُتتاليين. فلم تتخيل مريم أنه سيكون هناك ٢٠٠٠ سنة بينهما. فيجب علينا أن نكون واعين وحذرين من صنع افتراضات مُشابهة عند تفسيرنا آيات نبوية.

(زكريا ٨: ٢-٣، ٢٠-٢٣).

الكتاب المقدس يُعلمنا أن المؤمنين سيحكمون ويملكون مع المسيح أثناء تلك الألفية. وبناءً على حياتهم الآنية بالإيمان ذلك سيحدد مستوى مسؤوليتهم وحكمهم معه (أنظر دانيال ٧: ٢٧؛ لوقا ١٩: ١٢-٢٧؛ كورنثوس الأولى ٦: ٣-١؛ رؤيا ٢: ٢٦-٢٧؛ ٥: ٩-١٠؛ ٢٢: ٣-٥).

سيتم كساننا بأجساد القيامة، لكن يبدو أنه سيكون هناك أشخاص طبيعيين يعيشون في أجساد بشرية يملئون الأرض في ذلك الوقت. وبالإضافة لذلك سيتعاد العمر المديد الذي أختبره الآباء، وأن الحيوانات المفترسة ستفقد آنذاك شرستها:

وَأَبْتَهَجُ بِأُورُشَلِيمَ وَأَغْتَبِطُ بِشَعْبِي، وَلَا يَعُودُ يُسْمَعُ فِيهَا صَوْتُ بُكَاءٍ أَوْ نَحِيبٍ،^{١٩}
وَلَا يَكُونُ فِيهَا بَعْدُ طِفْلٌ لَا يَعِيشُ سِوَى أَيَّامٍ قَلِيلٍ، أَوْ شَيْخٌ لَا يَسْتَوْفِي أَيَّامَهُ. وَمَنْ يَمُوتُ ابْنٌ مِثْلَ سَنَةِ^{٢٠}
يُغْتَبَرُ قَتْلَى، وَمَنْ لَا يَبْلُغُهَا يَكُونُ مَلْعُونًا.
وَيَرْعَى الذَّنْبُ وَالْحَمْلُ مَعًا، وَيَأْكُلُ الْأَسَدُ التَّبَنَ كَالْبَقَرِ، وَتَأْكُلُ الْحَيَّةُ التُّرَابَ. لَا يُؤْذُونَ وَلَا يُهْلِكُونَ فِي كُلِّ^{٢٥}
جَبَلٍ قُدْسِي، يَقُولُ الرَّبُّ.
(أشعيا ٦٥: ١٩-٢٠، ٢٥؛ أنظر أيضاً أشعيا ١١: ٦-٩).

فهناك العديد من الإشارات عن ألفية المستقبل في الكتاب المقدس، خاصةً في العهد القديم. ولدراسة أعمق، أنظر أشعيا ١١: ٦-١٦؛ ٢٥: ١-١٢؛ ٣٥: ١-١٠؛ أرميا ٢٣: ١-٥؛ يونس ٢: ٣٠-٣؛ ٢١: ٩؛ عاموس ٩: ١١-١٥؛ ميخا ٤: ١-٧؛ صفنيا ٣: ١٤-٢٠؛ زكريا ١٤: ٩-٢١؛ و رؤيا ٢٠: ١-٦.

وتورد نبوءات عن الألفية من الكثير من المزامير. فعلى سبيل المثال، أقرأ هذه الفقرة من مزمور ٤٨:

مَا أَعْظَمَ الرَّبَّ وَمَا أَجْدَرَهُ بِالتَّسْبِيحِ فِي مَدِينَةِ إِلَهِنَا، فِي جَبَلِ قُدَّاسَتِهِ.
جَبَلُ صِهْيُونَ جَمِيلٌ فِي شُمُوحِهِ، (هُوَ) فَرَحُ كُلِّ الْأَرْضِ حَتَّى أَقَاصِي الشَّمَالِ. هُوَ مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ.^٢
اللَّهُ الْمُقِيمُ فِي قُصُورِهَا مَعْرُوفٌ بِأَنَّهُ حِصْنٌ مَنِيعٌ.^٣
هُوَذَا الْمُلُوكُ قَدِ اخْتَشَدُوا وَعَبَرُوا مَعًا.^٤
رَأَوْا بَيْتَ اللَّهِ فَذَهَلُوا. ارْتَاعُوا وَفَرُّوا.^٥
هُنَاكَ اعْتَرَتْهُمْ رَعْدَةٌ فَتَوَجَّعُوا كَامْرَأَةٍ فِي مَخَاضِهَا.^٦

عندما يؤسس يسوع حكمه في أورشليم مع بداية الألفية، سيأتي حكام ممن قد نجو من الضيقة ليروا يسوع بعد سماعهم أخبار عن حكمه! وسيتعجبون بما سيرونه.^{٨٥}

^{٨٥} من خلال النظر في الكتاب المقدس، يبدو أن الألفية ستبدأ، وليس فقط مع ملء الأرض بالمؤمنين مع غير المؤمنين (أنظر أشعيا ٢: ١-٦٠؛ ٥١: ١-٥، دانيال ٧: ١٣-١٤).

ومن المزامير الأخرى التي تُشير إلى حكم المسيح الألفي أنظر ٢: ١-١٢؛ ٢٤: ١-١٠؛ ٤٧: ١-٩؛ ٦٦: ١-٧؛ ٦٨: ١٥-١٧؛ ٩٩: ١-٩؛ ١٠٠: ١-٥.

الوضع الأبدي

نهاية الألفية ستكون البداية لما يدعوه معلمو الكتاب المقدس بـ "الوضع الأبدي"، والذي سيبدأ بسماء جديدة وأرضاً جديدة. وسيُسلم حينها يسوع كل شيء للأب، كما ذُكر في كورنثوس الأولى ١٥: ٢٤-٢٨:

وَبَعْدَ ذَلِكَ الْآخِرَةِ حِينَ يُسَلِّمُ الْمَسِيحُ الْمُلْكَ لِلْأَبِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَبَادَ كُلَّ رِئَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَةٍ وَكُلِّ قُوَّةٍ. ٢٤
فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَمْلِكَ إِلَى أَنْ يَضَعَ جَمِيعَ الْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. ٢٥
وَأَخِرُ عَدُوٍّ يُبَادُ هُوَ الْمَوْتُ. ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَدْ أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. ٢٦
وَلَكِنْ، فِي قَوْلِهِ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُخْضِعَ، فَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ يَسْتَثْنِي اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ خَاضِعاً لِلْأَبْنِ. ٢٧
وَعِنْدَمَا يَتِمُّ إِخْضَاعُ كُلِّ شَيْءٍ لِلْأَبْنِ، فَإِنَّ الْابْنَ نَفْسَهُ سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ اللَّهُ ٢٨
هُوَ كُلَّ شَيْءٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ!

سيُحل الشيطان، الذي تم ربطه في فترة الألف سنة، وذلك في نهاية الألفية. وأنداك سيخدع من كانوا متمردين في قلوبهم تجاه يسوع، ولكنهم تظاهروا بطاعتهم له (أنظر مزامير ٦٦: ٣).

فسيُسمح الله للشيطان أن يخدعهم ليُظهر حقيقة قلوبهم حتى يتلقوا دينونتهم العادلة. وفي ظل خدائعه، سيُجتمعون ليهجموا على المدينة المقدسة، أورشليم، بغرض عزل حكم يسوع. والمعركة لن تدوم طويلاً لأن ناراً ستسقط من السماء لتُهلك الجيوش المحيطة، وسيُطرح الشيطان حينها للأبد في بحيرة النار والكبريت (أنظر رؤيا ٢٠: ٧-١٠).

وتم ذكر الاجتماع العتيد للحرب في مزمور ٢:

لِمَاذَا ضَجَّتِ الْأُمَمُ؟ وَلِمَاذَا تَنَامَرُ الشُّعُوبُ بَاطِلًا؟

اجْتَمَعَ مُلُوكُ الْأَرْضِ وَرُؤَسَاؤُهَا، وَتَحَالَفُوا لِيُقَاوِمُوا الرَّبَّ وَمَسِيحَهُ، قَائِلِينَ: ٢

«لِنَحْطِمَ عَنَّا قُبُودَهُمَا، وَنَتَحَرَّرَ مِنْ نِيرِ عُبُودِيَّتِهِمَا».

لَكِنَّ الْجَالِسَ عَلَى عَرْشِهِ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِي بِهِمْ. ٤

عِنْدَئِذٍ يُنْذِرُهُمْ فِي حُمُومِ غَضَبِهِ، وَيُرَوِّعُهُمْ بِشِدَّةِ سَخَطِهِ، ٥

قَائِلًا: أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي، وَأَجْلَسْتُهُ عَلَى صِهْيُونَ، جَبَلِي الْمُقَدَّسِ. ٦

وَهَا أَنَا أُعْلِنُ مَا قَضَى بِهِ الرَّبُّ: قَالَ لِي الرَّبُّ: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. ٧

اطْلُبْ مِنِّي فَأَعْطِيكَ الْأَمَمَ مِيرَاثًا، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ.^٨
فَتُكْسِرُهُمْ بِقَضِيْبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَتُحَطِّمُهُمْ كَأَنِيَّةِ الْفَخَّارِ.^٩
وَالآنَ تَعَقَّلُوا أَيُّهَا الْمُلُوكُ، وَاحذَرُوا يَا حُكَّامَ الْأَرْضِ.^{١٠}
اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَابْتَهِجُوا بِرَعْدَةٍ.^{١١}
قَبِّلُوا الْابْنَ لِئَلَّا يَغْضَبَ، فَتَهْلِكُوا فِي الطَّرِيقِ، لِئَلَّا يَتَوَهَّجَ غَضَبُهُ سَرِيعًا. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَكَلِّينَ عَلَيْهِ.^{١٢}

الحكم النهائي

سيسبق الوضع الابدي حُكماً نهائياً واحداً. فكل من الاشرار على مر العصور سيقومون من الأموات ويقفون أمام الله ليدانوا حسب أعمالهم (أنظر رؤيا ٢٠: ٥، ١١-١٥). فكل من هو في الجحيم سيحضر أمام الديان، الذي يُشار إليه بـ "عَرْشاً عَظِيماً أَبْيَضَ"، وبعدها سيلقون في الهاوية، بحيرة النار. ويُشار لهذا "بالموت الثاني" (رؤيا ٢٠: ١٤).

وقد وعد يسوع من ألفين سنة: "إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَزُولَانِ؛ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ أَبَداً" (متى ٢٤: ٣٥). وبعد ذلك سيخلق الله سماوات جديدة وأرضاً جديدة كما قال بطرس في رسالته الثانية:

إِلَّا أَنَّ «يَوْمَ الرَّبِّ» سَيَأْتِي كَمَا يَأْتِي اللَّيْلُ فِي اللَّيْلِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، تَزُولُ السَّمَاوَاتُ مُحْدَثَةً دَوِيّاً هَائِلًا^{١٠} وَتَنَحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً بِنَارٍ شَدِيدَةٍ، وَتَحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ مُنْجَرَّاتٍ.
وَمَادَامَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ جَمِيعاً سَتَنَحَلُّ، فَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ أَصْحَابُ سُلُوكٍ مُقَدَّسٍ يَنْصِفُ بِالتَّقْوَى،^{١١} مُتَنْظِرِينَ «يَوْمَ اللَّهِ» الْأَبَدِيَّ وَطَالِبِينَ حُلُولَهُ بِسُرْعَةٍ. فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، تَنَحَلُّ السَّمَاوَاتُ مُلْتَهَبَةً، وَتَذُوبُ^{١٢} الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً.

إِلَّا أَنَّنَا، وَفَقاً لَوَعْدِ الرَّبِّ، نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً، حَيْثُ يَسْكُنُ الْبِر.^{١٣}
فَبَيْنَمَا تَنْتَظِرُونَ إِثْمَامَ هَذَا الْوَعْدِ، أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ، اجْتَهِدُوا أَنْ يَجِدَكُمُ الرَّبُّ فِي سَلَامٍ، خَالِينَ مِنَ الدَّنَسِ^{١٤} وَالْعَيْبِ.

(بطرس الثانية ٣: ١٠-١٤؛ أنظر أيضاً أشعياء ٦٥: ١٧-١٨).

أخيراً، ستُنزل أورشليم الجديدة من السماء الى الأرض (أنظر رؤيا ٢١: ١-٢). التي سيصعب لعقولنا أن تستوعب عظمتها، وهي منطقة تبلغ مساحتها كنصف مساحة الولايات المتحدة (أنظر رؤيا ٢١: ١٦)، ولا نقدر أن نستوعب عجائب ذلك العصر الذي لا نهاية له. سنعيش في مُجتمع مثالي للأبد، في ظل حُكم الله، لمجد يسوع المسيح.

الفصل الثلاثون

الخُرافات الحديثة حول الحرب الروحية، الجزء الأول

Modern Myths About Spiritual Warfare, Part one

إن موضوع الحرب الروحية أصبح رائجاً وبارزاً في الكنيسة بالسنوات الأخيرة. إلا أنه وللأسف، الكثير ما يُعلّم به حول هذا الموضوع يتعارض وتعاليم الكتاب المقدس. وبناءً على ذلك يُعلم الكثّار من الخدام حول العالم ويُمارسون الحرب الروحية بخلاف لما جاء به الكتاب المقدس. بالتأكيد ليس من وجود لحروب روحية كتابية البتة، هذا ما على الخادم المُتلمذ أن يُعلّمه ويُمارسه.

في هذا الفصل والذي يليه سوف أتناول مُعالجة بعض المفاهيم المغلوطة الشائعة بما يتعلق بالشيطان والحروب الروحية. وهذا هو تلخيص لكتاب قد كتبتّه عن هذا الموضوع، الخُرافات الحديثة عن الشيطان والحروب الروحية. ويمكنك أن تقرأ هذا الكتاب بأكمله وباللغة الإنجليزية على موقعنا:

www.shepherdserve.org

الخرافة الاولى: " الصراع في الماضي الأزلي بين الله والشيطان في حرب عظيمة. والصراع الكوني مازال مُستمراً بينهما حتى الآن."

هذه الخُرافة تقف بتناقض مع إحدى أهم الحقائق الأساسية الراسخة الواضحة عن الله في الكتاب المقدس – وهي كونه كُلى القدرة -القدير.

فقد أخبرنا يسوع أن كل شيء مُستطاع عند الله (متى ١٩ : ٢٦). وأكد أرميا أنه لا يعسر عليه أمر (أنظر أرميا ٣٢ : ١٧). لا شخص ولا أي قوى تستطيع أن تمنعه من تحقيق خطته (أنظر أخبار الأيام الثانية ٢٠ : ٦، أيوب ٤١ : ١٠، ٤٢ : ٢). ومن خلال أرميا سأل الله "لأنّهُ مَنْ هُوَ نَظِيرِي؟ وَمَنْ يُحَاكِمُنِي؟ وَأَيُّ رَاعٍ يَفْؤَى عَلَى مُوَاجَهَتِي؟" (أرميا ٥٠ : ٤٤). والإجابة كانت ما من أحد، ولا حتى الشيطان.

وإن كان الله حقاً كُلى القدرة كما تؤكد الآيات السابقة، وعليه ان تقول أن الله والشيطان كانا أو ما زالوا في حرب هذا يعني أنه ليس كُلى القدرة. وإن خسر الله حتى ولو لمرة واحدة وهزم من الشيطان حتى إلى درجة صغيرة أو إذا اضطر للصراع ضده وإن كان لوقت قصير، حينها لن يكون هو كُلى القدرة كما أعلن عن نفسه.

تعليق المسيح على قوة الشيطان

وقد قال يسوع شيئاً ذات مرة بما يتعلق وسقوط الشيطان من السماء الامر الذي سيساعدنا على فهم ماهية قوة الشيطان بالمقارنة لإلهنا القاهر:

وَبَعْدَئِذٍ رَجَعَ الْاِثْنَانِ وَالسَّبْعُونَ فَرَجَيْنِ، وَقَالُوا: يَا رَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ! ^{١٧}

فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ وَهُوَ يَهْوِي مِنْ السَّمَاءِ مِثْلَ الْبَرْقِ. ^{١٨}

(لوقا ١٠: ١٧-١٨).

عندما أعلن الله كلى القدرة عن طرده للشيطان من السماء، عندها ما كان للشيطان حول للمقاومة. لذا أختار يسوع التعبير المجازي "مثل البرق" مشيراً الى السرعة التي سقط بها الشيطان. وسقوطه لم يكن كالغسل الأسود، ولكن مثل البرق. فلتانية كان الشيطان في السماء وفي اللحظة التالية بووووم سقط! وولّى! فإن كان طرد الله للشيطان بهذه السرعة والسهولة، فلا عجب سقوط عبيده المُكلفين بسرعة وبسهولة للغاية ايضاً. الكثيرون من المسيحيين اليوم كمثّل تلاميذ المسيح الأولين لديهم تقدير عظيم لقدرة الشيطان غير مُدركين أن قدرة الله أعظم بكثير. فالله هو الخالق، ولكن الشيطان مخلوق. الشيطان ليس مماثل لله على الاطلاق.

الحرب التي لم تكن

كما يبدو ذلك غريباً على أذاننا، نحن نحتاج أن نفهم أن الله والشيطان لم ولن يكونا ليتصارعا بمعارك. أجل، لكلاهما مخططاً مسبقاً يختلف الواحد عن الآخر، ويمكن القول إنهما مُتناقضين. ولكن عندما تأتي مجموعتان مُتعارضتان وأحدهما أقوى بكثير من الأخرى عندها خلافهما لا يُعتبر معركة محضة. فهل يمكن لدودة الأرض أن تتعارك مع فيل؟ فالشيطان هو كدودة الأرض، أقدم بمحاولة واهنة ليتعارض مع من هو أقوى منه بكثير. فالتعامل مع مُعارضته كان سريعاً إذ تم طرده من السماء "كالبرق". فلم تكن هناك معركة — ولكن كان هناك انفجار.

فإن كان الله كلى القدرة وهو كذلك، عندها ليس ولا حتى شبه فرصة لإعاقة الله من ان يتم ما يُريد فعله. وإن سمح الله للشيطان بفعل أمر ما، فسيُفعل ذلك في نهاية المطاف بإرادته الإلهية. فهذه الحقيقة تتجلى لنا بوضوح ساطع طالما استمرينا بتفحص الكتاب المُقدس بهذا الموضوع.

والعجيب أن سُلطة الله الفائقة على الشيطان لم تمارس فقط في الماضي الازلي، وانما ستحدث في المُستقبل أيضاً. فنقرأ في سفر الرؤيا أن ملاكاً واحداً سيقيد الشيطان ويسجنه لمدة ألف عام (أنظر رؤيا ٢٠: ١-٣). فحدث المُستقبل لا يمكن اعتباره معركة ستقوم بين الله والشيطان، فليست هي أكثر من الانفجار الأصلي

للشيطان وسقوطه من السماء وتلك لم تكن معركة. لاحظ أن الشيطان لا يملك القوة الكافية لتأهله الهروب من السجن فهو سيخرج فقط عندما يتناسب ذلك مع غرض الله (أنظر رؤيا ٢٠: ٧-٩).

ماذا عن مُستقبل "الحرب في السماء"؟

فإن كانت حقيقة أن الله والشيطان لم ولن يكونا ليتصارعا في معركة، عندها لماذا نقرأ في سفر الرؤيا عن الحرب في السماء التي تشمل الشيطان (رؤيا ١٢: ٧-٩)؟ هذا سؤال جيد، ويمكن الإجابة عليه بسهولة.

لاحظ أن الحرب بين الملاك ميخائيل بجانب ملائكته والفريق الآخر الممثل بالشيطان وملائكته، ولا ذكر هنا لتدخل الله في هذه المعركة. فإن كان الله دخل فيها عندها بالكاد ستصف كمعركة، لأن الله وكونه كلى القدرة، يمكنه سحق أي مُعارض له في لحظة كما أثبت ذلك بالفعل.

ليس للملائكة بما فيهم رئيسهم ميخائيل القدرة المطلقة، ولذلك صراعه مع الشيطان وملائكته يمكن أن يُصف بالحرب لزمن ما. ولكن كونهم الاقوى سينتصرون على الشيطان وأتباعه.

لما لا يتدخل الله شخصياً في معركة، تاركاً إياها لملائكته؟ لا أعرف. لكن بالتأكيد الله هو كلى العلم، ويعلم أن ملائكته سينتصرون في حرب، ربما ذلك هو السبب لعدم حاجته للتدخل شخصياً.

ليس لدي أدنى شك من قدرة الله واستطاعته إبادة الكنعانيين الأشرار في أيام يشوع بسهولة وبسرعة إلا انه أختار أن يعطي هذه المهمة لشعب إسرائيل. فما كان بإمكانه فعله في ثوان معدودة، طلب منهم أن يفعلوه، مُنفقين جهوداً عظيمة على مدى شهور. ولربما هذا ما يرضى الله أكثر، إذ ذلك يتطلب إيمان من جهة شعب إسرائيل. ولربما هذا هو السبب بعينه لعدم التدخل الشخصي لله في حرب السماء العتيدة. على انه لا ذكر في الكتاب المقدس عن ذلك.

وحقيقة ان حرب ستدور يوماً ما في السماء ما بين ميخائيل وملائكته والشيطان وملائكته، ليس ذلك سبباً لنا أن نُعتقد أن الله ليس هو كلى القدرة – كما ان حرب شعب إسرائيل في كنعان ليست سبباً للاعتقاد أن الله ليس هو كلى القدرة.

ألم يتغلب يسوع بالصليب على الشيطان؟

أخيراً بخصوص الخرافة الأولى عن شائعة حرب الله ضد الشيطان، أود أن ألخص ذلك باستخدام ما أشاع قوله أن: يسوع قد غلب الشيطان على الصليب. ولكن في الحقيقة الكتاب المقدس لم يذكر أن يسوع غلب الشيطان على الصليب.

عندما نقول أن يسوع قد غلب الشيطان، نجعل ذلك يبدو وكأن يسوع والشيطان كانا يتصارعان في معركة، وهذا ما يبين على أن الله ليس بكلى القدرة وأن الشيطان لم يخضع فعلاً تحت سلطة الله. فهناك طرق كتابية

كثيرة توصف ما حدث للشيطان عندما سلم يسوع حياته على الجلجثة. فعلى سبيل المثال، الكتاب المقدس يُخبرنا هذا من خلال موته يسوع سكب ذاته "وَهَكَذَا تَمَكَّنَ أَنْ يَمُوتَ، لِيَقْضِيَ عَلَى مَنْ لَهُ سُلْطَةُ الْمَوْتِ" (عبرانيين ٢: ١٤-١٥).

إلى أي حد جرد يسوع الشيطان من قواه؟ من الواضح أن الشيطان الآن ليس هو عديم القدرة، وإلا لما كتب عنه يوحنا يقول: "وَأَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ خَاضِعٌ لِسَيِّطَرَةِ إِبْلِيسَ الشَّرِيرِ" (يوحنا الأولى ٥: ١٩). وطبقاً لعبرانيين ٢: ١٤-١٥، الشيطان جرد من قواه بما يتعلق و"قوة الموت". فماذا يعني لنا هذا؟

الكتاب المقدس يُشير لثلاثة أنواع من الموت: الموت الروحي، الموت الجسدي، والموت الثاني.

وكما تعلمنا في فصل سابق أن الموت الثاني هو (الموت الأبدي) والذي يُشير إليه في رؤيا ٢: ٢٢؛ ٢٠: ٦، ١٤؛ ٢١: ٨، الوقت الذي به سيُلقى الغير المؤمنين في بحيرة النار.

الموت الجسدي هو عبارة عن انفصال الروح عن الجسد، وبذلك يتوقف الجسد عن العمل.

أما الموت الروحي فهو وصف لحالة الروح التي لم تولد ثانية من الروح القدس. والشخص الميت روحياً لديه روح لكن بعزلة تامة عن الله، وهي روح التي تتسم بطبيعتها الخاطئة، ودرجة ما قد انضمت تلك الروح للشيطان. ورسالة أفسس ٢: ١-٣ ترسم لنا صورة للشخص الميت روحياً:

وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي السَّابِقِ أَمْوَاتًا بِذُنُوبِكُمْ وَخَطَايَاكُمْ،^١

الَّتِي كُنْتُمْ تَسْلُكُونَ فِيهَا حَسَبَ مَسَرَى هَذَا الْعَالَمِ، تَابِعِينَ رِئِيسَ قُوَّاتِ الْهَوَاءِ، ذَلِكَ الرُّوحَ الْعَامِلَ الْآنَ فِي^٢ أُنْبَاءِ الْعَصِيَّانِ،

الَّذِينَ بَيَّنَّهُمْ نَحْنُ أَيْضًا كُنَّا نَسْلُكُ سَابِقًا فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَا يُرِيدُهُ الْجَسَدُ وَالْأَفْكَارُ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ^٣ أَوْلَادَ الْغَضَبِ كَالْآخَرِينَ أَيْضًا.

كتب بولس عن مسيحي أفسس أنهم كانوا أموات بتعدياتهم وخطاياهم. ومن الواضح أنه لم يكن يُشير للموت الجسدي لأنه كلامه موجه لأشخاص أحياء جسدياً. لذلك وبلا شك بقوله هذا كان يقصد موتهم الروحي قبل ولادتهم الثانية.

وما الذي قتلهم روحياً؟ - تعدياتهم وخطاياهم. تذكر ما قاله الله لأدم انه سيحدث له في اليوم الذي به يعصيه، وهو انه موتاً سيموت (أنظر تكوين ٢: ١٧). حينها لم يتكلم الله عن الموت الجسدي، ولكن الموت الروحي، لأن آدم لم يموت جسدياً في ذلك اليوم الذي أكل فيه من الشجرة المحرمة. وإنما مات روحياً منذ ذلك اليوم، ولم يموت جسدياً الا بعد مضي مئات من السنين.

وأكمل بولس قوله أن أهل أفسس، كأموات روحياً قبلاً، بسلوكهم (أو بممارستهم) لهذه الذنوب والخطايا، كانوا تابعين لخطايا العالم (بفعلهم كما اي شخص آخر) يتبعون بذلك رئيس قوات الهواء.

من هو " رئيس قوات الهواء "؟ هو الشيطان، الذي يسود على مملكة الظلمة كرئيس على كل الأرواح الشريرة الذين يسكنون الهواء. وهذه الأرواح الشريرة التي ادرجت بمستوياتها المختلفة في إصحاح لاحق من رسالة أفسس (أنظر أفسس ٦: ١٢).

قال بولس إن رئيس الظلمة هو "روح تعمل الآن في أبناء المعصية." وتعبير "أبناء المعصية" هو فقط وصف آخر لغير المؤمنين، مؤكداً على طبيعتهم الخاطئة. وذكر بولس لاحقاً أنهم كانوا "بالطبيعة أبناء الغضب" (أفسس ٢: ٣). وبالإضافة إلى ذلك كله قال إن الشيطان كان يعمل فيهم.

الشيطان بمكانة أب

إن أدرك الغير مؤمنين هذا ام لم يدركوا، فهم بالواقع يتبعون الشيطان ويعتبرون رعيته في مملكة الظلمة. فليهم طبيعته الشريرة والأنانية المُقيمة بأرواحهم الميتة روحانياً. فالشيطان في الحقيقة هو ربهم وأبوهم الروحي. وهذا ما قاله يسوع لبعض القادة الدينين الغير مخلصين: "إِنَّكُمْ أَوْلَادُ أَبِيكُمْ إِبْلِيسَ، وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَعْمَلُوا شَهَوَاتِ أَبِيكُمْ." (يوحنا ٨: ٤٤).

هذه هي الصورة الكئيبة للشخص الذي لم يولد الميلاد الثاني! فهو يعيش حياة الموت الروحي، ممثلاً بطبيعة الشيطان، وهو بطريقه للموت الجسدي الذي يخافه جداً؛ وإن أدرك ذلك أم لا، فإنه سيختبر بيوم من الايام الموت الأكثر مأساةً من بين أنواع الميتات الثلاث وهو الموت الأبدي، حين يطرح في بحيرة النار.

فمن المهم جداً لنا فهم أن الموت الجسدي والأبدي هما كليهما من مظاهر غضب الله على البشرية الخاطئة وللشيطان حصة من كل ذلك. وقد سمح الله للشيطان أن يحكم مملكة الظلمة وكل هؤلاء الذين يحبون الظلمة (يوحنا ٣: ١٩). عملياً قال الله للشيطان "يمكنك أن تحتفظ بقواك كسبايا كل الذين لم يخضعوا لي." وهكذا أصبح الشيطان أداة لغضب الله على البشرية المُتمردة. إذ أنهم أخطأوا جميعاً في ظل قوى الشيطان بأرواحهم المليئة بطبيعته مأسورين لإرادته (أنظر تيموثاوس الثاني ٢: ٢٦).

فدية أسرنا

لنشكر الله من أجل رحمته على البشرية، وبسبب رحمته لا نقبع بعد بحالة لا يُرثى لها. إذ بموت يسوع الكفاري والبديل قد أوفى مطالبات العدل الإلهي، وكل من يؤمن بالمسيح يمكنه الهروب من الموت الروحي وأسر الشيطان لأنه لم يعد تحت ظل غضب الله. وعندما نؤمن بالرب يسوع، يأتي الروح القدس الى أرواحنا ويستأصل طبيعة الشيطان منّا، وبالتالي يولدنا بالروح الميلاد الثاني، (أنظر يوحنا ٣: ١-١٦) وغفر لنا كي نصبح شركاء في الطبيعة الإلهية (أنظر بطرس الثاني ١: ٤).

دعونا الآن نعود للسؤال الأصلي. عندما ذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يسوع بموته مُقدماً ذاته "وَهَكَذَا تَمَكَّنَ أَنْ يَمُوتَ، لِيَقْضِيَ عَلَى مَنْ لَهُ سُلْطَةُ الْمَوْتِ، أَيِ إِبْلِيسَ" ذلك يعنى قوى الموت الروحي، وسيطرة الشيطان على نفوس الغير مؤمنين، لكن "في المسيح" تم كُسِرَ كل ذلك. فجعلنا أحياء روحياً لأن المسيح دفع جزاء خطايانا.

وصف على ذلك اننا لم نعد أمواتاً بالروح في ظل سُلطة الشيطان، ولم يعد يعترينا خوف الموت الجسدي، منذ أن علمنا مصيرنا – وارثين حياة أبدية عظيمة.

وأخيراً وبسبب عمل يسوع تم خلاصنا من مُعاناة الموت الثاني، بطرحه في بُحيرة النار.

هل غلب يسوع الشيطان على الصليب؟ لا، لم يحدث ذلك، لأنه لم تقع هناك أي معركة بين يسوع والشيطان. يسوع جعل الشيطان عاجزاً بما يتعلق وقوى الشيطان على موتنا الروحي، والتي بها يأسر نفوس غير المؤمنين في الخطية. فالشيطان مازال يمسك قواه من الموت الروحي على الأشخاص غير المؤمنين، ولكن فيما يتعلق بمن هم في المسيح، فليس للشيطان قوة عليهم.

نزع سلاح الرئاسات

وسيساعدنا أن نفهم ما ذكره بولس عن "نزع سلاح الرئاسات والسلطات" المذكور في كولوسي ٢: ١٣-١٥:

فَأَنْتُمْ، إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَعَدَمِ خِتَانِكُمْ الْجَسَدِيِّ، أَحْيَاكُمْ جَمِيعاً مَعَهُ؛ مُسَامِحاً لَنَا جَمِيعاً بِالْخَطَايَا ١٣ كُلِّهَا.

إِذْ قَدْ مَحَا صَكَّ الْفَرَائِضِ الْمَكْتُوبِ عَلَيْنَا وَالْمُنَاقِصَ لِمَصْلَحَتِنَا، بَلْ إِنَّهُ قَدْ أَرَاهُ مِنَ الْوَسْطِ، مُسَمِّراً إِلَيْهِ ١٤ عَلَى الصَّلِيبِ.

وَإِذْ نَزَعَ سِلَاحَ الرِّئَاسَاتِ وَالسُّلْطَاتِ، فَضَحَّهُمْ جَهَاراً فِيهِ، وَسَاقَهُمْ فِي مَوْكِهِ ظَافِراً عَلَيْهِمْ. ١٥

بولس أستخدم اللغة المجازية في هذه الفقرة. ففي الجزء الأول يُقارن ذنوبنا بـ "شهادة ديني". فما لم نستطع عن دفعه بأنفسنا، قد دُفِعَ من أجلنا بالمسيح، الذي أخذ عنا ديننا معه الى الصليب.

وفي الجزء الثاني، كما جَرَدَ الملوك القدماء أعدائهم الذين غلبوهم من أسلحتهم وساروا في مواكب نصرهم على شوارع مدنهم، هكذا كان موت المسيح نصراً على "الرئاسات والسلطات"، وهذا أن الطبقات الدنيا من الشياطين تتحكم على البشر المُتمردين، أسرى إياهم.

ألا نستطيع القول بُناءً على هذه الفقرة، أن المسيح قد غلبَ الشيطان؟ ربما ولكن لدرجة مُعينة. ويجب أن نتذكر أن هذه العبارة كما كان بولس يكتب بلغة المجاز. وكل مجاز به نقطة حيث تتحول المُتشابهات لتناقضات، كما تعلمنا في الفصل الخاص بالتفسيرات الكتابية.

ففي تفسير مجازات بولس الرسول في كولوسي ٢: ١٣-١٥، ولا بد أن نكون حريصين. ومن الواضح أنه لم يكن هناك "شهادة دين" (صك فرائض) فعلية عليها مكتوبة كل خطايانا وتم تسميرها على الصليب. ولكن هذا رمز لما حققه يسوع.

وكذلك الامر بالشياطين الذين يتحكمون في البشرية الغير المُخلصة فلم ينزعوا حرفياً من سيوفهم ودروعهم ولم يُشهِروا حرفياً ليسيروا في الشوارع بيسوع. فاللغة التي أستخدمها بولس هي رمزية لما قد حققه يسوع لأجلنا. فإذ كنا مأسورين بالأرواح الشريرة. وبموته من أجلنا، قد حررنا يسوع من أسرننا. فلم يُحارب يسوع حرفياً ضد الأرواح الشريرة، ولم يدخلوا في حرب معه. هؤلاء لولا بر الله، لأمسكونا بقواتهم طوال حياتنا. وإذ تم الإشارة لتسلحهم، ليس على المسيح بل علينا. يسوع قد نزع سلاحهم. وهكذا ما عادوا ليأسرونا بعد ذلك.

دعونا نفكر أن هناك قد وقعت حرباً طويلة الأمد بين يسوع وأرواح الشيطان الشريرة، وأخيراً انتصر يسوع بالمعركة على الصليب. فإن قولنا أن يسوع قد غلب الشيطان، دعونا نتأكد من فهمنا ان فوزه على الشيطان كان من أجلنا، وليس من أجل نفسه.

في يوم من الأيام جريت أطارداً كلباً صغيراً في حديقتي مبعداً إياه عن طفلي الصغيرة لأنها كانت خائفةً منه. فلربما يمكنني القول أني غلبت الكلب الصغير، ولكن أتمنى إنك تفهم، ان تهديد الكلب لم يكن موجةً ضدي أنا شخصياً بل ضد ابنتي فقط. وهذا كان الامر ذاته الذي فعله يسوع بالشيطان. قد طارد يسوع ذاك الكلب من أجلنا نحن بالرغم من انه لم يعتد عليه على الإطلاق.

كيف طارد الله الكلب -الشيطان؟ فعل ذلك بتحملة عقابنا على كل خطايانا، وهكذا حررنا من ذنوبنا وخطايانا وخلصنا من غضب الله، وبالتالي لم تعد الأرواح الشريرة لتأسرنا كما سمح الله أن تأسر الناس المُتمردين. الشكر لله على خلاصه العظيم!

هذا يقودنا إلى جزئية أخرى لنتعرف على خُرافة ثانية بهذا الصدد.

الخُرافة الثانية: "هناك معارك مُستمرة في العالم الروحي بين ملائكة الله وملائكة الشيطان. و نتائج هذه المعارك إنما تحدد حسب صراعنا الروحي."

قد تعلمنا من سفر الرؤيا على وجه التحديد ان حرباً ستدور يوماً ما بين ميخائيل وملائكته من جهة ضد الشيطان وملائكته من جهة أخرى. ولجانب ذاك، نقرأ عن حرب ملائكية واحدة قد ذُكرت في سفر دانيال بالكتاب المقدس.^{٨٦}

فُخبرنا دانيال أنه كان يبكي بمرارة ولمدة ثلاثة أسابيع أثناء السنة الثالثة من حُكم قورش، ملك فارس، عندما ظهر له الملاك عند نهر التيجر.

^{٨٦} إجابة أثنين من الاعتراضات المُحتملة: (١) فذكر يهوذا النزاع بين ميخائيل والشيطان على جسد موسى، ولكن ليس هناك أي ذكر للمعركة ذاتها. وفي الحقيقة، يهوذا يُخبرنا "فَحَتَّى مِيخَائِيلُ، وَهُوَ رَئِيسُ مَلَائِكَةٍ، لَمْ يَجْزُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى إِبْلِيسَ (الشيطان) بِكَلَامٍ مُهِينٍ عِنْدَمَا خَاصَمَهُ وَتَجَادَلَ مَعَهُ بِخُصُوصِ جُثْمَانِ مُوسَى، وَإِنَّمَا اكْتَفَى بِالْقَوْلِ لَهُ: «لِيَرْجُزَكَ الرَّبُّ!»" (يهوذا ١: ٩). (٢) عندما كان إيليا وخادمة مُحاطين بالجيش السرياني في مدينة دوثنان، وإيليا، فصلى إيليا لله أن يفتح عيني خادمه (ملوك الثاني ٦: ١٥-١٧). وبناءً على ذلك، رأى خادمه "أحصنة ومركبات من النار" التي نفترض أن تم تركيبه وجيشاً من الملائكة تم احتلاله في المجال الروحي. هذا ليس إشارة أكيدة إلى أن الملائكة كانوا أو أوشكوا على أن يتدخلوا في معركة ملائكة الشيطان. والملائكة أستخدموا مرات من الله ليُظهر غضبه ضد الناس الأشرار، وهو مثال ذبح ١٨٥٠٠٠ جندي آشوري بواسطة ملاك واحد، وسجل هذا في ملوك الثانية ١٩: ٣٥.

غرض زيارة الملاك له كانت لتزويده بالفهم اللازم بما يتعلق ومُستقبل شعب إسرائيل، وقد درسنا سابقاً باختصار عما أُعطي لدانيال من نبوة في الفصل السابق حول الاختطاف ونهاية الأزمنة. وأثناء حوارهِ مع الملاك الذي لم يذكر اسمه قال لدانيال:

لَا تَخَفْ يَا دَانِيَالُ، فَمُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي عَزَمْتَ فِيهِ عَلَى الْفَهْمِ، وَتَذَلَّلْتَ أَمَامَ إِلَهِكَ، سُمِعَتْ تَضَرُّعَاتُكَ، وَهَا أَنَا جُنْتُ تَلِيَّةً لَهَا.^{١٢}

غَيْرَ أَنَّ رَئِيسَ مَمْلَكَةِ فَارَسَ قَاوَمَنِي وَاحِداً وَعِشْرِينَ يَوْماً. فَأَقْبَلَ مِيخَائِيلُ، أَحَدُ كِبَارِ الرُّؤَسَاءِ لِمَعُونَتِي،^{١٣} بَعْدَ أَنْ حُجِرْتُ هُنَاكَ عِنْدَ مُلُوكِ فَارَسَ.

(دانيال ١٠: ١٢-١٣).

علم دانيال أن صلاته قد سُمعت قبل ثلاثة أسابيع من لقائه مع الملاك، ولكن استغرق الملاك ثلاثة أسابيع من الوقت ليصل إليه. وسبب تأخر وصول الملاك هو إيقافه من قبل "ملك فارس". وقد كاد أن يهزم هرباً لولا ميخائيل، رئيس الملائكة، الذي هرع لمساعدته.

عندما كان الملاك على وشك مُغادرة دانيال، قال له،

فَسَأَلَنِي: هَلْ أَدْرَكْتَ لِمَاذَا جُنْتُ إِلَيْكَ وَالْآنَ هَا أَنَا أَعُودُ لِأَحَارِبَ رَئِيسَ فَارَسَ، وَمَا إِنْ أُنْتَهِيَ مِنْهُ حَتَّى^{٢٠} يُقْبَلَ رَئِيسُ الْيُونَانِ.

وَلَكِنِّي أَطْلَعُكَ عَلَى مَا نَصَّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ الْحَقِّ، وَلَا أَحَدٌ يُؤَازِرُنِي ضِدَّ هَؤُلَاءِ سِوَى حَارِسِ شَعْبِكُمْ^{٢١} الْمَلَكِ مِيخَائِيلَ.

(دانيال ١٠: ٢٠-٢١).

هناك عدة حقائق عجيبة في هذه الفقرة من الكتاب المقدس. اولها وهنا أيضاً نرى أن ملائكة الله ليسوا بكلي القدرة، ويمكنهم بالحقيقة أن يشتبكوا في حرب مع الملائكة الشريرة.

ثانياً، من هنا نعلم أن بعض الملائكة (كميخائيل) أكثر قوى من ملائكة آخرين (كالملاك الذي تحدث معه دانيال).

أسئلة ليس لنا عليها إجابات

وربما نتساءل لماذا يا ترى لم يرسل الله ميخائيل برسالته لدانيال منذ البداية، لكيلا يحدث ذلك التأخير طيلة الأسابيع الثلاثة؟ الحقيقة هي أن الكتاب المقدس لم يُخبرنا ارسال أرسل الله لملاك علم وبلا شك انه غير قادر على اجتياز "ملك الفرس" بمفرده دون معونة من ميخائيل. وفي الواقع لا فكرة لدينا لماذا يستخدم الله ملاكاً لإيصال رسالة لشخص ما! لماذا لم يذهب بشكل شخصي، أو لكان تحدث مع دانيال بصوت مسموع، أو لربما أحضر دانيال لزمناً الى السماء ليخبره رسالته؟ ببساطة نحن لا نعلم.

ولكن هل هذه الفقرة تثبت أنه هناك معارك في العالم الروحي بين ملائكة الله وملائكة الشيطان؟ لا، هذا يثبت فقط أنه قبل عدة آلاف من سنين، كانت هناك مُشكلة بين أحد ملائكة الله الضُعفاء وأحد ملائكة الشيطان الذي يُدعى "ملك فارس"، معركة لو أراد الله لما حدثت بالأساس. الحرب الملائكية الوحيدة الأخرى في الكتاب المُقدس بأكمله وهي تلك الحرب العتيدة أن تأتي المُسجلة في سفر الرؤيا. وهذا كل ما بالأمر. ولربما حدثت حرب ملائكية أخرى، لكن ذلك ليس الا افتراض استنتاجي.

خُرافة مبنية على خُرافة

هل تثبت لنا قصة دانيال هذه وملك فارس أن صراعنا الروحي يمكنه أن يُحدد نتيجة الحرب الملائكية؟ ولمرة أخرى هذه الفكرة تخمينية (بناءً على آيات قليلة) أن هناك معارك ملائكية دائم الحدوث. ولكن دعونا نُفترض جدلاً ونقول نعم، أن هناك معارك ملائكية دائمة. هل لقصة دانيال أن تثبت لنا أن صراعنا الروحي يمكنه أن يحدد نتيجة الحروب الروحية بافتراض انها جارية؟

السؤال الذي يتوارد دائماً على ألسنة مروجي هذه الخُرافة: "ماذا لو فقد دانيال الأمل حينها بتلقي الاستجابة على صلواته؟" والإجابة على هذا السؤال هي بالطبع، أن لا أحد في الحقيقة يعلم، وبسبب هذه الحقيقة لم يتوقف دانيال عن سعيه بالصلاة الى ان وصل الملاك الغير مُسمى. والأثار المُترتبة على هذا السؤال هي لإقناعنا بأن مثابرة دانيال بالصراع الروحي، كانت المُفتاح لنصرة الملاك غير المُسمى في السماويات. وكأنه إن فقد دانيال الأمل في المُحاربة الروحية، فمن المفترض أن الملاك لن يستطع تخطي ملك فارس. ويُريدونا أن نؤمن أننا كمثّل دانيال، علينا الاستمرار في الصراع الروحي، وإلا لانتصر بعض الملائكة الأشرار على ملائكة الله.

أولاً، تجدر الإشارة الى أن دانيال لم يكن "مشغولاً بحرب روحية" - فقد كان يُصلى لله. وليس هناك أي ذكر انه تكلم بشيء عن الملائكة الشيطانية، لأن يربطهم، أو يُحارب ضدهم. فلم تكن لدانيال في الحقيقة لديه أدنى فكرة عن تلك الحرب الدائرة سوى بعد مرور ثلاثة أسابيع من الصوم والسعي لله.

ولذلك دعونا نُعيد صياغة هذا السؤال: ماذا وإن توقف دانيال عن الصلاة والسعي إلى الله بعد يوم أو يومين، هل سيفشل الملاك غير المُسمى بإيصال الرسالة؟ لا علم لنا بذلك. دعوني أُشير إلى أن الملاك غير المُسمى لم يقل لدانيال "أ من الجيد أنك استمررت في الصلاة، وإلا لما استطعت أن أصل." لا! قد منح الملاك التقدير لميخائيل على عبوره. ومن الواضح أن الله قد أرسل الملاك غير المُسمى وميخائيل، كاستجابة على صلوات دانيال ليفهم ما الذي سيحدث لإسرائيل في مُستقبل.

وسيكون تبعاً لذلك الافتراض لنعتقد أن بتوقف دانيال عن الصيام والسعي لله، لكان قال الله "حسناً، أيها الملاك، لقد توقف دانيال عن الصيام والصلاة، ولذلك وعلى الرغم من أنني أرسلت مع أحدكما برسالة له في اليوم الأول من بدئه بالصلاة، الآن دعك من هذه الرسالة فلا تسلمها لدانيال. يبدو وكأن لا حاجة لوجود الإصحاح الحادي عشر والثاني عشر لسفر دانيال."

من الواضح أن دانيال ثابر على الصلاة (وليس "حرب روحية")، والله أستجاب بإرساله الملائكة. ونحن أيضاً بدورنا أن نُثابر في الصلاة لله، وإن أراد الله واستجبنا فيمكنها أن تأتي عن طريق ملاك وكيل. ولكن

لا تنسى أن هناك الكثير من الأمثلة عن ملائكة أوصلت رسائلًا بغاية الأهمية لشخصيات كتابيين بدون ذكر لأي صلاة صليت من قبل بعضهم، كم بالأحرى صلاة دامت ثلاثة أسابيع.^{٨٧} علينا الحفاظ على الاعتدال. وبالإضافة لذلك، هناك عشرات من الأحداث عن ملائكة أوصلوا رسائلًا لشخصيات كتابية، ولا تتضمن بذكرها أن هذه الملائكة تضطر لخوض حروب شيطانية في طريقها من السماء. لربما هؤلاء الملائكة يضطرون مُحاربة الملائكة الشيطانية ليوصلوا الرسائل، ولكن وإن فعلوا ذلك، فلا علم لنا، لأن الكتاب المُقدس لم يعلن ذلك.

ولنستمر بالخرافة الشائعة الثالثة.

الخرافة الثالثة "عندما سقط آدم تسلم الشيطان تفويض (عقد) آدم للتسلط على العالم."

ما الذي حدث للشيطان بالضبط عند سقوط البشرية؟ يعتقد البعض أن الشيطان جنى تعزيزاً عظيماً عندما سقط آدم. فيقولون أن آدم كان في الأساس "إله هذا العالم"، ولكن بسقوطه آدم الشيطان مكانه، وذلك بإعطائه الحق أن يفعل على الأرض ما يشاء. حتى أن الله كان عديم القوى ليوافقه عن فعل ذلك، ولأن لآدم كان "الحق القانوني" ليعطي موقعه للشيطان، وكان على الله أن يحترم عهده مع آدم التي الآن غدت تنتمي للشيطان. ومن المفترض أن الشيطان الآن يمتلك عقد آدم، ولا يمكن لله أن يوقف الشيطان إلى أن ينفذ عقد آدم.

هل هذه النظرية حقيقية؟ هل حصل الشيطان على عقد آدم عند سقوط البشرية؟

بالطبع لا. لم يحصل الشيطان على أي شيء عند سقوط البشرية ماعدا لعنة الله عليه ووعدته إلهي بزواله. الحقيقة هي أن الكتاب المُقدس لم يقل أبداً أن آدم كان في الأصل "إله هذا العالم". ثانياً أن الكتاب المُقدس لم يقل إن كان لآدم الحق القانوني بإعطائه أي أحد آخر سلطاناً على العالم. ثالثاً، الكتاب المُقدس لم يقل إنه كان لآدم عقد سينفذ بيوم من الأيام. فكل هذه الأفكار ليست بكتابية.

في الأساس ماذا كانت سلطة آدم؟ نقرأ في سفر التكوين ما قاله الله لآدم وحواء لـ "أَثْمِرُوا وَتَكَاثَرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا. وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَتَحَرَّكُ عَلَى الْأَرْضِ" (تكوين ١: ٢٨).

لم يقل الله شيئاً لآدم يشير إلى تنويجه "إلهاً" للعالم، أو على حرة للتحكم في كل شيء، كالمناخ، وكل الناس الذين سيولدون بالمستقبل والخ... الخ. فقد أعطى ببساطة آدم وحواء، كالبشر الأولين، تسلطاً على السمك، والطيور والحيوانات وطلب منهم أن يملؤوا الأرض ويسودوا عليها.

^{٨٧} انظر الأمثلة في متى ١: ٢٠، ٢: ١٣، ١٩، ٤: ١١، لوقا ١: ١١-٢٠، ٢٦-٣٨.

عندما أعلن الله حُكمه على الإنسان، لم يقل شيئاً عن خسارة آدم لموقعة المفترض "كإله هذا العالم". بالإضافة لذلك، لم يقل شيئاً لأدم أو لحواء عن خسارتهما سُلطتهما على الأسماك، والطيور، والحيوانات والمواشي وكل الزحافات. فجنس البشرية مازال يملأ الأرض ويحتويها. أصلاً لم يخسر آدم شيئاً عند السقوط بما يتعلق والسُلطة المُعطاة له من الله.

ألن يكن الشيطان "إله هذا العالم"؟

ألم يُشير بولس الرسول إلى أن الشيطان على أنه "إله هذا العالم"، وأشار يسوع له "كسلطان لهذا العالم"؟ نعم هذا صحيح، ولكن لم يلمح لا من قريب ولا من بعيد على أن آدم كان قبلاً "إله هذا العالم" أو أن الشيطان حصل على لقب آدم بعد السقوط.

وبالإضافة إلى ذلك إن لُقب الشيطان "كإله هذا العالم" هذا لا يعني أن بإمكانه عمل أي شيء يريده على الأرض أو أن الله عديم القدرة ليوافقه. يسوع قال "دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ" (متى ٢٨: ١٨). وإن كان ليسوع كل السلطان على الأرض، عندها لا يستطيع الشيطان أن يُدير أي شيء إلا بتصريح منه.

من الذي أعطى يسوع كل السلطان في السماء وعلى الأرض؟ لا بد وأن الله الأب، الذي يملكها بنفسه ليعطيها ليسوع. ولهذا لما تكلم يسوع عن أبيه "كرب السماء والأرض" (متى ١١: ٢٥، لوقا ١٠: ٢١). كان لله وما يزال كل السلطان على الأرض منذ أن خلقها. وقد أعطى القليل من السُلطة للجنس البشري في البداية، والبشرية لم تفقد ما أعطاه الله إياها أصلاً.

عندما يتكلم الكتاب المقدس عن الشيطان كونه إله أو كقائد لهذا العالم، ذلك يعني ببساطة أن الناس في هذا العالم (الذين لم يولدوا الميلاد الثاني) والذين يتبعون الشيطان. فهو الشخص الذي يخدمونه، أدركوا ذلك أم لا، هو إلههم.

عرض الشيطان للعقارات؟

اساس "نظرية اكتساب-الشيطان" مبنية على تجربة الشيطان مع يسوع في البرية، المذكورة في إنجيل متى ولوقا. دعونا نلقي نظرة على تسجيل لوقا إذ نتعلم:

ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ، وَأَرَاهُ مَمَالِكَ الْعَالَمِ كُلِّهَا فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَنِ،^٥

وَقَالَ لَهُ: أَعْطَيْكَ السُّلْطَةَ عَلَى هَذِهِ الْمَمَالِكِ كُلِّهَا وَمَا فِيهَا مِنْ عَظَمَةٍ، فَإِنَّهَا قَدْ سُلِّمَتْ إِلَيَّ وَأَنَا أُعْطِيهَا لِمَنْ أَشَاءُ.^٦

فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي، تَصِيرُ كُلُّهَا لَكَ!^٧

فَرَدَّ عَلَيْهِ يَسُوعُ قَائِلًا: «قَدْ كُتِبَ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ!»^٨

(لوقا ٤: ٨-٥).

هل هذا الحدث يثبت أن للشيطان تحكم على كل شيء في العالم، أو أن آدم قد سلمه هذه السلطة، أم أن الله عديم القوة لمنع الشيطان؟ الجواب ببساطة لا، ولعدة أسباب.

أولاً يجب أن نكون حريصين ألا يكون لاهوتنا مبني على تصريح شخص أسماه يسوع "أبا الكذابين" (يوحنا ٨: ٤٤). الشيطان أحياناً يُخبرنا الحقيقة، ولكن في هذه الحالة تحذيرنا يجب يكون صارخاً، لأن ما يقوله الشيطان هنا واضح انه يتناقض مع ما قاله الله.

في الإصحاح الرابع من سفر دانيال، نجد قصة إذلال للملك نبوخذ نصر. نبوخذ نصر، الذي كان مملوءاً بالكبرياء والتعجرف بسبب ممتلكاته وإنجازاته، وقال له دانيال أنه سيعطى له عقل حيوان "حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ الْعَلِيِّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ يَهْبِهَا مَنْ يَشَاءُ" (دانيال ٤: ٢٥). واصلت هذه القصة أربعة مرات، لتؤكد أهميتها لنا (أنظر دانيال ٤: ١٧، ٢٥، ٣٢، ٥: ٢١).

لاحظ أن دانيال قال "العلي المتسلط على مملكة الناس". وبهذا يُشير إلى أن الله كل التحكم على الأرض، أليس كذلك؟ لاحظ ما قاله دانيال كيف يتناقض كلياً مع ما قاله الشيطان ليسوع "أُعْطِيكَ السُّلْطَةَ عَلَى هَذِهِ الْمَمَالِكِ كُلِّهَا وَمَا فِيهَا مِنْ عَظَمَةٍ، فَإِنَّهَا قَدْ سُلِّمَتْ إِلَيَّ وَأَنَا أُعْطِيهَا لِمَنْ أَشَاءُ" (لوقا ٤: ٦).

وبناءً على ذلك، من عساك تُصدق؟ أنا شخصياً، أصدق دانيال.

ولكن هناك إمكانية أن الشيطان كان يُخبرنا الحقيقة – وإن نظرنا من زاوية أخرى لما قاله.

الشيطان هو "إله هذا العالم"، وكما ذُكرَ يعنى أنه حاكماً على مملكة الظلام، التي تشمل كل الناس المُتمردين على الله من كل أمة ولسان. والكتاب المقدس ذكر أيضاً أن "الْعَالَمُ كُلُّهُ خَاصِعٌ لِسَيِّطَرَةِ إِبْلِيسَ الشَّرِيرِ" (يوحنا الأولى ٥: ١٩). عندما ادعى الشيطان أنه يمكنه أن يعطى سلطة ممالك الأرض لمن يرغب فيه، ويمكنه أن يحدث فقط عن صلاحياته في مملكة الظلام، كون ممالكه الفرعية التي تنتمي وتتوافق مع الممالك الجيوسياسية. وأعلمنا من الكتاب المقدس أن هناك مستويات مختلفة من الأرواح الشريرة ممن يحكمون مملكته (أنظر أفسس ٦: ١٢)، ويمكننا الافتراض أنه هو الذى يرفع أو يُنزل هذه الأرواح ما بين المستويات المختلفة، لأنه هو رئيس المنظومة. وفي هذه الحالة، كان يعرض الشيطان على يسوع موقع رقم اثنين بمملكته الشريرة أي نائباً له ليساعد على حُكم مملكة الظلام. وكل ما كان على يسوع أن يفعله هو أن يسقط أمام الشيطان ويسجد له. ولكن الله الحمد أنه رفض هذه الفرصة "للترقية".

من أعطى الشيطان سلطته؟

ولكن ماذا عن ادعاء الشيطان أن السلطة على هذه الممالك قد أُعطيت له؟

مرة أخرى، هناك احتمال حقيقي بأن الشيطان كان يكذب. ولكن دعونا نعطيه فرصة للشك ولنفترض انه كان يقول الحقيقة.

لاحظ أن الشيطان لم يقول أن آدم هو من سلم له السلطنة. كما رأينا أن آدم لم يُسلمها للشيطان لأن آدم لم يملكها ليعطيها. فتسلط آدم على السمك، والطيور، والمواشي، وليس على الممالك. (لم تكن هناك في الحقيقة أي ممالك من الناس ليحكمها عند سقوطه.) وبالإضافة لذلك إن كان الشيطان يعرض مكاناً على يسوع في مملكة الظلمة، التي تتكون من كل الأرواح الشريرة والناس غير المخلصين، فعندها لا مجال لآدم أن يُسلم الصلاحيات للشيطان. إذ كان الشيطان يتحكم في الملائكة الساقطة قبل خلق آدم.

لربما كان الشيطان يعنى أن كل الناس في العالم سلموه السلطنة، لأنهم كانوا غير خاضعين لله وهكذا أصبحوا خاضعين له إما علماً منهم أو جهلاً.

والاحتمال الأفضل هو أن الله سلمها له. وكما يبدو على ضوء الكتاب المقدس، قول الله للشيطان "أنت وأرواحك الشريرة لديكم تصريح لتتحكموا على كل من لا يخضع لي." وربما يبدو ذلك صعباً عليك أن تستوعبه الآن، ولكن سنرى لاحقاً الشرح الأفضل لما يدعيه الشيطان. إن كان الله حقاً "الحاكم على عالم البشر" (دانيال ٤: ٣٥)، عليه فإن كل سلطنة يتمتع بها الشيطان على البشرية لابد وأنها قد منحت له من قبل الله.

الشيطان لا يتحكم فقط في مملكة الظلام، والتي يمكن تسميتها أيضاً "بمملكة العصيان". فكان يحكم على تلك المملكة منذ اليوم الذي طُرد فيه من السماء، وهذا يسبق سقوط آدم بكثير من الازمة. حتى واثناء سقوط آدم، كانت مملكة الظلمة تشمل الملائكة المتمردين. ولكن عندما أخطأ آدم، أنضم لمملكة العصيان هذه، والشيطان منذ ذلك الحين لا يضم الملائكة المتمردين وحسب ولكن البشر المتمردين أيضاً.

قد تسلط الشيطان على مملكة الظلمة حتى قبل خلق آدم، ولذلك دعونا ألا نفكر أن يسقط آدم، قد اكتسب الشيطان شيئاً مما أمتلكه آدم. لا، فعندما أخطأ آدم قد أنضم لمملكة العصيان التي كانت موجودة قبلاً، الا وهي المملكة المحكومة من قبل الشيطان.

هل صُدِمَ الله بالسقوط؟

تيار آخر لـ "نظرية اكتساب-الشيطان" تجعل الله يبدو غيبياً، وكأنه لم يكن مُستعداً لأحداث السقوط وكنتيجة لذلك قد وجد نفسه في مأزق تعيس. ألم يعلم الله أن الشيطان سيُجرب آدم وحواء وأن الامر سينتهي بسقوط الإنسان؟ إن كان الله قد علم بكل ذلك، كونه كلي المعرفة وعالم بما كان سيحدث. وهذا ما يُخبرنا الكتاب المقدس بأن الله قد خطط لفداء البشرية حتى من قبل خلقها (أنظر متى ٢٥: ٣٤، أعمال الرسل ٢: ٢٣-٢٤، ٢٧-٢٨، كورنثوس الأولى ٢: ٧-٨، أفسس ٣: ٨-١١، تيموثاوس الثانية ١: ٨-١٠، رؤيا ١٣: ٨).

الله خلق الشيطان عالماً بسقوطه، وخلق آدم وحواء مع علمه بسقوطهما. وليس للشيطان أي فرصة لأن يخدع الله ويكتسب شيئاً لا يريده الله أن يملكه.

هل بهذا أنا أقول إن الله أراد للشيطان أن يكون "إله هذا العالم؟" نعم، طالما هذا يخدم الغرض الإلهي. إن لم يُريد الله للشيطان أن يتحكم، فهو ببساطة يمكنه أن يوقفه، كما تعلمنا في رؤيا ٢٠: ١-٢ أن الله سيفعل ذلك يوماً ما بالمستقبل.

وأنا لا أقول إن إرادة الله لأي شخص أن يقبع تحت تسلط الشيطان. وإنما يُريد لكل نفس أن تخلص وتهرب من تسلطه كما جاء في الكتاب (أعمال الرُّسل ٢٦: ١٨، كولوسي ١: ١٣، تيموثاوس الأولى ٢: ٣-٤، بُطرس الثانية ٣: ٩). ولكن مازال الله يسمح للشيطان بأن يتحكم على كل نفس تحب الظلمة (أنظر يوحنا ٣: ١٩) - كذلك الذين يستمروا بتمردهم ضده.

أوليس من شيء يمكن أن نفعله لمُساعد الناس على الهروب من مملكة الظلام؟ نعم، يمكننا أن نُصلي من أجلهم وندعوهم للتوبة والايمان بالإنجيل (كما أوصانا يسوع). وإن فعلوا، سيخلصون من سلطان الشيطان. ولكن التفكير أنه يمكننا "هدم" الأرواح الشريرة التي تتمسك بالناس ببرائتها هو تفكير خاطئ. إن أراد الناس أن يبقوا في الظلمة، الله سيدعهم. يسوع أخبر تلاميذه إن رفض الناس في مُدن ما رسالته، يجب أن ينفضوا التراب من أقدامهم قبل الذهاب لمدينة أخرى (متى ١٠: ١٤). فلم يُخبرهم أن يبقوا ويهدموا حصون المُدينة حتى يقبل أهلها الانجيل. الله سمح للأرواح الشريرة أن تبقى القيود على الذين يرفضون التوبة ولا يلجئون إليه.

مزيد من الاثبات عن سُلطة الله العُظمى على الشيطان

هناك آيات وفيرة تثبت أن الله لم يفقد تسلطه على الشيطان عند سقوط الإنسان. والكتاب المُقدس يؤكد بشدة أن الله دائماً كان وسيكون بسيدة كامل على الشيطان. إذ يمكن للشيطان فقط عمل ما يصرحه له الله.

الإصحاحان الأولان من سفر أيوب يعتبران مثلاً تقليدياً لسُلطة الله العليا على الشيطان. فهناك نقراً أن ظهور الشيطان أمام عرش الله، ليشتكي على أيوب. أيوب كان مُطيعاً لله أكثر من أي شخص آخر على الأرض في ذلك الحين، ولذلك فمن الطبيعي للشيطان أن يستهدفه. عَلمَ الله أن الشيطان "قد جعل قلبه" على أيوب (أيوب ١: ٨)، وسمع الرب اتهامه الشيطان لأيوب بأنه يخدمه فقط نظراً لتمتعه بكل البركات الموهوبة له. (أنظر أيوب ١: ٩-١٢).

فتحدى الشيطان لله بنزع حمايته التي تحيط بأيوب وطلب منه أن يأخذ منه كل البركات. وبُناءً على ذلك، سمح الله للشيطان أن يبتلى أيوب لدرجة مُعينة. في البداية لم يستطيع الشيطان أن يلمس جسد أيوب. اما لاحقاً، سمح الله للشيطان أن يبتلى جسد أيوب، ولكن منعه من قتله (أيوب ٢: ٥-٦).

فبهذه الفقرة من الكتاب المُقدس واضح ان الشيطان لا يستطيع فعل كل ما يُريده. فلم يستطيع أن يلمس أي من ممتلكات أيوب بدون إذن من الله. ولم يستطع أن يضر بصحة أيوب الى ان سمح الله له. ولم يجرا على قتل أيوب لأن الله لم يسمح له.^{٨٨} فإن الله سُلطة على الشيطان، ومنذ سقوط آدم.

^{٨٨} هذه الفقرة بكاملها أيضاً إثبات على أن أيوب لم "يفتح الباب للشيطان من خلال خوفه" لخُرافة يؤمن بها البعض. الله نفسه قال للشيطان بخصوص أيوب في أيوب ٢: ٣ "فهو (أيوب) يَبْقَى الله وَيَجِدُ عن الشرِّ، وَحَتَّى الآنَ لَا يَزَالُ مُعْتَصِماً بِكَمَالِهِ، مَعَ أَنَّكَ أَثَرْتَنِي عَلَيْهِ لِأَهْلِكَ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ". فقد ناقشت هذا بالتفصيل في كتابي المُسمى الله يختبر، صفحة ١٧٥-١٨١، وهو أيضاً مُتاح للقراءة باللغة الإنجليزية على موقعنا:

روح شاول الشريرة "من الله"

هناك أمثال عديدة على استخدام الله لأرواح الشيطان الشريرة كعملاء لغضبه في العهد القديم. ونقرأ في صموئيل الأول ١٦: ١٤ "وَفَارَقَ رُوحُ الرَّبِّ شَاوُلَ وَهَاجَمَهُ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ رُوحٌ رَدِيٌّ يُعَذِّبُهُ." من الواضح أن ذلك الموقف قد حدث بسبب تأديب الله لشاول الملك العاصي.

والسؤال هو ماذا يعنى تعبير "روح شريرة من الله"؟ هل هذا يعنى أن الله أرسل روحاً شريرةً ماكثةً معه في السماء، أو أن هذا يعنى أن الله العلي يسمح لأحدى الأرواح الشيطانية الشريرة أن تُبتلي شاول؟ أنا أعتقد أن مُعظم المسيحيين يميلون لقبول الاحتمال الثاني على ضوء بقية ما يعلمه الكتاب المقدس.

والسبب أن الآيات تقول إن الروح الشريرة كانت من الله ذلك لأن الروح الشريرة كانت تضايقه كنتيجة مباشرة للتأديب الإلهي لشاول. وهكذا نحن نرى أن الأرواح الشريرة تخضع لسلطان الله.

وفي قضاة ٩: ٢٣ نقرأ " وَمَا لَبِثَ الرَّبُّ أَنْ جَعَلَ الْعَلَاقَةَ تَسُوءَ بَيْنَ أَبِيمَالِكَ وَأَهْلِ شَكِيمَ، فَخَانَ أَهْلُ شَكِيمَ أَبِيمَالِكَ، " فمن أجل أن الحكم الإلهي يجزى عليهم بسبب أعمالهم الشريرة. ولمرة أخرى اقول هذه الروح الشريرة لم تأتي من سماء الله، ولكن من عالم الشيطان، آخذة تصريحاً من الله ليعمل أعماله الشريرة ضد أشخاص مُعينين. فالأرواح الشريرة لا تستطيع أن تعمل بنجاح حسب خططهم الشريرة ضد أي شخص دون تصريح من الله. وإن كان ذلك غير صحيح، حينها كيف لله أن يكون كلى القدرة. وعلى غرار ذلك يمكننا أن نستنتج بتأكيد أنه عندما سقط آدم، لم يكتسب الشيطان سُلطة خارجة عن تحكم الله لها.

أمثلة العهد الجديد عن قوة الله على الشيطان

العهد الجديد يُزودنا بدليل إضافي يدحض "نظرية اكتساب-الشيطان".

على سبيل المثال، نقرأ في لوقا ٩: ١ أن يسوع أعطى تلاميذه الاثني عشر "سُلطة على الشياطين". وبالإضافة إلى ذلك، في لوقا ١٠: ١٩، وقال يسوع لهم "وَهَا أَنَا قَدْ أُعْطِيتُكُمْ سُلْطَةً لَتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَّارِبَ وَقُدْرَةَ الْعَدُوِّ كُلَّهَا، وَلَنْ يُؤْذِيَكُمْ شَيْءٌ أَبَدًا."

إن كان قد أعطى يسوع لهم السُلطة على كل قوى الشيطان، فلا بد وأن ذلك السلطان قد أعطي له. فالشيطان تحت سُلطة الله.

ولاحقاً في إنجيل لوقا نقرأ عن قول يسوع لبطرس " فَأَخَذُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: مَنْ مِنْهُمْ يُوشِكُ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا " (لوقا ٢٢: ٢٣). فالسياق يُشير إلى أن الشيطان لا يستطيع أن يغربل بطرس دون أن يأخذ تصريحاً من الله أولاً. وعليه أكرر، الشيطان يتحرك تحت تحكم الله الدائم.^{٨٩}

^{٨٩} أنظر أيضاً كورنثوس الأولى ١٠: ١٣، والذي يُشير لحدود الله لتجربتنا، مما يدل على أنه يحد على الإغراء.

مُصْطَلَح سَجْن الشَّيْطَان لِمُدَّة أَلْف سَنَةٍ

فعندما نقرأ عن تقييد الشيطان بواسطة ملاك واحد في رؤيا ٢٠، ليس هناك أي ذكر عن انتهاء مدة عقد (تفويض) آدم. السبب لسجنه هو ببساطة لتضليل الأمم: "وَطَرَحَهُ فِي الْهَلَاوِيَةِ وَأَغْلَقَهَا عَلَيْهِ، وَخَتَمَهَا، حَتَّى يَكْفَ عَنْ تَضْلِيلِ الْأُمَمِ، إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الْأَلْفُ سَنَةً. وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ إِطْلَاقِهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ." (رؤيا ٢٠: ٣)

والمدهش أنه بعد سجن الشيطان لمدة ١٠٠٠ سنة، سيتم إطلاق صراحه و"فَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الْأُمَمَ فِي زَوَايَا الْأَرْضِ الْأَرْبَعِ، جُوجَ وَمَاجُوجَ، وَيَجْمَعُهُمْ لِلْقِتَالِ، وَعَدَدُهُمْ كَثِيرٌ جَدًّا كَرَمَلِ الْبَحْرِ! (رؤيا ٢٠: ٨)". وستحشد هذه الأمم المخدوعة عندها جنودها ليشنوا هجومهم على أورشليم، سيكون بوقتها يسوع حاكماً على الأرض. وبلحظة إحاطتهم للمدينة، ستسقط ناراً من السماء و"تَلْتَهُمُهُمْ" (رؤيا ٢٠: ٩).

هل سيضمن احداً بهذه الحماقة أن عقد التفويض لآدم يشمل فترة قصيرة نهائية بعد هذه الألف سنة، ولذلك كان على الله أن يحرر الشيطان من أجل هذا السبب؟ يا لها من فكرة سخيفة. لا، ما سنتعلمه لمرة أخرى في هذه الجزئية من الكتاب المقدس أن الله تحكم كامل على الشيطان، وإنما يسمح له ليعمل بخداعه فقط ليحقق القصد الإلهي.

أثناء حكم يسوع الألفي في المستقبل، سيعطل الشيطان عن عمله، ولن تكون له القدرة على خداع أحد. مع العلم أنه سيكون هناك أشخاصاً على الأرض يبدون الطاعة خارجية لحكم المسيح، بينما من الداخل يحبون أن يروه مطاحاً به. ولكنهم لن يجرؤوا على بدأ انقلاب عالمين أنه لا حول لهم ولا أي فرصة ليطيحوا بشخص "سيحكم بسيفٍ حادٍ" (رؤيا ١٩: ١٥).

ولكن عندما يُحرر الشيطان، سيتمكن من إخداع كل يكرهون المسيح في قلوبهم، وبكل حماقة سيغرون لعمل المُستحيل. وبينما سيسمح للشيطان بخداع المتمردين المرتقبين، وذلك حسب حالة قلوب الناس، عندها سيحكم بالعدل من لا يصلحون للعيش في مملكته.

وبالطبع هذه هي إحدى الأسباب لتصريح الله للشيطان أن يخدع الناس اليوم. ولاحقاً سنتحقق بأغراض الله الكاملة تجاه الشيطان، ولكن يكفي الآن قول أن الله لا يريد لأحد البقاء بالخداع. ومع ذلك، يُريد أن يعرف ما في قلوب الناس. الشيطان لا يستطيع أن يخدع أولئك الذين يعرفون ويؤمنون بالحقيقة. بينما يسمح الله للشيطان أن يخدع من بقلوبهم القاسية يرفضون الحقيقة. وكتب بولس مُحدثاً عن زمن المسيح الدجال:

عِنْدَئِذٍ سَيَظْهَرُ الْإِنْسَانُ الْمُتَمَرِّدُ ظُهُوراً جَلِيّاً فَيُبِيدُهُ الرَّبُّ يَسُوعُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ وَيُلَاشِيهِ بِبَهَاءِ ظُهُورِهِ عِنْدَ عَوْدَتِهِ.

أَمَّا بُرُورُ الْمُتَمَرِّدِ، فَسَوْفَ يَكُونُ بِقَدْرِ طَاقَةِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْمُعْجَزَاتِ وَالْعَلَامَاتِ وَالْعَجَائِبِ الْمُرِيقَةِ كُلِّهَا،^٩ وَعَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ التَّضْلِيلِ الَّذِي يَجْرُفُ الْهَالِكِينَ إِلَى الْعَصْيَانِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا.^{١٠} وَلِهَذَا السَّبَبِ، سَيُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ طَاقَةَ الضَّلَالِ حَتَّى يُصَدِّقُوا مَا هُوَ دَجَلٌ،^{١١}

فَنَقَعَ الدَّيْنُونَةُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ بَلْ سَرَّهُمْ الْإِثْمُ. ١٢

(تسالونيكي الثانية ٢: ٨-١٢)

لاحظ أنه هو الله من سيعطي المصادقية لإرسال "التأثير المخادع الذي لربما يجعلهم يؤمنون بما هو زائف". ولكن لاحظ أن هؤلاء الناس الذين سيُخدعون هم أولئك الذين "لا يؤمنون بالحقيقة" مُشيراً إلى أنه كانت لديهم الفرصة، ولكن استمروا على رفضهم للإنجيل. الله سيسمح للشيطان ليُمكن المسيح الدجال بآيات وعجائب كاذبة بذلك سيُخدع رافضي المسيح، وغرض الله في نهاية المطاف "إدانتهم" ولذات السبب، سيُصرح الله للشيطان بإخداع الناس اليوم.

فإن لم يكن لدى الله سبباً ليُصرح للشيطان تنفيذ أعماله على الأرض، لأمكنه عقابه بمكان آخر في الكون بعد سقوطه. فقد إخبارنا في بطرس الثانية ٢: ٤ أن هناك بعض الملائكة الخاطئة وطرحهم الله في الجحيم ووُعدوا "طرحهم في جهنم، وسلمهم محروسين للقضاء". وإلهنا قادر على فعل ذات الشيء للشيطان كواحد من الملائكة إن تناسب ذلك مع أغراضه الإلهية. لكن الله أسباب جيدة ليسمح للشيطان وملائكته لزمن طويل الأمد للعمل على الأرض.

خوف الشياطين من العذاب

حيث نُنهي دراستنا عن هذه الخرافة، أ طرح هنا مثلاً كتابياً واحداً جديرة الاعتبار وهي قصة بلدة الجدرين المسكونة بالأرواح الشريرة:

وَلَمَّا وَصَلَ يَسُوعُ إِلَى الضَّقَّةِ الْمُقَابِلَةِ، فِي بَلَدَةِ الْجَدْرِيِّينَ، لَأَقَاهُ رَجُلَانِ تَسْكُنُهُمَا الشَّيَاطِينُ، كَانَا خَارَجَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْقُبُورِ، وَهُمَا شَرَّسَانِ جِدًّا حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَجْرُؤُ عَلَى الْمُرُورِ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ.

وَفَجْأَةً صَرَخَا قَائِلَيْنِ: «مَا شَأْنُكَ بِنَا يَا يَسُوعُ ابْنِ اللَّهِ؟ أَجِئْتَ إِلَى هُنَا قَبْلَ الْإِثْمِ؟» ٢٩

(متى ٨: ٢٨-٢٩).

لطالما استخدمت هذه القصة بواسطة مؤيدي نظرية اكتساب الشيطان لدعم هذه الأفكار. ويقولوا إن "هذه الشياطين استعانت بعدل يسوع. عالمين أن ليس لديه حق لتعذيبهم قبل أن ينفذ "عقد" آدم، الوقت الذي به سيطرحون والشيطان في بحيرة النار للعذاب ليلاً ونهاراً للأبد."

ولكن الحقيقة هي العكس. فقد علموا أن ليسوع كانت قوة وحق كامل لأن يعذبهم في أي وقت يرغب فيه، وهذا سبب توسلهم إليه طالبين الرحمة. ومن الواضح أنهم كانوا خائفين جداً من ابن الله الذي قد يرسلهم للعذاب في وقت أقرب مما توخوه. لوقا يُخبرنا أنهم توسلوه "أَلَّا يَأْمُرَهُمُ بِالذَّهَابِ إِلَى الْهَآوِيَةِ" (لوقا ٨: ٣١). وإن لم يكن ليسوع الحق على ذلك بسبب الحق القانوني المزعوم للشيطان، عندها لما شعروا بالقلق على الإطلاق.

هؤلاء الشياطين علّموا كل العلم رحمة يسوع، كما يتضح من ندائهم مخافة إرسالهم خارج البلاد (مرقس ٥: ١٠)، والسماح لهم بالدخول في قطيع قريب من الخنازير، تلبية لطلبهم (مرقس ٥: ١٢)، وتوسلهم ألا يُطرحوا إلى الهاوية (لوقا ٨: ٣١)، وتوسلهم للمسيح ألا يُعذبوا قبل الاوان.

الخُرافة رقم ٤: حيث أن "إله هذا العالم" يتحكم بكل شيء على الأرض، فهذا يشمل الحكومات البشرية، والكوارث الطبيعية، والمناخ."

في الكتاب المقدس قد ورد عن الشيطان كونه "إله هذا العالم" حسب الرسول بولس (كورنثوس الثانية ٤: ٤) و"سلطان هذا العالم" حسب يسوع (يوحنا ١٢: ٣١، ١٤: ٣٠، ١٦: ١١). بُناءً على ألقاب الشيطان، المختلفة من المفترض كما يبدو أن للشيطان السيطرة الكاملة على الأرض. وعلى الرغم من ذلك، إذا أخذنا في الاعتبار آيات كافية لاكتشفنا الخطأ في هذه الخُرافة بالتحديد، سيكون خيراً لنا إنمّا باشرنا في دراسة أعمق وبذلك يمكننا أن نفهم بشكل كامل محدودية قوى الشيطان. ولنكون حريصين أن مفهومنا الكامل عن الشيطان غير مبني على أربعة آيات فقط تُشير له على انه إله، أو حاكم للعالم.

حين ننظر أكثر في الإنجيل، سنكتشف أن المسيح لم يُشير فقط للشيطان "كحاكم هذا العالم"، ولكنه أشار لأبوه السماء "رب السماء والأرض" (متى ١١: ٢٥؛ لوقا ١٠: ٢١). وبالإضافة لذلك الرسول بولس لم يُشير فقط للشيطان "كإله هذا العالم" ولكنه كما يسوع، أشار لله "بأنه هو رب السماء والأرض" (أعمال الرسل ١٧: ٢٤). هذا ليثبت لنا أنه لا يسوع ولا بولس أرادا أن نعتقد أن للشيطان سلطو كاملة على الأرض. لا بد وأن سُلطة الشيطان محدودة.

ثمة فرق هام جداً ما بين كلمتي عالم وأرض الوردتين في الآيات المُتناقضة. وعلى الرغم من ذلك دائماً نستخدم هاتين الكلمتين وكأنهما مترادفتين، بينما في الأصل اليوناني لا تحمل الكلمتين المعنى ذاته. وحين نفهم اختلافهما، عندها نفهم بزيادة عن سُلطة الله من جهة وسلطة الشيطان من جهة أخرى على الأرض بشكل أعمق.

أشار يسوع لله الأب كرب للأرض. كلمة أرض تُترجم باليونانية جي. وتُشير إلى الكلمة الفعلية للكوكب الذي نعيش فيه، ومنه تم اشتقاق الكلمة الجغرافية.

وعلى العكس من ذلك قال يسوع إن الشيطان هو حاكم هذا العالم. والكلمة اليونانية لكلمة عالم هي كوسموس، وتُشير في المقام الأول للنظام أو الترتيب. وهذا يتكلم عن الناس عوضاً عن الكوكب المادي بذاته. لهذا السبب يتحدث المسيحيون دائماً عن الشيطان "كإله نظام هذا العالم".

أما في الوقت الراهن ليس لله سُلطة كاملة على العالم، لعدم سُلطته الكاملة على كل الناس في هذا العالم. والسبب في ذلك يرجع لأنه أعطى كل انسان الاختيار الحر ليختاروا من عساهم يتخذون سيّداً على حياتهم، واختاروا الكفار منهم أن يعطوا ولأنهم للشيطان. فللبشرية إرادة حرة، هذا بالطبع جزء من خطة الله.

فأستخدم بولس كلمة مُختلفة للعالم، الكلمة اليونانية أيون، عندما كتب كلمة إله هذا العالم. أيون يمكن ودائماً ما تُترجم بالدهر أو العصر، وهذا يُميز عصر من الزمن. والشيطان هو إله العصر الحديث.

ماذا يعنى كل هذا؟ الأرض هي الكوكب المادي الذي نعيش فيه. والمفهوم من العالم -الناس الذين يعيشون حالياً الآن على الأرض، وأكثر تحديداً، هؤلاء الذين لا يخدمون يسوع. فهم يخدمون الشيطان، مأسورون لانحرافه، ولنظامه الخاطئ. أما نحن كمسيحيين، فقد قيل عنا اننا "في هذا العالم" ولكننا ليسنا "من هذا العالم" (يوحنا ١٧ : ١١ ، ١٤). فنحن نعيش وسط مواطني مملكة الظلمة، لكننا في الواقع ننتمي لمملكة النور، مملكة الله.

ولذلك لدينا الآن الإجابة. لنضع ذلك ببساطة كهذه: أن الله السيادة المطلقة وهو يُسيطر على كُل الأرض. وبسماح من الله، يتحكم الشيطان فقط في "نظام العالم"، الذي له السيطرة على كل مواطنيه في مملكة الظلمة. ولهذا السبب، كتب يوحنا الرسول يقول: "أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ (وليس الأرض كلها) خَاضِعٌ لِسَيِّطَرَةِ إِبْلِيسَ الشَّيْطَانِ" (يوحنا الأولى ٥ : ١٩).

ليس هذا لنقول إنه لا تحكم الله على العالم، على نظام العالم، أو على الناس الذين في العالم. فقد قال كما ذُكِرَ في دانيال "حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ الْعَلِيِّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ يَهْبُهَا مَنْ يَشَاءُ" (دانيال ٤ : ٢٥). وما زال قادر ان يرفع أو أن يضع أي شخص حسبما يرغب. ولكن كالسيد الأعظم على عالم الناس، قد أتاح بسيادية للشيطان أن يتحكم بقسم من الناس المتمردين عليه.

عرض الشيطان معتبر

أيضاً سيُساعد على فهم الفرق ما بين الأرض والعالم تجربة يسوع في البرية. فهناك أظهر الشيطان ليسوع "كل ممالك العالم في لحظة من الوقت". ما كان للشيطان أن يعرض على يسوع منصباً سياسياً على كل حكام الأرض من البشر، منصباً قد ندعوه بالرئيس أو نائب الرئيس. فليس الشيطان هو من يُرْفَع أو يضع حكام البشر – ولكن هذا هو عمل الله.

ولكن كان على الشيطان أن يُظهر ليسوع كل الممالك الفرعية في عالم الظلمة الواسع. فأراه التسلسل الهرمي للأرواح الشريرة، في إقليم كل منها، وحكمهم في مملكة الظلمة، كما يفعل البشر المتمردين الذين هم رعاياهم. قد عرض الشيطان على يسوع السيطرة في مجاله – بحالة انضمام يسوع لتمرّد الشيطان ضد الله. ليصبح يسوع حينها ثاني شخص بقيادة مملكة الظلمة بجلها.

سيطرة الله على الأرض، حُكام البشر

دعونا ننشر بتفاصيل مدققة أكثر عن محدودية سُلطة الشيطان عن طريق دراسة الآيات التي تؤكد سُلطة الله على الحكومات الأرضية البشرية. الشيطان لديه بعض السُلطة في الحكومات البشرية فقط لأنه لديه السُلطة على الناس غير المُخلصين، مع انه غالباً ما يسيطر على قيادة هذه الحكومات اناس غير مُخلصين. لكن في نهاية الامر، الله هو السيد على الحكومات البشرية، وللشيطان دوره بالتلاعب بها بقدر ما يُسمح له من الله.

لقد تفحصنا بالطبع كلام دانيال للملك نبوخذ ناصر، ولكن لأن ذلك المثال يُنير لنا الفهم، دعونا نضطلع مرة أخرى وباختصار على ذلك.

لقد تكبر الملك العظيم نبوخذ نصر بفخر وتعجرف بسبب قواه والإنجازات، وهكذا كان قضاء الله له أن يوضع لدرجة مُنخفضة حتى يعلم أن "قَدْ صَدَرَ هَذَا الْقَضَاءُ عَنْ أَمْرِ الرُّقَبَاءِ السَّاهِرِينَ، وَقَرَارُ الْحُكْمِ بِكَلِمَةِ الْفُؤُوسِينَ، لِكَيْ يُدْرِكَ الْأَحْيَاءُ أَنَّ الْعَلِيِّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ، يَهْئِهَا لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُوَلِّي عَلَيْهَا أَحَقَرَهُمْ" (دانيال ٤: ١٧). ومن الواضح أن الله يستحق التقدير لرفعة نبوخذ نصر لعظمته السياسية. وهذا الامر صحيح ليس فقط بالعلاقة لنبوخذ نصر بل لكل قائد أرضي. الرسول بولس قد تكلم عن القوانين الأرضية، مُعلناً أن " عَلَى كُلِّ نَفْسٍ أَنْ تَخْضَعَ لِلسُّلْطَاتِ الْحَاكِمَةِ. فَإِنَّ سُلْطَةً إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالسُّلْطَاتُ الْقَائِمَةُ مَرْتَبَةً مِنْ قِبَلِ اللَّهِ" (رومية ١٣: ١).

الله هو السلطان الأول والأعظم للكون كله. فإن كان لدى أي شخص سلطة، فهي فقط بسبب التفويض الذي تلقاه من الله أو السماح لشخص أن يكون له بعضها.

ولكن ماذا عن الحكام الأشرار؟ هل بولس كان يعنى أنه حتى أولئك تم تعيينهم من قبل الله؟ نعم ذلك من الله. وفي ذات الخطاب قد كتب بولس به قبلاً "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِفِرْعَوْنَ فِي الْكِتَابِ: «لِهَذَا الْأَمْرِ بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ: لِأُظْهِرَ فِيكَ قُدْرَتِي وَيُعْلَنَ اسْمِي فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا»" (رومية ٩: ١٧). رفع الله فرعون صاحب القلب القاسي بغرض تمجيد ذاته. بين الله قواه العظيمة من خلال اجرائه للمعجزات - الفرصة المتاحة لرجل عنيد ليُمجده.

أليست هذه حقيقة واضحة من خلال حوار يسوع مع بيلاطس؟ لقد تعجبت كيف أنه لم يُجب يسوع على هذه الأسئلة: "فَقَالَ لَهُ بِيْلَاطُسُ: «أَمَا تُكَلِّمُنِي؟ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَةً أَنْ أُطْلِقَكَ، وَسُلْطَةً أَنْ أَصْلِبَكَ؟»" (يوحنا ١٩: ١٠).

فأجاب يسوع، " فَأَجَابَهُ يَسُوعُ «مَا كَانَ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَةٌ قَطُّ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ لَكَ مِنْ فَوْقُ» (يوحنا ١٩: ١١). لقد رفع الله بيلاطس عالماً بشخصيته الجبانية، لكيما يتم خطة الله المحتومة لموت يسوع.

ومن قراءة ولو سطحية لأسفار العهد القديم يكشف لنا من التاريخ أن الله أحياناً يستخدم الحكام الأشرار كوكلاء لغضبه على الناس الذين يستحقون ذلك. فاستخدم الله نبوخذ نصر لينفذ حكمه على العديد من أمم العهد القديم.

هناك أمثلة عديدة في الكتاب المقدس لحكام رفعهم الله ولآخرين أذلهم. فعلى سبيل المثال نقرأ في الكتاب المقدس أن هيرودس لم يفلح بإعطاء المجد لله عندما صرخ امامه أحد عناصره قائلاً: "هَذَا صَوْتُ إِلَهٍ لَا صَوْتُ إِنْسَانٍ!" (أعمال الرسل ١٢: ٢٢).

والنتيجة؟ " فَضَرَبَهُ مَلَائِكُ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ فِي الْحَالِ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ لِلَّهِ، فَأَكَلَهُ الدُّودُ وَمَاتَ" (أعمال الرسل ١٢: ٢٣).

تذكر أن هيرودس كان بالفعل مواطناً في مملكة الشيطان، بينما لم يكن خارج سلطان الله. ومن الواضح أن الله قادر أن يُسقط أي زعيم دنيوي كان إذا رغب في ذلك.^{٩٠}

شهادة الله الشخصية

وأخيراً، دعونا نقرأ ما قاله الله نفسه ذات مرة على لسان النبي أرميا بخصوص سيادته على الأرض، والممالك البشرية.

يَا ذُرِّيَّةَ إِسْرَائِيلَ: أَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَمَا صَنَعَ الْفَخَّارِيُّ؟ إِنَّكُمْ فِي يَدَي كَالطِّينِ فِي يَدِ الْفَخَّارِيِّ.^٦
تَارَةً أَقْضِي عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْأَسْتِصَالِ وَالْهَدْمِ وَالْدَّمَارِ،^٧
فَتَرْتَدُّ تِلْكَ الْأُمَّةُ الَّتِي قَضَيْتُ عَلَيْهَا بِالْعِقَابِ عَنْ شَرِّهَا، فَأَكْفُ عَنْ الشَّرِّ الَّذِي نَوَيْتُ مُعَاقِبَتَهَا بِهِ.^٨
وَتَارَةً أَقْضِي بِمُكَافَأَةِ أُمَّةٍ أَوْ مَمْلَكَةٍ بِنَاءٍ قُوَّتِهَا وَإِنْمَائِهَا.^٩
ثُمَّ لَا تَلْبِثُ أَنْ تَرْتَكِبَ الشَّرَّ أَمَامِي وَلَا تَسْمَعْ لَصَوْتِي، فَأَكْفُ عَنْ الْخَيْرِ الَّذِي نَوَيْتُ أَنْ أَنْعِمَ بِهِ عَلَيْهَا.^{١٠}
(أرميا: ١٠-٦).

هل تعلم أن للشيطان لم تكن أي حيلة عندما جرب يسوع في البرية، أن يعرض عليه بشرعية ليحكم على الممالك الأرضية البشرية السياسية؟ وإن كان بالفعل يقول الحقيقة (كما فعل أحياناً)، حينها كل ما يمكنه فعله هو عرضه على يسوع أن يتسلط على مملكته للظلمة.

ولكن هل للشيطان تأثيراً على الحكومات البشرية؟ نعم، ولكن فقط بسبب أنه هو الأب الروحي للناس من غير المُخلصين، هم المتورطون في الحكومات البشرية. لكن تأثيره محدد بقدر ما يُصرح له الله ذلك، والله قادر على إحباط أي من مخططاته في أي وقت يرغب. يوحنا الرسول لقب يسوع بـ "مَلِكِ مُلُوكِ الْأَرْضِ" (رؤيا ١: ٥).

^{٩٠} هل هذا يعني أننا يجب علينا أن نُصلي من أجل قادة الحكومات، أو التصويت في الانتخابات، عالمين أن الله يُمجد من يُريد علينا؟ لا، في ظل الديمقراطية، غضب الله مبني عملياً عليها. فنحن نجد من نُصوت له، والناس الأشرار عادتاً يصوتون للناس الأشرار الآخرين. ولهذا السبب، الأبرار يجب عليهم أن يطرحوا أصواتهم. وبالإضافة لذلك في كل من العهد القديم والجديد، تم إرشادنا للصلاة من أجل قادة الحكومة (أرميا ٢٩: ٧، تيموثاوس الأولى ٢: ١-٤)، وهذا يُشير إلى أننا يمكن أن نُقتنع الله أنه يُحدد من سيوضع في مكانة مُعينة. لأن حُكم الله أحياناً يأتي بشكل قادة الحكومات الأشرار، ولأن مُعظم الأمم يستحقون الدينونة، ويمكن أن نسال من أجل ويطلبوا بعض الرحمة منه، ولذلك دولتنا المُعينة لا تأخذ كل شيء تستحق.

هل الشيطان هو سبب الكوارث الطبيعية والطقس السيء؟

لأن الشيطان هو "إله هذا العالم"، لذلك يفترض الكفار من الناس أن للشيطان تحكم على الطقس وهو المسبب لكل الكوارث الطبيعية، كالجفاف، والفيضانات، والعواصف، والزلازل ... إلخ.

ولكن هل هذا ما يُعلمنا إياه الكتاب المقدس؟ ولمرة أخرى انوه، علينا بالحدز ألا نبني لاهوتنا بأكمله عن الشيطان على آية واحدة التي تقول "السَّارِقُ لَا يَأْتِي إِلَّا لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ." (يوحنا ١٠: ١٠). فكم من مرة سمعت من اناس يستشهدوا بهذه الآية كإثبات على أن كل من يسرق، ويقتل أو يُحطم هو من الشيطان. عندما نتفحص الكتاب المقدس أكثر، نتعلم أن الله نفسه أحياناً يقتل ويُحطم. ألقى نظرة على هذه الفقرات الثلاثة كأمثلة مُمكنة:

وَلَيْسَ لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا قَاضٍ وَاحِدٌ، هُوَ اللَّهُ وَاضِعُهَا، وَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ أَنْ يَحْكُمَ بِالْخَلَاصِ أَوْ بِالْهَلَاكِ. (يعقوب ٤: ١٢).

وَلَكِنِّي أَرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الْقَادِرِ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ بَعْدَ الْقَتْلِ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ، مِنْ هَذَا خَافُوا! (لوقا ١٢: ٥).

لَا تَخَافُوا الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْجِزُونَ عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ، بَلْ بِالْأَحْرَى خَافُوا الْقَادِرَ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ جَمِيعاً فِي جَهَنَّمَ (متى ١٠: ٢٨).

إن قلنا إن كل شيء يشمل القتل أو الدمار هو عمل الشيطان، فنحن مُخطئين. فهناك عشرات الأمثلة من الكتاب المقدس عن الله يقتل أو يُحطم.

فيجب علينا أن نسأل أنفسنا، عندما تحدث يسوع عن اللص الذي يأتي ليقتل، ويسرق، ويُدمر، هل كان بالفعل يتكلم عن الشيطان؟ وهنا أيضاً أكرر، كل ما علينا فعله هو قراءة ما يحتويه السياق. فالآية السابقة كانت تتكلم عن اللص الآتي ليقتل، ويسرق، ويُحطم، ويسوع قال "جَمِيعُ الَّذِينَ جَاءُوا قِيْلِي كَانُوا أُصُوصاً وَسُرَّاقاً، وَلَكِنَّ الْخَرَافَةَ لَمْ تُصْنَعْ إِلَيْهِمْ" (يوحنا ١٠: ٨). عندما قرأنا كامل خطاب يسوع في يوحنا ١٠: ١-١٥ يذكر أنه هو الراعي الصالح، أصبح وهذا يوضح لنا كثيراً تعابيره بكلمات مثل لص ولصوص لهي إشارات لتصف المعلمون والقادة الدينيون الزائفون.

آراء مُتضاربة حول المناخ السيء والكوارث الطبيعية

عندما يحدث إعصار أو زلزال، فإن هذه الكوارث دائماً ما تثير أسئلة لاهوتية في أذهان المؤمنين بالله: "من يا ترى هو المسبب لها؟" للمسيحيين الذين يؤمنون بالكتاب المقدس ثمة احتمالان: إما الله السبب وراء حدوثها أو اما الشيطان.

بعضهم يسرع بالاعتراض قائلاً: "آه لا! لا ينبغي القاء اللوم على الله البتة! اللوم كله على الناس، والله يُدينهم على خطاياهم."

فإن كان الله هو المُسبب للأعاصير والزلازل كوسيلة منه لإدانة الشر، حينها بالتأكيد يمكننا أن نضع اللوم على البشر المُتمردين وليس على الله، ولكن بهذا يبقى الله هو المسؤول، إذ لن يحدث الكوارث الطبيعية لن دون أمره.

وممكن بصورة غير مباشرة إن أصبح القول أن الله يسمح للشيطان بإرسال الأعاصير والزلازل ليأتي بدينونته على الخُطاة، عندها يمكن أن يقول إن الشيطان هو المُسبب، ولكن مازال الله هو من يتحمل المسؤولية. والسبب في ذلك أنه هو الذي سمح للشيطان أن يُسبب الدمار ولأن هذه الكوارث لا تحدث الا كرد فعل على الخطية.

آخرون قد يقولون إنه ليس الله ولا الشيطان هما المسؤولان عن الأعاصير والزلازل ولكنهما ببساطة " إنها ظواهر طبيعية في عالم الخطية الساقط." وبصورة غامضة، يحاولون هم أيضاً إلقاء اللوم على الناس جراء حدوث الكوارث الطبيعية. لكن هذا يُبقي نقطة مفقودة، حيث أن هذا التفسير لا يضع الله خارج الصورة. وإن كانت الأعاصير والكوارث ببساطة إنما "ظاهرة طبيعية في عالم الخطية الساقط" فمن الذي قرر أنها تكون كذلك؟ فمن الواضح أن الأعاصير والكوارث ليست من صُنع الإنسان. وهذه الأعاصير لا تأخذ بالازدياد بقدر حجم الأكاذيب الموجهة بالقول نحو الطقس. والزلازل لا تحدث تبعاً لارتكاب الزنا بين عدد مُعين من الناس.

لا، فإن كانت هناك علاقة بين الأعاصير والخطيئة، فعندها يكون لله قسطا لحدوثها، لأن الأعاصير هي مظهر من مظاهر دينونته على الخطية. حتى وإن حدث ذلك كان عشوائياً، فستكون بذلك قضاءً من الله أنها تحدث عشوائياً، وبالتالي فهو يلعب دوراً فاعلاً في ذلك.

حتى وإن لم يكن هناك أي علاقة بين الخطيئة والكوارث الطبيعية، وأن الله قد أخطأ عندما صمم هذا العالم، لوجود عيوب في القشرة الأرضية التي تتحرك أحياناً وبالنظام المُناخي الذي ختل وتهوج أيضاً، فإن هذا يبقى المسؤولية الأولى على الله ليتحملها لوجود الزلازل والأعاصير كونه هو الخالق، وأخطاؤه تضر الناس.

"الطبيعة الأم" تعبير وهمي

بناءً على ما ذكرناه آنفاً لدينا إجابتان مُحتملتان لمسألة المسبب للكوارث الطبيعية. واحد من اثنين إما الله هو المسؤول وإما الشيطان. وقبل أن نلقي نظرةً على آيات مُعينة لنحدد الإجابة الصحيحة، دعونا نُفكر بشكل أعمق عن هاتين الإجابتين.

فإن كان الشيطان هو المسبب للكوارث الطبيعية، وعندها فيمكن لله أن يوقفه عن فعل ذلك أو أنه لا يقدر. وإن كان بإمكان الله أن يوقف الشيطان من تسببه للكوارث الطبيعية، لكنه لا يفعل ذلك، عندها أيضاً سيتحمل المسؤولية. فالكارثة لن تحدث دون تصريح منه.

والآن من الجانب الآخر. دعونا نفترض للحظة، أن الله لم يُوقف الشيطان، ولكنه يرغب بذلك. هل هذا حقاً محتمل؟

إن لم يستطيع الله أن يوقف الشيطان من تسببه للكوارث الطبيعية، عندها إما أن الشيطان أكثر قوى من الله، أو أن الشيطان أذكى من الله. وهذا في الواقع له علاقة بالادعاء وكأنه "ربح الشيطان سلطته على العالم عند سقوط آدم. وأصحاب هذا الادعاء يقولون أن للشيطان حق قانوني لفعل ما يرضيه على الأرض لأنه سرق عقد آدم. والآن، حسب هذه الفرضية يود الله على إيقاف الشيطان ولكن لا يفعل لأنه يُقدر عقد آدم الذي أمثله الشيطان منذ سقوط آدم. وبمعنى آخر كان الله جاهلاً بما سيحدث عند السقوط بل وغبي، ولكن الشيطان كونه أذكى من الله، الآن قد حظي بقوة يتمنى الله لو انه لم يملكها. أما أنا شخصياً، لا أقول إن الشيطان أذكى من الله.

فإن كانت نظرية اكتساب الشيطان صحيحة، فإننا نريد أن نعرف لماذا لا يتسبب الشيطان في حدوث زلازل وأعاصير أكثر مما يسببه في الوقت الحاضر، لماذا لا يستهدف التجمعات المكتظة بالمسيحيين. (فإن قلت "لأن الله لا يدعه يستهدف التجمعات المكتظة بالمسيحيين" فهذا أنت تعترف أن الشيطان لا يستطيع عمل امراً دون يأخذ تصريحاً من الله.)

عندما نقوم بتحديد الامر، فالإجابتان المُحتملتان لسؤالنا هذا هما كالآتي: إما (١) الله يُسبب الزلازل والأعاصير أو (٢) الشيطان يفعل ذلك بسماع من الله.

هل ترى وبغض النظر عن أي من الاثنتين هي الإجابة صحيحة، أن الله هو المسؤول الشخصي في نهاية المطاف؟ فعندما يقول الناس "أن الله لم يُرسل الأعاصير - الشيطان فعل ذلك بتصريح من الله" فهم بذلك لا يدعون الله "خارج المصيدة" تماماً كما يأملون. إن استطاع الله أن يوقف الشيطان عن تسببه للأعاصير، بغض النظر إن شاء ذلك ام لم يشئ، تبقى المسؤولية ملقاة على كاهله. وقد يلام البشر المُتمردين بسبب كل ذلك يبقى من باب خطاياهم (وإن كانت الأعاصير مُرسلة من الله أو صرحت منه كدينونة) وبالرغم من الحماقة ان نقول إن الله غير مُشترك أو مسؤول بصورة أو بأخرى.

شهادة الكتاب المُقدس

وماذا يقول الكتاب المُقدس تحديداً عن الكوارث الطبيعية؟ هل يقول الكتاب المُقدس أن الله أو الشيطان يُسببها؟ دعونا نلقي نظرة أولاً على الكتاب المُقدس لأنه يتحدث عن العديد منهما.

فطبقاً للكتاب المُقدس، قد يحدث الزلازل كنتيجة لحكم الله على الخُطاة مُستحقين ذلك. ونقرأ في أرميا "أَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ إِلَهُ الْحَقِّ، إِلَهُ الْحَيِّ وَالْمَلِكُ السَّرْمَدِيُّ. تَرْتَعِدُ الْأَرْضُ أَمَامَ غَضَبِهِ وَلَا تَتَحَمَّلُ الْأُمَمُ قَرْطَ سَخَطِهِ" (أرميا ١٠: ١٠).

يَقْتَوِدُكَ الرَّبُّ الْقَدِيرُ، فَيَأْتِي بِرَعْدٍ وَزُلْزَالٍ وَضَجِيجٍ عَظِيمٍ، مَعَ زُوبَعَةٍ وَعَاصِفَةٍ وَلَهْيَبِ نَارٍ أَكَلَةٍ (أشعيا ٢٩: ٦).

ولعلكم تتذكرون بأيام موسى، كيف انشقت الأرض وابتلعت قورح وأتباعه المُتمردين (أنظر عدد ١٦: ٢٣-٢٤). فمن الواضح أن هذه كانت حكم الله عليهم. وأمثلة أخرى كهذه عن دينونة الله بالزلازل نجدها في

حزقيال ٣٨: ١٩، مزامير ١٨: ٧، ٧٧: ١٨، حجي ٢: ٦، لوقا ٢١: ١١، رؤيا ٦: ١٢، ٨: ٥، ١١: ١٣، ١٦: ١٨.

وذكر في الكتاب المقدس عن وقوع الزلازل، ليس بالضرورة كدينونة من الله، لكن ومع ذلك، الله هو المسبب لحدوثها. وعلى سبيل المثال، طبقاً لإنجيل متى، يتكلم عن ذلك الزلزال الذي حدث عندما مات يسوع (متى ٢٧: ٥١، ٥٤)، وعن زلزال آخر عندما قام من الأموات (متى ٢٨: ٢). فهل كان الشيطان هو سبب حدوثهما؟

عندما كان بولس وسيلا يُسبحان الله في مُنتصف الليل في سجن فيلبى "وَفَجْأَةً حَدَثَ زَلْزَالٌ شَدِيدٌ هَزَّ أَرْكَانَ السِّجْنِ، فَانْفَتَحَتْ جَمِيعُ أَبْوَابِهِ حَالاً، وَسَقَطَتْ قُبُودُ السُّجَنَاءِ كُلِّهِمْ" (أعمال الرسل ١٦: ٢٦). فهل الشيطان كان هو المُتسبب في وقوع هذا الزلزال؟ لا أعتقد ذلك! حتى الحارس قد خَلَصَ بعد رؤيته لقوة الله. وهذا ليس بالزلزال الوحيد المسبب من الله في سفر أعمال الرسل (أنظر أعمال الرسل ٤: ٣١).

وقد قرأت مؤخراً عن بعض المسيحيين ذوي نوايا حسنة أنهم هرعوا بالسفر الى احدى الأماكن عند سماعهم التنبؤ بزلزال على وشك الوقوع، ليتدخلوا في حرب روحية ضد الشيطان. هل يمكنك أن ترى الخطأ في افتراضهم هذا؟ فمن وجهة نظر كتابية كان من الاجدر لهم أن يُصلوا الله طالبين الرحمة لأجل الناس الذين يعيشون في تلك المنطقة. وإن فعلوا ذلك، فلن يكون هناك حاجة لتضيع الوقت والمال اللازم للسفر والذهاب الى موقع الزلزال – فكان بإمكانهم أن يُصلوا الله من أماكنهم التي يعيشون فيه. ولكن محاربتهم الشيطان بهدف وقف الزلزال ذلك ليس بالأمر الكتابي.

ماذا عن الأعاصير؟

كلمة أعاصير لا تتواجد في الكتاب المقدس، ولكن يمكن أن نجد بعض الأمثلة عن الرياح القوية فيه. وعلى سبيل المثال:

رَكِبَ بَعْضُهُمُ الْبَحَارَ فِي السُّفُنِ التِّجَارِيَّةِ، لِيَكْسِبُوا رِزْقَهُمْ،^{٢٣}

وَرَأَوْا أَعْمَالَ الرَّبِّ وَعَجَائِبَهُ فِي عُمُقِ الْمِيَاهِ.^{٢٤}

فَإِنَّهُ بِأَمْرِهِ أَثَارَ رِيحاً عَاصِفَةً فَأَهَاجَتْ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ^{٢٥}

(رؤيا ١٠٧: ٢٣-٢٥).

فَارْسَلَ الرَّبُّ رِيحاً عَاصِفَةً عَلَى الْبَحْرِ أَثَارَتْ إِعْصَاراً بَحْرِيّاً، حَتَّى أَشْرَفَتِ السَّفِينَةُ عَلَى الْإِنْكَسَارِ. (يونان ١: ٤).

وَرَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ مَلَائِكَةٍ وَاقِفِينَ عَلَى زَوَايَا الْأَرْضِ الْأَرْبَعِ، يَحْبِسُونَ رِيَّاحَ الْأَرْضِ الْأَرْبَعِ، فَلَا تَهْبُ رِيحٌ عَلَى بَرٍّ أَوْ بَحْرِ أَوْ شَجَرٍ. (رؤيا ٧: ١)

فمن الواضح أن الله هو مَنْ يثير هبوب الرياح وهو من يوقفها.^{٩١}

في الكتاب المقدس وبأكمله نجد آية واحدة فقط تثبت أن الشيطان هو المُتسبب لهذه الرياح. وكان هذا أثناء اختبارات أيوب، عندما أخبره مُرسل بأنه قد "هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ مِنْ عَنْرِ الصَّحَرَاءِ، فَاجْتَاكَ أَزْكَانُ الْبَيْتِ الْأَرْبَعَةِ، فَانْهَارَ عَلَى الْعُلَمَانِ وَمَاتُوا جَمِيعاً، وَأَقْلُتُ أَنَا وَخَدِي لِأُخْبِرَكَ" (أيوب ١: ١٩).

ونعلم من قراءتنا للفصل الأول من سفر أيوب أن الشيطان هو من تسبب لبلاء أيوب. وعلينا ألا ننسى أن الشيطان لا يستطيع أن يفعل شيئاً ليؤذي أيوب أو أطفاله دون تصريح من الله. وعليه ولمرة أخرى، نرى أن الله هو سيد هذه الرياح.

عاصفة الجليل

ماذا عن "العاصفة العنيفة" التي هاجمة يسوع وتلاميذه عندما كانوا ذات مرة على ظهر اقارب يعبرون بحر الجليل؟ بالتأكيد لا بد وأن الشيطان هو الذي سبب لهذه الرياح، إذ أن الله لا يُرسل ريحاً لثقل القارب الذي على منته ابنه. "المملكة التي تنقسم على ذاتها تسقط" ولذلك لا يرسل الله ريحاً تحول لإيذاء يسوع وتلاميذه؟

فهذه كلها ادعاءات غير سليمة، ولكن دعونا نفكر للحظة. فإن لم يُرسل الله الرياح وانما كانت من فعل الشيطان، وعليه يجب أن نُقر بأن الله هو الذي سمح للشيطان بأرسالها. ولذلك يترتب علينا طرح السؤال بعينه وأن نجد الاجابة: لماذا يسمح الله للشيطان أن يرسل ريحا كانت تكاد أن تلحق الضرر بيسوع والاثنين عشر؟

هل هناك من إجابة؟ لربما اراد الله أن يُعلم التلاميذ شيئاً عن الإيمان. فلربما كان يختبرهم. او أنه كان يختبر يسوع، الذي كان كما قيل عنه في الرسالة الى العبرانيين "إِنَّهُ قَدْ تَعَرَّضَ لِلتَّجَارِبِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ نَحْنُ لَهَا، إِلَّا أَنَّهُ بِلَا خَطِيئَةٍ." (عبرانيين ٤: ١٤). وليُختبر كاملة، كان على يسوع أن يُختبر بالخوف. ولربما أراد الله أن يُمجد يسوع. ولربما أنه أراد كل ما ذُكر أعلاه.

فقد قاد الله بني إسرائيل لحافة البحر الأحمر عالماً جيداً أنهم محاصرون من جيش فرعون. ولكن ألم يكن الله لينجي شعب إسرائيل؟ عندها لم يعمل الله مناقضاً لنفسه بقيادتهم للمكان الذي قد يهلكوا به؟ أليس هذا يعتبر مثلاً على "المملكة التي انقسمت على ذاتها"؟

لا، لأن الله لم ينو على انقاذ شعب إسرائيل ليُضطهدوا. ولم تكن له النية إما في إرسال أو السماح للشيطان بالتسبب في عاصفة بحر الجليل، أو السماح ليسوع أو الاثني عشر بالغرق. ومع ذلك، لم يذكر الكتاب المقدس بشأن ارسال الشيطان عاصفة لبحر الجليل، ولم يذكر أيضاً إن الله قد فعل ذلك.

^{٩١} آيات أخرى تثبت أن الله هو المُتَحَكِّم في الرياح: تكوين ٨: ١١، خروج ١٠: ١٣، ١٩، ١٤: ٢١، ١٥: ١٠، عدد ١١: ٣١، مزمير ٤٨: ٧، ٧٨: ٧٦، ١٣٥: ٧، ١٤٧: ١٨، أشعياء ١١: ١٥، ٢٧: ٨، أرمياء ١٠: ١٣، ٥١: ١٦، حزقيال ١٣: ١١، ١٣، عاموس ٤: ٩، ١٣، يونان ٧: ٨، حجي ٢: ١٧. وفي العديد من الأمثلة، الله يستخدم الرياح كمعنى من دينونته.

فالبعض يقول إن الشيطان فعل ذلك لأن يسوع انتهرها. ولكن هذه ليست حجة أكيدة. فيسوع لم يوبخ الله - ولكنه انتهر الرياح. وكان بإمكان الله الأب فعل ذات الشيء، ذلك بأن يُثير الرياح بكلمة، وبعدها يهدئها بانتهازه أياها. وفقط على اساس انتهار يسوع للريح هذا ليس بإثبات أن الشيطان هو المُتسبب بها.

اعيد وأكرر، لا ينبغي علينا أن نبني لاهوتنا على آية واحدة لا تثبت أي شيء بحق. فقد قدمت وبالفعل إشارات من عشرات الآيات التي تثبت سيادة الله بالسيطرة على الرياح، وغالباً ما كان هو مسؤولاً عن إرسالها. ووجهة نظري الأساسية هي أن الشيطان رغم أنه "إله هذا العالم"، بالتأكيد ليس لديه سيطرة مُستقلة على الرياح أو الحق في التسبب في الأعاصير في أي وقت أو في أي مكان.

وعلى الرغم من ذلك عندما تحدث الأعاصير فلا ينبغي علينا رؤيتها كشيء خارج عن الله، وكأنه يود أن يوقفها لكنه لا يستطيع. فانتهار يسوع للعاصفة في بحر الجليل لهو دليل كاف على قدرة الله على إيقاف إعصار إن كان يرغب في ذلك.

وإن أرسل الله (أو يسمح) بالإعصار، عندها لا بد وأن لديه سبب ما، وأذكى إجابة لسبب إرسال الله أو سماحه بعاصفة تودي بدمار كارثي على نطاق واسع هو تحذيره وادانته للعصاة.

"ولكن أحياناً الأعاصير تضر بالمسيحيين"

وماذا عن المسيحيين الذين يتضررون من الكوارث الطبيعية؟ فعندما تضرب الأعاصير، لا تُدمر فقط بيوت غير المسيحيين. أليس المسيحيون مُعافين من غضب الله بفضل موت يسوع؟ وعليه كيف يمكننا أن نقول أن الله هو الذي يقف وراء كل الكوارث الطبيعية في نهاية المطاف، في حين قد يلحق الضرر الكبير بأبنائه؟

هذه بالطبع أسئلة صعبة. وعلينا أن ندرك، أن الإجابات هذه الأسئلة لن تكون بتلك السهولة إن أسسنا الأجوبة على الافتراض الخاطئ بأن الشيطان هو المسبب في الكوارث الطبيعية. فإن تسبب الشيطان في الكوارث الطبيعية، عندها لماذا يسمح الله له بأن يُسبب كل هذه الكوارث التي قد تضر بأبناء الله؟ وهكذا نكون ما زلنا نواجه ذات المُشكلة.

الكتاب المُقدس يُقر صراحةً أن كل من في المسيح "الله لم يجعلنا للغضب" (تسالونيكي الأولى ٥: ٩). وفي الوقت ذاته، يقول الكتاب المُقدس إن "غضب الله يمكث" على الذين لا يُطيعون يسوع (يوحنا ٣: ٣٦). ولكن كيف يمكن التزم غضب الله على غير المُخلصين دون التأثير على المُخلصين، عندما يعيش المُخلصين وسط غير المُخلصين؟ والإجابة هي أنه أحياناً لا نحالة علينا أن نواجه الحقيقة.

ففي أيام الخروج، كان كل شعب إسرائيل يعيش معاً في موقع واحد، والأوبئة التي قضى بها الله على المصريين لم تضرهم (أنظر خروج ٨: ٢٢-٢٣، ٩: ٣-٧، ٢٤-٢٦، ١٢: ٢٣). ولكن بالنسبة لنا، فإننا نعيش ونعمل جانب لجانب مع "المصريين". فإن ادانهم الله بالكوارث الطبيعية، عندها كيف لنا أن نهرب؟

الهروب بالتأكيد هي كلمة المُفتاح لفهم الإجابة على هذا السؤال. وبالرغم من أن نوح قد هرب عند حلول غضب الله بطوفانٍ على الأرض، هو أيضاً حلَّ عليه الشقاء جراء تأثير الطوفان سلبياً عليه، وكان عليه أن يبني الفلك طوال سنين كثيرة بكد، وبعد ذلك قضاء عام من الزمن في الفلك مع جموع الحيوانات ذات

الرائحة الكريهة. (بالمُناسبة، كل من العهد الجديد والقديم يلقيان المسؤولية على الله جراء الطوفان، وليس على الشيطان، أنظر تكوين ٦: ١٧، بطرس الثانية ٢: ٥).

وقد هَرَبَ لوط وعائلته عندما انسكبت دينونة الله على سدوم وعمورة، ولكنه قد خَسِرَ هو أيضاً كل املاكه من جراء التهامها بالنار والكبريت. فأن حُكم الله على الناس الأشرار يؤثر على الرجل البار.

قد حذر يسوع مؤمني أورشليم تحذيراً مسبقاً بعدة سنوات قبل الحدث، أن يهربوا عند رؤيتهم لمدينتهم مُحاطة بالجيوش، لأنهم سوف يعاصرون "أيام من الانتقام" (لوقا ٢١: ٢٢-٢٣) - فمن الواضح أن هذا يُشير إلى الغرض الالهي الغاضب بالسماح للحصار الروماني على أورشليم سنة ٧٠ م. شكراً لله على أن المسيحيين الذين استجابوا لتحذير المسيح وهربوا ليأمنوا حياتهم خيراً فعلوا، ولكن منازلهم وممتلكاتهم لم تَأمن وقد فقدوا كل ما تركوه ورائهم في أورشليم.

ففي جميع الثلاثة أمثلة المذكورة أعلاه، نرى أنه لربما يُعاني شعب الله لدرجة مُعينة عند سقوط حُكم الله على الأشرار. ولكن من غير الصواب أن نسرّع بالاستنتاج أن الله غير مسؤول عن حدوث كل الكوارث الطبيعية لأن بعضها قد تضرر بالمسيحيين.

فماذا عسانا أن نفعل؟

نحن نعيش في عالم ملعون يختبر غضب الله على الدوام. وقد كتب بولس "فَإِنَّهُ قَدْ أُعْلِنَ غَضَبُ اللَّهِ (لن يتم إعلانه) مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ مِنْ عِصْيَانٍ وَإِثْمٍ فَيَحْجُبُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ" (رومية ١: ١٨). وبما أننا نعيش وسط الشر بعالم قد لعنه الله كغيرنا من الناس، لا نستطيع أن نهرب كلياً من تأثيرات غضب الله عليه، على الرغم من أن غضبه لا يستهدفنا نحن على وجه التحديد.

الآن وبعد علمنا بكل ذلك، ما عسانا أن نفعل؟ أولاً، علينا أن نثق بالله. فقد كتب أرميا:

وَلَكِنْ مَبَارَكُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ، وَيَتَّخِذُهُ مَعْتَمِداً لَهُ،^٧

فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ الْمِيَاهِ، تَمُدُّ جُذُورَهَا إِلَى الْجَدُولِ، وَلَا تَخْشَى اسْتِدَادَ الْحَرِّ الْمُقْبِلِ، إِذْ تَطْلُ^٨ أَوْرَاقُهَا خَضِرَاءَ، وَلَا يَفْزَعُهَا الْقَحْطُ لِأَنَّهَا لَا تَكْفُ عَنِ الْإِثْمَارِ.

(أرميا ١٧: ٧-٨).

لاحظ أن أرميا لم يقل أن الرجل الذي يثق بالرب لن يختبر أيام الجفاف البتة. لا، لكن عندما يأتي الحر والمجاعات تأتي، فإن الرجل المتكل على الرب سيكون كالشجرة التي تمد جذورها نحو التيار الذي لا ينضب. إذ لديه مصدر آخر للإمدادات، بغض النظر عن حالة العالم من حوله. وقصة إيليا لهي عبرة لنا، كيف ان غريبان قامت بتقديم الطعام له أثناء المجاعة التي حلت على إسرائيل (ملوك الأولى ١٧: ١-٦).

ولكن اليس الشيطان هو المُتسبب للمجاعات؟ لا، فهذا الادعاء ليس طبقاً للكتاب المقدس. المسؤولية دائماً ملقاة على كاهل الله، ودائماً المجاعة تُعتبر نتيجة لغضبه على الانسان الذي يستحقها. فعلى سبيل المثال:

"لِهَذَا يُعْلِنُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: هَا أَنَا أُعَاقِبُهُمْ فَيَمُوتُ شَبَابُهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَيَهْلِكُ أَبْنَاؤُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ جُوعاً" (أرميا ١١: ٢٢).

"هَآ أَنَا أَقْضِي عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ، وَأَجْعَلُهُمْ كَتِينٍ رَدِيءٍ تَعَافُ النَّفْسُ أَكْلَهُ لِقَرَطِ رَدَائَتِهِ" (أرميا ٢٩: ١٧).

"يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا أَخْطَأْتُ إِلَيَّ أَرْضٌ وَخَانَتْ عَهْدِي، أُعَاقِبُهَا وَأُعَوِّزُهَا مَوْوَنَةَ الْخُبْزِ وَأَشْبِعُ فِيهَا الْجُوعَ، وَأُقْنِي مِنْهَا النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ" (حزقيال ١٤: ١٣).

"لَقَدْ تَوَقَّعْتُمْ كَثِيرًا فَحَصَلْتُمْ عَلَى قَلِيلٍ، وَمَا أَتَيْتُمْ بِهِ إِلَى الْبَيْتِ مِنْ غَلَّةٍ نَفَخْتُ عَلَيْهِ وَبَدَّدْتُهُ. لِمَاذَا فَعَلْتُمْ هَذَا؟^٩ يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ؟ مِنْ أَجْلِ بَيْتِي الَّذِي مَا بَرَحَ مُهَدِّمًا بَيْنَمَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنْهُمْ فِي بِنَاءِ بَيْتِهِ. لِذَلِكَ مَنَعَتِ السَّمَاءُ مِنْ فَوْقَ عَنُكُمُ النَّدى، وَمَنَعَتِ الْأَرْضُ غَلَّتَهَا^{١٠}

وَقَضَيْتُ بِالْقَحْطِ عَلَى الْأَرْضِ وَالتَّلَالِ، وَعَلَى حُقُولِ الْحِنْطَةِ وَالْكُرُومِ، وَأَشْجَارِ الزَّيْتُونِ وَعَلَى كُلِّ مَا^{١١} تُنْتِجُهُ الْأَرْضُ، وَعَلَى النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ تَعَبٍ أَيْدِيكُمْ". (حجي ١: ٩-١١).

ففي المثال أعلاه، نقرأ أن شعب إسرائيل هو الملام على حدوث الجفاف بسبب خطاياهم، ولكن هنا أيضاً يبقى الله المسؤولية الأولى لإرساله.^{٩٢}

فإن الله يُرسل المجاعة على الأشرار من الناس، وبحيث أننا نعيش في وسط هؤلاء الأشرار، علينا أن نثق أن الرب سيمدنا باحتياجاتنا. بولس أكد أن المجاعات لا يُمكنها أن تفصلنا عن محبة المسيح!:" فَمَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ لَنَا؟ هَلِ الشَّدَّةُ أَمْ الضَّيْقُ أَمْ الاضْطِهَادُ أَمْ الْجُوعُ أَمْ الْعُرْيُ أَمْ الْخَطَرُ أَمْ السَّيْفُ؟" (رومية ٨: ٣٥). لاحظ أن بولس لم يقول إن المسيحيين لن يواجهوا المجاعة، ولكن أضاف أنها محتملة، وبسبب كونه تلميذاً للكتاب المقدس، عَلِمَ بأن المجاعات يُمكنها أن تُرسل من الله كآلة إدانة على الأشرار.

الطاعة والحكمة

ثانياً، علينا أن نكون مُطيعين نحيا بحكمة الله وهكذا نتجنب الوقوع في غضب الرب الذي يستهدف العالم. نوح بنى الفلَك، وصعد لوط التلال، وأسرع مسيحي أورشليم بالهروب من مدينتهم، كل منهم كان عليه أن يطيعوا الله بصورة أو بأخرى لتجنب الوقوع في حُكمه على الأشرار.

^{٩٢} كمراجع إضافية لتسبب الله في المجاعة، أنظر تنثية ٣٢: ٢٣-٢٤، صموئيل الثاني ٢١: ١، ٢٤: ١٢-١٣، ملوك الثاني ٨: ١، مزامير ١٠٥: ١٦، أشعياء ١٤: ٣٠، أرمياء ١٤: ١٢، ١٥-١٦، ١٦: ١٦، ٤٣: ٢٤، ١٠: ٢٧، ٨: ٣٤، ١٧: ٤٢، ١٧: ٤٤، ١٣-١٢، حزقيال ٥: ١٢، ١٦-١٧، ٦: ١٢، ١٤: ٢١، ٣٦: ٢٩، رؤيا ٦: ٨، ١٨: ٨). يسوع نفسه قال إن الله "وَيُمَطِّرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَغَيْرِ الْأَبْرَارِ" (متى ٥: ٤٥). الله يتحكم في المطر.

فإن كنتُ أعيش في منطقة أعاصير، سأبنى بيتاً قوياً لا يُمكن أن يُهد أو بيتاً رخيصاً يمكن أن يُستبدل بسهولة! أنا أصلى. وعلى كل مسيحي أن يُصلى ويبقى يقظاً حساساً لما وعده يسوع بأنه "يُطْلِعُكُمْ عَلَى مَا سَوْفَ يَحْدُثُ" (يوحنا ١٦: ١٣) وهكذا يمكن تجنب غضب الله على العالم.

ونقرأ في سفر أعمال الرسل إصحاح ١١ أن النبي أغابوس قد حذر من مغبة المجاعة الوشيكة التي قد المُحتمل تقضي على المسيحيين الذين كانوا يعيشون في اليهودية. وبناءً على ذلك ساهم الاخوة من الكنائس الأخرى على تقديم يد المعونة لمؤمني اليهودية مما اراح بولس وبرنابا (أنظر أعمال الرسل ١١: ٢٨-٣٠).

هل من الممكن لمثل هذه الأمور أن تحدث بأيامنا؟ نعم بالتأكيد، لأن الروح القدس لم يتغير، ولم تتضاءل محبة الله. فمن المؤسف أن بعض المؤمنين في جسد المسيح غير منفتحين لهذه العطايا ومظاهر الروح القدس، وهكذا هم "يطفنون الروح" (تسالونيكي الأولى (٥: ١٩) ويفوتون على أنفسهم واحدة من فضائل الله.

يروى ديموس شاكاريان الرئيس والمؤسس لجمعية "رجال أعمال متفرغون للإنجيل" في سيرته الذاتية، كيف تكلم الله للمسيحيين الذين كانوا يعيشون في أرمينيا من خلال نبي صبي أمي وذلك في أواخر ١٨٠٠. وحذرهم من خطر المجزرة الوشيكة، وكنتيجة لذلك، فر الآلاف المسيحيين الخمسين الذين يؤمنون بهذه المظاهر الفوق طبيعية للروح، من البلاد، وبضمنهم أجداد شاكاريان نفسه. وبعد ذلك بفترة وجيزة، اجتياح الجنود الاتراك أرمينيا وخلف عن ذلك مذبحه قتل فيها ملايين من الأرمن، ومن بينهم أولئك المسيحيين الذين رفضوا تحذير الله.

فمن الحكمة أننا نبقي منفتحين لقيادة الروح القدس ومطيعين لله، وإلا فمن المُحتمل أننا نختبر جزءاً من غضب الله الذي في الحقيقة لا يُريد لهم أن يذوقوه. وأعطى إيليا ذات مرة تعليمات لامرأة، قائلاً لها: "«اذْهَبِي أَنْتِ وَغَائِلَتُكِ وَتَعَرَّبِي حَيْثُ تَسَانِينَ، لِأَنَّ الرَّبَّ سَيُصِيبُ الْبِلَادَ بِمَجَاعَةٍ تَدُومُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ»" (ملوك الثاني ٨: ١).

لا نعلم ما كان سيحدث لتلك المرأة لو لم تصغي لإرشادات النبي.

ونقرأ أيضاً في سفر الرؤيا تحذيراً عجيباً لإله الناس لأن يخرجوا من "بابل" لئلا يقعوا تحت دينونة الله الحال عليها:

ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتًا آخَرَ يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ: «اُخْرُجُوا مِنْهَا يَا سَعْيِي، لِئَلَّا تَسْتَرْكُوا فِي خَطَايَاهَا، فَتَصَابُوا بِبَلَايَاهَا،

فَقَدْ تَرَكَمَتْ خَطَايَاهَا حَتَّى بَلَغَتِ السَّمَاءَ، وَتَذَكَّرَ اللَّهُ مَا ارْتَكَبْتُهُ مِنْ أَنْأَمٍ! ٥

لِذَلِكَ سَتَنْقَضُ عَلَيْهَا الْبَلَايَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، مِنْ مَوْتٍ وَحُزْنٍ وَجُوعٍ، وَسَتَحْتَرِقُ بِالنَّارِ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي يَدِينُهَا ٨ هُوَ رَبُّ قَدِيرٍ.

(رؤيا ١٨: ٤-٥، ٨).

خلاصة الحديث هو أن الله هو صاحب السيادة على تغييرات المناخ والكوارث الطبيعية. مرة تلو المرة يُثبت نفسه أنه الرب على الطبيعة حسب ما جاء في الكتاب المقدس، ابتداءً من تسببه لأربعين يوم من المطر أثناء أيام نوح، مروراً بضربات البرد بالإضافة للبلايا الطبيعية التي أرسلها على أعداء إسرائيل، وإثارة الرياح ضد قارب يونان، وانتهازه لعاصفة بحر الجليل. هو كما قال يسوع "رب السماء والأرض" (متى ١١: ٢٥). وبالإضافة إلى ذلك آيات تُحددها عن سيادة الله على الطبيعة، أنظر يشوع ١٠: ١١، أيوب ٣٨: ٢٢-٣٨، أرميا ٥: ٢٤، ١٠: ١٣، ٣١: ٣٥، مزامير ٧٨: ٤٥-٤٩، ١٠٥: ١٦، ١٠٧: ٣٣-٣٧، ١٣٥: ٦-٧، ١٤٧: ٧-٨، ١٥-١٨، متى ٥: ٤٥، أعمال الرسل: ١٤: ١٧.

إجابات على بعض الأسئلة

إن الله يدين الناس من خلال المجاعات، والأوبئة، والزلازل، فهل من باب الخطأ لنا، كوننا مُمثلي الله، أن نُساعد ونخفف من معاناة من يعاقبهم الله؟

بالطبع لا. فعلينا أن ندرك أن الله الذي يُحب كل شخص، وهذا يشمل الناس الذين يُدينهم أيضاً. وإن بدى ذلك غريباً لأذناننا، فإن حُكمه من خلال الكوارث الطبيعية لهو في الحقيقة إشارة لحُبه. كيف يمكن أن يكون ذلك؟ من خلال تسبب الشدائد والازمات، الله يُحذر هؤلاء الذين يحبهم فهو قدوس وعادل، وهناك عاقبة طبيعية للخطية. الله يسمح بالمُعاناة المؤقتة ليُساعد الناس على أن يستيقظوا ويروا احتياجاتهم للمخلص – بذلك لعلمهم يهربون فراراً من بُحيرة النار. هذه هي المحبة!

لطالما استمر الانسان على التنفس، لطالما مد الله يده محاولاً أن يُريه الرحمة التي لا يستحقها. ولكلٍ قد اعطي فرصة للتوبة. برأفتنا ومُساعدتنا، يمكننا أن نُظهر محبة الله للناس الذين اختبروا غضبه المؤقت، ولكن يمكنهم ان يخلصوا من غضبه الأبدي. والكوارث الطبيعية ما هي الا فرص للوصول للعالم الذي مات يسوع لأجله.

أليس ايصال الإنجيل للناس هو أعظم شيئاً في هذه الحياة؟ فعندما يكون لنا رؤية أبدية على الامور، عندها ستبدو مُعاناة الذين وقعوا في الكوارث الطبيعية وكأنها لا شيء مُقارنة مع من سيُلْقون في بُحيرة النار الابدية.

وهذه حقيقة الناس إذ يصبحون عموماً مُنفتحين لإنجيل يسوع بأوقات معاناتهم وكثار يقبلون المسيح مخلصاً. وهناك أمثلة عديدة كتابية عن هذه الظاهرة، مثل توبة إسرائيل خلال قمع الدول المجاورة لها، وقصة يسوع عن الابن الضال. فعلى المسيحيين أن يعتبروا الكوارث الطبيعية كأوقات الحصاد الحاضر للجني.

دعونا نقول الحقيقة

ولكن ماذا ينبغي أن تكون رسالتنا نحو الذين يلملمون ما تبقى من حطام حياتهم بعد الأعاصير والزلازل؟ كيف علينا أن نُجيب إن سألونا سؤالاً لا هوتياً على محنتهم؟ دعونا نكون أمناء بما يُعلمنا الكتاب المقدس، ونُخبر الناس أن الله قدوس وأن لخطاياهم عواقب. دعونا نُخبرهم أن شراسة الإعصار ما هو إلا عينة صغيرة من القوة التي يمتلكها الله العلي كُلي القدرة، والخوف الذي انتابهم عندما اهتزت بيوتهم كأنه لا شيء بالمقارنة مع الرُعب الذي سيطولهم عندما يُلقون في جُهنم. أيضاً دعونا نُخبرهم، حتى وإن كنا جميعاً نستحق أن نلقى في الجحيم، فإن الله برحمته يعطينا الوقت للتوبة والإيمان بيسوع، الذين به لنا خلاصاً من غضب الله.

وقد يسأل البعض: "لا ينبغي علينا ان نخيف الناس، اليس كذلك؟" الإجابة تتواجد في الكتاب المقدس "فإن مَخَافَةَ الرَّبِّ هِيَ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْحَقُّ فَيَسْتَهَيُّونَ بِالْحِكْمَةِ وَالنَّادِبِ" (أمثال ١: ٧). الى ان يخاف الناس من الله، فهم حقاً لن يعرفون شيئاً.

ماذا عن غضب الناس من الله؟

ولكن قد يغضب الناس من الله بسبب مُعاناتهم أليس كذلك؟ نعم قد يغضبون، لكنهم بحاجة لنقوم بمساعدتهم بلُطف كي يروا كبريائهم. لا حق لأحد ان يتذمر على الله لتعامله معنا، لأننا جميعاً نستحق أن نُلقى في الجحيم معاً منذ وقت طويل. عوض عن لعنهم لله بسبب ما يلاقوه من مصائب، عليهم أن يُسبحوه من أجل حُبه لهم لدرجة انه يكثر بتحذيرهم. لكن لله كل الحق لان يتجاهلهم، تاركاً إياهم يسيرون في طُريق غرورهم الى الجحيم. ولكن الله أحب الناس وهو يدعوهم في كل يوم. بهدوء يدعوهم من خلال ازدهار أشجار الثُفاح، وغناء الطيور، علو الجبال، ولمعان النجوم. فيدعوهم من خلال ضمائرهم، من خلال جسد الكنيسة، ومن خلال روحه القدوس. لكنهم يتجاهلون دعوته.

بالتأكيد إنها ليست إرادة الله للناس أن يُعانوا، ولكن في حين يستمرون بتجاهلهم إياه فهو بحبه الفياض لهم يضطر على اتخاذ وسائل عنيفة ليجتذب انتباههم. فالأعاصير والزلازل والفيضانات والمجاعات هي بعض هذه الوسائل العنيفة. فالله يأمل من هذه البلايا أن تتسبب باتضاعهم وبهذا يُرجعهم لرُشدتهم.

هل الله غير عادل في حُكمه؟

عندما نُلقى نظرة على عالمنا من جهة نظر كتابية، عندها فقط نبدأ بالتفكير بشكل صحيح. فإن وجهة النظر الكتابية هي أن كل البشرية تستحق غضب الله، ولكن الله رحوم. وعندما يقول الناس الذين يُعانون أنهم

يستحقون مُعاملة أفضل من الله، فبلا شك أن الله يتأوه. إذ انه كل انسان يحصل على رحمة أكثر بكثير مما يستحق.

لأجل البقاء بالموضوع، لقد علق يسوع ذات مرة على اثنين من المصائب المُعاصرة. ونقرأها في إنجيل لوقا:

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَيْنِهِ، حَضَرَ بَعْضُهُمْ وَأَخْبَرُوهُ عَنْ أَهْلِ الْجَلِيلِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ بِيَلَاطُسَ فَخَطَّ دِمَاءَهُمْ بِدِمَاءِ دَبَائِحِهِمْ.^١

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: «أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خَاطِئِينَ أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِ الْجَلِيلِ الْبَاقِينَ حَتَّى لَاقُوا هَذَا^٢ الْمَصِيرَ؟

أَقُولُ لَكُمْ: لَا، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا أَنْتُمْ فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ!»^٣

أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ فَقَتَلَهُمْ، كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟^٤

أَقُولُ لَكُمْ: لَا، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا أَنْتُمْ فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ!»^٥

(لوقا ١٣: ١-٥).

فإن الجليليين الذين ماتوا على يد بيلاطس لا يمكنهم القول " لم يعاملنا بالعدل لأنه لم يخلصنا من يد بيلاطس!" لا، فانهم كانوا خُطاة يستحقون الموت. وما قصده يسوع، من الخطأ ان نسرع بالاستنتاج أنَّ الجليليين الذين نجوا كانوا على درجة أقل من الخطيئة دون جيرانهم الذين قُتلوا. فهم لم يربحوا استحسان أكبر بعين الله، لكنهم منحوا رحمة أعظم من الله.

رسالة يسوع كانت واضحة: "أنتم جميعاً خُطاة. وللخطية عواقب. الى الآن أنتم تعيشون بفضل رحمة الله. ولذلك توبوا قبل أن يفوتكم الوقت أيضاً."

وأختتم يسوع تعليقاته حول المصائب بتقديم مثال عن رحمة الله:

ثُمَّ ضَرَبَ هَذَا الْمَثَلَ: كَانَ عِنْدَ أَحَدِهِمْ شَجَرَةٌ تَبِينُ مَعْرُوسَةً فِي كَرْمِهِ. فَجَاءَهَا طَلَبًا لِلثَّمَرِ، فَمَا وَجَدَ شَيْئًا.^٦ فَقَالَ لِلْمُزَارِعِ: هَذِهِ ثَلَاثُ سِنِينَ وَأَنَا أَقْصِدُ هَذِهِ الثَّيْنَةَ طَلَبًا لِلثَّمَرِ فَلَا أَجِدُ شَيْئًا: اقْطَعْهَا، لِمَاذَا نَتْرُكُهَا تُعْطِلُ^٧ الْأَرْضَ؟

وَلَكِنَّ الْمُزَارِعَ أَجَابَهُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا، حَتَّى أَنْقُبَ الثَّرْبَةَ مِنْ حَوْلِهَا وَأَضَعُ سَمَادًا.^٨ فَلَعَلَّهَا تُنْتِجُ ثَمَرًا! وَإِلَّا، فَبَعْدَ ذَلِكَ تَقْطَعُهَا!^٩

(لوقا ١٣: ٦-٩).

فهنا قد ظهر عدل الله من جهة ورحمته من جهة أخرى. ففي حين يصرخ العدل "أقطعوا الشجرة التي ليس لها قيمة!" تتوسل الرحمة "لا، أعطها فرصة لنثمر فاكهة." فإن كل انسان بدون المسيح هو مثل هذه الشجرة.

هل يمكن انتهار الأعاصير والفيضانات؟

سؤال نهائي عن الكوارث الطبيعية: أليست الحقيقية أن لدينا إيمان كافي، يمكننا أن ننتهر ونوقف الكوارث الطبيعية عن الحدوث؟

أن يكون لنا إيماناً هذا يعنى الإيمان بإرادة الله المعلنه. وعلى الإيمان أن يكون مشهوداً له من كلمة الله ذاتها والا لما كان ذلك إيماناً على الإطلاق، ولكن عوضاً عن الامل أو الافتراض. فلنرجع للكتاب المقدس لنرى أحقاً نجد به وعداً من الله اعطي لنا لننتهر ونهدئ الأعاصير؟ لا يوجد وعداً كهذا ولذلك فمن المستحيل أن يكون لأحدهم الايمان ليفعل ذلك (ما لم يمنحه الله بسيادته الإيمان).

دعوني استرسل بالشرح بشكل أوسع. الاحتمال الوحيد أن يكون لأحدهم إيماناً لانتهار إعصاراً، هو إن لم تكن مشيئة الله إطلاقاً للإعصار أن يحدث في منطقة جغرافية معينة. كما تعلمنا من آيات سابقة، أن الله هو الذي يتحكم بالرياح وهو المسؤول عن الأعاصير. وهكذا لمن المستحيل أن يكون لشخص ما إيماناً مهما كان قوته على ايقاف الإعصار بينما الله بجلاله قد قضى بحدوثه! والاستثناء الوحيد هو أن يكون الله قد غير رأيه بشأن إعصار، وذلك لربما يحدث كرد على صلاة شخص ليظهر رحمة أو كرد على توبة الناس الذين كانوا على وشك أن يُدانوا (وقصة نينوى في أيام يونان لهي مثالاً لنا). ولكن وإن غير الله رأيه، ومع ذلك لا لأحد ايماناً لينتهر الاعصار ويهدئه، الا إذا علم ذلك الشخص فعلاً أن الله قد غير رأيه ويعلم أيضاً أن الله يريد أن ينتهر العاصفة ويهدئها.

الشخص الوحيد الذي انتهر وهذا العاصفة العظيمة كان يسوع. والإمكانية الوحيدة التي بها يمكن أن يحدث ذلك مع أحدنا، هي إن أعطانا الله "موهبة الإيمان"، (أو موهبة "الإيمان الخاص" كما يُسمى أحياناً)، أحد التسعة مواهب للروح القدس المسجلة في كورنثوس الأولى ١٢: ٧-١١). وَلَكِنَّ هَذَا كُلُّهُ يُشْعَلُهُ الرُّوحُ الْوَاحِدُ نَفْسُهُ، مُؤَزَّعاً الْمَوَاهِبَ، كَمَا يَشَاءُ، عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ (كورنثوس الأولى ١٢: ١١). وهكذا ما لم يعطيك الله إيماناً خاصاً لانتهار الإعصار، لا ينبغي عليك أن تقف بوجهه، وكأنك تمتثل بالإيمان. يجب تجنب هذا الطريق! واقترح ان تُصلى لأجل حماية الله، واسأله من أجل سكب لرحمته على من قد أدينوا من الناس، سائلين الله أن يعطيهم طول العمر بهذا سيكون لديهم وقتاً أوفر للتوبة.

ومن الجدير ملاحظته، أنه عندما اعتقل بولس وقادوه الى روما على متن سفينة، ولمدة أسبوعين كانت تنحيط السفينة من الرياح العاتية وسط البحر، بولس لم يهدئها بالانتهار (أنظر أعمال الرسل ٢٧: ١٤-٤٤). ولم يفعل ذلك لأنه لم يستطع. ولاحظ أيضاً رحمة الله التي اكتنفت كل من كانوا على السفينة، لقد تحطمت ولكن نجى الـ ٢٧٦ المسافرين من غرق السفينة (أنظر أعمال الرسل ٢٧: ٢٤، ٣٤، ٤٤). أحب التفكير بأن الله قد أظهر رحمته على جميع هؤلاء بسبب صلاة بولس لله أن يرحمهم.

الفصل الواحد والثلاثين

الخرافات الحديثة حول الحرب الروحية، الجزء الثاني

Modern Myths About Spiritual Warfare, Part two

سنُكمل في هذا الفصل دراستنا عن بعض الأخطاء الشائعة المشهورة بخصوص الشيطان والحرب الروحية. وفي الخلاصة، سندرس ما يقوله الكتاب المقدس بالفعل بشأن الحرب الروحية والتي على كل مؤمن ممارستها.

الخرافة رقم #٥: "يمكن هدم معقل الشيطان في الهواء من خلال الحرب الروحية."

طبقاً للكتاب المقدس وما لا شك به أن الشيطان يحكم على التسلسل الهرمي للأرواح الشريرة التي تسكن الهواء في المجال الأرضي، وهذا ما يُساعده على حُكم مملكة الظلمة. والأرواح الشريرة تتواجد بـ "مقاطعات"، تتحكم في مناطق جغرافية مُعينة، وهذا مفهوم مذكور في الكتاب المقدس (أنظر دانيال ١٠: ١٣، ٢٠-٢١؛ مرقس ٥: ٩-١٠). وللمسيحيين سلطان على طرد الشياطين من الناس ومسؤولية التصدي للشيطان هي كتابية محضة (أنظر مرقس ١٦: ١٧؛ يعقوب ٤: ٧؛ بطرس الأولى ٥: ٨-٩). ولكن هل يمكن للمسيحيين أن يهلكوا الأرواح الشريرة الحالة على المُدن؟ والإجابة هي لا يستطيعوا، وإن حاولوا فعل ذلك فهذا ما هو إلا مضيعة للوقت.

ولا ينبغي أن نفترض لأنه يمكننا أن نُخرج شياطين، فعليه نقدر على إهلاك الأرواح الشريرة الحالة على المُدن. وهناك أمثلة عديدة لطرد الشياطين خارج الناس في الكتاب المقدس وسفر أعمال الرسل، ولكن هل يمكنك أن تُفكر حتى ولو في مثال واحد في الكتاب المقدس وسفر أعمال الرسل حيث تم إهلاك روح شريرة كانت تتحكم على مدينة أو منطقة جغرافية. لا يمكنك إيجاد أي مثل كهذا. هل يمكنك أن تجد أي إرشاد في أي مكان في الرسائل عن مسؤولية إهلاك الأرواح الشريرة الحالة في الهواء؟ لا، لأنه لم يعط لنا سلطاناً على ذلك. ولهذا السبب، ليس لدينا أي أساس كتابي لنؤمن أنه يمكننا فعل ذلك أو أن نشن "الحرب الروحية" ضد الأرواح الشريرة الحالة في الهواء.

عندما تُفسر الأمثال بعيداً الواقع

إنّ اضافة معاني زائدة على الكتاب المقدس عمّا كان يقصده الله، دائماً هذا ما يحدث عندما نقرأ فقرات الكتاب المقدس المليئة بالتعابير المجازية. وأحد الأمثلة التقليدية لسوء تفسير اللغة المجازية، هي كم من الناس قاموا بتفسير كلمات بولس عن "هدم الحصون":

فَمَعَ أَنَّنَا نَعِيشُ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّا لَا نُحَارِبُ وَفَقاً لِلْجَسَدِ. ٣

فَإِنَّ الْأَسْلِحَةَ الَّتِي نُحَارِبُ بِهَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ الْخُصُوفِ: بِهَا نَهْدِمُ النَّظَرِيَّاتِ ٤

وَكُلَّ مَا يَغْلُو مُرْتَفِعاً لِمُقَاوَمَةِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَنَأْسِرُ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ. ٥

وَنَحْنُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِمُعَاقَبَةِ كُلِّ عَصِيَانٍ، بَعْدَ أَنْ تَكُونَ طَاعَتُكُمْ قَدْ اكْتَمَلَتْ. ٦

(كورنثوس الثانية ١٠: ٣-٦)

ففي نسخة الملك جيمس، بدلاً من قول "أننا ندمر الانتهازيات"، يقول "نهدم حصون." ومن هذه العبارة المجازية، ومن الناحية العملية تم بناء لاهوت كامل ليدافع عن فكرة عمل "الحرب الروحية" حتى يستطيع "تدمير الحصون" المتكونة من الأرواح الشريرة المتواجدة في الهواء. ولكن النسخة الأمريكية الجديدة لا تذكر أرواحاً شريرة، وإنما ما يقوله بولس، حصون المعتقدات الزائفة الموجودة في عقول الناس. ولكن ما كان يحطمه بولس هو الانتهازية، وليس الأرواح الشريرة الموجودة في الأماكن العالية.

وأصبح هذا واضحاً حين نقرأ محتوى السياق. فقد قال بولس، "نحن نحطم الانتهازية وكل شيء شامخ يقف أمام معرفة الله، ويأسر كل فكر لطاعة المسيح". والمعركة الرمزية التي كتب عنها بولس هي معركة ضد الاعتقادات، أو الأفكار التي تتعارض ومعرفة الله الحقيقية.

ولأن بولس أراد أن يشرح لنا أننا بمعركة فعلية، استخدم تعابير مجازية عسكرية، وهي أساساً معركة العقول الذين يؤمنون أكاذيب الشيطان. وسلاحنا الأساسي في هذه المعركة هو الحقيقة، ولهذا أوصانا بالذهاب للعالم لنعظ الإنجيل، وغزو مقاطعات العدو برسالة من سلطتها أن تطلق الأسرى أحراراً. القلعة التي ندمرها بُنيت بطوب الكذب وطين الخداع.

أسلحة الله الكامل

هناك فقرة أخرى في كتابات بولس دائماً ما يساء تفسيرها وهي في أفسس ٦: ١٠-١٧، حين كتب عن مسؤوليتنا أن نلبس أسلحة الله. وعلى الرغم من أن هذه الفقرة بالتأكيد عن صراع المسيحيين مع الشيطان والأرواح الشريرة، إلا أنه ما من أي ذكر عن إهلاك الأرواح الشريرة عن المدن. وحين ندرس هذه الفقرة عن كُتُب، سيصبح المعنى لنا واضحاً، هنا قد كتب بولس بالأساس عن مسؤولية كل فرد للتصدي لخداع الشيطان في حياته الشخصية عن طريق استخدام حقيقة كلمة الله الكاملة.

وحين نقرأ هذه الفقرة بالتحديد، نلاحظ أيضاً دليل اللغة المجازية. فمن الواضح أن بولس لم يكن يتحدث بشكل حرفي عن السلاح المادي الذي يجب على المسيحيين أن يأتزروا به على أجسادهم. ولكن السلاح الذي كان يتحدث عنه كان تعبيراً مجازياً. فهذه الأجزاء المذكورة للسلاح تُمثل الحقائق الكتابية المختلفة التي يجب على المسيحيين أن يستخدموها للحماية ضد الشيطان والأرواح الشريرة. عن طريق المعرفة، والإيمان، والسلوك طبقاً لكلمة الله، المسيحيون يرتدون سلاح الله مجازياً للحماية.

دعونا ندرس هذه الفقرة من أفسس آية آية، حيث نسأل أنفسنا، ماذا حاول بولس قوله لنا؟

منبع قوتنا الروحية

أولاً، قيل لنا "تَشَدَّدُوا فِي الرَّبِّ وَفِي قُدْرَةِ قُوَّتِهِ" (أفسس ٦: ١٠). والتركيز هنا على حقيقة أنه لا ينبغي أن نستمد قوتنا من أنفسنا بل من الله. وتم توضيح ذلك بشكل أعمق فيما قاله بولس لاحقاً: "الْبَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ" (أفسس ٦: ١١). فهذا هو سلاح الله، وليس سلاحنا. فلم يقل بولس أن الله نفسه يرتدي سلاحاً، ولكن نحن نحتاج سلاحاً مُعْطَى لنا من الله.

لماذا نحن بحاجة لهذا السلاح لِيُعْطِينَا اللَّهُ إِيَّاهُ؟ والإجابة هي، "لِتَتِمَّكَّنُوا مِنَ الصُّمُودِ فِي وَجْهِ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ" (أفسس ٦: ١١ ب). فهذا السلاح أساساً للاستخدام الدفاعي وليس للهجوم. وهذا ليس لنتمكن من إخراج وإهلاك الأرواح الشريرة عن المدن، وإنما لنتمكن من الوقوف بحزم ضد مخططات الشيطان.

فنعلم أن الشيطان لديه مخططات لِيُهَاجِمَنَا، وإن لم نرتدي السلاح المُعْطَى لنا من الله، فسنضعف. لاحظ أيضاً أن مسؤوليتنا هي ارتداء السلاح بأنفسنا وليس تلك مسؤولية الله.

دعونا نُكْمِل:

فَإِنَّ حَرْبَنَا لَيْسَتْ ضِدَّ ذَوِي اللَّحْمِ وَالدَّمِّ، بَلْ ضِدَّ الرِّبَاسَاتِ، ضِدَّ السُّلْطَاتِ، ضِدَّ أَسْيَادِ الْعَالَمِ حُكَّامِ هَذَا الظُّلْمَةِ، ضِدَّ قُوَى الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي الْأَمَاكِنِ السَّمَاوِيَّةِ.

(أفسس ٦: ١٢)

هكذا تصبح الصورة واضحة كالشمس في الظهيرة، بأن بولس لم يتحدث عن المعركة الجسدية والمادية، بل الروحية. فنحن نتعثر تجاه خداع الشيطان ذات الدرجات المُختلفة من الأرواح الشريرة التي سردها بولس. ومُعْظَمُ الْقُرَاءِ قد يُخَمِّنُونَ أن سرد بولس لهذه الأرواح الشريرة المُرتبة من القاع للسطح، "الحُكَّامِ" في أدنى مستوى و"القوات الروحية للشر في الأماكن السماوية" في أعلى مستوياتها.

كيف يمكن لنا أن نصارع ضد كائنات روحية؟ ويمكن الإجابة هذا السؤال بسؤال، كيف يمكن لكائنات الروحية أن تُهاجمنا؟ فهم يُهاجمونا دائماً بالإغراءات، الأفكار، الاقتراحات، وآراء مُعادية لكلمة الله وإرادته. ولذلك دفاعنا هو المعرفة، والإيمان، وطاعة كلمة الله.

لِذَلِكَ اتَّخَذُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ، لِتَتِمَّكَّنُوا مِنَ الْمُقَاوَمَةِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ، وَمِنَ الصُّمُودِ أَيْضاً بَعْدَ تَحْقِيقِ كُلِّ هَدَفٍ.

(أفسس ٦: ١٣)

لاحظ، لمرة أخرى، أن غرض بولس هو إعدادنا لنقاوم ونتصدى لهجمات الشيطان. وغرضه لم يكن إعدادنا للخروج والهجوم على الشيطان وإهلاك الأرواح الشريرة في الهواء. فقد قال لنا بولس ثلاثة مرات تمسكوا. فموقفنا هو دفاعي وليس هجومي.

الحقيقة - دفاعنا الأساسي

فَاصْمُدُّوا إِذْنُ بَعْدَ أَنْ تَتَّخِذُوا الْحَقَّ جِزَاماً لَأَوْسَاطِكُمْ (أفسس ٦ : ١٤ أ).

هنا ما يُساعدنا على الحفاظ على سلاحنا بمكانه - هي الحقيقة. فما هي الحقيقة؟ فقال يسوع لأبيه "إِنَّ كَلِمَتَكَ هِيَ الْحَقُّ" (يوحنا ١٧ : ١٧). لا يمكن لنا أن نتصدى بنجاح ضد الشيطان إلا إذا علمنا أن الحقيقة حتى نتمكن من معرفة أكاذيبه. فقد أستعرض يسوع ذلك بشكل جميل أثناء تجربته في البرية حيث أجاب لاقتراحات الشيطان بقوله "لأنه مكتوب".

وأكمل بولس:

وَالْبِرَّ دِرْعاً لِيَصُدُّوكُمْ (أفسس ٦ : ١٤ ب).

وكمسيحيين، يجب أن نكون على دراية بخاصيتين للبر. أولاً، أنه تم منحنا إياه كهبة، بر المسيح (أنظر كورنثوس الثانية ٥ : ٢١). فبره يُنسب للذين يؤمنون بيسوع، الذي حمل عنهم خطاياهم على الصليب. وهذا البر الصامد أنقذنا من سلطان الشيطان.

ثانياً، يجب علينا أن نعيش بالبر، ونُطيع ما أوصى به المسيح، ومن المحتمل أن هذا ما كان يعنيه بولس بخصوص درع البر. فبطاعتنا للمسيح، نحن لا نُعطي أي فُرصة للشيطان (أنظر أفسس ٤ : ٢٦-٢٧).

أقدام قوية بحذاء البشارة

وَالِاسْتِعْدَادَ لِنَشْرِ بَشَارَةِ السَّلَامِ جِذَاءً لِأَقْدَامِكُمْ (أفسس ٦ : ١٥).

بالمعرفة، والإيمان، والسلوك بالحقيقة التي يعطيها لنا الإنجيل نقف محتذي الأقدام راسخين ضد هجمات الشيطان. فالنعال التي احتذاها الجنود الرومان كانت تحتوي على مسامير في أسافلها الامر الذي أعطاهم قبضة مُحكمة في ساحة القتال. وفي حين أن يسوع هو ربنا، فلنا ثبات لنقف ضد أكاذيب الشيطان

وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ، احْمِلُوا الْإِيمَانَ ثُرْساً بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشَّرِّيرِ الْمُشْتَعِلَةِ (أفسس ٦ : ١٦).

ونلاحظ مرة أخرى أن بولس يركز هنا على وضعنا الدفاعي. فهو لم يتكلم عن إخراجنا للأرواح الشريرة عن المَدَن. وإنما يتكلم عن استخدامنا لإيماننا بكلمة الله لنتصدى لأكاذيب الشيطان. وعندما نؤمن ونسلك بما قاله الله، فهذا كسلاح يحمينا من أكاذيب الشيطان، وتم تمثيلها مجازياً كـ "سهام(صواريخ) الشرير المشتعلة".

سيفنا الروحي - كلمة الله

وَاتَّخِذُوا الْخَلَاصَ خُوذةً لِلرَّأْسِ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ سَيْفَ الرُّوحِ (أفسس ٦: ١٧).

الخلاص، كما يصفه الكتاب المقدس، يشمل تحريرنا من عبودية الشيطان. الله "هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَةِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ" (كولوسي ١: ١٣). مع العلم بأن هذا مثل الحصول على خوذة رأس التي تحمي عقولنا من تصديق كذب الشيطان بأننا ما زلنا في ظل سلطانه. فلم يعد الشيطان سيدنا - ولكن يسوع هو سيدنا.

وبالإضافة إلى ذلك، نحن نأخذ "سيف الروح" الذي كما فسرهُ بولس، هو تعبير مجازي لكلمة الله. وكما ذكرت من قبل، يسوع كان خير مثال للمُحارب الروحي الذي أَسْتَغْلَ بِمَهَارَةٍ سيفه الروحي. أثناء التجربة في البرية، إذ كانت إجابته على الشيطان كل مرة مُستشهداً مُباشرةً من كلمة الله. وهكذا أيضاً نحن، إن أردنا أن نغلب الشيطان في المعركة الروحية، فلا بد وأن نعلم ونؤمن ما قاله الله، دعونا لا نقع في أكاذيبه.

لاحظ أن يسوع استخدم كلمة "سيف الروح" كألة دفاعية. والبعض يود أن يُشير إلى الذين يُحافظون منا على هذا السلاح الذي كتب عنه بولس انه آلة دفاعية أساساً لنا، فالسيف بالتأكيد هو سلاح هجومي. وهكذا، بمُجادلة وهينة، يُحاولون أن يُبرروا نظريتهم في هذه الفقرة في أفسس ٦: ١٠-١٢ وكأنه ينطبق على مسؤوليتنا للهجوم "لهدم معقل" الأرواح الشريرة في الأماكن السماوية.

ومن الواضح من قراءة السبب الذي لأجله طلب بولس من المسيحيين أن يضعوا عليهم سلاح الله (الذي يجعلهم "يصمدون ضد مُخططات الشيطان")، فنحن نعلم أنه يتكلم عن استخدامنا الدفاعي للسلاح وبالإضافة إلى ذلك، إن السيف يمكن أن يُؤخذ كسلاح دفاعي، وكذلك يصد ويحمي من هجمات سيف الخصم.

ولجانِب ذلك، ينبغي أن نبقى حرسين لئلا ننزع التشبيه المجازي بكامله، حين نُحاول نزع أجزاء مختلفة من أهمية السلاح التي لا وجود لها في واقع النص. وعندما نبدأ المُجادلة عن طبيعة الدفاع والهجوم للسيف، فمن المُرجح أننا "نفسر المثل لأبعد من الواقع" حيث ننحت في الأجزاء المجازية الدقيقة التي لم يُقصد تشريحها.

ولكن ألم يُرشدنا يسوع لـ "تقيّد القوي"؟

ف نجد في الكتاب المقدس ثلاثة مرات أن يسوع ذكر "تقيّد القوي" وليس في أي من هذه الحالات الثلاثة، حدث أن طلب يسوع من أتباعه أن "تقيدهم للقوي" هو أمر عليهم أن يُمارسوه. دعونا نُدرس بالتدقيق لما قاله يسوع، ودعونا نقرأ ما قاله في السياق:

وَأَمَّا الْكُتْبَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، فَقَالُوا: إِنَّ بَعْلَزَبُولَ يَسْكُنُهُ، وَإِنَّهُ بِرَأْسِ الشَّيَاطِينِ يَطْرُدُ الشَّيَاطِينِ! ٢٢

فَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُمْ بِالْأَمْثَالِ، قَالَ: كَيْفَ يَقْدِرُ شَيْطَانٌ أَنْ يَطْرُدَ شَيْطَانًا؟ ٢٣

فَإِذَا انْقَسَمْتَ مَمْلَكَةً مَا عَلَى ذَاتِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تَصْمُدَ. ٢٤

وَإِذَا انْقَسَمَ بَيْتٌ مَا عَلَى ذَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصْمُدَ. ٢٥

فَإِذَا انْقَلَبَ الشَّيْطَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَانْقَسَمَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصْمُدَ، بَلْ يَنْتَهِي أَمْرُهُ! ٢٦

لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ قَوِيٍّ وَيَنْهَبَ أَمْنِعَتَهُ إِلَّا إِذَا "قَيَّدَ الْقَوِيَّ أَوَّلًا". وَبَعْدَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ. ٢٧

الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ جَمِيعَ الْخَطَايَا تُغْفَرُ لِنَبِيِّ الْبَشَرِ، حَتَّى التَّجَادِيفُ الَّتِي يُجَدِّفُونَهَا. ٢٨

وَلَكِنْ مَنْ يُجَبِّفُ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَلَا عُفْرَانَ لَهُ أَبَدًا، بَلْ إِنَّهُ يَقَعُ تَحْتَ عِقَابِ خَطِيئَةٍ أَبَدِيَّةٍ. ٢٩

ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ رُوحًا نَجِسًا يَسْكُنُهُ! ٣٠

(مرقس ٣: ٢٢-٣٠).

لاحظ أن يسوع لم يكن ليُعلم أتباعه أن يربطوا الشخص القوي. ولكن، كان رداً على نقد الكتبة في اورشليم بمنطق لا يمكن تعويضه وتعبيراً مجازياً واضحاً.

فقد اتهموه بإخراج الشياطين باستخدامه قوى الشيطان. وأجاب بقوله إن الشيطان سيكون غبي ليعمل ضد نفسه. لا يمكن لذلك أن يُجادل ذلك.

إن لم تكن قوة الشيطان التي استخدمها يسوع ليُخرج شياطين، حينها قوة من كان يستخدمها؟ فلا بد وأنها كانت قوة أقوى من قوة الشيطان. فلا بد وأنها كانت قوة الله، قوة الروح القدس. ولذلك يسوع كان يتحدث بشكل مجازي عن الشيطان، مُقارناً إياه بالرجل القوي الذي يحرس ممتلكاته. والوحيد القادر على أخذ ممتلكات الرجل القوي سيكون من هو أقوى منه، وهنا حدد ذلك بنفسه. وهذا كان الشرح الحقيقي لقدرته على إخراج الشياطين.

وهذه الفقرة تذكر أن الرجل القوي، كما الأمثال المُشابهة المذكورة في متى ولوقا، لا يمكن أن تُستخدم لثبّر "ربطنا (تقييدنا) للأقوياء" في المُدن. وبالإضافة إلى ذلك، عندما نختبر باقي العهد الجديد، فلن نجد أي أمثلة لأي شخص قد "قَيَّدَ الأقوياء" على المُدن، أو أي إرشادات لأي شخص يفعل ذلك. وهكذا يمكننا أن نخرج بخلاصة أنه ليس بالامر الكتابي لأي مسيحي كما يفترض البعض تجريد القوى أو محاولة ربط "الأرواح الشريرة" عن مدينة أو منطقة جغرافية مُعينة.

وماذا عن "الربط على الأرض وفي السماء"؟

وذكرت مرتين فقط في الإنجيل حسب متى كلمات يسوع حيث قال "ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً [رُبطاً] في السماء، وما تحلونه على الأرض، يكون محلول [أو تم حله] في السماء.

هل كان يسوع بذلك يُعلمنا أنه يمكننا أو يتوجب علينا "ربط" الأرواح الشريرة في الهواء؟

أولاً، دعونا نأخذ في الاعتبار كلماته عن الربط والحل. فمن الواضح أن استخدام يسوع لهذه الكلمات هو مجازي، حيث أنه بالتأكيد لم يقصد على أتباعه أن يأخذوا حبلاً أو أسلاكاً ويربطون حرفياً أي شيء أو حرفياً يحلون أي شيء كان مربوطاً بالأحبال والأسلاك المادية. ولذلك، ماذا كان قصد يسوع؟

وللإجابة على السؤال، يجب أن ننظر الى استخدامه لكلمات الربط والحل من داخل سياق ما كان يتحدث عنه في ذلك الوقت. هل كان يتحدث عن موضوع الأرواح الشريرة؟ وإن كان ذلك، فيمكن أن نستنتج أن كلماته عن الربط تنطبق على ربط الأرواح الشريرة.

دعونا نفحص الفقرة الأولى حين ذكر يسوع الربط والحل:

فَسَأَلَهُمْ [يسوع]: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا^{١٥}

فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ قَائِلاً: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!^{١٦}

فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا. فَمَا أَعْلَنَ لَكَ هَذَا لَحْمٌ وَدَمٌ، بَلْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.^{١٧}

وَأَنَا أَيْضاً أَقُولُ لَكَ: أَنْتَ صَخْرٌ. وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا!^{١٨}

وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ: فَكُلُّ مَا تَرَبِّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ، يَكُونُ قَدْ رُبِّطَ فِي السَّمَاءِ؛ وَمَا تَحُلُّهُ^{١٩} عَلَى الْأَرْضِ، يَكُونُ قَدْ حُلَّ فِي السَّمَاءِ!

(متي ١٦: ١٥-١٩).

ليس هناك أي شك أن هذه الفقرة يتم تفسيرها بطرق عديدة، وهي تحتوي على الأقل على خمسة تعابير مجازية: (١) "لحم ودم" (٢) "صخر" (٣) "أبواب الجحيم" (٤) "مفاتيح ملكوت السماوات" (٥) "الربط/والحل". وكل من هذه التعابير مجازية، وتحدث عن شيء آخر.

أبواب الجحيم

فبغض النظر عن المعنى الدقيق للتعبير المجازي في هذا الحديث، يمكنك أن ترى في هذه الفقرة أن يسوع لم يذكر بتاتاً الأرواح الشريرة. وأقرب ما ذكره لذلك هو "أبواب الجحيم"، والتي بالطبع هي رمزية، حيث أنه ليس هناك أي مجال للتفكير بأبواب الجحيم حرفياً أن تقدر على منع امتداد الكنيسة.

فماذا تمثل "أبواب الجحيم"؟ ربما هي رمز لقوى الشيطان، ويسوع كان يقصد أن قوى الشيطان لن تستطع على إيقاف بناء كنيسته. أو لربما كان يسوع بذلك يعني أنه سيبنى الكنيسة التي ستحفظ الناس من مصير سجنهم الابدي خلف أبواب الجحيم.

لاحظ أن يسوع كان في الحقيقة يُشير إلى نوعين من الأبواب: أبواب الجحيم، وأبواب السماء، المتضمن إعطائه لبطرس "مفتاح أبواب السماء". وهذا يتناقض مع مُدعمات فكرة يسوع في كلامه عن أبواب الجحيم على أنها تمثل دور الكنيسة في الحفاظ على الناس من الجحيم.

حتى وإن كان ما عناه يسوع هو أن "كل قوى الشيطان لن تقدر على إيقاف كنيسته" فلا يمكننا أن نقفز مع ذلك لاستنتاج أن الربط والحل هم إرشادات لما ينبغي علينا عمله بالأرواح الشريرة عن المدن، لسبب بسيط وهو أننا لن نجد أي أمثلة في الإنجيل أو أعمال الرسل عن أشخاص قاموا بربط أرواح شريرة عن المدن، ولا نجد أي إرشادات في الرسائل على فعل امرأ كهذا. وعلى الرغم من ذلك نحن نُفسر كلمات المسيح عن الربط والحل، وتفسيرنا عليه أن يُكون مُدعماً بسياق بقية ما يعلمه العهد الجديد.

على ضوء غياب أي مثل كتابي، فمن الغريب كيف يردد بعض المسيحيين أقوالاً كهذه، "أنا اربط باسم يسوع" أو "أنا أحل الملائكة التي على ذلك الشخص" وهكذا. ولكنك لن تجد أي شيء من هذا القبيل في العهد الجديد. والتركيز الجوهرى في أعمال الرسل والرسائل لم يكن الحديث عن الأرواح الشريرة، ربطها أو حلها، ولكن عن الوعظ بالإنجيل والصلاة لله. وعلى سبيل المثال، عندما كان بولس الرسول يُضرب من قِبل المُرسَل (حرفياً، "الملاك") الشيطان، فلم يُحاول أن "يربطه". بل صلى لله للنجدة (أنظر كورنثوس الثانية ١٢: ٧-١٠).

مفاتيح السماء

دعونا نتفحص على نحو أعمق السياق لكلمات يسوع عن الربط والحل. لاحظ أنه بالضبط قبل ذكر يسوع للربط والحل، قال إنه أعطى لبطرس "مفاتيح ملكوت السماء". طبيعى لم يُعط لبطرس مفاتيح مادية بالمعنى الحرفى لأبواب السماء، ولذلك لا بد وأن كلمات يسوع كانت تحمل تعبيراً مجازياً. فما الذى تُمثله هذه "المفاتيح"؟ المفاتيح تُمثل بمعناها إمكانية الدخول الى مكان مُغلق. والشخص الذى يحمل هذه المفاتيح لديه قُدرات غير مُتاحة لآخرين، ليفتحوا أبواب مُعينة.

وعندما تُلقى نظرة على خدمة بطرس كما ذُكرت في سفر أعمال الرسل، فماداً نلاحظ من خدمته ما يمكن مُقارنته بفتح الأبواب المُغلقة؟

أولاً، نجد بطرس داعياً بالإنجيل، الإنجيل الذى يفتح أبواب السماء لكل الذين يؤمنون (والإنجيل هو الذى يُغلق أبواب الجحيم). بمعنى أن كل منا تم إعطاؤه أبواب لمملكة السماء، كما نحن سُفراء للمسيح. ومفاتيح مملكة السماء هي وبكل بساطة إنجيل يسوع المسيح، الرسالة التى يمكن أن تفتح أبواب السماء.

والآن، الربط والحل

وأخيراً، بعدما وعد يسوع إعطاء بطرس مفاتيح السماء، تحدث عن الربط والحل، وهو خامس تعبير مجازي في هذه الفقرة التى ندرسها.

ومن مجرى السياق للعبارة التى درسناها، ماذا كان يقصده يسوع؟ كيف ينطبق ربط وحل بطرس لبناء يسوع لكنيسته، بحفظ الناس من الجحيم، ومن جهة أخرى أن يكرزوا بالإنجيل؟

فبالحق هناك احتمالاً واحداً. فقد قال يسوع ببساطة، "أنا أعطيك السُّلطة كُـمُـثـل عن السماء. فقم بمسؤوليتك على الأرض، والسماء ستُشجعك."

فإن قال صاحب عمل لمندوب مبيعاته، "ما تفعله في بانكوك سيتم فعله في المكتب" كيف سيُفسر هذا المندوب كلمات مُديره؟ سيعتبر أنه سيُمثّل شركته في بانكوك. فكل ما كان يسوع يعنيه هو أن بُطرس تم إعطاؤه السُّلطة ليمثّل الله في السماء على الأرض. ووعدّه لبُطرس سيكون بمثابة دعماً معنوياً موثقاً، عندما يبدأ الأخير في نشر رسالة الله في أورشليم أمام أعين الكتبة والفريسيين الناقدة – وهم الذين كان يُعتقد أنهم مُمثلي الله، الذين كان يكن بُطرس لهم الوقار من قبل.

فهذا التفسير بالتحديد لكلمات يسوع يتناسب جيداً مع استخدامه الثاني لذات التعبير المذكور بعد فصلين من العبارة الأولى المذكورة في إنجيل متى:

إِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ، فَادْهَبْ إِلَيْهِ وَاعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَى انْفِرَادٍ. فَإِذَا سَمِعَ لَكَ، تَكُونُ قَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. ١٥
وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ آخَاً آخَرَ أَوْ اثْنَيْنِ، حَتَّى يَنْبُتَ كُلُّ أَمْرٍ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. ١٦
فَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، فَاعْرِضِ الْأَمْرَ عَلَى الْكَنِيسَةِ. فَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ لِلْكَنِيسَةِ أَيْضاً، فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثْنِيِّ وَجَابِي الضَّرَائِبِ. ١٧

فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كُلَّ مَا تَرِبُطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ قَدْ رُبِطَ فِي السَّمَاءِ، وَمَا تَحْلُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ قَدْ حُلَّ فِي السَّمَاءِ. ١٨
وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: إِذَا اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُم عَلَى الْأَرْضِ فِي أَيِّ أَمْرٍ، مَهْمَا كَانَ مَا يَطْلُبَانِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ١٩
فَإِنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي، فَأَنَا أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ. ٢٠

(متى ١٨: ١٥-٢٠)

ففي هذه الفقرة الثانية التي تذكر الربط والحل، فهناك لا شيء في السياق يقودنا لنؤمن أن يسوع كان يتحدث عن ربط الأرواح الشريرة. هنا يسوع تحدث عن ربط وحل مُباشر بعد التحدث عن موضوع التأديب بإطار النظام الكنسي.

ويبدو أن هذا يشير للربط والحل في هذه العبارة، فيسوع كان يعني شيئاً على النحو التالي: "أنا أعطيك مسؤولية تحديد من يجب أن يكون في الكنيسة ومن لا يجب أن يكون. تلك هي وظيفتك. وحين تُحقق مسؤولياتك، ستحميك السماء."

وعلى نطاق أوسع، ما كان يقصده ببساطة "أنت مُعين لتكون مُمثلاً للسماء على الأرض. ولديك مسؤوليات، وحين تُحققها على الأرض، ستدعمك السماء".

الربط والحل في السياق

هذا التفسير يتناسب مع السياق الحالي وكذلك السياق الأوسع لمجمل ما يعلمه العهد الجديد.

وبخصوص السياق الحالي، نلاحظ مباشرةً بعد حديثه عن الحل والربط، ما قاله يسوع "وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: إِذَا اتَّفَقَ اثْنَانِ عَلَى الْأَرْضِ فِي أَيِّ أَمْرٍ، مَهْمَا كَانَ مَا يَطْلُبَانِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ." (متى ١٨: ١٩).

وهنا مرة أخرى الموضوع هو "أن ما سيعمل به على الأرض سيكون مُدعماً من السماء." فنحن مفوضون ومسؤولون لنُصلي. وعندما نقوم بذلك، ستستجيب السماء. فكلمات يسوع "وأيضاً أقول لكم" يبدو كأنه يُشير لتوسعه بشكل أكبر لمقولته السابقة عن الربط والحل.

العبارة الأخيرة ليسوع في هذه الفقرة، "فَإِنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي، فَأَنَا أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ"، وهذا يُدعم فكرة أن "السماء ستشجعك". فعندما يجتمع مؤمنين باسمه على الأرض، فسيظهر ذلك الذي يعيش في السماء.

حتى وإن لم توافق عزيزي القارئ كليةً مع تفسيري لهذه الفقرة، فستكون عندها تحت ضغط شديد لتقدم حجة كتابية ومعقولة أن يسوع كان بكلامه يتحدث عن ربط الأرواح الشريرة الحالة على المُدن!

خطة الله الإلهية تتضمن الشيطان

الشيطان وملائكته هم جيش متمرد، ولكنهم ليسوا خارج تحكم الله. وهذا الجيش المتمرد قد خُلق من الله (بالرغم من أنهم عند خلقهم لم يكونوا متمردين). فقد كتب بولس:

إِذْ بِهِ [المسيح] خُلِقَتْ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، أَعْرُوشاً كَانَتْ أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِئَاسَاتٍ أَمْ سُلْطَاتٍ. كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ قَدْ خُلِقَ بِهِ وَلِأَجْلِهِ (كولوسي ١: ١٦).

فقد خلق يسوع الأرواح الملائكية بكل مجموعاتها، بما فيها الشيطان. هل كان يعلم أن بعضهم سيتمرّد؟ بالطبع كان يعلم. إذاً لماذا خلقهم بالأساس؟ - ذلك لأنه سيستخدمهم لمساعدته في تحقيق خطته. وإن لم يكن هناك أي غرض لهم، لأقتلعهم بكل بساطة، كما قيل لنا أنه بالفعل حدث ذلك مع بعض الملائكة المتمردين (أنظر بطرس الثانية ٢: ٤) وكما سيفعل ذات يوم بالشيطان (أنظر رؤيا ٢٠: ٢).

لله أسباب جيدة لماذا يسمح للشيطان وكل الأرواح الشريرة أن تعمل على الأرض. وإن لم يشئ ذلك، لما استطاعوا عمل أي شيء البتة. فما هي الأسباب وراء سماح الله للشيطان أن يعمل على الأرض؟ أنا لا أعتقد أننا الآدميين نفهم كل سبب، ولكن الله قد أعلن عن بعضها في كلمته.

أولاً، يسمح الله للشيطان بأن يعمل بشكل محدود على الأرض ليُحقق خطته ويختبر البشر. فالشيطان يخدم كخيار بديل لولاء الإنسانية. إن أدركوا ذلك أم لم يدركوا، فالناس إما أن تخضع لله أو للشيطان. فالله من

صرّح للشيطان أن يختبر آدم وحواء، وهما انسانان كانا يملكا الإرادة الحرة المُعطاة من الله، لكي ما يختبرهما. فكل ذوي الإرادة الحرة عليهم أن يمروا باختبار ليظهروا ما في قلوبهم، إما الطاعة واما العصيان.^{٩٣}

ثانياً، الله يسمح للشيطان أن يعمل بمحدودية على الأرض كعميل لغضبه تجاه فاعلي الشر. أنا بالفعل أثبت هذا بعرض أحداث مُعينة في الكتاب المُقدس حين جلب الله دينونة من خلال الأرواح الشريرة على هؤلاء الذين يستحقونها. والحقيقة فقط أن الله يسمح للشيطان أن يتحكم في غير المؤمنين في العالم وهذه إشارة لغضبه عليهم. فالله يُدين مجموعات الناس الأشرار بالسماح للبشر الأشرار أن يتحكموا بهم، جاعلاً حياتهم أكثر بؤساً.

ثالثاً، الله يسمح للشيطان أن يعمل بمحدودية على الأرض لتمجيد ذاته. " وَقَدْ جَاءَ ابْنُ اللَّهِ إِلَى الْأَرْضِ لِكَيْ يُبْطِلَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ (يوحنا الأولى ٣: ٨). فكل مرة يُدمر الله أحد أعمال الشيطان، هذا يُمجد قوته وحكمته.

يسوع هو رئيس الرؤساء والسلطين

نحن كمسيحيين، مسؤوليتنا الكتابية لكيفية التعامل مع الشيطان والأرواح الشريرة تكون على نحوين: لنقاومهم في حياتنا (يعقوب ٤: ٧)، ولنخرجهم من آخرين لأجل أن يتحرروا ان أرادوا (مرقس ١٦: ١٧). وكل مسيحي ذي خبرة بإخراج الشياطين من الآخرين يعرف ذلك كقاعدة عامة، إنه إن لم يُرد الشخص المُقيد من الشيطان أن يتحرر، فلن يستطع إخراج تلك الشياطين منه.^{٩٤} فالله يحترم حرية إرادة الشخص، وإن اراد شخص أن يخضع ويستسلم للأرواح الشريرة، فلن يمنعه الله من ذلك.

ومع ذلك، هناك سبب آخر لماذا لا نستطيع أن ننزع الأرواح الحالة على مناطق جغرافية. فهذه الأرواح الشريرة هناك مُقيدة أشخاصاً لأنهم اختاروا ذلك. ومن خلال دعوتنا لهم بالإنجيل، نحن نعطيهم فرصة. وإن اتخذوا الاختيار الصحيح، فسينتج عن ذلك تحررهم من الشيطان والأرواح الشريرة. ولكن إن اتخذوا الاختيار الخاطئ، فباختيارهم ألا يتوبوا، عندها سيسمح الله للشيطان أن تُقيدهم كأسرى.

وقد تم التحدث عن يسوع في الكتاب المُقدس كونه "رئيساً يحكم فوق كل السلطين" (كولوسي ٢: ١٠). وعلى الرغم من ذلك الكلمة اليونانية ليحكم (أرشي) والسلطة (إكسوزيا) وهما أحياناً يُستخدمان في وصف القادة السياسيين البشريين، الا انهما دائماً ما يستخدمان في العهد الجديد كألقاب لسلطين الأرواح الشريرة. والفقرة التقليدية عن صراع المسيحي ضد الحكام (أرشي) والسلطين (إكسوزيا) المذكور في أفسس ٦: ١٢ لهو مثلاً على ذلك.

^{٩٣} هذا المفهوم تم مناقشته بشكل تفصيلي في كتاب اختبارات الله، وهو مُتاح باللغة الإنجليزية على موقعنا

^{٩٤} فالاستثناء الوحيد لهذا القانون يكون في حالات هؤلاء الذين يتحكم بهم الشيطان وليس هناك أي طريقة لتواصل رغباتهم للتحرير. وفي هذه الحالات، المواهب الروحية المميزة ضرورية لخلاص وإحضار مواهب روحية للعمل كما ترغب الروح.

وعندما نقرأ سياق ما كتبه بولس عن كون يسوع رئيساً على الحكام والسلاطين في كولوسي ٢: ١٠، يبدو من الواضح أنه كان يتحدث عن القوى الروحية. فعلى سبيل المثال، نلاحظ أنه بتلك الفقرة وفقط بعد عدة آيات معدودة، كتب بولس عن يسوع يقول، "وَإِذْ نَزَعَ سِلَاحَ الرِّئَاسَاتِ وَالسُّلْطَاتِ، فَضَحَّهُمْ جَهَاراً فِيهِ، وَسَاقَهُمْ فِي مَوْكِهِ ظَافِراً عَلَيْهِمْ" (كولوسي ٢: ١٥).

وإن كان يسوع هو رئيس الحكام والسلاطين الروحيين، عليه فهو إلهاً عليهم. وهذا اعلان رائع للمسيحيين الذين يعيشون في الثقافات الوثنية، والذين قضوا حياتهم السابقة عابدين للأوثان بخوف من الأرواح الشريرة إذ كانوا يعلموا بسلطانها عليهم.

الطريق الوحيد للهروب

أما الطريق الوحيد للهروب من أسر الأرواح الشريرة هو التوبة والإيمان بالإنجيل. وهذا هو الخلاص الذي يمنحه الله. فلا يقدر أحد أن يربط روح شريرة عن مدينة ولا أن يُحرر أحداً لا كلياً ولا جزئياً. والى ان يتب الشخص ويؤمن بالإنجيل، فهو يبقى مرتبطاً بغضب الله (أنظر يوحنا ٣: ٣٦)، وهذا ما يشمله كونه مُقيداً بالقوى الشيطانية.

ولهذا ليس هناك أي تغيير ملحوظ يمكن قياسه في المُدن حيث تحدث مؤتمرات الحروب الروحية، لأنه لم يحدث شيئاً في الواقع من شأنه أن يؤثر بشيء على النظام الهرمي الشيطاني الذي يحكم تلك المناطق. فيمكن للمسيحيين أن يصرخوا على رؤساء والسلاطين طوال النهار والليل، ويمكنهم أن يُحاولوا دحر الشيطان بما يُدعي "بالسنة القتالية"؛ ويمكنهم أن يقولوا "أنا أربط الأرواح الشريرة الحالة على هذه المدينة" لملايين المرات؛ لا بل ويمكنهم فعل كل هذه الأمور عالياً في طائرة وعلى أعلى أذوار ناطحات السحاب (كما يفعل حقاً البعض منهم)؛ لكن الطريقة الوحيدة التي ستتأثر بها الأرواح الشريرة هي أنهم سيضحكون كثيراً على حماقة المسيحيين.

دعونا نُلقي نظرة على الخُرافة السادسة من الحرب الروحية.

الخرافة رقم # ٦: "الحرب الروحية ضد الأرواح الإقليمية (في منطقة ما) تفتح الباب لتبشير مؤثر."

الدافع للعديد من المسيحيين المتورطين في خوض حروب روحية ضد الأرواح الإقليمية هو رغبتهم في رؤية توسع ملكوت الله. ولهذا تم توصيتهم. ان تكون لكل مسيحي الرغبة في رؤية أشخاص وبازدياد يهربون من قبضة الشيطان.

لكن من المهم أن نستخدم طرق الله لبناء ملكوته. فالله يعلم ما هو فعال وما هو مجرد مضیعة للوقت. فقد أخبرنا بالتحديد ما هي مسؤوليتنا بشأن توسع ملكوته. وأن نعتقد أنه يمكننا أن نفعل شيئاً غير موجود في

الكتاب المقدس ليُضعف تأثير التبشير، الامر الذي لم يُمارسه يسوع ولا بطرس ولا بولس في خدمتهم، لهو من باب الحماسة.

لماذا العديد من المسيحيين يعتقدون أن الحرب الروحية يمكنها أن تفتح الباب لتبشير مؤثر؟ فحجتهم عادة تبدو على النحو التالي: "الشيطان قد أعمى عقول الغير مُخلصين، وعليه يتوجب علينا أن نقوم بحرب روحية ضد الشيطان لنوقفه عن إعمائهم. وحين تُمحي الغشاوة، عندها سيؤمن أشخاص آخرون بالإنجيل". أهذا صحيح؟

بالتأكيد وبلا شك أن الشيطان قد أعمى عقول الناس غير المُخلصين. وكتب بولس:

وَلَكِنْ إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَحْجُوبًا، فَإِنَّمَا هُوَ مَحْجُوبٌ لَدَى الْهَالِكِينَ، لَدَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ ٣
الَّذِينَ أَعْمَى إِلَهُ هَذَا الْعَالَمِ أَذْهَانَهُمْ حَتَّى لَا يُبْصِرَ لَهُمْ نُورُ الْإِنْجِيلِ الْمُخْتَصِّ بِمَجْدِ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ صُورَةُ ٤
اللَّهِ.

(كورنثوس الثانية ٤: ٣-٤)

والسؤال هنا، هل أعطى بولس هذه المعلومة للمسيحيين من أهل كورنثوس بغرض دفعهم للحرب الروحية ودحر المناطق الروحية حتى يصبح غير المُخلصين هناك أكثر تقبلاً؟

الإجابة هي لا، ولعدة أسباب واضحة.

السبب الأول، أن بولس لم يذهب ليقول "وهكذا يا أهل كورنثوس، بسبب أن الشيطان قد أعمى عقول غير المؤمنين، أنا أريدكم أن تخوضوا حرب روحية وتدحروا المناطق الروحية لكي يُزال هذا العمى". ولكن في العبارة التالية كان يعظ المسيح، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي تزيل العمى الروحي.

ثانياً، ليس في أي من رسائل بولس ارشاداً لأي مؤمن للتورط في هدم حصون مدنهم على انه سينتج عن ذلك زيادة احتمالية للتبشير.

ثالثاً، نحن نعلم من قراءتنا لكل رسائل بولس أنه لم يؤمن بأن اعماء الشيطان هو السبب الأساسي لإبقاء غير المؤمنين على حالهم غير مؤمنين. فعمى الشيطان هي حقيقة مُساهمة، ولكنها ليست الحقيقة الوحيدة. والحقيقة الأساسية هي أن الناس غير المؤمنين قد صلبوا قلوبهم. وهذا واضح ولسبب بسيط وهو أن الشيطان غير قادر على الحفاظ على اتباعه بالعمى الدائم. فالبعض عندما يسمعون الحقيقة، يؤمنون بها، وهكذا يرفضون كل الأكاذيب التي سبق وصدقوها. فليس إعماء الشيطان ما يُسبب لعدم إيمانهم، الا أن عدم إيمانهم هو ما يسمح للشيطان أن يعميهم.

القلوب القاسية

وفي رسالته لأهل أفسس، شرح بولس الرسول بالتحديد لماذا الغير مؤمنين بقوا على حالهم غير مؤمنين:

أَقُولُ هَذَا إِذْنُ، وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ، رَاجِئاً أَلَّا تَسْلُكُوا فِيمَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ الْأُمَمُ فِي عُثْمِ ذَهْنِهِمْ،^{١٧}
لِكُونِهِمْ مُظْلِمِي الْبَصِيرَةِ وَمُتَغَرِّبِينَ عَنْ حَيَاةِ اللَّهِ بِسَبَبِ مَا فِيهِمْ مِنْ جَهْلِ وَقَسَاوَةِ قَلْبٍ^{١٨}
فَهَؤُلَاءِ، إِذْ طَرَحُوا جَانِباً كُلَّ إِحْسَاسٍ، اسْتَسَلَّمُوا لِلِابَاحِيَّةِ لِيَرْتَكِبُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ بِشَهْوَةِ نَهْمَةٍ لَا تَرْتَوِي.^{١٩}
(أفسس ٤: ١٧-١٩).

وقال بولس أن غير المؤمنين مغيبون عن حياة الله بسبب "الجهل الذي في داخلهم." ولكن لماذا هم جاهلون؟
لماذا "فهمهم مظلم"؟ والإجابة هي "بسبب صلابة قلوبهم." فقد أصبحوا "قُساة." وهذا هو صلب المشكلة
والسبب الأساسي لماذا بقوا غير مُخلصين.^{٢٥} فهم يحملوا وزر أنفسهم. والشيطان يعمل بلا توقف على
امدادهم بالكاذيب التي يُريدون تصديقها.

فمثل يسوع للزارع والبذور يجسد هذا المفهوم بشكل جيد:

خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ بِذَارَهُ. وَبَيْنَمَا هُوَ يَزْرَعُ، وَقَعَ بَعْضُ الْبُذَارِ عَلَى الْمَمَرَّاتِ، فَدَاسَتْهُ الْأَقْدَامُ، وَالتَّهَمَّتُهُ
طُيُورُ السَّمَاءِ.^{٢٠}
وَهَذَا مَعْرَى الْمَثَلِ: الْبُذَارُ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ.^{٢١}

وَمَا وَقَعَ عَلَى الْمَمَرَّاتِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ (الكَلِمَةَ)، ثُمَّ يَأْتِي إبْلِيسُ وَيَخْطَفُ الْكَلِمَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ لئَلَّا يُؤْمِنُوا^{٢٢}
فَيَخْلُصُوا.

(لوقا ٨: ٥، ١١-١٢)

لاحظ أن البذور، التي تُمثل الإنجيل، قد سقطت على الطريق وهناك داستها الأقدام. فلم يمكنها أن تخرق
التربة من كثرة ما مشي عليها الناس. وهكذا كان من السهل على الطيور، والتي تُمثل هنا الشيطان على
سرقة البذور.

فالهدف من المثل بأكمله هو المُقارنة ما بين أوضاع قلوب الناس (من حيث قبولهم لكلمة الله) وبين أنواع
مُختلفة للتربة. واطهر يسوع السبب الذي لأجله يؤمن بعض الناس وفي حين أن آخرين لا يؤمنون: كل
الامر يعتمد عليهم.

كيف تظهر شخصية الشيطان في الصورة؟ هو الوحيد القادر على سرقة الكلمة من ذوي القلوب القاسية.
والطيور في المثل كانت سبباً ثانوياً لعدم انبات البذور. والمشكلة الأساسية كانت تتعلق بالتربة، وفي
الحقيقة، صلابة التربة هي التي جعلت وصول الطيور لالتقاط البذور أمراً ممكناً.

والامر ذاته يحدث حقاً مع الإنجيل. فالمشكلة الحقيقية هي في القلوب القاسية الخالية من العوامل الأخلاقية.
فهم يُفضلون أن يؤمنوا بكاذيب بدلاً من الحقيقة. وكما ذكر يسوع، "إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ
أَحَبُّوا الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِّيرَةً" (يوحنا ٣: ١٩).

^{٢٥} فوصف بولس لغير المؤمنين في رومية ١: ١٨-٣٢ يُدعم بذات المفهوم.

الكتاب المقدس لا يقودنا لنؤمن أن الناس مُخلصين وطيبين القلوب، الذين سيؤمنون حقاً بالإنجيل فقط إذا ما توقف الشيطان عن اعماءهم. وعلى العكس، فقد رسم لنا الكتاب المقدس صورة متدنية جداً لشخصية الإنسان، وسيُحاسب الله كل فرد على شدة أخطائه. الله الجالس على العرش، لن يقبل أي أعذار لإنسان يقول: " الشيطان جعلني أفعل ذلك."

كيف يعمي الشيطان عقول الناس

وبالتحديد، كيف يعمي الشيطان عقول الناس؟ هل له قوة روحية غريبة تصب مثل جرعة الدواء على رؤوس الناس لتعتّم فهمهم؟ هل يحفر الشيطان حفرة في رؤوس الناس ليُعتّم فهمهم؟ هل يغرز الشيطان مخالفه في عقولهم، قاطعاً دوائر التفكير العقلاني؟ لا، الشيطان يعمي الناس عن طريق إمدادهم بالكاذيب ليؤمنوا بها.

فمن الواضح، إن كان الناس حقاً يؤمنون بحقيقة أن يسوع هو ابن الله الذي مات من أجل خطاياهم، وإن كانوا حقاً يؤمنون بأنهم يوماً ما سيقفون أمامه ليُعطوا حساباً على حياتهم، حينها سيتوبون ويصبحون أتباعاً له. ولكنهم لا يؤمنون بهذه الحقيقة. وفي الوقت ذاته هم يؤمنون بشيء آخر. فلربما يؤمنون أنه ليس هناك إله، أو أن ليس تمت حياة بعد الموت. وربما يعتقدون أن أعمالهم الدينية ستوصلهم للسماء. ولكن بغض النظر عما يؤمنون به، إن لم يكن الإنجيل هو ما يؤمنون به، فيمكن أن يُلخص مجمل إيمانهم بكلمة واحدة: أكاذيب. فلأنهم لا يؤمنوا بالحقيقة، هكذا يبقي الشيطان عقولهم عمياء من خلال الأكاذيب. ولكن إن تواضعوا وآمنوا بالحقيقة، فلن يستطيع الشيطان أن يعميهم.

أكاذيب الظلمة

يُشار إلى مملكة الشيطان في الكتاب المقدس بمملكة الظلمة بـ "سُلْطَةِ الظلمة" (كولوسي ١: ١٣). فالظلمة، بالطبع تُمثل غياب الحقيقة – غياب النور أو الاستنارة. وحين تكون في الظلمة، فأنت تتحرك بمخيلتك وعادةً ما ينتهي بك الأمر لتجريحك. وهكذا تعمل مملكة الظلمة. فكل الذين ينتمون إليها يُحركون حياتهم بمقتضى تخيلاتهم، وخيالاتهم ملوثة بأكاذيب الشيطان. فهم يقعون في ظلمة روحية.

أفضل تعريف لمملكة الشيطان وهي أنها ليست مملكة جغرافية بحدود واضحة، ولكن كمملكة للإيمان – الإيمان في الأكاذيب. أما من الناحية الجغرافية فإن مملكة الظلمة تقع بنفس المكان حيث مملكة النور. وهؤلاء الذين يؤمنون بالحقيقة ويعيشون بالحقيقة يعيشون وسط هؤلاء الذين يؤمنون بالأكاذيب.^{٩٦} فمهمتنا الأساسية هي إعلان الحقيقة لهؤلاء الناس الذين يؤمنون بالأكاذيب.

^{٩٦} فهو بالطبع حقيقة أن في المناطق الجغرافية المختلفة، هناك نسب أعلي أو أقل من الناس في أي مملكة.

فعندما يؤمن شخصاً ما بالحقيقة، سيخسر حينها الشيطان واحداً من عناصره لأنه لم يعد قادراً بعد على خداعه.

وهكذا خَلَصَ غير المؤمنين وأصبحوا أحراراً من عبودية الشيطان، وليس بربط الأرواح الشريرة عنهم، بل بإعلان الحقيقة لهم. فقد قال يسوع "وَنَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ" (يوحنا ٨: ٣٢). فالحقيقة قد ازالَت العمي الروحي.

وفى ذات الفقرة من إنجيل يوحنا، قال يسوع لمُستمعيه غير المُخلصين:

إِنَّكُمْ أَوْلَادُ أَبِيكُمْ إِبْلِيسَ، وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَعْمَلُوا شَهَوَاتِ أَبِيكُمْ. فَهُوَ مِنَ الْبَدْءِ كَانَ قَاتِلاً لِلنَّاسِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ خَالَ مِنَ الْحَقِّ! وَعِنْدَمَا يَنْطِقُ بِالْكَذِبِ فَهُوَ يَنْصَحُ بِمَا فِيهِ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذِبِ! أَمَّا أَنَا فَلَأَيُّ أَقُولُ الْحَقَّ، لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي. ٥٠

(يوحنا ٨: ٤٤-٤٥)

لاحظ التناقض الذي عمله يسوع بينه وبين الشيطان. فهو يتحدث بالحقيقة؛ والشيطان هو الكذاب الأعظم.

لاحظ أنه على الرغم من أن يسوع أخبر مستمعيه أن أباهم هو الشيطان، فهو قد أفصح عن الشيطان ككذاب، ولكنهم هم مسؤولين عن إيمانهم بالحقيقة التي تحدث عنها. فليس الخطأ من الشيطان أنهم كانوا عميان – وانما ذلك هو خطأهم. لذلك فقد حملهم يسوع المسؤولية. والشيطان دائماً على استعداد ليعاون الذين "يحبون الظلمة" ليبقوا في الظلمة وذلك عن طريق تزويدهم بالكاذب ليؤمنوا بها. ولكن الشيطان لا يمكنه خداع كل من يؤمن بالحقيقة.

وعليه، فإن الطريقة الأساسية التي يمكننا بها أن نتصدى لمملكة الظلمة هي بنشرنا للنور – حقيقة كلمة الله. وهكذا فلم يقل لنا يسوع "أذهبوا للعالم وقيدوا الشيطان" ولكن "أذهبوا إلى العالم وعظوا الإنجيل". فقد قال يسوع لبولس أن الغرض من وعظه هو "لِتَفْتَحَ عُيُونُهُمْ (الناس) كَيْ يَرْجِعُوا مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ، وَمِنْ سَيِّطَرَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ" (أعمال الرسل ٢٦: ١٨). وهذا يوضح أن الناس يهربون من سيطرة الشيطان عندما يُظهرون حقيقة الإنجيل، حينها يتخذون القرار لتترك الظلمة واللجوء الى النور، مؤمنين بالحقيقة بدلاً من الكذب. والحصون الوحيدة التي قد نهدمها هي حصون الكذب التي يبنوها الناس في عقولهم.

هذه هي خطة الله

لا تنسى أن الله هو الذي أخرج الشياطين من السماء وانزله إلى الأرض. فقد كان بإمكانه أن يضع الشيطان في أي مكان آخر في الكون أو سجنه للأبد. ولكنه لم يفعل ذلك. لماذا؟ لأن الله أراد أن يستخدم الشيطان ليحقق هدفه الأسمى – الهدف الذي يوماً ما ستكون فيه عائلة كبيرة خالية من العوامل اللاأخلاقية، وإنما مُحبة له وتختار أن تخدمه.

إن أراد الله عائلة من أبناء يحبوه، فهناك مطلبان عليهما أن يتوفرا. أولاً، أن يخلق الناس بإرادة حرة، لأن أساس الحب هو الإرادة الحرة. فالإنسان الآلي والماكينات لا تستطيع أن تُحب.

ثانياً، كان عليه أن يختبرهم في بيئة حيث سيواجهون اختيار ما بين الطاعة أو عدم الطاعة، أن يحبوه أو أن يكرهوه. فالعناصر الأخلاقية الحرة عليها أن تُختبر. فإن كان هناك اختباراً للولاء، فلا بد وأن يكون هناك وجود لعدم الولاء. وهكذا، نبدأ بفهم لماذا وضع الله الشيطان على الأرض. فالشيطان يخدمه كخيار بديل لولاء الإنسانية. وسيكون مُصرح له (بمحدودية مُعينة) ليؤثر على كل شخص يتقبل الأكاذيب. وكل شخص سيواجه الاختيار: هل سأصدق الله أم الشيطان؟ هل سأخدم الله أم الشيطان؟ أدركت الناس هذا أم لم يدركوا، فقد اتخذوا القرار بالفعل. ومهمتنا هي تشجيع الذين اتخذوا القرار الخاطئ ليتوبوا ويؤمنوا بالإنجيل، مُتخذين القرار الصحيح.

أليس هذا ما حدث في جنة عدن؟ حيث وضع الله شجرة معرفة الخير والشر هناك وبعد ذلك حرم على آدم وحواء أن يأكلا منها. فإن لم يرد الله منهما أن يأكلا منها، فلماذا وضعها هناك؟ والإجابة هي أنها كانت تخدم الاختبار.

نحن نلاحظ أيضاً أنه قد سُمح للشيطان بإغراء حواء من قبل الله. ولمرة أخرى، إن كان للولاء أن يُختبر، فلا بد وأن وجود الإغراء هو عدم ولاء. فالشيطان كذب على حواء وهي قد صدقته، وفي ذات الوقت قررت ألا تُصدق ما قاله الله. والنتيجة؟ أول ما ظهر من العناصر الأخلاقية الحرة كان عدم الولاء الموجود في قلوبهم.

وهكذا وعلى هذا النحو فإن كل المخلوقات التي تتمتع بأخلاق حرة تم اختبارها طوال حياتها. فالله أظهر ذاته من خلال خليقته، وكذلك لكل شخص أعطيت الفرصة لأن يرى أن هناك إله عظيم موجود (أنظر رومية ١: ١٩-٢٠). فالله أعطي كل منا ضمير وفي قلوبنا نعلم ما هو صحيح وما هو خطأ (أنظر رومية ٢: ١٤-١٦). فالشيطان وأرواحه الشريرة مُصرح لهم، في محدودية أخلاقية مُعينة، ليكذبوا ويغروا الناس. والنتيجة هي أن على كل عنصر أخلاقي حر أن يتم اختباره.

والحقيقة المُحزنة هي أن كل عنصر أخلاقي حر قد تمرد و "بذل حقيقة الله بكذبة" (رومية ١: ٢٥). فيمكن أن نشكر الله، لأنه قدم فدية من أجل خطايانا والطريق للولادة في عائلته. فموت يسوع الكفاري هي الإجابة الوحيدة لمشكلتنا.

خداع الشيطان الآن ولاحقاً

نحن الآن نفهم سبب واحد على الأقل لماذا صُرح للشيطان وجيشه المتمرد العمل على هذا الكوكب: بغرض خداع هؤلاء الذين يحبون الظلمة.

هذه الحقيقة يمكن التحقق منها أكثر عندما نأخذ في الاعتبار سفر الرؤيا، فسيُقيد الشيطان يوماً ما بأغلال ويُسجن لمدة ألف عام. فما هو السبب لسجنه؟ "حَتَّى يَكْفَ عَنْ تَضْلِيلِ الْأُمَمِ" (رؤيا ٢٠: ٣). وأثناء هذه الألفية، سيحكم يسوع بنفسه على العالم من أورشليم.

ولكن بعد الألف عام، سيُحرر الشيطان لمدة قصيرة من الزمن. والنتيجة؟ هي "فَسَيُخْرَجُ لِيُضِلَّ الْأُمَّةَ فِي رَوَايَا الْأَرْضِ الْأَرْبَعِ" (رؤيا ٢٠: ٨).

وإن لم يُرد الله للشيطان أن يخدع الناس في ذلك الوقت، فعلاماً سيُحرره؟ خاصة على ضوء حقيقة أن الله في الأصل سجن الشيطان "لكيلا يخدع الأمم بعد ذلك؟"

بالطبع يُفضل الله ألا يخدع الشيطان أي أحد. ولكنه يعلم أن الناس الذين يستطيع الشيطان أن يخدعهم هم الذين لا يؤمنون بما قاله. فالشيطان يمكنه فقط أن يخدع الذين يقاومون الحقيقة، وهذا هو السبب الذي لأجله قد صرح الله له بالعمل الآن، ولذات السبب سيصرح له بالعمل لاحقاً. وبعدها يخدع الشيطان الناس، تصبح حالة قلوبهم واضحة، وحينها يمكن لله أن يفصل "القمح عن الزوان" (متى ١٣: ٢٤-٣٠).

هذا بالتحديد ما سيحدث في نهاية الألف عام عندما يُطلق الشيطان حراً من أسره. فسيقوم بإخضاع كل من يُحب الظلمة، وحينها سيجمع محبي الظلمة جيوشهم حول أورشليم لمحاولة خلع يسوع من الحكم. سيعرف الله بالضبط من يحبه ومن يكرهه، وهكذا سيُرسل في الحال "نار من السماء" "لتأكلهم" (رؤيا ٢٠: ١٠). الشيطان سيخدم غرض الله كما يحدث الآن. ولهذا السبب ومن بين أسباب أخرى عدة، لمن الحماسة التفكير بأنه يمكننا "تدمير معسكرات روحية". الله يسمح لها بالعمل لأسبابه الخاصة.

التبشير الإنجيلي

الحقيقة الساطعة هي أن لم يمارس يسوع ولا أي من رُسل العهد الجديد هذا النوع من الحرب الروحية، كما يتدعى البعض على أن هذا هو المفتاح المفقود للتبشير المؤثر اليوم. فلا نجد يسوع، بطرس، يوحنا، أسطفانوس، ولا بولس "يدمرون حصوناً" أو "يُقيدون الأقوياء" عن المدن التي وعظوا فيها. ولكن، نجدهم قد أتبعوا قيادة الروح القدس بشأن المكان الذي يُريده لهم أن يعظوا به؛ ونعرف انهم أعلنوا الإنجيل البسيط – داعين الناس للتوبة والإيمان بالمسيح – ونجدهم يستمتعون بنتائج رائعة. وفي المرات التي بها قد وعظوا لأناس غير مُتقبلين، لم نجدهم "يدخلون في حرب روحية لكي يكف عماء قلوبهم". ولكننا نجدهم يفعلون ما قد أوصوا، إذ قال لهم "اَخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ، وَانْفُضُوا الْعُبَارَ عَنْ أَقْدَامِكُمْ"، هكذا فعلوا كما أوصاهم يسوع وذهبوا للمدينة التالية (أنظر متى ١٠: ١٤)؛ أعمال الرسل ١٣: ٥).

فمن العجيب أن أي شخص يمكنه الادعاء أن "تدمير الحصون" و "تقييد الأقوياء" هو شرط أساسي لنجاح التبشير في حين أن هناك الآلاف من الأمثلة العظيمة في تاريخ الكنيسة حيث لم تمارس فيها أي من هذه "الحروب الروحية" البتة.

وقد يقول البعض "تقنياتنا تعمل!". "فمنذ أن بدأنا هذا النوع من الحرب الروحية، خُلص الكثيرين من الناس وهذا يزيد بكثير عما كان عليه من قبل."

فإن كان ذلك صحيحاً، سأشرح لك لماذا. ذلك لأن هناك صلوات كتابية وتبشير قد حدثت في ذات الوقت، أو لأن مجموعة من الناس فجأة أصبحوا مُتقبلين للإنجيل.

ماذا سأقول لك إن أخبرك مُبشر، "الليلة، وقبل أن أعظ في خدمة نهضة (انتعاش)، أكلت ثلاثة قرون من الموز. وعندما وعظت، ستة عشرة من الحاضرين قد خَلصوا! وهكذا أخيراً وجدت السر للتبشير الفعال! ومن الآن، أنا سأكل ثلاثة قرون من الموز قبل أن أعظ!"

فبال تأكيد يمكنك أن تقول لهذا الواعظ أن "أكلك للموز ليس له علاقة بخلاص ستة عشر شخصاً. ولكن مفتاح نجاحك هو أنك وعظت الإنجيل، وهؤلاء الستة عشر كانوا مُتقبلين."

فالله يحترم كلمته. فإن أعطى الله وعداً، وحقق شخص الشروط لهذا الوعد، سيُحافظ الله على وعده، حتى وإن كان هذا الشخص يفعل أشياء أخرى غير كتابية.

والامر صحيح مع ممارسات الحرب الروحية الحالية. فإن بدأت بنشر النُبذ و"مقيداً للأقوياء" عن المدن، نسبة مُعينة من الناس ستخلص. وإن بدأت بنشر النُبذ بدون أن تقيد أياً من الأقوياء، سيخلص من الناس بنفس النسبة أيضاً.

كيف تُصلي كتابياً من أجل الحصاد الروحي

كيف يمكن أن نُصلي للناس الغير المُخلصين؟ -أولاً، علينا أن نفهم، أنه ليس هناك أي إرشادات في العهد الجديد تُعلمنا أن نصلي لكي ما يُخلص الله أشخاصاً، وليس هناك أي ذكر للمسيحيين الأوليين انهم صلّوا بهذه الطريقة. والسبب من وجهة نظر الله، هي انه قد فعل كل ما عليه فعله لكي يخلص كل نفس في العالم. فرغبته لهم للخلاص هي رغبة عظيمة (تيموثاوس الأولى ٢: ٤)، ولذلك قدم ابنه للموت على الصليب.

لكن لماذا لم يخلص بعد كل انسان؟ -السبب بذلك أنه ليس كل شخص قد آمن بالإنجيل. ولماذا لا يؤمنون؟ فهناك سببين: (١) إما انهم لم يسمعوا بالإنجيل بعد، أو (٢) قد سمعوا بالإنجيل ورفضوه.

ولهذا فإن طريقة الكتاب المقدس للصلاة لغير المُخلصين هي الصلاة على اعتبارهم أنهم لم ينالوا بعد فرصة سماع الإنجيل. فعلى سبيل المثال، أخبرنا يسوع "أَنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّ الْعُمَّالَ قَلِيلُونَ، فَتَضَرَّعُوا إِلَى رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يَبْعَثَ عُمَّالاً إِلَى حَصَادِهِ" (لوقا ١٠: ٢). ولكي يسمع الناس الإنجيل ويخلصوا، لابد وأن يُكرز لهم ببشارة الإنجيل. ولذلك علينا أن نصلي لكي ما يُرسل الله أشخاصاً يكرزوا لهم.

وحين صلت الكنيسة الأولى بخصوص الحصاد الروحي، صلوا هكذا: "وَالآنَ انْظُرْ، يَا رَبُّ، إِلَى تَهْدِيدِهِمْ، وَهَبْنَا نَحْنُ عَيْدِكَ أَنْ نُعْلِنَ كَلَامَكَ بِكُلِّ جُرَاةٍ، وَمَدَّ يَدَكَ لِلشِّفَاءِ، كَيْ تُجْرَى مُعْجَزَاتٌ وَعَجَائِبُ بِاسْمِ فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ (أعمال الرسل ٤: ٢٩-٣٠).

فهم يطلبون إما لأجل (١) فرص لكراسة الإنجيل بجرأة أو (٢) جرأة لإعلان الإنجيل أثناء الفُرص التي أعطيت لهم. فهم يتوقعون أيضاً من الله أن يؤكد الإنجيل بالشفاءات، والآيات والعجائب. فهذه هي الصلوات الكتابية، ولاحظ أن الهدف كان إعطاء الناس فرص لسماع الإنجيل. فاستجاب الله لصلواتهم: " وَفِيمَا هُمْ يُصَلُّونَ ارْتَجَّ الْمَكَانُ الَّذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ، وَامْتَلَأُوا جَمِيعاً بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ، فَأَخَذُوا يُعْلِنُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ بِكُلِّ جُرَاةٍ" (أعمال الرسل ٤: ٣١).

كيف أعتقد بولس أنّ على المسيحيين ان يصلوا بخصوص حصاد روحي مثمر؟ هل أرشدهم للطلب من الله خلاص الناس. لا، دعونا نقرأ ما قاله:

وَبَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، صَلُّوا لِأَجْلِنَا، لِنُنَشِّرَ كَلِمَةَ الرَّبِّ بِسُرْعَةٍ وَتَتَمَجَّدَ كَمَا هِيَ الْحَالُ عِنْدَكُمْ (تسالونيكي الثانية ٣: ١).

وَلِأَجْلِي كَيْ أُلْهِمَ مَا أَنْطِقُ بِهِ كُلَّمَا فَتَحْتُ فَمِي لِأُعْلِنَ بِجُرْأَةٍ سِرَّ الْإِنْجِيلِ^{١٩}
الَّذِي أَنَا سَفِيرُهُ الْمُقَيَّدُ بِالسَّلَاسِلِ، فَأَكُونُ جَرِيئاً فِي إِعْلَانِهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ.^{٢٠}
(أفسس ٦: ١٩-٢٠).

إن خُصَّ الناس أم لا الآن ذلك يتعلق بهم وليس بالله، ولذلك صلواتنا يجب أن تكون من أجل أن يسمع الناس الإنجيل ومن أجل أن يُساعدنا الله على كرازته. فالله سيستجيب لصلواتنا، ولكن ما زال هناك عدم ضمان لخلاص كل شخص، لأن الله يعطي الناس الحق الاختيار بأنفسهم. وهكذا فإن خلاصهم مبني على رد فعلهم للإنجيل.

الخُرَافَة # ٧ حين يُخطئ المسيحي، فهو يفتح الباب للشيطان ليأتي ويعيش بداخله."

ومن الحقيقة أنه عندما يُخطئ المسيحي، وقد يكون ذلك بسبب أنه خضع لإغراء الروح الشريرة. خضع لاقتراح الروح الشريرة، ولكن هذا لا يعني أن الروح الشريرة بذاتها قادرة على الدخول الى داخل المؤمن. وعندما نُخطئ كمسيحيين، فنحن نقطع علاقتنا مع الله بسبب عصياننا إياه (أنظر يوحنا الأولى ١: ٥-٦). ويتألبنا الشعور بالذنب، ولكن على الرغم من قطع علاقتنا معه لحين، فنحن مازلنا أولاداً له. وإن اعترفنا بخطايانا كما مكتوب "وَلَكِنْ، إِنِ اعْتَرَفْنَا بِهِ بِخَطَايَانَا، فَهُوَ جَدِيرٌ بِالْثَقَّةِ وَعَادِلٌ، يَغْفِرُ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (يوحنا الأولى ١: ٩). حينها سيتم تقويم علاقتنا معه. لاحظ أن يوحنا لم يقل إننا بحاجة لأن نتطهر من مكوث الشياطين فينا حين نشعر بالذنب.

فكل مسيحي يواجه التجارب اليومية من العالم، من الجسد والشيطان. فقد كتب بولس أننا بالتأكيد لنا صراع مع الأرواح الشريرة المختلفة (أنظر أفسس ٦: ١٢). وهكذا ولدرجة معينة، يتم مُضايقة كل مؤمن من قبل الأرواح الشريرة. وهذا طبيعي، ومسؤوليتنا أن نُقاوم الأرواح الشريرة والشياطين بالإيمان بكلمة الله (أنظر بطرس الأولى ٥: ٨-٩). وحين نؤمن ونسلك بما قاله الله، فهكذا نكون قد قاومنا الشيطان.

فعلى سبيل المثال، إن أحضر الشيطان أفكار كنيية، يجب علينا أن نفكر في آيات من الكتاب المقدس مُضادة للاكتئاب، ونطبع كلمة الله "افْرَحُوا عَلَى الدَّوَامِ" (تسالونيكي الأولى ٥: ١٦) و "ارْفَعُوا الشُّكْرَ فِي كُلِّ حَالٍ" (تسالونيكي الأولى ٥: ١٨). ومسؤوليتنا هي أن نسلك حسب كلمة الله ونُبذَل أفكار الشيطان بأفكار الله.

فعلينا أن ندرك أننا كعناصر أخلاقية حرة، يمكننا أن نُفكر بكل ما نريد أن نُفكر به. فإن استمر مؤمناً في اختيار السماع والخضوع للأرواح الشريرة، فبالأكيد يمكنه أن يفتح بعقله باباً لها لتضهده، وهذه حالة يكون بها ببساطة مُستقبلاً أكثر للأفكار الخاطئة ولسيطرتها عليه. فإن أختار الخضوع أكثر، فيمكن أن يصبح

مهووساً بنوع مُعين من الأفكار الخاطئة، وهي حالة نادر للمسيحيين، ولكن ممكن ذلك أن يحدث. وحتى وإن حدث ذلك، وإن رغب المسيحي المهووس في التحرر من هذه الحالة، كل ما يحتاج فعله هو العزم على التفكير في كلمات الله ومقاومة الشيطان.

وهل يمكن له أن يكون مسكوناً؟ فقط إن قرر ذلك عمداً، بأن يرفض المسيح من كل قلبه، دون الضغط عليه، ويُعطي له ظهره بالكامل. وحينها بالطبع لن يعد مسيحياً^{٩٧} وبالتالي من المحتمل أن يصبح مسكوناً – وإن أخضع نفسه بالتام لكل الأرواح الشريرة ان تضطهده. ولكن هذا بعيداً جداً عن فكرة فتح الباب للروح الشريرة للسكن من خلال ارتكابك لخطية واحدة.

وهذه حقيقة أنه ليس هناك أي مثل في العهد الجديد عن أي مسيحي كان مسكوناً بالشياطين. ولا أي تحذير للمسيحيين عن خطورة احتمال سكن المسيحيين. ولا أي إرشادات بخصوص كيفية إخراج الشياطين من مسيحيين آخرين.

والحقيقة هي أننا نحن كمسيحيين، لا نحتاج لإخراج الشياطين من أنفسنا – وما نحتاج إليه بالواقع هو تجديد عقولنا بكلمة الله. وهذا طبقاً للكتاب المقدس. فقد كتب بولس:

وَلَا تَتَكَيَّفُوا مَعَ هَذَا الْعَالَمِ، بَلْ تَغَيِّرُوا بِتَجْدِيدِ الدِّهْنِ، لِتُمَيِّزُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ الصَّالِحَةُ الْمَقْبُولَةُ الْكَامِلَةُ.
(رومية ١٢: ٢).

فحين تنتقى أفكارنا من الأفكار القديمة ويتم تجديدها بحقيقة كلمة الله، فنبدأ بالحصول على الانتصار على العادات الخاطئة والعيش باستمرار بأخلاق مثل المسيح. والحقيقة هي التي تُحررنا (أنظر يوحنا ٨: ٣٢). فنتحول حينما نُجدد عقولنا، ولا نُخرج شياطين.

وعليه لماذا هناك العديد من المسيحيين الذين يشهدون بأنه تم إخراج شيطان أو شياطين منهم؟ فهناك احتمال واحد وهو أنهم قد تخيلوا وجود شيطان بداخلهم وتم إخراجه. فالعديد من المسيحيين ساذجين ويفتقرون لمعرفة كلمة الله، ولذلك يقعون كفريسة سهلة لـ "خُدام التحرير" الذين يخدعون الناس نفسياً للاعتقاد أنهم مسكونين بالأرواح الشريرة. وحين يقتنع أحدهم ان هناك شيطان ساكن فيه، فمن الطبيعي أن يتعاون مع هؤلاء الذين يبدون واثقين من قدراتهم على إخراج الشياطين.

وهناك احتمال آخر حقيقي وهو أن الناس الذين أخرج منهم شياطين لم يكونوا مؤمنين حقيقيين بالمسيح في وقت تحريرهم، حتى وإن اعتقدوا أنهم كانوا مؤمنين. فالإنجيل الحديث، الذي يقف بنقيض للكتاب المقدس، خدع العديد من الناس ليعتقدوا أنهم مسيحيين، ولكن لا يمكن تمييزهم عن غير المسيحيين ويسوع ليس رباً لهم. فنجد في الكتاب المقدس أنه عندما آمن الناس بالإنجيل وُلِدوا الميلاد الثاني، خرجت الشياطين التي كانت تعيش بداخلهم في الحال (أنظر أعمال الرسل ٨: ٥-٧). فالشياطين لا يمكنها أن تسكن في أشخاص مملوئين من الروح القدس، والروح القدس يسكن في كل الذين وُلِدوا الميلاد الثاني.

^{٩٧} هؤلاء الذين وُضِعوا في موقف "المُخلص دائماً مُخلص" بالطبع لن يوافقوا. وأنا أشجعهم على قراءة رومية ١١: ٢٢؛ كورنثوس الأولى ١٥: ٢-١؛ فيلبي ٣: ١٨-١٩؛ كولوسي ١: ٢١-٢٣ وعبرانيين ٣: ١٢-١٤، وأن يُركزوا بالتحديد على كلمة "فإن" حين توجد.

الخُرَافة رقم #٨: "من خلال دراسة تاريخية للمدينة، يمكننا أن نُحدد أي من الأرواح الشريرة ساكنة فيها، وهكذا أصبح أكثر فعالية في الحرب الروحية، وفي نهاية المطاف في التبشير."

هذه الخُرَافة تُبنى على العديد من الأفكار الغير مُدعمة من الكتاب المُقدس. فهذه الفكرة هي أن الأرواح الإقليمية تبقى لفترة طويلة. وهذا يعني أن هذه الأرواح تعيش في المُقاطعة منذ مئات من سنين مضت والمفروض أنها ما زالت هناك. وهكذا حين نجد أن المدينة التي تأسست على يد أشخاص بُخلَاء، يمكن أن نستنتج حينها أن هناك أرواح بخيلة حالة على المدينة اليوم. وإن تم القول إن المدينة كانت ذات مرة قرية هندية، يمكن أن نستنتج حينها أن أرواح الشعوذة والسحر تُهيمن على تلك المدينة اليوم. إلخ إلخ.

ولكن هل هذا حقيقي أن ذات الرئاسات والقوى الشريرة التي كانت تعيش في المناطق الجغرافية من مئات السنين مازالت هناك الى اليوم؟ ربما ذلك، ولكن ليس من الضروري.

أنظر الى القصة التي ذكرناها في الفصل العاشر من سفر دانيال. عندما ساعد الملاك ميخائيل الملاك الغير مُسمى على مُحاربة "ملك الفُرس" فقال لدانيال "هَآ أَنَا أَعُودُ لِأَحَارِبَ رَئِيسَ فَارِسَ، وَمَا إِنِّ أَنْتَهِي مِنْهُ حَتَّى يُقْبَلَ رَئِيسُ الْيُونَانِ" (دانيال ١٠ : ٢٠). فيُخبرنا التاريخ أن إمبراطورية الفُرس وقعت في أيدي اليونانيين من خلال فتوحات الإسكندر الأكبر. ولكن ذلك الملاك الغير المُسمى عَلمَ بالتغييرات المُناظرة الوشيكة الحدوث في العالم الروحي - "فرئيس اليونان" كان مقبلاً.

وحين آتي رئيس اليونان، هل حكمَ على إمبراطورية اليونان كما يحكم ملك الفُرس في العالم الروحي على إمبراطورية فارس؟ يبدو ذلك استنتاجاً معقولاً، وإن كان الأمر كذلك، عليه فإن الأرواح الشريرة العالية المستوى قد غيّرت مواقعها الجغرافية، كما أن الإمبراطورية اليونانية بالتحديد شملت كل أراضي الإمبراطورية الفارسية. هكذا وبما أنّ هنالك تغييرات سياسية كثيرة قد حدثت على الأرض، فهناك احتمال أن هذه التغييرات كانت لها تأثيرها على مملكة الظلمة. والحقيقة هي أننا لا نعرف ذلك ما لم يعلن لنا الله ذلك.

وبغض النظر عن ذلك، ثمت فارق بسيط من هي الأرواح الشريرة المُعينة على مناطق جغرافية تحكم هناك، كما أنه ليس هناك ما يمكن فعله من خلال "الحرب الروحية"، كما تم إثبات ذلك قبل قليل.

الإفراط في تحديد فئات الأرواح الشريرة

وبالإضافة الى ذلك، هناك افتراض موجه لنا لنعتقد على أساسه أن هناك أرواح مُتحكمة وكل منها على حدا مُتخصصة بخطايا مُعينة. فمفهوم وجود "روح الطمع"، "روح الشهوة"، "الأرواح الدينية" و "أرواح الفتنة" وغيرها، بالطبع لا يمكن دعم ذلك من الكتاب المُقدس، ولا فكرة أن هذه الأنواع المُختلفة من الأرواح موجودة في المستوى الأعلى من الأرواح الشريرة التي تتحكم بمملكة الظلمة.

وكما هو عجيب لأولئك الذين لم يدرسوا الأنجيل الأربعة بشكل مدقق، أن هناك ثلاثة أنواع خاصة من الشياطين التي أخرجها يسوع: مرةً أخرج "الشيطان الأخرس" وقد ذُكرَ في (لوقا ١١ : ١٤)، ومرةً أخرى

نقرأ عن "شيطان أصم وأخرس" (مرقس ٩: ٢٥)، وقد ذُكرَ أكثر من مرة عن "الأرواح النجسة"، وهي ما تشمل كل الشياطين التي أخرجها يسوع، واشتملت حتى على "روح الأصم والأخرس" في (مرقس ٩: ٢٥).

وهل من غير الممكن أن "الروح الأصم والأخرس" لم تكن قادرة على فعل شيء آخر سوى جعل شخصاً أصم وأخرس؟ لا شك أنها نعم قادرة على تسبب بحالات أخرى، وخير مثال على ذلك، ما سببته للولد المذكور في مرقس ٩ إذ كانت لديه أيضاً نوبات صعبة. وهكذا "الأصم والأخرس" ربما لا يُشير لنوع مُعين من الأرواح ولكن كانت إشارة بسيطة لأنها كانت تضر فرداً مُعيناً. والبعض منا أصبح من "فئة المجنون" عندما يذهبون بأبحاثهم عن الأرواح الشريرة الى ما هو أبعد من الإعلان الكتابي.

أما في العهد القديم بأكمله، الأرواح المُحددة التي تم تعريفها كانت فقط "روح الخداع" (ملوك الأولى ٢٢: ٢٢-٢٣)، و "روح التشويه" (أشعيا ١٩: ١٤)، و "روح الزنا" (هوشع ٤: ١٢؛ ٥: ٤). وبخصوص الأول والثاني، بالتأكيد كل الأرواح الشريرة يمكن أن يُعاز إليها على انها "أرواح الخدعة" و"أرواح التشويه". وأما بخصوص الثالثة، عبارة "روح الزنا" ليس بالضروري الإشارة لروح شريرة مُعينة، ولكن مجرد الموقف السائد.^{٩٨}

وفي سفر أعمال الرسل بأكمله، المرة الوحيدة التي ذُكرت فيها الأرواح الشريرة بالتحديد هي في أعمال الرسل ١٦: ١٦، حيث نقرأ عن الفتاة التي كانت عليها "روح العرافة". وفي كل الرسائل، النوع الوحيد المُحدد للأرواح الشريرة هو ذكر "الأرواح الخدعة" (تيموثاوس الأولى ٤: ١) التي، مرة أخرى يمكن أن تكون وصف للروح الشريرة.

وعلى ضوء الإشارة الضئيلة لأنواع الشياطين المُحددة في الكتاب المقدس، من العجيب أن نجد أن من بين القوائم الحديثة أن هناك المئات من الأنواع المُختلفة لأنواع الشياطين التي ربما تسكن الناس أو تتحكم بهم. فلا ينبغي أن نفترض تحديد فئات لخطايا معينة، تبعاً لمستويات العلو للأرواح الشريرة. كما لو أننا افترضنا القول "بسبب ان هناك الكثير من القمار في هذه المدينة، فلا بد وأن يكون هناك أرواح القمار عليها."

أرواح التدخين (للسجائر)؟

فكر كم من الحماسة ستكون لأحدهم عندما يقول "لا بد وأن تكون هناك أرواح تدخينه على مدينة ما، لأن هناك الكثيرين من المُدخين للسجائر يسكنون في تلك المدينة." فما هي أرواح التدخين هذه؟ وأين كانت قبلاً؟ وماذا كانت تفعل قبل أن يستخدم التبغ للتدخين؟ هل من سبب للإعتقاد أن عدد أقل من الناس يدخنون الآن بسبب أن "شياطين التدخين" قد كبرت في السن ومُقتربة على الموت أو أنها انتقلت لمقاطعات أخرى؟

^{٩٨} "روح الغيرة" التي تحدث عنها في عدد ٥: ١٤-٣٠ و "روح التعالي" من أمثال ١٦: ١٨ هي أمثلة جيدة لكلمة الروح التي تُستخدم لنقل نوع مُعين من الموقف السائد، بدلاً من الشيطان الحقيقي. وفي عدد ١٤: ٢٤ نقرأ عن كالب كان لديه "روح مُختلفة"، والتي من الواضح أنها تُشير لسلوك كالب الجيد.

هل تعلم كم من الحماسة بأن نقول كمثل هذه الأقوال: "هناك أرواح الشهوة متحكمة بالمدينة، ولهذا السبب هنالك الكثير من بيوت الدعارة هناك؟" لا! بل الحقيقة هي أنها في كل مكان لا يخدم فيه الناس المسيح، ستكون فيه مملكة الظلمة فعالة. والعديد من الأرواح الشريرة تعمل في الظلمة الكونية على إغراء رعاياها إلى الخطيئة والاستمرار بتمردهم على الله. وهذه الأرواح الشريرة تُغري الناس في كل منطقة وتغرقها بالشر، وفي بعض الأماكن، يخضع سكانها لأكثر من خطيئة واحدة. وهكذا يبقى الإنجيل أمّ لهم الوحيد، الإنجيل الذي نحن مدعوين لكرازته.

حتى وإن كانت هناك أنواع معينة من الأرواح الشريرة التي تختص في أنواع محددة من الخطايا وتحكم مناطق جغرافية معينة، فإن معرفة ذلك لن تُساعدنا بشيء، لأنه ما من شيء يمكننا فعله لإبعادها. أما مسؤوليتنا فهي أن نُصلي (على نحو كتابي) من أجل هؤلاء الذين حُذعوا ونعظ لهم الإنجيل كما هو.

والحاجة الوحيدة الجيدة هنا أننا سنكتشف أكثر الخطايا المُسيطرَة على تلك المدينة المُعينة حتى نعظ بعض الرسائل المُقنعة لغير المُخلصين هناك - والاشارة الى الخطايا المُعينة التي جعلتهم مُذنبين أمام الله. ولكن ليس هناك حاجة بالبحث بتاريخ المدينة لتحديد ذلك.

ويكفي لتلك الغاية زيارتها لمدة قصيرة فقط لنُدري ما يحدث هناك. فالخطايا السائدة ستصبح دليلاً بطبيعية الحال.

أخيراً، ليس هناك أي دليل في العهد الجديد على أي أحد قد عمل "خرائط روحية" كأداة تحضيرية لإعداد الحرب الروحية أو للتبشير. وليس هناك أي إرشادات في الرسائل على فعل ذلك. وفي العهد الجديد تبع الرسل الروح القدس بشأن المكان الذي عليهم أن يعظوا، وكراسة الإنجيل بإيمان ودعوة الناس للتوبة، وبهذا كله اتركوا على الرب ليؤيد الكلمة بآيات تابعة. وطُرقهم كانت ناجحة.

الخُرَافَة رقم # ٩: "بعض المسيحيين يحتاجوا للتحرير من لعنات الأجيال أو الشيطان."

فكرة "لعنات الأجيال" مُشتقة من أربعة فقرات من الكتاب المُقدس موجودة في العهد القديم وتقول ذات الشيء. وهذه المراجع نجدها في: خروج ٢٠: ٥؛ ٣٤: ٧؛ عدد ١٤: ٨ وتثنية ٥: ٩. فدعونا نُلقى نظرة على عدد ١٤: ١٨:

الرَّبُّ طَوِيلُ الْأَثَاةِ، وَافِرُ الرَّحْمَةِ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ. لَكِنَّهُ لَا يُبْرِئُ، بَلْ يَفْتَقِدُ ذَنْبَ الْآبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ (عدد ١٤: ١٨).

فكيف يمكن أن تُفسر هذه القطعة من الكتاب المُقدس؟ هل هذا يعني أن الله وضع لعنة ما أو عاقباً على شخص من أجل خطايا والديه، وأجداده، وأجداد أجداده أو أجداد أجداد أجداده؟ أَلنؤمن أن الله قد غفر لشخص جميع خطاياهم وذنوبه حين آمن بيسوع، ولكن بعدها يُعاقب ذات الشخص على خطايا أجداد أجداد أجداده؟

بالطبع لا، وإلا لَأُتهم الله بعدم عدله، لا وببل بمرآته. فهو نفسه قال أنه سيكون من الخطأ أن يعاقب شخصاً من أجل خطايا والديه:

وَمَعَ ذَلِكَ تَقُولُونَ [الإسرائيليين]: لِمَاذَا لَا يُعَاقِبُ الابْنُ بَوَازِيرِ أَبِيهِ؟ [يُجِيبُ اللَّهُ] حِينَ يُمَارِسُ الابْنُ^{١٩} الْإِنصَافَ وَالْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِكُلِّ فَرَائِضِي فَإِنَّهُ حَتْمًا يَحْيَا.

أَمَّا النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِيءُ فَهِيَ تَمُوتُ. لَا يُعَاقِبُ الابْنُ بِإِثْمِ أَبِيهِ وَلَا الْأَبُ بِإِثْمِ ابْنِهِ. يُكَافَأُ الْبَارُّ بِبِرِّهِ وَيُجَازَى^{٢٠} الشَّرِيرُ بِشَرِّهِ.

(حزقيال ١٨: ١٩-٢٠).

وبالإضافة لذلك أنه في ظل شريعة موسى، أوصى الله ألا يتحمل الأب ولا الابن عقاب أحدهما الآخر: لَا يُقْتَلُ الْآبَاءُ عَوْضًا عَنِ الْبَنَاءِ، وَلَا يُقْتَلُ الْبَنَاءُ بَدَلًا مِنَ الْآبَاءِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَتَحَمَّلُ وَزَرَ نَفْسِهِ (تنثية ٢٤: ١٦).

ومن غير المعقول لا بل من غير الممكن بتاتا أن يلعن إله المحبة والبر أو لربما يُعاقب شخصاً ما من أجل خطايا أجداده.^{٩٩} وهكذا ماذا يعنيه الكتاب المقدس عندما يقول أن الله "لا يُبْزِرِيءُ، بَلْ يَفْتَقِدُ ذَنْبَ الْآبَاءِ فِي الْبَنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ؟"

فقد يعني ذلك أن الله يُحاسِبُ الناسَ على القدوة الخاطئة التي يضعونها لأنسالهم القادمة بارتكابهم خطايا معينة، ويُعاقبهم أيضاً جزئياً على مسؤوليتهم على خطايا أنسالهم القادمة لأنهم القدوة. فالله يُحاسِبُهم على تأثيرهم الشرير من خلال خطاياهم على أحفاد أحفادهم! وهذا هو الله القدوس. وما من أحد يمكنه أن يقول إنه غير عادل.

لاحظ أن الفقرة التي نأخذها في الاعتبار تقول أن الله سيفتقد ذنب "الآباء في البناء".

وهكذا، الفكرة كلها عن "لعنات الأجيال" هي خُرافة، والشئ السيء هو أن هذه الفكرة تظهر الله على أنه ظالم وغير بار.

اللعنات الشيطانية؟

ولكن ماذا عن "اللعنات الشيطانية"؟

^{٩٩} هذا ليس لأقول إن الأولاد لا يُعانوا من خطايا آباءهم، لأنهم دائماً ما يُعانون. وحين يحدث هذا، فهو ليس إشارة إلى أن الله يعني مُعاقبة هؤلاء الأولاد من أجل خطايا آباءهم، ولكن إشارة إلى أن هؤلاء الناس يفعلون شراً أيضاً بممارستهم خطايا مُعينة عالمين أنها ستسبب في مُعاناة أولادهم. ومن الواضح من الكتاب المُقدس أن الله رحوم وسيحِبُّ حُكمه عن فرد ربما ينصب على ذرية أكثر استحقاقاً. وكذلك، هو ربما برحمته يحجب حكمه عن جيل شرير حتى ينصب على ذرية متساوية أو أكثر استحقاقاً (أنظر أرميا ١٦: ١١-١٢). وهذا يختلف عن مُعاقبة الشخص بسبب خطيئة أجداده.

أولاً، ليس هناك أي شيء في الكتاب المقدس بأكمله يُشير إلى أن الله قد "وضع لعنة" على شخص، ولا نجد أي أمثلة على أنه فعل أمراً كهذا. ومن الطبيعي أن نجد الشيطان يبتلي الناس في الكتاب المقدس، ولكن لا نجده "يضع لعنة" على عائلة مما يؤدي بالتالي نتيجةً لذلك بابتلائها بحظ سيء دائم ومستمر على الأجيال القادمة لتلك العائلة.

يتم مُضايقة كل مسيحي من قِبَل الشيطان والأرواح الشريرة (لحدود مُعينة) اثناء حياته، ولكن هذا لا يعني أنَّ أي منا بحاجة لشخص ما "ليفك لعنة الشيطان" عنه، اللعنة التي اورثناها آباءنا. فكل ما علينا عمله هو مقاومة الشيطان بكلمة الله وبالإيمان، كما طُلب منا أن نفعل في الكتاب المقدس (أنظر بطرس الأولى ٥: ٨-٩).

فنجد بالكتاب المقدس أنَّ الله القوة والقدرة على منح البركة أو العنة (أنظر تكوين ٣: ١٧؛ ٤: ١١؛ ٥: ٢٩؛ ٨: ٢١؛ ١٢: ٣؛ عدد ٢٣: ٨؛ تثنية ١١: ٢٦؛ ٢٨: ٢٠؛ ٢٩: ٢٧؛ ٣٠: ٧؛ أخبار الثانية ٣٤: ٢٤؛ مزامير ٣٧: ٢٢؛ أمثال ٣: ٣٣؛ ٢٢: ١٤؛ مراثي أرميا ٣: ٦٥؛ ملاخي ٢: ٢؛ ٤: ٦). ويمكن للناس أن يلعنونا بأفواههم، ولكن لعناتهم عديمة القوة لألحاقنا بأي ضرر:

اللَّعْنَةُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ لَا تَسْقُورُ، فَهِيَ كَالْعَصْفُورِ الْحَائِمِ وَالْيَمَامَةِ الْمُهَوَّمَةِ (أمثال ٢٦: ٢).

وبلغنا كان على الحق بعدما أجره بالاق ليلعن أبناء إسرائيل، فقال "كَيْفَ أَلْعَنُ مَنْ لَمْ يَلْعَنهُ اللهُ؟ وَكَيْفَ أَشْتُمُ مَنْ لَمْ يَشْتِمْهُ الرَّبُّ؟" (عدد ٢٣: ٨).

وبعض المسيحيين تعمقوا في فكرة قدرة الناس على لعن الآخرين بُناءً على كلمات يسوع في مرقس ١١: ٢٣: "فَأَلْحَقْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ أَيْ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْقَلَعْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ! وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ سَيَحْدُثُ، فَمَا يَقُولُهُ يَتِمُّ لَهُ."

لاحظ، أنه ليس هناك قوة بمجرد التفوه بكلمات فقط، ولكن بالتكلم بكلمات إيمان خرجة من القلب. وليس هناك من شخص يتمتع بإيمان ليلعن شخصاً آخرًا ويمكنه بالفعل إلحاق الضرر به، الإيمان هو يقين مؤكد (عبرانيين ١١: ١)، فالإيمان يأتي فقط من سماع كلمة الله (رومية ١٠: ١٧). ولأحدهم قد تكون الرغبة والامل أن لعنته ستحضر مكروهاً على الآخر، ولكنه لن يؤمن بذلك، لأن الله لم يزودنا بإيمان واعد على لعن الناس.

والاستثناء الوحيد لهذا هو إن أعطى الله شخصاً ما "موهبة الإيمان" بجانب "موهبة التنبؤ" (أثنين من التسعة مواهب الروح القدس)، وتكلم عنها بشكل بركة أو لعنة، كما نرى أحياناً أنه قد فعل ذلك في حياة أشخاص في العهد القديم (أنظر تكوين ٢٧: ٢٧-٢٩، ٣٨-٤١؛ ٤٩: ١-٢٧؛ يشوع ٦: ٢٦؛ مع ملوك الأولى ١٦: ٣٤؛ قضاة ٩: ٧-٢٠، ٥٧؛ ملوك الثانية ٢: ٢٣-٢٤). حتى في هذه الحالات، البركات واللعنات ناشئة من الله، وليس من الإنسان. وهكذا، كل فكرة أن شخصاً ما يقدر على "وضع لعنة" على شخص آخر ما هي إلا خُرافة. ولهذا السبب لم يأمرنا يسوع بفك اللعنة التي قد تكون وجهت ضدنا، ولكن ببساطة "تبارك أولئك الذين يلعنونا". فلا ينبغي علينا الخوف من لعنات الآخرين. والخوف من لعنة شخص، ما هو إلا ليكشف عن ضعف إيمان بالله. وللأسف، أنا أقابل قسوساً الذين كل الوقت يبدون إيماناً بقوى الشيطان بشكل مفرط عوض أن تكون ثقتهم بقوة الله. وها أنا أسافر الى دول مُختلفة كل شهر فاعلاً الكثير لأجل تدمير مملكة الشيطان، وبالرغم من ذلك ليس لي أي خوف ولو القليل من الشيطان أو وضع لعناته عليّ. ليس لي أي سبب لأخافه.

لعنات الشعوذة؟

هل من الممكن أن تأتي لعنات شيطانية علينا بسبب تورطنا في الماضي في بعض أعمال الشعوذة؟

علينا ألا ننسى أنه عندما نولد الميلاد الثاني، يتم تحريرنا من قوى الشيطان ومملكة الظلمة (أنظر أعمال الرسل ٢٦: ١٨؛ كولوسي ١: ١٣). ولم يعد الشيطان قادراً على التحكم بنا إن لم نعطه الفرصة لذلك. وعلى الرغم من ذلك الكتاب المقدس يُشير إلى أن مسيحيي أفسس كانوا متورطين بشكل كبير بممارسة الشعوذة قبل أن يتحولوا للمسيحية (أنظر أعمال الرسل ١٩: ١٨-١٩)، وليس هناك أي ذكر لأي فعاليات لبولس من فكِّل- "لعنات شيطانية"، أو ربطه لأي من القوى الشيطانية كانت عليهم عندما ولدوا الميلاد الثاني. والسبب لذلك لأنهم تحرروا تلقائياً من سلطة الشيطان ساعة آمنوا بيسوع.

وبالإضافة لذلك، عندما كتب بولس إلى أهل أفسس، لم يعطيهم إرشادات بخصوص تحرير الأخوة من لعنات الشيطان أو الأجيال. فكل ما أوصاهم به هو "لَا تَتَّيْحُوا فُرْصَةً لِإِبْلِيسَ!" (أفسس ٤: ٢٧)، و "الْبَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ، لِتَنْتَمِكُوا مِنَ الصُّمُودِ فِي وَجْهِ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ" (أفسس ٦: ١١). وهذه هي مسؤولية كل مسيحي.

ولكن لماذا في بعض الحالات، قد تم مساعدة بعض المسيحيين على كسر "لعنة أجيال" أو "لعنة شيطانية" عنهم؟ من المحتمل ذلك، لأن الفرد الذي يحتاج لمُساعدة كان لديه إيمان بأن الشيطان سيهرب منه حين تكسر "اللعنة". فالإيمان هو ما يجعل الشيطان يهرب، وكل مسيحي يمكنه، لا وبل عليه أن يكون لديه إيمان لمقاومة الشيطان، وسيهرب. وليس هناك أي حاجة للاتصال بـ "خبير تحرير من الأرواح" لكي يجعل الشيطان يهرب.

وفي النهاية، الكتابة المقدسة يُخبرنا أن المسيح "قد لعن من أجلنا"، وبفعله ذلك قد "حَرَّرَنَا بِالْفِدَاءِ مِنْ لَعْنَةِ الشَّرِيعَةِ" (غلاطية ٣: ١٣). ففي السابق كنا جميعاً تحت ظل لعنة الله لأننا أخطأنا، ولكن منذ أن حمل يسوع عنا العقاب، تم تحريرنا من هذه اللعنة. نشكر الرب! لا لعنة علينا، فيمكننا الآن أن نبتهج لأننا مُباركون "بِكُلِّ بَرَكَاتٍ رُوحِيَّةٍ فِي الْأَمَاكِنِ السَّمَاوِيَّةِ" (أفسس ١: ٣).

الحرب الروحية الكتابية

الآن، وبعد أن ناقشنا الكثير من الخرافات الحديثة حول الحرب الروحية. ويبقى التساؤل هل هناك من حرب روحية كتابية؟ نعم، وهذا سيكون تركيزنا الآن.

لربما في البداية ما علينا معرفته عن الحرب الروحية، أن ليس لها أن تكون في مركز حياتنا المسيحية. بل أن نُركز على المسيح، لنتبعه ونُطيعه، حيث ننمو به تدريجياً لنكون على شاكلته. وهناك نسبة ضئيلة من كتابات العهد الجديد تتعرض لموضوع الحرب الروحية، مشيراً إلى أن التركيز عليها ضئيل في الحياة المسيحية.

الامر الثاني الذي علينا معرفته عن الحرب الروحية، هو أن الكتاب المقدس يُعلمنا عمّا نحتاج معرفته. فلسنا بحاجة لفطنة مُمَيَّزة (أو الى واعظ مُدعي أن لديه فطنة خاصة) لـ "امور الشيطان العميقة". فالحرب الروحية الكتابية بسيطة جداً. فإن خداع الشيطان معلّن لنا بوضوح على صفحات الكتاب المقدس. ومسؤوليتنا واضحة بشكل مُباشر. وعندما تعرف وتؤمن بما قاله الله، فبالتأكيد ستكون مُنتصراً في الصراع الروحي.

العودة إلى البداية

دعونا نعود إلى سفر التكوين، حيث قُدّم لنا الشيطان للمرة الأولى. وهناك في بداية إصحاحاته يظهر الشيطان على شكل حية. وإن كان هناك أي شك أن تلك الحية هي الشيطان، فإن رؤيا ٢٠: ٢ ستحمو ذلك الشك: "قَيَّدَ بِهَا النَّبِيُّ، أَيِ الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَهُوَ إِبْلِيسُ أَوِ الشَّيْطَانُ، وَسَجَنَهُ مُدَّةَ أَلْفِ سَنَةٍ". يُخبرنا في تكوين ٣: ١ أنه: "كَانَتِ الْحَيَّةُ أَمْكَرَ وَخُوشَ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي صَنَعَهَا الرَّبُّ الْإِلَهُ." وحين تفتكر ببراعة الله في بعض مخلوقاته، وكيف تتنافس مع بعضها البعض على البقاء بتتبعها لفرائسها، ذلك ما يجعلك تُدرك قدر مكر الشيطان. ومن ناحية أخرى، الشيطان ليس كلي المعرفة ولا كلي الحكمة كالله، وما علينا الافتراض أننا في موقف نفسي ضعيف في نضالنا ضده. فقد أرشدنا يسوع لنكون "حكماء كالحيات" (متى ١٠: ١٦). فادعى بولس أنه ما كان بجاهل لحيل الشيطان (أنظر كورنثوس الثانية ٢: ١١) لأن "لَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ" (كورنثوس الأولى ٢: ١٦).

وقد استهل الشيطان وثبته النارية الأولى المسجلة في تشكيك حواء لما قاله الله. وإجابتها أظهرت له أن لديه الفرصة لإخادعها لعدم طاعتها لله. فلن يجد الشيطان أي حيلة لخداع أي انسان يؤمن ويُطيع ما يقوله الله، ولذلك تتمحور خطته بأساسها حول مناقضة كلمة الله.

فسألها الشيطان "أَحَقّاً أَمَرَكُمَا اللَّهُ أَلَّا تَأْكُلَا مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟" (تكوين ٣: ١). هذا تقريباً يبدو كسؤال برئ من باحث عادي، ولكن الشيطان كان يعرف هدفه بالضبط.

وردت حواء "يُمْكِنُنَا أَنْ نَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ كُلِّهَا، مَا عَدَا ثَمَرَ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَلْمَسَاهُ لِكَيْ لَا تَمُوتَا" (تكوين ٣: ٢-٣).

تقريباً كانت حواء على حق. في الحقيقة لم يمنعها الله من لمس شجرة معرفة الخير والشر، ولكن منعها فقط من أكل ثمارها.

بالتأكيد كانت حواء تعلم قدرًا كافيًا من الحقيقة لتُدرك كذب الشيطان: "لَنْ تَمُوتَا!" (تكوين ٣: ٤). وهذا بالطبع تناقض سافر لما قاله الله، ومن غير المعقول أن حواء ستُصدق ذلك، ولذلك وكالعادة كما يفعل الشيطان بأنه يحلي كذبه بشيء من الحقيقة، جاعلاً إياها سهلة البلع. ويتابع: "بَلْ إِنَّ اللَّهَ يَعْرِفُ أَنَّهُ حِينَ تَأْكُلَانِ مِنْ ثَمَرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا فَتَصِيرَانِ مِثْلَهُ، فَادْرَيْنِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" (تكوين ٣: ٥).

لقد قال الشيطان ثلاثة أشياء وكانت حقيقة بعد كذبه. فنحن نعلم أن آدم وحواء أكلا من الثمرة المحرمة، وفُتحت أعينهما (أنظر تطوين ٣: ٧) كما قال الشيطان. وبالإضافة لذلك، الله بنفسه قال لاحقاً أن الإنسان أصبح مثل الله يعرف الخير والشر (أنظر ٣: ٢٢). ولاحظ أن: الشيطان دائماً يخلط بين الحقيقة والضلال لكي يخدع الناس.

لاحظ أيضاً أن الشيطان قد شوه صورة الله. فالله لم يُرد لأدم وحواء أن يأكلا من الثمار المحرمة لخيرهما وسعادتهما، ولكن الشيطان جعل ذلك يبدو وكأن الله كان يخفي عنهما شيئاً جيداً. فمعظم أكاذيب الشيطان تشويه لشخص الله، إرادته ودوافعه.

لكن وللأسف، أول زوجان على الأرض رفضا الحقيقة ليصدقوا أكذوبة، وعانا من عواقبها. ولكن لاحظ كل عوامل الحرب الروحية الحديثة في قصتهما: فسلح الشيطان الوحيد هو الكذب الملبس بالحقيقة. فقد واجه البشريان اختيار الإيمان بما قاله الله أو ما قاله الشيطان. فالإيمان الحقيقي كاد أن يكون "درع الإيمان" خاصتهما، ولكنهما لم يحملاه.

حرب يسوع الروحية

كما نقرأ تجربة يسوع مع الشيطان في البرية، فللتو نرى أن الشيطان لم يُغيّر طُرقه على مر آلاف السنين. فسلوكه كان هجوماً تشويهاً لما قاله الله، كما عَلم أن الطريقة الوحيدة للتغلب على عدوه هو رده عن الإيمان وطاعة الحقيقة. ولمرة أخرى نرى كلمة الله هي مركز المعركة. فكان الشيطان يقذف بأكاذيبه، ولكن يسوع غلبه بالحقيقة. فقد آمن يسوع وأطاع ما قاله الله. تلك هي الحرب الروحية الكتابية.

فلم يختلف الموقف الذي واجهه يسوع عن ذاك الذي واجهته حواء وآدم والمواقف التي نفع بها كلنا جميعنا. وكان عليه أن يُقرر إما أن يسمع لله أو الشيطان. فحارب يسوع المعركة بـ "سيف الروح"، وهو كلمة الله. دعونا نرى ما يمكننا أن نتعلمه من الحرب الروحية مع الشيطان.

هنا لنأخذ بالاعتبار الاختبار الثاني ليسوع، كما سجله متى:

ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى حَافَةِ سَطْحِ الْهَيْكَلِ،^٥

وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ، فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلِ، لِأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: يُوصِي مَلَائِكَتُهُ بِكَ، فَيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِكَيْ لَا تَصْدِمَ قَدَمَكَ بِحَجَرٍ!

فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: وَقَدْ كُتِبَ أَيْضاً: لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ!^٧

(متي ٤: ٥-٧)

هنا الموضوع الرئيسي مرة أخرى هو ما قاله الله. وقد أستشهد الشيطان حتى من المزمور الواحد والتسعين، ولكنه تلاعب في الآية محاولاً أن يجعلها تعني شيئاً لم يقصده الله.

فرد يسوع مُستشهداً بآيات مما جعل توازناً مفهوماً في وعد الله المذكور في مزمو ٩١. فإله سيحميننا، ولكن علينا ألا نسلك بحماقة، "لنضعه في التجربة" كما نلاحظ ذلك في هامش كتابي المُقدس. ولهذا لمن الحيوي ألا ننزع بعض آيات الكتاب المُقدس خارج سياق باقي الكتاب المُقدس. فكل آية عليها أن تتوازن ما باقي ما يعلمه الكتاب المُقدس.

التلاعب بالكتاب المُقدس يعتبر أحد الأساليب الشائعة للشيطان في الحرب الروحية، وللأسف، هو يحرز نجاحات كبيرة باستخدامه لهذا الأسلوب ضد الكثيرين من المسيحيين المتورطين في حركة الحرب الروحية الحديثة. ومثال تقليدي على ذلك التلاعب بالتعبير الكتابي "هدم الحصون" ليدعم فكرة هدم الأرواح الشيطانية في الهواء. كما أوضحت قبلاً، بينما هذا التعبير بالتحديد، حين نقرأه في سياقه، لا يعني هدم الأرواح الشيطانية في الهواء على الإطلاق. ولكن الشيطان يُحب لنا أن نعتقد ذلك، لكي نُضع وقتاً في الصراخ على الرؤساء والسلطين في السماء.

وفي متى نجد أيضاً التجربة الثالثة ضد يسوع، فنقرأ:

ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ أَيْضاً إِلَى قِمَّةِ جَبَلٍ عَالٍ جَدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَعَظَمَتِهَا،^٨
وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هَذِهِ كُلَّهَا إِنْ جَنُوتَ وَسَجَدْتَ لِي!^٩

فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! فَقَدْ كُتِبَ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ!^{١٠}

(متى ٤: ٨-١٠)

هذه هي تجربة السلطة والسيادة. فلو سجد يسوع للشيطان، وإن حافظ الشيطان على وعده، فكان قد حصل على المقام الثاني في مملكة الظلمة. فلتحكم في كل شخص غير مُخلص وكل روح شريرة، وسلطة على العالم كله كما كان للشيطان من قبل. ويمكن أن نفترض كيف لكوابيسنا أن تكون، فقط إن خضع يسوع للتجربة.

لاحظ مرة أخرى أن يسوع تصدى لاقتراح الشيطان بكلمة الله. أثناء كل من الثلاثة تجارب التي تصدى لها، كان يسوع يكرر عبارة "أنه مكتوب" ونحن أيضاً لا بد وأن نعرف كلمة الله ونؤمن بها إن أردنا أن نتجنب خداع الشيطان والسقوط في فخاخه. هذه هي الحرب الروحية.

أرض المعركة

القوة الوحيدة التي غالباً ما يمارسها الشيطان والارواح الشريرة، هي زرع أفكاراً في قلوب وعقول الناس (وحتى ذلك محدود بالله؛ أنظر كورنثوس الأولى ١٠: ١٣). ولنأخذ بالاعتبار هذا الفكر في العقل، بينما نستعرض بعض الأمثلة من الكتاب المُقدس:

فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: يَا حَنَانِيَا، لِمَذَا سَمَخْتَ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَمْلَأَ قَلْبَكَ، فَكَذَّبْتَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَاحْتَقَطْتَ لِنَفْسِكَ بَعْزاً مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ (أعمال الرسل ٥: ٣).

فَفِي أَثْنَاءِ الْعَشَاءِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ قَدْ وَضَعَ فِي قَلْبِ يَهُوذَا بْنِ سَمْعَانَ الْإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يَحُونَ يَسُوعَ (يوحنا ١٣: ٢).

إِلَّا أَنَّ الرُّوحَ يُعْلِنُ صَرَاحَةً أَنَّ قَوْمًا فِي الْأَزْمِنَةِ الْآخِرَةِ سَوْفَ يَزْتَدُونَ عَنِ الْإِيمَانِ، مُنْسَاقِينَ وَرَاءَ أَرْوَاحٍ مُضِلَّةٍ وَتَعَالِيمٍ شَيْطَانِيَّةٍ (تيموثاوس الأولي ٤: ١).

غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ تُضَلَّلَ عُقُولُكُمْ عَنِ الْإِحْلَاصِ وَالطَّهَارَةِ ثُجَاهَ الْمَسِيحِ مِثْلَمَا أُغَوِيَتِ الْحَيَّةُ بِمَكْرِهَا حَوَاءَ (كورنثوس الثانية ١١: ٣).

فَلَا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ الْآخَرَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا حِينَ تَتَفَقَّانِ مَعًا عَلَى ذَلِكَ، وَلِفَتْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، بِقَصْدِ التَّفَرُّغِ لِلصَّلَاةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ عُودًا إِلَى عِلَاقَتِكُمَا السَّابِقَةِ، لِكَيْ لَا يُجَرِّبَكُمَا الشَّيْطَانُ لِعَدَمِ ضَبْطِ النَّفْسِ (كورنثوس الأولي ٧: ٥).

وَلِهَذَا أَيْضًا، إِذْ صَارَ الْافْتِرَاقُ عَنْكُمْ لَا يُحْتَمَلُ، أَرْسَلْتُ أَسْتَحْضِرُ عَنْ إِيْمَانِكُمْ لِنَلَّا يَكُونَ الْمُجَرَّبُ قَدْ جَرَّبَكُمْ فَيَذْهَبَ جَهْدُنَا سُدًى! (تسالونيكي الأولي ٣: ٥).

الَّذِينَ أَعْمَى إِلَهُ هَذَا الْعَالَمِ أَذْهَانَهُمْ حَتَّى لَا يُضِيءَ لَهُمْ نُورُ الْإِنْجِيلِ الْمُخْتَصِّ بِمَجْدِ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ (كورنثوس الثانية ٤: ٤).

إِذْ طَرَحُوا إِلَى الْأَرْضِ. هَذَا التَّيْنُ الْعَظِيمُ هُوَ الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ، وَيُسَمَّى إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانُ الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ (رؤيا ١٢: ٩).

إِنَّكُمْ أَوْلَادُ أَبِيكُمْ إِبْلِيسَ، وَتَرَعَّبُونَ أَنْ تَعْمَلُوا شَهَوَاتِ أَبِيكُمْ. فَهُوَ مِنَ الْبَدْءِ كَانَ قَاتِلًا لِلنَّاسِ، وَلَمْ يَنْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ خَالٍ مِنَ الْحَقِّ! وَعِنْدَمَا يَنْطِقُ بِالْكَذِبِ فَهُوَ يَنْصَحُ بِمَا فِيهِ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذِبِ! (يوحنا ٨: ٤٤).

فهذه الآيات وغيرها في الكتاب المقدس تجعل الأمر واضحاً أن ساحة المعركة الروحية الكتابية هي في قلوبنا وعقولنا. والشيطان يُهاجمنا بالأفكار – الاقتراحات شريرة، بالأفكار الخاطئة، بالفلسفات الباطلة، والتجارب، والأكاذيب المختلفة وهكذا. ولتكن وسائل دوافعنا المعرفة، الإيمان، والسلوك حسب كلمة الله.

فمن المهم أن تفهم أن كل فكر تفكر به ليس من الضروري أنه نابع من نفسك. فالشيطان له مُتحدثين كثيرين يُساعدونه على زرع أفكاره في عقول الناس. وهو يعمل على التأثير علينا من خلال الصحف، والكتب، والتلفاز، والمجلات، والراديو، والجيران، وحتى من خلال الوعاظ. لا بل حتى يُطرس الرسول تم استخدامه عن دون قصد منه أن يعرض على يسوع اقتراح الشيطان، أن إرادة الله له ألا يموت (متى ١٦: ٢٣).

ولكن الشيطان والأرواح الشريرة أيضاً تعمل بشكل مباشر على عقول البشر، دون أي وسيط، وكل المسيحيين أحياناً سيجدون أنفسهم تحت هجوم مباشر. وبهذا تبدأ الحرب الروحية.

أذكر سيدة مسيحية عزيزة قد أتت إليّ بإحدى الأيام، واعترفت لي بمشكلاتها. فقالت: "حين أصلي، أجد في عقلي أفكار سيئة وكلمات من الشتائم تراود ذهني". وقد كانت هذه السيدة من أجمل، وأطيب، وأعز وأكثر النساء تكريساً في الكنيسة، ولكنها عانت من الأفكار السيئة في ذهنها.

وكما بينت لها أن هذه الأفكار لم تنبع منها، ولكنها كانت تحت هجوم من الشيطان، محاولاً أن يحطم الجزء المكرس للصلاة في حياتها. حينها أخبرتني أنها توقفت عن صلاتها اليومية مخافة أن تراودها تلك الأفكار مرة أخرى. وبهذا فقد نجح الشيطان.

وقد أخبرتها أن تبدأ في صلاتها اليومية من جديد، وإن أتت هذه الأفكار السيئة مرة أخرى على ذهنها، فعليها آنذاك أن تواجهها بحقيقة كلمة الله. إن قال لها الفكر أن يسوع فقط -----، فيجب أن تقول "لا، يسوع كان ومازال ابن الله الوحيد." إن جاء فكر بكلمة شتيمة، فيجب أن تبدلها بأفكار كتابية وأفكار بيسوع، وهكذا.

وقلت لها أيضاً أن خوفها من أن تُفكر بأفكار خاطئة، ذلك بحد ذاته في الواقع داعية لتلك الأفكار، فالخوف هو إيمان عكسي - إيمان بالشيطان. وبمحاولتنا ألا نفكر بأمر ما، فلا بد وأن نُفكر به حتى نُحاول ألا نفكر به.

فعلى سبيل المثال، إن أنا قُلت "لا تفكر بيدك اليمنى" ففي الحال ستُفكر بيدك اليمنى بينما تُحاول أن تُطيعني. وكلما حاولت أكثر كلما أصبح الأمر أصعب. والطريقة الوحيدة ألا تفكر بيدك اليمنى بأن تفكر بشيء آخر، على سبيل المثال بحدائك. وحين يفكر عقلك بحدائك، فأنت لا تُفكر بيدك.

فقد شجعت هذه السيدة العزيزة ألا "تخاف"، كما أوصانا الكتاب المقدس. وإنما إن أدركت أن فكرة ما مُناقضة لكلمة الله، لبدلتها بواحدة تتوافق مع كلمة الله.

وأنا سعيد لأقول إنها عملت بنصيحتي، وعلى الرغم مع وجود عدد أقل من الهجمات أثناء صلاتها، إلا أنها قد حققت انتصاراً كاملاً على مشكلتها. فقد انتصرت في الحرب الروحية الكتابية.

ومن العجيب لي أيضاً أن أكتشف من خلال إحصاء، الأرقام في الكنائس تبين أن مشكلتها كانت شائعة. عادةً أكثر من نصف المسيحيين الذين أحصيتهم تبين أنهم لمرة أو أكثر كانت تراودهم أفكار كافرة أثناء الصلاة. والشيطان ليس بتلك البراعة.

"احذروا مما تستمعون إليه"

لا يمكننا أن نوقف الشيطان والأرواح الشريرة عن مهاجمتهم لأرواحنا، ولكن علينا ألا نسمح لأفكارهم أن تصبح أفكارنا. وهكذا، ليس علينا أن نتناول الأفكار والاقتراحات الشيطانية وحيازتها. وكما قيل، "لا يمكن أن تمنع الطيور من أن تطير فوق رأسك، ولكن يمكنك أن تمنعها بأن تعمل لها عشاً في شعرك."

وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن نكون حريصين ألا نضع عقولنا تحت تأثيرات فاجرة حين تكون في حيّز تحكمنا. فعندما نجلس أمام التلفاز لمدة ساعة، أو نقرأ الأخبار، فنحن نُقدم عرض ترحاب لأفكار مؤثرة والتي قد تكون شيطانية. فمباشرةً بعد أن قال يسوع مثل الزارع والبذرة، حذرهم، "تَنبَّهُوا لِمَا تَسْمَعُونَ (مرقس ٤: ٢٤). فعلم يسوع بالتأثيرات الهدامة لسماعنا للأكاذيب، بسماحنا للشيطان أن يزرع "بذرتة" في قلوبنا وعقولنا. وهذه البذور لربما تنمو لتصبح "شوكاً وحسكاً" الأمر الذي سيعمل على خنق كلمة الله في حياتنا (أنظر مرقس ٤: ٧، ١٨-١٩).

بُطرس والحرب الروحية

لقد فهم بُطرس الرسول الحرب الروحية الحقيقية. الا أنه لم يحدث بتاتاً أن أرشد في رسائله المسيحيين على تدمير الرؤساء والسلاطين عن المدن. ولكنه قد أرشدهم لمقاومة هجوم الشيطان ضد حياتهم الشخصية، وأخبرهم بالتحديد كيف ينبغي عليهم مُقاومته:

تَعَقَّلُوا وَتَنَبَّهُوا. إِنَّ خَصْمَكُمْ إِبْلِيسَ كَأَسَدٍ يَزَارُ، يَجُولُ بَاجِثاً عَنْ فَرِيسَةٍ يَبْتَغِيهَا.^٨

فَقَاوِمُوهُ، ثَابِتِينَ فِي الْإِيمَانِ. وَادْكُرُوا أَنَّ إِخْوَتَكُمْ الْمُتَنَشِّرِينَ فِي الْعَالَمِ يَجْتَازُونَ وَسَطَ هَذِهِ الْأَلَامِ عَيْنِهَا.^٩
(بطرس الأولى ٥: ٨-٩).

أولاً، لاحظ أن بطرس يُشير إلى موقفنا الدفاعي، وليس الهجومي. فالشيطان هو الذي يحوم، وليس نحن. فهو يبحث عنا، ولسنا نحن الذين نبحث عنه. ووظيفتنا هي ليست الهجوم ولكن المقاومة.

ثانياً، لاحظ أن الشيطان، مثل الأسد، ساعياً وراء شخص ما ليفترسه. كيف يمكنه افتراس المسيحيين؟ هل عنى بُطرس أن بإمكان الشيطان حرفياً أن يأكل لحماً مثل الأسد؟ بالطبع لا. الشيطان يمكنه أن يفترس المسيحي بخداعة ليُصدق كذبه الذي قد يُدمر إيمانه.

ثالثاً، لاحظ كيف يطلب بُطرس منا أن نُقاوم الشرير من خلال إيماننا. فصراعنا ليس هو معركة مادية، ولن نستطع أن نُحارب الشيطان بتلويح قبضة أيدينا في الهواء. فهو يُهاجمنا بأكاذيبه، ونقاوم هذه الأكاذيب بوقوفنا على صخرة إيماننا بكلمة الله بقوة. ولمرة أخرى، هذه هي الحرب الروحية.

فالمسيحيين الذين كتب إليهم بُطرس كانوا يُعانون من ثقل اضطهاد قاسٍ، وبذلك كانوا يجربون لإنكار إيمانهم في المسيح. ودائماً عندما نكون في وسط ظروف معادية حينها يُهاجمنا الشيطان بشكوكه وأكاذيبه. وذلك هو الوقت الذي عليك أن تقف فيه قوياً راسخاً في الإيمان. وهذا هو "يوم الشر" الذي كتب عنه بولس حين تكونوا بأمس الحاجة لـ "الْبَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ، لِتَنْتَمِكُوا مِنَ الصُّمُودِ فِي وَجْهِ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ" (أفسس ٦: ١١).

يعقوب والحرب الروحية

ذكر يعقوب الرسول أيضاً شيئاً عن الحرب الروحية في رسالته. فهل أخبر المسيحيين أن صلاتهم ستُحدد نتيجة الحرب الملائكية؟ لا. هل قال لهم أن يهدموا أرواح الشهوة، واللامبالاة، والسكر عن المُدن؟ لا. هل أخبرهم أن يدرسوا تاريخ هذه المدن حتى يستطيعوا أن يُحددوا ما نوع الأرواح الشريرة الموجودة هناك منذ تأسيسها؟ لا.

لقد آمن يعقوب بالحرب الروحية الكتابية، ولذلك كتب:

إِذَنْ، كُونُوا خَاضِعِينَ لِلَّهِ. وَقَاوُمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْزُبَ مِنْكُمْ (يعقوب ٤ : ٧).

لمرة أخرى، لاحظ أن الموقف المسيحي هو دفاعي – فنحن نقاوم، ولا نُهاجم. وحين نفعل ذلك، يعدنا يعقوب بهروب الشيطان. فليس لديه أي سبب للبقاء حول مسيحي غير مُقتنع بتصديق أكاذيبه، ليتبع مُقترحاته، أو يخضع لتجاربه.

لاحظ أيضاً أن ببداية إرشاده لنا طلب منا يعقوب أن نخضع لله. ونخضع لله عن طريق الخضوع لكلمته. ومقاومتنا له مقرونة بخضوعنا لكلمة الله.

يوحنا والحرب الروحية

كتب يوحنا الرسول أيضاً عن الحرب الروحية في رسالته الأولى. هل طلب منا أن نصعد للمرتفعات لنُدمر حصون الشيطان؟ لا. هل قال لنا أن نُخرج شيطان الغضب من المسيحيين لأنهم أحياناً يغضبون؟ لا. ولكن آمن يوحنا، كما بطرس ويعقوب، فقط بالحرب الروحية الكتابية ولذلك أرشدنا بذات الشيء إذ قال: نَكْتُبُ إِلَيْكُمْ عَمَّا كَانَ مِنَ الْبَدَايَةِ بِخُصُوصِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ: عَمَّا سَمِعْنَاهُ، وَرَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، وَشَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسْنَاهُ بِأَيْدِينَا.^١

فَإِنَّ «الْحَيَاةَ» تَجَلَّتْ أَمَامَنَا. وَبَعْدَمَا رَأَيْنَاهَا فِعْلاً، نَشْهَدُ لَهَا الْآنَ. وَهَا نَحْنُ نَقُولُ إِلَيْكُمْ خَبَرَ هَذِهِ الْحَيَاةِ^٢ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْآبِ ثُمَّ تَجَلَّتْ أَمَامَنَا!

فَنَحْنُ، إِذَنْ، نُخْبِرُكُمْ بِمَا رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ، لِكَيْ تَكُونُوا شُرَكَاءَنَا. كَمَا أَنَّ شُرَكَائَنَا هِيَ مَعَ الْآبِ وَمَعَ ابْنِهِ^٣ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الْأُمُورَ لِكَيْ يَكْتَمَلَ فَرْحُكُمْ!^٤

وَهَذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنَ الْمَسِيحِ وَتُعْلِنُهُ لَكُمْ: إِنَّ اللَّهَ نُورٌ، وَلَيْسَ فِيهِ ظِلٌّ الْبَتَّةَ.^٥

فَإِنْ كُنَّا نَدَّعِي أَنَّ لَنَا شَرَكَةً مَعَهُ، وَنَحْنُ نَعِيشُ فِي الظُّلْمَةِ، نَكُونُ كَاذِبِينَ وَلَا نُمَارِسُ الْحَقَّ.^٦

(يوحنا الأولى ٤ : ١-٦)

لاحظ أن طرح يوحنا بأكمله في هذه الآيات يدور حول أكاذيب الشيطان وحقيقة الله. فنحن نختبر الأرواح لنرى إن كانت من الله، واختبارنا مؤسس على الحقيقة. ولأن الأرواح الشريرة لن تعترف بأن يسوع المسيح أتى بالجسد. فهي تكذب.

وقال لنا يوحنا أيضاً أن نتصدى للأرواح الشريرة. ذلك كوننا سكان لمُدن النور لم نعد بعد في ظلال عبودية الشيطان. والأعظم من ذلك، أن يسوع يعيش بداخلنا. وهؤلاء الذين لهم يسوع ساكن بداخلهم لا ينبغي أن يخافوا من الشياطين.

وقال يوحنا أيضاً أن العالم يسمع للأرواح الشريرة، وذلك ما يشير الى أن هذه الأرواح الشريرة هي التي نتحدث. ونحن نعلم أنها لا تتحدث بصوت مسموع، ولكن بزرع الأكاذيب في عقول الناس.

وكأتباع للمسيح، لن نستمع لأكاذيب الأرواح الشريرة، ويوحنا قال لمن يعرفون الله أنهم يسمعون لنا، ولأن لنا الحقيقة، فلدينا كلمة الله.

ولمرة أخرى، لاحظ أن خطة الشيطان هي إقناع الناس للإيمان بأكاذيبه. والشيطان لا يستطيع أن يغلبنا إن كُنّا نعلم ونؤمن بالحقيقة. وطبقاً للكتاب المقدس هذه هي بعينها الحرب الروحية.

المفتاح هو الإيمان

نحن نعلم أن كلمة الله غير كافية للانتصار بالحرب الروحية، والمفتاح لذلك هو الإيمان الحقيقي بما قاله الله. وهذه هي مقاومة حقيقية للشيطان وإخراج الأرواح الشريرة. وعلى سبيل المثال، لنعتبر المثال الذي درسناه سابقاً عندما أعطى يسوع تلاميذه الاثني عشر "سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ لِيَطْرُدُوهَا وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَعَلَّةٍ" (متى ١٠: ١). ونجدهم، بعد سبعة إصحاحات لاحقة، غير قادرين على إخراج الشياطين من الولد المريض بالصرع. ١٠. وحين عَلِمَ يسوع بفشلهم، عبر عن أسفه:

أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ وَالْأَعْوَجُ، إِلَى مَتَى أَبْقَى مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ أَحْضِرُوهُ إِلَيَّ هُنَا! (متى ١٧: ١٧).

فكان عدم إيمانهم هو الأمر الذي تحسر عليه يسوع. وأكثر من ذلك، حين سأله تلاميذه لما كانوا غير قادرين على إخراج الروح الشريرة، رد يسوع "لِقَلَّةِ إِيْمَانِكُمْ" (متى ١٧: ٢٠). وهكذا نرى أن السلطان لإخراج الشياطين لا يعمل بعيداً عن الإيمان.

إن نجاحنا في إخراج الشياطين ومقاومة الشيطان يعتمد على إيماننا بكلمة الله. فإن كُنّا حقاً نؤمن بما قاله الله، حينها سنتكلم ونسلك حسب. فالكلاب يجرون وراء الذين يهربون منهم، وهذا ذات الشيء بالنسبة للشيطان. إن هربت، سيُطارِدُكَ الشيطان. وإن وقفت ثابتاً، سيهرب الشيطان منك (أنظر يعقوب ٤: ٧).

وبلا شك أن نقص التلاميذ للإيمان لهو امر واضح جداً كإثبات لأي باحث، إذ أنهم حاولوا تحرير الولد من الشيطان ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك. وإن وضع الشيطان ذات العرض امام التلاميذ كما حدث أمام يسوع، ملقياً الولد شمال يمين "وَحَبَطَهُ بَعْثُفٍ" (لوقا ٩: ٤٢) مُسَبِّباً له رغاوي في الفم (أنظر مرقس ٩: ٢٠)، فمن الممكن أن إيمان التلاميذ تحول إلى خوف. فلربما انهم كانوا مشلولين لما شاهدوه.

فمن له إيماناً، لا يتصرف حسبما يراه، ولكن حسب وعد الله. "لَأَنَّنَا نَسْأَلُكَ بِالْإِيْمَانِ لَا بِالْعِيَانِ" (كورنثوس الثانية ٥: ٧). فلا يمكن لله أن يكذب (تيطس ١: ٢)، ولذلك وإن بدت أمورنا مُعَاكِسَةً لما قاله الله، علينا أن نبقى ثابتين في الإيمان.

١٠٠ يجب أن نكون حذرين جداً في التخمين أن كل أمراض الصرع مُتسببة بروح شريرة ساكنة.

لاحظ أن يسوع قد حرر الولد بثواني معدودة. وقد فعل ذلك بالإيمان. فلم يُضيع أي وقت في إجراء "جلسات تحريرية" وأولئك الذين لديهم إيمان في السلطان المُعطى من الله لا يحتاجون لهدر الوقت هباءً لإخراج الشياطين.

وأضف لذلك، ليس هناك أي ذكر فيه صرخ يسوع على الشيطان. وهؤلاء الذين لديهم إيماناً ليسوا بحاجة للصُراخ. فلم يأمر يسوع الشياطين مكرراً بأمره ليخرجوا. أمر واحد كان كافياً. أما أمرهم ثانية فما هو الا إقرار على الشك.

الخلاصة

الخادم صانع التلاميذ يُعلم بمثاله وكلماته عن الحرب الروحية الكتابية، حتى يستطيع تلاميذه الوقوف صامدين ضد خداع الشيطان والسير في طاعة المسيح لوصايا المسيح. فهو لا يقود تلاميذه ليتبعوا "التعاليم الرياحية" الحديثة التي تُدعم الطرق الغير كتابية للحرب الروحية، عالمين أن هؤلاء الذين يُمارسون تلك الأنواع من الطرق يسировون باتجاه خاطئ وفي الحقيقة هم مخدوعو الشيطان، الذي يعلنون عليه النصر ليتدخل.

الفصل الثاني والثلاثين

الرعاية (الوكالة)

Stewardship

في فصل سابق بدراستنا لعظة يسوع على الجبل، ذكرنا كلمات يسوع الموجهة لتلاميذه بما يتعلق وموضوع الرعاية. حينها قال لهم يسوع ألا يعدّوا لأنفسهم كنوزاً على الأرض بل في السماء. وأشار أيضاً إلى الجهّال الذين ليسوا بمستثمرين للكنوز الدنيوية وحسب، بل أنّ قلوبهم قد أظلمت أيضاً (متى ٦: ١٩-٢٤).

المال يعتبر الاله الحقيقي لمن يكنزون لأنفسهم كنوزاً أرضية، لأنهم يخدمونه من جهة ولأن المال هو من يحركهم ويتحكم بهم. وأعلن يسوع انه من المُستحيل للإنسان أن يخدم الله والمال بأن واحد، وبالتأكيد انه يُشير إلى أن الله هو سيدنا الحقيقي. فالمال دائماً يتنافس مع الله أكثر من أي شيء آخر على قلوب الناس. وبالواقع لهذا السبب علّمنا أنه لا يمكننا أن نصبح تلاميذه-للمسيح-إلا إذا تخلينا عن كل ما نملكه (أنظر لوقا ١٤: ٣٣). وهكذا تبعه التلاميذ متخليين عن كل أملاكهم كوكلاء لله، والله يُحب أن يتصرف بماله بما يعكس شخصيته ولامتداد ملكوته.

كان ليسوع الكثير ليعلمه عن موضوع الرعاية، لكن يبدو انهم يتجاهلون كلامه وكالعادة أولئك ممن يتدعون انهم اتباعه. بالإضافة لذلك، يقومون بلوي الآيات الكتابية لتتماشى مع نموذج "تعاليم الازدهار" الحديثة وبأشكالها المتعددة، الرنانة الداهية. ولكن على الخادم المتلمذ ان يرغب بتعليم الناس على اطاعة وصايا المسيح كلها. وكذلك سيُعلمهم بكلماته وليس فقط بل ايضاً من خلال حياته كقدوة للرعاية الكتابية.

دعونا ننظر الى ما يُعلمه الكتاب المُقدس عن الرعاية(الوكالة)، وبنفس الوقت سنتعرض لبعض الأمثلة المعروفة عن التعليم الزائف عن الازدهار. وهذه لن تكون دراسة شاملة محض. إذ قد كتبت كتاباً كاملاً عن هذا الموضوع وهو مُتاح باللغة الإنجليزية على موقعنا:

ShepherdServe.org

وهو موجود تحت قائمة المواضيع الكتابية أو

Biblical Topics

تحت القائمة الفرعية

Jesus on Money

المسدّد للاحتياجات

فلنبدأ بالنقطة الإيجابية، ونتذكر أن بولس في ظل وحي الروح القدس كَتَبَ " وَإِنَّ إِلَهِي سَيَسُدُّ حَاجَاتِكُمْ كُلَّهَا إِلَى التَّمَامِ، وَفَقاً لِغِنَاةِ فِي الْمَجْدِ، فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (فيلبي ٤: ١٩). هذا الوعد معروف ولطالما استشهد به

بين المسيحيين، ولكن ما هو السياق لهذه الآية؟ حيث نقرأ السياق، نُدرك سريعا سبب ثقة بولس أن الله سيسدد كل احتياجات أهل فيلبي:

إِلَّا أَنْتُمْ حَسَنًا فَعَلْتُمْ إِذْ سَاهَمْتُمْ فِي تَبْدِيدِ ضِيقَتِي.^{١٤}

وَتَعْرِفُونَ أَيْضًا، يَا مُؤْمِنِي فِيلِبِّي، أَنَّهُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ خِدْمَتِي لِلْإِنْجِيلِ، إِذْ انْطَلَقْتُ مِنْ مُقَاطَعَةِ مَقْدُونِيَّةَ، مَا مِنْ^{١٥} كَنِيسَةٍ سَاهَمَتْ مَعِي فِي حِسَابِ الْعَطَاءِ وَالْأَخْذِ إِلَّا أَنْتُمْ وَحَدَّكُمْ.

حَتَّى وَأَنَا فِي مَدِينَةِ تَسَالُونِيكِي، بَعَثْتُ إِلَيْي بِمَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ، لَا مَرَّةً وَاحِدَةً بَلْ أَكْثَرَ.^{١٦}

وَالْوَاقِعُ أَنِّي لَا أَسْعَى إِلَى الْعَطَايَا، بَلْ أَسْعَى إِلَى الْفَائِدَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ لِحِسَابِكُمْ.^{١٧}

فَالآنَ عِنْدِي كُلُّ مَا يَسُدُّ حَاجَتِي وَيَزِيدُ عَنْهَا. أَنَا فِي بُحْبُوحَةٍ إِذْ تَسَلَّمْتُ مِنْ أَبَفْرُودِيئُسَ مَا بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْي،^{١٨} عِطْرًا طَيِّبَ الرَّائِحَةِ، ذَبِيحَةً يَقْبَلُهَا اللَّهُ وَيُسَرُّ بِهَا.

وإِنَّ إِلَهِي سَيَسُدُّ حَاجَاتِكُمْ كُلَّهَا إِلَى التَّمَامِ، وَفَقًا لِغِنَاهُ فِي الْمَجْدِ، فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.^{١٩}

(فيلبي ٤: ١٤-١٩).

بولس كان على يقين من أن يسوع بلا شك سيسدد كل احتياجات أهل فيلبي، لأنهم قاموا بتلبية وصية يسوع: إذ كانوا بالمقام الأول يسعون لأجل ملكوت الله، وخير برهان على ذلك انهم كانوا يقدموا العطايا بسخاء وتضحية لبولس لكي يتمكن من تأسيس الكنائس. تذكر عظة يسوع على الجبل، حيث قال:

فَهَذِهِ الْحَاجَاتُ كُلُّهَا تَسْعَى إِلَيْهَا الْأُمَمُ. فَإِنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ حَاجَتَكُمْ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا.^{٣٢}

أَمَّا أَنْتُمْ، فَاطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرِّهَ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَرَادُ لَكُمْ.^{٣٣}

(متى ٦: ٣٣-٣٢).

فنرى أن وعد يسوع لأهل فيلبي في ٤: ١٩ لا ينطبق على كل المسيحيين ممن يستشهدون بهذه الآية. ولكنه ينطبق فقط على من يسعون بالمقام الأول لأجل الله.

فما هي احتياجاتنا الحقيقية؟

هناك أمر آخر يمكننا أن نتعلمه من وعد يسوع في متى ٦: ٣٢-٣٣. فأحياناً يصعب علينا أن نميز بين احتياجاتنا ورغباتنا. ولكن يسوع عَرَفَ ما هي احتياجاتنا، إذ قال أَنْ "أَبَاكُمْ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ بِكُلِّ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ."

فما هي هذه الأشياء التي كان يُشير إليها يسوع والتي من الطبيعي انها ستضاف لأولئك الذين يسعون لأجل البر وملكوت السموات؟ الطعام، غنها الشراب، واللباس. ولا أحد يستطيع أن يُجادل بهذا، ذلك بسبب ما قاله

يسوع قبل هذا الوعد في متى ٦: ٢٥-٣١. فكل ما نحتاجه مادياً هو طعام والشراب واللباس فقط. وفي الحقيقة كانت هذه هي الأشياء التي حملها يسوع وأتباعه اثناء سفرهم. وأتفق بولس أيضاً مع يسوع بتعريفه "لاحتياجاتنا"، حين كَتَبَ لتيموثاوس:

أَمَّا النَّفْوَ مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ.^٦

فَنَحْنُ لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ حَامِلِينَ شَيْئاً، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ حَامِلِينَ شَيْئاً.^٧

إِنَّمَا، مَا دَامَ لَنَا قُوَّةٌ وَلِبَاسٌ، فَلْنَكُنْ قَانِعِينَ بِهِمَا.^٨

أَمَّا الَّذِينَ يَزْعُبُونَ فِي أَنْ يَصِيرُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْفُطُونَ فِي التَّجَرُّبَةِ وَالْفَخِّ وَيَتَوَرَّطُونَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الشَّهَوَاتِ^٩ السَّفِيهِةِ الْمُضِرَّةِ الَّتِي تُغْرِقُ النَّاسَ فِي الدَّمَارِ وَالْهَلَاكِ.

فَإِنَّ حُبَّ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ شَرٍّ؛ وَإِذْ سَعَى بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ، ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ.^{١٠} (تيموثاوس الأولى ٦: ٦-١٠).

قد كان بولس على يقين بأن الطعام واللباس هو كل ما نحتاجه حقاً، وإلا فما قال ان علينا العيش قنوعين بامتلاكنا فقط لهذه الأشياء. هذا يقودنا إلى نظرة مُختلفة قليلاً بالعلاقة لوعده لأهل فيليبّي أن الله سيمددهم بكل احتياجاتهم! وهي أن بعض الوعاظ يشرح هذه الآية على نحو قد يفهم منه وكأنه قال "الله سيسدد كل شجعتك!" وزد على ذلك، أنه إن كُنّا قنوعين بالطعام اللباس فقط، فكم بالحري قناعتنا أكثر أن تكون بما نملكه بالفعل، والكثير منا يملكون أكثر بكثير من مجرد الطعام والملبس؟

اللاقاعة

مشكلتنا الأساسية هي اعتقادنا اننا باحتياج لأكثر مما نحن حقاً نحتاجه. دعونا نأخذ بعين الاعتبار انه عندما خلق الله آدم حواء، ما كانا ليملكا حينها شيئاً، مع انهما كانا يعيشان في الجنة. فمن الواضح ان قصد الله لسعادتنا لم يكن من خلال جمعنا للممتلكات المادية. هل فكرت ولو لمرة أن يسوع لم يفتح صنبوراً، لا ولم يقف تحت الدُش في الحمام؟ لم يغسل ملابسه في غسالة أتوماتيكية قط؛ ولم يفتح باب ثلاجة. ولم يقود سيارة ولا حتى دراجة. وما استمع يسوع بحياته للراديو، ولا تحدث مع شخص عبر الهاتف، ولم يعد وجبة طعام على البوتاجاز، ولم يعظ للناس بواسطة وسائل الاعلام الشعبية. ولم يُشاهد فيديو أو برامج تليفزيونية، ولا شغل المصباح الكهربائي، ولا تبرد بالجلوس أمام المكيف أو المروحة الكهربائية. ولم تكن بيده ساعة. ولم يملك دولاباً مليئاً بالملابس. فكيف يا ترى كان يسوع سعيداً؟

ففي الولايات المتحدة الأمريكية (وربما في بلدك أيضاً) يهطل علينا يومياً وإبلاً من الإعلانات، يحاول أصحاب الشركات المختلفة من خلالها اقناعنا كيف للناس ان يكونوا سعداء إذا ما حصلوا على سلعهم ومنتوجاتهم المختلفة. وباستمرار، يتم هذا الغسيل لعقولنا (أو بالأحرى توسيخ عقولنا) لنعتقد أن السعادة تأتي

بالحصول على أكثر مما لدينا، وإذا وقعنا بفخ هذا المنطق فبغض النظر عما نجمعه، لن نقتع أبداً. وهذا ما أشار إليه يسوع بـ "خداغ الغنى" (متى ١٣: ٢٢). فالأشياء المادية قد تعد بالسعادة ولكن نادراً ما تفي بوعودها. وكلما شاركنا في ذلك السباق مع العالم "المسعود" لأجل الحصول على أشياء عينية أكثر، كلما أصبحنا في الحقيقة عبدة أو ثان، عبيد للجشع، ناسين أن أعظم وصايا الله هي أن نحبه من كل قلوبنا وان نُحب قريبنا كأنفسنا. فقد حذر الله شعب إسرائيل من هذا الشيء بعينه بقوله:

إِيَّاكُمْ نَسِيَانِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ وَإِهْمَالِ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامِهِ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَوْصِيَكُمْ الْيَوْمَ بِهَا،^{١١}

لئلاً إذاً أَكَلْتُمْ وَشَبِعْتُمْ وَبَنَيْتُمْ بُيُوتاً جَمِيلَةً سَكَنْتُمُوهَا،^{١٢}

وَتَكَاثَرَتْ أَبْقَارُكُمْ وَغَنَمُكُمْ وَذَهَبُكُمْ وَجَمِيعُ مَا لَكُمْ.^{١٣}

تَتَكَبَّرُ قُلُوبُكُمْ وَتَنْسَوْنَ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَطْلَقَكُمْ مِنْ نِيرِ عُبُودِيَّةِ دِيَارِ مِصْرَ،^{١٤}

(تنثية ٨: ١١-١٤)

وكذلك حذر يسوع من مغبة "خداغ الغنى" والذي لعله يخنق الحياة الروحية للمؤمن الحقيقي الذي يسمح لنفسه أن يتشتت (انظر متى ١٣: ٧، ٢٢). وايضاً حذر بولس من أن "حب المال هو أصل لكل الشرور" قائلاً أن "فإن حب المال أصل لكل شر؛ وإذا سعى بعضهم إليه، ضلُّوا عن الإيمان، وطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ" (تيموثاوس الأولى ٦: ١٠). وقد حثنا كاتب الرسالة إلى أهل العبرانيين "اجعلوا سيرتكم مُتَرَفِّعَةً عَنْ حُبِّ الْمَالِ، وَاقْفَعُوا بِمَا عِنْدَكُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لَا أَتْرُكُكَ، وَلَا أَتَخَلَّى عَنْكَ أَبَداً" (عبرانيين ١٣: ٥). هذه كانت فقط عينات من آيات الكتاب المقدس نُحذرن من خطر حب الثراء.

عندما يصبح المال هو السيد

قد لا يكون هناك مقياساً لعلاقتنا مع الله أفضل من كيفية تفاعلنا مع المال. فإن المال – الوقت والوسيلة للحصول عليه، وما نفعل به بعد الحصول عليه – يكشف لنا الكثير عن حياتنا الروحية. المال بحد ذاته، بغض النظر فيما امتلكناه منه الكثير كان أم القليل أو حتى مع انعدامه، يبقى بمثابة وقود إغراء لا مثيل له. وبسهولة يمكن للمال أن يكون المسبب إلى ازدياد الوصيتين العظمتين، لا وبل قد يصبح إلهاً فوق الإله الوحيد، وإغراء لنا لنُحب أنفسنا أكثر ونُحب جيراننا أقل. وبالمقابل، يمكن للمال أن يُستخدم كوسيلة لإثبات حُبنا لله ولل قريب.

وذات مرة علّم يسوع بمثال، عن الرجل الذي سمح للمال أن يتحكم به عوضاً عن الله:

وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً، قَالَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ غَلَّتْ لَهُ أَرْضُهُ مَحَاصِيلَ وَافِرَةً.^{١٦}

فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً: مَاذَا أَعْمَلُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَكَانٌ أَخْزِنُ فِيهِ مَحَاصِيلِي؟^{١٧}

وَقَالَ: أَعْمَلْ هَذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأُبْنِي أَعْظَمَ مِنْهَا، وَهُنَاكَ أَخْزِنُ جَمِيعَ غِلَالِي وَخَيْرَاتِي.^{١٨}
وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ، عِنْدَكَ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ مَخْزُونَةٌ لِسِنِينَ عَدِيدَةٍ، فَاسْتَرِجِي وَكُلِّي وَاشْرَبِي وَاطْرَبِي!^{١٩}
وَلَكِنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ: يَا غَبِيءُ، هَذِهِ اللَّيْلَةُ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَلِمَنْ يَبْقَى مَا أَعْدَدْتَهُ؟^{٢٠}
هَذِهِ حَالَةُ مَنْ يَخْزِنُ الْكُنُوزَ لِنَفْسِهِ وَلَا يَكُونُ غَنِيًّا عِنْدَ اللَّهِ!^{٢١}
(لوقا ١٢: ١٦-٢١).

وقد نعت يسوع ذلك الرجل الثرى بالحماقة الشديدة. ومع العلم انه كان مُبارك بالصحة، والأرض الخصبة المثمرة ومهارات الفلاحة، وهو لم يعرف الله، والا لما كرس حياته لخزن الفائض الزائد من مدخوله لحياة التقاعد من الترف الأناني السهل. وكان يترتب عليه بالأحرى أن يطلب من الرب ما عساه أن يفعل ببركاته، عالماً انه ما كان الا وكيلاً لله. بالطبع كان الله يُريد منه أن يُشارك بغناه مع الآخرين وان يستمر بالعمل كما عهد ليتمكن من مُشاركته خيراته. او لكان البديل المقبول الآخر هو التوقف عن الزراعة وتكريس ذاته لخدمة وبدعم شخصي، إن كانت هذه دعوة الله لحياته.

هناك خطأ عظيم وقع به ذلك المزارع الغنى، في مثل يسوع، بما يتعلق وحسابه لميعاد موته. فقد افترض أن هُناك الكثير من السنين باقية على حياته، مع العلم ان مجرد ساعات معدودة كانت تفصله عن الأبدية. ما أشار اليه يسوع غير قابل للخطأ، إذ علينا أن نعيش كل يوم وكأنه اليوم الأخير، ودائماً مُستعدين لنفق أمام الله لنُعطي الحاسب.

هناك وجهتا نظر

كم يختلف المنظور الالهي بهذا الصدد عن المنظور الإنساني! فقد يكون الرجل الغنى الذي ذكره يسوع في مثاله بحالة معيشية يحسده عليها الكثيرون ممن يعرفوه على ثرواته، ولكن نرى ان الله يشفق عليه فهو كان غنى في أعين الناس فقط، ولكن فقيراً في أعين الرب. إذ كان بإمكانه أن يُعد لنفسه كنوزاً في السماء حيث تبقى للأبد. ولكنه أختار أن يكنز له كنوزاً على الأرض حيث لن يكون له أي ربح منها بعد مماته. وعلى ضوء ما علمه يسوع عن الطماعين، يبدو أنه من غير المعقول أنه يريدنا أن نعتقد أن الرجل الغنى بعد موته قد ذهب للسماء.

يجب أن يُساعدنا هذا المثال لتتذكر أن كُل شيء نملكه هو عطية من الله، وهو يتوقع منا ان نكون رعاة مؤتمنين. وهذا لا ينطبق حصراً على أصحاب الثروات المادية، ولكن على كل شخص، وكل من يُعزى بأهمية البركات المادية بافراط. فقد وضع يسوع ذلك حين أكمل حديثه للتلاميذ:

ثُمَّ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «لِهَذَا السَّبَبِ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَكْسُونَ.»^{٢٢}

إِنَّ الْحَيَاةَ أَكْثَرُ مِنْ مُجَرَّدِ طَعَامٍ، وَالْجَسَدُ أَكْثَرُ مِنْ مُجَرَّدِ كِسَاءٍ.^{٢٣}

تَأْمَلُوا الْغُرَبَانَ! فَهِيَ لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ، وَلَيْسَ عِنْدَهَا مَخْرَجٌ وَلَا مُسْتَوْدَعٌ، بَلْ يَعُولُهَا اللَّهُ. فَكَمْ أَنْتُمْ ٢٤
أَفْضَلُ كَثِيرًا مِنَ الطُّيُورِ.

وَلَكِنْ، أَيُّ مِنْكُمْ، إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُطِيلَ عُمُرَهُ وَلَوْ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ ٢٥

فَمَا دُمْتُمْ غَيْرَ قَادِرِينَ وَلَوْ عَلَى أَصْغَرِ الْأُمُورِ، فَلِمَ إِذَا تَهَنُّمُونَ بِالْأُمُورِ الْأُخْرَى؟ ٢٦

تَأْمَلُوا الزَّنَابِقَ كَيْفَ تَنْمُو! فَهِيَ لَا تَتْعَبُ وَلَا تَغْزُلُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: حَتَّى سُلَيْمَانُ فِي قِمَّةِ مَجْدِهِ لَمْ يَكْتَسِبْ ٢٧
مَا يُعَادِلُ وَاحِدَةً مِنْهَا بَهَاءً؟

فَإِنْ كَانَ اللَّهُ يَكْسُو الْعُشْبَ ثَوْبًا كَهَذَا، مَعَ أَنَّهُ يَكُونُ الْيَوْمَ فِي الْحَقْلِ وَغَدًا يُطْرَحُ فِي التَّنُّورِ، فَكَمْ أَنْتُمْ أَوْلَى ٢٨
مِنَ الْعُشْبِ (بِأَنْ يَكْسُوَكُمْ اللَّهُ) يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟

فَعَلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَلَّا تَسْعَوْا إِلَى مَا تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ، وَلَا تَكُونُوا قَلِقِينَ. ٢٩

فَهَذِهِ الْحَاجَاتُ كُلُّهَا تَسْعَى إِلَيْهَا أُمَمُ الْعَالَمِ، وَأَبُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا. ٣٠

إِنَّمَا اسْعَوْا إِلَى مَلَكُوتِهِ، فَتَزَادُ لَكُمْ هَذِهِ كُلُّهَا. ٣١

لَا تَخَافُوا، أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سَرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمْ الْمَلَكُوتَ. ٣٢

بِيعُوا مَا تَمْلِكُونَ وَأَعْطُوا صَدَقَةً، وَاجْعَلُوا لَكُمْ أَكْيَاسًا لَا تَبْلَى، كَنْزًا فِي السَّمَاوَاتِ لَا يَنْفَدُ، حَيْثُ لَا يَفْتَرِبُ ٣٣
لِصٍّ وَلَا يُفْسِدُ سُوسٌ.

لَأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ، يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضًا. ٣٤

(لوقا ١٢: ٢٢-٣٤)

كم تتناقض كلمات يسوع هذه مع ما يأتي به واعظي الازدهار في العصر الحديث! دوماً يقولون ان الله يريدنا بهذه الأيام أن نملك أكثر، في حين طلب يسوع من تلاميذه ان يبيعوا كل ما يملكون ويعطونه للفقراء! ولمرة أخرى أعلن يسوع حماقة هؤلاء الذين يكتزون لأنفسهم كنوزاً على الأرض - حيث أن مصير هذه الكنوز للفناء، كذاك تغدو قلوب أصحاب الثروات.

لاحظ أن يسوع طبق هذا الدرس عن الغنى الأحمق لهؤلاء الذين لديهم القليل وكانوا قلقون على الطعام والملبس. القلق على هذه الأشياء يخدعنا ويجعل تركيزنا في المكان الخاطئ. فإذا وثقنا بعناية أبينا كما ينبغي، عندها لن نقلق، وأسلوب الحياة الخالي من القلق سيحررنا لنتركز لأجل بناء ملكوت الله.

المسيح قدوة

كانت لدى يسوع أمور أخرى كثيرة ليتحدث بها عن المال. لم تكن تعاليمه رائعة وحسب بل أيضاً حياته كانت قدوة يحتذى بها، هكذا على الخادم المتلمذ ان يكون مثلاً صالحاً. وقد وعظ يسوع ما مارسه. فكيف عاش؟

لم يكنز يسوع أي غنى أرضي، قد كان بوسعه وبسهولة أن يستغل مكانته ليصبح غنياً جداً. فالكثير من الخُدام الموهوبين يفترضون خطأً أنه إن اجلبت خدماتهم لهم الكثير من المال، ذلك لأن الله يُريد لهم الثراء الشخصي. ولكن لم يستغل يسوع مسحته لمنفعته الشخصية. المال الذي أُعطى إليه كان يُستخدم لصنع تلاميذ. حتى انه زود احتياجات تلاميذه لمصاريف سفرهم.^{١٠١} الا أنه بأيماننا، التلاميذ الصغار عليهم أن يدفعوا مصاريف سفرهم بذهابهم ليتعلموا من الخُدام الكبار في مدارس الكتاب المُقدس. ولكن مثال يسوع كان مغايراً تماماً!

أيضاً عاش يسوع حياته بالأيمان، واثقاً أن أباه سيزوده بكل احتياجاته وبياركة حتى يزود احتياجات الآخرين. فنقرأ أنه أحياناً كان يدعى للعشاء على ولائم، ومرات أخرى نراه واقفاً يأكل القمح في الحقل (أنظر لوقا ٦: ١).

وقد زود يسوع الطعام مرتين على الأقل لآلاف من الناس ممن ذهبوا ليسمعوه. فكم يختلف هذا عن المؤتمرات المسيحية في العصر الحديث إذ يضطر كل من يُريد أن يسمع للواعظ لدفع تذكرة دخول! وأحياناً يستهزأ بنا نحن الذين نوفر الطعام لمن يحضرون مؤتمرات الخدام، "ندفع للناس أجره لكي ما يستمعوا لنا". لكن بالحقيقة نحن نتبع مثال يسوع.

وأعنتي يسوع بالفقراء، حيث أحتفظ تلاميذه بصندوق للأموال استخدموها للتوزيع. مساعدة الفقراء كان أمراً مألوفاً في خدمة يسوع، وعندما طلب يسوع من يهوذا أن يقوم بعمله على عجلة أثناء العشاء الأخير، خمنَ التلاميذ أن يهوذا كان مزماً الذهاب لشراء الطعام لهم أو لتوزيع الاموال على الفقراء (أنظر يوحنا ١٣: ٢٧-٣٠).

حقاً أحب يسوع قريبه كنفسه، وعاش ببساطة وشارك الآخرين. وما كان عليه ليتوب بسماعه لعظة يوحنا المعمدان عندما قال "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ثَوْبَان، فَلْيُعْطِ مَنْ لَا ثَوْبَ عِنْدَهُ؛ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ، فَلْيُعْمَلْ كَذَلِكَ أَيْضاً" (لوقا ٣: ١١). إذ كان ليسوع ثوباً واحداً. ولكن يزعم بعض وعاظ الرفاه والازدهار كما يحاولون إقناعنا بأن يسوع كان ثرياً لارتدائه قميصاً داخلياً منسوجاً بلا خياطة (أنظر يوحنا ١٩: ٢٣)، ومن المفترض انه كان لباس يرتديه الأغنياء. فمن المدهش كيف يصبح امراً يمكن ايجاده في نص واحد من الكتاب المُقدس بغاية الاهمية إن حاول شخص أن يثبت ما يتناقض مع آيات كثيرة أخرى! وقد نستنتج كل الاستنتاجات العجيبة الغريبة عن أن يسوع كان يُحاول أن يخفي غناه، كونه لم يرتدى قميصاً خارجياً منسوجاً.

فكان ليسوع الكثير ليقوله عن المال وليس لدينا الآن مجالاً لنتوسع أكثر. لكن دعونا نُلقي نظرةً على بعض التعاليم المعروفة لواعظي الازدهار والرفاهية في العصر الحديث الذين يُغيرون الآيات ويخدعون بها الساذجين.

^{١٠١} واعطي الرخاء دائماً ما يستخدمون هذه الحقيقة ليثبتوا أن خدمة يسوع كانت مُزدهرة. وبلا شك أن الله زود يسوع بما يحتاج حتى يُتم رسالته. ولكن الاختلاف بين يسوع وواعظي الرفاهية هو أن يسوع لم يكن أناني، ولم يصرف نقود خدمته لثرائه الشخصي.

" جعل سليمان غنياً "

يشير أولئك الوعاظ في العصر الحديث لثراء الملك سليمان، كذريعة لإخفاء جشعهم. ويمكن ان ذاكرتهم قد خانتهم وتناسوا حقيقة أن الله قد منح سليمان الثراء لغاية معينة. والسبب في ذلك أنه عندما وعد الله سليمان أنه سيُلبى أي طلب يطلبه منه، وتعرفون طلبه كان امداد الرب له بحكمة تمكنه من تدبير شؤون المملكة والحكم بالناس. وسر الله بسليمان إذ لم يطلب الثراء (وأشياء أخرى) لذلك لم منحه الله الحكمة فقط بل والثراء. ومع ذلك وبمرور السنين لم يستخدم سليمان الحكمة الإلهية المُعطاة له حسب القصد الإلهي له، وبذلك قد غدى أحمق من بين كل الرجال الذين عاشوا على الارض. ولو كان حكيماً لألقت لما قاله الله لشعب إسرائيل في شريعة موسى قديماً قبل ولادته:

- فَاتَّكُم تَقِيمُونَ عَلَيْكُمْ مَلَكاً الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ، شَرِيطَةً أَنْ يَكُونَ وَاحِداً مِنْ أَسْبَاطِكُمْ. يُحَظَرُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقِيمُوا مَلَكاً أَجْنَبِيّاً لَا يَنْتَمِي إِلَى أَحَدٍ أَسْبَاطِكُمْ.^{١٥}
- وَلَكِنْ إِيَّاهُ أَنْ يَكْثُرَ مِنْ عَدَدِ خِيُولِهِ، أَوْ يُعِيدَ الشَّعْبَ إِلَى مِصْرَ لِيَحْصُلَ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الْخَيْلِ لِأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَكُمْ: لَا تَزْتَدُوا لِلرُّجُوعِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ أَيْضاً.^{١٦}
- وَلْيَحْذَرُ مَنْ أَنْ يَكُونَ مَرْوِاجاً لِنَلَأٍ يَزِيغُ قَلْبَهُ، وَلَا يَكْثُرَ لِنَفْسِهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.^{١٧}

(تنثية ١٧: ١٥-١٧).

ايضاً هذه الآيات المذكورة أعلاه غالباً ما يتجاهلها وعاظ الازدهار والرفاه، الذين يتبعون مثل سليمان الذي بتجاهله لها، قد قيد الى هدمه الذاتي، وكمثله تماماً أصبحوا عابدي أوثان. تذكر أن قلب سليمان قد ضلّ وعبد الأوثان إرضاءً لزوجاته وبتشجيع منهن، زوجات كان الحصول عليهن بسبب سوء استخدامه للثروة. بينما كانت إرادة الله لسليمان أساساً بأن يستخدم الثراء المُعطى له ليحب قريبه كنفسه، في حين أن سليمان استخدمها لأغراض شخصية بدافع حبه للشهوة الذاتية. لذلك ضاعف لنفسه الذهب والفضة والأحصنة والزوجات، ضارباً وصية الله بعرض الحائط بحياة الترف والرفاه والعصيان. فقد تزوج بسبعمائة زوجة ومَلَكَ ثلاثمائة جارية، عملياً تلك كانت سرقة لزوجات ألف من الرجال الآخرين. ولكنه عوض أن يعطي الفقراء، راح سليمان ينغمس في أسلوب حياة من الانانية بملذات جسدية. ومن العجيب أن واعطي الرخاء يعتبرون سليمان مثلاً أعلى لمسيحي العهد الجديد بالرغم من أنانيته وعبادته للأوثان. أليس هدفنا هو أن نصبح على شاكلة المسيح؟

"الله جعل إبراهيم غنياً، وبركات إبراهيم وُعدت لنا"

وهذا تبرير آخر شائع يتم حبه وتلقيه من كلمات بولس الرسول، في الإصحاح الثالث من رسالته لغلاطية. وسأستشهد بتلك الآية التي يُساء استخدامها، ولكن في سياقها:

الكتاب المقدس برؤية مسبقة يذكر بان الله سيبرر الأمم بالإيمان، واعظاً بالإنجيل لإبراهيم، قائلاً، " سوف تتبارك فيك جميع الأمم." *ولذلك أولئك من آمنوا هم مباركون مع إبراهيم، المؤمن.*

ثُمَّ إِنَّ الْكِتَابَ، إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُبَرِّرُ الْأُمَّمَ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ، بَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ سَلْفاً بِقَوْلِهِ: «فِيكَ^٨ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الْأُمَمِ!

إِذْ الَّذِينَ هُمْ عَلَى مَبْدَأِ الْإِيمَانِ يُبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ.^٩

أَمَّا جَمِيعُ الَّذِينَ عَلَى مَبْدَأِ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ، فَإِنَّهُمْ تَحْتَ اللَّعْنَةِ، لِأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَتَّبِعُ عَلَى^{١٠} الْعَمَلِ بِكُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ الشَّرِيعَةِ!

أَمَّا أَنْ أَحَدًا لَا يَتَّبِعْ رُ عِنْدَ اللَّهِ بِفَضْلِ الشَّرِيعَةِ، فَذَلِكَ وَاضِحٌ، لِأَنَّ مَنْ تَبَرَّرَ بِالْإِيمَانِ فَبِالْإِيمَانِ يَحْيَا.^{١١}

وَلَكِنَّ الشَّرِيعَةَ لَا تُرَاعِي مَبْدَأَ الْإِيمَانِ، بَلْ «مَنْ عَمِلَ بِهِذِهِ الْوَصَايَا، يَحْيَا بِهَا.^{١٢}

إِنَّ الْمَسِيحَ حَرَّرَنَا بِالْفِدَاءِ مِنْ لَعْنَةِ الشَّرِيعَةِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً عَوْضاً عَنَّا، لِأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ غُلِقَ^{١٣} عَلَى خَسْبَةٍ،

لِكَيْ تَصِلَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، فَتَنَالَ عَنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ الرُّوحَ الْمُوَعُودَ.^{١٤}

(غلاطية ٣: ٨-١٤).

"بركة إبراهيم" التي أشار لها بولس في الآية رقم ١٤ أن الله وعد إبراهيم ليبارك به جميع الأمم (والتي اقتبسها بولس في آية رقم ٨)، وبالتحديد كما شَرَحَ ببضعة آيات لاحقة، بنسل إبراهيم الواحد-المسيح (غلاطية ٣: ١٦). وطبقاً لما قرأناه، لقد زود يسوع تلك البركة الموعودة لكل الأمم بأن يكون ملعوناً من الله، وبموته على الصليب من أجل خطايا العالم. ولذلك "بركة إبراهيم الحالة على الأمم" هي ليست منح الله الثروات المادية للأمم كما أعطى لإبراهيم، ولكن وعد الله ببركة الأمم من خلال نسله - وتحقيق ذلك أنجز بيسوع وموته على الصليب من أجلهم. (موضوع بولس الاساسي هنا أن خلاص الأمم يكون بالإيمان كما لليهود أيضاً، الإيمان بيسوع).

لوي آخر للمعنى

وهناك فقرة أخرى لطالما استخدمها وُعَظَّ الرفاه ليرروا عقيدتهم. فيزعمون إنه بسبب أن لعنة الفقر بوعد الشريعة تأتي على الذين لا يحفظوها (تثنية ٢٨: ٣٠-٣١، ٣٣، ٣٨-٤٠، ٤٧-٤٨، ٥١، ٦٨)، وبما أن

المسيح قد أعتقنا من لعنة الشريعة، وكما كتب بولس " إِنَّ الْمَسِيحَ حَرَّرَنَا بِالْفِدَاءِ مِنْ لَعْنَةِ الشَّرِيعَةِ " (في غلاطية ٣: ١٣) فنحن الآن ممن في المسيح قد حُررنا من لعنة الفقر.

أولاً، التفكير بكلام بولس قابل للنقاش عن اللعنات المذكورة في سفر التثنية ٢٨ عندما كُتِبَ عن "لعنة الشريعة" وتحريرنا بالمسيح. لاحظ، بولس لم يقل أنَّ المسيح حررنا من "لعنات" الشريعة (بالجمع)، ولكن عوضاً عن ذلك قال "لعنة" الشريعة، بصيغة المفرد، ربما يعني أن كل الشريعة كانت لعنة لمن حاول أن يجد خلاصه بحفظها. وحينما نُخلص بالمسيح، لم نعد نسقط بذلك الخطأ بعينه وهو محاولتنا لحفظ الشريعة، فنحن بهذا المفهوم "حُررنا من لعنة الشريعة".

وإن كان حقاً قصد بولس تحرير المسيح لنا من الكوارث المذكورة في تثنية ٢٨، وبالتالي ذلك يضمن رخاننا المادي، فكيف ويا للعجب كتب بولس عن نفسه قائلاً "فَمَا زَلْنَا حَتَّى هَذِهِ السَّاعَةِ جُوعٌ وَنَعْطَشٌ، وَنَعْرَى وَنُلْطَمُ وَنُحْرَمُ مَحَلًّا لِلْإِقَامَةِ" (كورنثوس الأولى ٤: ١١). وسيزيد تعجبنا أيضاً لما كتبه بالوحي:

فَمَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ لَنَا؟ هَلِ الشِّدَّةُ أَمْ الضِّيقُ أَمْ الاضْطِهَادُ أَمْ الْجُوعُ أَمْ الْعُزْيُ أَمْ الْخَطَرُ أَمْ السَّيْفُ؟

بَلْ كَمَا قَدْ كُتِبَ: إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نُعَانِي الْمَوْتَ طَوْلَ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا كَأَنَّنا غَنَمٌ لِلذَّبْحِ! ٣٦
(رومية ٨: ٣٦-٣٥)

ومن الواضح أن بولس ما كان ليكتب هذه الكلمات لو أنَّ كل المسيحيين مُحصنون من مُعانة الاضطهاد، والمجاعة، والعراء، والخطر، أو من السيف بفضل تحرير المسيح لنا من لعنة الشريعة. وسنتعجب أيضاً لنبوة يسوع بالمشهد السماوي التالي:

ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مَنْ بَارَكْتُهُمْ أَبِي، رَثُوا الْمُلْكُوتَ الَّذِي أُعِدَّ لَكُمْ مُنْذُ انْشَاءِ الْعَالَمِ: ٣٤
لَأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي، عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي، كُنْتُ غَرِيباً فَأَوَيْتُمُونِي، ٣٥

عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي، مَرِيضاً فَرَزَّيْتُمُونِي، سَجِيناً فَأَتَيْتُمُنِي إِلَيَّ! ٣٦
فَإِذَا الْأَبْرَارُ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطِشْنَاكَ فَسَقَيْْنَاكَ؟ ٣٧
وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيباً فَأَوَيْْنَاكَ، أَوْ عُرْيَاناً فَكَسَوْنَاكَ؟ ٣٨

وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضاً أَوْ سَجِيناً فَرَزَّيْنَاكَ؟ ٣٩
فَيَجِيبُهُمُ الْمَلِكُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ، فَبِي فَعَلْتُمْ! ٤٠
(متى ٢٥: ٣٤-٤٠)

وعليه هناك بعض الشك بأن كثيراً من المؤمنين الذين "حُرروا من لعنة الشريعة" سيجدون أنفسهم في ظل ظروف أقل ازدهاراً. لاحظ كيف وصف يسوع حالتهم-فقراء ضعفاء، لكن الله هو من يسد احتياجات المؤمنين الذين يعانون، وفعل ذلك من خلال مؤمنين آخرين الذين أنعموا بخيرات تزيد عن احتياجاتهم. ولنا

نحن أيضاً أن نتوقع أن الله سيسدد كل احتياجاتنا، حتى وإن كان الأمر لا يبدو كذلك بالوقت الراهن للبعض منا.

وأخيراً، سؤالي موجه الى واعظي الازدهار الذين يسعون لأجل الغنى ليتمثلوا بإبراهيم، هل هم مستعدون للعيش في خيمة دون كهرباء أو ماء؟!

أولئك الذين باركهم الله بدرجات متغيرة من الثراء في العهد القديم، كان مُتوقع منهم أن يستخدموا ثرائهم لمجد الله، مُشاركين وفرتهم بمساعدة الآخرين. وهذا بالواقع ما فعله إبراهيم، قد وفر أعمال لمئات من الناس وهكذا سُدَّت احتياجاتهم (أنظر تكوين ١٤ : ١٤). وهذا ما فعله أيوب أيضاً، الذي شهد باستخدام ثرائه لرعاية الأرمال والأيتام (أيوب ٢٩ : ١٢-١٣، ٣١ : ١٦-٢٢). على الذين انعموا بعطية تأسيس الاعمال أن يكون عملهم الأساسي إطاعة الله ومحبة القريب كالنفس.

"الكتاب المقدس يقول، صار يسوع فقيراً لنصبح أغنياء"

بالطبع يقول الإنجيل:

فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ: فَمِنْ أَجْلِكُمْ أَفْتَقَرَ، وَهُوَ الْغَنِيُّ لِكَيْ تَغْنَّتُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ.
(كورنثوس الثانية ٨ : ٩).

والجدل حول هذه الآية بمعنى أن يسوع كان غنياً مادياً في السماء وأصبح فقيراً مادياً على الأرض، وأن الثراء المادي هو ما كان يقصده بولس عندما كتب لُقْرائه لإمكانهم أن يصبحوا أغنياء من خلال فقر المسيح. وبالتأكيد يقولون إن كان بولس يتحدث عن الثراء المادي والفقر في الجزء الأول من الآية، فما كان ليتحدث عن الغناء الروحي في جزئها الثاني.

فإن كان قصد بولس بالفعل اننا سنكون أغنياء مادياً بسبب فقر المسيح المادي، سنتعجب لما كتب بعد آيات قليلة بذات الإصحاح،

وَكَمْ عَانَيْتُمْ مِنَ الثَّعَبِ وَالْكَدِّ وَالسَّهَرِ الطَّوِيلِ، وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالصَّوْمِ الْكَثِيرِ، وَالْبَرْدِ وَالْعَرِي
(كورنثوس الثانية ١١ : ٢٧).

فإن كان قصد بولس في كورنثوس الثانية ٨ : ٩ أن المسيح أصبح فقيراً مادياً لنصبح نحن أغنياء مادياً، عندها لما تحقق غرض المسيح في حياة بولس! ولذلك فمن الواضح أن بولس لم يعن أن المسيح أصبح فقيراً مادياً حتى نصبح نحن أغنياء مادياً على هذه الأرض. ولكن قصده أن نصبح أغنياءً روحياً، "أغنياء تجاه الله"، فلنستعير ذلك التعبير الذي استخدمه يسوع (أنظر لوقا ١٢ : ٢١)، أغنياء في السماء حيث تكون كنوزنا وقلوبنا.

أمن الصحيح والمضمون أن نفترض أنه بسبب تحدث بولس عن الثراء المادي في الجزء الأول من العبارة سيكون من المُحال أنه كان يتحدث عن الثراء الروحي في الجزء الآخر من العبارة، كما يتدعى وعاظ الازدهار؟ لاحظ كلمات يسوع التالية الموجهة لبعض أتباع يسوع في مدينة سميرنا:

إِنِّي أَعْلَمُ كَمْ تُقَاسِي مِنْ ضَيْقٍ وَفَقْرٍ (رؤيا ٢ : ١٩).

ومن الواضح أن يسوع كان يتكلم عن الفقر المادي الذي كان يواجهه مؤمنو سميرنا، وبعد ذلك بعدة كلمات صار يتحدث عن الثراء الروحي لنفس المؤمنين.

" وَعَدَ يَسُوعُ بِمَنْحَا مِئَةِ مَرَّةٍ أَكْثَرَ مِمَّا نُعْطِيهِ "

لقد وَعَدَ يسوع منح مئة ضعف مقابل ما يعطيه المؤمن بتضحية. دعونا نقرأ ما يقوله:
فَأَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَا مِنْ أَحَدٍ تَرَكَ لِأَجْلِي وَلِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ بَيْتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أُمّاً أَوْ ٢٩
أَباً أَوْ أَوْلَاداً أَوْ حُقُولاً،

إِلَّا وَيَنَالُ مِئَةَ ضِعْفٍ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَفِي الزَّمَانِ الْآتِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. ٣٠
(مرقس ١٠: ٢٩-٣٠).

لاحظ أن هذا ليس وعداً لمن يعطي أمواله للوعاظ، كما يتدعى الكثيرون من وعاظ الرفاه والازدهار. ولكن هذا الوعد لمن يتركون منازلهم ومزارعهم وأقربائهم ويذهبوا ليعظوا بالإنجيل على أوسع نطاق. يسوع وعد هؤلاء الناس "بقدر مئة مرة الآن في الزمن الحالي".

ولكن هل كان وعد يسوع لهؤلاء الناس بأن يصيروا مُلاكاً لمئة من المنازل أو المزارع بالمعنى الحرفي كما يتدعى وعاظ الرفاهية؟ لا، كما أن وعده لهم بمئة من الأمهات والأطفال لا ينبغي أن يؤخذ بالمعنى الحرفي للكلمة. قصد يسوع ببساطة لهؤلاء الذين يتركون منازلهم وأسرهم، أنهم سيجدون بيوت المؤمنين مفتوحة لاستقبالهم كأفراد العائلة وسط عائلتهم.

لاحظ أيضاً وعد يسوع بالاضطهاد والحياة الأبدية لهؤلاء. وهذا يُذكرنا بسباق فقرة بأكملها، كيف رأى التلاميذ ذلك الشاب الغني الحاكم، من اراد الحياة الأبدية ولكنه مضى حزينا عندما قال يسوع "أَسْهَلُ أَنْ يَدْخُلَ الْجَمَلُ فِي ثَقْبِ إِبْرَةٍ، مِنْ أَنْ يَدْخُلَ الْغَنِيُّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ" (مرقس ١٠: ٢٥).

وأندش التلاميذ بما قاله يسوع، وتساءلوا ما عسى أن تكون فرصة كل واحد منهم شخصياً لمنال ملكوت الله. حينها ذكّرهم يسوع بما تركوه ورائهم ليتبعوه، وعندها كان حديث يسوع عن وعد "المئة ضعف".

ومع ان الكلام واضح، الا انه ومن غير المعقول كيف أن وعاظ الازدهار يحاولون أن يُقنعونا أن وعد يسوع كان حرفياً بمئة ضعف مالي كعائد، الامر الذي سيجعلنا أثرياء في الحال وفي وقت قصير، على ضوء حقيقة، أن يسوع قد طلب من الرجل الغني، قبل ثوانٍ معدودة، أن يبيع كل ماله ويعطيه للفقراء إن أراد الحياة الأبدية!

هناك العديد من الآيات الأخرى التي يعتمد وعاظ الازدهار على لويها بجانب ما ذكرناه، ولكن لا مجال لنا ان نتطرق لجميعها بهذا الكتاب. فاحذروا!

قول مأثور للذكريات

صاغ جون وسيلي، مؤسس الحركة المعمدانية في كنيسة إنجلترا، قولاً مأثوراً رائعاً بخصوص المنظور الصحيح للمال. وهو "اعمل كل ما بإمكانك عمله، أدخر كل ما بإمكانك ادخاره، وأعطى كل ما بإمكانك اعطائه."

وهكذا، أولاً على المسيحيين أن يعملوا بجهد، مُستخدمين كل ما أعطاهم الله من قدرات وفُرص لكسب المال، لكن ليتأكدوا من أن أعمالهم تقوم على الأمانة دون تجاوز لأي من وصايا المسيح. ثانياً، عليهم أن يعيشوا ببساطة وباقتصاد، غير مُسرفين على أنفسهم بما يزيد عن حاجاتهم، وهكذا يستطيعوا أن "يدخروا ما بإمكانهم ادخاره".

وأخيراً، بتتبع للخطوتين الأولى والثانية، الآن عليهم أن "يعطوا كل ما بإمكانهم اعطائه" ولا يستكفوا بتقديم العشور وحسب، لكن ومع انكارهم لذواتهم بكل ما اوتوا من قدرة الى ان يتم إشباع كل الأرامل والأيتام وكراسة الإنجيل حول العالم.

وبالتأكيد أن الكنيسة الأولى مارست هذا النوع من الرعاية، والمؤمنون الأوائل قد أخذوا وصية يسوع على محمل من الجد عندما قال:

"بِيعُوا مَا تَمْلِكُونَ وَأَعْطُوا صَدَقَةً، وَاجْعَلُوا لَكُمْ أَكْيَاساً لَا تَبْلَى، كَثَرًا فِي السَّمَاوَاتِ لَا يَنْفَدُ، حَيْثُ لَا يَقْتَرِبُ لِصٍّ وَلَا يُفْسِدُ سُوسٌ" (١٢: ٣٣). كما نقرأ في تسجيل لوقا عن الكنيسة الأولى:

وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ مُتَّحِدِينَ مَعًا، فَكَانُوا يَتَشَارَكُونَ فِي كُلِّ مَا يَمْلِكُونَ،^{٤٤}

وَيَبِيعُونَ أَمْلاكَهُمْ وَمُقْتَنِيَاتِهِمْ وَيَتَقَاسَمُونَ النِّعَمَ عَلَى قَدْرِ احتِياجِ كُلِّ مِنْهُمْ،^{٤٥}

وَكَانَتْ جَمَاعَةُ الْمُؤْمِنِينَ قَلْبًا وَاحِدًا وَنَفْسًا وَاحِدَةً، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُ هُوَ لَهُ وَخَدَهُ، بَلْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ مُشْتَرَكًا.^{٣٢}

وَكَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَقُوَّةَ عَظِيمَةٍ تَنْصَحُهَا، وَنِعْمَةً عَظِيمَةً تَحُلُّ عَلَى جَمِيعِهِمْ.^{٣٣}

فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مُحْتَاجٌ، لِأَنَّ جَمِيعَ مَنْ كَانَ لَهُمْ حُقُولٌ أَوْ بُيُوتٌ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَأْتُونَ بِثَمَنِهَا،^{٣٤}

فَيَضَعُونَهُ عِنْدَ أَقْدَامِ الرُّسُلِ، وَهُمْ يُوزَعُونَ عَلَى كُلِّ مُحْتَاجٍ بِقَدْرِ حاجَتِهِ.^{٣٥}

(أعمال الرسل ٢: ٤٤-٤٥، ٤: ٣٢-٣٥).

الكتاب المقدس يبين لنا أيضاً أن الكنيسة الأولى امددت وزودت الاحتياجات الأساسية للفقراء من الأرامل (أنظر أعمال الرسل ٦: ١، تيموثاوس الأولى ٥: ٣-١٠).

أهتم بولس بخدمة احتياجات الفقراء المادية كجزء أساسي من خدمته، مع أنه يعتبر أعظم الرسل إذ انتمنه الله على كرازة الإنجيل بين الأمم، وهو الكاتب "البشري" للغالبية العظمى من رسائل العهد الجديد، واهتمامه

للفقراء كان عملياً، إذ دأب في محيط الكنائس التي أسسها، على جمع مبالغ كبيرة من الاموال لأجل دعم الفقراء المسيحيين (أنظر أعمال الرسل ١١: ٢٧-٣٠، ٢٤: ١٧، رومية ١٥: ٢٥-٢٨، كورنثوس الأولى ١٦: ١-٤، كورنثوس الثانية ٨-٩، غلاطية ٢: ١٠). وبعد سبعة عشر عاماً أو اقل على اعتناقه، ذهب بولس إلى اورشليم لتقديم الإنجيل الذي تلقاه لتدقيق بطرس ويعقوب ويوحنا. لكن لم يتمكن أحد منهم أيجاد أي خطأ بالرسالة التي كان يعظ بها، وعندما روى بولس موقفه بخطابه لأهل غلاطية، تذكر: " عَلَى الْأَنْفَعَالِ أَمْرَ الْفُقَرَاءِ، وَهَذَا عَيْنُهُ طَالَمَا كُنْتُ مُجْتَهِدًا فِي الْعَمَلِ لَهُ" (غلاطية ٢: ١٠). وهكذا كان في أذهان بطرس، يعقوب، يوحنا وبولس إظهار رحمة للفقراء يأتي بالمرتبة الثانية فوراً بعد إعلان الإنجيل.

الخلاصة

أفضل نصيحة يمكنني أن أقدمها، للخادم المتلمذ، بما يتعلق وهذا الموضوع من دراستنا، لعلها تأتي من الرسول بولس، الذي بعد أن حذر تيموثاوس قائلاً إن " محبة المال أصل لكل الشرور" وواصل قائلاً: " إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان، وطمعوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" ثم نبهه:

وَأَمَّا أَنْتَ، يَا إِنْسَانَ اللَّهِ، فَاهْرُبْ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَاسْعَ فِي إِثْرِ الْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَالْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ وَالْوَدَاعَةِ (تيموثاوس الأولى ٦: ١١).

الفصل الثالث والثلاثين

أسرار التبشير

Secrets of Evangelism

لقد وعده الله إبراهيم بعدما أثبت استعداده لتقديم ابنه أسحاق المحبوب الوحيد، قائلاً:

"وَيَذَرِّيكَ تَبَارَكَ جَمِيعُ أُمَمِ الْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَطَعْتَنِي" (تكوين ٢٢: ١٨).

وقد أشار بولس الرسول لهذا الوعد الذي قطعه الله مع إبراهيم وبنسله، "نسل" بصيغة المفرد، وليس "أنسال" بالجمع، وهذا النسل (الذرية) الوحيد هو المسيح (أنظر غلاطية ٣: ١٦). لذلك في المسيح ستنال كل الأمم البركة، وأكثر تدقيقاً، كل المجموعات العرقية على الأرض. فإن وعده لإبراهيم لهو تنبأ يشمل آلاف المجموعات العرقية حول العالم إلى بركة تواجدهم في المسيح. أولئك المجموعات العرقية تختلف الواحدة عن الأخرى بالأماكن الجغرافية التي تقطنها، وأعراقها القومية المختلفة، ينتمون على ثقافات متعددة، يتكلمون بلغات مختلفة. الله يريد لهم جميعاً أن يتباركون بالمسيح، ولهذا مات يسوع من أجل خطايا العالم كله (أنظر يوحنا الأولى ٢: ٢).

وعلى الرغم من قول يسوع أن الطريق الذي يقود إلى الحياة هو ضيق، والقلائل من يجدونه (متى ٧: ١٤)، إلا أن الرسول يوحنا ترك لنا انطباعاً حسناً لنؤمن أنه في الملكوت الإلهي العتيد سيكون ممثلون من كل المجموعات العرقية المختلفة:

ثُمَّ نَظَرْتُ، فَرَأَيْتُ جَمْعاً كَثِيراً لَا يُحْصَى، مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَسُكَّانٍ وَلُغَةٍ، وَقَافِينَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْحَمَلِ، وَقَدْ ارْتَدَوْا ثِيَاباً بَيَاضَاءَ، وَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ سَعَفَ النَّخْلِ،

وَهُمْ يَهْتَفُونَ بِصَوْتٍ عَالٍ: الْخَلَّاصُ مِنْ عِنْدِ إِلَهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَمِنْ عِنْدِ الْحَمَلِ! ١٠

(رؤيا ٧: ٩-١٠).

هكذا وبتقرب عظيم يتطلع أبناء الله لذلك اليوم الذي به ستضم أعراق كثيرة معهم أمام عرش الله.

العديد من المرسلين المعاصرين يؤكدون على أهمية الوصول للآلاف المتبقية من المجموعات العرقية المختبئة حول العالم، على أمل زرع كنيسة قابلة للنمو في كل منها. وهذا بالتأكيد جدير بالثناء، حيث أوصانا يسوع بأن نذهب للعالم و"نصنع تلاميذاً من كل الأمم (أو بالتحديد، المجموعات العرقية)" (متى ٢٨: ١٩). ولكن خطط الإنسان، بغض النظر عن حسن نواياها ومقاصدها الجيدة، ممكن أن تضر أكثر مما تنفع خاصة عندما تخلو من إرشادات الروح القدس، فمن المهم أن نتبع حكمة الله وأن نسعى لبناء ملكوته. فقد أعطانا الكثير من المعلومات والإرشادات عن كيفية تلمذة مؤمنين حول العالم أكثر مما ذكر في متى ٢٨: ١٩.

ربما الحقيقة التي لطالما تجاهلها كثيرون من الذين يسعون لتحقيق مأمورية الله العظمى، هي أن الله هو بذاته أعظم المبشرين، فمن المفروض أن نعمل معه وليس لأجله. فهو الأكثر اهتماماً للإيصال للإنجيل للعالم من

أي شخص آخر، وهو يعمل بجدية للغاية أكثر من أي شخص آخر. فهو كان وما زال مُكرساً لهذا السبب الذي مات لأجله، وفكر بخلاصنا قبل أن يخلق الإنسان، وهو مازال أمين على ذلك! هذا تعهده!

"ربح العالم للمسيح"

من المدهش انه عندما نقرأ رسائل العهد الجديد، فإننا لا نجد أي توسل للمؤمنين (كما يجري في أيامنا) "ليذهبوا ويبشروا العالم بالمسيح!" فمسيحي الكنيسة الأولى والقادة المسيحيين أدركوا أن الله كان يعمل جاهداً ليخلص العالم، وكان عملهم هو التعاون مع الله لقيادة هؤلاء الناس. ومن كان عالم بهذه الحقيقة أكثر من بولس الرسول، الذي لم يقوده أحد من البشر للرب. "ولكنه تغير بتدخل الله وإرشاده له حين كان في رحلته إلى دمشق. ومن خلال سفر أعمال الرسل، نجد أن الكنيسة كانت تتوسع بسبب أناس كانوا ممسوحين ومقادين بالروح يتعاون مع الروح القدس. سفر أعمال الرسل، والذي ينبغي الإشارة إليه باسم كتاب "أعمال الله." ففي مقدمة لوقا لسفر أعمال الرسل، قد ذكر أن تسجيله الأول (ويعني الإنجيل الذي يحمل اسمه) كان تسجيلاً لكل ما بدأ يسوع في عمله وتعليمه (أعمال الرسل ١: ١). من الواضح أن لوقا كان على يقين بأن سفر أعمال الرسل كان عبارة عن تكملة لما عمله يسوع وعلمه. وقد استمر يسوع بعمله من خلال الخدام الممسوحين المقادين بالروح القدس ويتعاون معه.

ماذا كانت يا ترى مسؤولية أولئك المسيحيين الاوائل الذين لم يُشجع منهم احداً "على الخروج لأجل الكرازة للعالم ليساعدوا على ربح العالم للمسيح"، في بناء ملكوت الله؟ - كل الذين لم يُدعون ولم تكن لهم الموهبة لنشر الإنجيل جهراً للعامة (كالرسل والمبشرين) كانوا مدعون للعيش لحياة الطاعة والقداسة، مُستعدين أن للدفاع والرد على ادعاءات المجدفين أو أسئلة من يهتم بالآيمان. وقد كتب بطرس بهذا على سبيل المثال،

وَأِنْ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تَتَأَلَّمُوا فِي سَبِيلِ الْبِرِّ، فَطُوبَى لَكُمْ! لَا تَخَافُوا مِنْ تَهْدِيدِ الَّذِينَ يَضْطَهُدُونَكُمْ، وَلَا تَقْلَقُوا^{١٤} وَإِنَّمَا كَرِّسُوا الْمَسِيحَ رَبًّا فِي قُلُوبِكُمْ. وَكُونُوا دَائِمًا مُسْتَعِدِّينَ لِأَنْ تَقْدِمُوا جَوَابًا مُقْنِعًا لِكُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ^{١٥} سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِي دَاخِلِكُمْ.

عَلَى أَنْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ بَوَدَاعَةٍ وَاحْتِرَامٍ، مُحَافِظِينَ عَلَى طَهَارَةِ ضَمَائِرِكُمْ، سَالِكِينَ فِي الْمَسِيحِ سُلُوكًا^{١٦} صَالِحًا، وَعِنْدَئِذٍ يَخِيبُ الَّذِينَ يُوجِّهُونَ إِلَيْكُمْ التُّهَمَ الْكَاذِبَةَ وَيَشْتُمُونَكُمْ كَأَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ شَرًّا.

(بطرس الأولى ٣: ١٤-١٦)

لاحظ أن بطرس كتب للمسيحيين الذين كانوا يعانون من اضطهادات مستمرة. إن لم يختلف المسيحيون عن باقيّة الناس في العالم، فبالطبع لما كان للعالم ان يضطهدهم. هذا هو أحد الأسباب لقلّة اضطهاد المسيحيين في أماكن كثيرة اليوم - ذلك لأن الذين يدعون انهم مسيحيون لا يختلفون بسلوكياتهم البتة عن الآخرين من غير المؤمنين. وهم في حقيقة الامر ليسوا مسيحيين على الإطلاق، ولذلك لا أحد يضطهدهم. ومع ذلك يشجع أعضاء هذه الأنواع من "المسيحية" بعضهم بعضاً في أيام الأحاد على مشاركة إيمانهم مع جيرانهم، بينما يُذهل الجيران عندما يسمعون شهاداتهم، ويندهشوا كونهم جيراناً لأناس من المفروض أنهم مسيحيين

مولدون الولادة الثانية. والأسوأ من ذلك، أنهم يعتقدون وكأن إخبارهم الإنجيل لجيرانهم "الأخبار السارة" لا يمت بصلة لحياتهم اليومية وان الأعمال الحسنة أو الطاعة لله لا دخل لها بخلصهم. فكل ما يهتموا به هو قبول يسوع كمخلصهم الشخصي فقط.

كم يأتي هذا بتناقض مع مسيحيي الكنيسة الأولى (الذين كان المسيح بالحقيقة رباً لهم، عاشوا كنور وسط الظلام، ولم يحتاجوا لتلقي دروس عن الشهادة أو تشجيعهم على إخبار جيرانهم أنهم أتباع للمسيح. فكان لديهم الكثير من الفرص لمشاركة الإنجيل في حين استجوبوا وشتموا لأجل برهم. كل ما كان عليهم ان يفعلوه فقط هو تقديس الرب يسوع في قلوبهم، عندها وكما قال بطرس، فإنهم سيكونون على استعداد لإعطاء الإجابة عن سبب الرجاء الذي فيهم.

ربما الاختلاف الأساسي بين مسيحيي العصر الحديث ومسيحيي الكنيسة الأولى هو: أن مسيحيي العصر الحديث يميلون تجاه الاعتقاد بان المسيحية توصف بما يعرفونه ويؤمنون به – وهذا ما ندعوه بالعقيدة، ولذلك التركيز هنا هو على التعاليم. وعلى النقيض من ذلك، مسيحيي الكنيسة الأولى آمنوا بأن ما يتميز به المسيحي هو ما يفعله – ولذلك ركزوا على طاعة وصايا المسيح. ومن المدهش معرفة انه لم يكن لأي مسيحي القدرة على ان يملك كتابه المقدس الشخصي وذلك طوال مدة أربعة عشر قرناً من الزمن، فمن الواضح أن القراءة اليومية الشخصية للكتاب المقدس كانت أمراً مستحيلاً، مع انه يعتبر أحد القوانين الأساسية لمسيحيي هذا العصر. فأنا بهذا الصدد وبالتأكيد لا أقول إنه لا يتوجب على مسيحيي العصر الحديث ان يواظبوا على القراءة اليومية للكتاب المقدس. انا فقط اقول أن الكثيرين من المسيحيين جعلوا من دراسة الكتاب المقدس أمراً يفوق أهمية عن طاعتهم للرب. نحن وعلى رأس كل شيء نفتخر بأنفسنا إذ نسعى للحصول على التعاليم الصحيحة (بخلاف أعضاء الـ ٢٩٩٩٩ طائفة الذين ليسوا بذات المستوى للفهم الكتابي الذي نحن توصلنا اليه) ولكن مازلنا نشي على الآخرين نكذب، ومعدين لأنفسنا كنوزاً على الأرض.

إن كنا نأمل بتليين قلوب الناس حتى يصبحون أكثر تقبلاً للإنجيل، فمن الاجدر ان نفعل ذلك بأعمالنا لا بتعاليمنا ومعرفتنا للعقيدة.

الله، أفضل مُبشر

دعونا نلقي نظرة تفصيلية أشمل على عمل الله ببناء ملكوته. إذ انه كلما فهمنا عمله، كلما كان تعاوننا معه بصورة أفضل. عندما يؤمن الناس بيسوع ذلك امر يفعلونه بقلوبهم (أنظر رومية ١٠: ٩-١٠). فهم يؤمنون بالرب يسوع وبالتالي يتوبون. فيعزلون إراداتهم الذاتية جانباً ويرفعون يسوع على عرش إرادتهم. فالإيمان يشتمل على تغييراً ملحوظاً في القلب.

وبالمثل، عندما لا يؤمن الناس بيسوع، فإن عدم الايمان هو أمر يحدثونه بقلوبهم. فهم يقاومون الله وبالتالي لا يتوبون. فيتخذون قراراً واعياً ألا يتوجوا يسوع على قلوبهم. هكذا فعدم الإيمان يتضمن إقراراً مُستمرّاً من قبل أحدهم على ألا يُغير قلبه.

وقد أشار يسوع الى صلابة قلوب الناس، والى عجز الانسان على أن يأتي إليه إلا إذا ما تم اجتذابه من الآب (أنظر يوحنا ٦: ٤٤). فالله برحمته يجتذب كل انسان ليسوع بشكل مستمر وبشتى الوسائل، وكلها تلمس قلوبهم، ومن خلالها عليهم اتخاذ قرار إما أن يلبسوا قلوبهم أو يصلبوها، وهي لعملية مستمرة حيث الله يبادر برحمته وعلى الانسان مرة تلو الأخرى اتخاذ قرار.

فما هي الوسائل التي يستخدمها الرب ليلبس قلوب الناس على أمل جذبهم ليسوع؟
أولاً، يستخدم الله خليقته. فقد كتب بولس،

فَإِنَّهُ قَدْ أَعْلَنَ غَضَبَ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ مِنْ عَصْيَانٍ وَإِثْمٍ فَيَحْجُبُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ.^{١٨}
ذَلِكَ لِأَنَّ مَا يُعْرِفُ عَنِ اللَّهِ وَاضِحٌ بَيْنَهُمْ، إِذْ بَيَّنَّهُ اللَّهُ لَهُمْ.^{١٩}

فَإِنَّ مَا لَا يَرَى مِنْ أُمُورِ اللَّهِ، أَيْ قُدْرَتَهُ الْأَزَلِيَّةَ وَالْوَهْنَةَ، ظَاهِرٌ لِلْعِيَانِ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ، إِذْ تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ^{٢٠} مِنْ خِلَالِ الْمَخْلُوقَاتِ. حَتَّى إِنَّ النَّاسَ بَاتُوا بِلَا عُذْرٍ.

(رومية ١: ١٨-٢٠)

لاحظ ما قاله بولس أَنَّ الناس "يقمعون الحقيقة" وهو "دليل واضح بداخلهم." هذا وأن هذه الحقيقة ترتفع بداخلهم وتواجههم، على انهم يدفعوها للوراء مقاومين قناعتهم الداخلية.

فما هي الحقيقة الواضحة بكل شخص على وجه التحديد؟ - قال بولس أنها حقائق صفات الله الخفية، قدرته الازلية وطبيعته الإلهية الواضحة من خلال خليقته. فالناس يدركون بداخلهم أنه موجود بالنظر الى ما صنعه من خلق،^{١٢} وأنه قوي جداً، ومُبدعاً رائعاً وزكياً خارقاً، ولحكمته لا استفساء ولا حصر لفضائله.

فما استنتجه بولس أن هؤلاء الناس هم "بدون عُذر" وهو على حق. فالله باستمرار يصرخ للجميع، مُبيناً ذاته محاولاً أن يُلبس قلوبهم، ولكن الكثير منهم يصدون أذانهم. وبالرغم من هذا الله لا يتوقف عن الصراخ طوال حياتهم، من خلال صُنع الكثير من المُعجزات - ومن خلال الورد، والطيور، والأطفال، والتلج، الموز، والثفاح، وملايين من الأشياء الأخرى.

إن كان الله موجوداً بالفعل وعظيماً كما تعلن خليقته ذلك، إذاً وبلا شك ينبغي أن يطاع. والاعلان الداخلي دائماً ما يصرخ برسالة واحدة: ثُب! ولهذا السبب، يصر بولس على حقيقة أن كل انسان قد سمع دعوة الله للتوبة بلا ريب:

وَلَكِنِّي أَقُولُ: أَمَا سَمِعُوا؟ بَلَى، فَإِنَّ الْمُبَشِّرِينَ انْطَلَقَ صَوْتُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَكَلَامُهُمْ إِلَى أَقَاصِي الْعَالَمِ (رومية ١٠: ١٨).

وكان بولس في الحقيقة يستشهد بأية معروفة من مزمو ١٩، والتي تقول،

^{١٢} هذا لما يعلن الكتاب المقدس، " قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لَا يُوجَدُ إِلَهٌ! قَدْ فَسَدَ الْبَشَرُ وَارْتَكَبُوا الْمُؤْبَقَاتِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَعْمَلُ الصَّالِحَ" (مزامير ١٤: ١). فالجاهلين فقط قمع الحقيقة الواضحة.

السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ^١
بِذَلِكَ تَتَحَادَثُ الْأَيَّامُ أَبْلَغَ حَدِيثٍ، وَتَتَخَاطَبُ بِهِ اللَّيَالِي.^٢
لَا يَصْدُرُ عَنْهَا كَلَامٌ، لَكِنَّ صَوْتَهَا يُسْمَعُ وَاضِحاً.^٣
انْطَلَقَ صَوْتُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا وَكَلَامُهُمْ إِلَى أَقْصَايِ الْعَالَمِ.^٤
(مزامير ١٩: ١-١٤أ)

ولمرة أخرى هنا 'شارة على أن الله يحدث كل شخص، ليلاً ونهاراً، من خلال خليقته. فإن كان رد فعل الإنسان لرسالة الله من خلال خليفة صحيحة، فسيسقط على وجهه ويبيكي ويقول شيئاً من هذا القبيل، "أيها الخالق العظيم، أنت خلقتني، ومن الواضح أنك خلقتني لأفعل مشيئتك. ولذلك أن أخضع ذات لك!"

وسائل أخرى يتحدث بها الله

هناك إعلان داخلي آخر يتعلق بالإعلانات الداخلية والخارجية مُعطاً من الله، وهذا إعلان لا يعتمد على اختبار الشخص لمُعجزات الخليفة. فهذا الاعلان الداخلي هو ضمير الشخص، وهو صوت يشير الى شريعة الله على الدوام.
وقد كتب بولس:

إِذْ نِ الْأُمَمَ الَّذِينَ بِلَا شَرِيعَةٍ، عِنْدَمَا يُمَارِسُونَ بِالطَّبِيعَةِ مَا فِي الشَّرِيعَةِ، يَكُونُونَ شَرِيعَةً لِنَفْسِهِمْ، مَعَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَيْسَتْ لَهُمْ.
فَهُمْ يُظْهِرُونَ جَوْهَرَ الشَّرِيعَةِ مَكْتُوباً فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِي دَاخِلِهِمْ، إِذْ تَنْتَهُمُهُمْ^{١٥} تَارَةً، وَتَارَةً تُبْرِئُهُمْ.
(وَتَكُونُ الدِّينُونَةُ) يَوْمَ يَدِينُ اللَّهُ خَفَايَا النَّاسِ، وَفَقْأً لِلْإِنْجِيلِي، عَلَى يَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.^{١٦}

(رومية ٢: ١٤-١٦)

وهكذا فبفضل الضمير يمكن لكل شخص ان يميز الصواب من الخطأ. أو إن قلنا ذلك بشكل آخر وأكثر وضوحاً، أن كل شخص يعرف ما يرضي الله وما يغضبه، وأن كل إنسان سوف يُحاسِب في يوم الدينونة عما فعله بما لا يرضى الله. وكأنه كلما تقدم الانسان سنأ، كلما ازداد براعةً بطرق تبريره لخطاياهِ وتعدياته متجاهلاً صوت ضميره، ولكن الله لا يتوقف أبداً عن تقديمه لأحكامه لنا.

وسيلة ثالثة

وليس هذا كل ما في الامر. فالله هو المُبشر العظيم الذي يعمل على جلب كل شخص للتوبة، ويتكلم للناس بطرق مختلفة. دعونا نقرأ هذه الكلمات مرة أخرى:

فَإِنَّهُ قَدْ أُعْلِنَ غَضَبُ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ مِنْ عَصْيَانٍ وَإِثْمٍ فَيَحْجُبُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ (رومية ١: ١٨).

لاحظ قول بولس، قد أُعْلِنَ غضب الله، ولم يقل انه على وشك أن يُعلن يوماً ما. فغضب الله هو شاهد لكل شخص في العديد من الأحداث الحزينة والمأساوية، الكبيرة منها والصغيرة، التي تُصيب الإنسانية. إن كان الله هو كلي القدرة، قادر على فعل كل شيء، فإنه عندما يضرب هؤلاء الذين يتجاهلون، لعله بذلك يظهر لهم واحدة من مظاهر غضبه. اللاهوتيين والفلاسفة الحمقى فقط لا يرون ذلك. وحتى في ساعة غضبه يعلن الله رحمته ومحبته، حتى انهم يستحقون أكثر بكثير مما حلّ عليهم من غضبه، ولكنه وبكل محبة يحذرهم من الغضب الأبدي الذي ينتظر الغير تائبين بعد موتهم. وهي طريقة أخرى يستخدمها الله ليجتذب انتباه أولئك الذين يحتاجون للتوبة.

وسيلة رابعة

وأخيراً، لا يسعى الله لجلب الناس إليه بإعلاناته من خلال خليقته، الضمير، والمصائب فقط، بل أيضاً من خلال دعوة الإنجيل. كخدام له نطيعه نحن نعلن الأخبار السارة، وهي نفس رسالة التي تؤكد الخليفة، الضمير، والمصائب، وتتلخص بكلمة واحدة: نُبأ!

هذا وكما ترى، فإن كل ما نفعله من تبشير لا يمكن أن يُقارن بعمل الله. فهو يُبشر كل شخص باستمرار وفي كل لحظة وفي كل يوم من حياة الأشخاص، الذكور والاناث ومن كل الاعمار، ذلك يفوق حتى أعظم المُبشرين من الناس الذين لربما يكرزون لعدة مئات من آلاف الانفس على مدار عشرات السنوات. وهؤلاء المُبشرون يعطون بشكل عام لمجموعة مُعينة من الناس ولمدة قصيرة. وفي الحقيقة وعلى غرار ما اوصاه يسوع بنفض الغبار عن أقدام المرسلين حين لا تقبلهم مدينة ما، قرية ما، أو منزل ما (أنظر متى ١٠: ١٤)، فهذه تكون الفرصة الوحيدة للمبشرين ان يتقفوا عن محاولاتهم بالكرازة لمجموعة ما. لكن ليس الامر كذلك بالنسبة لله، إذ لا يتوقف عمله على تغيير الافراد وجلبهم للتوبة بشكل عالمي دراماتيكي وداخلي. ذلك لندرك ان دورنا محدود جداً بالمقارنة مع عمل الله.

هذا المفهوم سيُساعدنا على فهم مسؤوليتنا بشكل أفضل في ميدان التبشير وبناء ملكوت الله. ولكن قبل أن نلقى نظرة على هذا الدور بتفصيل اوسع هناك حقيقة أخرى مُهمة علينا ألا نتجاهلها.

كما ذكرنا قبلاً فإن التوبة والإيمان هما امران يَحدثهما المرء بقلبه. فرغبة الله أن يتواضع كل انسان، يُلين قلبه، يتوب ويؤمن بالرب يسوع. والى المنتهى يعمل الله بقلوب الناس بطرق متنوعة وبشكل دائم.

وبالطبع يعلم الله وضع قلب كل انسان. ويعرف جيداً من يتلين بقلبه ومن قلبه يزداد صلابة. ويعلم الرب كل العلم من يسمع لرسالته التي لا يفتأ أن يقدمها ومن يتجاهله. وهو يعلم من الذين ستفتح المصائب قلوبهم ويتوبون. وهو على علم بالذين صُلِّبَت قلوبهم وليس هناك من أمل لتوبتهم. (فعلى سبيل المثال قال الله لأرميا ثلاثة مرات، ألا يُصلى من أجل شعب إسرائيل لأن قلوبهم كانت بعيدة كل البعد عن طريق التوبة؛ أنظر أرميا ٧: ١٦؛ ١١: ١٤؛ ١٤: ١١) ١٠٣. وهو يعرف قلوب من قد لانت وبالتالي بإقناع قليل من الروح سيتوبون.

ومع أخذان كل ذلك بعين الاعتبار، ماذا يمكن لنا أن نتعلمه عن مسؤولية الكنائس عن إعلان الإنجيل وبناء ملكوت الله؟

المبدأ الأول

أولاً، ألا يبدو من غير المعقول أن الله، المبشر الأعظم، الذي يعمل بما يقارب الـ ٩٥% من مجمل العمل التبشيري الصارخ بلا هوادة نحو كل نفس في كل يوم، انه لربما يرسل خُدامه ليكرزوا الإنجيل لمن قلوبهم مُستعدة أكثر لقبوله عوضاً عن ارسالهم لمن هم أقل قابلية للقبول؟ أنا أعتقد ذلك.

ألا يبدو من غير المعقول أن الله، أعظم مُبشر، والذي يعظ بالناس في كل لحظة من حياتهم، لربما انه يختار ألا يكثرث بإرسال الإنجيل لمن يتجاهلون كل ما قاله لهم على مر السنين؟ فعلاً سيضيع الله وقتاً ليُعلم الناس آخر ٥% بما يُريده أن يعلموه إن كانوا قد تجاهلوا بشكل قاطع الـ ٩٥% مما سعى محاولاً إعلامهم؟ فأننا أعتقد أن الله سيرسل دينونة على هؤلاء الناس على أمل إحداث تلين أن قلوبهم. وإن أو عندما يفعلوا ذلك، سيرسل الله لهم خُدامه ليعلنوا الإنجيل لهم.

وربما سيقول البعض أن الله يُرسل خُدامه لمن يعلم أنهم لن يتوبوا، لكيلا يكون لهم أي عُذر حين وقوفهم أمامه يوم الدينونة. وتذكر أنه حسب ما جاء بالكتاب المُقدس هؤلاء الناس بالفعل لا عُذر لهم أمام الله بسبب إعلانه عن ذاته وبلا انقطاع من خلال خليقته (أنظر رومية ١: ٢٠). ولذلك إن أرسل الله أحد خُدامه لهؤلاء الناس، ليس من باب القاء المسؤولية عليهم وإنما ولكن لكي تكون المسؤولية برمتها عليهم.

وإن كان حقيقياً أن الله يقود خُدامه لأشخاص ذوي قابلية للقبول، فعليه يتوجب على أولئك الخُدام أن يصلوا من أجل حكمة لقيادة الروح القدس لمن يعلم أنهم جاهزون للحصاد.

١٠٣ فيما بعد ذلك الكتاب المقدس يعلمنا أن الله ربما يُقسى أكثر قلوب هؤلاء الذين باستمرار يقسوا قلوبهم ضده (مثل فرعون). يبدو ذلك وكأنه مُستحيل إن هناك أي أمل لتوبة هؤلاء الناس.

مثال كتابي

يظهر هذا المبدأ وبصورة جميلة في خدمة فيلبس المُبشر كما جاء في سفر أعمال الرسل. فقد وعظ فيلبس لجموع مُتقبلة في السامرة، ولكنه قيد بعدها من قِبَل ملاك لمأمورية خاصة. وقيد هناك بالروح لساعياً مُتقبلاً:

ثُمَّ إِنَّ مَلَكَاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ كَلَّمَ فِيلِبُّسَ فَقَالَ لَهُ: «قُمْ اذْهَبْ نَحْوَ الْجَنُوبِ، مَاشِياً عَلَى الطَّرِيقِ الْبَرِّيَّةِ بَيْنَ أُورُشَلِيمَ وَغَزَّةَ.

فَقَامَ وَذَهَبَ. وَإِذَا رَجُلٌ حَبَشِيٌّ، خَصِيٌّ، يَعْمَلُ وَزِيْراً لِلشُّوْنِ الْمَالِيَّةِ عِنْدَ كُنْدَاكَةَ مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ، كَانَ قَدْ حَجَّ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِلسُّجُودِ فِيهَا،

وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْحَبَشَةِ رَاكِباً فِي عَرَبِيَّةٍ، يَقْرَأُ فِي كِتَابِ النَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ.

فَقَالَ الرُّوحُ لِفِيلِبُّسَ: تَقَدَّمْ وَرَافِقْ هَذِهِ الْعَرَبِيَّةَ!

فَاسْرَعَ فِيلِبُّسُ وَسَمِعَ الْخَصِيَّ يَقْرَأُ نُبُوءَةَ إِشْعِيَاءَ، فَسَأَلَهُ: أَنْفَهُمْ مَا تَقْرَأُ؟

فَأَجَابَ: كَيْفَ يُمَكِّنُنِي ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَسْرُخْ لِي أَحَدٌ؟ وَدَعَا فِيلِبُّسَ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ وَيَجْلِسَ مَعَهُ.

وَكَانَ الْخَصِيُّ قَدْ وَصَلَ فِي فَصْلِ الْكِتَابِ الَّذِي يَقْرَأُهُ إِلَى الْقَوْلِ: مِثْلُ شَاةٍ سَبَقَ إِلَى الدَّبْحِ، وَمِثْلُ الْحَمَلِ الصَّامِتِ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ يَجْرُهُ، هَكَذَا لَمْ يَفْتَحْ قَاهُ!

فِي أَثْنَاءِ تَوَاضُعِهِ عُوْمَلٍ بِغَيْرِ عَدَلٍ. مَنْ يُخْبِرُ عَنْ نَسْلِهِ؟ فَإِنَّ حَيَاتَهُ قَدْ انْتَزَعَتْ مِنَ الْأَرْضِ!

وَسَأَلَ الْخَصِيَّ فِيلِبُّسَ: قُلْ لِي: إِلَى مَنْ يُثِيرُ النَّبِيُّ بِهَذَا الْقَوْلِ؟ إِلَى نَفْسِهِ أَوْ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ؟

فَتَكَلَّمَ وَأَخَذَ يُبَشِّرُهُ بِيَسُوعَ انْطِلَاقاً مِنْ كِتَابِ النَّبِيِّ هَذَا.

وَبَيْنَمَا كَانَتِ الْعَرَبَةُ تَسِيرُ بِهِمَا، وَصَلَا إِلَى مَكَانٍ فِيهِ مَاءٌ، فَقَالَ الْخَصِيُّ: هَا هُوَ الْمَاءُ، فَمَاذَا يَمْنَعُ أَنْ أَتَعَمَّدَ؟

فَأَجَابَهُ فِيلِبُّسُ: هَذَا جَائِزٌ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ. فَقَالَ الْخَصِيُّ: إِنِّي أُوْمِنُ بِأَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ.

وَأَمَرَ أَنْ تَقِفَ الْعَرَبَةُ، فَتَزَلَّ إِلَى الْمَاءِ مَعاً، وَعَمَّدَ فِيلِبُّسُ الْخَصِيَّ.

وَمَا إِنْ طَلَعَا مِنَ الْمَاءِ حَتَّى خَطَفَ رُوحُ الرَّبِّ فِيلِبُّسَ، فَلَمْ يَعِدِ الْخَصِيَّ يَرَاهُ. فَتَابَعَ سَفَرَهُ بِفَرَحٍ.

(أعمال الرسل ٨: ٢٦-٣٩).

فقد كان فيلبس مُقاد بالروح قيادة الهيبة ليعتريه جوعاً روحياً لدرجة أنه قطع مسافة طويلة جداً في رحلة من أفريقيا لأورشليم لعبادة الله وكان قد أقتنى على الأقل نُسخةً من سفر أشعيا النبي. وإذا كان

يقرأ في الإصحاح ٥٣ من سفر أشعياء، آيات تعتبر الأوضح والأكثر بياناً من بين نبوءات العهد القديم بما يتعلق وموت المسيح الكفاري المضحي، متعجباً عن كان أشعياء يقصده في سفره، وها فيلبس كان متأهباً لخدمة الرجل الحبشي بتفسيره له ما كان يقرأه! هنا نجد رجلاً كان مُستعداً للحوار! وقد عَلَّمَ الله ما بقلبه وأرسل إليه فيلبس.

طريقة أفضل

فكم سيكون محموداً أن نُقاد بالروح الى المُتقبلين من الناس، عوض أن نتَّبِع أسلوباً عشوائياً كان ام نظامياً للوصول لغير المتقبلين بدافع من الذنب، مُعتقدين وكأنهم لن يُبشروا بطريقة أخرى. فلا تنسى أن كُل شخص تتوجه إليه قد تم تبشيره وبلا هوادة من قِبل الله. فمن المفضل أن نسأل الناس كيف تتعامل ضمائرهم معهم، لكي ما نُحدد أساساً إن كانوا بالفعل مُتقبلين أم لا، لأن كل شخص يتعامل مع الذنب بوسائل مختلفة.

وأقدم هنا مثلاً آخر للمبدأ ذاته، وهو كيف أتى أفراد بيت كورنيليوس الى الايمان بواسطة خدمة بُطرس، الذي قيد بصورة فوق طبيعية لكراسة الإنجيل لتلك الفئة الأممية (الغير يهودية) المُتقبلة. بالتأكيد كان كورنيليوس رجلاً ساعياً لمعرفة الله سامعاً لضميره، وكان ذلك متجسداً بعطائه للصدقات وحياة الصلاة (أنظر أعمال الرسل ١٠: ٢). أرسل الله بُطرس إليه، وقد أصغى لرسالة بُطرس بقلب منفتح وتم خلاصه بمجد عظيم.

فما عساه أن يكون أكثر حكمة من الصلاة والتماس الروح القدس لأجل قيادة ذوي القلوب المفتحة، بدلاً من أن نقضي الوقت هباءً بتشكيل خطأ مُعقدة لتقسيم بلادنا إلى أرباع ولتنظيم فرقاً تبشيرية لزيارة كل بيت وشقة. فلو بقي في أورشليم بُطرس يتردد الى اجتماعات بحث استراتيجيات التبشير، أو أن فيلبس استمر في الوعظ على أهل السامرة، ل بقي كل من بيت كورنيليوس والخصى الحبشي بدون خلاص.

بالطبع يقاد الرُّسل والمُبشرين لكراسة الإنجيل أمام جموع مُختلطة من حيث القبول. ولكن عليهم أن يسألوا الرب عن المكان الذي يريده هو أن يكرزوا به. وأكرر، سفر أعمال الرُّسل مليء بأمثلة لنا عن الناس كانوا مُقادين وممسوحين من الروح الذين تعاونوا مع الروح القدس في حين كان الروح يبني ملكوت الله. فكم تختلف الكنيسة الأولى في وسائلها التبشيرية عن الكنيسة المعاصرة وكم تختلف النتائج! فلما لا نُقلد ما كان في غاية النجاح؟

مبدأ رقم ٢

كيف يمكن للمبادئ الكتابية المذكورة في الجزء الأول من هذا الفصل أن تُساعدنا أكثر على فهم دورنا في التبشير وبناء ملكوت الله؟

إن كان الله قد صمم الخليقة والضمير والمصائب لدعوة البشرية للتوبة، فعندها هؤلاء الذين يكرزون الإنجيل عليهم أن يكونوا مُتأكدين أنهم لا يعلنون رسالة مُتضاربة. لكن وللأسف مازال الكثيرون يقومون بذلك! عظاتهم تأتي بتناقض مُباشر مع ما يحاول الله قوله للخطاه! ورسائلهم غير كتابية معززة بفكرة أنه لا أهمية للقداسة والطاعة بمنال الحياة الأبدية. ولا ذكر لضرورة التوبة للخلاص، مركزين على أن الخلاص يحدث بدون أعمال (وهو أمر بخلاف ما قصده بولس بهذه الطريقة)، فهم يعملون ضد الله، قاندين الناس إلى خدعة أعمق والتي تقودهم لهلاك أبدي، لأنهم مُتأكدون أنهم مُخلصين بالتأكيد ولكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك. فيا لها من مأساة، حين يعمل مُرسلين الله ضد الله الذين يتدعون تمثيله!

أوصانا يسوع أن نعظ "بالتوبة لغفران الخطايا" (لوقا ٢٤: ٤٧). فهذه الرسالة تأكيد عمّا يقوله الله للخطاة طيلة حياتهم. فوعظ الإنجيل لابد أن يخترق قلوب الناس ويزعج ذوي القلوب الصلبة. ولكن الإنجيل العصري الناعم الذي يُخبر الناس فقط أن الله يُحبهم (وهو أمرٌ لم يذكره أي من الرُسل عند كرازتهم الإنجيل في سفر أعمال الرُسل)، هذا يُضلّلهم لأنه يجعلهم يعتقدون وكأن الله غير مستاء أو غاضب عليهم. كل ما يقولوه للناس أنهم فقط وببساطة بحاجة "لقبول يسوع". ولكن ملك الملوك ورب الأرباب ليس بحاجة لقبولنا. والسؤال ليس "هل تقبل يسوع؟" بل السؤال "هل يسوع يقبلك؟" والإجابة على هذا السؤال كما ذكرنا، الى أن تتوب وتسعى لإتباعه فهو يمقتك، ورحمته وحدها التي تُحدد أبيتك في الجحيم.

وعلى ضوء الإنجيل الحديث الذي يُقلل من قيمة نعمة الله، لا حيلة لدي الا لان أتساءل مندهشاً لماذا هناك أمم كثيرة، تقاد من قبل حكام قد أُعطيت لها سُلطة من الله (وهذا لا ناقش عليه، أنظر دانيال ٤: ١٧، ٢٥، ٣: ٢١، ٥: ٢١، يوحنا ١٩: ١١، أعمال الرُسل ١٢: ٢٣، رومية ١٣: ١)، وهم بدورهم قد أغلقوا شعوبهم بالكامل من مغبة دخول المُبشرين الغربيين إليها. لعل السبب وراء ذلك أن الله يُحاول أن يحمي تلك الدول من خطر دخولها الإنجيل المزيف؟

المبدأ الثالث

المبادئ التي ذكرناها أعلاه في هذا الفصل تساعدنا على فهم تعامل الله مع من يسيرون وراء ديانات زائفة. هل هم جهلة لذا فهم مدعاة للشفقة لأنهم لم يسمعوا الحقيقة قط؟ هل يقع كل اللوم على كاهل الكنيسة لعدم تبشيرهم بالشكل المؤثر؟

لا! هؤلاء الناس ليسوا بجاهلين للحقيقة. نعم، لربما ليسوا على درجة من العلم كما لمؤمنٍ مسيحي كتابي، ولكنهم على علم كافٍ بما قد أعلنه الله عن ذاته لهم من خلال: خليقته، ضمائرهم، والمصائب التي تصطدم بحياتهم. الله يدعو كل شخص منهم للتوبة طيلة أيام حياته بلا انقطاع، حتى وإن لم يلتقوا في حياتهم بأي مسيحي كان وإن لم يسمعوا الإنجيل قط. ضف على ذلك أنهم يا إما يلبنون قلوبهم تجاه الله يا إما يصلبونها. وقد كتَبَ بولس عن جهل غير المؤمنين وأوضح سبب جهلهم:

أَقُولُ هَذَا إِذْنُ، وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ، رَاجِئاً أَلَّا تَسْلُكُوا فِيمَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ الْأُمَمُ فِي عُمْ ذُهُنِهِمْ،^{١٧}

لِكُونِهِمْ مُظْلِمِي الْبَصِيرَةِ وَمُتَعَرِّبِينَ عَنْ حَيَاةِ اللَّهِ بِسَبَبِ مَا فِيهِمْ مِنْ جَهْلٍ وَقَسَاوَةٍ قَلْبٍ.^{١٨}

فَهَؤُلَاءِ، إِذْ طَرَحُوا جَانِباً كُلَّ إِحْسَاسٍ، اسْتَسْلَمُوا لِلِإِبَاحِيَّةِ لِيَرْتَكِبُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ بِشَهْوَةٍ نَهْمَةٍ لَا تَرْتَوِي.^{١٩}
(أفسس ٤: ١٧-١٩)

لاحظ أن سبب جهل الأمم هو "صلابة قلوبهم". وأعلن بولس أيضاً أنهم "أصبحوا قساة" وبالطبع كان يتكلم عن وضع القلوب. فالقساوة تحدث وتنمو بأيدي الناس جراء لمسهم المستمر لما يكشف جلدهم الناعم. فالجلد القاسي يصعب أقل إحساساً. كذلك مَنْ يُقاوم دعوة الله له المعلنة من خلال الخليفة والضمير، سوف تأخذ قلوبهم بالقساوة المستمرة، وبالتالي تصبح قلوبهم أقل حساسية للدعوة الإلهية. ولهذا تثبت الإحصائيات أن الناس يصبحون أقل قبولاً كلما تقدموا بالعمر. فكلما كبر الشخص بالعمر، كلما أصبحت فرصة للتوبة أقل. والمُبشرين الحكماء يستهدفون الناس الصغار سنناً.

ذنب غير المؤمنين

إثبات آخر على أن الله يذنب الناس بغض النظر إن لم يسمعوا لأي مُبشر مسيحي البتة، هو انه في يُدينهم بالفعل. فإن لم يُحاسبهم الله على خطاياهم فلن يُعاقبهم. وحقيقة الامر انه يُعاقبهم، يمكننا بذلك التأكد انه يُحاسبهم، وإن حاسبهم، عليهم ان يعلموا أن ما يقومون به لا يرضيه.
وإحدى طرق عقاب الله لهؤلاء الذي يتصدون لدعوته للتوبة هي من عن طريق "تسليمهم" لرغبات الخطية لكي يُستعبدوا لانهلأ أعمق. فقد كتَب بولس:

فَمَعَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا اللَّهَ ، لَمْ يُمَجِّدُوهُ بِاعْتِبَارِهِ اللَّهَ ، وَلَا شَكَرُوهُ، بَلِ انْحَطُّوا بِتَفْكِيرِهِمْ إِلَى الْحَمَاقَةِ وَصَارَ قُلُوبُهُمْ لِعِبَادَتِهِ مُظْلِمَةً.

وَفِيمَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ، صَارُوا جُهَلَاءُ،^{٢٢}

وَاسْتَبَدَّلُوا بِمَجْدِ اللَّهِ الْخَالِدِ تَمَاتِيلَ لُصُورِ الْإِنْسَانِ الْفَانِي وَالطُّيُورِ وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ وَالزَّوَاجِفِ.^{٢٣}

لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ ، فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ، إِلَى النَّجَاسَةِ، لِيُهَيِّئُوا أَجْسَادَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ.^{٢٤}

إِذْ قَدْ اسْتَبَدَّلُوا بِحَقِّ اللَّهِ مَا هُوَ بَاطِلٌ، فَاتَّقُوا الْمَخْلُوقَ وَعَبَدُوهُ بَدَلَ الْخَالِقِ، الْمُبَارَكِ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ!^{٢٥}

لِهَذَا السَّبَبِ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى الشَّهَوَاتِ الْمُخْزِيَةِ. فَإِنَّ إِنَائَهُمْ تَحَوَّلَ عَنْ اسْتِعْمَالِ أَجْسَادِهِنَّ بِالطَّرِيقَةِ الطَّبِيعِيَّةِ إِلَى اسْتِعْمَالِهَا بِطَرِيقَةٍ مُخَالَفَةٍ لِلطَّبِيعَةِ!

وَكَذَلِكَ تَحَوَّلَ الذُّكُورُ أَيْضاً عَنْ اسْتِعْمَالِ الْأُنثَى بِالطَّرِيقَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَالتَّهَبُّوا شَهْوَةً بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ،^{٢٦} مُرْتَكِبِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُوراً بِذُكُورٍ، فَاسْتَحَقُّوا أَنْ يَنَالُوا فِي أَنْفُسِهِمُ الْجَزَاءَ الْعَادِلَ عَلَى ضَلَالِهِمْ.

وَبِمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَتَخَيَّرُوا إِبْقَاءَ اللَّهِ ضِمْنَ مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذَهْنٍ عَاطِلٍ عَنِ التَّمْيِيزِ دَفَعَهُمْ إِلَى مُمَارَسَةِ^{٢٨} الْأُمُورِ غَيْرِ اللَّائِقَةِ.

إِذْ قَدْ امْتَلَأُوا مِنْ كُلِّ إِنِّمٍ وَشَرٍّ وَجَشَعٍ وَخُبْتٍ، وَشَحِنُوا حَسَدًا وَقَتْلًا وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا. وَهُمْ تَرْتَازُونَ،^{٢٩} مُغْتَابُونَ، كَارَهُونَ بِهِ، شَتَائِمُونَ، مُتَكَبِّرُونَ، مُتَفَاخِرُونَ، مُخْتَرِعُونَ لِلشُّرُورِ، غَيْرُ طَائِعِينَ لِلْوَالِدِينَ.^{٣٠} لَا فَهْمَ عِنْدَهُمْ، وَلَا أَمَانَةَ، وَلَا حَنَانَ، وَلَا رَحْمَةً.^{٣١}

إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ حُكْمَ اللَّهِ الْعَادِلِ: أَنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأُمُورَ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ؛ وَمَعَ ذَلِكَ، لَا يُمَارِسُونَهَا^{٣٢} وَحَسَبُ، بَلْ يُسَرُّونَ بِفَاعِلِيهَا.

(رومية ١: ٢١-٣٢)

لاحظ كيف أكد بولس حقيقة الذنب الإنساني وحتمية المحاسبة عليه أمام الله. الغير التائبين "عرفوا الله"، ولكن "لم يُجدوه كإله، وما شكروه" وقد "بدّلوا حقيقة الله بكذبة" ولذلك لابد وأن يواجهوا حقيقة الله. وبالتالي سلمهم الله للتدهور الأبدي، لدرجة أن هؤلاء الناس يأخذون بممارسة أموراً شاذة غير طبيعية ومُنحرفة بتدهور مستمر مستعبدون أكثر للخطيئة. وفي الواقع ما يقول الله هو كالتالي: "وهكذا أيها الإنسان أتريد أن تخدم الخطيئة كما كان ينبغي عليك أن تخدمني؟ حسناً أفعل ما تشاء. أنا لن أمنعك، وستصبح مستعبداً أكثر للإله الذي تُحبه".

وَأعتقد أنه يمكن اعتبار هذا النوع من الدينونة كمؤشرٍ لرحمة الله، فسيبدو منطقياً جداً التفكير بأن الناس الآخذين بالانحطاط في انحرافهم بالخطيئة، سيُدركون ذلك وسيستيقظون. أحياناً يتعجب أحدهم لماذا لا يسأل الكثار من المثاليين أنفسهم السؤال التالي: "لماذا أجد نفسي مُنجذباً لأشخاص من نفس جنسي، وفي حين بالحقيقة لا أستطيع أن أمارس علاقة جنسية كاملة معهم؟ هذا غريب!" فمن ناحية يمكن أن يكون هذا الادعاء مدعاة للجدل، أن الله حقاً "خلقهم على هذا النحو" (كما أنهم أنفسهم يُجادلون ليبرروا انحرافهم)، ولكن فقط من باب التساهل، وبسبب أنه يأمل أنهم سيستيقظون بيوم من الأيام ويتوبون ويختبروا رحمته الرائعة.

ليس فقط على المثاليين أن يطرحوا كمثل هذه الأسئلة على أنفسهم. فقد أدرج بولس عدداً كبيراً من الخطايا المُستعبدة التي تدل على دينونة الله على من يرفضون أن يخدموه. على المليارات من الناس أن يسألوا أنفسهم عن سلوكياتهم الغريبة. "لماذا أكره عائلتي؟" "لماذا أستمتع في نشر النميمة؟" "لماذا لا أقتنع بما لدي؟" "لماذا أنا مُضطرب على مشاهدة الأفلام الإباحية بتزايد؟" فقد سلمهم الله جميعهم ليستعبدوا لإلههم.

بالطبع، كل شخص في وقتٍ ما يمكنه أن يُلين قلبه، ويتوب ويؤمن بيسوع. بعض الخُطاة ذوي القلوب الأكثر صلابة قد فعلوا ذلك، وطهرهم الله وحررهم من خطاياهم!

لطالما الناس يتنفسون ما فتنوا، لطالما أتاح لهم الله فرصاً للتوبة.

ليس هناك من عذر

طبقاً لما قاله بولس فإن الخطاة بلا أعذار. فهم يثبتون انهم يعرفون أن يميزوا خطأ من الصواب عندما يدينون الآخرين، ولذلك فهم يستحقون دينونة الله:

إِذَنْ، لَا عُذْرَ لَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَدِينُ الْآخَرِينَ، كَائِنَا مَنْ كُنْتَ. فَإِنَّكَ بِمَا تَدِينُ غَيْرَكَ، تَدِينُ نَفْسَكَ: لِأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ تَفْعَلُ تِلْكَ الْأُمُورَ نَفْسَهَا.^١

وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ دَيْنُونَةَ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ، هِيَ بِحَسَبِ الْحَقِّ.^٢

فَهَلْ تَنْظُرُ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي تَدِينُ مَنْ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ بَيْنَمَا تُمَارِسُهَا أَنْتَ، أَنَّكَ سَتُقْلَبُ مِنْ دَيْنُونَةِ اللَّهِ؟^٣

أَمْ أَنَّكَ تَحْتَقِرُ غَنَى لُطْفِهِ وَصَبْرَهُ وَطُولَ أَنْاتِهِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ يَدْفَعُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟^٤

(رومية ٢: ١-٤)

أيضاً قال بولس أن سبب تحمل الله وصبره. هو لإتاحة الفرصة للناس لأن يتوبوا. وضاف على ذلك، إعلانه أن الذين سيتوبون ويعيشون حياة القداسة هم فقط من سيرثون ملكوت الله:

وَلَكِنَّكَ بِسَبَبِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ النَّائِبِ، تَخْزُنُ لِنَفْسِكَ غَضَباً لِيَوْمِ الْغَضَبِ، يَوْمَ تُعْلَنُ دَيْنُونَةُ اللَّهِ الْعَادِلَةُ.^٥ فَإِنَّهُ سَيُجَازِي كُلَّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ.^٦

فَتَكُونُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ لِلَّذِينَ يَسْعَوْنَ إِلَى الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ وَالْخُلُودِ مُتَابِرِينَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛^٧

وَيَكُونُ الْغَضَبُ وَالسُّخْطُ لِلْمَخَاصِمِينَ الَّذِينَ يَرْفُضُونَ الطَّاعَةَ لِلْحَقِّ وَلَكِنَّهُمْ يَخْضَعُونَ لِلْإِثْمِ.^٨

فَالشِّدَّةُ وَالضِّيقُ عَلَى نَفْسِ كُلِّ إِنْسَانٍ يَعْمَلُ الشَّرَّ الْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ الْيُونَانِيِّ؛^٩

وَالْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالسَّلَامُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ الصَّلَاحَ الْيَهُودِيِّ أَوَّلًا، ثُمَّ الْيُونَانِيِّ.^{١٠}

(رومية ٢: ٥-١٠)

من الواضح أن بولس لا يتفق مع من يعلم الناس أن "يقبلوا يسوع كمخلص فقط" وبهذا ضمان لهم للحياة الأبدية. بل الذين يتوبون ويتأبروا على فعل الخير الساعين للمجد، والكرامة والخلود.

لكن ليس هذا يشير إلى أنه يمكن للناس أن يستمروا في ممارسة أديانهم المختلفة الأخرى عوضاً عن المسيحية وكأنه يمكن خلاصهم طالما تابوا وأطاعوا الله؟

لا، ليس هناك خلاص بمعزل عن يسوع لعدة أسباب، أحدها هو أن يسوع هو الوحيد القادر على تحرير الناس من عبودية الخطية.

ولكن إن أرادوا أن يتوبوا، كيف لهم أن يدروا به إن لم يسمعوا عنه بتاتاً؟

الله يعلم قلوبهم، وسيعلم نفسه لكل شخص يسعى فعلاً إليه. فقد وعد يسوع، " إَسْأَلُوا، تُعْطُوا. اُطْلُبُوا، تَجِدُوا. اِفْرَحُوا، يُفْتَحْ لَكُمْ" (متى ٧: ٧)، والله يتوقع من الجميع أن يسعوا إليه (أعمال الرسل ١٧: ٢٦-٢٧). فعندما يرى الله شخصاً ذا قلب مُستجيب للبشارة، فإنه سيُرسل لذلك الشخص الإنجيل، كما فعل مع الخصي الحبشي وأهل كورنيليوس. هذا إله غير محدود بمُشاركة الكنيسة، كما أثبت ذلك في تغيير شاول الطرسوسي. فإن لم يكن هناك أحد ليأتي بالإنجيل لطالب حقيقي لله، فإن الله سيذهب بنفسه! فقد سمعت عدداً ليس بقليل من الاختبارات عن أشخاص من دول مُغلقة حيث آمن الكثيرون من خلال رؤى ليسوع.

لماذا يتدين الناس

الحقيقة أن مُعظم الذين يمارسون الديانات الزائفة لا يسعون للحقيقة. ولكنهم متدينين لأنهم يبحثون عن تبرير أو غطاء لخطاياهم. حيث انهم مستمرون في إغصاب ضمائرهم لذلك يروحوون ليختبئوا وراء ستار الدين. وبتدينهم يُقنعون أنفسهم انهم لا يستحقون الجحيم. وهذه حقيقة حتى من المسيحيين المُتدينين "وهذا يشمل المسيحيين الإنجيليين) كما البوذيين، المُسلمين، والهندوس. وحينما يمارسون أديانهم تؤنبهم ضمائرهم.

فعندما يسجد الشخص البوذي أمام وثنه أو أمام الرهبان الذين يجلسون بكل فخر أمامه، ضميره يُعلمه بأنه يفعل شيئاً خاطئاً. وعندما يُبرر أحد الهندوس عدم رحمته للشحات المريض على الشارع، مؤمناً أن الشحات يُعاني بسبب خطاياه في حياته السابقة، أيضاً يؤنبه ضميره. وعندما يقطع مُسلم مُتطرف رأس شخص باسم الله باعتباره كافراً، فإن ضميره يصرُخ في وجهه بسبب نفاقه القاتل. وعندما يكنز مسيحياً إنجيلياً كنوزاً على الأرض، ويُشاهد مشاهد تليفزيونية إباحية باستمرار، ويشي على أعضاء الكنيسة الآخرين، واثقاً أنه قد خَاصَّ بالنعمة، فقلبه يؤنبه. فكل هذه الأمثلة لأشخاص يُريدون الاستمرار في الخطية ووجدوا ديناً كاذباً ليؤمنوا به يمكنهم على الاستمرار بالخطية. فالأبرار غير التائبين يسقطون بعيداً كل البعد عن توقعات الله. فكل هذا لأقول أن الله لا يحسب الذين يتبعون ديناً زائفاً على انهم جهلة يُشفق عليهم لعدم سماعهم للحقيقة. وانهم لن يُلوموا بحجة أن جهلهم يقع على كاهل الكنيسة التي لم تقم بدورها الأكمل على تبشرهم بشكل مؤثر.

وأكرر، ومع علمنا الجزيل بأن الله يريد للكنيسة أن تعظ الإنجيل حول العالم كله، الا انه من واجبنا أن نُقاد بالروح الى حيث " الْحُقُول، فَهِيَ قَدْ نَضِجَتْ وَحَانَ حَصَادُهَا،" (أنظر يوحنا ٤: ٣٥)، الى الناس الآخذة بالقبول لأن قلوبهم قد لانت بفضل عمل الله الغير منقطع والغير عادى للوصول إليهم.

المبدأ الرابع

المبدأ الأخير الذي منه ممكن أن نتعلم عن الحقائق الكتابية، والتي ذكرناها آنفاً في هذا الفصل: إن كان الله يُدين الخطاة على أمل أن قلوبهم ستلين، فعلياً أن نتوقع أن قلوب بعض الخطاة ستلين بعد خروجهم مما كابدوه من دينونة الله التي حلت عليهم، أو من خلال اضطلاعهم على دينونة الله على غيرهم من الخطاة. وبالتالي فإن المصائب التي تحل على الناس، ما هي إلا فرص للوصول إلى مَنْ كان من غير الممكن الوصول إليه.

فيتوجب على المسيحيين البحث عن فرص لمشاركة الإنجيل في أماكن حيث الناس يعانون. على سبيل المثال أولئك الذين للتو قد فقدوا أحبائهم، لربما يكون هؤلاء أكثر انفتاحاً لسماع ما يُريد الله منهم أن يسمعوه. عندما كنت أؤدي خدمتي كقسيس، دائماً ما كمت انهز الفرصة لكراسة الإنجيل في الجنازات، ذاكراً الآية التي تقول " الذَّاهِبُ إِلَى بَيْتِ النَّوْحِ خَيْرٌ مِنَ الْخُضُورِ إِلَى بَيْتِ الْوَلِيمَةِ، لِأَنَّ الْمَوْتَ هُوَ مَصِيرُ كُلِّ إِنْسَانٍ. وَهَذَا مَا يَحْتَفِظُ بِهِ الْحَيُّ فِي قَلْبِهِ." (الجامعة ٧: ٢).

عندما يُعاني الناس من أمراض، خسارة مالية، انفصال علاقات، كوارث طبيعية والعديد من عواقب الخطية والإدانة التي تتبع الخطية، فهم بأكثر الحاجة أن مُعاناتهم ما هي إلا دعوة للاستيقاظ. ومن خلال المُعانة الزمنية العابرة يُحاول الله أن يُخلص الخطاة من الدينونة الأبدية.

الخلاصة

الله هو الذي يقوم بمعظم العمل لأجل بناء ملكوته. ومسؤوليتنا تقتصر على أن نتعاون معه بحكمة. لذلك على جميع المؤمنين أن يعيشوا حياة القداسة والطاعة بذاك يجتذبوا انتباه من يقعون في الظلام. وأن يكونوا مُستعدين للدفاع عن سبب الرجاء الذي فيهم.

يعمل الله دائماً على تشجيع بني البشر ليقوموا بتليين قلوبهم ويتوبون، متكلماً إليهم وباستمرار من خلال خليقته، ضمائرهم، والمصائب وأحياناً يدعوهم من خلال الإنجيل.

يعلم الخطاة انهم يعصون الله، وانهم سيُحاسَبون حتى وإن لم يسمعوا الإنجيل. فخطيتهم هي شهادة على صلابة قلوبهم. وزيادة انغماسهم عمقاً بالانحلال وبعبوديتهم للخطية هو مؤشر لغضب الله عليهم.

لا يسعى المُتدينون بالضرورة لأجل الحقيقة. فهم يبررون خطاياهم من خلال إيمانهم بأكاذيب دينهم.

يعلم الله بالوضع الحقيقي لقلب كل شخص. وعلى الرغم من ذلك، يقودنا أحياناً لئُشارك الإنجيل مع غير المُتقبلين، ولكن بالأكثر يقودنا للأشخاص المُتقبلين للإنجيل.

في حين يعمل الله على تليين قلوب الناس من خلال المُعانة، دورنا هو أن نسعى لانتهاز الفرص لكراسة الإنجيل.

الله يُريدنا أن نقدم الإنجيل للعالم بأسره، وفي الوقت ذاته يُريدنا أن نتبع روحه حيث نسعى لتحقيق المأمورية العظمى، كما تم عرض ذلك في سفر أعمال الرُّسل.

الله سيعلن نفسه لأي شخص يسعى حقاً لمعرفة.

أرادة الله لنا أن نتفق مع رسالته.

سيقف أمام عرش الله بيوم ما مُمثلين من كل الشعوب والاعراق ليعبدوه. وعلينا جميعاً يتوجب القيام بأدوارنا لتتعاون مع الله لتميم العمل الى النهاية. وهكذا على شعب الله أن يُظهر محبة المسيح لكل مجموعة عرقية يعيشون وسطها. ولعل الله يقود بعضاً من خُدامه ليستهدفوا مجموعات مُعينة لثقافات عرقية مُختلفة، إما من خلال إرسالهم ودعمهم لمؤسسي كنائس، أو بذهابهم لتلك الاماكن بأنفسهم. وعلى المُرسَلين أن يصنعوا تلاميذاً، وأن يبدون جدارة بأنفسهم كخُدام صانعي تلاميذ!

كلمات ختامية

أشكر الرب الذي منحنا القدرة على طباعة هذا الكتاب بلُغتك، وانه قد وفر لك نُسخةً لقراءته. صلاتي أن يكون هذا الكتاب سبب بركة على حياتك. وإن كان كذلك، أرسل لي من فضلك رسالةً لتعلمني أي بركة اكتسبها من قراءتك للكتاب. وحيث أنني أقرأ وأفهم اللغة الإنجليزية فقط، لذلك أرجو إن اردت مكاتبتني فاكتب رسالتك بالإنجليزية او ليترجم قبل إرسالها الي!

أكثر الطرق نجاعة وضمناً للتواصل معي هي عن طريق البريد الإلكتروني التالي:

tdmm@shepherdserve.org

وإن لم يكن مُتاح لديك بريد إلكتروني، يمكنك مكاتبتني على عنوان الخدمة، القابل للتغيير وذلك يتعلق بزمان استلامك للكتاب، ففي سنة ٢٠١٠ كان العنوان كما يلي:

Shepherd Serve, P.O. Box ١٢٨٥٤, Pittsburgh, PA ١٥٢٤١ USA.

نص الغلاف الخلفي

Back Cover Text:

هل أنت خادم صانع للتلاميذ (متلمذ)؟

يمكنك أن تكون أحدهم.

خدم ديفيد سيرفينت قيادي كنائس مسيحية في مؤتمرات كثيرة حول العالم، لمدة تزيد عن خمسة وعشرون عاماً. وقد جَمَعَ في هذا الكتاب الذي بين ايديكم تعاليم كتابية تتناول أهم القضايا التي تواجه القادة المسيحيين في أيامنا، وذلك من خلال خبرته بالتحدث مع عشرات الآلاف من القسوس في حوالي أربعين دولة.

وتطرق ديفيد سيرفينت في هذا الكتاب الى قضايا متنوعة كنمو الكنيسة، الحرب الروحية، الطلاق والزواج الثاني، التفسير الكتابي، الكنائس البيئية، خدمة المرأة، إدارة الكنائس، المواهب الروحية، التبشير والكثير من المواضيع الأخرى. سيرفينت لا يتخذ الآراء السائدة كمُسَلَّم بها، بل بدراسة نقدية دائماً ما يرجع لما يقوله الكتاب المُقدس كمرجعية وسند لآرائه، ولربما تدهش من استنتاجاته. قناعات سيرفينت ببنيتها الأساسية أن على كل قيادي مسيحي أن يكون مُتلمذاً ومُطيعاً لوصايا المسيح.

تم ترجمة هذا الكتاب لأكثر من عشرين لغة، وكتاب الخادم صانع التلاميذ الى الآن يُساعد الكثيرين من القادة المسيحيين حول العالم لأجل العمل على تحقيق المأمورية العُظمى بشكل أكثر تأثيراً.